سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٥٩٣)

إلا واردها

في مصنفات العقيدة والتفسير

د/ يوسف بن محمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"٨٠٥/ ٢٦٥ – مالك، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد، فتمسه النار، إلا تحلة القسم».

الجنائز: ٣٨

٢ «إلا تحلة القسم» أي: ما ينحل به القسم الوارد في مثل قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ والمعنى: لا يدخل النار ليعاقب بها ولكنها يدخلها مجتازا، الزرقاني ٢: ١٠٤

¤ قال الجوهري: «قال حبيب، قال مالك: تفسيره قول الله عز وجل: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾»، مسند الموطأ صفحة٣٦

أخرجه أبو مصعب الزهري، ٩٨٢ في الجنائز؛ والحدثاني، ٤٠٣أفي الجنائز؛ وابن حنبل، ١٠١٢٤ في م٢ ص٤٧٣ عن طريق يحيى؛ والبخاري، ٦٦٥٦ في الأيمان والنذور عن طريق إسماعيل؛ ومسلم، البر والصلة: ١٥٠ عن طريق يحيى بن يحيى؛ والنسائي، ١٨٧٥ في الجنائز عن طريق قتيبة بن سعيد؛ والترمذي، ١٠٦٠ في الجنائز عن طريق قتيبة وعن طريق الأنصاري عن معن؛ وابن حبان، ٢٩٤٢ في م٧ عن طريق عمر بن سعيد بن سنان عن أحمد بن أبي بكر؛ والقابسي، ١٥، كلهم عن مالك به.." (١)

"لا يشرك بالله شيئا سيدخل الجنة ولم «١» يدخل النار" فهذه الزيادة لا نعرفها في شيء من دواوين «٢» السنة، بل الذي صح في السنة: إثبات دخول الجنة لا نفي دخول النار «٣»، ولا تنافي/ بينهما لجواز أن يدخل النار بمعصيته «٤»، ثم يخرج منها فيدخل الجنة بطاعته «٥»، كما تواترت به أحاديث الشفاعة تحقيقا لقول «٦» الله تعالى: فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره (٧) ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (٨) «٧».

على أن هذا اللفظ إن صح وجب تأويله على أنه لم يدخل النار دخول خلود بخلاف المشركين فإنهم يدخلونها دخول خلود، وحينئذ رد الله كيد هذا الخصم، وتبين أن شروط النبوة الأربعة موجودة في محمد- صلى الله عليه وسلم-.

---

(١) في صحيح البخاري: أو لم يدخل ...

(٢) في (م): من داووين.

(٣) أخرج البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة حديث: ٣٢٢٢ عن أبي ذر- رضي الله عنه- قال: قال النبي- صلى الله عليه وسلم-: «قال لي جبريل: من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة أو لم يدخل النار. قال: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن. قلت: فلا داعي لانكار هذا اللفظ من الحديث. ويمكن الجمع بين الأحاديث بأنه لا يدخل النار دخول خلود كما سيأتي.

---

(١) موطأ مالك ت الأعظمي، مالك بن أنس ٣٣٠/٢

والله أعلم.

(٤) قال الله تعالى: وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا. [سورة مريم: ٧١، ٧٢].

(٥) في (ش)، (أ): فيدخل النار بطاعته.

(٦) في (ش)، (أ): لقوله تعالى.

(٧) سورة الزلزلة: ٧ - ٨.." (١)

"- واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا/ ٥٦ - ٥٧/ ٧٣٠

- وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما/ ٧١ - ٧٢/ ٧١٣

١٩ - سورة طه- الرحمن على العرش استوى / ٥/ ١٣٣

- وما تلك بيمينك يا موسى. (إلى قوله) خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى / ١٧ - ٢١/ ٣١٠، ٣١٢، ٤٧٢، ٥٩٧

- ولتصنع على عيني / ٣٩/ ١٩٠

- إن هذان لساحران / ٦٣/ ٦٠٠

- وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا/ ٦٩/ ٤٨٩

- إنه لكبيركم الذي علمكم السحر/ ٧١/ ٦٠٠

- ولأصلبنكم في جذوع النخل / ٧١/ ٣٦٧

- ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي / ٧٧/ ٥٩٧

- قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض / ١٢٣/ ٢٥٠

- ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا/ ١٢٤/ ٤٨٠

- ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله / ١٣٤/ ٢٥٩، ٤٨٠." (٢)

"مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ النَّخْلَةِ بِيَمِينِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى دُونَ ذَلِكَ بِيَمِينِهِ، حَتَّى يَكُونَ آخر مَنْ يُعْطَى نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ، يُضِيءُ مَرَّةً وَيُطْفَأُ مَرَّةً، إِذَا أَضَاءَ قَدَّمَ قَدَمَهُ، وَإِذَا طُفِئَ قَامَ"، قَالَ: "فَيَمُرُّ وَيَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ، وَالصِّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ، دَحْضٌ، مَزِلَّةٌ، فَيُقَالُ لَهُمْ: امْضُوا عَلَى قَدْرِ نُورِكُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالطَّرْفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الرَّجُلِ، يَرْمُلُ رَمَلًا (١)، فَيَمُرُّونَ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، حَتَّى يَمُرَّ الَّذِي نُورُهُ عَلَى إبهام قدمه، تخر يد، وتعلق يد، وتخر رجل، وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار"قال: "فَيَخْلُصُونَ، فَإِذَا خَلَصُوا قَالُوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنْكِ بَعْدَ أَنْ أَرَانَاكِ، لَقَدْ أَعْطَانَا اللهُ ما لم يعط أحد"، الْحَدِيثَ.

---

(١) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، الطوفي ٢/٧١٣

(٢) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، الطوفي ٢/٧٧٧

وَاخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي الْمُرَادِ بِالْوُرُودِ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ (٢) – مَا هُوَ؟ وَالْأَظْهَرُ وَالْأَقْوَى أَنَّهُ الْمُرُورُ عَلَى الصِّرَاطِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (٣). وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَلِجُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ"، قَالَتْ حَفْصَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾؟ فَقَالَ: أَلَمْ تَسْمَعِيهِ قَالَ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ " (٤). أَشَارَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَنَّ وُرُودَ النَّارِ لَا يَسْتَلْزِمُ دُخُولَهَا، وَأَنَّ النَّجَاةَ من الشر لا تستلزم حصوله، بل تستلزم انْعِقَادَ سَبَبِهِ، فَمَنْ طَلَبَهُ عَدُوُّهُ لِيُهْلِكُوهُ وَلَمْ يَتَمَكَّنُوا مِنْهُ، يُقَالُ: نَجَّاهُ اللَّهُ مِنْهُمْ. وَلِهَذَا قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾

(١) في المطبوعة «كأشد الرحل ويرمل رملا». وهو كلام غير مستقيم، ولم أجد نص الأثر كاملا في موضع آخر، ولكن روى الحاكم في المستدرك ٢: ٣٧٥ عن ابن مسعود مرفوعا نحو هذا المعنى مختصرا، وفيه: «ثم كالراكب، ثم كشد الرجال، ثم كمشيهم». وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وذكر ابن كثير في التفسير ٥: ٣٩٠ نحو معناه مطولا موقوفا، ونسبه لابن أبي حاتم في تفسيره

(٢) مريم ٧١

(٣) مريم ٧٢

(٤) هو في صحيح مسلم ٢: ٢٦٣، بنحو هذا المعنى." (١)

"وَاخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي الْمُرَادِ بِالْوُرُودِ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مَرْيَمَ: ٧١]، مَا هُوَ؟ وَالْأَظْهَرُ وَالْأَقْوَى أَنَّهُ الْمُرُورُ عَلَى الصِّرَاطِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مَرْيَمَ: ٧٢] ، وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَلِجُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، قَالَتْ حَفْصَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مَرْيَمَ: ٧١]، فَقَالَ: أَلَمْ تَسْمَعِيهِ قَالَ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مَرْيَمَ: ٧٢] ١، أَشَارَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَنَّ وُرُودَ النَّارِ لَا يَسْتَلْزِمُ دُخُولَهَا، وَأَنَّ النَّجَاةَ مِنَ الشَّرِّ لَا تَسْتَلْزِمُ حُصُولَهُ، بَلْ تستلزم انْعِقَادَ سَبَبِهِ، فَمَنْ طَلَبَهُ عَدُوُّهُ لِيُهْلِكُوهُ وَلَمْ يَتَمَكَّنُوا مِنْهُ، يُقَالُ: نَجَّاهُ اللَّهُ مِنْهُمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا﴾ [هُودٍ: ٥٨] ، ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا﴾ [هُودٍ: ٦٦]. ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا﴾ [هُودٍ: ٩٤] وَلَمْ يَكُنِ الْعَذَابُ أَصَابَهُمْ، وَلَكِنْ أَصَابَ غَيْرَهُمْ، وَلَوْلَا مَا خَصَّهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ أَسْبَابِ النَّجَاةِ لَأَصَابَهُمْ مَا أَصَابَ أُولَئِكَ، وَكَذَلِكَ حَالُ الْوَارِدِ فِي النَّارِ، يَمُرُّونَ فَوْقَهَا عَلَى الصِّرَاطِ، ثُمَّ يُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَيَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا، فَقَدْ بَيَّنَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ الْمَذْكُورِ: أَنَّ الْوُرُودَ هُوَ الْوُرُودُ عَلَى الصِّرَاطِ، وَرَوَى الْحَافِظُ أَبُو نَصْرٍ الوائلي٢، عن أبي هريرة رضي الله

= بتمامه عند الطبراني، وزيد ثقة، فصح بذلك الحديث والحمد لله.

(١) شرح الطحاوية – ط الأوقاف السعودية، ابن أبي العز ص/٤١٥

١ – كذا في الرواية الموقوفة عند الحاكم، وفي المرفوعة عنده: "دون" وعند الطبراني "أصغر" ولعل هذه الرواية أولى لأن السياق يدل عليها.

٢ – كذا في "الموقوفة" وفي المرفوعة عند الحاكم والطبراني: "فيمرون".

٣ – وكذا في "المستدرك" و"المعجم" وأما الرواية التي علقها هنا الشيخ أحمد شاكر رحمه الله بلفظ: "ثم كشد الرجال، ثم كمشيهم" فهي رواية أخرى للحاكم "٢/ ٢٧٥" من طريق غير الدالاني، وهذه الطريق لم يقع بصر الشيخ عليها، مع أنها في الصفحة التي تلي صفحة الرواية الأخرى، والموفق الله تبارك وتعالى.

١ صحيح، رواه مسلم، وأحمد نحوه من حديث أم مبشر.

٢ هو الحافظ الوائلي البكري، أبو نصر السجزي، المتوفى سنة ٤٤٤. ترجمة الذهبي في "تذكرة الحفاظ" ٣: ٢٧٩ – ٢٩٨.."
(١)

"الصفحة الموضوع

---

(١) شرح الطحاوية – ط دار السلام، ابن أبي العز ص/٤١٦

"فيقول الله عز وجل: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج بطاقة له فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فيقول: اخصر وزنك، فيقول: ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لن تظلم. فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء ... ". أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب والبيهقي والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم". أخرجه أحمد، والشيخان، والترمذي.

ومما تقدم يعلم أنه يوزن عمل كل من يحاسب حتى من لا حسنة له، ليزداد خزياً على رؤوس الأشهاد، وبالوزن يظهر العدل في العذاب والعفو عن الآثام.

٦ - الصراط:

وهو جسر ممدود على ظهر جهنم يمر عليه الأولون والآخرون كل بحسب عمله، فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح العاصف، وناس كالجواد، وناس هرولة، وناس حبواً، وناس زحفاً، وناس يتساقطون في النار، وعلى جوانبه كلاليب، لا يعلم عددها إلا الله تخطف بعض الخلائق (الكلاليب مثل الخطاطيف).

قال تعالى:

---

(١) شرح الطحاوية – ط دار السلام، ابن أبي العز ص/٥٣٥

﴿وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتماً مقضياً. ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾ [مريم: ٧١ – ٧٢].
وعن ابن مسعود: الصراط على جهنم مثل حد السيف. فتمر الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة." (١)

"وهذا –بإذن الله وقدرته– يشفي من كل الأمراض: كالمس، والعين، والسحر. والأمراض المستعصية: كالسرطان، والقروح، والأعضاء المتآكلة، وذلك واقع ومجرب ولو استبعده الأطباء وعامة الناس، فإن التجربة أكبر برهان. والله أعلم.

معنى الورود: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾

س٢: ما معنى الورود في قوله –تعالى–: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ (١) الآية؟
الجواب: ذكر ابن كثير في التفسير عدة أقوال وآثار عن السلف في تفسير الورود للنار:
منها: أن الورود الدخول، لقوله –تعالى–: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ (٢).
ومنها: أنه العبور على الصراط المنصوب على متن جهنم، وفي بعض الآثار أنهم يقال لهم: قد مررتم عليها وهي خامدة، وفي بعضها أنها تقول: جز يا مؤمن، فقد أطفأ نورك لهبي.

---

(١) سورة مريم، الآية: ٧١.

(٢) سورة هود، الآية: ٩٨.." (٢)

"وقيل: إن الورود قيامهم حول النار، ثم يصدرون بأعمالهم، وكان كثير من السلف يشتد خوفهم فيقولون: أخبرنا الله أنا نردها، ولم يخبرنا أنا نصدر عنها.
وقد ورد في الحديث الصحيح عن أبي هريرة مرفوعا: «لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم» (١).
وقد ذكر ابن حجر في "فتح الباري" (٣/ ١٢٤) خلافا في الورود المذكور، وصحح القول بأنه الدخول ثم الخروج، أو أنه المرّ عليها، واستدل على ذلك، وضعف القول بأنه مختص بالكفار، أو أنه الدنو منها، أو الإشراف عليها، أو أنه ما يصيب المؤمن في الدنيا من الحمى، وذكر الحديث الذي رواه مسلم أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: «لا يدخل أحد شهد الحديبية النار. قالت حفصة: أليس الله يقول: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾؟ فقال: أليس الله يقول: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾؟ (٢).».
وبكل حال فإذا قيل: إنه الدخول، فإنها لا تضر المؤمن، بل يعبرها ولا يحس بحرارتها، ويبقى فيها من كتب له بعض العذاب، أو كتب أنه مخلد فيها. والله أعلم.

---

(١) تبسيط العقائد الإسلامية، حسن أيوب ص/٢٢٧

(٢) فتاوى في التوحيد، ابن جبرين ص/١٠

(١) متفق عليه.

(٢) سورة مريم، الآية:٧٢.." (١)

"ويونس الحذاء قال وأبو حمزة عن معاذ مرسل والله أعلم / صفحة ١٧٧ / السابع والعشرون في ذكر ورود النار نجانا الله منه برحمته ، فقال [قال الله تعالى وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا ، ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا] [مريم ٧١ ، ٧٢] روى اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال [بكى عبد الله بن رواحة فبكت امرأته فقال لها ما يبكيك قالت رأيتك تبكي فبكيت قال إني ذكرت هذه الآية وإن **منكم إلا واردها وقد** علمت أني داخلها فلا أدري أناج منها أنا أم لا] وروى ابن المبارك عن عباد المقبري عن بكر المزني قال لما نزلت هذه الآية وإن **منكم إلا واردها ذهب** ابن رواحة إلى بيته فبكى وجاءت المرأة فبكت وجاءت الخادم فبكت ثم جاء أهل البيت فجعلوا يبكون كلهم فلما انقطعت عبرته قال يا أهلاه ما يبكيكم قالوا لا ندري ولكنا رأيناك تبكي فبكينا قال آية نزلت على رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم ينبئني فيها ربي أني وارد النار ولم ينبئني أني صادر عنها وقال موسى بن عقبة في مغازيه زعموا أن ابن رواحة بكى حين أراد الخروج إلى موته فبكى أهله حين رأوه يبكي فقال والله ما بكيت جزعا من الموت ولا صبابة لكم ولكني بكيت جزعا من قول الله عز وجل وإن **منكم إلا واردها فأيقنت** أني واردها فلا أدري أنجو منها أم لا وقال حفص بن حميد عن شمر بن عطية كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا قرأ هذه الآية يبكي ويقول رب أنا ممن تنحي أم ممن تذر فيها جثيا / صفحة ١٧٨ / وروى أبو اسحاق عن أبي ميسرة أنه كان إذا أوى إلى فراشه قال يا ليت أمي لم تلدني فقالت له امرأته يا أبا ميسرة إن الله قد أحسن إليك هداك للاسلام قال أجل إن الله يبين لنا أنا واردوا النار ولم يبين أنا صادرون منها وروينا من طريق سفيان بن حسين عن الحسن قال [كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا التقوا الرجل منهم لصاحبه هل أتاك أنك وارد النار فيقول نعم فيقول هل." (٢)

"أتاك أنك خارج منها فيقول لا فيقول ففيم الضحك إذا] وقال ابن عينية عن رجل عن الحسن قال رجل لأخيه يا أخي هل أتاك أنك وارد النار قال نعم قال هل أتاك أنك خارج منها قال لا قال ففيم الضحك إذا قال فما رؤي ضاحكا حتى مات وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن [في قوله عز وجل وإن **منكم إلا واردها قال** قال رجل لأخيه فقد جاءك عن الله أنك وارد جهنم قال نعم قال فأيقنت بالورود قال نعم قال فأيقنت وصدقت بذلك قال نعم وكيف لا أصدق وقد قال الله عز وجل وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا قال فأيقنت أنك صادر عنها قال والله ما أدري أصدر عنها أم لا قال ففيم التثاقل وفيم الضحك وفيم اللعب] قال أحمد وحدثنا خلف بن الوليد حدثنا المبارك قال سمعت الحسن يقول لا والله إن أصبح فيها مؤمن إلا حزينا وكيف لا

---

(١) فتاوى في التوحيد، ابن جبرين ص/١١

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي – موافق، ص/١٦٧

....

- التخويف من النار- ابن رجب الحنبلي ص ١٧٨ :." (١)

"يحزن المؤمن وقد جاءه عن الله أنه وارد جهنم ولم يأته أنه صادر عنها قال أحمد وأنبأنا حسين بن محمد حدثنا ابن عياش عن عبد الله بن دينار أن لقمان قال لابنه يا بني كيف يأمن النار من هو واردها [وقد اختلف الصحابة ومن بعدهم في تفسير الورود فقالت طائفة الورود هو المرور على الصراط] أي وهذا قول ابن مسعود وجابر والحسن وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم والكلبي وغيرهم / صفحة ١٧٩ / وروى اسرائيل عن السدي قال سألت مرة الهمداني عن قول الله عز وجل وإن **منكم إلا واردها فحدثني** عن ابن مسعود أنه حدثهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرد الناس النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم فأولهم كلمح البرق ثم كالريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب في رحله ثم كسير الرجل ثم كمشيه خرجه الترمذي وقال حديث حسن وخرج الإمام أحمد أوله وخرجه الحاكم وقال صحيح ورواه شعبة عن السدي عن مرة عن عبد الله موقوفا ولم يرفعه شعبة مع أنه قرأ بأن السدي حدثه به مرفوعا قال الدار قطني يحتمل أن يكون مرفوعا قلت ورواه اسباط عن السدي عن مرة الهمداني عن عبد الله موقوفا أيضا فقال يرد الناس الصراط جميعا وورودهم قيامهم حول النار ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم فمنهم من يمر كالبرق فذكر الحديث بطوله وفي آخره حتى إن آخرهم مرا رجل نوره على إبهامي قدميه يتكفأ به الصراط دحض مزلة عليه حسك كحسك القتاد حافتاه ملائكة معهم كلاليب من نار يختطفون بها الناس وذكر بقية الحديث خرجه ابن أبي حاتم ورواه الحكم بن ظهير عن السدي عن مرة عن عبد الله فرفع آخر الحديث ولفظ حديثه قال عبد الله الورود ليس بالدخول فيها ولكنه حضورها والوقوف عليها مثل الدابة ترد الماء ولا تدخله ثم قال عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يضع الله الصراط على جهنم فيجوز العباد عليه وذكر الحديث بطوله وفي آخره ولو قيل لأهل النار إنكم ماكثون في النار عدد كل حصاة في الدنيا سنة لرجوا وقالوا." (٢)

"إنا لا بد مخرجون ولو قيل لأهل الجنة إنكم ماكثون في الجنة عدد كل حصاة في الدنيا سنة حزنوا وقالوا إنا لا بد مخرجون ولكن الله جعل لهما الأبد ولم يجعل لهما الأمد والحكم بن ظهير ضعيف ولعل هذا الكلام في آخر الحديث موقوف على ابن مسعود فإنه روي عنه موقوفا من وجه آخر بإسناد جيد قال أبو الحسن بن البراء العبدي في كتاب الروضة له حدثنا أحمد بن خالد هو الخلال حدثنا عثمان بن عمر حدثنا اسرائيل عن أبي / صفحة ١٨٠ / اسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال لو أن أهل جهنم وعدوا يوما من أبد أو عدد أيام الدنيا لفرحوا بذلك اليوم لأن كل ما هو آت قريب وقد روي أول الحديث من طريق أبي اسحاق موقوفا أيضا لكن بمخالفة في الاسناد فروي عمرو بن طلحة القتاد عن اسرائيل عن أبي اسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله وإن **منكم إلا واردها قال** الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطائفة الأولى كالبرق والثانية كالريح والثالثة كأجود الخيل والرابعة كأجود الإبل والبهائم ثم يمرون والملائكة يقولون رب سلم سلم خرجه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وكذا خرجه آدم بن أبي إياس في تفسيره عن اسرائيل وخرج مسلم

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي – موافق، ص/١٦٨

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي – موافق، ص/١٦٩

في صحيحه من حديث روح بن عبادة أنبأنا ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع [جابر بن عبد الله يسأل عن الورود فقال نحن يوم القيامة على كذا وكذا انظر أي ذلك فوق الناس قال فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول من تنظرون فنقول ننتظر ربنا فيقول أنا ربكم فيقولون حتى ننظر إليك فيتجلى لهم يضحك فينطلق بهم فيتبعونه ويعطي كل إنسان منهم مؤمن أو منافق نوره ثم يتعبونه وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله ثم يطفأ نور المنافقين ثم ينجو المؤمنين فينجو أول زمرة وجوههم كالقمر] ثنا وذكر بقية الحديث كذا خرجه مسلم عن عبد الله بن سعيد وهو الأشج واسحاق بن منصور وكلاهما عن روح به وخرجه الإمام أحمد عن روح به وزاد فيه." (١)

"صلى الله عليه وآله وسلم يقول نحن يوم القيامة على كوم وذكر الحديث كله مرفوعا وفي حديثه زيادة بعد قوله ويعطي كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نورا أو يغشاه ظلمة وقوله في هذه الرواية ونحن يوم القيامة على كوم هذه الرواية الصحيحة وأما ما ورد في رواية روح عن ابن جريج عن كذا وكذا فان أصله تصحيحه من الراوي للفظة كوم فكتب عليه كذا وكذا لإشكال فهمه عليه ثم كتب انظر أي ذلك يأمر الناظر فيه بالتروي والفكر في صحة لفظه فأدخل ذلك كله في الرواية قديما ولم يقع ذلك في نسخ صحيح مسلم كما يظنه بعضهم فان الحديث في مسند الامام أحمد وكتاب السنة لابنه عبد الله كذلك وخرجه الطبراني في كتاب السنة من طريق أبي عاصم عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرا يسأل عن الورود فقال نحن يوم القيامة على كوم فوق الناس فتدعى الأمم بأوثانها وذكر الحديث إلى قوله فيتجلى لهم يضحك قال فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول حتى يبدو كذا وكذا فينطلق بهم فيتبعونه وذكر الحديث بتمامه وفي سياقه أيضا وتغشى المنافقين ظلمة فظهر بهذه الرواية ان الشك والتصحيف انما جاء من جهة روح بن عبادة ولعله وقع في كتابه كذلك فحدث به كما في كتابه والله أعلم لكن قد رواه محمد بن يحيى المازني عن ابن جريج كما رواه عنه روح خرجه من طريقه الخلال ومما يستدل به على أن الورود ليس هو الدخول ما خرجه مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر قال أخبرتني أم بشر أنها سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول عند حفصة لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها قالت بلى يا رسول الله فانتهرها فقالت حفصة وإن **منكم إلا واردها** [مريم ٧١] فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد قال الله عز وجل ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا [مريم ٧٢] / صفحة ١٨٢ / ورواه الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم بشر بنحوه وفي بعض روايات الأعمش فقال رسول الله صلى." (٢)

"الله عليه وآله وسلم يردونها ثم يصدرون عنها بالأعمال [وقالت طائفة الورود هو الدخول وهذا هو المعروف عن ابن عباس وروي عنه من غير وجه وكان يستدل لذلك بقول الله تعالى في فرعون يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار [هود ٩٨] وبقوله ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا [مريم ٨٦] وكذلك قوله تعالى لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها [الأنبياء ٩٩] وقد سبق عن عبد الله بن رواحة نحو هذا إلا أن الرواية عنه منقطعة وروى مسلم الأعور عن مجاهد وإن **منكم إلا واردها**

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي - موافق، ص/١٧٠

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي - موافق، ص/١٧٢

قال داخلها وسئل كعب عن الورود المذكور في الآية فقال تمسك النار عن الناس كأنها متن إهالة حتى تسوى عليها أقدام الخلق كلهم برهم وفاجرهم ثم يقول لها الرب عز وجل خذي أصحابك ودعي أصحابي فتخسف بكل ولي لها وينجي الله المؤمنين ندية ثيابهم قال كعب ألم تر إلى القدر الكثيرة الودك إذا بردت استوت بيضاء كالشحم فإذا أوقدت النار تحتها انخسف الودك في القدر من ها هنا وها هنا وفي رواية عنه قال فهي أعرف بهم من الوالد بولده وقال ثور بن يزيد عن خالد بن معدان إذا دخل أهل الجنة الجنة قالوا ألم يعدنا ربنا أنا نرد النار قال بلى ولكن مررتم عليها وهي خامدة وفي رواية عنه قال إذا جاز المؤمنون الصراط نادى بعضهم بعضا ألم يعدنا ربنا أنا نمر على جسر جهنم فيقولون بلى ولكن مررتم عليها وهي خامدة وقال مسكين سمعت أشعث الحداني يقول بلغني ان أهل الإيمان إذا مروا بصراط به جهنم قال تقول لهم جهنم جوزوا عني قد بردتم هذا وهجي ثم ذروني وأهلي ولكن هذا والذي قبله قد يدلان على ان الورود هو المرور على الصراط كالقول الأول وروى كثير بن زياد البرساني عن أبي سمية قال قال اختلفنا في الورود / صفحة ١٨٣ / فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن وقال بعضهم يدخلونها جميعا ثم ينجي الله الذين اتقوا فلقيت جابر بن عبد الله فقلت إنا اختلفنا في الورود فقال يردونها جميعا وقال سليم بن مرة يدخلونها وقال سمعت رسول الله صلى الله." (١)

"عليه وآله وسلم يقول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من برهم ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا [مريم ٧٢] خرجه الامام أحمد وأبو سمية لا ندري من هو وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال [لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم] وقد فسر عبد الرزاق وغيره تحلة القسم بالورود لقوله وإن منكم إلا واردها وظاهر هذا يقضي أن الورود هو مس النار وفي رواية فيلج النار إلا تحلة القسم فجعله مستثنى من ولوجها وروى عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن بشير الأنصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مات له ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث لم يرد النار إلا عابر سبيل وخرج الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة ورشدين بن سعد كلاهما عن

....

- التخويف من النار- ابن رجب الحنبلي ص ١٨٣ :." (٢)

"زاذان بن نائل عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من حرس من وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا لا يأخذه سلطان لم يرد النار إلا تحله القسم فإن الله يقول وإن منكم الا واردها إسناده ضعيف وخرج الطبراني من حديث الواقدي حدثنا شعيب بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر حدثنا أبي عن أبيه عن جده عن أبي بكر الصديق عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إنما حر جهنم على أمتي كحر الحمام الواقدي متروك وروى منصور بن عمار عن بشير بن طلحة عن خالد بن دريك عن يعلى بن / صفحة ١٨٤ / منبه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تقول جهنم للمؤمن جزيا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي غريب وفيه نكاره وقد فسر بعضهم الورود بالحمي

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي - موافق، ص/١٧٣

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي - موافق، ص/١٧٤

في الدنيا روى مجاهد وعثمان بن الأسود وفيه حديث مرفوع الحمى حظ المؤمن من النار وإسناده ضعيف وقالت طائفة الورود ليس عاما وإنما هو خاص بالمحضرين حول جهنم المذكورين في قوله فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا إلى قوله وإن منكم إلا واردها [مريم ٦٨ - ٧١] كأنه يقال لهؤلاء الموصوفين وإن منكم إلا واردها روي هذا التأويل عن زيد بن اسلم وهو بعيد جدا وعن عكرمة انه كان يقرأ وإن منكم إلا واردها يقول الضمير يعود إلى الظلمة كذلك كنا نقرؤها وروي هذا القول عن ابن عباس من وجه منقطع والصحيح عنه ما سبق إذا وقف العبد بين يدي الله تستقبله النار . وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن العبد إذا وقف بين يدي ربه للحساب فإنه تستقبله النار تلقاء وجهه وأخبر أن الصدقة تقي صاحبها من النار ففي الصحيحين عن عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة] وفي صحيح مسلم عنه عن." (١)

"المطلب السابع : الصراط ، صفته وأدلته :

الصراط في اللغة : الطريق الواضح .

وفي الشرع : جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون وهو طريق أهل المحشر لدخول الجنة . وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات الصراط .

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ (مريم : ٧١ ، ٧٢) ذهب أكثر المفسرين أن المقصود بورود النار هنا : المرور على الصراط وهو منقول عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار وغيرهم .

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وهو حديث طويل في الرؤية والشفاعة وفيه عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنه قال : (. . « ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم قلنا يا رسول الله وما الجسر ؟ قال : مدحضة مزلة ، عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان ، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق ، وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم يمر آخرهم يسحب سحبا » (١) .

---

(١) صحيح البخاري برقم (٧٤٣٩) ، وصحيح مسلم برقم (١٨٣) ، واللفظ للبخاري .." (٢)

"الشريط الثامن والثلاثون

وهذا الكتاب هو الصحف.

والصحف هذه تنشر للإنسان وتوزع على الناس في الموقف؛ يعني أن الناس في ذلك الموقف تنشر لهم السجلات والكتب،

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي - موافق، ص/١٧٥

(٢) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ص/٣٢٤

ويؤمرون بأخذها وتتطاير أيضا إليهم؛ يعني على اختلاف الصفات فمن آخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله وراء ظهره. فقراءة الكتاب، العبد يقرأ والله ؟ يقرر العبد على ما عمل حتى يكون عليه شاهدا.

(المسألة السادسة:

في قوله (والثواب والعقاب) يعني بعد الوزن؛ لكن هنا أراد الإيمان بأن هذه الأشياء حاصلة لأجل ورود الدليل بها؛ بل معنى البعث إنما هو حصول الثواب والعقاب، فحقيقة معنى يوم البعث واليوم الآخر أن يثاب المطيع وأن يعاقب الكافر.

(المسألة السابعة:

في قوله (الصراط) الصراط هو الطريق، والصراط طريق موضوع على ظهر جهنم؛ يعني فوقها -فوق جهنم-، وهو طريق يوصل من العرصات من أرض المحشر إلى ساحات الجنة؛ يعني ما قبل دخول الجنة.

وهذا العبور على الصراط هو المذكور في قوله ؟وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا(٧١)ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا؟[مريم: ٧١-٧٢].

والصراط جاءت صفته في السنة، وجاء ذكره مجملا في القرآن.

أما صفته في السنة فإنه: دقيق جدا وطويل، وأن على جنباته كلاليب تخطف من قضى الله ؟ أن يكون من أهل النار، وأن الناس في العبور عليه يخافون خوفا شديدا، فالأنبياء يقولون قبل العبور اللهم سلم سلم.

ودون هذا الصراط ظلمة لا يتبين أحد ممن يريد أن يعبر طريق الصراط إلا المؤمنين بما فيهم العصاة.

وأما الكافرون والمنافقون فإنهم يجتمعون في الظلمة ويسيرون ويتهافتون في النار تهافت الجراد.

وغير ذلك مما جاء في وصفه وأنه أدق من الشعرة وأحد من السيف، إلى آخره.." (١)

"ثُمَّ ٱلْإِيمَان بِٱلْبَعْثِ وَالصِّرَاطِ (١) وَشِعَارُ (٢) ٱلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَئِذٍ سَلِّمْ سَلِّمْ وَالصِّرَاطُ جَاءَ فِي ٱلْحَدِيثِ.

١١- ٱلْمِيزَانُ

---

(١) - كذا في (ر) وفي (ظ) الصراط.

(٢) - قال الله تعالى (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير) التغابن آية ٧ وقال تعالى (وإن الله يبعث من في القبور) الحج آية ٧. أما الصراط فلم يرد بخصوصه ذكر في القرآن الكريم صريحا بل فيه الإشارة إليه بقوله تعالى: (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا) مريم آية ٧١ والورود يكون بالمرور على الصراط على متن جهنم، قال الإمام البخاري: باب الصراط جسر جهنم. ١١/٤٤٤. وما ذكره المصنف من وصف الصراط بأنه أحد من السيف وأدق من الشعرة فثابت فقد روى البخاري من حديث أبي هريرة الطويل وفيه (وشعار المسلمين يومئذ سلم سلم) ووقع عند مسلم، قال أبو سعيد (بلغني أن الصراط أحد من السيف وأدق من الشعرة) ووقع في رواية ابن مندة من هذا الوجه، أ هـ فتح الباري ١١/٤٥٤. وأخرج الحاكم حديث ابن مسعود مرفوعا: (فيمرون على الصراط والصراط

---

(١) إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، ١/٣٨

كحد السيف ودحض [مكان دحض ويحرك ودحوض زلق والمدحضة المزلة ترتيب القاموس ١٥٥/٢.] مزلة...) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ٣٧٦/٢. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد موقوفا على ابن مسعود، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عاصم وقد وثق ٣٦٠/١٠. ورواه عبد الله بن الإمام أحمد في "السنة" بلفظ: "رحض مزلة" ص ١٧٨. قال ابن تيمية: والصراط منصوب على متن جهنم وهو الجسر الذي بين الجنة والنار يمر الناس عليه قدر أعمالهم" الواسطية ضمن المجموعة العلمية ص ٥٩.." (١)

"وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ [سورة مريم ، الآية : ٧١] ، فسَّرها عبد الله بن مسعود وقتادة وزيد بن أسلم (بالمرور على الصراط) ، قال ابن أبي العز : (والأظهر أنه المرور على الصراط ، وفسرها جماعة منهم ابن عباس بالدخول في النار لكن ينجون منها) . [انظر : تفسير البغوي (٥ / ٢٤٦)] .

وقد بوب الإمام البخاري في صحيحه باب (الصراط جسر جهنم) ذكر فيه حديث أبي هريرة الطويل وفيه : « " ويُضرب جسر جهنم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فأكون أول من يُجيز ، ودعاء الرسول يومئذ : اللهم سلم سلم ، وبه كلاليب مثل شوك السعدان » (١) الحديث ، وأنكره بعض المعتزلة . [ينظر : شرح الأصول الخمسة (٧٣٧ ، ٣٧٨) ، والإرشاد للجويني ص ٣٧٠ ، ٣٨٠)] .

الخلاصة :

يؤمن أهل السنة بأن الصراط حق ، كما ورد في الكتاب والسنة ، وعليه الإجماع .

المناقشة :

س١ : ما المراد بالصراط ؟ وما صفته ؟

س ٢ : ما مذهب أهل السنة في شأن الصراط ؟

س ٣ : اذكر بعض المخالفين في هذا الباب .

---

(١) البخاري (١١ / ٤٥٣) ح ٦٥٧٣ في الرقاق ، باب الصراط جسر جهنم ، من حديث عطاء عن أبي هريرة مرفوعا .." (٢)

"س : ما دليل الصراط من الكتاب ؟

ج : قال الله عز وجل : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ . الآيات .." (٣)

---

(١) متن كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة لابن بطة، ص/٢٠١

(٢) اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث، ص/٩٦

(٣) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، ص/١٥٦

" مبتدع ولا أثري ولا متكلم ومن تعرض لها لم يحظ بطائل وقد يرد القرآن بهذه الحجة الظاهرة المناسبة لعرف العقلاء وحدها مثل آيات الوعيد وقد يرد بما يقتضي التعليل بحكمته الحقيقية المناسبة لعلمه الحق وحدها كقوله تعالى في سورة هود وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وكذلك قوله تعالى وان **منكم إلا واردها كان** ربك على حتما مقضيا فانا نعلم أن هذه لم تكن سدى خالية عن الحكمة وقد يرد القرآن بهما جميعا كقوله تعالى جوابا على من قال فأرجعنا نعمل صالحا قال تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون فجمع بينهما حيث أجاب على الكفار قولهم أرجعنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل استدراكا منهم لما فات فأخبرهم أنه كان قادرا على تحصيل ذلك منهم فيما مضى ولو أرادوه لم يفته حتى يحتاج إلى الملافاة والاستدراك وحين علمنا حكمته في ذلك حسن أن نشير اليها في الجملة من غير بيان معين كما قال سبحانه وتعالى للملائكة إني أعلم مالا تعلمون جوابا على قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها

وأما ما ورد في ذلك من السنة فأنواع

منها حديث لا أحد أحب اليه العذر من الله تعالى من أجل ذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب

ومنها عملهم بمقتضى قوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وقوله وخذوا حذركم ." (١)

" ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وهي واضحة في تقدم الارادة قبل وقت قطع الاعذار والعذاب لا يقع قبل ذلك في حكم الله تعالى لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وكذلك قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وفي آية أخرى وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وفي آية اخرى وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا الاية وفي هذه الآيات الثلاث دلالة واضحة على أن عذاب الاخرة من قبيل الحق الراجح المتضمن للمصالح وهذه العبارات المؤكدة في وقوعه كلام من قد أراد ذلك فكيف يقسم عليه وهو لا يريده

وأما دليل العقول على ذلك فلان الارادة انما تتأخر في حقنا لتأخر العلم بالمرجحات وعدم العلم بانتفاء الموانع والمعارضات ولذلك قال أبو الحسين انها هي الداعي الراجح الراجع الى العلم لملازمة الفعل لذلك ولملازمة الارادة له وذلك منه يفضي الى نحو قول الاشعرية في قدم الارادة وأما الاثري السني فلا حاجة له الى الخوض في ذلك كما تقدم

البحث الثامن ان ارادة الله تعالى نافذة وانه لا راد لما أراد وقد تقدم كثير منها ولكن في هذا البحث فوائد مهمة لم تقدم ولا بأس ببعض التكرار للتأكيد والفائدة ولذلك ورد به كتاب الله تعالى وهو أكثر الكتب حكمة وأحكاما

---

(١) إيثار الحق على الخلق، ص/٢٥٧

وهذا البحث مبني على ان الله تعالى على كل شيء قدير وهذا ما لا شك فيه ولكن أكثر المعتزلة زعموا ان الله تعالى مريد لفعل جميع ما يقدر عليه من هداية المكلفين واللطف بهم بل اعتقدوا ان ذلك واجب عليه ولاجل اعتقادهم وجوبه عليه قطعوا حين لم يفعله انه غير قادر عليه تنزيها له من الاخلال بالواجب ." (١)

"٣٤٨- أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو محمد ، أحمد بن عبد الله المزني ، أخبرنا علي بن محمد بن عيسى ، حدثنا أبو اليمان ، قال : أخبرني شعيب ، عن الزهري ، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أن أبا هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكل نبي دعوة ، وأريد إن شاء الله أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة.

رواه البخاري في "الصحيح" ، عن أبي اليمان.

وأخرجه مسلم من وجهين آخرين ، عن الزهري

٣٤٩- أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن إسحاق الصاغاني ، حدثنا حجاج بن محمد ، قال : قال ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، يقول : أخبرتني أم مبشر ، أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة رضي الله عنها : لا يدخل النار إن شاء الله تعالى أحد من أصحاب الشجرة الذين بايعوني تحتها قالت : بلى يا رسول الله ، فانتهرها ، فقالت حفصة رضي الله عنها : وإن **منكم إلا واردها** ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وقد قال الله تعالى : ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا.

رواه مسلم في "الصحيح" ، عن هارون بن عبد الله ، عن حجاج بن محمد." (٢)

"١٧٠- باب في ذكر الورود على النار نعوذ بالله من النار

٨٦٠- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر عن حفصة قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم إني لأرجو أن لا يدخل النار أحد إن شاء الله ممن شهد بدرا والحديبية قالت قلت يا رسول الله أليس قال الله وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا قال فلم تسمعيه ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا." (٣)

"٨٦١- حدثنا ابن نمير وأبو بكر ، قالا : حدثنا عبد الله بن إدريس عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو في بيت حفصة لا يدخل النار رجل شهد بدرا والحديبية فقالت حفصة يا رسول الله وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمه ثم ننجي الذين اتقوا

---

(١) إيثار الحق على الخلق، ص/٢٦٧

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي، ٤٢٦/١

(٣) السنة لابن أبي عاصم، ٤١٤/٢

٨٦٢- حدثنا أبو بكر والشافعي ، قالا : حدثنا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قدم ثلاثة من الولد لم يلج النار إلا تحلة القسم وقال معمر لم تمسه النار وقال مالك فتمسه النار إلا تحلة القسم." (١)

"وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم فيقول ابن عباس: فسمعنا صوت أم كلثوم (بنت علي رضي الله عنه) واعمراه، وكان معها نسوة يبكين فارتج البيت بكاء، فقال عمر: ويل أم عمر إن الله لم يغفر لهم، فقلت: والله! إني لأرجو أن لا تراها إلا مقدار ما قال الله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾: إن كنت ما علمنا لأمير المؤمنين وسيد المسلمين تقضي بالكتاب وتقسم بالسوية، فأعجبه قولي، فاستوى جالساً فقال: أتشهد لي بهذايا ابن عباس؟ فكعكعت أي جبنت، فضرب عليّ عليه السلام بين كتفي وقال: اشهد، وفى رواية لم تجزع يا أمير المؤمنين؟ فوالله لقد كان إسلامك عزاً، وإمارتك فخراً، ولقد ملأت الأرض عدلاً، فقال: أتشهد لي بذلك يا ابن عباس! قال: فكأنه كره الشهادة فتوقف، فقال له علي عليه السلام: قل: نعم، وأنا معك، فقال: نعم" (١).

وأكثر من هذا أن علياً – وهو الإمام المعصوم الأول عند القوم – كان يؤمن بأنه من أهل الجنة لما سمعه من لسان خيرة خلق الله محمد المصطفى الصادق الأمين – صلى الله عليه وسلم –، ولأجل ذلك كان يتمنى بأن يلقى الله بالأعمال التي عملها الفاروق عمر رضي الله عنه في حياته، كما رواه كل من السيد مرتضى وأبو جعفر الطوسي وابن بابويه وابن أبي الحديد.

لما غسل عمر وكفن دخل علي عليه السلام فقال: صلى الله عليه وآله وسلم ما على الأرض أحد أحب إلي أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجى (أي المكفون) بين أظهركم" (٢).

ووردت هذه الرواية في كتب السنة بتمامها في المستدرك للحاكم (٣)، مع "التلخيص" للذهبي "ومسند أحمد" مسندات علي "وطبقات ابن سعد" (٤)

---

(١) "ابن أبي الحديد" ج٣ ص١٤٦، ومثل هذا في "كتاب الآثار" ص٢٠٧، "سيرة عمر" لابن الجوزي ص١٩٣ ط مصر

(٢) "كتاب الشافي" لعلم الهدى ص١٧١، و"تلخيص الشافي" للطوسي ج٢ ص٤٢٨ ط إيران، و"معاني الأخبار" للصدوق ص١١٧ ط إيران

(٣) ج٣ ص٩٣

(٤) أحوال عمر ج٣ ص٢٦٩، ٢٧٠ ط ليدن." (٢)

---

(١) السنة لابن أبي عاصم، ٢/٤١٥

(٢) الشيعة وأهل البيت، ص/١٠٢

"٦١٠- حَدَّثَنَا محمد بن بشار قال حدَّثنا عبدالرحمن قال حدَّثنا شعبي عن السدي عن مرة عن عَبد الله ﴿وان منكم إلا واردها كان على ربك حتمًا مقضيًا﴾.

قال يردونها ثم يصدرون عنها بأعمالهم قال عبدالرحمن فقلت لشعبة أن إسرائيل حدثني عن السدي عن مرة عن عَبد الله عن النبي A قال شعبة قد سمعته من السدى مرفوعًا ولكن عمدًا ادعه.

قال أبو بكر رواه يحي بن سعيد عن شعبة أيضًا مرفوعًا.

- حدثناه بندار قال حدَّثنا يحي بن سعيد قال حدَّثنا شعبة.

- وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ وَهْبٍ ، قَالَ Y حَدَّثَنَا عَمِّي قَالَ أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ أَنَّ عَمْرَو بْنَ دِينَارٍ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ سَمِعَتْ أُذُنَايَ رَسُولَ اللَّهِ A يَقُولُ سَيَخْرُجُ أُنَاسٌ مِنَ النَّارِ.." (١)

"ص -١٩٤- ... " وروى عدي بن حاتم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ، ليس بينه وبينه ترجمان ، ثم ينظر أيمن منه فلا ينظر إلا شيئاً قدمه ، ثم ينظر أشأم منه فلا يرى إلا شيئاً قدمه ، ثم ينظر تلقاء وجهه فتستقبله النار ، فمن استطاع منكم أن يقي وجهه النار ولو بشق تمرة فليفعل""

" ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان " أي : كلاماً من الله ، يسمعه المكلَّم مباشرة بدون واسطة . والمراد : الكلام الواقع في عرصات يوم القيامة لتقرير الإنسان ومحاسبته على أعماله في الحياة الدنيا .

" ثم ينظر " أي : الإنسان .

" أيمن منه فلا ينظر إلا شيئاً قدمه ، ثم ينظر أشأم منه فلا يرى إلا شيئاً قدمه " أي : لا يجد إلا أعماله التي قدمها في الحياة الدنيا ، ولعل الذي على اليمين أعماله الصالحة ، والذي على اليسار أعماله غير الصالحة .

وفي الحديث فائدة ، وهي أنَّ كلَّ عمل يقوم به الإنسان في هذه الحياة هو شيء يقدمه للآخرة ، قال تعالى : ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾١ ، وقد يكون الإنسان نسي بعضها ولكن: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾٢ . وإذا نظرنا في أحوالنا فيما نقدم نجد أننا فرطنا كثيراً وضيعنا كثيراً نسأل الله العافية والتوفيق للخير وحسن الختام .

" ثم ينظر تلقاء وجهه فتستقبله النار " وفي هذا أنَّ النار أمام الناس كلِّهم ، ولا سبيل إلى الجنة إلا بالمرور من فوقها ، وعلى النار صراط أحدُّ من السيف وأدق من الشعرة ، وكلاليب تخطف الناس بأعمالهم كما قال تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً﴾٣ . ثم يتفاوت الناس في مرورهم على الصراط بحسب أعمالهم التي قدموها في هذه الحياة ، فمنهم من." (٢)

"ولا نجاة لأحد من النار بعد ورودها إلا بالتقوى قال تعالى ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ (١) وهي وصية الله تعالى لعباده أولهم وآخرهم قال تعالى ﴿ ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ﴾ (٢) ووصية الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأمته عموما وخصوصا

---

(١) التوحيد لابن خزيمة، ص/٥٧٩

(٢) تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، ص/١٩٣

كما قال – صلى الله عليه وسلم – لما طلب منه الصحابة رضي – صلى الله عليه وسلم – عنهم الوصية: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة" (٣) وقال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن وأبي#

ذر رضي الله عنه حين طلب منه الوصية "اتق الله حيثما كنت" (٤)

وقال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ (٥) .

---

(١) سورة مريم آية ٧١-٧٢.

(٢) سورة النساء آية ١٣١.

(٣) رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح.

(٤) رواه الترمذي وقال حديث حسن..

(٥) سورة آل عمران آية ١٠٢-١٠٣.." (١)

"عن سمرة بن جندب – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : (لكل نبي حوضاً ، وإنهم ليتباهون أيهم أكثر واردة ، وإني أرجو أن أكون أكثر واردة) . رواه الترمذي [وهذا الحديث مختلف فيه فبعضهم صححه وبعضهم ضعفه ولو صح لكان نصاً في محل النزاع] .

وقيل : أنه لا حوض إلا لرسول – صلى الله عليه وسلم – .

قالوا : إن الحديث (إن لكل نبي حوضاً) فيه ضعف .

وقالوا : إن حوض النبي – صلى الله عليه وسلم – هو الحوض الذي تواترت فيه الأدلة .

ورجح بعضهم : لكل نبي حوض ، لكن الحوض الأكبر والأفضل والأعظم هو حوض الرسول – صلى الله عليه وسلم – .

"من يحرم من الشرب من الحوض :

عن سهل . قال : قال رسول الله (أنا فرطكم على الحوض ، من ورد شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبداً ، وليردن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ، ثم يحال بيني وبينهم) .

وفي رواية (إني على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم ، سيُؤخذ أناس دوني ، فأقول : يا رب مني ومن أمتي ؟ فيقال : أما شعرتَ ما عملوا بعدك ، والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم) .

وفي رواية : (إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك ، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى) . رواه البخاري

"الفرق بين الكوثر والحوض :

أ-أن الكوثر أعظم من الحوض ، فالكوثر نهر عظيم يجري ، والحوض مجمع الماء .

---

(١) تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد، ٦٢/٢

ب–أن الكوثر في الجنة ، والحوض في أرض المحشر .

ج–أن الكوثر أصل ، والحوض فرع عنه ، لأنه ثبت أن للحوض ميزابين .

الصراط

م / وَالصِّرَاطُ حَقٌّ، يَجُوزُهُ اَلْأَبْرَارُ، وَيَزِلُّ عَنْهُ اَلْفُجَّارُ

"تعريف الصراط :

لغة : الطريق .

وشرعاً : الجسر الممدود على جهنم ليعبر الناس عليه إلى الجنة .

"وهو ثابت بالكتاب والسنة والإجماع .

قال تعالى : (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً) .

فسرها عبد الله بن مسعود وقتادة وزيد بن أسلم بالمرور على الصراط .." (١)

"وروى البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال في إجابته للصحابة عندما سألوه عن رؤيتهم الله : " هل تُضارُّون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله . قال فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك ، يجمع الله الناس ، فيقول : من كان يعبد شيئاً فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها ، فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا أتانا ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا ، فيتبعونه ، ويضرب جسر جهنم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فأكون أول من يجيز ، ودعاء الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان ، أما رأيتم شوك السعدان ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : فإنها مثل شوك السعدان ، غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله ، فتخطف الناس بأعمالهم ، منهم الموبق بعمله ، ومنهم المخردلُ ، ثم ينجوا .. " (٦) .

وقد دلت هذه النصوص الصحيحة الصريحة الواضحة على عدة أمور مهمة ، فقد ذكرت حشر الكفار إلى النار ، ومسير المؤمنين إلى الجنة على الصراط ، وخلاص المؤمنين من المنافقين ، كما أشارت في جملتها إلى معنى الورود على النار الذي نص الله عليه في قوله : (وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) [مريم : ٧١] .

وسنتناول هذه المباحث بشيء من التفصيل فيما يأتي .

----

(١) غبرهم : بقاياهم .

---

(١) تيسير الاعتقاد شرح لمعة الاعتقاد، ص/٨٨

(٢) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية ، (١/١٦٧) ، ورقمه : (١٨٣) .

(٣) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة ، (١/١٨٧) ، ورقمه :(١٩٥) .." (١)

"٧- وعند ذلك يؤمرون بالدخول في النار وغضب الجبار أذلاء خاسرين (فَادْخُلُواْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) [النحل : ٢٩] ، ولا ينجو من النار من الجن والإنس إلا الأتقياء الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين ، واتبعوا ما أنزل إليهم من ربهم (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا – ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا – ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا – وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا – ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) [مريم : ٦٨-٧٢] .

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآيات : " يقسم الله بنفسه وهو أعظم قسم وأجله أنهم سيحشرون بعد الموت ، فهذا أمر مفروغ منه (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ) [مريم : ٦٨] ، ولن يكونوا وحدهم (لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ) [مريم : ٦٨] فهم والشياطين سواء ، والشياطين هم الذين يوسوسون بالإنكار ، وبينهما صلة التابع والمتبوع، والقائد والمقود ..." (٢)

"وهنا يرسم صورة حسية وهم جاثون حول جهنم جثو الخزي والمهانة ، (ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا) [مريم : ٦٨] ، وهي صورة رهيبة ، وهذه الجموع التي لا يحصيها العد محشورة محضرة إلى جهنم جاثية حولها ، تشهد هولها ، ويلفحها حرها ، وتنتظر في كل لحظة أن تؤخذ فتلقى فيها ، وهم جاثون على ركبهم في ذلة وفزع .. ، وهو مشهد ذليل للمتجبرين المتكبرين ، يليه مشهد النزع والجذب لمن كانوا أشد عتواً وتجبراً : (ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا) [مريم : ٦٩] ، وفي اللفظ تشديد ، ليرسم بظله وجرسه صورة لهذا الانتزاع ، تتبعها صورة القذف في النار ، وهي الحركة التي يكملها الخيال .

وإن الله ليعلم من هم أولى بأن يصلوها ، فلا يؤخذ أحد جزافاً من هذه الجموع التي لا تحصى ، والتي أحصاها الله فرداً فرداً : (ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا) [مريم :٧٠] ، فهم المختارون ليكونوا طليعة المقذوفين " (٢) .

وقد غيرت هذه الآية : (وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) [مريم : ٧١] أحوال الصالحين ، فأسهرت ليلهم ، وعكرت عليهم صفو العيش ، وحرمتهم الضحك ، والتمتع بالشهوات، فقد ذكر ابن كثير أن أبا ميسرة كان إذا أوى إلى فراشه قال : يا ليت أمي لم تلدني ، ثم يبكي ، فقيل له : ما يبكيك يا أبا ميسرة ؟ فقال : أخبرنا الله أنا واردوها ، ولم نخبر أنا صادرون عنها . وقال عبد الله بن المبارك عن الحسن البصري ، قال : قال رجل لأخيه : هل أتاك أنك وارد النار ؟ قال : نعم ، قال : فهل أتاك أنك صادر عنها ؟ قال : لا ، قال : ففيم الضحك ؟ قال : فما رئي ضاحكاً حتى لحق بالله ، وقال ابن عباس لرجل

---

(١) القيامة الكبرى، ص/٢٠٨

(٢) القيامة الكبرى، ص/٢١١

يحاوره : أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها ، فانظر هل نصدر عنها أم لا ؟ (٣) .

----------------------------------. " (١)

"وقد ورد في حديث آخر أن من كان يعبد المسيح يمثل له شيطان المسيح فيتبعونه ، وكذلك من كان يعبد العزير ، وفي حديث الصور أنه يمثل لهم ملك على صورة المسيح ، وملك على صورة العزير ، ولا يبقى بعد ذلك إلا من كان يعبد الله وحده في الظاهر سواء كان صادقاً أو منافقاً من هذه الأمة وغيرها ، ثم يتميز المنافقون عن المؤمنين بامتناعهم عن السجود ، وكذلك يمتازون عنهم بالنور الذي يقسم للمؤمنين " (٢) .

وهذا نظر سديد من قائله رحمه الله .

----

(١) التخويف من النار : ص ١٨٧ .

(٢) التخويف من النار : ص ١٨٨ .

معنى ورُود النّار

ذهب بعض العلماء إلى أن المراد بورود النار المذكور في قوله تعالى : (وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا) [مريم : ٧١] هو دخول النار ، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه (١) ، وكان يستدل على ذلك بقول الله تعالى في فرعون : (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ) [هود : ٩٨] ، وبقوله : (وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا) [مريم : ٨٦] ، وقوله : (لَوْ كَانَ هَؤُلَاء آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا) [الأنبياء : ٩٩] ، وروى مسلم الأعور عن مجاهد : (وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) [مريم :٧١] قال : داخلها (٢) .

وذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بالورود هنا المرور على الصراط ، يقول شارح الطحاوية : " واختلف المفسرون في المراد بالورود في قوله تعالى : (وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) [مريم : ٧١] ما هو ؟ والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط قال تعالى : (ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) [مريم : ٧٢] .." (٢)

"وفي ((الصحيح)) أنه صلى الله عليه وسلم قال : " والذي نفسي بيده ، لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة " ، قالت حفصة : فقلت : يا رسول الله ، أليس الله يقول : (وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) [مريم : ٧١] . فقال : " ألم تسمعيه قال : (ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) [مريم : ٧٢] . وأشار صلى الله عليه وسلم إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها ، وأن النجاة من الشر لا تستلزم حصوله ، بل تستلزم انعقاد سببه ، فمن طلبه عدوه ليهلكوه ، ولم يتمكنوا منه يقال : نجاه الله منهم .

ولهذا قال تعالى : (وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا) [هود : ٥٨] ، (فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا) [هود : ٦٦] . (وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا) [هود : ٩٤] ، ولم يكن العذاب أصابهم ، ولكن أصاب غيرهم ، ولولا ما خصهم الله به

---

(١) القيامة الكبرى، ص/٢١٢

(٢) القيامة الكبرى، ص/٢١٧

من أسباب النجاة ، لأصابهم ما أصاب أولئك ، وكذلك حال الوارد على النار ، يمرون فوقها على الصراط ، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً ، فقد بين صلى الله عليه وسلم في حديث جابر المذكور أن الورود هو الورود على الصراط " (٣) .

والحق أن الورود على النار ورودان : ورود الكفار أهل النار ، فهذا ورود دخول لا شك في ذلك كما قال تعالى في شأن فرعون :(يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ) [هود : ٩٨] ، أي بئس المدخل المدخول .

والورود الثاني : ورود الموحدين ، أي مرورهم على الصراط على النحو المذكور في الأحاديث .

---

(١) التخويف من النار : ص ٢٠ .

(٢) التخويف من النار : ص ٢٠٠ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية:ص ٤٧١ .

حقيقة الصّراط ومعتقد أهل السنة فيه

قال السفاريني : " الصراط في اللغة الطريق الواضح . ومنه قول جرير :." (١)

"٥ــ وقبل وصولهم إلى النار يسمعون صوت النار، فتمتلىء قلوبهم خوفا وهلعا ورعبا، قال تعالى:[إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا](١).

٦ــ وإذا وصلوا إلى النار ورأوا أهوالها ندموا وخافوا وتمنوا العودة إلى الدنيا، ولكن هيهات.. هيهات!! قال تعالى:[ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين](٢)، وقال تعالى:[ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا] (٣).

٧ــ وعندما يقفون على النار يؤمرون بالدخول فيها:[فادخلوا أبواب جهنم

خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين] (٤)، ولا ينجوا من النار أحد من الجن والإنس إلا الأتقياء، الذين آمنوا بربهم، وصدقوا رسله، واتبعوا ما أنزل إليهم من بارئهم:[فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا * ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا * ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا * وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا] (٥).

---

(١) . الفرقان: ١٢.

(٢) . الأنعام: ٢٧.

(٣) . الكهف: ٥٧.

---

(١) القيامة الكبرى، ص/٢١٨

(٤) ـ النحل: ٢٩.

(٥) ـ مريم: ٦٨ـ ٧٢.." (١)

"يقسم الله سبحانه بنفسه، وهو أعظم قسم وأجله؛ أنهم سيحشرون بعد الموت، فهذا أمر مفروغ منه:[فوربك لنحشرنهم]، ولن يكونوا وحدهم: [فوربك لنحشرنهم] فهم والشياطين سواء، وهنا يصور ربنا جل وعلا صورة حسية وهم جاثون حول جهنم جثو الخزي والمهانة [ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا]، وهي صورة رهيبة، وهذه الجموع التي لا يحصيها العد محشورة محضرة إلى جهنم جاثية حولها، تشهد هولها، ويلفحها حرها، وتنتظر في كل لحظة أن تؤخذ فتلقى فيها، وهم جاثون على ركبهم في ذلة وفزع، وهو مشهد ذليل للمتجبرين المتكبرين، يليه مشهد النزع والجذب لمن كانوا أشد عتوا وتجبرا [ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا]، والله جل وعلا هو أعلم بمن هم أولى بأن يصلوها، فلا يؤخذ أحد جزافا من هذه الجموع التي أحصاها الله تعالى فردا فردا:[ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا].

وقد غيرت هذه الآية [وإن منكم إلا واردها] أحوال الصالحين، فأسهرت

ليلهم، وعكرت عليهم صفو العيش، وحرمتهم الضحك، والتمتع بالشهوات.

ذكر ابن كثير × أن أبا ميسرة كان إذا أوى إلى فراشه قال: يا ليت أمي لم تلدني،ثم يبكي،فقيل له: ما يبكيك يا أبا ميسرة؟ فقال: أخبرنا الله أنا واردوها، ولم يخبرنا أنا صادرون عنها.

وقال عبد الله بن المبارك عن الحسن البصري، قال: قال رجل لأخيه: هل أتاك أنك وارد النار؟ قال: نعم، قال: فهل أتاك أنك صادر عنها؟ قال: لا، قال: ففيم الضحك؟ قال: فما رؤي ضاحكا حتى لحق بالله.

وقال ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ لرجل يحاوره: أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها، فانظر هل نصدر عنها أم لا؟(١).

المبحث السابع:

العرض والحساب والجزاء:

المطلب الأول: المراد بالعرض والحساب والجزاء.

---

(١) ـ تفسير القرآن لابن كثير (٤/٤٧٦).." (٢)

"وأنكر العلامة القرافي كون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف، وسبقه إلى ذلك شيخه العز بن عبد السلام، والحق أن الصراط وردت به الأخبار الصحيحة، وهو محمول على ظاهره بغير تأويل كما ثبت في الصحيحين والمسانيد والسنن والصحاح مما لا يحصى إلا بكلفة من أنه جسر مضروب على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق، وهم في جوازه

---

(١) مباحث في العقيدة، ٣٧/٢٠

(٢) مباحث في العقيدة، ٣٨/٢٠

متفاوتون+(١).

المطلب الثالث: الأدلة على الصراط:

استدل أهل السنة والجماعة على وجوب الإيمان بالصراط بما يأتي:

أولا: استدلوا بالإشارة الواردة في قوله تعالى:[وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا* ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا](٢).

ثانيا: من السنة: حديث حذيفة بن اليمان ÷الطويل، وفيه أخبر " أن الأمانة والرحم تقومان جنبتي الصراط، فقال:=.. وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا فيمر أولكم كالبرق قال قلت بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق قال ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا قال وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس في النار والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفا+(٣).

---

(١) . لوامع الأنوار البهية (٢/١٩٢، ١٩٣).

(٢) . مريم: ٧١، ٧٢.

(٣) . سبق تخريجه ص٢٣٠.." (١)

"التي رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه فيقولون الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقا واحدا ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم+،قلنا يا رسول الله:وما الجسر قال:=مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحبا...+(١).

فقد ذكر في هذا الحديث أن الكفار يتساقطون في جهنم ثم بعد ذلك يؤتى بالجسر وهو الصراط فيجعل على متن جهنم، أي أن الصراط لم يكن موجودا أصلا إلا بعد سقوط الكفار في النار ولم يبق إلا المسلمون.

المطلب السابع: الورود على الصراط:

قال الله تعالى:[وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا](٢).

اختلف أهل العلم في الورود المذكور في قوله تعالى:[وإن منكم إلا واردها] على أقوال:

---

(١) مباحث في العقيدة، ٢٠/١١٥

(١) . سبق تخريجه ص٢٦٤ .

(٢) . مريم: ٧١، ٧٢.." (١)

"القول الأول: المراد بالورود الدخول: والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة وقول السلف، أما الكتاب فقوله تعالى:[وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا]، فقوله:[ثم ننجي] يدل على أن معنى الورود: الدخول حيث إن النجاة تكون بعد وقوع المكروه والدخول فيه، ولا يقال لمن لم يدخل في المكروه أنه نجي منه.

ويدل على هذا قوله تعالى:[يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود](١)، أي فأدخلهم النار.

ويؤيد هذا القول حديث أبي هريرة ÷ عن النبي " قال:=لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم+(٢)، قال أبو عبد الله ــ يعني البخاري ــ =[وإن منكم إلا واردها]، فإن كان الاستثناء متصلا، فالمعنى أنه لا يلج النار إلا ولوجا يحل القسم+(٣).

القول الثاني: الورود هو المرور:

من المعلوم أن أعظم من يفسر كتاب الله هو رسول الله "، وقد أخبرنا " أن

المؤمنين يمرون على النار ولا يدخلونها.

عن جابر ÷:=أن عبدا لحاطب جاء رسول الله " يشكو حاطبا فقال: يارسول الله ليدخلن حاطب النار فقال رسول الله ":=كذبت لا يدخلها فإنه شهد بدرا والحديبية+(٤).

(١) . هود: ٩٨ .

(٢) . رواه البخاري . كتاب الجنائز . باب فضل من مات له ولد فاحتسب (١١٧٣)، ومسلم . كتاب البر والصلة والآداب . باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه (٤٧٦٦).

(٣) . فتح الباري لابن حجر (٤/٢٧٦).

(٤) . رواه مسلم ــ كتاب فضائل الصحابة ــ باب من فضائل أهل بدر وقصة حاطب (٤٥٥١).." (٢)

"وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول:أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي " يقول عند حفصة:=لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها+ قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها فقالت حفصة: [وإن منكم إلا واردها] فقال النبي "=قد قال الله عز وجل:[ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا]+(١).

وفي رواية ابن ماجة ــ وفيها زيادة ــ:=من شهد بدرا والحديبية +ــ :عن جابر عن أم مبشر عن حفصة رضي الله عنها

(١) مباحث في العقيدة، ١٢٨/٢٠

(٢) مباحث في العقيدة، ١٢٩/٢٠

قالت: قال النبي ":=إني لأرجو ألا يدخل النار أحد إن شاء الله تعالى ممن شهد بدرا والحديبية+قالت قلت يا رسول الله أليس قد قال الله [وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا] قال: ألم تسمعيه يقول:[ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا]+ (٢).

قال النووي ×:=قوله ": =لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها+ قال العلماء: معناه لا يدخلها أحد منهم قطعا كما صرح به في الحديث الذي قبله حديث حاطب، وإنما قال: إن شاء الله؛ للتبرك،لا للشك.

---

(١) . رواه مسلم _ كتاب فضائل الصحابة _ باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان(٤٥٥٢).

(٢) . رواه ابن ماجة، وصححه الألباني في سنن ابن ماجة (١٤٣١/٢) رقم (٤٢٨١).." (١)

"وأما قول حفصة رضي الله عنها: بلى، وانتهار النبي " لها فقالت:[وإن منكم إلا واردها] فقال النبي ":=وقد قال:[ثم ننجي الذين اتقوا] فيه دليل للمناظرة والاعتراض والجواب على وجه الاسترشاد، وهو مقصود حفصة،لا أنها أرادت رد مقالته "، والصحيح أن المراد بالورود في الآية المرور على الصراط وهو جسر منصوب على جهنم، فيقع فيها أهلها، وينجو الآخرون+(١).

ويدل كذلك على أن المراد بالورود المرور حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا:=..... فيأتون محمدا " فيقوم فيؤذن له وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا فيمر أولكم كالبرق قال قلت بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق قال ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا قال وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس في النار والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفا+(٢).

فقوله تعالى:=كمر البرق+ يدل على أنه إنما يمر على النار لا يدخل فيها كما هو واضح، فهذا نص صريح صحيح أنهم يمرون ولا يدخلون.

وأما قوله تعالى:[يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود](٣)

---

(١) . شرح النووي على مسلم (٢٦٦/٨).

(٢) . سبق تخريجه ص٢٣٠.

(٣) . هود: ٩٨.." (٢)

---

(١) مباحث في العقيدة، ١٣٠/٢٠

(٢) مباحث في العقيدة، ١٣١/٢٠

"وقوله سبحانه:[لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون](١)، وأن معناهما الدخول.

فالجواب أن لفظ الورود لفظ مشترك يطلق على الدخول وعلى المرور، ألا ترى أن قوله تعالى:[ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون...](٢) أن موسى لم يدخل في الماء وإنما مر عليه فقط.

وقيل: المراد الجواز على الصراط.

وقيل: يراد به الدخول، ولكنه عنى به الكفار دون المؤمنين.

وقيل: إنه عام لكل مؤمن وكافر، غير أن ورود المؤمن المرور، وورود الكافر الدخول.

وقيل: الإشراف عليها والقرب منها.

وقيل: ورود المؤمن ما يصيبه في الدنيا من حمى ومرض.

وقيل: أنه يردها الجميع، ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم، وتلك أشهر الأقوال.

والراجح والله أعلم هو القول الأخير،_ وهو أنه يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم _ لتصريح الآية به [وإن منكم إلا واردها]، [ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا].

بالإضافة إلى ما ثبت عن رسول الله " في وصف الصراط ومرور الناس عليه بحسب أعمالهم، والمرور أعم من الدخول.

المطلب الثامن: أول من يجوز على الصراط:

ثبت أن الرسول " وأمته هم أول من يجوزون الصراط؛ تكريما وتشريفا لهم؛ وإظهارا لمكانة نبينا محمد " وأمته بين الأمم، وقد قال " _كما في حديث أبي هريرة _ =..ويضرب جسر جهنم+ قال رسول الله ":=فأكون أول من يجيز..+ وهذه رواية البخاري(٣).

---

(١) . الأنبياء: ٩٩.

(٢) . القصص: ٢٣.

(٣) . رواه البخاري .كتاب الرقاق . باب الصراط جسر جهنم (٦٠٨٨).." (١)

"ومن المعلوم أن الناس يشتد عليهم الكرب في الموقف، وتدنو الشمس من الرؤوس بقدر ميل، ويعرق الناس عرقاً شديداً منهم من يصل العرق إلى كعبيه، ومنهم من يصل الى ركبتيه، ومنهم من يصل إلى حقويه ومنهم من يلجمهم العرق إلجاماً وليس هذا أمراً سهلاً فيشتد بالناس العطش ويكثر الخوف والفزع، فيا بشرى من أكرم بحوض رسول الله (وأقبل عليه ثم شرب من يد رسول الله (شربة لم يظمأ بعدها أبداً ، ولا شك أنها بشرى عظيمة فنسأل الله الكريم من فضله ونعوذ به

---

(١) مباحث في العقيدة، ١٣٢/٢٠

من أن نكون ممن غير وبدل فيذاد عن حوض رسول الله فيمنع من الشرب في ذلك الموقف العظيم.

والصراطُ حقٌ .

يجوزُهُ الأبرارُ ، ويزلُّ عنه الفجّار .

وما ذكره الشيخ من كون ماء الحوض أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، وكثرة باريقه التي يشرب بها ، كل ذلك ثابت في احاديث الحوض الصحيحة .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى : ((والصراط حق)) الصراط هو جسر ممدرد على متن جهنم ، عليه كلاليب من نار ، كشوك السعدان، تخطف الناس .

وهذا الصراط المنصوب على متن جهنم يمر عليه الجميع قال تعالى :(وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً((مريم: ٧١) فالجميع يمر عليه ثم كما قال الشيخ : ((يجوزه الأبرار ويزل عنه الفجار)) وهذه خلاصة ما يجري حينما ينصب الصراط على متن جهنم وإلا فالوارد في الأحاديث الصحيحة أنه إذا نصب الصراط على متن جهنم يعبر منه الناس على قدر أعمالهم فمنهم من يعبر الصراط كالبرق ، ومنهم كالريح، ومنهم كأجاود الخيل، ومنهم كأجاود الرجال ، ومنهم من يمشي مشياً ، ومنهم من يخطو خطوة ويعثر أخرى ، فهم في المرور على درجات .." (١)

"(والصراط) وهو: الجسر المنصوب على متن جهنم، أحد من السيف، وأدق من الشعر، وأحر من الجمر، يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يمر عدوا ومنهم من يمر مشيا، ومنهم من يمر حبوا، ومنهم من تلقطه كلاليب على حافتي الجسر وتقذفه في النار، وهذه أمور غيب، فلا يدخل الإنسان عقله فيها، وكل الناس يمرون على الصراط (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا* ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) [مريم:٧٢،٧١].

وتوزن الحسنات، فإن رجحت حسناته فاز، وإن رجحت سيئاته على حسناته خاب وخسر (والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون* ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون) [الأعراف :٨،٩].

وتكرر ذكر الوزن والميزان في آيات كثيرة، وهذا من عدل الله عز وجل، وأنه لا يظلم أحدا. والميزان حقيقي، له كفتان: توضع الحسنات في كفه، وتوضع السيئات في كفة، فأيهم رجحت حسناته فاز، وأيهم رجحت سيئاته فخسر (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) [الأنبياء:٤٧].

(١٧٣) والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبدا ولا تبيدان:." (٢)

"هل الكفار يمرون على الصراط؟

Q ذكرت في أهوال يوم القيامة السور الذي يضرب بين المؤمنين والكافرين، ويرى البعض أن أهل الكفر -أهل الظلمة-

---

(١) تيسير لمعة الاعتقاد، ص/٢٦٥

(٢) كتب العقيدة، ١٣٥/١٦

يذهب بهم إلى النار ولا مرور لهم على الصراط، وأن قوله تعالى: ﴿ وإن **منكم إلا واردها** ﴾ [مريم:٧١] خاص بالمؤمنين، فهم الذين يمرون على الصراط بحسب أعمالهم، نريد أن نسمع الترتيب في ذلك والسابق منها واللاحق، والحوض والميزان والظلمة وغير ذلك؟

A بالنسبة للعبور على الصراط ظاهر الأحاديث أنه يشمل الجميع، فعندما يشفع الرسول صلى الله عليه وسلم في أهل المحشر، فإنه يؤذن لهم جميعا إلى الصراط، لكن يؤمر آدم بإخراج بعث النار، وهؤلاء قطعا سيقعون عن الصراط في النار، لكن يبدو أن الصراط يمر به الجميع، وأن أبواب جهنم تحت الصراط: ﴿ لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ﴾ [الحجر:٤٤] .

لكن لو قيل بأن بعثا يمكن أن يدخل النار دون المرور بالصراط فلا مانع، مثل ما ورد أن بعض أهل الجنة يدخلون الجنة دون حساب، ولا يمرون بشيء من العقبات، ولا يحسون بالأهوال، وحينئذ يكون عبور أهل الجنة من باب رحمة الله ولطفه: ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون * لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون ﴾ [الأنبياء:١٠١-١٠٢] ويكون تعجيل أهل النار إليها قبل الصراط أو دون أن يمروا عليه، أو أن يكون مرورهم عليه صوريا، يكون ذلك من باب عدل الله سبحانه وتعالى، فهذا هو الذي يستحقونه.

أما الترتيب بين هذه المشاهد أو الأهوال: فأولها الحشر كما ذكرنا من قبل، ثم إذا أذن للناس وشفع الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم، فإن أول ما يمرون به وأول منزلة بعد الحشر: حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم على الراجح؛ لأنه جاء في وصفه أنه لا يظمأ من شرب منه أبدا، ولو كان بعد الصراط لما احتاج الناس إليه؛ لأنهم سيدخلون الجنة، لكن يذاد عنه الذين غيروا وبدلوا، ويذاد عنه أيضا الذين أعانوا الظلمة، وقد جاء في حديثين ذكر أنواع من يذاد عنه: الحديث الأول: (ألا لا ألفين أقواما أعرفهم فيذادون دوني كما تذاد غرائب الإبل، فأقول: يا رب أصحابي أصحابي، وفي لفظ: أمتي أمتي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم لم يزالوا منذ فارقتهم مرتدين على أعقابهم فأقول: فسحقا فسحقا فسحقا) هؤلاء قد غيروا وبدلوا.

والحديث الآخر: عند عبد الرزاق في المصنف وإسناده صحيح، أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إنه سيستعمل عليكم أمراء يظلمون الناس ويؤخرون الصلاة عن أوقاتها، فمن صدقهم في كذبهم أو أعانهم على ظلمهم فلن يرد علي الحوض) فهؤلاء أيضا يذادون عن الحوض ويطردون عنه.

وكذلك الميزان فإنه سابق على الصراط، فبعد مشهد الحوض، يأتي وزن أعمال العباد، والمقاصة بينهم حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء، وفي ذلك الوقت أيضا يأتي العرض على الله سبحانه وتعالى وبسط كنفه على عباده المؤمنين، ثم يأتي الحساب بعد الميزان محاكمة على الأعمال، ثم بعد ذلك تأتي هذه الظلمة وكذلك النور الذي ينور الله به المؤمنين، وهو إعلان النتيجة؛ لأنه سيعطى أهل هذا النور كتبهم بأيمانهم، ويعطى أهل الظلمة كتبهم بشمائلهم من وراء ظهورهم، نسأل الله السلامة والعافية.." (١)

(١) سلسلة الأسماء والصفات، ٥/٢٤

"قال الموفق رحمه الله: [والصراط حق يجوزه الأبرار، ويزل عنه الفجار] . ومما يجب الإيمان به الصراط، وهو يُنصب على متن جهنم، ويمر عليه الناس، كما قال تعالى: وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا [مريم:٧١]أي: يرمون على الصراط، وهذا هو التفسير الصحيح للآية. وأما من قال: إن الورود هو لفحة من لفحات النار فهذا ليس صحيحاً، فإن المؤمنين الأبرار المتقين من الأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين لا يمسهم شيء من أثر النار وإن كانوا يمرون على الصراط. وقد جاء في حديث متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أن العباد يمرون على الصراط، فيمر أولهم على صورة القمر، ثم ذكر أحوالهم في المرور، ومقدار مرورهم، كمرور الريح، وكأجاود الخيل والركاب.. وما إلى ذلك، ومنهم من يخطف وهو على الصراط فيقع في نار جهنم.. ومنهم من يتعثر فيلحقه مقام من مقامات الشفاعة، وذكر عليه الصلاة والسلام أن الأمانة والرحم تقومان على جنبتي الصراط، وأن الأنبياء والمرسلين يقولون: اللهم سلِّم سلِّم. فهذه بعض مواقف الصراط يجب الإيمان بها على ظاهرها، كما يجب الوقوف على نصها الصريح فقط، وأما المعنى الذي لم يتضمنه النص الصريح مما يفرض العقل الاستفصال عنه فإن الواجب السكوت عنه. وأيضاً: ثبت الصراط على وجه التحديد، وكذلك بعض مسائله، وقد روي فيه روايات منكرة في بعض كتب الرواية –ولا سيما في كتب الوعظ وذكر الجنة والنار والمآلات وما إلى ذلك– ذُكر في الصراط روايات منكرة في صفته وهيأته وما إلى ذلك، فهذا يعتبر فيه الثابت ثبوتاً بيناً، وأما ما تردد في ثبوته فإنه يسكت عنه. ......

الشفاعة وأنواعها

......

الشفاعة العظمى." (١)

"وهم في طريقهم يمرون على الصراط . فأما من كان مصيره إلى النار فهو يهوي من الصراط إلى جهنم حيث يتسلمه العذاب على التو . وأما من كان مصيره إلى الجنة فهو يرى النار رؤية من بعيد ، ليعرف فقط مصير الكفار ، وليعرف أي عذاب أنجاه الله منه ، ثم يستمر في طريقه إلى حيث يرحب به الملائكة الأبرار .

(وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً ، ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً) [مريم : ٧١ ، ٧٢] .

عَنِ الزُّهْرِيِّ أَخْبَرَنِي سَعِيدٌ وَعَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُمَا عَنِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – . وَحَدَّثَنِي مَحْمُودٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ أُنَاسٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ « هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ ، لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ » . قَالُوا لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ « هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ » . قَالُوا لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ « فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ ، يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ فَيَقُولُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، هَذَا

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد للشيخ الغفيص، ص/١٦٤

مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا ، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا ، فَيَتْبَعُونَهُ وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ » . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – « فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، وَبِهِ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ ، أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ » . قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ « فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ ، غَيْرَ أَنَّهَا لاَ يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلاَّ اللَّهُ ، فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ ، مِنْهُمُ الْمُوبَقُ ، بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمُ الْمُخَرْدَلُ ، ثُمَّ يَنْجُو ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ ، مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، أَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ ، فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلاَمَةِ آثَارِ السُّجُودِ ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنِ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ ، فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدِ امْتُحِشُوا ، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ." (١)

"...ويختلف وضع الناس من كتابهم، بعضهم يؤتاه باليمين وبعضهم يؤتاه بالشمال (أو من وراء ظهره) .

...(فأما من أوتى كتابه بيمنه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه(١٩) إنى ظننت أنى ملاق حسابيه(٢٠) فهو فى عيشة راضية(٢١) فى جنة عالية (٢٢) قطوفها دانية (٢٣) كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية (٢٤) وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه(٢٥)ب ولم أدر ما حسابيه (٢٦) يا ليتها كانت القاضية (٢٧) ما أغنى عنى ماليه (٢٨) هلك عنى سلطانيه (٢٩) خذوه فغلوه (٣٠) ثم الجحيم صلوه (٣١) ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه(٣٢) إنه كان لا يؤمن بالله العظيم(٣٣) ولا يحض على طعام المسكين(٣٤) فليس له اليوم هاهنا حميم(٣٥) ولا طعام إلا من غسلين(٣٦) لا يأكله إلا الخاطئون))(الحاقة : ١٩-٣٧).

...((فأما من أوتى كتابه بيمنه (٧) فسوف يحاسب حساباً يسيراً (٨) وينقلب إلى أهله مسروراً (٩) وأما من أوتى كتابه وراء ظهره (١٠) فسوف يدعو ثبوراً(١١) ويصلى سعيراً))(الانشقاق:٧-١٢).

...وأولئك هم الذين يسميهم القرآن أصحاب اليمين وأصحاب الشمال أو الصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة .. ولكل منهما مصير !

٦- الصراط :

...فإذا انتهى العرض والسؤال، وزنت الأعمال، وتقرر المصير، فكل يؤخذ إلى مصيره : فريق إلى الجنة وفريق إلى السعير .

...وهم فى طريقهم يمرون على الصراط. فأما من كان مصيره إلى النار فهو يهوى من الصراط إلى جهنم حيث يتسلمه العذاب على التو . وأما من كان مصيره إلى الجنة فهو يربالنار رؤية من بعيد، ليعرف فقط مصير الكفار، وليعرف أى عذاب أنجاه الله منه، ثم يستمر فى طريقه إلى حيث يرحب به الملائكة الأبرار .

...((وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا(٧١) ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا))(مريم:٧٢،٧١) ." (٢)

---

(١) ركائز الإيمان، ص/٤٠٢

(٢) ركائز الايمان- ط أخرى، ص/٣٩٣

"(وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابيه * ولم أدر ما حسابيه* ياليتها كانت القاضية) [الحاقة:٢٥،٢٧] يعني : يا ليتني لم أبعث، وكان الموت هو القاضي عليّ ولم أبعث (ما أغنى عني ماليه* هلك عني سلطانيه) [الحاقة: ٢٨،٢٩].

وهذا تطاير الصحف، إما باليمين أو بالشمال.

(والثواب والعقاب) الثواب على الحسنات، والعقاب على السيئات.

(والصراط) وهو: الجسر المنصوب على متن جهنم، أحدُّ من السيف، وأدَقُّ من الشعر، وأحرُّ من الجمر، يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يمر عدواً ومنهم من يمر مشياً، ومنهم من يمر حبواً، ومنهم من تلقطه كلاليب على حافتي الجسر وتقذفه في النار، وهذه أمور غيب، فلا يُدخلُ الإنسان عقله فيها، وكل الناس يمرون على الصراط (وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتماً مقضياً* ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً) [مريم:٧١،٧٢].

وتوزن الحسنات، فإن رجحت حسناته فاز، وإن رجحت سيئاته على حسناته خاب وخسر (والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون* ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون) [الأعراف :٨،٩].

وتكرر ذكر الوزن والميزان في آيات كثيرة، وهذا من عدل الله عز وجل، وأنه لا يظلم أحداً. والميزان حقيقي، له كفتان: توضع الحسنات في كفّه، وتوضع السيئات في كفة، فأيهم رجحت حسناته فاز، وأيهم رجحت سيئاته فخسر (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) [الأنبياء:٤٧].." (١)

"وشرعا: جسر ممدود على متن جهنم، يرده الأولون والآخرون، والأدلة على إثباته كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ **مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ** عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١)﴾ وفي الحديث الذي رواه البيهقي، عن مسروق، عن عبد الله بن عباس قال: (يجمع الله الناس يوم القيامة إلى أن قال: ويمرون على الصراط، والصراط كحد السيف دحض، ومزلة، فيقال: لهم امضوا على قدر نوركم) .

وجاء في حديث عائشة (في جهنم جسر أدق من الشعر، وأحد من السيف، عليه كلاليب وحسك)

قال العلماء في وصف الصراط: إنه أدق من الشعر، وأحد من السيف، وأحر من الجمر جاء هذا في أحاديث، وقد أنكر بعض الطوائف الصراط، وهم المعتزلة، وقالوا: ليس هناك صراط حسي، وقالوا: إن الصراط إنما هو المراد الصراط المعنوي، فأهل الحق يثبتون الصراط على ظاهره، من كونه جسرا ممدودا على متن جهنم، أحد من السيف وأنكر بعض المعتزلة كالقاضي عبد الجبار المعتزلي، وكثير من أصحابه، ومن أتباعه. قالوا: ليس هناك صراط حسي، قال: والمراد بالصراط طريق الجنة، المشار إليه بقوله تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥)﴾ وطريق النار المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣)﴾ .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية – صالح الفوزان، ص/١٨١

شبهتهم:
قالوا: إنهم أنكروا الصراط الحسي، زعما منهم أنه لا يمكن عبوره، وإن أمكن ففيه تعذيب، ولا عذاب على المؤمنين يوم القيامة، والرد أن هذا تأويل باطل بوجوب حمل النصوص على حقائقها، وليس العبور على الصراط بأعجب من المشي على الماء والطيران في الهواء، والوقوف فيه، وقد أجاب النبي صلى الله عليه وسلم عن سؤال حشر الكافر على وجهه، بأن القدرة صالحة لذلك، والمراد بالورود في قوله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ في أصح قولي العلماء: المرور على الصراط، وقال بعضهم: دخول جهنم، والصواب أن المراد به المرور على الصراط.

الصراط: كما سبق أنه لغة: الطريق الواضح، ومنه قول جرير

أمير المؤمنين على صراط *** إذا اعوج الموارد مستقيما

وشرعا: جسر ممدود على متن جهنم، يرده الأولون والآخرون بعد مفارقتهم مكان الموقف.

الأدلة على إثباته كثيرة: منها ما رواه البيهقي بسنده، عن مسروق، عن عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما– قال: (يجمع الله الناس يوم القيامة إلى أن قال: ويمرون على الصراط ، والصراط كحد السيف دحض، ومزلة، فيقال لهم: امضوا على قدر نوركم) ثانيا: ما أخرجه الإمام أحمد عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (في جهنم جسر أدق من الشعر، وأحد من السيف، عليه كلاليب وحسك..) الحديث، ثالثا: أخرج البيهقي عن أنس – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (الصراط كحد السيف ..) الحديث.

وفي بعض الآثار أن طول الصراط مسيرة ثلاث آلاف سنة، والله أعلم، قال: ألف منها صعود، وآلف منها هبوط ، وآلف منها استواء، والله أعلم بالصواب.

وصف الصراط:

قال العلماء: الصراط أدق من الشعرة، وأحد من السيف وأحر من الجمر، فقد أخرج الطبراني بإسناد حسن، عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: (يوضع الصراط على سواء جهنم، مثل حد السيف المرهف مدحضة، أي مزلة، أي لا تثبت عليه قدم، بل تزل عنه إلا من يثبته الله، عليه كلاليب من نار تخطف أهلها، فتمسك بهواديها، ويستبقون عليه بأعمالهم، فمنهم من شده كالبرق، وذلك الذي لا ينشب أن ينجو، ومنهم من شده كالريح، ومنهم من شده كالفرس) .

الطائفة المنكرة للصراط، وشبهتها وتأويلهم للصراط والرد عليه: أهل الحق يثبتون الصراط على ظاهره، بكونه جسرا حسيا ممدودا على متن جهنم، أحد من السيف، وأنكر هذا الظاهر القاضي عبد الجبار المعتزلي، وكثير من أتباعه، وأولوا الصراط فقالوا: المراد بالصراط طريق الجنة المشار إليه بقوله تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥)﴾ وطريق النار المشار إليها بقوله: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣)﴾ شبهتهم: أنكروا الصراط الحسي، زعما منهم أنه لا يمكن عبوره، وإن أمكن، ففيه تعذيب، ولا عذاب على المؤمنين يوم القيامة.

الرد عليهم: تأويلهم هذا باطل بوجوب حمل النصوص على حقائقها، وليس العبور على الصراط بأعجب من المشي على الماء، والطيران في الهواء والوقوف فيه، وقد أجاب صلى الله عليه وسلم عن سؤال حشر الكافر على وجهه، بأن القدرة صالحة لذلك.

هل هناك صراط آخر؟

قال القرطبي -رحمه الله-: اعلم -رحمك الله تعالى- أن في الآخرة صراطين:." (١)

"أحدهما: مجاز لأهل الحشر كلهم ثقيلهم وخفيفهم، يجيزون عليه إلا من دخل الجنة بغير حساب، وإلا من يلتقطه عنق من النار، فإذا خلص من هذا الصراط الأكبر المذكور، ولا يخلص منه إلا المؤمنون، الذين علم الله منهم أن القصاص لا يستنفد حسناتهم، حبسوا على صراط آخر، خاص لهم، ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد، -إن شاء الله تعالى- لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم، التي يسقط منها من أوبقته ذنوبه، وزاد على الحسنات جرمه وعيوبه.

ويدل على هذا الصراط الثاني ما أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية: (﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٧)﴾ قال: يخلص المؤمنون من النار، فيجلسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقص بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا، ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا) .

قال القرطبي: هذا في حق من لم يدخل النار من عصاة الموحدين، أما من دخلها، ثم أخرج، فإنهم لا يحبسون، بل إذا أخرجوا بقوا على أنهار الجنة.

المراد بالورود في قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ **مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ** عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١)﴾ اختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في هذه الآية على قولين: فقيل: المراد به الدخول في النار، وهذا قال به ابن عباس وجماعة، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ بعد قوله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فالتعبير بالإنجاء بعد الورود دليل على أنهم دخلوا، لكنهم نجوا، وأجيب بأن التعبير بالإنجاء لا يستلزم إحاطة العذاب بالشخص، بل يكفي في ذلك انعقاد أسبابه، ولو لم يهلك كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نجينا هُودًا﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نجينا صَالِحًا﴾ ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نجينا شُعَيْبًا﴾ ولم يكن العذاب أصابه، ولكن أصاب غيره.

ثانيا: من ناحية اللغة أن الورود في اللغة... الدليل الثاني: استدلوا باللغة قالوا: الورود في اللغة يستلزم الدخول، والجواب يرد ذلك بالحديث الصحيح، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: -وهو في صحيح مسلم- (والذي نفسي بيده لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة، قالت حفصة: فقلت: يا رسول الله، أليس الله يقول ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قال: ألم تسمعيه قال ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢)﴾) أشار صلى الله عليه وسلم إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من النار لا تستلزم حصوله، بل تستلزم العقاب الشديد.

الدليل الثالث: استدلوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨)﴾ وقوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ وقوله: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا (٨٦)﴾ فسمى دخول النار ورودا، وأجيب بأن هذه الآيات في الكفار، ويستلزم الورود إحاطة العذاب بهم، ودخولهم من أدلة أخرى لا من نفس الورود.

القول الثاني: أن المراد بالورود المرور على الصراط، وهذا هو الصواب، ويؤيد ذلك الحديث الصحيح، الذي رواه الإمام

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - عبدالعزيز الراجحي، ص/٣١٦

مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (والذي نفسي بيده، لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة، قالت حفصة: فقلت: يا رسول الله أليس الله يقول: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فقال: ألم تسمعيه قال ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢)﴾) أشار صلى الله عليه وسلم إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من النار لا تستلزم حصوله، بل تستلزم انعقاد سببه، ولو لم يحصل الهلاك.

ثانيا: أن من طلبه عدوه؛ ليهلكوه ، ولم يتمكنوا منه يقال: نجاه الله منهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نجينا هُودًا﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نجينا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نجينا شُعَيْبًا﴾ ولم يكن العذاب أصابهم، ولكن أصاب غيرهم، ولولا ما خصهم الله به من أسباب النجاة لأصابهم ما أصاب أولئك، وكذلك حال الوارد في النار، يمرون فوقها على الصراط، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا.

ثالثا: أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بين في هذه الإجابة المذكور أن الورود هو المرور على الصراط، وعن يعلى بن أمية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جز يا مؤمن، فقد أطفأ نورك لهبي) .." (١)

"(و) كذلك أهل السنة والجماعة يؤمنون (بأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة) وذلك سنة ست، فلما صَدَّ المشركون النبي – صلى الله عليه وسلم – عن البيت وهم هذا العدد، أخذ النبي – صلى الله عليه وسلم – عليهم أن لا يفروا، فبايعوه تلك البيعة فرضي الله عنهم، (كما أخبر به النبي – صلى الله عليه وسلم –) في قوله: «لا يدخل النار أحدٌ بايع تحت الشجرة»، وهؤلاء هم أهل بيعة الرضوان.

أما قوله سبحانه: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا ﴾ فالمراد المرور على الصراط، فإنه منصوب على متن جهنم؛ وجميع الخلق يعبرون عليه، فالورود أعم من الدخول، فالدخول أخص، فلا يلزم من الورود الدخول.

[كل من بايع تحت الشجرة في الحديبية فإن الله قد رضي عنه]:

(بل لقد رضي الله عنهم ورضوا عنه) كل منهم قد رضي الله عنه، وغير خافٍ أن الرضا درجة فوق المغفرة كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ

وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَة .

رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ المعروفة في صلح الحديبية، فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – في سنة ست خرج قاصدًا مكة في ذي القعدة معتمرًا، ولما بلغه أن قريشًا يريدون أن يصدوه عن العمرة، عزم على أن من قاتله أن النبي – صلى الله عليه وسلم – يقاتلهم، فبايعهم تحت الشجرة على ألا يفروا إذا لقوا قريشًا في مكة، فصالحهم النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يعتمر من القابلة.

المقصود أنهم بايعوه تحت الشجرة (وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة) فيؤمن أهل السنة أن الله رضي عنهم.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية – عبدالعزيز الراجحي، ص/٣١٧

فهؤلاء هم أهل بيعة الرضوان لهم مزية على من لم يحصل له ذلك، هذه فضيلة عمومية لأهل بيعة الرضوان، كما أن موقعة بدر عمومية لأهل بدر على غيرهم، وكذلك فضيلة المهاجرين على من ليسوا مهاجرين كذلك، ومنها باعتبار تفضيل العشرة، فهي خاصة لهم بالنسبة إلى غيرهم وعامتهم.." (١)

"ذكر ما يقع بعد فصل القضاء

بعد ذلك يستجيب الله دعوته فيفصل بينهم، ويقول -كما في هذا الحديث-: (إني أنصت لكم منذ خلقت السماوات والأرض إلى هذا اليوم، فأنصتوا لي لأحكم بينكم)، فعند ذلك تنصب الموازين، وتنشر الدواوين، ويأتي دور الحساب، ويحاسب الله كل أحد، وتتفرق الكتب وتتطاير الصحف بالأيمان وبالشمائل، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله، فيسعد الله أقواما ويشقي أخرين، يسعد أهل الدين وأهل التقوى وأهل الصلاح، ويشقى أهل الفساد وأهل الكفر والعناد.

بعد ذلك يكون ما أخبر الله به من كونه يميز هؤلاء من هؤلاء، فتفرق عليهم أنوار، فيمشون في أنوارهم فينطفئ نور المنافق ونور الكافر، ثم يتأخر فيضرب بينهم بسور له باب، وذلك تمهيد وفصل بين أهل التقوى وأهل الشقاوة -والعياذ بالله- حتى يميز الله بينهم.

ثم بعدما يتميزون ويركبون الصراط ويسلكونه وهو جسر على متن جهنم يمرون عليه بقدر أعمالهم، كما ذكر في بعض الأحاديث أنه أحر من الجمر وأحد من السيف وأدق من الشعرة، وأنهم يسيرون عليه بأعمالهم، فمنهم من يمر عليه كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كأجاود الخيل والركاب، ومنهم من يعدو عدوا، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يزحف زحفا، وعلى جنبتي الصراط كلاليب مثل شوك السعدان تخطف من أمرت بخطفه، فناج مسلم، ومخدوش، ومكردس في النار تختطفه تلك الكلاليب التي ذكر أنها مثل شوك السعدان إلا أنه لا يعلم قدرها إلا الله تعالى.

فإذ نجوا من الصراط وسلكوه وكانوا قد وعدوا بأنهم يردون النار في قوله تعالى: ﴿ وإن **منكم إلا واردها** ﴾ [مريم: ٧١] قالوا: أين النار التي وعدنا الله بأنا سوف نردها؟ فيقال: إنكم مررتم عليها وهي خامدة.

يعني: عندما مروا على الصراط وكان منصوبا على متن جهنم، وذلك لأنه إذا مر المؤمن لم يحس بلهبها، بل تقول: جز يا مؤمن، فقد أطفأ نورك لهبي.

عند ذلك يوقفون على قنطرة بين الجنة والنار، ويقتص من بعضهم لبعض مظالم كانت بينهم، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم بدخول الجنة، ولا يدخلونها أيضا إلا بعد أن يستأذن لهم أو يشفع لهم نبينا صلى الله عليه وسلم، وهذه من خصائصه ومن مميزاته.." (٢)

"تميز المؤمنين عن المنافقين عند المرور على الصراط

---

(١) شرح العقيدة الواسطية - ابن إبراهيم، ص/١٥١

(٢) شرح العقيدة الطحاوية - ابن جبرين، ٦/٢٤

قد أخبر الله تعالى أنه يتميز المؤمنون من المنافقين في قول الله تعالى: ﴿ نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم * يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم ﴾ [الحديد:١٢-١٣]، إذا أعطوا نورا وفرقت عليهم الأنوار انطفأ نور المنافقين، وسار المؤمنون بنورهم، فإذا ساروا تأخر المنافقون في تلك الظلمة، وعند ذلك يمنعون ويحجزون، ويقولون: ﴿ انظرونا نقتبس ﴾ يعني: نأخذ قبسا نستضيء به من نوركم، فيقال: ﴿ ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا ﴾ [الحديد:١٣]، ارجعوا إلى المكان الذي قسمت فيه الأنوار فيرجعون، فإذا رجعوا ضرب بينهم بسور: حاجز منيع له باب لا يدخل إلا من ذلك الباب ﴿ باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴾ [الحديد:١٣]، فهذا الوقت الذي يتميز فيه المنافقون من المؤمنين.

وقد ورد أيضا: (يقال: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ومن كان يعبد القمر القمر، ومن كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتمثل لكل فئة طاغوتها الذي كانت تعبده، فيمثل للنصارى تمثال على هيئة ما يعبدونه، ويقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله، يقال: كذبتم ما اتخذ الله من ولد ولا صاحبة، ما تريدون؟ فيقولون: عطشنا يا رب! فيقال: ألا تردون؟ فيساقون إلى جهنم فيتساقطون فيها، وكذلك يقال لليهود، فيتساقطون فيها، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فإذا بقيت هذه الأمة أتاهم ربهم، فيقول: ماذا تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا، فيقول: أنا ربكم، فإذا تجلى لهم سجدوا، فإذا سجدوا تمكن المؤمنون من السجود، ولم يتمكن المنافقون، كلما أراد المنافق أن يسجد خر لقفاه، وذلك قوله تعالى: ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون * خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون ﴾ [القلم:٤٢-٤٣]) أي: قد كانوا يدعون في الدنيا إلى الصلاة وهم سالمون فلا يسجدون، فكذلك إذا دعوا إلى السجود يوم القيامة وأرادوا أن يسجدوا لم يحصل لهم ولم يستطيعوا السجود، وهنالك تقسم عليهم الأنوار ويتميز المؤمنون عن المنافقين، وينادون المؤمنين: ألم نكن معكم؟ فيقولون: ﴿ بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم ﴾ [الحديد:١٤]، وهذا واضح في كلام الله.

وفي الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الجسر الذي ينصب يوم القيامة على متن جهنم ويعبرونه، يقول العلماء: إن هذا هو المرور أو الورود، فالله تعالى أخبر أن كلا يرد على النار فقال تعالى: ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ [مريم:٧١-٧٢]، فمرورهم على هذا الصراط هو ورودهم المذكور: ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ ، فأما المؤمنون المتقون فإن الله تعالى ينجيهم، ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ﴾ [مريم:٧٢]، ولا تضرهم، بل كلما مروا على لهب منها طفئ اللهب، ويروى: (أن النار تقول: جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي ، فإذا عبروا يتساءلون: ألم يعدنا ربنا أننا نرد النار؟ فيقال: إنكم قد وردتموها وهي هامدة خامد)، هذا هو مرورهم على هذا الصراط.." (١)

"اختلاف العلماء في معنى قوله تعالى: (وإن منكم إلا واردها)

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - ابن جبرين، ١٢/٦٤

قال المؤلف رحمنا الله تعالى وإياه: [واختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى: ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ [مريم:٧١]، ما هو؟ والأظهر والأقوى: أنه المرور على الصراط، قال تعالى: ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ [مريم:٧٢]، وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال: (والذي نفسي بيده! لا يلج أحد بايع تحت الشجرة، قالت حفصة فقلت: يا رسول الله! أليس الله يقول: ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ [مريم:٧١]، فقال: ألم تسمعيه قال: ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ [مريم:٧٢])، أشار صلى الله عليه وسلم إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا يستلزم حصوله، بل يستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه أعداؤه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه؛ يقال: نجاه الله منهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ ولما جاء أمرنا نجينا هودا ﴾ [هود:٥٨]، وقال تعالى: ﴿ فلما جاء أمرنا نجينا صالحا ﴾ [هود:٦٦]، وقال تعالى: ﴿ ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا ﴾ [هود:٩٤]، ولم يكن العذاب أصابهم، ولكن أصاب غيرهم، ولولا ما خصهم الله به من أسباب النجاة لأصابهم ما أصاب أولئك، وكذلك حال الواردين النار يمرون فوقها على الصراط، ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ [مريم:٧٢]، فقد بين صلى الله عليه وسلم في حديث جابر المذكور: (أن الورود هو المرور على الصراط)، وروى الحافظ أبو نصر الوائلي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (علم الناس سنتي وإن كرهوا ذلك، وإن أحببت ألا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة فلا تحدثن في دين الله حدثا برأيك)، أورده القرطبي ، وروى أبو بكر أحمد بن سليمان النجاد عن يعلى بن منية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جز يا مؤمن! فقد أطفأ نورك لهبي)].

قول الله تعالى -لما ذكر النار في سورة مريم-: ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ﴾ [مريم:٧١]، ظاهره أن كل الناس واردو النار، كلهم لابد أن يردوا النار، ما هذا الورود؟ ورد في بعض الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم: (من فعل كذا لم يدخل النار إلا تحلة القسم)، والمراد: الورود المذكور في هذه الآية، وقوله: (تحلة القسم) كأن الله أقسم بأنكم لابد أن تردوها، لابد من الورود لها، والأصل أن الورود: هو الإتيان إلى الشيء، ومنه تسمية الإبل التي تأتي إلى الماء ورودا، يقال: وردت الإبل المياه.

يعني: جاءت إليها، وأخبر الله تعالى عن آل فرعون أنهم يردوها في قوله تعالى: ﴿ فأوردهم النار وبئس الورد المورود ﴾ [هود:٩٨]، فظاهر هذا أنه أدخلهم فيها، فهم وردوا إليها وسقطوا فيها، وفي بعض الأحاديث أنه (في يوم القيامة يقال لليهود: ما تعبدون؟ فيقولون: نعبد عزير ابن الله، فيقال: كذبتم لم يتخذ الله من صاحبة ولا ولد، ماذا تريدون؟ فيقولون: يا رب! عطشنا، فيقال: ألا تردون؟ فيساقون إلى النار فيتساقطون فيها، وكذلك يقال للنصارى: ألا تردون؟ فيساقون إلى النار ويتساقطون فيها)، فالورود في هذه الآيات وفي هذه الأحاديث لا شك أنه الوصول إليها.

إذا: كيف يكون ورود الأتقياء وورود الأنبياء وورود الصالحين وورود الصحابة الذين لابد أن يردوها: ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ [مريم:٧١]؟ الله يخاطب الصحابة ويخاطب المؤمنين كلهم بأنه لابد أن كلا منكم واردها، ﴿ كان على ربك حتما ﴾ [مريم:٧١]، حتما: يعني: أمرا محتوما لابد منه، مقضيا، ثم قال تعالى: ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها

جثيا ﴾ [مريم:٧٢]، فأخبر أنه ينجي أهل التقوى، ويبقى أهلها الظالمون جاثين فيها، والأشهر أن هذا الورود هو المرور على الصراط.

وقد تقدم أن الصراط: جسر مزلة، منصوب على متن جهنم، أحد من السيف، وأدق من الشعرة، يمر الناس عليه بأعمالهم، يمرون على هذا الجسر الذي هو أحد من السيف، وأدق من الشعرة، وكيف يمرون عليه؟ يمرون عليه بأعمالهم، هو منصوب على متن جهنم، فإذا مر المؤمن فإنه بنوره وبإيمانه لا يحس بحرارة ولا يحس بلهب، ولذلك تقول له النار: (جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي)، والنار أخبر الله تعالى بأن لها لهبا، ﴿ سيصلى نارا ذات لهب ﴾ [المسد:٣]، فلهيبها ينطفئ من نور المؤمن، إذا مر المؤمن انطفأ، ولا يحس بأن تحته نارا، ثم يمر على هذا الصراط كالبرق، تشاهدون البرق عندما يخطف في السماء من هنا ومن هنا أسرع من طرفة العين، ويمر بعضهم كالريح، الريح المسرعة التي تسوق السحاب، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل، الجواد من الخيل: هو السابق، ومنهم من يمر كأجايود الركاب، ومنهم من يعدو عدوا، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يزحف زحفا؛ فسيرهم على قدر أعمالهم.

فإذا: قوله: ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ [مريم:٧١] المراد: أنكم لابد أن تمروا عليها مرورا على الصراط وإن لم يحس بها المؤمنون، وفي بعض الآثار: (أنهم يقولون بعدما يدخلون الجنة: أليس قد أخبر الله أنا نرد النار، أين النار ما شعرنا بها؟ فيقال لهم: مررتم عليها وهي خامدة)، يعني: بمرور المؤمنين تخمد فلا يحسون بلهب، ولا يحسون بحرارة أبدا.

وأما المنافقون والعصاة وأهل الكبائر فإنهم يخطفون وهم على الصراط، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث: (إن على جنبتي الصراط كلالي)، والكلاليب هي جمع الكلوب، وهو الحديدة المحنية الرأس المحددة، هذه الكلاليب مثل شوك السعدان، يعني: كلاليبها كثيرة، إلا أنه لا يقدر قدرها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، تخطف من أمرت بخطفه، فتخطف الرجل، وتخطف اليد، وتخطف بعد نصف الطريق، وتخطف بعد ثلثه، وتخطف عند آخره، فمن نجا منها نجا، ولو أصابه خدش، ولو أصابه خطف، ولو أصابه حرارة ؛إذا نجا منها وجاز الصراط -ولو بعد مائة سنة أو نحوها- (التفت إلى النار وقال: الحمد لله الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله ما لم يعط أحدا من خلقه)؛ وذلك لأنه نجا من عذاب النار التي عذابها شديد ومستمر، فرأى أن ذلك سعادة وأي سعادة! ولو أن غيره قد ظفر بالنجاة قبله! في حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن المؤمنين يدخلون الجنة ولا تمسهم النار)، فاستشكلت عائشة الآية: ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ [مريم:٧١]، وقالت: كيف وقد قال الله: ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ ؟ فظاهرها أن الجميع يريدونها ويدخلونها؟ لكن النبي صلى الله عليه وسلم بين لها أن الورود يكون للجميع، ولكن ينجي الله تعالى المؤمنين المتقين، يقول تعالى: ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ﴾ [مريم:٧٢]، كيف ينجيهم؟ هل يدخلونها ثم يرجعون منها؟ لا يلزم أنهم دخلوها، بل كل من تجاوزها يقال: نجا من النار، كل من مر على الصراط حتى انتهى يقال له: لقد أنجاك الله من النار، يعني: سلمك منها، أنقذك من دخولها، فكل من سلم من شر يقال: هذا قد نجا، ولا يلزم أنه قد دخل فيه ثم أخرج، فإن النجاة تستعمل فيمن سلم من العذاب الذي عذب به غيره، ولا يلزم أن يكون العذاب قد أصابه، فقول الله تعالى عن لوط وأهل بيته: ﴿ نحن أعلم بمن

فيها لننجينه وأهله إلا امرأته ﴾ [العنكبوت:٣٢] معناه: أنا نخرجه حتى يسلم من العذاب، فلا يدخل العذاب ولا يحس به، وهكذا النجاة من النار.

وأنت دائما تدعو فتقول: اللهم نجنا من النار! رب نجني من عذاب النار! وكذلك حكى الله عن الذين آمنوا بموسى، قولهم: ﴿ ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين * ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ﴾ [يونس:٨٥-٨٦]، يعني: سلمنا وأنقذنا، فكل من سلم من العذاب فإنه ناج، فهكذا قوله: ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ﴾ [مريم:٧٢] يعني: أنهم يسلمون من العذاب، ويمرون عليها وقد انطفأ لهبها، فلا يحسون بشيء من لهبها.." (١)

"اختلاف العلماء في معنى قوله تعالى: (وإن منكم إلا واردها)

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [واختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى: ﴿ وإن **منكم إلا واردها** ﴾ [مريم:٧١]، ما هو؟ والأظهر والأقوى: أنه المرور على الصراط، قال تعالى: ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ [مريم:٧٢].

وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال: (والذي نفسي بيده! لا يلج أحد بايع تحت الشجرة، قالت حفصة فقلت: يا رسول الله! أليس الله يقول: ﴿ وإن **منكم إلا واردها** ﴾ [مريم:٧١]، فقال: ألم تسمعيه قال: ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ [مريم:٧٢]).

أشار صلى الله عليه وسلم إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا تستلزم حصوله، بل تستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه أعداؤه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه؛ يقال: نجاه الله منهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ ولما جاء أمرنا نجينا هودا ﴾ [هود:٥٨]، وقال تعالى: ﴿ فلما جاء أمرنا نجينا صالحا ﴾ [هود:٦٦]، وقال تعالى: ﴿ ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا ﴾ [هود:٩٤]، ولم يكن العذاب أصابهم، ولكن أصاب غيرهم، ولولا ما خصهم الله به من أسباب النجاة لأصابهم ما أصاب أولئك.

وكذلك حال الواردين النار يمرون فوقها على الصراط، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا، فقد بين صلى الله عليه وسلم في حديث جابر المذكور: (أن الورود هو المرور على الصراط.

وروى الحافظ أبو نصر الوائلي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (علم الناس سنتي وإن كرهوا ذلك، وإن أحببت ألا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة فلا تحدثن في دين الله حدثا برأيك)، أورده القرطبي ، وروى أبو بكر أحمد بن سلمان النجاد عن يعلى بن منية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جز يا مؤمن! فقد أطفأ نورك لهبي)].

قول الله تعالى -لما ذكر النار في سورة مريم-: ﴿ وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا ﴾ [مريم:٧١]، ظاهره أن كل الناس واردو النار، فما هذا الورود؟ ورد في بعض الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم: (من فعل كذا لم

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - ابن جبرين، ٣/٦٥

يدخل النار إلا تحلة القسم)، والمراد الورود المذكور في هذه الآية، وقوله: (تحلة القسم) كأن الله أقسم بأنكم لابد أن تردوها، لابد من الورود لها.

والأصل أن الورود هو الإتيان إلى الشيء، ومنه تسمية إتيان الإبل إلى الماء ورودا، يقال: وردت الإبل المياه.

يعني: جاءت إليها، وأخبر الله تعالى عن آل فرعون أنهم يردونها في قوله تعالى: ﴿ فأوردهم النار وبئس الورد المورود ﴾ [هود:٩٨]، فظاهر هذا أنه أدخلهم فيها، فهم وردوا إليها وسقطوا فيها، وفي بعض الأحاديث أنه (في يوم القيامة يقال لليهود: ما تعبدون؟ فيقولون: نعبد عزيرا ابن الله، فيقال: كذبتم لم يتخذ الله من صاحبة ولا ولد، ماذا تريدون؟ فيقولون: يا رب! عطشنا، فيقال: ألا تردون؟ فيساقون إلى النار فيتساقطون فيها، وكذلك يقال للنصارى: ألا تردون؟ فيساقون إلى النار ويتساقطون فيها)، فالورود في هذه الآيات وفي هذه الأحاديث لا شك أنه الوصول إليها.

إذا: كيف يكون ورود الأتقياء وورود الأنبياء وورود الصالحين وورود الصحابة الذين لابد أن يردوها: ﴿ وإن **منكم إلا واردها** ﴾ [مريم:٧١]؟ الله يخاطب الصحابة ويخاطب المؤمنين كلهم بأنه لابد أن كلا منكم واردها، ﴿كان على ربك حتما ﴾ [مريم:٧١]، يعني: أمرا محتوما لابد منه، ثم قال تعالى: ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ [مريم:٧٢]، فأخبر أنه ينجي أهل التقوى، ويبقى أهلها الظالمون جاثين فيها، والأشهر أن هذا الورود هو المرور على الصراط.

وقد تقدم أن الصراط: جسر منصوب على متن جهنم، أحد من السيف، وأدق من الشعرة، يمر الناس على هذا الجسر الذي هو أحد من السيف، وأدق من الشعرة، وكيف يمرون عليه؟ يمرون عليه بأعمالهم، فإذا مر المؤمن فإنه بنوره وبإيمانه لا يحس بحرارة ولا يحس بلهب، ولذلك تقول له النار: (جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي)، والنار أخبر الله تعالى بأن لها لهبا، ﴿ سيصلى نارا ذات لهب ﴾ [المسد:٣]، فلهيبها ينطفئ من نور المؤمن، ثم يمر على هذا الصراط كالبرق، أي: أسرع من طرفة العين، ويمر بعضهم كالريح المسرعة التي تسوق السحاب، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل، الجواد من الخيل: هو السابق، ومنهم من يعدو عدوا، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يزحف زحفا؛ فسيرهم على قدر أعمالهم.

فإذا: قوله: ﴿ وإن **منكم إلا واردها** ﴾ [مريم:٧١] المراد: أنكم لابد أن تمروا عليها مرورا على الصراط وإن لم يحس بها المؤمنون، وفي بعض الآثار: (أنهم يقولون بعدما يدخلون الجنة: أليس قد أخبر الله أنا نرد النار، أين النار؟ فيقال لهم: مررتم عليها وهي خامدة)، يعني: بمرور المؤمنين تخمد فلا يحسون بلهب، ولا يحسون بحرارة أبدا.

وأما المنافقون والعصاة وأهل الكبائر فإنهم يخطفون وهم على الصراط، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث: (إن على جنبتي الصراط كلاليب)، والكلاليب هي جمع كلوب، وهو الحديدة المحنية الرأس المحددة، هذه الكلاليب مثل شوك السعدان، يعني: كلاليبها كثيرة، إلا أنه لا يقدر قدرها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فتخطف الرجل، وتخطف اليد، وتخطف بعد نصف الطريق، وتخطف بعد ثلثه، وتخطف عند آخره، فمن نجا منها وجاز الصراط ولو بعد مائة سنة أو نحوها التفت إلى النار وقال: الحمد لله الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله ما لم يعط أحدا من خلقه؛ وذلك لأنه نجا من عذاب النار التي عذابها شديد ومستمر، فرأى أن ذلك سعادة وأي سعادة! ولو أن غيره قد ظفر بالنجاة قبله! في حديث

عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن المؤمنين يدخلون الجنة ولا تمسهم النار)، فاستشكلت عائشة الآية: ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ [مريم:٧١]، وقالت: كيف وقد قال الله: ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ ؟ فظاهرها أن الجميع يردونها ويدخلونها؟ لكن النبي صلى الله عليه وسلم بين لها أن الورود يكون للجميع، ولكن ينجي الله تعالى المؤمنين المتقين، يقول تعالى: ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ﴾ [مريم:٧٢]، كيف ينجيهم؟ هل يدخلونها ثم يرجعون منها؟ لا يلزم أنهم دخلوها، بل كل من تجاوزها يقال: نجا من النار، كل من مر على الصراط حتى انتهى يقال له: لقد أنجاك الله من النار، فكل من سلم من شر يقال: هذا قد نجا، ولا يلزم أنه قد دخل فيه ثم أخرج، فإن النجاة تستعمل فيمن سلم من العذاب الذي عذب به غيره، ولا يلزم أن يكون العذاب قد أصابه، فقول الله تعالى عن لوط وأهل بيته: ﴿ نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته ﴾ [العنكبوت:٣٢] معناه: أنا نخرجه حتى يسلم من العذاب، فلا يدخل العذاب ولا يحس به، وهكذا النجاة من النار.

وأنت دائما تدعو فتقول: اللهم نجنا من النار! رب نجني من عذاب النار! وكذلك حكى الله عن الذين آمنوا بموسى، قولهم: ﴿ ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين * ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ﴾ [يونس:٨٥-٨٦]، يعني: سلمنا وأنقذنا، فكل من سلم من العذاب فإنه ناج، فهكذا قوله: ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ﴾ [مريم:٧٢] يعني: أنهم يسلمون من العذاب، ويمرون عليها وقد انطفأ لهبها، فلا يحسون بشيء من لهبها.." (١)

"يقول المُصَنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: [ثُمَّ قد صار التأويل مستعملاً في غير معناه الأصلي، فالتأويل في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام] والمآل هو: والعاقبة والنهاية، أي: ينتهي إليها الكلام وتراد بالكلام [فتأويل المخبر به] مثلاً أخبرنا الله -عَزَّ وَجَلَّ- عن الجنة والنار، فَقَالَ في النار: وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا [مريم:٧١] فتأويل هذه الآية -على هذا المعنى- أن العالمين جميعاً يردون فوق جسر جهنم هذا تأويلها.

وتأويل دخول الجنة أن يدخل المؤمنون الجنة.

وتأويل دخول النَّار أن يدخل الكفار النار.

وتأويل أخبار الدجال أن يظهر الدجال وتظهر الآيات التي ذكرها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه.

وتأويل أخبار الدابة أن تظهر الدابة فإذا خرجت قلنا قد وقع تأويل ذلك، فكل ما كَانَ من الأخبار فتأويله هو وقوع نفس المخبر به.

وتأويل الأمر: نفس الفعل المأمور به.

فعندما يقول الله تعالى: وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ [البقرة:٤٣] فتأويلها أن تصلي، فإذا كنت تصلي فأنت تأول هذه الآية بمعنى تأتي

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - ابن جبرين، ٤/٦٥

بما أمرك الله به وعلى هذا الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عَائِشَةَ قالت كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في ركوعه (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن) أي: يتأول قوله تعالى: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً [النصر:١-٣] فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما تحقق له ذلك تأول القُرْآن أي: عَلَى لغتنا يطبق ذلك ويتمثله.." (١)

"الصراط :

وهو جسر على متن جهنم يمر عليه الأولون والآخرون فمن جازه سلم من النار ، ووقت المرور عليه بعد مفارقة الناس لموقف الحساب ، فإن الصراط ينجو عليه المؤمنون من النار إلى الجنة ، ويسقط منه أهل النار فيها ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ (مريم الآيتان : ٧١ - ٧٢) .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - « أن ناسا قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ وفيه قوله صلى الله عليه وسلم : " ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلِّم سلِّم ، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان " (١) .

هل رأيتم السعدان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : فإنها مثل شوك السعدان ، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله ، تخطف الناس بأعمالهم » .

---

(١) الكلاليب جمع كلوب وهي حديدة معطوفة الرأس ، والسعدان نبت له شوكة عظيمة مثل الحسك من كل الجوانب .." (٢)

"[المسألة السابعة]:

في قوله (الصِّرَاط) الصراط هو الطريق، والصراط طريق موضوع على ظهر جهنم؛ يعني فوقها -فوق جهنم-، وهو طريق يُوصِلُ من العَرَصَات من أرض المحشر إلى ساحات الجنة؛ يعني ما قبل دخول الجنة.

وهذا العبور على الصراط هو المذكور في قوله ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا(٧١)ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[مريم:٧١-٧٢].

والصراط جاءت صفته في السّنّة، وجاء ذِكْرُهُ مُجملاً في القرآن.

أما صفته في السنة فإنه: دقيق جداً وطويل، وأنَّ على جَنَبَاتِهِ كلاليب تخطَفُ من قضى الله - عز وجل - أن يكون من أهل النار، وأنَّ الناس في العبور عليه يخافون خوفاً شديداً، فالأنبياء يقولون قبل العبور اللهم سَلِّم سَلِّم.

ودون هذا الصراط ظُلْمَةٌ لا يَتَبَيَّنُ أحد ممن يريد أن يعبر طريق الصراط إلا المؤمنين بما فيهم العصاة.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية / الحوالي، ص/٩٠٦

(٢) رسالة في أسس العقيدة، ص/١١٠

وأما الكافرون والمنافقون فإنهم يجتمعون في الظلمة ويسيرون ويتهافتون في النار تهافت الجراد.

وغير ذلك مما جاء في وصفه وأنه أَدَقُّ من الشعرة وأحَدُّ من السيف، إلى آخره.

وهذه الصفات أنكرها المعتزلة وأنكرها العقلانيون والفلاسفة، وقالوا: هذه لا يُعْقَلْ أن يكون الطريق من صفته كذا وكذا.

وإذا كان هذا الأمر قد جاء عن المصطفى صلى الله عليه وسلم وثَبَتَتْ به السنة فالإيمان به واجب على نحو ما ورد على ما ذكرنا لكم من أنَّ عالم الغيب لا يقاس على عالم الشهادة.." (١)

"يوم القيامة كذبا، كما يحلفون للناس اليوم؛ لأنهم جعلوا الحلف جنة يجتنون به ويستترون به عما قد يعود عليهم باللوم أو بالضرر أو بالعقاب أو بغير ذلك، فليس الأمر على إطلاقه أن الآخرة ليست دار تكليف، نعم الجنة ليست دار تكليف، فإذا دخلوا في الجنة فليس فيها تكليف، وإنما يلهمون التسبيح والتهليل كما يلهمون النفس ثم إن الصراط المعنوي هذا الذي أمرنا بالتمسك به واتباعه، فإذا تمسكنا به ثبتت أقدامنا على الصراط الحسي الذي هو الطريق إلى الجنة، وهو جسر ينصب فوق جهنم لا يوجد أحد ينجو من النار إلا من فوقه، كما قال تعالى: وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا [مريم:٧١]، وقد جاء وصفه بأنه فوق متن النار، أحر من الجمر، وأحد من السيف وأروغ من الثعلب. إذا: السلوك يكون بالعمل، فمن الناس من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر مثل البرق إذا برق، ومنهم من يكون مثل الريح، ومنهم من يكون مثل جواد الخيل، ومنهم من يركض ركضا، ومنهم من يحبو، ومنهم من يقوم ويسقط، ومنهم من تخطفه الخطاطيف التي تكون عليه وتلقيه في النار. وأنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقي يخدمه منذ أن قدم المدينة إلى أن توفاه الله جل وعلا، فسأله الشفاعة، فقال: (أنا فاعل إن شاء الله، فقال: أين أجدك؟ قال: اطلبني في ثلاثة أماكن: عند الحوض، فإن لم تجدني فعند الميزان، فإن لم تجدني فعند الصراط) فعند الصراط لا يوجد أحد يتكلم إلا الرسل؛ لأن الرسل يقفون ينظرون مرور أممهم، وكلامهم: اللهم سلم سلم! أما الناس كلهم فهم سكوت، ولا يوجد أحد يتكلم لشدة الأمر وهوله، وتحتهم جنهم تتلظى، والسلوك على طريق وعر جدا، وعر لا يمكن يسلك إلا بالعمل، فمن ثبته الله وكان مستقيما على هذا الصراط الذي هو الإسلام نجا وإلا زلت به قدمه وهوى، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: (والصراط عليه كلاليب مثل شوك السعدان –ثم يقول." (٢)

"عنده مواقف حرجة جدا، حتى يرى أنه قد هلك، فإذا أوتي كتابه بيمينه بدأت السعادة تظهر عليه، أما التحية واللقاء فلا تكون إلا في الجنة. ولهذا لما قيل للإمام أحمد : متى يأمن المؤمن؟ قال: يأمن إذا وضع أول قدم له في الجنة. أما قبل هذا فلا يأمن؛ لأن النار أمامه، فالنار بين الناس الواقفين وبين الجنة، فلا يوجد عبور على الجنة، ولهذا يقول الله جل وعلا: وإن **منكم إلا واردها** [مريم:٧١]، قوله: (وإن) تفيد القسم وأن كل واحد سيرد. وورود الشيء لا يلزم منه الدخول،

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية – صالح آل الشيخ، ص/٥٤٠

(٢) شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للغنيمان، ١/١٢٥

فقد يرد عليه ولا يدخله وقد يدخله. فالسلام الذي يكون من رب العالمين لعباده يكون في الجنة. ......

معنى قوله: إن الله هو السلام وأقوال العلماء في ذلك." (١)

" قوله : (ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان)

ش : الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة السليمة فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز وأقام الدليل عليه ورد على منكريه في غالب سور القرآن وذلك : أن الأنبياء عليهم السلام كلهم متفقون على الإيمان بالله فإن الإقرار بالرب عام في بني آدم وهو فطري كلهم يقر بالرب إلا من عاند كفرعون بخلاف الإيمان باليوم الآخر فإن منكريه كثيرون ومحمد صلى الله عليه و سلم لما كان خاتم الأنبياء وكان قد بعث هو والساعة كهاتين وكان هو الحاشر المقفي – بين تفضيل الآخرة بيانا لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء ولهذا ظن طائفة من المتفلسفة ونحوهم أنه لم يفصح بمعاد الأبدان إلا محمد صلى الله عليه و سلم وجعلوا هذه حجة لهم في أنه من باب التخييل والخطاب الجمهوري

والقرآن بين معاد النفس عند الموت ومعاد البدن عند القيامة الكبرى في غير موضع وهؤلاء ينكرون القيامة الكبرى وينكرون معاد الأبدان ويقول من يقول منهم : إنه لم يخبر به إلا محمد صلى الله عليه و سلم على طريق التخييل ! وهذا كذب فإن القيامة الكبرى هي معروفة عند الأنبياء من آدم إلى نوح إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام وقد أخبر الله بها من حين أهبط آدم فقال تعالى : ﴿ قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ ﴿ قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ﴾ ولما قال إبليس اللعين : ﴿ رب فأنظرني إلى يوم يبعثون * قال فإنك من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم ﴾ وأما نوح عليه السلام فقال : ﴿ والله أنبتكم من الأرض نباتا * ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا ﴾ وقال إبراهيم عليه السلام : ﴿ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾ إلى آخر القصة وقال : ﴿ ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ﴾ وقال : ﴿ رب أرني كيف تحيي الموتى ﴾ الآية وأما موسى عليه السلام فقال الله تعالى لما ناجاه : ﴿ إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى * فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ﴾ بل مؤمن آل فرعون كان يعلم المعاد وإنما آمن بموسى قال تعالى حكاية عنه : ﴿ ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد * يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار ﴾ إلى قوله : ﴿ أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ وقال موسى : ﴿ واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك ﴾ وقد أخبر الله في قصة البقرة : ﴿ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ وقد أخبر الله أنه أرسل الرسل مبشرين ومنذرين في آيات [من] القرآن وأخبر عن أهل النار أنهم إذا قال لهم خزنتها : ﴿ ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا : بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ﴾ وهذا اعتراف من أصناف الكفار الداخلين جهنم أن الرسل أنذرتهم لقاء يومهم هذا فجميع الرسل أنذروا بما أنذر به خاتمهم من عقوبات المذنبين في الدنيا والآخرة

(١) شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للغنيمان، ٥/٣٤٣

فعامة سور القرآن التي فيها ذكر الوعد والوعيد يذكر ذلك فيها : في الدنيا والآخرة وأمر نبيه أن يقسم به على المعاد فقال : ﴿ وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب ﴾ الآيات وقال تعالى : ﴿ ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين ﴾ وقال تعالى : ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير ﴾ وأخبر عن اقترابها فقال : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ ﴿ اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ﴾ ﴿ سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ﴾ إلى أن قال : ﴿ إنهم يرونه بعيدا * ونراه قريبا ﴾ وذم المكذبين بالمعاد فقال : ﴿ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين ﴾ [﴿ حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها ﴾ ﴿ ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد ﴾ ﴿ بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون ﴾ ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ﴾ إلى أن قال : ﴿ وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ﴾ ﴿ إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ﴾ ﴿ ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا ﴾ ﴿ أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفورا ﴾ ﴿ قالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا * قل كونوا حجارة أو حديدا * أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا * يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا ﴾

فتأمل ما أجيبوا به عن كل سؤال على التفصيل : فإنهم قالوا أولا : ﴿ أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا ﴾ فقيل لهم في جواب هذا السؤال : إن كنتم تزعمون أنه لا خالق لكم ولا رب لكم فهلا كنتم خلقا لا يفنيه الموت كالحجارة والحديد وما هو أكبر في صدوركم من ذلك ؟ ! فإن قلتم : كنا خلقا على هذه الصفة التي لا تقبل البقاء – فما الذي يحول بين خالقكم ومنشئكم وبين إعادتكم خلقا جديدا ؟ ! وللحجة تقدير آخر وهو : لو كنتم من حجارة أو حديد أو خلق أكبر منهما [فإنه] قادر على أن يفنيكم ويحيل ذواتكم وينقلها من حال الى حال ومن يقدر على التصرف في هذه الأجسام مع شدتها وصلابتها بالإفناء والإحالة – فما الذي يعجزه فيما دونها ؟ ثم أخبر أنهم يسألون آخرا بقولهم : من يعيدنا اذا استحالت جسومنا وفنيت ؟ فأجابهم بقوله : ﴿ قل الذي فطركم أول مرة ﴾ فلما أخذتهم الحجة ولزمهم حكمها انتقلوا إلى سؤال اخر يتعللون به بعلل المنقطع وهو قولهم : متى هو ؟ فأجيبوا بقوله : ﴿ عسى أن يكون قريبا ﴾

ومن هذا قوله : ﴿ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال : من يحيي العظام وهي رميم ﴾ ؟ إلى آخر السورة فلو رام أعلم البشر وأفصحهم وأقدرهم على البيان أن يأتي بأحسن من هذه الحجة أو بمثلها بألفاظ تشابه هذه الألفاظ في الإيجاز ووضح الأدلة وصحة البرهان لما قدر فإنه سبحانه افتتح هذه الحجة بسؤال أورده ملحد اقتضى جوابا فكان في قوله : ﴿ ونسي خلقه ﴾ ما وفى بالجواب وأقام الحجة وأزال الشبهة لما أراد سبحانه من تأكيد الحجة وزيادة تقريرها فقال : ﴿ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ﴾ فاحتج بالإبداء على الإعادة وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى إذ كل عاقل يعلم ضروريا أن من قدر على هذه قدر على هذه وأنه لو كان عاجزا عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز ولما كان الخلق يستلزم

قدرة الخالق على المخلوق وعلمه بتفاصيل خلقه أتبع ذلك بقوله : ﴿ وهو بكل خلق عليم ﴾ فهو عليم بتفاصيل الخلق الأول وجزئياته ومواده وصورته فكذلك الثاني فإذا كان تام العلم كامل القدرة كيف يتعذر عليه أن يحيي العظام وهي رميم ؟ ثم أكد الأمر بحجة قاهرة وبرهان ظاهر يتضمن جوابا عن سؤال ملحد آخر يقول : العظام اذا صارت رميما عادت طبيعتها باردة يابسة والحياة لا بد أن تكون مادتها وحاملها طبيعة حارة رطبة بما يدل على أمر البعث ففيه الدليل والجواب معا فقال : ﴿ الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون ﴾ فأخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر الذي هو في غاية الحرارة واليبوسة من الشجر الأخضر المتلىء بالرطوبة والبرودة فالذي يخرج الشيء من ضده وتنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها [و] لا تستعصي عليه هو الذي يفعل ما أنكره الملحد ودفعه من إحياء العظام وهي رميم ثم أكد هذا بأخذ الدلالة من الشيء الأجل الأعظم [على] الأيسر الأصغر فإن كل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر فمن قدر على حمل قنطار فهو على حمل أوقية أشد أقتدارا فقال : ﴿ أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ﴾ ؟ فأخبر أن الذي أبدع السماوات والأرض على جلالتهما وعظم شأنهما وكبر أجسامها وسعتهما وعجيب خلقهما أقدر على أن يحيي عظاما قد صارت رميما فيردها إلى حالتها الأولى كما قال في موضع آخر : ﴿ لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ وقال : ﴿ أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ﴾ ثم أكد سبحانه ذلك وبينه ببيان آخر وهو أنه ليس فعله بمنزلة غيره الذي يفعل بالآلات والكلفة والنصب والمشقة ولا يمكنه الاستقلال بالفعل بل لا بد معه من آلة ومعين بل يكفي في خلقه لما يريد أن يخلقه ويكونه نفس إرادته وقوله للمكون : كن فإذا هو كائن كما شاءه وأراده ثم ختم هذه الحجة بإخباره أن ملكوت كل شيء بيده فيتصرف فيه بفعله وقوله : ﴿ وإليه ترجعون ﴾ ومن هذا قوله سبحانه : ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يك نطفة من مني يمنى * ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى * أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ﴾ فاحتج سبحانه على أنه لا يتركه مهملا عن الأمر والنهي والثواب والعقاب وأن حكمته وقدرته تأبى ذلك أشد الإباء كما قال تعالى : ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ إلى آخر السورة فإن من نقله من النطفة إلى العلقة ثم إلى المضغة ثم شق سمعه وبصره وركب فيه الحواس والقوى والعظام والمنافع والأعصاب والرباطات التي هي أشده وأحكم خلقه غاية الإحكام وأخرجه على هذا الشكل والصورة التي هي أتم الصور وأحسن الأشكال كيف يعجز عن إعادته وإنشائه مرة ثانية ؟ أم كيف تقتضي حكمته وعنايته أن يتركه سدى ؟ فلا يليق ذلك بحكمته ولا تعجز عنه قدرته فانظر إلى هذا الاحتجاج العجيب بالقول الوجيز الذي لا يكون أوجز منه والبيان الجليل الذي لا يتوهم أوضح منه ومأخذه لقريب الذي لا تقع الظنون على أقرب منه

وكم في القرآن [من] مثل هذا الاحتجاج كما في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ﴾ إلى أن قال : ﴿ وأن الله يبعث من في القبور ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ إلى أن قال : ﴿ ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾ وذكر قصة أصحاب الكهف وكيف أبقاهم موتى ثلاثمائة سنة شمسية وهي ثلاثمائة وتسع سنين قمرية وقال فيها : ﴿ وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها ﴾

والقائلون بأن الأجسام مركبة من الجواهر المفردة لهم في المعاد خبط واضطراب وهم فيه على قولين : منهم من يقول : تعدم الجواهر ثم تعاد ومنهم من يقول : تفرق الأجزاء ثم تجمع فأورد عليهم : الإنسان الذي يأكله حيوان وذلك الحيوان أكله إنسان فإن أعيدت تلك الأجزاء من هذا لم تعد من هذا ؟ وأورد عليهم : أن الإنسان يتحلل دائما فماذا الذي يعاد ؟ أهو الذي كان وقت الموت ؟ فإن قيل بذلك لزم أن يعاد على صورة ضعيفة وهو خلاف ما جاءت به النصوص وإن كان غير ذلك فليس بعض الأبدان بأولى من بعض ! فادعى بعضهم أن في الإنسان أجزاء أصلية لا تتحلل ولا يكون فيها شيء من ذلك الحيوان الذي أكله الثاني ! والعقلاء يعلمون أن بدن الإنسان نفسه كله يتحلل ليس فيه شيء باق فصار ما ذكروه في المعاد مما قوى شبهة المتفلسفة في إنكار معاد الأبدان

والقول الذي عليه السلف وجمهور العقلاء : أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال فتستحيل ترابا ثم ينشئها الله نشأة أخرى كما استحال في النشأة الأولى : فإنه كان نطفة ثم صار علقة ثم صار مضغة ثم صار عظاما ولحما ثم أنشأه خلقا سويا كذلك الإعادة : يعيده الله بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب كما ثبت في الصحيح [عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق ابن آدم ومنه يركب] [وفي حديث آخر : إن السماء تمطر مطرا كمني الرجال ينبتون في القبور كما ينبت النبات]

فالنشأتان نوعان تحت جنس يتفقان ويتماثلان من وجه ويفترقان ويتنوعان من وجه والمعاد هو الأول بعينه وإن كان بين لوازم الإعادة ولوازم البداءة فرق فعجب الذنب هو الذي يبقى وأما سائره فيستحيل فيعاد من المادة التي استحال إليها ومعلوم أن من رأى شخصا وهو صغير ثم رآه وقد صار شيخا علم أن هذا هو ذاك مع أنه دائما في تحلل واستحالة وكذلك سائر الحيوان والنبات فمن رآى شجرة وهي صغيرة ثم رآها كبيرة قال : هذه تلك وليست [صفة] تلك النشأة الثانية مماثلة لصفة هذه النشأة حتى يقال إن الصفات هي المغيرة لا سيما أهل الجنة إذا دخلوها فإنهم يدخلونها على صورة آدم طوله ستون ذراعا كما ثبت في الصحيحين وغيرهما وروي : أن عرضه سبعة أذرع وتلك نشأة باقية غير معرضة للآفات وهذه النشأة فانية معرضة للآفات

وقوله : وجزاء الأعمال - قال تعالى : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ ﴿ يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين ﴾ [والدين : الجزاء يقال : كما تدين تدان أي كما تجازي تجازى] وقال تعالى : ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ ﴿ جزاء وفاقا ﴾ ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون ﴾ ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون * ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون ﴾ ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون ﴾ وأمثال ذلك [وقال صلى الله عليه و سلم فيما يروي عن ربه عز و جل من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه : يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه] وسيأتي لذلك زيادة بيان عن قريب إن شاء الله تعالى

وقوله : والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب قال تعالى : ﴿ فيومئذ وقعت الواقعة * وانشقت السماء فهي يومئذ واهية * والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية * يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾

إلى آخر السورة ﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه * فأما من أوتي كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حسابا يسيرا * وينقلب إلى أهله مسرورا * وأما من أوتي كتابه وراء ظهره * فسوف يدعو ثبورا * ويصلى سعيرا * إنه كان في أهله مسرورا * إنه ظن أن لن يحور * بلى إن ربه كان به بصيرا ﴾ ﴿ وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ﴾ ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ﴾ ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار ﴾ إلى آخر السورة ﴿ رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾ إلى قوله : ﴿ إن الله سريع الحساب ﴾ ﴿ واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ [وروى البخاري رحمه الله في صحيحه عن عائشة أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك فقلت : يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى : ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حسابا يسيرا ﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إنما ذلك العرض وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب] يعني أنه لو ناقش في حسابه لعبيده لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولكنه تعالى يعفو ويصفح وسيأتي لذلك زيادة [بيان] إن شاء الله تعالى [وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا موسى آخذ بقائمة العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة يوم الطور ؟] وهذا صعق في موقف القيامة إذا جاء الله لفصل القضاء وأشرقت الأرض بنوره فحينئذ يصعق الخلائق كلهم فإن قيل : كيف تصنعون بقوله في الحديث : [إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الارض فأجد موسى باطشا بقائمة العرش ؟] قيل : لا ريب أن هذا اللفظ قد ورد هكذا ومنه نشأ الإشكال ولكنه دخل فيه على الراوي حديثا في حديث فركب بين اللفظين فجاء هذان الحديثان هكذا : أحدهما : [أن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق] كما تقدم والثاني : [أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة] فدخل على الراوي هذا الحديث في الآخر وممن نبه على هذا أبو الحجاج المزي وبعده الشيخ شمس الدين بن القيم وشيخنا الشيخ عماد بن كثير رحمهم الله وكذلك اشتبه على بعض الرواة فقال : [فلا أدري أفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله عز و جل] ؟ والمحفوظ الذي تواطأت عليه الروايات الصحيحة هو الأول وعليه المعنى الصحيح فإن الصعق يوم القيامة لتجلي الله لعباده إذا لفصل القضاء فموسى عليه السلام إن كان لم يصعق معهم فيكون قد جوزي بصعقة يوم تجلى ربه للجبل فجعله دكا فجعلت صعقة هذا التجلي عوضا عن صعقة الخلائق لتجلي ربه يوم القيامة فتأمل هذا المعنى العظيم ولا تهمله وروى الإمام أحمد و الترمذي و أبو بكر بن أبي الدنيا عن الحسن قال : سمعت أبا موسى الأشعري يقول : [قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فعرضتان جدال ومعاذير وعرضة تطاير الصحف فمن أوتي كتابه بيمينه وحوسب حسابا يسيرا دخل الجنة ومن أوتي كتابه بشماله دخل النار] وقد روى ابن أبي الدنيا [عن ابن المبارك] : أنه أنشد في ذلك شعرا :

(وطارت الصحف في الأيدي منشرة ... فيها السرائر والأخبار تطلع)

(فكيف سهوك والأنباء واقعة ... عما قليل ولا تدري بما تقع)

(أفي الجنان وفوز لا انقطاع له ... أم الجحيم فلا تبقي ولا تدع)

(تهوي بساكنها طورا وترفعهم ... إذا رجوا مخرجا من غمها قمعوا)

(طال البكاء فلم يرحم تضرعهم ... فيها ولا رقية تغني ولا جزع)

(لينفع العلم قبل الموت عالمه ... قد سال قوم بها الرجعى فما رجعوا)

قوله : والصراط أي : وتؤمن بالصراط وهو جسر على جهنم إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط [كما قالت عائشة رضي الله عنها : إن رسول الله صلى الله عليه و سلم سئل : أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ؟ فقال : هم في الظلمة دون الجسر] وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين ويتخلفون عنهم ويسبقهم المؤمنون ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم [وروى البيهقي بسنده عن مسروق عن عبد الله قال : يجمع الله الناس يوم القيامة] إلى أن [قال] : [فيعطون نورهم على قدر أعمالهم وقال : فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه ومنهم من يعطى دون ذلك بيمينه حتى يكون آخر من يعطى نوره على إبهام قدمه يضيء مرة ويطفأ مرة إذا أضاء قدم قدمه وإذا طفيء قام قال : فيمر ويمرون على الصراط والصراط كحد السيف دحض مزلة فيقال لهم : امضوا على قدر نوركم فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالطرف ومنهم من يمر كشد الرجل يرمل رملا فيمرون على قدر أعمالهم حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه تخر يد وتعلق يد وتخر رجل وتعلق رجل وتصيب جوانبه النار فيخلصون فإذا خلصوا قالوا : الحمد لله الذي نجانا منك بعد أن أراناك لقد أعطانا الله ما لم يعط أحد] الحديث

واختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ ما هو ؟ والأظهر والأقوى أنه المرور الصراط قال تعالى : ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ [وفي الصحيح أنه صلى الله عليه و سلم قال : والذي نفسي بيده لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة] قالت حفصة : فقلت : يا رسول الله أليس الله يقول : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ فقال : [ألم تسمعيه قال : ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾] أشار صلى الله عليه و سلم إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها وأن النجاة من الشر لا تستلزم حصوله بل تستلزم انعقاد سببه فمن طلبه عدوه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه يقال : نجاه الله منهم ولهذا قال تعالى : ﴿ ولما جاء أمرنا نجينا هودا ﴾ ؟ ﴿ فلما جاء أمرنا نجينا صالحا ﴾ ﴿ ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا ﴾ ولم يكن العذاب أصابهم ولكن أصاب غيرهم ولولا ما خصهم الله به من أسباب النجاة لأصابهم ما أصاب أولئك وكذلك حال الوارد في النار يمرون فوقها على الصراط ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا فقد بين صلى الله عليه و سلم في حديث جابر المذكور : أن الورود هو الورود على الصراط [وروى الحافظ أبو نصر الوائلي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه و سلم : علم الناس سنتي وإن كرهوا ذلك وإن أحببت أن لا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة فلا تحدثن في دين الله حدثا برأيك] [أورد القرطبي وروى أبو بكر بن أحمد بن سليمان النجار عن يعلى بن منية عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : تقول النار للمؤمن يوم القيامة : جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي]

وقوله : والميزان أي : ونؤمن بالميزان قال تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ وقال تعالى : ﴿ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون ﴾ قال القرطبي : قال العلماء : إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة فإن المحاسبة لتقرير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها قال : وقوله تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾ يحتمل أن يكون ثم موازين متعددة توزن فيها الأعمال ويحتمل أن يكون المراد الموزونات فجمع باعتبار تنوع الأعمال الموزونة والله أعلم

والذي دلت عليه السنة : أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان [روى الإمام أحمد من حديث أبي عبد الرحمن الحبلي قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن الله سيختص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول له : أتنكر من هذا شيئا أظلمتك كتبتي الحافظون ؟ قال : لا يا رب فيقول : ألك عذر أوحسنة ؟ فيبهت الرجل فيقول : لا يا رب فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم اليوم عليك فتخرج له بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقول أحضروه فيقول : يا رب وما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقال : إنك لا تظلم قال : فتوضع السجلات في كفة [والبطاقة في كفة] قال : فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم] وهكذا روى الترمذي و ابن ماجه و ابن أبي الدنيا من حديث الليث زاد الترمذي : [ولا يثقل مع اسم الله شيء] وفي سياق آخر : [توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة] وفي هذا السياق فائدة جليلة وهي أن العامل يوزن مع عمله ويشهد له [ما روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : أنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال : اقرؤوا إن شئتم : ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ﴾] وروى الإمام أحمد [عن ابن مسعود : أنه كان يجني سواكا من الأراك وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : مم تضحكون ؟ قالوا : يا نبي الله من دقة ساقية فقال : والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد] وقد وردت الأحاديث أيضا بوزن الأعمال أنفسها كما في صحيح مسلم [عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان] [وفي الصحيح وهو خاتمة كتاب البخاري قوله صلى الله عليه و سلم : كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمن ثقيلتان في الميزان : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم] وروى الحافظ أبو بكر البيهقي [عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : يؤتى بابن آدم يوم القيامة فيوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق : سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وإن خف ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق : شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا] فلا يلتفت إلى ملحد معاند يقول : الأعمال أعراض لا تقبل الوزن وإنما يقبل الوزن الأجسام ! ! فإن الله يقلب الأعراض أجساما كما تقدم وكما [روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : يؤتى بالموت كبشا أغر فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون ويقال : يا أهل النار فيشرئبون وينظرون

ويرون أن قد جاء الفرج فيذبح ويقال : خلود لا موت] ورواه البخاري بمعناه فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال وثبت أن الميزان له كفتان والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات

فعلينا الإيمان بالغيب كما أخبرنا الصادق صلى الله عليه و سلم من غير زيادة ولا نقصان ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع لخفاء الحكمة عليه ويقدح في النصوص بقوله : لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوال ! ! وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزنا ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده [فإنه] لا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه فتأمل قول الملائكة لما قال [الله] لهم : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال : إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ وقال تعالى : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ وقد تقدم عند ذكر الحوض كلام القرطبي رحمه الله أن الحوض قبل الميزان والصراط بعد الميزان ففي الصحيحين : أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة وجعل القرطبي في التذكرة هذه القنطرة صراطا ثانيا للمؤمنين خاصة وليس يسقط منه أحد في النار والله تعالى أعلم ." (١)

"ﷺ ثم ينصب الصراط على متن جهنم ، وأول من يجوز الصراط أمة محمد عليه الصلاة والسلام فيتقدم عليه الصلاة والسلام إلى الصراط .

ﷺ وقبل الصراط ثم ظلمة (أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات) قال (هم في الظلمة دون الجسر) يعني دون الصراط ، ثم ظلمة عظيمة ، هذه الظلمة يمضي فيها المسلمون ، يأتيها يعني يقدم عليها المسلمون والمنافقون ، الجميع كانوا في نور ، ثم إذا قبل النار أتت هذه الظلمة فيبصر المؤمن بنوره والمنافق ينطمس نوره ، فيقول المنافق للمؤمن ؟انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب؟ يعني بعد العبور على الصراط ، فيؤتى كل واحد نور على قدر عمله .

ﷺ ثم يؤتى بالصراط ، ثم يكون الصراط منصوبا على متن جهنم ثم يأتي النبي عليه الصلاة والسلام فيعبر ثم تعبر هذه الأمة قبل الأمم .

وهذا العبور سيأتي بيان الكلام على الصراط وصفة العبور ، هذا العبور هو ما جاء في القرآن بأنه الورود ، وورود المؤمن على النار ، قال ؟وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا؟ الورود ورودان :

١ - ثم ورود ورود دخول ٢ - وثم ورود مرور .

ورود المؤمن على النار هو ورود مرور عليها إذا كان ممن سيعبر الصراط وإذا كان من أهل الوعيد ممن سيدخلون النار ويطهرون فإنهم سيدخلونها .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص/٤٠٤

إذن هذا تفاصيل ما سيحصل من البعث إلى نصب الصراط .

الصراط

معناه ومكانه وصفته مرور الناس عليه

ثم تعبر الأمم كما ذكر شيخ الإسلام هنا قال (والصراط منصوب على متن جهنم، وهو الجسر الذي بين الجنة والنار)." (١)

"كذلك في عرصات يوم القيامة الميزان والميزان جنس للموازين قال جل وعلا ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾ [الأنبياء:٤٧] وقال جل وعلا ﴿ فمن ثقلت موازينه ﴾ ([١٧]) فهي موازين، ومن أهل العلم من قال إنه ميزان واحد، وهاهنا نبه المؤلف رحمه الله تعالى إلى أن الميزان حقيقة، فقال (له كفتان ولسان) ويعني بذلك مخالفة المعتزلة الذين قالوا إن الميزان لا يعقل أن تكون حقيقته في الآخرة كحقيقته في الدنيا: أنه توزن به الأمور. ويوزن في الميزان العمل، وصاحب العمل، وصحائف الأعمال، العمل واحد، صاحب العمل يوزن، وصحائف الأعمال، ومنهم من قال يعني من أهل العلم: إن وزن صاحب العمل هو وزن عمله. لكن هذا جاء أحاديث فيها وزن صاحب العمل، وفيها وزن الصحائف؛ صحائف الأعمال. كذلك ما في عرصات القيامة تطاير الصحف، والناس على صنفين: منهم من يأخذ كتابه بيمينه، ومنهم من يأخذ كتابه بشماله وراء ظهره، فيكون ذلك التلقي للكتب من اليمين وعن الشمال، بشارة للمؤمن، وحسرة على الكافر، كما جاء ذلك في سورة الحاقة مبينا.

الصراط حق، وهو دحض مذلة، يمر عليه الناس، فمنهم من يمر عليه كالبرق، ومنهم من يمر عليه كأسرع جواد، ومنهم يمر عليه يمشي مشيا، ومنهم من يحبو حبوا، ومنهم من يمشي تارة ويكبو تارة، ومنهم من يزل عنه فيخر في جهنم، منصوب على متن جهنم، والمرور عليه ذلك هو الورود الذي قال الله تعالى فيه في سورة مريم ﴿ وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا ﴾ [مريم:٧١] فقد ثبت عليه الصلاة والسلام أنه فسر ذلك بالمرور على الصراط.." (٢)

"السبل التي تعترض الصراط المستقيم، وأنواع الصراط

قال الشارح رحمه الله: [وقوله تعالى: ﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ [الأنعام:١٥٣]، قال القرطبي : هذه آية عظيمة عطفها على ما تقدم، فإنه نهى وأمر وحذر عن اتباع غير سبيله على ما بينته الأحاديث الصحيحة وأقاويل السلف، و(أن) في موضع نصب، أي: (أتلو أن هذا صراطي) عن الفراء و الكسائي ، ويجوز أن يكون خفضا أي: (وصاكم به، وبأن هذا صراطي)، قال: والصراط: الطريق الذي هو دين الإسلام.

(مستقيما) نصب على الحال، ومعناه: مستويا قيما لا اعوجاج فيه.

(١) شرح عدة متون في العقيدة، ٤٢/١٣

(٢) شرح عدة متون في العقيدة، ٧٥/١٩

فأمر باتباع طريقه الذي طرقه على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وشرعه ونهايته الجنة وتشعبت منه طرق، فمن سلك الجادة نجا، ومن خرج إلى تلك الطرق أفضت به إلى النار، قال الله تعالى: ﴿ ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ [الأنعام:١٥٣] أي: تميل.

انتهى.

وروى الإمام أحمد و النسائي و الدارمي و ابن أبي حاتم و الحاكم -وصححه- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده، ثم قال: هذا سبيل الله مستقيما.

ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله، ثم قال: وهذه سبل ليس منها سبيل إلا وعليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل ﴾ [الأنعام:١٥٣] الآية)، وعن مجاهد : ﴿ ولا تتبعوا السبل ﴾ [الأنعام:١٥٣] قال: البدع والشهوات].

هذا الحديث الذي ذكره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدلنا على أن الحق واحد لا يتعدد، بخلاف الباطل فإنه متعدد وكثير، ولهذا جعل طريق الله خطا واحدا، فقال: (خط خطا واحدا مستقيما فقال: هذا صراط الله.

ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله فقال: هذه سبل، ليس منها سبيل إلا وعليه شيطان يدعو إلى الله).

أي: إذا سلكه الإنسان أفضى به إلى النار، وهذا يدلنا على أنه ليس هناك طريق إلى الجنة ونجاة للإنسان إلا بالسير خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط، ولا يوجد غير هذا، فإن سار الإنسان خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل ما جاء به واهتدى به عملا واعتقادا وقولا فهو الناجي الذي يكون سعيدا في الدنيا والآخرة، أما إذا مال يمينا وشمالا عن هذا الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فسوف تتولاه الشياطين وتسلك به المسالك التي تهوي به إلى النار -نسأل الله العافية-، ولهذا وضح الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك بالخطوط.

ثم بين صراط الله الذي وصانا الله باتباعه في قوله: ﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ﴾ [الأنعام:١٥٣]، وأمر الله واجب الأخذ به، وقد جاءت عبارة السلف في تفسيره مختلفة الألفاظ متفقة المعاني، فمنهم من قال: صراط الله: كتاب الله القرآن.

ومنهم من قال: صراط الله: ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة، ومنهم من قال: صراط الله: الإسلام.

وهذا كله حق، وكله يؤول إلى شيء واحد، وأن الصراط الذي أمرنا جل وعلا بالتمسك به واتباعه وسلوكه هو ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من القرآن ومن السنة ومن كل ما أمرنا به، وهذا الصراط معنوي أوجب ربنا جل وعلا أن نسلكه، وهو الذي أوجب علينا في كل ركعة من ركعات الصلاة أن نبتهل إليه ونسأله أن يهدينا هذا الصراط: ﴿ اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ [الفاتحة:٦-٧]، وهذا فرض على الإنسان إذا صلى أن يسأل ربه أن يهديه هذا الصراط، وكثير من المفسرين يقول: معنى (اهدنا الصراط) : ثبتنا عليه.

والواقع أن هذا فيه شيء من القصور؛ لأن الإنسان لا تكمل هدايته كما ينبغي حتى يضع أول قدم له في الجنة، وأما قبل أن يدخل الجنة فهو بحاجة إلى هداية دائما، وبحاجة إلى زيادة من الهداية، فهو في الدنيا يحتاج إلى زيادة يقين

وإيمان، ويحتاج إلى زيادة عمل يرضي ربه جل وعلا به، وكذلك في الآخرة يحتاج إلى زيادة تثبيت أن يثبته الله جل وعلا بالقول الثابت، كما قال الله جل وعلا: ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ [إبراهيم:٢٧] يعني: عند السؤال.

وليس كما يقول بعض الناس: إن الآخرة ليست محل تكليف، فإذا مات الإنسان انتهى تكليفه، بل ما دام الإنسان لم يدخل الجنة والنار فهو في محل يبتلى ويسأل ويمتحن، فيثبت الله جل وعلا من يشاء، ويضل من يشاء، فالسؤال في القبر افتتان يفتتن الإنسان به، وكذلك في المواقف التي تسمى عرصات القيامة، ولهذا يختلف الناس فيها اختلافا عظيما من شدة أو سهولة فيما يلاقونه، فمن كانت -مثلا- ذنوبه كثيرة اشتد الأمر عليه فيكون ذلك جزاء له، ومنهم من يأكل ويشرب والناس يحاسبون، ومنهم من يكون في ظل العرش والناس في حر الشمس، وكل هذا من التكليف، ثم قد قص الله جل وعلا علينا قصص بعض عباده، وأن من الناس من إذا سألهم الله جل وعلا: ماذا كنتم تعبدون؟ ولماذا أشركتم؟ قالوا -كما حكى الله عنهم-: ﴿ والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ [الأنعام:٢٣]، فيقسموا بالله ما كانوا مشركين وهم مشركون، فيقول الله: ﴿ انظر كيف كذبوا على أنفسهم ﴾ [الأنعام:٢٤] وكذلك يقول الله جل وعلا: ﴿ يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون ﴾ [المجادلة:١٨]، أي: يحلفون لله يوم القيامة كذبا، كما يحلفون للناس اليوم؛ لأنهم جعلوا الحلف جنة يجتنون به ويستترون به عما قد يعود عليهم باللوم أو بالضرر أو بالعقاب أو بغير ذلك، فليس الأمر على إطلاقه أن الآخرة ليست دار تكليف، نعم الجنة ليست دار تكليف، فإذا دخلوا في الجنة فليس فيها تكليف، وإنما يلهمون التسبيح والتهليل كما يلهمون النفس ثم إن الصراط المعنوي هذا الذي أمرنا بالتمسك به واتباعه، فإذا تمسكنا به ثبتت أقدامنا على الصراط الحسي الذي هو الطريق إلى الجنة، وهو جسر ينصب فوق جهنم لا يوجد أحد ينجو من النار إلا من فوقه، كما قال تعالى: ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ﴾ [مريم:٧١]، وقد جاء وصفه بأنه فوق متن النار، أحر من الجمر، وأحد من السيف وأروغ من الثعلب.

إذا: السلوك يكون بالعمل، فمن الناس من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر مثل البرق إذا برق، ومنهم من يكون مثل الريح، ومنهم من يكون مثل جواد الخيل، ومنهم من يركض ركضا، ومنهم من يحبو، ومنهم من يقوم ويسقط، ومنهم من تخطفه الخطاطيف التي تكون عليه وتلقيه في النار.

و أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقي يخدمه منذ أن قدم المدينة إلى أن توفاه الله جل وعلا، فسأله الشفاعة، فقال: (أنا فاعل إن شاء الله، فقال: أين أجدك؟ قال: اطلبني في ثلاثة أماكن: عند الحوض، فإن لم تجدني فعند الميزان، فإن لم تجدني فعند الصراط) فعند الصراط لا يوجد أحد يتكلم إلا الرسل؛ لأن الرسل يقفون ينظرون مرور أممهم، وكلامهم: اللهم سلم سلم! أما الناس كلهم فهم سكوت، ولا يوجد أحد يتكلم لشدة الأمر وهوله، وتحتهم جنهم تتلظى، والسلوك على طريق وعر جدا، وعر لا يمكن يسلك إلا بالعمل، فمن ثبته الله وكان مستقيما على هذا الصراط الذي هو الإسلام نجا وإلا زلت به قدمه وهوى، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: (والصراط عليه كلاليب مثل شوك السعدان -ثم يقول لأصحابه- هل رأيتم السعدان؟ إنها شويكة في عشبة تخرج في نجد)، تكون معكوفة الرأس،

ولكن لا يقدر عظمها إلا الله جل وعلا، تخطف من أمرت بخطفه، فمنهم مخدوش مسلم، ومنهم مكردس على رأسه في النار، ومنهم من يحبو مرة ويتعلق بيده أو برجله مرة، فالأمر صعب جدا، وهذا يكون لمن يتعثر على صراط الله الذي جعله مسلكا لعباده في هذه الدنيا، فمن تعثر عليه ومال يمينا وشمالا مالت رجله عن ذلك الصراط، وربما سقط وربما تعلق، فالواجب على العبد أن يتبع صراط الله جل وعلا ولا يميل ولا تأخذه السبل الكثيرة، فالسبل الكثيرة هي التي تهوي به إلى النار، فكل من سلك سبيلا غير السبيل الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لن يستطيع العبور على الصراط.." (١)

"سلام الله على عباده في الجنة لا في موقف الحساب

قال الشارح: [وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من الصلاة المكتوبة يستغفر ثلاثا ويقول: (اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام!)، وفي الحديث: (إن هذا هو تحية أهل الجنة لربهم تبارك وتعالى)، وفي التنزيل ما يدل على أن الرب تبارك وتعالى يسلم عليهم في الجنة، كما قال تعالى: ﴿ سلام قولا من رب رحيم ﴾ [يس:٥٨]].

هذا جاء مكررا في القرآن في آيتين من كتاب الله جل وعلا: ﴿ تحيتهم يوم يلقونه سلام ﴾ [الأحزاب:٤٤]، ولقاء الله جل وعلا يكون في الموقف بين عباده، ولكن الموقف مكان محاسبة، وليس مكان إكرام.

ولهذا لما سئل ابن عمر : كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى؟ أي: مناجاة الله لعبده.

وهذا شيء عظيم جدا، كونه يناجيه جل وعلا، وهذه لا تقاس بما يعرفه الإنسان؛ لأن نجواه تكون لعباده كلهم في آن واحد، كل واحد يتصور أنه لا يكلم إلا هو، وهو يكلم جميع المؤمنين في ذلك الموقف.

يقول ابن عمر : (سمعته يقول: يدني عبده المؤمن فيضع عليه كنفه)، والكنف هو: الستر، يستره عن الذين يشاهدونه في الموقف، لأنه يقرره بذنوبه، ولا يوجد أحد يخلو من الذنوب أبدا.

فإذا قال: (فعلت كذا يوم كذا وكذا)، وتركت كذا من الأمور الواجبة، عندها يخجل كثيرا فيتغير وجهه، فلأجل هذا ستره الله، حتى لا يراه المؤمنون ويقولون: إنه قد هلك.

قال: (فإذا رأى أنه قد هلك؛ قال الله له: أنا سترتها عليك في الدنيا وأغفرها لك اليوم)، فيعطى كتابه بيمينه فيصبح فرحه فوق ما يتصور، حتى يصبح يمد كتابه أمام الناس ويقول: ﴿ هاؤم اقرءوا كتابيه ﴾ [الحاقة:١٩] يعني: يا هؤلاء! اقرءوا كتابي، كأنه لا يهمهم إلا قراءة كتابه، فالفرح استولى عليه، وكان أولا يظن أنه قد هلك.

فالمقصود أن الموقف وإن كان فيه الكلام، وإن كان فيه اللقاء، فكلام الله جل وعلا في الموقف هو محل مناقشة ومحل مسائلة، فقد يكون الإنسان عنده مواقف حرجة جدا، حتى يرى أنه قد هلك، فإذا أوتي كتابه بيمينه بدأت السعادة تظهر عليه، أما التحية واللقاء فلا تكون إلا في الجنة.

ولهذا لما قيل للإمام أحمد : متى يأمن المؤمن؟ قال: يأمن إذا وضع أول قدم له في الجنة.

---

(١) شرح كتاب التوحيد / الغنيمان، ٢/٧

أما قبل هذا فلا يأمن؛ لأن النار أمامه، فالنار بين الناس الواقفين وبين الجنة، فلا يوجد عبور على الجنة، ولهذا يقول الله جل وعلا: ﴿ وإن **منكم إلا واردها** ﴾ [مريم:٧١]، قوله: (وإن) تفيد القسم وأن كل واحد سيرد.

وورود الشيء لا يلزم منه الدخول، فقد يرد عليه ولا يدخله وقد يدخله.

فالسلام الذي يكون من رب العالمين لعباده يكون في الجنة.." (١)

"بعضهم على بعض"١.

٢- روى الإمام مسلم بإسناده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: أخبرتني أم مبشر: أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة: "لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها" قالت: بلى يا رسول الله: فانتهرها فقالت حفصة: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "قد قال الله ـ عز وجل ـ ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ ٢.

قال النووي رحمه الله تعالى: قوله صلى الله عليه وسلم: " لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها" قال العلماء: معناه لا يدخلها أحد منهم قطعا ... وإنما قال إن شاء الله للتبرك لا للشك وأما قول حفصة بلى وانتهار النبي صلى الله عليه وسلم لها فقالت: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "وقد قال: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ فيه دليل للمناظرة والجواب على وجه الاسترشاد وهو مقصود حفصة لا أنها أرادت رد مقالته صلى الله عليه وسلم والصحيح أن المراد بالورود في الآية المرور على الصراط وهو جسر منصوب على جهنم فيقع فيها أهلها وينجو الآخرون"أ.هـ٣.

٣- وروى الإمام مسلم بإسناده إلى جابر أن عبدا لحاطب جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو حاطبا فقال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كذبت لا يدخلها فإنه شهد بدرا والحديبية" ٤.

هذا الحديث تضمن فضيلة أهل بدر والحديبية وفضيلة حاطب لكونه منهم رضي الله عنهم أجمعين.

---

١. فتح الباري ٧/٤٤٣ .

٢. صحيح مسلم ٤/١٩٤٢، والآيتان رقم/٧١-٧٢ من سورة مريم.

٣. شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/٥٨ .

٤. صحيح مسلم ٤/١٩٤٢ .." (٢)

"وقوله : اسْتَحلُّوا العقوبة ، أي استوجبوا أن تَحِلَّ بهم ، وحلّتْ له شفاعتي ، أي غشيتْهُ ، ونزلت به ، وقيل : وجبت له وحقَّتْ ، وفي حديث عيسى : فلا يَحِلُّ لكافر يجِدُ ريح نفسه إلاّ مات ، معناه حقٌّ واجبٌ واقعٌ ، كقوله [وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ] (١) وقيل معناه لا يُمكن .

---

(١) شرح كتاب التوحيد / الغنيمان، ١١٧/١٠

(٢) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، ٢١١/١

قوله : أن تُزاني حليلة جارِك ، أي زوجته ، وهو أيضا حليلُها ؛ لأنهما يَحلان في موضع واحد ، وتُسمى الجارية أيضا حليلة من الحُلول في المنزل ، وحُلّة سِيراء ، على الإضافة ، ورواه بعضهم بالتنوين على الصفة ، والسِّيراء الحرير الصافي ، فمعناه حُلَّةُ حريرٍ ، وقيل : الوَشي ، وقيل : نبتٌ ذو ألوان وتَخطيطٍ ، شُبِّهت به بعض الثياب ، وأمّا الحُلَّة فثوبان غير لَفِقَيْن رِداء وإزارٌ ، سُمِّيا بذلك لأن كل واحد منهما يَحلُّ على الآخر .

قوله : ثم ترك ضَمِّي وتَحَلَّل ، أي لَمّا تَحَلَّلَتْ قوَّتُه ترك ضمَّه ، وتحلل تفعَّل من الحَلّ ، أي حلَّ نفسه مني ، وانفصل عني ، كما قال ثم أدركَه الموت فأرسلني .

قوله في اليمين :إلاّ تَحَلّتُها، أي اكتسبتُ حِلّها عنكَ بالكفارة ، من قوله : [تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ] (٢) .

وقوله : إلاّ تَحِلّة القسم ، أي تحلِيلها ، قيل : هو قوله : [فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ] (٣) / إلى ٤٧ ب قوله : [وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا] (٤) وهو الجواز على الصّراط ، أو عليها ، وهي جامدة كالإهالة .

ح ل م :

---

(١) الأنبياء ٩٥

(٢) التحريم ٢

(٣) مريم ٦٨

(٤) مريم ٧١ ، والآيات بتمامها : [فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (٦٨) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (٦٩) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا (٧٠) وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا] .." (١)

"باب الإيمان بالصراط :

ونؤمن بالصراط المنصوب على متن جهنم، وهو الجسر الممدود على ظهر جهنم ليعبر الناس عليه إلى الجنة.

ونؤمن بأن الناس كلهم سوف يمرون عليه، قال تعالى:﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيا ﴾ [مريم: ٧١]،

ويكون المرور على حسب إيمان العبد وأعماله، «فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كالركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدوًا، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يزحف زحفًا، ومنهم من يخطف خطفًا ويلقى في جهنم»(٢٩)،

«وهو أحد من السيف، وأدقُّ من الشعرة»(٣٠)

وعلى جنباته كلاليب مثل شوك السعدان مأمورة بأخذ من أمرت به، فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله سئل عن الصراط فقال: «مدحضة مزلةٌ، عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة، لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها:

---

(١) جامع شروح المنظومة الحائية، ص/١١٦

السعدان»(٣١).

فإذا عبروا عليه، وقفوا عند قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص من بعضهم لبعض، فإذا هذبوا ونقوا، أذن لهم في دخول الجنة(٣٢).

---

(٢٩) أخرج الحديث في ذلك البخاري برقم (٧٤٣٩) في التوحيد، باب/ قول الله تعالى:﴿ وجوه يومئذ ناضرة﴾ ، ومسلم برقم (١٨٣) في الإيمان، باب/ معرفة طريق الرؤية عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣٠) أخرجه أحمد في «المسند» (١١٠/٦) لكن في سنده ابن لهيعة، وذكره أيضًا مسلم في «صحيحه» عن أبي سعيد الخدري برقم (١٨٣) في الأيمان، والحديث له حكم الرفع.

(٣١) أخرجه البخاري كتاب التوحيد، باب/ قول الله:﴿ وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة﴾ حديث رقم (٧٤٣٩) (٣٨٢،٣٨١/٥١).

(٣٢) أخرج الحديث في ذلك البخاري برقم (٦٥٣٥) في الرقاق باب/ القصاص يوم القيامة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.." (١)

"والاحتمال الآخر: أنه ينال في الدنيا من العذاب، والابتلاء الذي يعاقب به الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أصحاب الذنوب، ثم يعذب في سكرات الموت، وقد لا يكفي هذا لتكفير هذه الخطيئة، بل زيادة على ذلك أنه يعذب ويمحص في قبره – نسأل الله العفو والعافية– لأن القبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران.

وبعض أهل الكبائر لا يكفي فيه عذاب الدنيا والنصب والهم والغم، وما يبتلى به عند الموت، ولا ما يبتلى به في قبره من العذاب، بل يعذب في عرصات القيامة، فيكون المؤمنون في ظل العرش، يوم لا ظل إلا ظل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى –وهو ظل العرش– وفي ذلك الأمن: لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ [الانبياء:١٠٣] فرحين آمنين مطمئنين، وأما هو فهو خائف وجل يعاني من العذاب: من عذاب الموقف وأهواله، ومن كربات يوم القيامة، وما أعظمها من أهوال.

ولكن إذا جاءت الصحف ونصبت الموازين وتجلى الرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لفصل القضاء، قد يُكتفى بما عذب به في الموقف والقبر، وعند الموت، وفي الدنيا ويُعفى عنه. فهذا أيضاً درجة.

ودرجة أخرى، أنه قد لا يكتفى بذلك، بل يُزاد على ذلك بأن يحاسبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويناقشه، فيعذب ويقرر بذنوبه، وتشهد على بعضهم جوارحهم، وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون، ثم يأتي يأخذ الصحيفة بشماله، ويأتي لجواز الصراط

---

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة، ص/٢٥

أو الجسر: وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً [مريم:٧١] فهو يريد أن يتجاوز فتختطفه الكلاليب -نسأل الله العفو والعافية- زيادة على ذلك لوجود الذنوب والكبائر، ولأنها تطغى على الحسنات فاستحق أن يدخل النار -نسأل الله العفو والعافية-.." (١)

" رسول الله [ ] حق ما بين طرفيه كما بين عدن إلى عمان ، أباريقه عدد نجوم السماء ، وماؤه أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن ، من شرب منه لا يظمأ أبدا ، وأن الشفاعة لرسول الله [ ] حق ، وكذلك شفاعة الأنبياء والملائكة والعلماء والشهداء ، وأن الصراط حق ، وهي قنطرة بين ظهراني جهنم لابد من جوازها ، وهي دحض مزلة ، عليها كلاليب وخطاطيف وحسك ، قال الله عز وجل : (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) وأن الميزان حق له لسان وكفتان يوزن به أعمال العباد (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون) وأن الصور حق وهو قرن ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام ، وهما نفختان نفخة الصعق ونفخة البعث ، قال الله عز وجل : (ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) وأن قوما يخرجون من النار يخرجهم الله برحمته ، فيلقيهم في نهر على باب الجنة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل بعدما امتحشوا فصاروا حمما ثم يدخلهم الله الجنة حتى لا يبقى في النار من كان في قلبه مثقال حبة أو ذرة من إيمان ، وأن

". (٢)

"وقد يحلم الله – عز وجل – عن الكفار ويستأنى بهم ويرزقهم ولا يأخذهم بعقوبة في الدنيا، لكنه سبحانه لا يتأنى بهم في الآخرة ولا يصفح عنهم، بل تسوقهم ملائكة الرحمن إلى النار، فتحيط بهم، فلا يقبل رجاؤهم، ولا يخفف عذابهم: ﴿ فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠) وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) ﴾ [مريم: ٦٨ – ٧٢]، ﴿ يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين (٥٤) ﴾ [العنكبوت: ٥٤].

رابعا: ومن آثار حلمه سبحانه أنه لا يستجيب لاستعجال عباده بإنزال العقوبة بالكافرين، سواء كان ذلك من قبل المؤمنين في استعجالهم الفتح بينهم وبين القوم الكافرين أو كان ذلك من الكافرين الذين يستعجلون العذاب والله – عز وجل – يحلم عنهم ويؤخره عنهم.

قال الله – عز وجل – لنبيه ×: ﴿ قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين (٥٨) ﴾ [الأنعام: ٥٨].

---

(١) دروس فتح المجيد – الحوالي، ص/١٠٤

(٢) الحجة في بيان المحجة، ٢٥٠/١

وقال له أيضا: ﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون (١٢٨) ﴾ [آل عمران: ١٢٨].
وقال عن الكافرين: ﴿ وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب (١٦) ﴾ [ص: ١٦]، وقال سبحانه: ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون (٤٧) ﴾ [الحج: ٤٧].." (١)

"والاحتمال الآخر: أنه ينال في الدنيا من العذاب، والابتلاء الذي يعاقب به الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أصحاب الذنوب، ثم يعذب في سكرات الموت، وقد لا يكفي هذا لتكفير هذه الخطيئة، بل زيادة على ذلك أنه يعذب ويمحص في قبره – نسأل الله العفو والعافية– لأن القبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران.

وبعض أهل الكبائر لا يكفي فيه عذاب الدنيا والنصب والهم والغم، وما يبتلى به عند الموت، ولا ما يبتلى به في قبره من العذاب، بل يعذب في عرصات القيامة، فيكون المؤمنون في ظل العرش، يوم لا ظل إلا ظل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى –وهو ظل العرش– وفي ذلك الأمن: لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ [الانبياء:١٠٣] فرحين آمنين مطمئنين، وأما هو فهو خائف وجل يعاني من العذاب: من عذاب الموقف وأهواله، ومن كربات يوم القيامة، وما أعظمها من أهوال.

ولكن إذا جاءت الصحف ونصبت الموازين وتجلى الرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لفصل القضاء، قد يُكتفى بما عذب به في الموقف والقبر، وعند الموت، وفي الدنيا ويُعفى عنه. فهذا أيضاً درجة.

ودرجة أخرى، أنه قد لا يكتفى بذلك، بل يُزاد على ذلك بأن يحاسبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويناقشه، فيعذب ويقرر بذنوبه، وتشهد على بعضهم جوارحهم، وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون، ثم يأتي يأخذ الصحيفة بشماله، ويأتي لجواز الصراط أو الجسر: وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً [مريم:٧١] فهو يريد أن يتجاوز فتختطفه الكلاليب –نسأل الله العفو والعافية– زيادة على ذلك لوجود الذنوب والكبائر، ولأنها تطغى على الحسنات فاستحق أن يدخل النار –نسأل الله العفو والعافية–.." (٢)

"وهذا تطاير الصحف، إما باليمين أو بالشمال.

(والثواب والعقاب) الثواب على الحسنات، والعقاب على السيئات.

(والصراط) وهو: الجسر المنصوب على متن جهنم، أحدُّ من السيف، وأدَقُّ من الشعر، وأحرُّ من الجمر، يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يمر عدواً ومنهم من يمر مشياً، ومنهم من يمر حبواً، ومنهم من تلقطه كلاليب على حافتي الجسر وتقذفه في النار، وهذه أمور غيب، فلا يُدخلُ الإنسان عقله فيها، وكل الناس يمرون على الصراط (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً* ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً) [مريم:٧٢،٧١].

وتوزن الحسنات، فإن رجحت حسناته فاز، وإن رجحت سيئاته على حسناته خاب وخسر (والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت

---

(١) ولله الأسماء الحسنى– الشيخ الجليل، ٤٥٨/١

(٢) التعليق على فتح المجيد / سفر الحوالي، ص/١٢٣

موازينه فأولئك هم المفلحون* ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون) [الأعراف :٨،٩]. وتكرر ذكر الوزن والميزان في آيات كثيرة، وهذا من عدل الله عز وجل، وأنه لا يظلم أحداً. والميزان حقيقي، له كفتان: توضع الحسنات في كفّه، وتوضع السيئات في كفة، فأيهم رجحت حسناته فاز، وأيهم رجحت سيئاته فخسر (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) [الأنبياء:٤٧].

(١٧٣) والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبداً ولا تبيدان:." (١)

" باب القول في الشفاعة وبطلان قول من قال بتخليد المؤمنين في النار

قال الله عز و جل لنبيه صلى الله عليه و سلم عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وقال ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا

أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد الروذباري وأبو عبيد الحسين بن عمر بن برهان وأبو الحسين بن الفضل القطان وأبو محمد السكري قالوا أنا إسماعيل بن محمد الصفار ثنا الحسن بن عرفة ثنا القاسم بن مالك المزني عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم أنا أول شفيع يوم القيامة وأنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة إن من الأنبياء لمن يأتي يوم القيامة ما معه مصدق غير واحد ." (٢)

" ولكنها للمذنبين المتلوثين الخطائين

أخبرنا أبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر ببغداد أخبرنا الحسين بن يحي بن عياش القطان ثنا أبو الأشعث ثنا الفضيل بن سليمان ثنا أبو مالك الأشجعي حدثني ربعي بن حراش أنه سمع حذيفة بن اليمان أنه سمع رجلا يقول اللهم اجعلني فيمن تصيبه شفاعة محمد صلى الله عليه و سلم قال إن الله يغني المؤمنين عن شفاعة محمد صلى الله عليه و سلم ولكن الشفاعة للمذنبين المؤمنين والمسلمين

أخبرنا يحي بن إبراهيم أنا أبو الحسن الطرايفي ثنا عثمان بن سعيد ثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قول الله عز و جل ولا يشفعون إلا لمن ارتضى يقول الذين ارتضاهم بشهادة أن لا إله إلا الله

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي ثنا سعيد بن مسعود ثنا عبد الله بن موسى أنا إسرائيل عن السدي قال سألت مرة الهمداني عن قول الله عز و جل وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا فحدثني أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم حدثهم عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال

يرد الناس ." (٣)

" النار ثم يصدرون بأعمالهم كلمع البرق ثم كمر الريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب ثم كشد الرحال ثم كمشيهم

---

(١) التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية، ص/١٢١

(٢) الاعتقاد، ص/١٩١

(٣) الاعتقاد، ص/٢٠٣

ورواه أبو الأحوص عن عبد الله بن مسعود في قوله وإن منكم إلا واردها قال الصراط على جهنم

وروينا عن ابن عباس أنه قال الورود الدخول واستشهد بقوله أنتم لها واردون وبقوله فأوردهم النار وبئس الورد المورود

وروينا عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال الورود الدخول ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقد ذكرناه في كتاب الجامع وفي كتاب البعث مع سائر الروايات فيه ." (١)

" أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا محمد بن إسحاق الصغاني ثنا حجاج بن محمد قال قال ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرا يقول أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول عند حفصة

لا يدخل النار إن شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها قالت بلى يا رسول الله فانتهرها فقالت حفصة وإن منكم إلا واردها فقال النبي صلى الله عليه و سلم قد قال الله عز و جل ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا

ثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك أنا عبد الله بن جعفر ثنا يونس بن حبيب ثنا أبو داود ثنا المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود قال

إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه و سلم خير قلوب الناس فاختار محمد صلى الله عليه و سلم فبعثه برسالته وانتخبه بعلمه ثم نظر في قلوب الناس بعده فاختار له أصحابه فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه فما رآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن وما رأوه قبيحا فهو عند الله قبيح

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو بكر بن إسحاق أنا زياد بن الخليل التستري ثنا كثير بن يحي أبو مالك ثنا أبو عوانة بن أبي بلج ." (٢)

" باب القول في الشفاعة وبطلان قول من قال بتخليد المؤمنين في النار

قال الله عز و جل لنبيه صلى الله عليه و سلم عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وقال ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا

أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد الروذباري وأبو عبيد الحسين بن عمر بن برهان وأبو الحسين بن الفضل القطان وأبو محمد السكري قالوا أنا إسماعيل بن محمد الصفار ثنا الحسن بن عرفة ثنا القاسم بن مالك المزني عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم أنا أول شفيع يوم القيامة وأنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة إن من الأنبياء لمن يأتي يوم القيامة ما معه مصدق غير واحد ." (٣)

" ولكنها للمذنبين المتلوثين الخطائين

---

(١) الاعتقاد، ص/٢٠٤

(٢) الاعتقاد، ص/٣٢٢

(٣) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد – البيهقي، ص/١٩١

أخبرنا أبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر ببغداد أخبرنا الحسين بن يحيي بن عياش القطان ثنا أبو الأشعث ثنا الفضيل بن سليمان ثنا أبو مالك الأشجعي حدثني ربعي بن حراش أنه سمع حذيفة بن اليمان أنه سمع رجلا يقول اللهم اجعلني فيمن تصيبه شفاعة محمد صلى الله عليه و سلم قال إن الله يغني المؤمنين عن شفاعة محمد صلى الله عليه و سلم ولكن الشفاعة للمذنبين المؤمنين والمسلمين

أخبرنا يحي بن إبراهيم أنا أبو الحسن الطرايفي ثنا عثمان بن سعيد ثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قول الله عز و جل ولا يشفعون إلا لمن ارتضى يقول الذين ارتضاهم بشهادة أن لا إله إلا الله

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي ثنا سعيد بن مسعود ثنا عبد الله بن موسى أنا إسرائيل عن السدي قال سألت مرة الهمداني عن قول الله عز و جل وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا فحدثني أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم حدثهم عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال

يرد الناس ." (١)

" النار ثم يصدرون بأعمالهم كلمع البرق ثم كمر الريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب ثم كشد الرحال ثم كمشيهم

ورواه أبو الأحوص عن عبد الله بن مسعود في قوله وإن **منكم إلا واردها قال** الصراط على جهنم

وروينا عن ابن عباس أنه قال الورود الدخول واستشهد بقوله أنتم لها واردون وبقوله فأوردهم النار وبئس الورد المورود

وروينا عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال الورود الدخول ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقد ذكرناه في كتاب الجامع وفي كتاب البعث مع سائر الروايات فيه ." (٢)

" أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا محمد بن إسحاق الصغاني ثنا حجاج بن محمد قال قال ابن جريح أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرا يقول أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول عند حفصة

لا يدخل النار إن شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها قالت بلى يا رسول الله فانتهرها فقالت حفصة وإن **منكم إلا واردها فقال** النبي صلى الله عليه و سلم قد قال الله عز و جل ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا

ثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك أنا عبد الله بن جعفر ثنا يونس بن حبيب ثنا أبو داود ثنا المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود قال

---

(١) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد – البيهقي، ص/٢٠٣

(٢) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد – البيهقي، ص/٢٠٤

إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه و سلم خير قلوب الناس فاختار محمد صلى الله عليه و سلم فبعثه برسالته وانتخبه بعلمه ثم نظر في قلوب الناس بعده فاختار له أصحابه فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه فما رآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن وما رأوه قبيحا فهو عند الله قبيح

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو بكر بن إسحاق أنا زياد بن الخليل التستري ثنا كثير بن يحيى أبو مالك ثنا أبو عوانة بن أبي بلج ." (١)

" فصل فيما جاء في الصراط

وينصب الجسر بلا امتراء ... كما أتى في محكم الأنباء

يجوزه الناس على أحوال ... بقدر كسبهم من الأعمال

مبين مجتاز إلى الجنان ... ومسرف يكب في النيران

وينصب الجسر وهو الصراط على متن جهنم بلا امتراء بلا شك كما أتى في محكم الأنباء من الآيات والأحاديث يجوزه يمر عليه الناس على أحوال متفاوتة بقدر كسبهم في الحياة الدنيا من الأعمال من إحسان أو إساءة أو تخليط فهم بين مجتاز عليه إلى الجنان وهم المؤمنون على تفاوت درجاتهم ومراتبهم في البطء والإسراع ومسرف على نفسه يكب في النيران فلا ينجو ومنهم من تلفحه وتمسه النار بقدر ذنبه ثم يخرج منها قال الله تعالى وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقال تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنة فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير

وروى الإمام أحمد عن كثير بن زياد البرساني عن أبي سمية قال اختلفنا في الورود فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن وقال بعضنا يدخلونها جميعا ثم ينجي الله ." (٢)

" الذين اتقوا فلقيت جابر بن عبد الله فقلت له إنا اختلفنا في الورود فقال يردونها جميعا

وقال سليمان بن مرة يدخلونها جميعا وأهوى بأصبعيه إلى أذنيه وقال صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار ضجيجا من بردهم ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا

وروى الحسن بن عرفة عن خالد بن معدان قال قال أهل الجنة بعدما دخلوا الجنة ألم يعدنا ربنا الورود على النار قال قد مررتم عليها وهي خامدة

---

(١) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد - البيهقي، ص/٣٢٢

(٢) معارج القبول، ٢/٨٥٠

وروى عبد الرزاق عن قيس بن حازم قال كان عبد الله بن رواحة واضعا رأسه في حجر امرأته فبكى فبكت امرأته فقال ما يبكيك قالت رأيتك تبكي فبكيت قال إني ذكرت قول الله عز و جل وإن **منكم إلا واردها فلا** أدري أأنجو منها أم لا

وله عن ابن عباس في قصة مخاصمته نافع بن الأزرق فقال ابن عباس الورود الدخول فقال نافع لا فقرأ ابن عباس إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون أوردوها أم لا وقال يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار أوردوها أم لا أما أنا وأنت فسندخلها فانظر هل نخرج منها أم لا وما أرى الله تعالى مخرجك منها بتكذيبك فضحك نافع

وروى ابن جرير عن مجاهد قال كنت عند ابن عباس فأتاه رجل يقال له أبو ." (١)

" راشد وهو نافع بن الأزرق فقال له يا ابن عباس أرأيت قول الله تعالى وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا قال أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها فانظر هل نصدر عنها أم لا وعنه رضي الله عنه في وإن **منكم إلا واردها قال** البر والفاجر ألا تسمع إلى قول الله تعالى لفرعون يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار الآية ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا فسمى الورود على النار دخولا وليس بصادر

وروى الإمام أحمد رحمه الله عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وإن **منكم إلا واردها قال** رسول الله صلى الله عليه و سلم يرد الناس كلهم ثم يصدون عنها بأعمالهم ورواه الترمذي هكذا مرفوعا وقد رواه ابن أبي حاتم عنه موقوفا قال يرد الناس جميعا الصراط ورودهم قيامهم حول النار ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم فمنهم من يمر مثل البرق ومنهم من يمر مثل الريح ومنهم من يمر مثل الطير ومنهم من يمر كأجود الخيل ومنهم من يمر : أجود الإبل ومنهم من يمر كعدو الرجل حتى إن آخرهم مرا رجل نوره على موضع إبهامي قدميه يمر فيتكفأ به الصراط والصراط دحض مزلة عليه حسك كحسك القتاد حافتاه ملائكة معهم كلاليب من نار يختطفون بها الناس الحديث

وروى ابن جرير عنه في وإن **منكم إلا واردها قال** الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطبقة الأولى كالبرق والثانية كالريح والثالثة ." (٢)

"كأجود الخيل والرابعة كأجود البهائم ثم يمرون والملائكة يقولون اللهم سلم سلم

وقال قتادة قوله تعالى وإن **منكم إلا واردها قال** هو الممر عليها وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرانيها وورود المشركين أن يدخلوها

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم قال الزهري كأنه يريد هذه الآية وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا قال ابن مسعود قسما واجبا وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه ايضا مرفوعا من حديثه الطويل في الرؤية

---

(١) معارج القبول، ٨٥١/٢

(٢) معارج القبول، ٨٥٢/٢

والشفاعة وفيه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله عز و جل تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله والموثق بعمله ومنهم المخردل أو المجازى أو نحوه الحديث

وفيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه من حديثه الطويل في ذلك مرفوعا وفيه ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم قلنا يا رسول الله وما الجسر قال مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها ." (١)

" طبعا وخلقا فيفيض منه أفعال الشجعان بعد ذلك طبعا وإن كان مائلا إلى طرف الزيادة وهو التهور فليشعر نفسه بعواقب الأمور وبعظم أخطارها وليتكلف الاحجام إلى أن يعود إلى الاعتدال أو ما يقرب منه فإن الوقوف على حقيقة حد الاعتدال شديد ولو تصور ذلك لارتحلت النفس عن البدن وليس معها علاقة منها فكانت لا تتعذب أصلا بالتأسف على ما يفوته منها وكان لا يتكدر عليه ابتهاجه بما يتجلى له من جمال الحق وجلاله ولكن لما عسر ذلك جاء في قوله تعالى وان منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا

وقال عليه السلام شيبتني سورة هود وأخواتها وأراد به قوله تعالى فاستقم كما أمرت فان الامتداد على الصراط المستقيم في طلب الوسط بين هذه الأطراف شديد وهو أدق من الشعر وأحد من السيف كما وصف من حال الصراط في الدار الآخرة ومن استقام علىالصراط في الدنيا استقام عليه في الآخرة بل يكون في الآخرة مستقيما إذ يموت المرء علىما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه ولذلك يجب في كل ركعة من الصلاة سورة الفاتحة المشتملة على قوله تعالى إهدنا الصراط المستقيم فانه أعز الأمور وأعصاها على الطالب ولو كلف ذلك في خلق واحد لطال العناء فيه فكيف وقد كلفنا ذلك في جميع الأخلاق مع خروجها عن الحصر كما سيأتي ولا مخلص عن هذه المخاطرات إلا بتوفيق الله ورحمته ولذلك قال عليه الصلاة و السلام الناس كلهم هلكى إلا العالمون والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم

فنسأل الله العظيم أن يمدنا بتوفيقه لنتجاوز الأخطار في هذه الدار ولا نخدع بدواعي الاغترار فهذا هذا ثم ما يندرج تحت فضيلة الشجاعة فهو الكرم والنجدة وكبر النفس والاحتمال والحلم والثبات والنبل والشهامة والوقار ." (٢)

"الإيمان بالميزان والصراط

قال المؤلف رحمه الله: [وتنصب الموازين].

الموازين جمع ميزان، والميزان: هو ميزان حقيقي له كفتان، توضع فيه الأعمال، قال الله عز وجل: ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ [الأعراف:٨].

واختلف العلماء هل هو ميزان واحد أم موازين متعددة؟ فقال بعض العلماء: إنه ميزان واحد، وإن الجمع إنما هو باعتبار

---

(١) معارج القبول، ٢/٨٥٣

(٢) معارج القدس، ص/٨٨

ما يكون في هذا الميزان، وقال بعضهم: إنها موازين متعددة وإنه لكل أمة من الأمم ميزان خاص.

فالحسنات توضع في مكان، والسيئات توضع في مكان ويحصل بينها موازنة، وبعض المعتزلة قال: كيف توزن الأعمال وهي أعراض؟ ومعنى أعراض: (صفات)، فنحن نقول: إن هذه الأعمال إما إن الله عز وجل يجعلها أعيانا بحيث توزن، وإما أن يكون الذي يوزن هو ثوابها.

قال المؤلف رحمه الله: [وتنشر الدواوين].

الدواوين هي صحائف الأعمال التي تنشر للعباد، فمن الناس من يأخذ صحيفته بيمينه، ومن الناس من يأخذ صحيفته بشماله من وراء ظهره.

قال المؤلف رحمه الله: [وتتطاير صحائف الأعمال إلى الأيمان والشمائل ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حسابا يسيرا * وينقلب إلى أهله مسرورا * وأما من أوتي كتابه وراء ظهره * فسوف يدعو ثبورا * ويصلى سعيرا﴾ [الانشقاق:٧ - ١٢].

والميزان له كفتان ولسان توزن به الأعمال ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون﴾ [المؤمنون:١٠٢ - ١٠٣].

ولنبينا محمد صلى الله عليه وسلم حوض في القيامة، ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، وأباريقه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا].

الحوض هو حوض خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم يكون في العرصات أثناء الحشر وهناك مجموعة من المواقف تحصل حتى يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، اصطلح على تسميتها أهل العلم بعرصات القيامة، وهذه العرصات يحصل فيها الحوض، فإن الحوض جزء من النهر الذي وهبه الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم وهو نهر الكوثر، ومن نهر الكوثر ميزاب يصب في هذا الحوض، وهذا الحوض ورد في وصفه أن طوله شهر وعرضه شهر وزواياه متساوية، وعدد آنيته مثل نجوم السماء ولونه أبيض من اللبن وطعمه أحلى من العسل.

وأيضا لكل نبي حوض ريحه أفضل من رائحة المسك، ولكل نبي من الأنبياء حوض خاص بأمته يتباهون أيهم أكثر موردا، وأكثر الأحواض ورودا هو حوض النبي صلى الله عليه وسلم.

قال المؤلف رحمه الله: [والصراط حق، يجوزه الأبرار، ويزل عنه الفجار].

الصراط هو طريق يوضع على متن جهنم، وكل الأمم سترده كما قال الله عز وجل: ﴿وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم:٧١]، وهذا الصراط ورد في وصفه أنه أدق من الشعر وأحد من السيف، وأنه توجد عليه كلاليب مثل شوك السعدان، وأن الناس يؤخذون من عليها وأنه لا يتكلم حينئذ إلا الأنبياء، وأن كل الأنبياء يكون كلامهم: اللهم سلم سلم، والناس يجوزونه بصفات مختلفة، منهم من يجوزه كالبرق، ومنهم من يجوزه مثل الريح، ومنهم من يجوزه مثل أجود

الخيل، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يحبو حبوا، ومنهم من يقع في نار جهنم والعياذ بالله، والصراط منصوب على متن جهنم، كما في النصوص وورد في وصفه أنه دحض مزلة." (١)

"الصراط والإيمان به

الصراط والسراط لغتان قال الله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة:٦]، والصراط لغة: الطريق، وشرعا: الطريق المضروب على متن جهنم للعبور عليه إلى جنات العلا، نسأل الله أن نكون ممن يمر على هذا الصراط حتى نصل إلى جنة الخلود، وهو من الغيبيات التي يجب على المرء أن يؤمن بها، وقد أناط الله الفلاح بالإيمان بالغيب، ومن الإيمان بالغيب الإيمان بالصراط، والصراط جاء في الكتاب بالإلماح، وهو بالنص الصريح في السنة النبوية، أما في الكتاب فقال الله تعالى: ﴿وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم:٧١] قال ابن مسعود وزيد بن أسلم: وإن **منكم إلا واردها عابرا** عليها على الصراط.

ووجه الشاهد من هذا: أن الغيبيات لا يستطيع الصحابي أن يتجرأ ويتكلم عنها إلا بوحي أو بعلم من النبي صلى الله عليه وسلم أو إلماح، فنقول: إن ذلك هو مستند ابن مسعود حين بين أن الصراط يمرون عليه.

أما بالنص الصريح فهو في سنة النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين قال: (ويضرب الجسر -والجسر هو الصراط- بين ظهراني جهنم)، وأيضا: النبي صلى الله عليه وسلم لما قال له رجل: (أين أجدك؟ قال: تجدني على الصراط، قال: فإن لم أجدك على الصراط؟ قال: تجدني عند الميزان، قال: وإن لم أجدك عند الميزان؟ قال: تجدني عند الحوض، ولا تخطئني في هذه الثلاث)، يعني: إن لم تجدني على الصراط فستجدني عند الميزان، وإن لم تجدني عند الميزان فستجدني عند الحوض عندما تشرب منه، فهذا فيه تصريح بالصراط من قول النبي صلى الله عليه وسلم.." (٢)

"معنى الورود في قوله تعالى: (وإن منكم إلا واردها)

واختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم:٧١]، ما هو؟ والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط، قال تعالى: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم:٧٢].

وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال: (والذي نفسي بيده! لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة، قالت حفصة فقلت: يا رسول الله! أليس الله يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم:٧١]، فقال: ألم تسمعيه قال: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم:٧٢]).

أشار صلى الله عليه وسلم إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا يستلزم حصوله، بل يستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه أعداؤه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه؛ يقال: نجاه الله منهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ولما جاء أمرنا نجينا هودا﴾ [هود:٥٨].

﴿فلما جاء أمرنا نجينا صالحا﴾ [هود:٦٦].

---

(١) دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد والواسطية، عبد الرحيم السلمي ٧/١٤

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ١٢/٥٣

﴿ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا﴾ [هود:٩٤]، ولم يكن العذاب أصابهم، ولكن أصاب غيرهم، ولولا ما خصهم الله به من أسباب النجاة لأصابهم ما أصاب أولئك.

وكذلك حال الواردين النار يمرون فوقها على الصراط، ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم:٧٢]، فقد بين صلى الله عليه وسلم في حديث جابر المذكور أن الورود هو المرور على الصراط.

وروى الحافظ أبو نصر الوائلي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (علم الناس سنتي وإن كرهوا ذلك، وإن أحببت ألا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة، فلا تحدثن في دين الله حدثا برأيك)، أورده القرطبي.

وروى أبو بكر أحمد بن سلمان النجاد عن يعلى بن منية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جز يا مؤمن! فقد أطفأ نورك لهبي)].

أمور القيامة تسمى السمعيات أو الخبريات؛ لأنها لا سبيل إلى إثباتها إلا بما ثبت عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم؛ لأن العقول لا تحيط بدقائق هذه الأمور، لكن عقول البشر قد تدرك في الجملة ضرورة البعث، أما تفاصيل ما يحدث يوم القيامة من البعث والنشور والعرض والجزاء والحساب والصحف والصراط والميزان وغير ذلك، فهذه أمور لا يمكن أن ترد على خاطر أحد؛ لأنها أمور لا يعرف الناس دقائقها، فلا بد من الإيمان بها كما جاءت، والتسليم بأنها حق على حقيقتها.

فالعرض معناه: أن العباد يعرضون على الله عز وجل.

والحساب معناه: أن الله عز وجل يحاسب كل واحد منهم، ويحاسبهم جميعا في وقت واحد، وكل واحد يظن أن الله لا يحاسب غيره ولا يناجي غيره، والله على كل شيء قدير.

وكذلك الكتاب هو كتاب حقيقي، وأن كل إنسان سيقرأ كتابه المتعلم والأمي، فالله عز وجل يمكن حتى غير القارئين من أن يقرءوا كتبهم، فهو سبحانه على كل شيء قدير.

والكتاب هو الصحيفة، وقيل: إن الكتاب غير الصحيفة، وقيل: إن الكتاب هو ما فيه تفاصيل الأعمال التي كتبها الكرام الكاتبون، وأن الصحيفة هي خلاصة النتيجة وأشبه بالشهادة، وكل ذلك حق، فقد وردت النصوص بهذا وذاك، والثواب والعقاب الذي هو جزاء ذلك.

ثم ذكر الصراط وهو أمر حسي معلوم موصوف، وفي كل ما أشار إليه الشارح رد على الذين زعموا أن هذه الأمور ما هي إلا أمور توهيمية، أو أنها دلالات على معان لا على أشياء، فقال: الصراط هو الحق والعدل، وقال: إن الميزان هو العدل أيضا إلى آخره.

فهذه الآيات والأحاديث الواردة تثبت أن هذه الأمور أمور حسية حقيقية أخبرنا الله عز وجل بها، فلا مجال لتأويلها، بل لا بد أن نؤمن بها كما جاءت، فمثلا في حديث البيهقي: ذكر وصف الصراط، ووصف بعض ما يحدث للناس على الصراط من وجود النور للمؤمنين، وتفاوت النور بينهم، وهذا حق لا بد أن يثبت على حقيقته، وأنه أمر مادي محسوس يوم القيامة، وليس تعبيرا عن أمور معنوية، كذلك الصراط ووصفه بهذه الأوصاف، وأنه كحد السيف وأنه دحض، يعني: زلق، مزلة، ومزلة وصف لمعنى دحض، وأن الناس يمرون بهذا الصراط على قدر أعمالهم، فمرورهم أيضا موصوف بهذه

الأوصاف، فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب، وفي بعض الروايات كالبرق، ومنهم كالريح إلى آخره، وأن هذا الصراط صراط حقيقي على متن جهنم، وليس مجرد معان أو أمور معنوية يرمز فيها إلى رموز غير حقيقية، كما يقول الفلاسفة وأتباعهم من الجهمية وبعض المعتزلة، وكثير ممن يسمون أنفسهم بالعقلانيين والعصرانيين في العصر الحديث، فإنهم تعرضوا لهذه الأمور بالتأويل الذي يؤدي إلى إنكارها وتعطيلها.

نس." (١)

"ما جاء في الورود المذكور في الآية

Q ما معنى الورود المذكور في قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم:٧١] وحقيقة هذا الورود؟

A أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الجميع سيردون، لكن كيف هذا الورود؟ هذا هو الذي لا نستطيع أن نتحكم به في أذهاننا؛ فهو ورود غيبي لا يعلمه إلا الله عز وجل، فعلى هذا لا يمكن أن نقصر الأمور على كيفيات معينة، وربما يكون الورود ورودا عاما ووردا خاصا، وما ورد من أن هناك من المؤمنين من لا يحاسبون، وهم في ظل الله عز وجل، فهذا لا يمنع من أن يكون هذا نوعا من الجزاء، وأنهم حين يمرون على الصراط على متن جهنم يمرون ولا يشعرون، فالذين يمرون كالبرق هم بمثابة من لا يمرون، نسأل الله أن يجعلنا جميعا منهم؛ لأن لمحة البرق لا تشعر الإنسان بأنه مر على شيء، فيجمع بين النصوص على هذا النحو، أو كل نص يكون له معنى، وما دام من الأمور الغيبية فلا يجوز أن يتوهم التعارض.." (٢)

"وقد بوب الهيثمي لإثبات شفاعة الولدان هذه بقوله: (باب شفاعة الولدان) (١).

وقد جعل الله قبول لهذه الشفاعة من الأبناء لآبائهم تفضلا منه؛ لزيادة أسباب ثوابهم ورفع درجاتهم، حيث عوضهم الله من فقد ثمرة أكبادهم صغارا بقبول شفاعتهم فيهم.

فمن مات له ثلاثة من الأولاد، أو اثنان فليبشر ببشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم له بأنه لا تمسه النار إلا تحلة القسم، وأنهم يكونون له حجابا من النار، وأن الله يدخله الجنة بفضل رحمته إياهم.

وقوله صلى الله عليه وسلم: ((إلا تحلة القسم)) هذه إشارة إلى القسم المقدر في قوله تعالى: وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا أي النار، بحيث لا يدخل المسلم الذي مات له ثلاثة من الولد النار إلا تحلة لقسم الله تعالى بأن كل شخص يردها.

وقد ذكر الله في كتابه الكريم أنه يجمع بين الآباء وأبنائهم إذا اختلفت درجاتهم في الجنة إكراما للآباء لتقر أعينهم بذلك.

قال تعالى: والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين [الطور: ٢١].

وهذه البشارة للمؤمنين تشير إلى سعة فضل الله، وكرمه، وامتنانه، ولطفه، وكمال إحسانه إليهم.

قال ابن كثير: (فإذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يلحقهم بآبائهم في المنزلة، وإن لم يبلغوا عملهم، لتقر أعين الآباء بالأبناء

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٧/٨٧

(٢) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٩/٨٨

عندهم في منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل، ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته للتساوي بينه وبين ذاك) (٢). الحياة الآخرة لغالب عواجي- ١/ ٤٩٤

---

(١) ((مجمع الزوائد)) (١٠/ ٣٨٣).

(٢) ((تفسير ابن كثير)) (٧/ ٤٣٢).." (١)

"قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: دحض مزلة، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك، تكون بنجد فيها شويكة يقال لها: السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم)) (١). وروى مسلم أيضا عن أبي هريرة في وصف المرور على الصراط، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((وترسل الأمانة والرحم، فتقومان على جنبتي الصراط يمينا وشمالا، فيمر أولكم كالبرق، قال: قلت: بأبي أنت وأمي، أي شيء كالبرق؟ قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح، ثم كمر الطير وشد الرجال، تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب، سلم سلم. حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا، قال: وعلى حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به. فمخدوش ناج، ومكدوس في النار)) (٢). وروى مسلم في (صحيحه) عن أبي الزبير، أنه سمع جابر بن عبدالله يسأل عن الورود، فقال: نجيء نحن يوم القيامة عن كذا وكذا انظر إلى ذلك فوق الناس، قال: فتدعى الأمم بأوثانها، وما كانت تعبد، الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول: من تنظرون؟ فيقولون: ننظر ربنا، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك. قال: فينطلق بهم ويتبعونه، ويعطى كل إنسان منهم، منافق أو مؤمن نورا، ثم يتبعونه، وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك، تأخذ من شاء الله ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر، سبعون ألفا لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء .. (٣). وروى البخاري ومسلم في (صحيحيهما) عن أبي هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال في إجابته للصحابة عندما سألوه عن رؤيتهم الله: ((هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك، يجمع الله الناس، فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه، ويضرب جسر جهنم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأكون أول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله، فتخطف الناس بأعمالهم، منهم الموبق بعمله، ومنهم المخردل، ثم ينجوا)) (٤). وقد دلت هذه النصوص الصحيحة الصريحة الواضحة على عدة أمور مهمة، فقد ذكرت حشر الكفار إلى النار، ومسير المؤمنين إلى الجنة على الصراط، وخلاص

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٢٢/٤

المؤمنين من المنافقين، كما أشارت في جملتها إلى معنى الورود على النار الذي نص الله عليه في قوله: وإن **منكم إلا واردها** [مريم:٧١] القيامة الكبرى لعمر بن سليمان الأشقر – ص ٢٦٣

---

(١) رواه مسلم (١٨٣).

(٢) رواه مسلم (١٩٥).

(٣) رواه مسلم (١٩١).

(٤) رواه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).." (١)

"٧ – وعند ذلك يؤمرون بالدخول في النار وغضب الجبار أذلاء خاسرين فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين [النحل: ٢٩]، ولا ينجو من النار من الجن والإنس إلا الأتقياء الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين، واتبعوا ما أنزل إليهم من ربهم فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا [مريم: ٦٨ – ٧٢]. يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: في تفسير هذه الآيات: يقسم الله بنفسه وهو أعظم قسم وأجله أنهم سيحشرون بعد الموت، فهذا أمر مفروغ منه فوربك لنحشرنهم [مريم: ٦٨]، ولن يكونوا وحدهم لنحشرنهم والشياطين [مريم: ٦٨] فهم والشياطين سواء، والشياطين هم الذين يوسوسون بالإنكار، وبينهما صلة التابع والمتبوع، والقائد والمقود، وهنا يرسم صورة حسية وهم جاثون حول جهنم جثو الخزي والمهانة، ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا [مريم: ٦٨]، وهي صورة رهيبة، وهذه الجموع التي لا يحصيها العد محشورة محضرة إلى جهنم جاثية حولها، تشهد هولها، ويلفحها حرها، وتنتظر في كل لحظة أن تؤخذ فتلقى فيها، وهم جاثون على ركبهم في ذلة وفزع، وهو مشهد ذليل للمتجبرين المتكبرين، يليه مشهد النزع والجذب لمن كانوا أشد عتوا وتجبرا: ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا [مريم: ٦٩]، وفي اللفظ تشديد، ليرسم بظله وجرسه صورة لهذا الانتزاع، تتبعها صورة القذف في النار، وهي الحركة التي يكملها الخيال. وإن الله ليعلم من هم أولى بأن يصلوها، فلا يؤخذ أحد جزافا من هذه الجموع التي لا تحصى، والتي أحصاها الله فردا فردا: ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا [مريم:٧٠]، فهم المختارون ليكونوا طليعة المقذوفين. وقد غيرت هذه الآية: وإن **منكم إلا واردها** [مريم: ٧١] أحوال الصالحين، فأسهرت ليلهم، وعكرت عليهم صفو العيش، وحرمتهم الضحك، والتمتع بالشهوات، فقد ذكر ابن كثير أن أبا ميسرة كان إذا أوى إلى فراشه قال: يا ليت أمي لم تلدني، ثم يبكي، فقيل له: ما يبكيك يا أبا ميسرة؟ فقال: أخبرنا الله أنا واردوها، ولم نخبر أنا صادرون عنها. وقال عبدالله بن المبارك عن الحسن البصري، قال: قال رجل لأخيه: هل أتاك أنك وارد النار؟ قال: نعم، قال: فهل أتاك أنك صادر عنها؟ قال: لا، قال: ففيم الضحك؟ قال: فما رئي ضاحكا حتى لحق بالله، وقال ابن عباس لرجل يحاوره: أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها، فانظر هل نصدر عنها أم لا؟ (١). القيامة الكبرى لعمر بن سليمان الأشقر – ص ٢٦٨

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤/٥٠٠

(١) رواه الطبري (١٨/ ٢٣٣). وانظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٢٥٣).." (١)

"٣ - اختلاف سرعة الناس في المرور على الصراط: تختلف سرعة الناس في المرور على الصراط وذلك باختلاف قوة النور الذي يعطى لهم على قدر أعمالهم كما بينا في الفقرة السابقة، ويدل عليه حديث ابن مسعود الطويل الذي فيه يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((ويمرون على الصراط والصراط كحد السيف، دحض مزلة، فيقال لهم: امضوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كشد الرجل، يرمل رملا، فيمرون على قدر أعمالهم، حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه تخر يد، وتعلق يد، وتخر رجل، وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فيخلصون، فإذا خلصوا قالوا: الحمد لله الذي نجانا منك بعد أن أراناك لقد أعطانا الله ما لم يعط أحد)) (١).

قلت: وفي رواية أخرى عن ابن مسعود تبين أن الناس يردون النار كلهم ثم يخرجون منها بأعمالهم مع اختلاف في سرعتهم، كما قال السدي: ((سألت مرة الهمداني عن قول الله عز وجل: وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا [مريم: ٧١].

فحدثني أن عبد الله بن مسعود حدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يرد الناس كلهم النار ثم يصدرون منها بأعمالهم فأولهم كلمع البرق، ثم كمر الريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب، ثم كشد الرجال، ثم كمشيهم)) (٢).

وكذلك في رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بعد أن وصف النبي صلى الله عليه وسلم صفة الصراط، وذكر الشوكة العقيفاء، قال: ((المؤمن عليها كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل، والركاب)) (٣).

شرح الألفاظ: قال العيني: (كالطرف): بكسر الطاء وهو الكريم من الخيل وبالفتح البصر)).

قلت: المعنى الثاني هو المراد بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر بعد ذلك البرق، والريح، ومرور الخيل على الترتيب في السرعة.

أجاويد الخيل: جمع الأجود وهو جمع الجواد وهو فرس بين الجودة.

(الركاب: الإبل واحدتها الراحلة من غير لفظها). (عمدة القاري) (٢٠/ ٣٢٠).

قلت: وهناك من يزحف على الصراط زحفا كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم. حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا)) (٤).

أما آخر الناس مرورا على الصراط فهو المسحوب كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((حتى يمر آخرهم يسحب سحبا)) (٥).

---

(١) رواه الحاكم (٢/ ٤٠٨). وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ، ووافقه الذهبي،

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٥/١

وقال السيوطي في ((البدور السافرة)) (١٥٨): طريقه صحيحة متصلة رجالها ثقات، وصححه الألباني في ((صحيح الترغيب والترهيب)) (٣٦٢٩).

(٢) رواه الحاكم (٢/ ٤٠٧). وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (٣١١): إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

(٤) رواه مسلم (١٩٥).

(٥) رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).." (١)

"المبحث الأول: لفظة الورود في القرآن الكريم

قال الله تعالى: وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا [مريم: ٧١ - ٧٢].

وقد جاءت لفظة الورود في القرآن الكريم _ مرادا به الدخول في النار _ في ستة مواضع، في قوله تعالى في الآيات الآتية:

١ - وإن منكم إلا واردها [مريم: ٧١].

٢ - يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار [هود: ٩٨]

٣ - وبئس الورد المورود [هود: ٩٨].

٤ - لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها [الأنبياء: ٩٩]

٥ - ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا [مريم: ٨٦]

٦ - حصب جهنم أنتم لها واردون [الأنبياء: ٩٨]

وكان ابن عباس يستند إلى هذه الآيات في تفسيره للورود بالدخول في النار فهل الورود المذكور في الآيات يراد به الدخول في النار؟ أو مجرد المرور من غير إحساس بها؟ الواقع أن هذه المسألة هي من المسائل التي فيها خلاف بين العلماء في زمن الصحابة ومن بعدهم. الحياة الآخرة لغالب عواجي- ٢/ ١٣٤٧." (٢)

"المبحث الثاني: أقوال العلماء في معني الورود

اختلف العلماء في المراد بهذا الورود إلى أقوال كثيرة، يمكن إيجازها فيما يلي:

١ - الورود المذكور في الآية: يراد به الدخول في النار

٢ - يراد به المرور عليها؛ أي فوق الصراط

٣ - يراد به الدخول، ولكن عني به الكفار دون المؤمنين

٤ - أنه عام لكل مؤمن وكافر، غير أن ورود المؤمن المرور، وورود الكافر الدخول

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٩/٥

(٢) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٩/٥

٥ – ورود المؤمن ما يصيبه في الدنيا من حمى ومرض

٦ – أنه يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم

وتلك أشهر الأقوال.

وهناك أقوال أخرى ذكرها بعض أهل العلم منها:

٧ – القول بالتوقف في معنى الورود

٨ – ومنها القول بأن المراد بالورود هنا هو الإشراف والاطلاع والقرب منها، حيث يكونون وهم في الموقف يشاهدون النار؛ فينجيهم الله مما شاهدوه.

ونبدأ الآن بذكر عزو تلك الأقوال إلى أهلها ثم الترجيح فيما يأتي:

أما الذين فسروه بالدخول، من السلف: فمنهم ابن عباس، وابن مسعود وعبد الله بن رواحه، وجابر بن عبد الله، وأبو ميسرة، وابن جريج، وخالد ابن معدان.

أما ابن عباس، فقد اشتهر رأيه هذا، في جوابه لنافع بن الأزرق في مساءلات نافع لابن عباس المشهورة، فقد جاء نافع يسأل ابن عباس عن معنى الآية فقال ابن عباس: الورود: الدخول، وقال نافع: لا، فقرأ ابن عباس: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون [الأنبياء: ٩٨] أورود هو أم لا؟ وقال: يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود [هود: ٩٨]، أورود هو أم لا؟ أما أنا وأنت فسندخلها، فانظر هل تخرج منها أم لا؟ وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك، قال: فضحك نافع. (١)

وفي رواية أخرى لعطاء بن أبي رباح قال: قال أبو راشد الحروري – يعنى نافع بن الأزرق –: ذكروا هذا؛ فقال الحروري: لا يسمعون حسيسها [الأنبياء: ١٠٢]، قال ابن عباس: ويلك، أمجنون أنت؟ أين قوله تعالى: يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود [هود: ٩٨]، وقوله: ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا [مريم: ٨٦]، وقوله وإن **منكم إلا واردها** [مريم: ٧١]، والله إن كان دعاء من مضى: اللهم أخرجني من النار سالما وأدخلني الجنة غانما. (٢)

والروايات عن ابن عباس في هذا كثيرة وبطرق متعددة، يرى أن الورود المذكور في الآية يراد به الدخول لكل أحد؛ مسلما كان أم كافرا، وهو المشهور عنه. (٣)

قال الجمل: وهذا هو تفسير ابن عباس الصحيح عند أهل السنة. (١)

وأما جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ فقد جاء عن أبي سمية أنه قال: اختلفنا هاهنا في الورود؛ فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا: يدخلونها جميعا؛ ينجي الله الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبد الله فقلت: إنا اختلفنا ها هنا في ذلك، فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا: يدخلونها جميعا، فأهوى بأصبعيه إلى أذنيه وقال: ((صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((الورود: الدخول)) لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم، حتى إن للنار – أو قال لجهنم – ضجيجا من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر

الظالمين)) (٢). وأخرج الطبري بسنده إلى خالد بن معدان قال: (قال أهل الجنة بعدما دخلوا الجنة: ألم يعدنا ربنا الورود على النار؟ قال: قد مررتم عليها وهي خامدة).." (١)

"وأخرج كذلك عن غنيم بن قيس قال: (ذكروا ورود النار، فقال كعب: تمسك النار للناس كأنها متن إهالة حتى يستوي عليها أقدام الخلائق، برهم وفاجرهم ثم يناديهم مناد: أن أمسكي أصحابك ودعي أصحابي، قال: فيخسف بكل ولي لها، ولهي أعلم بهم من الرجل بولده، ويخرج المؤمنون ندية أبدانهم، قال: وقال كعب: ما بين منكبي الخازن من خزنتها مسيرة سنة، مع كل واحد منهم عمود له شعبتان، يدفع به الدفعة فيصرع به في النار سبعمائة ألف). (٤)

وأخرج عن أبي إسحاق، قال: (كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه قال: يا ليت أمي لم تلدني، ثم يبكي فقيل: وما يبكيك يا أبا ميسرة؟ قال: أخبرنا أنا واردوها، ولم يخبرنا أنا صادرون عنها). (٥)

وعن قيس بن أبي حازم قال: (بكى عبد الله بن رواحة في مرضه فبكيت امرأته، فقال: ما يبكيك؟ قالت: رأيتك تبكي فبكيت، قال ابن رواحة: إني قد علمت أني وارد النار فما أدري أناج منها أنا أم لا؟) (٦)

وقال أبو عمرو داود بن الزبرقان: سمعت السدي يذكر عن مرة الهمداني عن أبي مسعود: وإن **منكم إلا واردها** [مريم: ٧١]، قال: داخلها. (١)

وأخرج الحاكم عن ابن مسعود أنه سئل عن قوله: وإن **منكم إلا واردها** [مريم: ٧١]، قال: وإن منكم إلا داخلها (٢)

والروايات عن ابن مسعود كثيرة يفسر الورود في النار بالدخول فيها. (٣)

ومما يدل على أن الورود المراد به الدخول: ما جاء عن سهل بن معاذ عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من حرس وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا لا يأخذه سلطانه بحرس، لم ير النار بعينه، إلا تحلة القسم، فإن الله تعالى يقول: وإن **منكم إلا واردها** [مريم: ٧١])) (٤)

وكذا ماجاء عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من مات له ثلاثة لم تمسه النار إلا تحلة القسم)) يعني الورود. (٥)

هذا ما يتعلق بالرأي الأول وهو تفسير الورود بالدخول في النار، وهل ذلك يشمل الأنبياء والرسل وخاصة المؤمنين أو لا؟ سيأتي جوابه في مسألة خاصة به بعد عرض آراء العلماء في الورود.

٢ - أما الرأي الثاني وهو تفسير الورود بالمرور عليها:

فهو رأي قتادة وغيره من علماء السلف وفي هذا يقول الطبري: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد عن قتادة:

وإن **منكم إلا واردها** [مريم: ٧١] يعني: جهنم، مر الناس عليها. وفي رواية أخرى عن معمر عن قتادة بما سبق. (٦)

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة: ((لا يدخل النار – إن شاء الله – من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها، قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها،

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢٠/٥

فقالت حفصة: وإن **منكم إلا واردها** [مريم: ٧١] فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قد قال الله عز وجل: ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا [مريم: ٧٢])) (١).

قال النووي عن معنى الحديث ((لايدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة. .....)) إلخ.

قال العلماء: معناه لا يدخلها أحد منهم قطعا – كما صرح به في الحديث الذي قبله – وإنما قال: إن شاء الله؛ للتبرك لا للشك (٢)

وحديث حاطب الذى أشار إليه النووي هو ما رواه جابر رضي الله عنه: ((أن عبدا لحاطب جاء الرسول صلى الله عليه وسلم يشكو حاطبا فقال يا رسول الله، ليدخلن حاطب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذبت، لا يدخلها؛ فإنه شهد بدرا والحديبية)) (٢)

---

(١) رواه مسلم (٢٤٩٦).

(٢) رواه مسلم (٢٤٩٥).." (١)

"وأما قول حفصة: بلى، وانتهار النبي صلى الله عليه وسلم لها؛ فقالت: وإن **منكم إلا واردها** [مريم: ٧١]، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: وقد قال: ثم ننجي الذين اتقوا [مريم: ٧٢] – فيه دليل للمناظرة والاعتراض والجواب، على وجه الاسترشاد؛ وهو مقصود حفصة؛ لا أنها أرادت رد مقالته صلى الله عليه وسلم، والصحيح أن المراد بالورود في الآية: المرور على الصراط؛ وهو جسر منصوب على جهنم) (٤)

ويقول ابن أبي العز: واختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى: وإن **منكم إلا واردها** [مريم: ٧١] ماهو؟ والأظهر والأقوى: أنه المرور على الصراط، قال تعالى: ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا [مريم: ٧٢].

ثم قال في تعليقه على حديث حفصة المتقدم: (أشار صلى الله عليه وسلم إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا تسلتزم حصوله؛ بل تستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه عدوه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه، يقال: نجاه الله منهم، ولهذا قال تعالى: ولما جاء أمرنا نجينا هودا [هود: ٥٨].

فلما جاء أمرنا نجينا صالحا [هود: ٦٦]. ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا [هود: ٩٥] ولم يكن العذاب أصابهم ولكن أصاب غيرهم، ولولا ما خصهم الله به من أسباب النجاة لأصابهم ما أصاب أولئك، وكذلك حال الوارد في النار، يمرون فوقها على الصراط، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا). (١)

أما الرأي الثالث: وهو القول بأن الورود هو الدخول، لكنه عنى الكفار دون المؤمنين، فإن هذا الرأي يعزى إلى ابن عباس أيضا وقد ذكر هذا عنه الطبري دون تعيين اسم الراوي عن ابن عباس؛ بل قال بسنده عن شعبة قال: أخبرني عبد الله بن السائب عن رجل سمع ابن عباس يقرؤها: وإن **منكم إلا واردها** [مريم: ٧١]؛ يعني الكفار، قال: لا يردها مؤمن (٢).

ويعزى كذلك إلى عكرمة: أن المراد بالورود هنا ورود الكفار. (٣)

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢١/٥

ويذكر ابن كثير عنهما أنهما كانا يقرآن الآية وإن **منهم إلا واردها** [مريم: ٧١] يعني الكفار. (٤)

قال الجمل: لمناسبة الآيات التي قبل هذه، فإنها في الكفار وهي قوله: فوربك لنحشرنهم ، ثم لنحضرنهم، أيهم أشد، ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا، وإن **منكم إلا واردها** [مريم: ٦٨ - ٧١] وكذلك قرأ عكرمة وجماعة، لكن الأكثرون على أن المخاطب العالم كلهم كما تقدم. (٥)

أما الرأي الرابع: وهو أن الورود عام لكل مؤمن وكافر، غير أن ورود المؤمن: المرور، وورود الكافر: الدخول؛ فهذا رأي ابن زيد، وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

قال الطبري: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: وإن **منكم إلا واردها** [مريم: ٧١]: ورود المسلمين: المرور على الجسر بين ظهريها، وورود المشركين أن يدخلوها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((الزالون والزالات يومئذ كثير ووقد أحاط الجسر سماطان من الملائكة ودعواهم يومئذ: يا الله، سلم سلم)) (١)

أما الرأي الخامس: وهو أن ورود المؤمن ما يصيبه في الدنيا من حمى ومرض: فإنه يعزى هذا القول إلى مجاهد أنه قال: الحمى حظ كل مؤمن من النار، ثم قرأ وإن **منكم إلا واردها** [مريم: ٧١] ويستدل له بما أسنده الطبري إلى أبي هريرة قال: ((خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود رجلا من أصحابه وبه وعك، وأنا معه، ثم قال: إن الله يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من النار في الآخرة)) (١).." (١)

"أما الرأى السادس: وهو أن معنى الورود: هو أن يردها الجميع، ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم؛ فهذا القول يعزى أيضا إلى عبد الله بن مسعود (٢)، وقد سبق أن أشرنا إلى أنه يفسر الورود بالدخول.

ومن الأدلة لهذا القول: ما أخرجه الترمذي والإمام أحمد، عن عبد الله بن مسعود أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ((يرد الناس النار، ثم يصدرون منها بأعمالهم، فأولهم كلمح البرق، ثم كالريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب في رحله، ثم كشد الرجل، ثم كمشيه)). قال الترمذي بعد أن أخرجه: هذا حديث حسن. (٤) وهو مرفوع من رواية السدي عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود، ورواه شعبة عن السدي فلم يرفعه، وقال عبد الرحمن بن مهدي – أحد رواة الحديث – : قلت لشعبة: وقد سمعته من السدي مرفوعا ولكني عمدا أدعه. والحاصل أن الحديث مرفوع

أما بالنسبة للقول السابع؛ وهو القول بالتوقف:

فهو ما ذكره الشوكاني بعد أن نسبه إلى كثير من العلماء، وذلك في قوله: (وقد توقف كثير من العلماء عن تحقيق هذا الورود، وحمله على ظاهره لقوله تعالى: إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون [الأنبياء: ١٠١]، قالوا فلا يدخل النار من ضمن الله أن يبعده عنها). (٦)

فسبب توقفهم عن تحقيق القول في الورود: أن الله أخبر أن من سبقت لهم الحسنى لا يردون النار، وأخبر في سورة مريم أنه ما من أحد إلا وسيرد النار؛ فصاروا إلى التوقف.

لكن الآية – إن الذين سبقت لهم منا الحسنى [الأنبياء: ١٠١] إلى آخرها – تقوي قول من ذهب إلى أن الورود يراد به

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢٢/٥

المرور العادي وعدم الدخول؛ وهو ما يذهب إليه بعض العلماء.

وفي هذا يقول الشوكاني: (ومما يدل على أن الورود لا يستلزم الدخول: قوله تعالى: ولما ورد ماء مدين [القصص: ٢٣] فإن المراد أشرف عليه لا أنه دخل فيه، وقول زهير:

فلما وردن الماء زرقا جمامة ... وضعن عصي الحاضر المتخيم). (١)

أما القول الثامن – وهو ما ذكره العلامة الجمل عن بعض الفرق بقوله: (وقالت فرقة: الورود هو الإشراف والاطلاع والقرب، وذلك أنهم يحضرون موضع الحساب وهو بقرب جهنم؛ فيرونها وينظرون إليها في حالة الحساب، ثم ينجي الله الذين اتقوا مما نظروا إليه، ويصار بهم إلى الجنة، ويذر الظالمين؛ أي يأمر بهم إلى النار) (٢)،– فهو بعيد عن معنى الآية والمراد بها.

القول الراجح في معنى الورود:

بعد عرض ما سبق؛ اتضح أن معنى الورود الذي ذكره الله يحتمل معاني كثيرة، ولهذا فقد اختلف كلمة العلماء في تعريفه، والمراد منه، إلى الأقوال التي ذكرناها، والواقع أن تلك الأقوال منها ما هو قريب، ومنها ما هو بعيد إلا أنه يقال: إن القول السادس منها – وهو أنه يردها الجميع، ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم – وهو الراجح؛ لتصريح الآية به وإن **منكم إلا واردها** [مريم: ٧١] ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا [مريم: ٧٢] بالإضافة إلى ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف الصراط ومرور الناس عليه بحسب أعمالهم.

ولهذا يقول الطبري في ترجيحه:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون؛ فينجيهم الله، ويهوي فيها الكفار وورودهموها هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم، فناج مسلم ومكدس فيها. (٣)

وقال الشوكاني: (ولا يخفى أن القول بأن الورود: هو المرور على الصراط أو الورود على جهنم وهي خامدة، فيه جمع بين الأدلة من الكتاب والسنة؛ فينبغي حمل هذه الآية على ذلك؛ لأنه قد حصل الجمع بحمل الورود على دخول النار؛ مع كون الداخل من المؤمنين مبعدا من عذابها، أو يحمله على المضي فوق الجسر المنصوب عليها؛ وهو الصراط. (١)

وقد رجح ابن أبي العز أيضا القول بأن الورود يراد به المرور على الصراط كما سبق. (٢) الحياة الآخرة لغالب بن علي عواجي– ٢/ ١٣٤٧." (١)

"أحوال الناس في العرصات وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في القضاء بين الناس

وقبل أن ندخل في الشفاعة أقول: إن الناس في قبورهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (قد التقم صاحب القرن القرن وأصغى ليؤذن له فينفخ) فنحن على مقربة من الساعة، ونسأل الله أن يميتنا على الإسلام، فينفخ في الصور النفخة الثانية فإذا الناس قيام ينظرون، كلهم يحشرون على أرض غير الأرض، وسماء غير السماء، فيحشرون حفاة عراة غرلا –أي: غير مختونين– فيحشرون وقد بلغ العطش مبلغه منهم، واشتد الكرب عليهم، وكما قالت عائشة رضي الله عنها لما سمعت قول

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٥/٢٣

رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حفاة عراة، قالت عائشة مندهشة: يا رسول الله! عراة، قال: عراة، فقالت: يا رسول الله! ينظر بعضنا إلى بعض -أو ينظر الأخ إلى عورة أخيه- فقال: يا ابنة الصديق! الأمر أشد من ذلك)؛ لأن الشمس تدنو من الرءوس قدر ميل، أو قدر شبر، وكما بينت قبل ذلك: فالإنسان يغرق في عرقه، منهم من يصل العرق إلى كعبيه، ومنهم من يصل إلى ركبتيه، ومنهم من يصل العرق إلى حقويه، ومنهم من يصل العرق إلى صدره، ومنهم من يصل العرق إلى وجهه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما، فيجتمعون ويشتد الأمر عليهم وكما وصف الله جل في علاه: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ [الحج:١ - ٢] وحين هم سكارى يتخبطون ويقولون: (ألا ترون ما نحن فيه؟ ألا تدعون ربنا يكشف عنا هذه الكربة؟ ألا تشعرون بما نحن فيه من كرب شديد؟ فيقولون: نستشفع، فيذهبون فيقولون: من نجعله واسطة بيننا وبين ربنا؟ آدم، عبد خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه، فيذهبون إلى آدم فيقولون: يا آدم! أنت خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما بلغنا؟ اشفع لنا عند ربك)، ولم يطلبوا الشفاعة للتخفيف من الكرب، بل للقضاء والفصل، كما قال تعالى: ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك﴾ [الزخرف:٧٧] فكثير من الناس ينتظرون المحاكمة، والكل سينتظر المحاكمة عند الله، والفارق بعيد، فانتظار المحاكمة من البشر أمر هين، يزول في ساعة أو في ساعتين أو في دقيقة، أما المحاكمة عند الرب جل في علاه فالكل سينتظر إتيان الله جل في علاه، والكرب شديد، حتى إن آدم يقول: اللهم سلم سلم، فيقول: (ليس لي، فيقول: اذهبوا إلى نوح أول رسول، فيذهبون إلى نوح عليه السلام، فيقول: ليس لي ويذكر خطيئته، اذهبوا إلى إبراهيم أبي الأنبياء، فيذهبون إلى إبراهيم، فيحيلهم على موسى، وهو يحيلهم على عيسى، وكل نبي يقول: لست لها، لست لها، اذهبوا إلى فلان، ثم يقول عيسى عليه السلام: اذهبوا إلى محمد -بأبي هو وأمي- فيقول محمد -بأبي هو وأمي-: أنا لها أنا لها، فيذهب صلى الله عليه وسلم عند العرش فيسجد، وهذا هو المقام المحمود تكرمة من الله لمحمد صلى الله عليه وسلم على رءوس الخلائق: أن الله جل في علاه أمام الخلائق أجمعين لا يقبل أحدا يشفع في القضاء بين الناس إلا محمدا صلى الله عليه وسلم، فيأتي كرامة لمحمد عند العرش، فيخر ساجدا، فيعلمه الله محامد يثني على الله بها، فيقال له -بأبي هو وأمي-: يا محمد! ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع، فيتوسط النبي صلى الله عليه وسلم -بمعنى الشفاعة- عند الله جل في علاه ليفصل بين العباد، فيأتي الله جل في علاه فيقضي بين العباد.

وأول من يفصل الله جل في علاه بينهم، أو يقضي بينهم، أو أول من يحاكمهم الله جل في علاه هي الأمة الإسلامية.

وقبل الشفاعة يضرب الجسر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (فيضرب الجسر على متن جهنم) والجسر: هو الصراط الذي يعبرون عليه -اللهم اجعلنا ممن يعبر الصراط كطرفة عين يا رب العالمين- فتقف الأمة الإسلامية وتقف الأمم بأسرها يرون النار، فيها سبعون ألف زمام، كل زمام يجره سبعون ألف ملك -نسأل الله جل في علاه أن ينجينا منها- فتأتي النار ويضرب الجسر بين النار وبين الجنة وتقف الأمة الإسلامية على الصراط، ويصف النبي صلى الله عليه وسلم الصراط كما ثبت ذلك عن عائشة في مسند أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم وصف الصراط فقال: (أدق من الشعر، وأحد من السيف، فيه كلاليب -خطاطيف- تخطف الناس) والكلاليب كما وصفها النبي صلى الله عليه وسلم: كشوك السعدان،

فإذا أخذت بيد أحد أو برجله أو جسده فلن يفوت منها، بل لا بد من أن تنزل به إلى نار جهنم والعياذ بالله، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: كل الأمم لا يتكلمون في هذا الموقف العظيم إلا الرسل فإنهم يقولون: اللهم سلم سلم، وهذه مقولة إبراهيم ونوح وموسى وعيسى أولي العزم من الرسل، ويصف النبي صلى الله عليه وسلم عبور الناس على الصراط بأن المؤمنين الخلص الذين اتقوا ربهم وأدوا الفرائض وانتهوا عن المحرمات، وتقربوا إلى الله بالنوافل يمرون كطرفة عين، ومنهم من يمر كالريح المرسلة، ومنهم كأجاويد الخيل، ومنهم كالطير، ومنهم من يمشي، ومنهم من يزحف، وآخر هذه الأمة عبورا على الصراط هو من يحبو على الصراط، ومنهم المكردس، ومنهم الذي تخطفه الكلاليب، ومنهم الذي يخدش لكن ينجو بفضل الله عليه، اللهم اجعلنا ممن يمر على الصراط كطرفة عين.

وهذا الذي فسره ابن مسعود في قول الله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم:٧١] قال: هو المرور على الصراط، فاللهم سلم سلم، واجعلنا ممن يمر على هذا الصراط كطرفة عين.." (١)

"أي: ثقلت سيئاته على حسناته مقابل له (﴿فأولئك﴾) هذا من باب التحقير ليس من باب التعظيم، (﴿فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾) خابوا وهلكوا وباءوا بالصفقة الخاسرة، (﴿في جهنم خالدون﴾)، خالدون في جهنم، خالدون أي: ماكثون فيها دائمون مقيمون، فدل ذلك على أن الميزان ثابت وأن الذي يوزن به هنا في هذا المثال أو في هذه الآية هو الأعمال كأن المصنف يميل إلا أنها مطردة، (ولنبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – حوض في القيامة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل، وأباريقه)، أي: آنيته، (عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا)، وهذا الحوض ثابت ومحل وفاق بين أهل العلم، وهو في اللغة الجمع يقال: حاض الماء يحوضه إذا جمعه، حاض الماء يعني: الشخص نفسه إذا جمعه، ويطلق على مجتمع الماء، وشرعا حوض الماء النازل من الكوثر في عرصات القيامة للنبي – صلى الله عليه وسلم –، وهو يبدأ من أول اليوم إلى آخره ليس بوقت دون وقت آخر، ودل عليه السنة والإجماع قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «إني فرطكم على الحوض». يعني: أسبقكم، متفق عليه، وهو محل إجماع، وصفة الحوض كما جاء في كثير من النصوص طوله شهر وعرضه شهر وزواياه سواء، يعني: ليس من جهة أطول من جهة، وآنيته كنجوم السماء، وماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأطيب من ريح المسك فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والثاني من فضة يرده المؤمنون من أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – ومن يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا، وكل هذا ثابت في الصحيحين أو في أحدهما، وهو موجود الآن لقوله – صلى الله عليه وسلم –: «وإني لأنظر إلى حوضي الآن». رواه البخاري. فهو موجود كما قلنا الشأن في يأجوج ومأجوج، واستمداده من الكوثر لقوله – صلى الله عليه وسلم –: «وأعطاني الكوثر». وهو نهر في الجنة يسيل في الحوض، الكوثر في الجنة ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ [الكوثر: ١] قيل الخير الكثير، وقيل الذي هو نهر في الجنة ويصب في الحوض وهو يكون خارج الجنة، رواه أحمد، قال ابن كثير: وهو حسن الإسناد دون المتن. إذا قوله: (ولنبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – حوض في القيامة). هذا ثابت بالنص والإجماع، ثم ذكر من صفاته ماؤه هو أشد بياضا من اللبن، يعني: هو أبيض بل هو أشد بياضا، وأحلى من العسل وآنيته عدد نجوم السماء من شرب منه

(١) شرح لمعة الاعتقاد – محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٣/٢٠

شربة لم يظمأ بعدها أبدا، (والصراط حق يجوزه الأبرار)، يعني: يعبرنه حتى يجاوزوه، (ويزل عنه الفجار)، يزل يعني: يسقطون فيه في النار، (والصراط حق)، أي: ثابت، الصراط في اللغة هو: الطريق، وشرعا الجسر الممدود على جهنم ليعبر الناس عليه إلى الجنة وهو ثابت في الكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١]. فسرها ابن مسعود وقتادة وزيد بن أسلم بالمرور على الصراط ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ هذا قسم من الرب جل وعلا، وفسرها ابن عباس وغيره بالدخول في النار لكن ينجوا منها، وقال – صلى الله عليه وسلم –: «ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلم سلم».دد." (١)

"الصراط وأدلة ثبوته ووجوب الإيمان به

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وكذا الصراط يمد فوق جهنم فمسلم ناج وآخر مهمل].

الصراط في اللغة: الطريق، يقول الله عز وجل: ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه﴾ [الأنعام:١٥٣]، ويقول عز وجل: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة:٦] يعني: الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، والمراد به هنا هو الجسر الذي يكون على جهنم، وهو أن الله عز وجل بعد الموقف يحاسب العباد ثم يمرون عليه، أما الكفار فإنهم يسحبون إلى جهنم، وأما أهل الإسلام من كل الأمم فيمرون على هذا الصراط، وبعد الصراط يكون الحوض، وبعد الحوض تكون الجنة.

وقد ثبت الصراط في القرآن، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم:٧١ – ٧٢]، هذه الآية جاءت في الصراط، فإن قوله: (وإن منكم إلا واردها) يعني: وارد هذه النار، وهذا الورود يكون من فوق الصراط، فكل الناس يمرون على هذا الصراط، بما فيهم الأنبياء الكرام؛ ولهذا يكون كلامهم: (اللهم سلم سلم).

وقد ورد في صحيح مسلم من حديث حفصة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (والذي نفسي بيده لا يلج أحد بايع تحت الشجرة)، يعني: لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، (فقالت له حفصة: يا رسول الله! إن الله تعالى يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم:٧١]، قال: ألم تقرئي بعد ذلك: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم:٧٢]؟).

فهذا يدل على أن حفصة رضي الله عنها فهمت من هذه الآية ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم:٧١] مرور هؤلاء على النار من فوق الصراط، والنبي صلى الله عليه وسلم أقر هذا الفهم، لكنه بين أن المرور والورود لا يعني التعذيب؛ لأن أهل الإيمان ينجيهم الله سبحانه وتعالى من النار وإن كانوا يمرون عليها.

وقد ورد ذكر جسر جهنم في صحيح البخاري، في باب الصراط جسر جهنم، في كتاب الرقاق، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، في حديث طويل في ذكر الشفاعة.

وموطن الشاهد الذي يعنينا في موضوع الصراط قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ويضرب جسر جهنم، قال: فأكون أول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، يقول: وبه – يعني: بهذا الصراط – كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، فتختطف

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٥/٣٠

الناس بأعمالهم، منهم الموبق بعمله، ومنهم المخردل ثم ينجو)، والمراد بكلمة المخردل يعني: المقطع، الذي قطعه الصراط؛ ولهذا جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في وصف الصراط أنه قال: (لجهنم جسر أدق من الشعرة، وأحد من السيف، عليه كلاليب وحسك، تأخذ من شاء الله، والناس عليه كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل، والركاب – يعني: الإبل – والملائكة يقولون: سلم سلم، فناج مسلم، ومخدوش مسلم – يعني: سالم من النار وإن كان أصابه خدش وقطع –، ومكردس في النار على وجهه)، ومعنى مكردس يعني: مجموعة يداه ورجلاه وهو يلقى في نار جهنم.

وهذا الحديث رواه الإمام أحمد في المسند وفي إسناده ابن لهيعة، وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى أن الراوي عن ابن لهيعة هو يحيى بن إسحاق، وقد روى عنه قديما قبل الاختلاط؛ لأن عبد الله بن لهيعة كان قاضيا في مصر، واحترقت كتبه، وكان ضبطه من كتبه، فلما احترقت كتبه، أصبح يملي من حفظه فيخلط، فمن روى عنه قبل احتراق كتبه التي كانت في مصر في تلك الفترة فإن روايته قوية، ومن لم يرو عنه إلا بعد احتراق كتبه، فإن روايته ضعيفة وليست مقبولة.

إذا: فالصراط من القضايا الواردة في أوساط اليوم الآخر ويوم القيامة، ويجب الإيمان به، وقد أنكر الصراط طوائف من أهل الاعتزال والخوارج وبعض الشيعة؛ لأنه لا يتوافق مع معقولاتهم، ولهم ضلال كبير في باب السمعيات، والمقصود بباب السمعيات: هو الباب الذي يتلقى منه الأخبار الواردة من القرآن والسنة، وليس للعقل فيه مجال، فهم يريدون أن يجعلوا هذه المسائل من المسائل المعقولة؛ ولهذا وقعوا في ضلال كبير.." (١)

"سلام الله على عباده في الجنة لا في موقف الحساب

قال الشارح: [وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من الصلاة المكتوبة يستغفر ثلاثا ويقول: (اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام!)، وفي الحديث: (إن هذا هو تحية أهل الجنة لربهم تبارك وتعالى)، وفي التنزيل ما يدل على أن الرب تبارك وتعالى يسلم عليهم في الجنة، كما قال تعالى: ﴿سلام قولا من رب رحيم﴾ [يس:٥٨]].

هذا جاء مكررا في القرآن في آيتين من كتاب الله جل وعلا: ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ [الأحزاب:٤٤]، ولقاء الله جل وعلا يكون في الموقف بين عباده، ولكن الموقف مكان محاسبة، وليس مكان إكرام.

ولهذا لما سئل ابن عمر: كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى؟ أي: مناجاة الله لعبده.

وهذا شيء عظيم جدا، كونه يناجيه جل وعلا، وهذه لا تقاس بما يعرفه الإنسان؛ لأن نجواه تكون لعباده كلهم في آن واحد، كل واحد يتصور أنه لا يكلم إلا هو، وهو يكلم جميع المؤمنين في ذلك الموقف.

يقول ابن عمر: (سمعته يقول: يدني عبده المؤمن فيضع عليه كنفه)، والكنف هو: الستر، يستره عن الذين يشاهدونه في الموقف، لأنه يقرره بذنوبه، ولا يوجد أحد يخلو من الذنوب أبدا.

فإذا قال: (فعلت كذا يوم كذا وكذا)، وتركت كذا من الأمور الواجبة، عندها يخجل كثيرا فيتغير وجهه، فلأجل هذا ستره الله، حتى لا يراه المؤمنون ويقولون: إنه قد هلك.

قال: (فإذا رأى أنه قد هلك؛ قال الله له: أنا سترتها عليك في الدنيا وأغفرها لك اليوم)، فيعطى كتابه بيمينه فيصبح فرحه

---

(١) شرح القصيدة اللامية لابن تيمية – عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٣/٥

فوق ما يتصور، حتى يصبح يمد كتابه أمام الناس ويقول: ﴿هاؤم اقرءوا كتابيه﴾ [الحاقة:١٩] يعني: يا هؤلاء! اقرءوا كتابي، كأنه لا يهمهم إلا قراءة كتابه، فالفرح استولى عليه، وكان أولا يظن أنه قد هلك.

فالمقصود أن الموقف وإن كان فيه الكلام، وإن كان فيه اللقاء، فكلام الله جل وعلا في الموقف هو محل مناقشة ومحل مسائلة، فقد يكون الإنسان عنده مواقف حرجة جدا، حتى يرى أنه قد هلك، فإذا أوتي كتابه بيمينه بدأت السعادة تظهر عليه، أما التحية واللقاء فلا تكون إلا في الجنة.

ولهذا لما قيل للإمام أحمد: متى يأمن المؤمن؟ قال: يأمن إذا وضع أول قدم له في الجنة.

أما قبل هذا فلا يأمن؛ لأن النار أمامه، فالنار بين الناس الواقفين وبين الجنة، فلا يوجد عبور على الجنة، ولهذا يقول الله جل وعلا: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم:٧١]، قوله: (وإن) تفيد القسم وأن كل واحد سيرد.

وورود الشيء لا يلزم منه الدخول، فقد يرد عليه ولا يدخله وقد يدخله.

فالسلام الذي يكون من رب العالمين لعباده يكون في الجنة.." (١)

"السبل التي تعترض الصراط المستقيم، وأنواع الصراط

قال الشارح رحمه الله: [وقوله تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ [الأنعام:١٥٣]، قال القرطبي: هذه آية عظيمة عطفها على ما تقدم، فإنه نهى وأمر وحذر عن اتباع غير سبيله على ما بينته الأحاديث الصحيحة وأقاويل السلف، و (أن) في موضع نصب، أي: (أتلو أن هذا صراطي) عن الفراء والكسائي، ويجوز أن يكون خفضا أي: (وصاكم به، وبأن هذا صراطي)، قال: والصراط: الطريق الذي هو دين الإسلام.

(مستقيما) نصب على الحال، ومعناه: مستويا قيما لا اعوجاج فيه.

فأمر باتباع طريقه الذي طرقه على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وشرعه ونهايته الجنة وتشعبت منه طرق، فمن سلك الجادة نجا، ومن خرج إلى تلك الطرق أفضت به إلى النار، قال الله تعالى: ﴿ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ [الأنعام:١٥٣] أي: تميل.

انتهى.

وروى الإمام أحمد والنسائي والدارمي وابن أبي حاتم والحاكم -وصححه- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده، ثم قال: هذا سبيل الله مستقيما.

ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله، ثم قال: وهذه سبل ليس منها سبيل إلا وعليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل﴾ [الأنعام:١٥٣] الآية)، وعن مجاهد: ﴿ولا تتبعوا السبل﴾ [الأنعام:١٥٣] قال: البدع والشهوات].

هذا الحديث الذي ذكره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدلنا على أن الحق واحد لا يتعدد، بخلاف الباطل فإنه متعدد وكثير، ولهذا جعل طريق الله خطا واحدا، فقال: (خط خطا واحدا مستقيما فقال: هذا صراط الله.

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ١١٧/١٠

ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله فقال: هذه سبل، ليس منها سبيل إلا وعليه شيطان يدعو إلى الله).
أي: إذا سلكه الإنسان أفضى به إلى النار، وهذا يدلنا على أنه ليس هناك طريق إلى الجنة ونجاة للإنسان إلا بالسير خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط، ولا يوجد غير هذا، فإن سار الإنسان خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل ما جاء به واهتدى به عملا واعتقادا وقولا فهو الناجي الذي يكون سعيدا في الدنيا والآخرة، أما إذا مال يمينا وشمالا عن هذا الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فسوف تتولاه الشياطين وتسلك به المسالك التي تهوي به إلى النار -نسأل الله العافية-، ولهذا وضح الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك بالخطوط.
ثم بين صراط الله الذي وصانا الله باتباعه في قوله: ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه﴾ [الأنعام:١٥٣]، وأمر الله واجب الأخذ به، وقد جاءت عبارة السلف في تفسيره مختلفة الألفاظ متفقة المعاني، فمنهم من قال: صراط الله: كتاب الله القرآن. ومنهم من قال: صراط الله: ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة، ومنهم من قال: صراط الله: الإسلام.
وهذا كله حق، وكله يؤول إلى شيء واحد، وأن الصراط الذي أمرنا جل وعلا بالتمسك به واتباعه وسلوكه هو ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من القرآن ومن السنة ومن كل ما أمرنا به، وهذا الصراط معنوي أوجب ربنا جل وعلا أن نسلكه، وهو الذي أوجب علينا في كل ركعة من ركعات الصلاة أن نبتهل إليه ونسأله أن يهدينا هذا الصراط: ﴿اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ [الفاتحة:٦ - ٧]، وهذا فرض على الإنسان إذا صلى أن يسأل ربه أن يهديه هذا الصراط، وكثير من المفسرين يقول: معنى (اهدنا الصراط): ثبتنا عليه.
والواقع أن هذا فيه شيء من القصور؛ لأن الإنسان لا تكمل هدايته كما ينبغي حتى يضع أول قدم له في الجنة، وأما قبل أن يدخل الجنة فهو بحاجة إلى هداية دائما، وبحاجة إلى زيادة من الهداية، فهو في الدنيا يحتاج إلى زيادة يقين وإيمان، ويحتاج إلى زيادة عمل يرضي ربه جل وعلا به، وكذلك في الآخرة يحتاج إلى زيادة تثبيت أن يثبته الله جل وعلا بالقول الثابت، كما قال الله جل وعلا: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ [إبراهيم:٢٧] يعني: عند السؤال.
وليس كما يقول بعض الناس: إن الآخرة ليست محل تكليف، فإذا مات الإنسان انتهى تكليفه، بل ما دام الإنسان لم يدخل الجنة والنار فهو في محل يبتلى ويسأل ويمتحن، فيثبت الله جل وعلا من يشاء، ويضل من يشاء، فالسؤال في القبر افتتان يفتتن الإنسان به، وكذلك في المواقف التي تسمى عرصات القيامة، ولهذا يختلف الناس فيها اختلافا عظيما من شدة أو سهولة فيما يلاقونه، فمن كانت -مثلا- ذنوبه كثيرة اشتد الأمر عليه فيكون ذلك جزاء له، ومنهم من يأكل ويشرب والناس يحاسبون، ومنهم من يكون في ظل العرش والناس في حر الشمس، وكل هذا من التكليف، ثم قد قص الله جل وعلا علينا قصص بعض عباده، وأن من الناس من إذا سألهم الله جل وعلا: ماذا كنتم تعبدون؟ ولماذا أشركتم؟ قالوا -كما حكى الله عنهم-: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ [الأنعام:٢٣]، فيقسموا بالله ما كانوا مشركين وهم مشركون، فيقول الله: ﴿انظر كيف كذبوا على أنفسهم﴾ [الأنعام:٢٤] وكذلك يقول الله جل وعلا: ﴿يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾ [المجادلة:١٨]، أي: يحلفون لله يوم القيامة كذبا، كما يحلفون للناس

اليوم؛ لأنهم جعلوا الحلف جنة يجتنون به ويستترون به عما قد يعود عليهم باللوم أو بالضرر أو بالعقاب أو بغير ذلك، فليس الأمر على إطلاقه أن الآخرة ليست دار تكليف، نعم الجنة ليست دار تكليف، فإذا دخلوا في الجنة فليس فيها تكليف، وإنما يلهمون التسبيح والتهليل كما يلهمون النفس ثم إن الصراط المعنوي هذا الذي أمرنا بالتمسك به واتباعه، فإذا تمسكنا به ثبتت أقدامنا على الصراط الحسي الذي هو الطريق إلى الجنة، وهو جسر ينصب فوق جهنم لا يوجد أحد ينجو من النار إلا من فوقه، كما قال تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١]، وقد جاء وصفه بأنه فوق متن النار، أحر من الجمر، وأحد من السيف وأروغ من الثعلب.

إذا: السلوك يكون بالعمل، فمن الناس من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر مثل البرق إذا برق، ومنهم من يكون مثل الريح، ومنهم من يكون مثل جواد الخيل، ومنهم من يركض ركضا، ومنهم من يحبو، ومنهم من يقوم ويسقط، ومنهم من تخطفه الخطاطيف التي تكون عليه وتلقيه في النار.

وأنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقي يخدمه منذ أن قدم المدينة إلى أن توفاه الله جل وعلا، فسأله الشفاعة، فقال: (أنا فاعل إن شاء الله، فقال: أين أجدك؟ قال: اطلبني في ثلاثة أماكن: عند الحوض، فإن لم تجدني فعند الميزان، فإن لم تجدني فعند الصراط) فعند الصراط لا يوجد أحد يتكلم إلا الرسل؛ لأن الرسل يقفون ينظرون مرور أممهم، وكلامهم: اللهم سلم سلم! أما الناس كلهم فهم سكوت، ولا يوجد أحد يتكلم لشدة الأمر وهوله، وتحتهم جنهم تتلظى، والسلوك على طريق وعر جدا، وعر لا يمكن يسلك إلا بالعمل، فمن ثبته الله وكان مستقيما على هذا الصراط الذي هو الإسلام نجا وإلا زلت به قدمه وهوى، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: (والصراط عليه كلاليب مثل شوك السعدان –ثم يقول لأصحابه– هل رأيتم السعدان؟ إنها شويكة في عشبة تخرج في نجد)، تكون معكوفة الرأس، ولكن لا يقدر عظمها إلا الله جل وعلا، تخطف من أمرت بخطفه، فمنهم مخدوش مسلم، ومنهم مكردس على رأسه في النار، ومنهم من يحبو مرة ويتعلق بيده أو برجله مرة، فالأمر صعب جدا، وهذا يكون لمن يتعثر على صراط الله الذي جعله مسلكا لعباده في هذه الدنيا، فمن تعثر عليه ومال يمينا وشمالا مالت رجله عن ذلك الصراط، وربما سقط وربما تعلق، فالواجب على العبد أن يتبع صراط الله جل وعلا ولا يميل ولا تأخذه السبل الكثيرة، فالسبل الكثيرة هي التي تهوي به إلى النار، فكل من سلك سبيلا غير السبيل الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لن يستطيع العبور على الصراط.." (١)

"شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في أهل الموقف

قبل أن أتكلم على الشفاعة أقول: إن صاحب القرن قد التقم القرن، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (التقم صاحب القرن القرن، وأصغى ليؤذن له)، فإذا نفخ النفخة الأولى، صعق جميع الناس، وإذا نفخ في الصور النفخة الثانية فإذا الناس قيام ينظرون.

وكلهم يحشرون على أرض غير هذه الأرض وسماء غير هذه السماء، ويحشر الناس حفاة عراة غرلا، أي: غير مختونين، ويبلغ العطش منهم مبلغه، ويشتد عليهم الكرب.

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٢/٧

وعائشة رضي الله عنها اندهشت عندما سمعت هذه الأوصاف من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت: (يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضنا إلى بعض، فقال: يا ابنة الصديق، الأمر أشد من ذلك).

أي: أن الشمس تدنو من الرءوس قدر ميل، فيبدأ العرق يتصبب من الناس، فمنهم من يصل العرق إلى كعبيه، ومنهم من يصل إلى ركبتيه، ومنهم من يصل إلى حقويه، ومنهم من يصل إلى صدره، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما.

فيشتد الأمر عليهم، كما وصف الله جل في علاه ذلك الموقف فقال: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ [الحج:١ - ٢].

سكارى يتخبطون يقولون: ألا تدعون ربنا يكشف عنا هذه الكربة؟ ألا تشعرون بما نحن فيه من كرب شديد؟! فيجتمع رأيهم على أن يستشفعوا عند الله، ثم يقولون: من هو الذي يشفع لنا عند الله؟ فيذكرون آدم عليه السلام ويقولون: آدم عبد خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه، فيذهبون إلى آدم فيقولون: يا آدم، أنت خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما بلغ بنا من الكرب، فاشفع لنا عند ربك؛ ليخفف عنا ويفصل بيننا؟ فيقول آدم: أنا لست لها، لكن اذهبوا إلى نوح فإنه أول رسول أرسل إلى الأرض.

فيذهبون إلى نوح عليه السلام، فيقول: لست لها، ويذكر خطيئته، لكن اذهبوا إلى إبراهيم أبي الأنبياء.

فيذهبون إلى إبراهيم فيحيلهم على موسى، وموسى يحيلهم على عيسى، وكل نبي يقول: لست لها لست لها، اذهبوا إلى فلان، ثم يقول عيسى عليه السلام: اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم.

فيقول عليه الصلاة والسلام: أنا لها، أنا لها، فيذهب صلى الله عليه وسلم إلى تحت العرش فيسجد، وهذا هو المقام المحمود؛ تكرمة من الله لمحمد صلى الله عليه وسلم على رءوس الخلائق، أن الله جل في علاه لا يقبل أحدا يشفع لفصل القضاء بين الناس إلا محمدا صلى الله عليه وسلم.

فيأتي صلى الله عليه وسلم، فيخر ساجدا فيعلمه الله محامد يثني عليه بها، فيقال له: يا محمد، ارفع رأسك وسل تعطه، واشفع تشفع، فعند ذلك يرفع رأسه صلى الله عليه وسلم ويطلب من الله سبحانه وتعالى أن يأتي لفصل القضاء بين العباد.

ويأتي الله جل في علاه فيفصل بين العباد، وأول من يفصل الله جل في علاه بينهم الأمة الإسلامية.

ثم يضرب الجسر على متن جهنم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، والجسر: هو الصراط الذي يعبرون عليه إلى الجنة فمنهم من يجتازه كطرفة عين، ومنهم من يهوي في جهنم والعياذ بالله.

وهو أدق من الشعرة وأحد من السيف، فيه كلاليب -أي: خطاطيف- تخطف الناس، هذه الكلاليب وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بأنها كشوك السعدان، وهي إذا أخذت بيد أحد أو برجله، فلن يفلت منها، بل لا بد أن تنزل به إلى نار جهنم والعياذ بالله.

وفي هذا الموقف العظيم لا أحد من الناس يتكلم إلا الرسل، يقولون: (اللهم سلم سلم)، هذه مقولة إبراهيم ونوح وموسى وعيسى وأولي العزم من الرسل.

ويصف النبي صلى الله عليه وسلم عبور الناس على الصراط، فالمؤمنون الخلص الذين أطاعوا ربهم وأدوا الفرائض، وانتهوا عن

المحرمات، فإنهم يمرون كطرفة عين، وكأجاويد الخيل، وكالريح المرسلة.
وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن أول أمة يعبرون الصراط هي الأمة الإسلامية؛ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أنا وأمتي أول من يجيز الصراط) والحمد لله على أن جعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.
فمنهم من يجتاز الصراط كطرفة عين، ومنهم من يجتازه كالريح المرسلة، ومنهم من يجتازه كأجاويد الخيل، وكالطير، ومنهم من يمشي، ومنهم من يزحف، وآخر هذه الأمة عبورا على الصراط هو من يحبو على الصراط، ومنهم المكردس، ومنهم الذي تخطفه الكلاليب، ومنهم الذي يخدش لكن ينجو بفضل الله عليه.
وقد فسر ابن مسعود رضي الله عنه قول الله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم:٧١] حيث قال: هو المرور على الصراط.
إذا: يأتي محمد صلى الله عليه وسلم فيشفع في الخلائق الشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود الذي وعده ربه جل وعلا.." (١)
(٢١)"

باب الإيمان بالصراط
قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١ - ٧٢].
وفي حديث أبي هريرة وأبي سعيد الطويل: «ويضرب جسر جهنم فأكون أول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم شوك السعدان؟»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «فإنها مثل شوك السعدان، غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى، فتخطف الناس بأعمالهم، منهم الموبق بعمله، ومنهم المخردل ثم ينجو ... » وذكر الحديث. متفق عليه (١).
وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، قال: "الصراط على جهنم مثل حد السيف، فتمر الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم، ثم يمرون والملائكة يقولون: اللهم سلم سلم". رواه ابن جرير (٢).
* * * * *

---

(١) البخاري (رقم ٢٤١١، ٢٤١٢)، ومسلم (رقم ١٨٢، ١٨٣).
(٢) تفسير الطبري (١٦/ ١١٠).." (٢)

---

(١) شرح كتاب الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق لابن تيمية - محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٣/٨
(٢) المنهج الصحيح، عبد الله بن محمد الغنيمان ص/٣٧

"٩٨٢ – أخبرنا أبو مصعب، قال: حدثنا مالك، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد، فتمسه النار، إلا تحلة القسم لقوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ .." (١)

"٣٠٩ – أخبركم أبو عمر بن حيويه، وأبو بكر الوراق قالا: أخبرنا يحي قال: حدثنا الحسين قال: أخبرنا ابن المبارك، عن عباد المنقري قال: حدثنا بكر بن عبد الله المزني قال: نزلت هذه الآية: ﴿ﷺوإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] ذهب عبد الله بن رواحة إلى بيته فبكى، فجاءت امرأته فبكت، فجاءت الخادم فبكت، وجاء أهل البيت فجعلوا يبكون، فلما انقطعت عبرته، قال: «يا أهلاه، ما الذي أبكاكم؟» قالوا: لا ندري، ولكن رأيناك بكيت فبكينا، قال: «إنه أنزلت على رسول الله آية ينبئني فيها ربي عز وجل أني وارد النار، ولم ينبئني أني صادر عنها، فذلك الذي أبكاني»." (٢)

"١٤١٧ – حدثنا الحسين، أخبرنا حجاج بن محمد، عن ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: أخبرتني أم مبشر، أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة: ﷺ«لا يدخل النار أحد من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها» ، قالت حفصة: بلى يا رسول الله، فانتهرها، قالت: أليس الله يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢]." (٣)

"١٤١٨ – حدثنا الحسين، أخبرنا الفضل بن موسى، أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان، عن أبي عبيد الله، عن مجاهد قال: جاء رجل إلى ابن عباس، فقال: أرأيت قول الله: ﴿ﷺوإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١] ، قال: «أما أنا وأنت فسنردها، فانظر هل نصدر منها أم لا؟»." (٤)

"نا نعيم قال: نا ابن المبارك قال: أنا سعيد الجريري، عن أبي السليل، عن غنيم، عن أبي العوام، عن كعب أنه قال: " هذه الآية ﴿ﷺوإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] قال: هل تدرون ما ورودها؟ قالوا: الله أعلم، قال: فإن ورودها أن يجاء بجهنم، وتمسك للناس كأنها متن إهالة، حتى إذا استقرت عليه أقدام الخلائق برهم وفاجرهم ناداها مناد –[١٢٢]– أن خذي أصحابك ودعي أصحابي. . . بكل ولي لها، فهي أعلم بهم من الوالد بولده، وينجو المؤمنون "." (٥)

"٢٤٢٣ – وبإسناده عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ﷺلا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم» قال الزهري: كأنه يريد هذه الآية ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] الآية." (٦)

---

(١) موطأ مالك رواية أبي مصعب الزهري مالك بن أنس ٣٨٨/١

(٢) الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد ابن المبارك ١٠٤/١

(٣) الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد ابن المبارك ٤٩٨/١

(٤) الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد ابن المبارك ٤٩٩/١

(٥) الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد ابن المبارك ١٢١/٢

(٦) مسند أبي داود الطيالسي أبو داود الطيالسي ٦٧/٤

". . . . .

= وضعفه ابن معين والعقيلي وزاد: ((كان يتناول الشيخين)) ، وقال أبو حاتم: ((يكتب حديثه ولا يحتج به)) ، وقال أبو زرعة: ((لين)) ، وقال الجوزجاني: ((هو كذاب شتام)) ، وقال حسين بن واقد: ((سمعت من السدي، فأقمت حتى سمعته يتناول أبا بكر وعمر، فلم أعد إليه)) ، وقال عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت: سمعت الشعبي وقيل له: إن السدي قد أعطي حظا من علم القرآن، فقال: ((أعطي حظا من جهل بالقرآن)) ، وكانت وفاته سنة سبع وعشرين ومائة. اهـ. من "الجرح والتعديل" (٢ / ١٨٤ - ١٨٥ رقم ٦٢٥) ، و"تهذيب الكمال" المطبوع (٣ / ١٣٣) ، و"التهذيب" (١ / ٣١٣ - ٣١٤ رقم ٥٧٢) .

(٢) طريق أبي وائل عن ابن مسعود موقوفا عليه ... ، فذكره بنحوه وهو جزء من حديث طويل في وصف بعض أحوال الآخرة.

ذكره الحافظ ابن كثير في "النهاية" (٢ / ١٧٥) وعزاه للبيهقي في "البعث والنشور"، من طريق حماد بن سلمة، عن أبي عاصم، عن أبي وائل.

(٣) طريق أبي الأحوص، عن ابن مسعود في قوله: (وإن منكم إلا واردها) [الآية (٧١) من سورة مريم] ، قال: الصراط على متن جهنم مثل حد السيف، فتمر الطبقة الأولى، كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم، ثم يمرون والملائكة يقولون: اللهم سلم سلم.

أخرجه الطبراني في "تفسيره" (١٦ / ١١٠ / طبعة الحلبي)

والحاكم في "المستدرك" (٢ / ٣٧٥ - ٣٧٦) .

أما الطبراني فمن طريق النضر، وأما الحاكم فمن طريق عمرو بن طلحة، كلاهما عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود، به، واللفظ للطبري، ونحوه لفظ الحاكم.

قال الحاكم: ((هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)) ، ووافقه الذهبي.

وقد أورد الحافظ ابن كثير هذا الحديث في "تفسيره" (٣ / ١٣٢) من رواية الطبري، ثم قال: ((ولهذا شواهد في الصحيحين وغيرهما من وراية أنس =." (١)

"تفسير سورة المائدة

٧١١- حدثنا سعيد، قال: نا حديج بن معاوية (١) ، عن أبي إسحاق (٢) ، عن أبي ميسرة (٣) ، قال: آخر سورة أنزلت في القرآن سورة المائدة، وإن فيها لسبع عشرة فريضة (٤) .

---

(١) تقدم في الحديث [١] أنه صدوق يخطئ.

---

(١) التفسير من سنن سعيد بن منصور - محققا سعيد بن منصور ٥٢٧/٢

(٢) هو السبيعي، تقدم في الحديث [١] أنه ثقة، إلا أنه مدلس، واختلط بأخرة، ولم يصرح هنا بالسماع، ولم يذكر حديج فيمن روى عنه قبل الاختلاط.

(٣) هو عمرو بن شرحبيل الهمداني، أبو ميسرة الكوفي، ثقة عابد مخضرم روى له الجماعة إلا ابن ماجه، روى عن عمر وعلي وابن مسعود وحذيفة وسلمان وغيرهم، روى عنه أبو إسحاق السبيعي وأبو وائل شقيق بن سلمة ومسروق وغيرهم، روى عنه إسحاق السبيعي وأبو وائل شقيق بن سلمة ومسروق وغيرهم، وكانت وفاته سنة ثلاث وستين للهجرة، كان أبو وائل يقول: ((ما اشتملت همدانية على مثل أبي ميسرة، قيل له: ولا مسروق، فقال: ولا مسروق)) ، وقال في رواية: ((كان من أفاضل أصحاب عبد الله)) ، وقال علي بن المديني: ((أعلم الناس بعبد الله: علقمة والأسود وعبيدة والحارث بن قيس وعمرو بن شرحبيل ... ، فكان علم هؤلاء وحديثهم انتهى إلى سفيان بن سعيد)) ، وقال مسروق: ((ما بالكوفة أحب إلي أن أكون في مسلاخه من عمرو بن شرحبيل)) ، وكذا قال أبو وائل شقيق بن سلمة، وقال أبو إسحاق السبيعي: ((رأيت أبا جحيفة في جنازة أبي ميسرة آخذا بقائمة السرير حتى أخرج، ثم جعل يقول: غفر الله لك يا أبا ميسرة، فلم يفارقه حتى أتى القبر)) ، وقال أبو إسحاق أيضا: ((كان أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل يقول: ليت أمي لم تلدني، فقالت له امرأته: لم يا أبا ميسرة؟ قال: لأني أوعدت أني وارد، ولم أوعد أني صادر)) - يعني قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [الآية (٧١) من سورة مريم] ، ،وثقه ابن معين، وذكره ابن حبان في ثقاته وقال: ((كان من العباد، وكانت ركبته كركبة البعير من كثرة الصلاة)) . اهـ. من "طبقات ابن سعد" (٦ / ١٠٦ - ١٠٩) ، =." (١)

"٣٤١٧٢ - حدثنا يزيد بن هارون، قال أخبرنا الجريري، عن غنيم بن قيس، عن أبي العوام، قال: قال كعب: ﷺهل تدرون ما قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] فقالوا ، ما كنا نرى واردها إلا دخولها ، قال: فقال: لا ولكنه يجاء بجهنم فتمر للناس كأنها متن إهالة حتى استوت عليها أقدام الخلائق برهم وفاجرهم ناداها مناد: خذي أصحابك وذري أصحابي ، فتخسف بكل ولي لها فهي أعرف من الوالد بولده ، وينجو المؤمنون ندية ثيابهم قال: وإن الخازن من خزنة جهنم ما بين منكبيه مسيرة سنة ، معه عمود من حديد له شعبتان يدفع به الدفعة فيكب في النار سبعمائة ألف أو ما شاء الله "." (٢)

"١٩٨٦ - أخبرنا أبو معاوية، نا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر، عن حفصة قالت -[١٩٠]- : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ﷺإني لأرجو أن لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية» قالت: فقلت: يا رسول الله، أليس يقول الله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١] قال: ألا ترين إنه يقول: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢] "." (٣)

---

(١) التفسير من سنن سعيد بن منصور - محققا سعيد بن منصور ١٤٣٥/٤

(٢) مصنف ابن أبي شيبة أبو بكر بن أبي شيبة ٥٥/٧

(٣) مسند إسحاق بن راهويه إسحاق بن راهويه ١٨٩/٤

"١٩٩٥ - أخبرنا عبد الله بن إدريس، أنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر بن عبد الله، عن أم مبشر امرأة زيد بن حارثة: " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما وهو في بيت حفصة: «إنه ﷺلا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية» فقالت حفصة: يا رسول الله، أليس يقول الله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] . قال: " فمه ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢]
-[١٩٧]- "

١٩٩٦ - أخبرنا أبو معاوية، نا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر، عن حفصة عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله." (١)

"٤١٢٨ - حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن شعبة، عن السدي، عن مرة، عن عبد الله، قال: ﴿ﷺوإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] ، قال: «يدخلونها، أو يلجونها، ثم يصدرون منها بأعمالهم» قلت له: إسرائيل، حدثه عن النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، هو عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو كلاما هذا معناه." (٢)

"٤١٤١ - حدثنا عبد الرحمن، عن إسرائيل، عن السدي، عن مرة، عن عبد الله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] قال -[٢٠٧]-: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ﷺيرد الناس النار كلهم، ثم يصدرون عنها بأعمالهم»." (٣)

"١٥٦١٢ - حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا زبان، وحدثنا يحيى بن غيلان، حدثنا رشدين، عن زبان، عن سهل بن معاذ، عن أبيه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " ﷺمن حرس من وراء المسلمين في سبيل الله تبارك وتعالى متطوعا، لا يأخذه سلطان، لم ير النار بعينيه، إلا تحلة القسم فإن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] "." (٤)

"٢٦٤٤٠ - حدثنا أبو معاوية، قال: حدثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر، عن حفصة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ﷺإني لأرجو أن لا -[٣٧]- يدخل النار، إن شاء الله، أحد شهد بدرا، والحديبية» قالت: فقلت أليس الله عز وجل يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] ؟ قالت: فسمعته يقول: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢]." (٥)

---

(١) مسند إسحاق بن راهويه إسحاق بن راهويه ١٩٦/٤

(٢) مسند أحمد مخرجا أحمد بن حنبل ١٩٦/٧

(٣) مسند أحمد مخرجا أحمد بن حنبل ٢٠٦/٧

(٤) مسند أحمد مخرجا أحمد بن حنبل ٣٧٩/٢٤

(٥) مسند أحمد مخرجا أحمد بن حنبل ٣٦/٤٤

"٢٧٠٤٢ - حدثنا ابن إدريس، قال: حدثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر، امرأة زيد بن حارثة، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة، فقال: «ﷺلا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية» . قالت حفصة: أليس الله عز وجل يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فمه، ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ [مريم: ٧٢] "." (١)

"٢٧٣٦٢ - حدثنا حجاج، قال: أخبرني ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابرا قال: حدثتني أم مبشر، أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم عند حفصة يقول: «ﷺلا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها» ، فقالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " قد قال الله عز وجل: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢] "." (٢)

"في مرة عن عبد الله قال: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم:٧١] قال: "يدخلونها، أو يلجونها، ثم يصدرون منها بأعمالهم"، قلت له: إسرائيل حدثه عن النبي - صلى الله عليه وسلم -؟، قال: نعم، هو عن النبي - صلى الله عليه وسلم -.، أوكلاما هذا معناه.

٤١٢٩ - حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: لعن الله الواشمات، والمتوشمات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، قال: فبلغ امرأة في البيت، يقال لها: أم يعقوب، فجاءت إليه، فقالت: بلغني أنك قلت كيت وكيت؟، فقال: ما لي لا ألعن من لعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في كتاب الله عز وجل؟!، فقالت: إني لأقرأ ما بين لوحيه فما وجدته، فقال: إن كنت قرأتيه فقد وجدتيه، أما قرأت ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾؟، قالت: بلى، قال: فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى عنه، قالت: إني لأظن أهلك يفعلون!، قال: اذهبي فانظري، فنظرت، فلم تر من حاجتها شيئا،

(٤١٢٩) إسناداه صحيحان، وروى البخاري من طريق منصور ٨: ٤٨٣ - ٤٨٤ عن محمد بن يوسف عن سفيان عن منصور، ثم روى طريق عبد الرحمن بن عابس عقيبه عن ابن المديني عن عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان قال: "ذكرت لعبد الرحمن بن عابس حديث منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله فقال: سمعته من إمرأة يقال لها أم يعقوب عن عبد الله، مثل حديث منصور". وأم يعقوب هذه لم يعرف اسمها، وقال الحافظ في التقريب: "كأنها صحابية"، وقال في الفتح ١٠: ٣١٤ "تنبيه: أم يعقوب المذكورة في هذا الحديث لا يعرف اسمها، وهي من بني أسد بن خزيمة، ولم أقف لها على ترجمة. ومراجعتها لابن مسعود تدل على أن لها إدراكا"، وعلى كل فإنها ثقة، إذ هي إما صحابية وإما تابعية قديمة، لم تذكر بجرح، وأخرج لها البخاري في الصحيح، وكفى بهذا توثيقا. والحديث من طريق منصور رواه البخاري مرارا في كتاب

---

(١) مسند أحمد مخرجا أحمد بن حنبل ٥٩٠/٤٤

(٢) مسند أحمد مخرجا أحمد بن حنبل ٣٥٤/٤٥

اللباس، منها الموضع الذي أشرنا إليه. ورواه مسلم ٢: ١٦٦، وروى النسائي بعضه ٢: ٢٨١. وانظر ٣٨٨١، ٣٩٤٥، ٣٩٥٦، ٤٢٣٠.." (١)

"يومئذ لغير ميقاتها.

٤١٣٨ - حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عمارة، معناه.

٤١٣٩ - حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن الأعمش عن عبد الله ابن مرة عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: لأن أحلف تسعا أن رسول الله-صلي الله عليه وسلم- قتل قتلا أحب إلي من أن أحلف واحدة أنه لم يقتل، وذلك أن الله عز وجل جعله نبيا واتخذه شهيدا، قال: فذكرت ذلك لإبراهيم؟،

فقال: كانوا يرون ويقولون: إن اليهود سموه وأبا بكر.

٤١٤٠ - حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا سفيان، وعبد الرزاق أخبرنا سفيان، عن أبي إسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال: لما نزلت ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا (٣)﴾ قال عبد الرزاق: لما نزلت ﴿إذا جاء نصر الله والفتح (١)﴾، كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يكثر أن يقول: "سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي، إنك أنت التواب".

٤١٤١ - حدثنا عبد الرحمن عن إسرائيل عن السدي عن مرة عن عبد الله ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. "يرد الناس الناركلهم، ثم يصدرون عنها بأعمالهم".

٤١٤٢ - حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا يزيد أخبرنا حماد

(٤١٣٨) إسناده صحيح، وهو مكرر ما قبله.

(٤١٣٩) إسناده صحيح، وهو مكرر ٣٨٧٣.

(٤١٤٠) إسناده ضعيف، لانقطاعه. وهو مكرر ٣٨٩١.

(٤١٤١) إسناده صحيح، وهو مكرر ٤١٢٨. وقد سبقت الإشارة إليه هناك.

(٤١٤٢) إسناده صحيح، ورواه الحاكم في المستدرك ٢: ٣١٨ من طريق أبي بكر بن عياش، ومن طريق حماد بن زيد، كلاهما عن عاصم، به، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد =." (٢)

---

(١) مسند أحمد ت شاكر أحمد بن حنبل ١٥٢/٤

(٢) مسند أحمد ت شاكر أحمد بن حنبل ١٥٥/٤

"المطرقة، نعالهم الشعر".

٧٢٦٣ - حدثنا سفيان عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة: جاء رجل من بني فزارة إلى النبي -صلي الله عليه وسلم -، فقال: إن امرأتي ولدت ولدا أسود!، قال: "هل لك من إبل؟ ". قال: نعم، قال: "فما ألوانها؟ "، قال: حمر، قال: "هل فيها أورق؟ "، قال: إن فيها لورقا، قال: "فأنى أتاه ذلك؟ "، قال: عسى أن يكون نزعه عرق، قال: "وهذا عسى أن يكون نزعه عرق".

٧٢٦٤ - حدثنا سفيان عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة،

(٧٢٦٣) إسناده صحيح، وهو مختصر (٧١٨٩، ٧١٩٠).

(٧٢٦٤) إسناده صحيح، ورواه البخاري (٣: ٩٨ - ٩٩) عن ابن المديني عن ابن عيينة، بهذا الإسناد. ورواه مالك في الموطأ (ص ٢٣٥)، عن الزهري، به. وسيأتي (١٠١٢٤)، من طريق مالك. وكذلك رواه البخاري (١١: ٤٧٢)، ومسلم (٢ ت ٢٩٤)، من طريق مالك. ورواه مسلم أيضا، من طريق ابن عيينة، ولم يذكر لفظه كاملا، أحال على رواية مالك قبله. "تحلة القسم": بفتح التاء وكسر الحاء المهملة وتشديد اللام المفتوحة، قال الحافظ في الفتح: "أي ما ينحل به القسم، وهو اليمين، وهو مصدر: حلل اليمين، أي كفرها، يقال: حلل تحليلا، وتحلة، وتحلا، بغير هاء. والثالث شاذ". وقال ابن الأثير: "قيل: أراد بالقسم قوله تعالى ﴿وإن منكم إلا واردها﴾. تقول العرب: ضربه تحليلا، وضربه تعذيرا، إذا لم يبالغ في ضربه. وهذا مثل في القليل المفرط في القلة، وهو أن يباشر من الفعل الذي يقسم عليه المقدار الذي يبر به قسمه. مثل أن يحلف على النزول بمكان، فلو وقع به وقعة خفيفة أجزأته، فتلك تحلة قسمه. فالمعنى: لا تمسه النار إلا مسة يسيرة، مثل تحلة قسم الحالف. ويريد بتحلته: الورود على النار والاجتياز بها. والتاء في (التحلة) زائدة". وتفسير ذلك بالورود، سيأتي (٧٧٠٧)، من رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري، وفي آخره: "يعني الورود". وهو من تفسير الزهري. فقد رواه الطيالسي (٢٣٠٣)، عن زمعة عن الزهري، وفي آخره: "قال الزهري: كأنه يريد هذه الآية: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ ". وسيأتي الحديث أيضا." (١)

"٢٨٥٢ - أخبرنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن السدي، قال: سألت مرة، عن قول الله عز وجل ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١] فحدثني: أن عبد الله بن مسعود، حدثهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ﷺيرد الناس النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم، فأولهم كلمح البرق، ثم كالريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب في رحله، ثم كشد الرجل، ثم كمشيه» Qإسناده حسن والسدي هو إسماعيل بن عبد الرحمن ومرة هو: ابن شراحيل." (٢)

---

(١) مسند أحمد ت شاكر أحمد بن حنبل ٩٥/٧

(٢) سنن الدارمي الدارمي، أبو محمد ١٨٥٣/٣

"منهم، فدعا، فقال آخر: ادع الله لي، فقال: سبقك بها عكاشة. [الإتحاف:١٩٧٨٦]

٨٦ - باب (١) قول النبي صلى الله عليه وسلم: يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي: سبعون ألفا

٣٠١٥ - أخبرنا المعلى بن أسد، حدثنا وهيب، عن خالد، عن عبد الله بن شقيق، عن عبد الله بن أبي الجدعاء (*) قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم، قالوا: سواك يا رسول الله؟ قال: سواي. [الإتحاف:٦٩٦٧]

٨٧ - باب (٢) قوله تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض﴾ الآية

٣٠١٦ - أخبرنا عمرو بن عون، أنبأنا خالد، عن داود، عن الشعبي، عن مسروق قال: قلت لعائشة: يا أم المؤمنين أرأيت قول الله تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار﴾ أين الناس يومئذ؟ قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: على الصراط. [الإتحاف:٢٢٧٦٢]

٨٨ - باب: في ورود النار، وقوله تعالى (٣): ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ الآية

٣٠١٧ - أخبرنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن السدي قال: سألت مرة عن قول الله عز وجل ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ ، فحدثني أن عبد الله (٤) حدثهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يرد الناس النار ثم يصدرون منها بأعمالهم، فأولهم كلمح البرق، ثم كالريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب في رحله، ثم كشد الرجل، ثم كمشيه. [الإتحاف:١٣١٨٩]

٨٩ - باب: في ذبح الموت

٣٠١٨ - أخبرنا حجاج بن منهال، عن حماد بن سلمة، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يؤتى بالموت بكبش (٥) أغبر، فيوقف بين

---

(١) كذا في "د. غ. درك"، وفي باقي الأصول: باب: في.

(٢) في نسخة الشيخ صديق والمطبوعة: في قول الله ، وفي "د. درك": في قوله عز وجل.

(٣) ليست في الأصول.

(٤) زيد في المطبوعة تبعا لنسخة الشيخ صديق: ابن مسعود.

(٥) في "درك. د": ككبش ، وكتب ناسخ "ل" فوق الموحدة: صح.

(*) قال معد الكتاب للشاملة: قال ابن حجر: عبد الله بن أبي الجذعاء، بفتح الجيم، وسكون المعجمة. "تقريب التهذيب" ١/ ٢٩٨.." (١)

---

(١) سنن الدارمي ت الغمري الدارمي، أبو محمد ص/٦٧٣

"١٢٥١ - حدثنا علي، حدثنا سفيان، قال: سمعت الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ﷺلا يموت لمسلم ثلاثة من الولد، فيلج النار، إلا تحلة القسم» قال أبو عبد الله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١]

______ W1193 (٤٢١/١) -[ش أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه رقم ٢٦٣٢

(فيلج) يدخل. (تحله القسم) أي يرد عليها ورودا سريعا بقدر يبر الله تعالى به قسمه في قوله ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ / مريم ٧١ /. ومعنى الآية ما من إنسان إلا وسيأتي جهنم حين يمر على الصراط الموضوع على ظهرها]

[٦٢٨٠، وانظر ١٠١]." (١)

"١٦٣ - (٢٤٩٦) حدثني هارون بن عبد الله، حدثنا حجاج بن محمد، قال: قال ابن جريج، أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله، يقول: أخبرتني أم مبشر، أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول عند حفصة: «ﷺلا يدخل النار، إن شاء الله، من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها» قالت: بلى، يا رسول الله فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قد قال الله عز وجل: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢]." (٢)

"١٦٠٣ - حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ﷺلا يموت لرجل ثلاثة من الولد فيلج النار، إلا تحلة القسم»

______

S [ش (فيلج) من الولوج وهو الدخول. (تحلة القسم) أي قدر ما ينحل به اليمين. قال الجمهور والمراد بذلك قوله تعالى ﴿وإن منكم إلا واردها﴾] .

Kصحيح." (٣)

"٤٢٨١ - حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر، عن حفصة، قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ﷺإني لأرجو ألا يدخل النار أحد، إن شاء الله تعالى ممن شهد بدرا، والحديبية» ، قالت: قلت: يا رسول الله أليس قد قال الله: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١] ، قال: " ألم تسمعيه يقول: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا، ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢] "

______

Zفي الزوائد حديث حفصة صحيح رجاله ثقات إن كان أبو سفيان سمع من جابر بن عبد الله

______

(١) صحيح البخاري البخاري ٧٣/٢

(٢) صحيح مسلم مسلم ١٩٤٢/٤

(٣) سنن ابن ماجه ابن ماجه ٥١٢/١

S [ش - (ألم تسمعيه يقول) فالورود غير الدخول. وأهل الجنة لادخول لهم. أو المراد أن الدخول إنما يضر إذا لم يكن معه نجاة من العذاب ابتداء. وإلا فهو كلا دخول.]

Kصحيح." (١)

"١٦٠٢ - حدثنا عمرو بن رافع، حدثنا علي بن عاصم، عن محمد بن سوقة، عن إبراهيم، عن الأسود عن عبد الله، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "من عزى مصابا فله مثل أجره" (١).

٥٧ - باب ما جاء في ثواب من أصيب بولده

١٦٠٣ - حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "لا يموت لرجل ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم" (٢).

١٦٠٤ - حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا إسحاق بن سليمان، حدثنا حريز بن عثمان، عن شرحبيل بن شفعة، قال:

---

(١) إسناده ضعيف لضعف علي بن عاصم. إبراهيم: هو ابن يزيد النخعي، والأسود: هو ابن يزيد النخعي.

وأخرجه الترمذي (١٠٩٦) من طريق علي بن عاصم، بهذا الإسناد.

(٢) إسناده صحيح. الزهري: هو محمد بن مسلم.

وأخرجه البخاري (١٢٥١)، ومسلم (٢٦٣٢)، والترمذي (١٠٦٠)، والنسائي ٤/ ٢٥ من طرق عن الزهري، بهذا الإسناد.

وهو في "مسند أحمد" (٧٢٦٥)، و"صحيح ابن حبان" (٢٩٤٢).

قوله: "إلا تحلة القسم"، قال البغوي في "شرح السنة" ٥/ ٤٥٠ - ٤٥١: تحلة: مصدر حللت اليمين تحليلا وتحلة، أي: أبررتها، يريد: إلا قدر ما يبر الله قسمه فيه، وهو قوله عز وجل: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] فإذا مر بها وتجاوزها فقد أبر قسمه.." (٢)

"٤٢٨١ - حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر عن حفصة، قالت: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إني لأرجو ألا يدخل النار أحد - إن شاء الله تعالى - ممن شهد بدرا والحديبية" قالت: قلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله: ﴿وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١]، قال: "ألم تسمعيه يقول: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢] " (١).

= وأخرجه بنحوه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) من طريق عطاء بن يسار، عن أبي سعيد. وهو في "مسند أحمد"

---

(١) سنن ابن ماجه ابن ماجه ١٤٣١/٢

(٢) سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط ابن ماجه ٥٣٣/٢

(١١١٢٧)، و"صحيح ابن حبان" (٧٣٧٧).

وقوله: "مخدوج" هكذا في أصولنا الخطية بالخاء المعجمة وفي آخره جيم. ورواه الباقون "مخدوش" بالشين، والمخدوش: الممزق، وقوله: ومنكوس فيها، أي: في جهنم، ولغير ابن ماجه: ومكدوس وهو المصروع.

فالأقسام ثلاثة: ناج بلا خدش، وهالك من أول وهلة، ومتوسط بينهما يصاب ثم ينجو.

(١) حديث صحيح، وهذا إسناد رجاله ثقات غير أبي سفيان -واسمه طلحة ابن نافع- فإنه وإن أخرج له الشيخان فيه كلام يحطه عن رتبة الثقة، وقد اختلف على الأعمش في هذا الإسناد.

فروي عنه من حديث حفصة هنا، وهو في "مسند أحمد" (٢٦٤٤٠).

وروي عنه من حديث أم مبشر أنها سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بيت حفصة ... ، وهو في "مسند أحمد" (٢٧٠٤٢) و (٢٧٠٤٥)، وفي "صحيح ابن حبان" (٤٨٠٠).

وروي عنه من حديث جابر، وهو في "مسند أحمد" (١٥٢٦٢).

وأخرجه مسلم (٢٤٩٦) من طريق ابن جريج، أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر ابن عبد الله يقول: أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول عند حفصة ...

وأخرج أبو داود (٤٦٥٣)، والترمذي (٤١٩٧)، والنسائي في "الكبرى" (١١٤٤٤) من طريق أبي الزبير، عن جابر مرفوعا: "لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة".." (١)

"عن جابر، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة" (١).

٤٦٥٤ - حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد بن سلمة (ح).

وحدثنا أحمد بن سنان القطان، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا حماد بن سلمة، عن عاصم، عن أبي صالح

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال موسى: "فلعل الله" وقال ابن سنان: "اطلع الله على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم" (٢).

---

(١) إسناده صحيح، وأبو الزبير -وهو محمد بن مسلم بن تدرس المكي- قد صرح بالسماع عند مسلم وغيره، فانتفت شبهة تدليسه، على أن الراوي عنه هنا الليث -وهو ابن سعد- وهو لم يحمل عنه إلا ما ثبت له فيه سماعه من جابر، كما أسنده ابن حزم عن الليث نفسه أنه قاله.

وأخرجه الترمذي (٤١٩٧)، والنسائي في "الكبرى" (١١٤٤٤) عن قتيبة بن سعيد وحده. بهذا الاسناد. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه مسلم (٢٤٩٦) من طريق ابن جريج، أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد اللهقول أخبرتني أم مبشر، أنها سمعت النبي-صلى الله عليه وسلم- يقول عند حفصة: "لا يدخل النار -إن شاء الله- من أصحاب الشجرة أحد ممن

---

(١) سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط ابن ماجه ٣٤٥/٥

بايعوا تحتها" قالت: بلى، يا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١]، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (قد قال الله عز وجل: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢].

وأخرجه ابن ماجه (٤٢٨١) من طريق الأعمش، عن أبي سفيان طلحة بن نانع، عن جابر، عن أم مبشر، عن حفصة. وقد اختلف في هذا الإسناد عن الأعمش كما بيناه في "مسند أحمد" (٢٦٤٤٠).

وهو في "مسند أحمد" (١٤٧٧٨)، و"صحيح ابن حبان" (٤٨٠٢).

(٢) صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن من أجل عاصم -وهو ابن أبي النجود- أبو صالح: هو ذكوان السمان. والصحيح من هاتين الروايتين رواية موسى بن إسماعيل =." (١)

"٣١٦٠ - حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، قال: حدثنا شعبة، عن السدي، عن مرة، عن عبد الله بن مسعود، ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قال: يردونها ثم يصدرون بأعمالهم.

حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن شعبة، عن السدي، بمثله، قال عبد الرحمن، قلت لشعبة: إن إسرائيل، حدثني عن السدي، عن مرة، عن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم.

قال شعبة: وقد سمعته من السدي مرفوعا ولكني أدعه عمدا.." (٢)

"٣١٥٩ - حدثنا عبد بن حميد، قال: أخبرنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن السدي، قال: سألت مرة الهمداني، عن قول الله عز وجل: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ فحدثني أن عبد الله بن مسعود، حدثهم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يرد الناس النار ثم يصدرون منها بأعمالهم، فأولهم كلمح البرق، ثم كالريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب في رحله، ثم كشد الرجل، ثم كمشيه.

هذا حديث حسن، ورواه شعبة، عن السدي فلم يرفعه.." (٣)

"٣١٥٩ - حدثنا عبد بن حميد قال: أخبرنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن السدي، قال: سألت مرة الهمداني، عن قول الله عز وجل: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] فحدثني أن عبد الله بن مسعود، حدثهم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ﷺيرد الناس النار ثم يصدرون منها بأعمالهم، فأولهم كلمح البرق، ثم كالريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب في رحله، ثم كشد الرجل، ثم كمشيه». «هذا حديث حسن، ورواه شعبة، عن السدي فلم يرفعه»،

Kصحيح." (٤)

---

(١) سنن أبي داود ت الأرنؤوط السجستاني، أبو داود ٤٩/٧

(٢) سنن الترمذي ت بشار الترمذي، محمد بن عيسى ١٦٨/٥

(٣) سنن الترمذي ت بشار الترمذي، محمد بن عيسى ١٦٨/٥

(٤) سنن الترمذي ت شاكر الترمذي، محمد بن عيسى ٣١٧/٥

"٣١٦٠ – حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا يحيى بن سعيد قال: حدثنا شعبة، عن السدي، عن مرة، عن عبد الله بن مسعود، ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] قال: «يردونها ثم يصدرون بأعمالهم» حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن شعبة، عن السدي، بمثله، قال عبد الرحمن، قلت لشعبة: إن إسرائيل، حدثني عن السدي، عن مرة، عن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال شعبة: وقد سمعته من السدي «مرفوعا ولكني أدعه عمدا»

Kصحيح موقوف وهو في حكم المرفوع." (١)

"١٧٠- باب في ذكر الورود على النار نعوذ بالله من النار:

٨٦٠ – ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر عن حفصة قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم:

"إني لأرجو أن لا يدخل النار أحد إن شاء الله ممن شهد بدرا والحديبية". قال: قلت: يا رسول الله أليس قال الله: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ ؟. قال: "فلم تسمعيه:

﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ ".

٨٦٠- إسناده جيد على شرط مسلم وقد أخرجه هو وأحمد وغيرهما وقد تكلمت عليه في الصحيحة ٢١٦٠ فلا نعيد القول فيه.

٨٦١ – حدثنا ابن نمير وأبو بكر قالا: حدثنا عبد الله بن إدريس عن." (٢)

"الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو في بيت حفصة:

"لا يدخل النار رجل شهد بدرا والحديبية". فقالت: حفصة فقلت: يا رسول الله: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فمه: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ... ﴾ ".

٨٦١- إسناده جيد على شرط مسلم وهو مكرر الذي قبله

٨٦٢ – حدثنا أبو بكر والشافعي: قالا ثنا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"من قدم ثلاثة من الولد لم يلج النار إلا تحلة القسم". وقال معمر: "لم تمسه النار" وقال مالك: "فتمسه النار إلا تحلة القسم".

٨٦٢- إسناده صحيح على شرط الشيخين وقد أخرجاه كما يأتي.

---

(١) سنن الترمذي ت شاكر الترمذي، محمد بن عيسى ٣١٧/٥

(٢) السنة لابن أبي عاصم ومعها ظلال الجنة للألباني ابن أبي عاصم ٤١٤/٢

والحديث أخرجه أحمد ٣٩٢/٢: ثنا سفيان به. وأخرجه مسلم ٦٩/٨ وابن ماجه ١٦٠٣ بإسناد المصنف الأول عن سفيان بن عيينة به. ثم أخرجه مسلم والبخاري من طرق أخرى عن سفيان به.

وأخرجه مالك ٢٣٤/١ وعنه البخاري ٢٦٥/٤ ومسلم أيضا والترمذي ١٩٧/١ والنسائي ٢٦٥/١ وأحمد ٤٧٣/٢ كلهم عن مالك عن ابن شهاب به.

وتابعه معمر أيضا عن ابن شهاب به.

أخرجه أحمد ٤٧٩/٢. ومسلم.

وزمعة عن الزهري.

أخرجه أحمد ٤٧٩/٢.." (١)

"٨٦١ - حدثنا ابن نمير، وأبو بكر، قالا: حدثنا عبد الله بن إدريس، عن -[٤١٥]- الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول، وهو في بيت حفصة: «ﷺلا يدخل النار رجل شهد بدرا والحديبية» . فقالت حفصة: يا رسول الله ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١] . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فمه ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ [مريم: ٧٢] .." (٢)

"٨٦٠ - ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر، عن حفصة، قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ﷺإني لأرجو أن لا يدخل النار أحد إن شاء الله ممن شهد بدرا والحديبية» . قالت: قلت: يا رسول الله أليس قال الله ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١] ؟ قال: " فلم تسمعيه: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢] .." (٣)

"٣٣١٦ - حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، ومحمد بن عبد الله بن نمير ، قالا: ثنا عبد الله بن إدريس ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، عن أم مبشر ، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت حفصة يقول: ﷺلا يدخل النار رجل شهد بدرا والحديبية فقالت حفصة: يا رسول الله ، إن الله يقول ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١] قال: ثم مه قال: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢]." (٤)

"٣٣١٧ - حدثنا حسين بن حسن ، ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، حدثني أبو الزبير ، أنه سمع جابرا ، يقول: حدثتني أم مبشر ، أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند باب حفصة: " ﷺلا يدخل النار إن شاء

---

(١) السنة لابن أبي عاصم ومعها ظلال الجنة للألباني ابن أبي عاصم ٤١٥/٢

(٢) السنة لابن أبي عاصم ابن أبي عاصم ٤١٤/٢

(٣) السنة لابن أبي عاصم ابن أبي عاصم ٤١٤/٢

(٤) الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم ابن أبي عاصم ١٠١/٦

الله أحد من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها قالت: بلى يا رسول الله ، قال: فانتهرها قالت حفصة ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢]." (١)

"١١٢٥٩ - أخبرنا الحسن بن محمد، عن حجاج، عن ابن جريج، وأخبرني هارون بن عبد الله، حدثنا حجاج، قال: قال ابن جريج: أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابرا، يقول: أخبرتني أم مبشر، أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة رضي الله عنها: «ﷺلا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها» قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها، قالت حفصة: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] قال النبي صلى الله عليه وسلم: " فقد قال الله ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢]." (٢)

"ﷺقوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١]." (٣)

"١٤٩٠ - حدثنا محرز، حدثنا رشدين بن سعد، عن زبان بن فائد، عن سهل بن معاذ، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ﷺمن حرس وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا لا يأخذه سلطان لم ير النار بعينه إلا تحلة القسم، فإن الله سبحانه لا شريك له، يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] "Kإسناده ضعيف." (٤)

"٥٠٨٩ - حدثنا أبو هشام، حدثنا عبيد الله بن موسى، حدثنا إسرائيل، عن السدي قال: سألت مرة الهمداني عن قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١]، فحدثني أن عبد الله حدثهم، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ﷺيردون على الصراط ويصدرون عنه بأعمالهم، فأولهم يمر كالريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب في رحله، ثم كشد الرجل، ثم كمشيه» Kإسناده حسن." (٥)

"٧٠٤٤ - حدثنا الحسن بن شبيب بغدادي حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر، عن حفصة أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لأرجو أن لا يدخل النار أحد إن شاء الله شهد بدرا والحديبية»، قالت: فقلت أليس الله عز وجل يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١]، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أفلم تسمعيه يقول ﴿ﷺثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢] "Kإسناده ضعيف." (٦)

"حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا شعبة، عن السدي، عن مرة، عن عبد الله، ﴿ﷺوإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١] قال: «يردونها ثم يصدرون عنها بأعمالهم» ، قال عبد الرحمن: فقلت

---

(١) الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم ابن أبي عاصم ١٠٢/٦
(٢) السنن الكبرى للنسائي النسائي ١٧٠/١٠
(٣) السنن الكبرى للنسائي النسائي ١٧٠/١٠
(٤) مسند أبي يعلى الموصلي أبو يعلى الموصلي ٦٣/٣
(٥) مسند أبي يعلى الموصلي أبو يعلى الموصلي ٢١/٩
(٦) مسند أبي يعلى الموصلي أبو يعلى الموصلي ٤٧٢/١٢

لشعبة: إن إسرائيل حدثني عن السدي، عن مرة، عن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم: قال شعبة: قد سمعته من السدي مرفوعا، ولكن عمدا أدعه " قال أبو بكر: رواه يحيى بن سعيد، عن شعبة أيضا مرفوعا حدثناه بندار، قال: ثنا يحيى بن سعيد قال: ثنا شعبة." (١)

"الإجماع الأربعون

وأجمعوا على أن الصراط (جسر) ١ ممدود على جهنم يجوز عليه العباد بقدر أعمالهم، وأنهم يتفاوتون في السرعة والإبطاء على قدر ذلك٢.

الإجماع الحادي والأربعون

وأجمعوا على أن الله تعالى يخرج من النار من كان في قلبه شيء من الإيمان بعد الانتقام منه٣.

---

١ ما بين المعقوفتين من (ت) .

٢ أجمع أهل السنة على الإيمان بالصراط، وأنه جسر ممدود على ظهر جهنم، وقالوا: إن المراد من قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ المرور على الصراط في أرجح الأقوال. (انظر الفصل لابن حزم ٢٦٦/٤.، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ١٢١/١، ومجموع الفتاوى ٢٧٩/٤، ولوامع الأنوار ١٨٩/٢) .

وقال شارح الطحاوية: "واختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ ما هو؟ والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط.

قال: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال: والذي نفسي بيده لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة، قالت حفصة: فقلت يا رسول الله: أليس الله يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ ؟ فقال: ألم تسمعيه قال: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ والحديث في مسلم بنحو هذا المعنى" (انظر شرح الطحاوية ص٣٦٤) .

والحديث الذي ذكره أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب ٣٧ ج١٩٤٢/٤، وأحمد في المسند ٤٢٠/٦، وابن أبي عاصم في السنة، وقال الألباني: إسناده جيد على شرط مسلم وقد أخرجه. انظر السنة ٤١٤/٢.

٣ أجمع أهل السنة على أن الله لا يخلد في النار من كان في قلبه شيء من الإيمان إذا أدخله فيها، وقد جاءت النصوص بذلك، منها ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقول الله تبارك وتعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسودوا... الحديث". أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب ١٥ ج١١/١، ومسلم في كتاب الإيمان باب ٨٢ ج١٧٢/١، وابن أبي عاصم في السنة ٤٠٥/٢، وأحمد في المسند ٥٦/٣، والآجري في الشريعة ص٣٤٥، وقد عقد ابن خزيمة في كتابه التوحيد بابا في ذلك وساق فيه كثيرا من الروايات المؤيدة لهذا المذهب الحق. انظر ص٢٨٦، وهكذا فعل ابن مندة في كتابه الإيمان

---

(١) التوحيد لابن خزيمة ابن خزيمة ٨٩٩/٢

انظر ٧٨٣/٣، والبيهقي في الاعتقاد ص٨٨.

وقال الإمام أحمد: "ويخرج قوم من النار بعدما دخلوها ولبثوا فيها ما شاء الله، ثم يخرجهم من النار". (انظر السنة ص٧٣، ٧٤) .

وقال الطحاوي: "وأهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين، وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله كما ذكر عز وجل في كتابه: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته" (انظر شرح الطحاوية ص٣١٧) .

وقال ابن أبي زمنين: "وأهل السنة يؤمنون بأن الله عز وجل يدخل ناسا الجنة من أهل التوحيد بعدما مستهم النار برحمته تبارك وتعالى اسمه، وبشفاعة الشافعين". (انظر أصول السنة/ ق/ ٩/ ب، وانظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص٣٤٨، والفصل لابن حزم ٤٥/٤، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للحافظ الصابوني ١٢٤/١، ١٢٥، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٧٥/٣.

وقد خالف الخوارج والمعتزلة في ذلك، حيث ذهبوا إلى أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار تنفيذا لوعيد الله لهم، وغاب عنهم الموانع التي ذكرها الله في القرآن والسنة من إنفاذ هذا الوعيد مثل التوحيد وكثرة الحسنات الماحية، وكثرة المصائب المكفرة، وإقامة الحدود في الدنيا... إلى غير ذلك.

انظر تفصيل مقالتهم في شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص٦٦٦، ومقالات الإسلاميين ١٦٨/١، والفصل لابن حزم ٤٤/٤- ٥٨، والملل والنحل ٥٠/١، ١٠٥، ولوامع الأنوار للسفاريني ٣٧٠/١، ٣٧١.." (١)

" ٤٨٠٠ - أخبرنا أبو يعلى، حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا ابن إدريس، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر امرأة زيد بن حارثة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في بيت حفصة: ﷺ «لا يدخل النار رجل شهد بدرا، والحديبية»، فقالت حفصة: يا رسول الله، أليس قد قال الله ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١]؟، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فمه ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ [مريم: ٧٢]»

(Z (4780

L

صحيح - «الصحيحة» (٢١٦٠): م.

S

إسناده صحيح على شرط مسلم." (٢)

---

(١) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب أبو الحسن الأشعري ص/١٦٣

(٢) صحيح ابن حبان - مخرجا ابن حبان ١٢٥/١١

"ذكر البيان بأن نفي دخول النار عمن شهد بدرا والحديبية إنما هو سوى الورود

٤٨٠٠ - أخبرنا أبو يعلى، حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا ابن إدريس، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر امرأة زيد بن حارثة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في بيت حفصة: «لا يدخل النار رجل شهد بدرا، والحديبية» ، فقالت حفصة: يا رسول الله، أليس قد قال الله ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] ؟، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فمه ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ » (١) . [٣: ٩]

---

(١) إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي سفيان -وهو طلحة بن نافع الواسطي- وأم مبشر، فروى لهما مسلم. ابن إدريس: هو عبد الله.

وأخرجه أحمد ٣٦٢/٦، والطبري في " جامع البيان " ١١٢/١٦، والطبراني ٢٥/ (٢٦٦) من طريق ابن إدريس، بهذا الإسناد.

وأخرجه الطبري ١١٢/١٦ من طريق أبي عوانة، عن الأعمش، به.

وأخرجه أحمد ٤٢٠/٦، ومسلم (٢٤٩٦) في فضائل الصحابة: باب فضائل أصحاب الشجرة، والنسائي في " الكبري " كما في " التحفة " ١٠٤/١٣، والطبراني ٢٥/ (٢٦٩) من طريق حجاج بن محمد، عن ابن جريج، عن أبي الزبير، عن جابر، عن أم مبشر، ولفظه " لا يدخل النار -إن شاء الله- أحد من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها ... ".

وأخرجه أحمد ٢٨٥/٦، وابن ماجه (٤٢٨١) في الزهد: باب ذكر البعث، والطبري ١١٢/١٦، والطبراني ٢٣/ (٣٥٨) و (٣٦٣) ، والبغوي في =." (١)

"عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم" ١. [٢:١]

---

١ إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وأخرجه البغوي "١٥٤٢" والبيهقي "٧٨/٧" من طريق أحمد بن أبي بكر أبي مصعب الزهري، بهذا الإسناد.

وهو في "الموطأ" "٢٣٥/١" في الجنائز: باب الحسبة في المصيبة، وأخرجه من طريقه البخاري "٦٦٥٦" في الأيمان والنذور: باب قول الله تعالى: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ الأنعام: من الآية١٠٩"، ومسلم "٢٦٣٢" "١٥٠" في البر والصلة: باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، والترمذي "١٠٦٠" في الجنائز: باب ما جاء في ثواب من قدم ولدا، والبيهقي "٦٧/٤" و "٧٨/٧" و "٦٤/١٠"، والنسائي "٢٥/٤" في الجنائز: باب من يتوفى له ثلاثة.

وأخرجه أ؛ مد "٢٣٩/٢"، والبخاري "١٢٥١" في الجنائز: باب فضل من مات له ولد فاحتسب، ومسلم "٢٦٣٢" "١٥٠"، وابن ماجه "١٦٠٣" في الجنائز: باب ما جاء في ثواب من أصيب بولده، والبغوي "١٥٤٣" من طريق سفيان

---

(١) صحيح ابن حبان - محققا ابن حبان ١٢٥/١١

بن عيينة، عن الزهري، به.

وأخرجه مسلم "٢٦٣٢" "١٥٠"، والبيهقي "٦٧/٤" من طريق معمر عن الزهري، به.

وأخرجه البيهقي "٦٨/٤" من طريق محمد بن سيرين، عن أبي هريرة.

قال البغوي "٤٥٠/٥-٤٥١": قوله: "إلا تحلة القسم". مصدر حللت اليمين تحليلا وتحلة، أي: / أبررتها، يريد: إلا قدر ما يبر الله قسمة فيه، وهو قوله عز وجل: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ مريم: من الآية٧١" فإذا مر بها وجاوزها فقد أبر قسمه. وقال الحافظ في "الفتح" "١٢٤/٣": وورد نحوه من طريق أخرى في هذا الحديث رواه الطبراني من حديث عبد الرحمن بن بشر الأنصاري مرفوعا: من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث، لم يرد النار إلا عابر. . . . .=." (١)

". . . . .

= سبيل يعني الجواز على الصراط. وجاء مثله من حديث آخر أخرجه الطبراني من حديث سهل بن معاذ بن أنس الجهني، عن أبيه مرفوعا: من حرس وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا لم ير النار بعينه إلا تحلة القسم، فإن الله عز وجل قال: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ مريم: من الآية٧١"، واختلف في موضع القسم من الآية، فقيل: هو مقدر، أي: والله إن منكم، وقيل: معطوف على القسم الماضي في قوله تعالى: ﴿فوربك لنحشرنهم﴾ مريم: من الآية٦٨" أي: وربك إن منكم، وقيل: هو مستفاد من قوله تعالى: ﴿حتما مقضيا﴾ مريم: من الآية٧١" أي: قسما واجبا.." (٢)

"٤٢٨ - حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني، قال: حدثنا أبو جعفر النفيلي، قال: حدثنا محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة ثمان، واستعمل عليهم زيد بن حارثة، فقال لهم: «إن ﷺأصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن -[١٨٠]- أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس» . فتجهز الناس، ثم تهيأوا للخروج وهم ثلاثة آلاف، فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا عليهم، فلما ودع عبد الله مع من ودع بكى، فقيل له: ما يبكيك يا ابن رواحة؟، قال: أما والله ما بي حب الدنيا وصبابة بكم، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار: ﴿وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١] ، فلست أدري كيف بالصدر بعد الورود؟، فقال لهم المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم فردكم إلينا صالحين، فقال عبد الله بن رواحة:

[البحر البسيط]

(١) صحيح ابن حبان - محققا ابن حبان ٢٠٤/٧

(٢) صحيح ابن حبان - محققا ابن حبان ٢٠٥/٧

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا

أو طعنة بيدي خران مجهزة ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

حتى يقولوا إذا مروا على جدثي ... أرشدك الله من غاز وقد رشدا

ثم إن القوم تهيأوا للخروج، فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعه، فقال:

فثبت الله ما آتاكم من حسن ... تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا

إني تفرست فيك الخير نافلة ... فراسة خالفتهم في الذي نظروا

أنت الرسول فمن يحرم نوافله ... والوجه منه فقد أزرى به القدر

ثم خرج القوم، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يشيعهم حتى إذا ودعهم وانصرف عنهم، قال عبد الله بن رواحة: [البحر الكامل]

خلف السلام على امرئ ودعته ... في النخل غير مودع وكليل

ثم مضوا حتى نزلوا بمعان من أرض الشام، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل ماء من أرض البلقاء في مئة ألف من الروم، وقد اجتمعت إليه المستعربة من لخم، وجذام، وبلقين، وبهرام، وبلي في مئة ألف منهم عليهم رجل من بلي أحد -[١٨١]- إراشة، يقال له: مالك بن زافلة، فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا بمعان ليلتين ينظرون في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول صلى الله عليه وسلم فنخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا برجال وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له، فشجع عبد الله بن رواحة الناس، وقال: يا قوم والله إن الذي تكرهون للذي خرجتم له تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد، ولا قوة، ولا كثرة، إنما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور، وإما شهادة، فقال عبد الله بن رواحة في مقامهم ذلك:." (١)

"٤٠٢ - حدثنا المقدام بن داود، ثنا أسد بن موسى، ثنا ابن لهيعة، عن زبان بن فائد، عن سهل بن معاذ، عن أبيه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ﷺمن حرس من وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا لا يأخذه سلطان لم ير النار بعينيه إلا تحلة القسم، فإن الله تعالى يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] "

٤٠٣ - حدثنا بكر بن سهل، ثنا محمد بن أبي السري، ثنا رشدين بن سعد، عن زبان بن فائد، عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله." (٢)

"٣٥٨ - حدثنا الحسين بن إسحاق التستري، ثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر، عن حفصة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ﷺإني لأرجو أن لا يدخل

---

(١) المعجم الكبير للطبراني الطبراني ١٧٩/١٣

(٢) المعجم الكبير للطبراني الطبراني ١٨٥/٢٠

النار أحد إن شاء الله ممن شهد بدرا، والحديبية» ، قلت: يا رسول الله أليس قد قال الله ﴿وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١] ، قال: " أولم تسمعيه يقول: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢] ؟ "." (١)

"٣٦٣ - حدثنا عبيد بن غنام، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر، عن حفصة، قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ﷺإني لأرجو أن لا يدخل النار أحد إن شاء الله ممن شهد بدرا، والحديبية» ، قلت: يا رسول الله ﴿وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١] ، قال: " أفلم تسمعيه يقول: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢] ؟ "." (٢)

"٢٦٦ - حدثنا عبيد بن غنام، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا عبد الله بن إدريس، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر، قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة وهو يقول: «ﷺلا يدخل النار رجل شهد بدرا والحديبية» قالت حفصة: يا رسول الله، إن الله يقول: ﴿وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١] قال: «ثم مه» قالت: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢]." (٣)

"٢٦٩ - حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، ثنا يحيى بن معين، ثنا حجاج بن محمد، عن ابن جريج، أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله، يقول: حدثتني أم مبشر، أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة: «ﷺلا يدخل النار إن شاء الله أحد من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها» قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] فقال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢]." (٤)

"٣٩٦٩ - حدثنا علي بن عبد العزيز، ثنا هارون بن عبد الله البزاز، ثنا محمد بن الحسن المخزومي، حدثني أبو عبد العزيز عبد الله بن عبد العزيز الليثي، عن ابن شهاب، عن عطاء بن يزيد، عن أبي أيوب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ﷺأول من يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته، والله ما يتكلم لسانها، ولكن يداها ورجلاها يشهدان عليها، بما كانت تغيب لزوجها، وتشهد يداه ورجلاه بما كان يوليها، ثم يدعى بالرجل وحرمه، فمثل ذلك، ثم يدعى بأهل الأسواق، وما يوجد ثم دوانيق ولا قرايط، ولكن حسنات هذا تدفع إلى هذا الذي ظلم، وسيئات هذا الذي ظلمه، ثم يؤتى بالجبارين في مقامع من حديد فيقال: أوردوهم إلى النار، فوالله ما أدري يدخلونها أو كما قال الله تعالى: ﴿وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢] "." (٥)

---

(١) المعجم الكبير للطبراني الطبراني ٢٠٦/٢٣

(٢) المعجم الكبير للطبراني الطبراني ٢٠٨/٢٣

(٣) المعجم الكبير للطبراني الطبراني ١٠٢/٢٥

(٤) المعجم الكبير للطبراني الطبراني ١٠٣/٢٥

(٥) المعجم الكبير للطبراني الطبراني ١٤٨/٤

"٩٠٨٤ – حدثنا الحسين بن إسحاق، ثنا يحيى الحماني، ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، ﴿ﷺوإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] قال: «ورودها الصراط»." (١)

"٩١٢٠ – حدثنا أبو يزيد القراطيسي، ثنا أسد بن موسى، ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، في قوله: ﴿ﷺوإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] ، قال: «الصراط»." (٢)

"١٥٠١١ – حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني، قال: دثنا أبو جعفر النفيلي (١) ، قال: دثنا محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة –[٣٧٨]– ثمان، واستعمل عليهم زيد بن حارثة، فقال لهم: «إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس» . فتجهز الناس، ثم تهيئوا للخروج، وهم ثلاثة آلاف، فلما حضر خروجهم، ودع الناس أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا عليهم، فلما ودع عبدالله مع من ودع بكى، فقيل له: ما يبكيك يا ابن رواحة؟ قال: أما والله ما بي حب الدنيا وصبابة، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا *﴾ (٢) ، فلست أدري كيف بالصدر بعد الورود؟! فقال لهم المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم، فردكم إلينا صالحين، فقال عبدالله بن رواحة (*) :

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرغ (٣) تقذف الزبدا –[٣٧٩]–

أو طعنة بيدي حران (٤) مجهزة ... بحربة [تنفذ الأحشاء والكبدا] (٥)

حتى يقولوا إذا مروا على جدثي (٦) ... أرشدك الله من غاز وقد رشدا

ثم إن القوم تهيئوا للخروج، فأتى عبدالله بن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعه فقال (*) :

ثبت (٧) الله ما آتاك من حسن ... تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا

إني تفرست فيك الخير نافلة ... فراسة خالفتهم في الذي نظروا

أنت الرسول فمن يحرم نوافله ... والوجه منه فقد [أزرى] (٨) به القدر

/ثم خرج القوم، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يشيعهم، حتى إذا ودعهم [ظ: ٢٢٨/ب]–[٣٨٠]–
وانصرف عنهم، قال عبدالله بن رواحة (٩) :

خلف السلام على امرئ ودعته ... في النخل غير مودع وكليل

ثم مضوا حتى نزلوا بمعان (١٠) من أرض الشام، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل [مآب] (١١) من أرض البلقاء في مئة ألف من الروم، وقد اجتمعت إليه المستعربة من لخم وجذام وبلقين (١٢) وبهراء وبلي، في مئة ألف منهم، عليهم رجل من [بلي] (١٣) آخذ رايته يقال له: مالك بن زانة (١٤) ، فلما بلغ ذلك [المسلمين] (١٥) أقاموا بمعان ليلتين ينظرون

---

(١) المعجم الكبير للطبراني الطبراني ٢٢٣/٩

(٢) المعجم الكبير للطبراني الطبراني ٢٢٩/٩

في -[٣٨١]- أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بعدد عدونا؛ فإما أن يمدنا برجال، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له، فشجع عبدالله بن رواحة الناس، وقال: يا قوم! والله إن الذي تكرهون للذي خرجتم له تطلبون: الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، وإنما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين: إما ظهور، وإما شهادة.

وقال عبدالله بن رواحة في مقامهم ذلك (١٦) :

---

(١) هو: عبد الله بن محمد بن نفيل.

[١٥٠١١] ذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٦/١٥٧-١٥٩) ، وقال: «رواه الطبراني، ورجاله ثقات إلى عروة» .

وتقدم عند المصنف برقم [٤٦٥٥] مختصرا. -[٣٧٨]-

ورواه أبو نعيم في "معرفة الصحابة" (٢٨٥٦) عن محمد بن أحمد بن الحسن، عن أبي شعيب الحراني، به.

ورواه ابن إسحاق في "السيرة"؛ كما في "السيرة النبوية" لابن هشام (٢/٣٧٣-٣٧٥) .

ورواه خليفة بن خياط في "تاريخه" (ص ٨٦-٨٧) عن بكر بن سليمان، والطبري في "تاريخه" (٢/٣٦-٣٨) من طريق سلمة بن الفضل، والحاكم في "المستدرك" (٣/٢١٥) ، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٢/٥-٧) ، و (١١/١٠٦-١٠٧) ، و (٢٨/١٢٣-١٢٤) ؛ من طريق يونس بن بكير، وأبو نعيم في "حلية الأولياء" (١/١١٨) من طريق عبد الرحمن بن محمد المحاربي، و (١/١١٩) من طريق إبراهيم بن سعد؛ جميعهم (بكر، وسلمة، ويونس، والمحاربي، وإبراهيم) عن ابن إسحاق، به، ورواية بعضهم مختصرة.

وسيأتي برقم [١٥٠١٤] من طريق أبي الأسود، عن عروة. وانظر الأحاديث التالية.

(٢) الآية (٧١) من سورة مريم.

(*) من بحر البسيط.

(٣) ذات فرغ؛ أي: ذات سعة، يعني: ضربة واسعة. "تاج العروس" (ف ر غ) . -[٣٧٩]-

(٤) الحران: العطشان. وحرت كبده فهي حرى: يبست من عطش أو حزن. وربما أراد حران الكبد حزنا على قتلاه، أو المتعطش للدماء. وانظر: "لسان العرب" و"تاج العروس" (ح ر ر) .

(٥) قوله: «تنفذ الأحشاء والكبدا» غير واضح في المخطوط، واستدركناه من "مجمع الزوائد".

(٦) الجدث: القبر. "تاج العروس" (ج د ث) .

(٧) كذا في الأصل، وفي "مجمع الزوائد": «يثبت» ، وفي بعض المصادر: «فثبت» . وما في الأصل متزن عروضيا إلا أن فيه علة الخزم؛ وهي حذف أول متحرك من الوتد المجموع في أول البيت. "الكافي في العروض والقوافي" للخطيب التبريزي (ص ١٤٣) .

(٨) في الأصل: «أودى» ، والمثبت من "مجمع الزوائد"، و"تاريخ دمشق" الموضعين الأول والثالث. و «أزرى به» أي: أدخل به عيبا، أو تهاون به. أما «أودى» فهو من الهلاك. "تاج العروس" (ز ر ي، ود ي) .

والحديث- كما ترى- من مراسيل عروة بن الزبير، فهو ضعيف لإرساله، فلسنا بحاجة لتكلف جواب عن قوله: «أزرى به القدر» ؛ إذ لا يظن أن يثبت هذا عن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، ثم لا يبين له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فيه من التعبير الذي لا ينبغي. -[٣٨٠]-

(٩) من بحر الكامل.

(١٠) قال ياقوت في "معجم البلدان" (١٥٣/٥) : معان- بالفتح وآخره نون، والمحدثون يقولونه بالضم-: مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء.

(١١) تقرأ في الأصل: «مآ» . والمثبت من "مجمع الزوائد" و"تاريخ الطبري" و"تاريخ دمشق". و «مآب» مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء. "معجم البلدان" (٣١/٥) .

(١٢) قوله: «بلقين» يعني: بني القين- وهم حي من بني أسد- وهي لغة لبعض العرب في كل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة؛ مثل «بلعنبر» ، و «بلحارث» ، و «بلهجيم» ، فيحذفون الياء لسكونها وسكون اللام، ولم يمكنهم إدغام النون في اللام لحركة النون وسكون اللام، فحذفوا النون بدلا من إدغامها. وإنما دعاهم إلى ذلك كثرة الاستعمال. وإذا لم تظهر اللام لم يحذفوا؛ مثل «بني النجار» ، و «بني النمر» و «بني التيم» ؛ لئلا يجمعوا عليه علتين: الإدغام والحذف.

وانظر: "المقتضب" (٢٥١/١) ، و"أسرار العربية" (ص ٤٢٨) ، و"همع الهوامع" (٤١٢/٣- ٤١٣) ، و"تاج العروس" (ق ي ن) .

(١٣) كلمة «بلى» غير واضحة في الأصل، وعليها آثار تصويب، واستدركناها من "تاريخ الطبري". وفي "مجمع الزوائد": «رجل يلى» .

(١٤) في "مجمع الزوائد": "ملك بن زانة"، وفي "تاريخ الطبري": «مالك بن رافلة» . وبقية المصادر لم تذكره.

(١٥) في الأصل: «المسلمون» ، والمثبت من "مجمع الزوائد" و"تاريخ الطبري". وسقط من "تاريخ دمشق" من بعد "المستعربة" إلى هنا. -[٣٨١]-

(١٦) سيورد المصنف رحمه الله ما أنشده عبد الله بن رواحة رضي الله عنه في الحديث التالي بإسناد آخر غير إسناد قصة وقعة مؤتة، ثم يستأنف القصة بإسناد هذا الحديث بعد انقضاء قصة إنشاد البيت.." [1]

"حبيب: قال مالك: " فتمسه قول الله عز وجل: " ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١]

١٣٦ - وأخبرنا أحمد بن محمد المدني، قال: حدثنا يونس، قال: حدثني ابن وهب، قال: أخبرني مالك.

وأخبرنا أحمد بن إبراهيم بن جامع، وأحمد بن محمد المكي قالا: حدثنا علي بن عبد العزيز، قال: حدثنا القعنبي، عن مالك، عن ابن شهاب، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة، «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى للناس النجاشي في اليوم الذي

---

(١) المعجم الكبير للطبراني جـ ١٣، ١٤ الطبراني ٣٧٧/١٤

مات فيه وخرج بهم إلى المصلى، فصف بهم وكبر أربع تكبيرات».

قال ابن وهب: «فكبر عليه»." (١)

"وكان رجلا لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، قال: فأنزل الله تعالى هذه الآية، فقلت: الآن أفعل يا رسول الله، فزوجها إياه (١) .

٢٦٨٤- (١٨٠) حدثنا عبدالله: حدثنا عبدالرحمن بن بشر بن الحكم: حدثني يحيى يعني ابن سعيد القطان، عن ابن جريج: أخبرني أبوالزبير، عن جابر بن عبدالله يقول:

طاف النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالبيت على راحلته وبالصفا والمروة ليراه الناس وليشرف وليسألوه، إن الناس غشوه (٢) .

٢٦٨٥- (١٨١) حدثنا عبدالله: حدثنا سعدان بن نصر وعلي بن حرب قالا: حدثنا أبومعاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر، عن حفصة قالت:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لأرجو أن لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية» ، قالت: فقلت: يا رسول الله، أليس الله تعالى يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] قال: ألم تسمعيه عز وجل يقول: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢]) (٣) .

٢٦٨٦- (١٨٢) حدثنا عبدالله: حدثنا علي بن حرب: حدثنا زيد بن

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٣٠) من طريق إبراهيم بن طهمان به.

(٢) أخرجه مسلم (١٢٧٣) من طريق ابن جريج به.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٢٨١) ، وأحمد (٦/ ٢٨٥) ، وأبويعلى (٧٠٤٤) من طريق أبي معاوية به.

وهو عند مسلم (٢٤٩٦) من طريق جابر، عن أم مبشر، أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة ...." (٢)

"﴿وإن منكم إلا واردها﴾ ... [٧١] ... ٢٦٨٥

﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ ... [٧٢] ... ٢٦٨٥

﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا﴾ ... [٨٥] ... ٩٨٠

﴿هل تحس منهم من أحد﴾ ... [٩٨] ... ١٠١٩

سورة طه

﴿طه. ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ ... [١، ٢] ... ٣١٠٤

---

(١) مسند الموطأ للجوهري الجوهري، أبو القاسم ص/١٣٩

(٢) المخلصيات المخلص ٣٤٨/٣

سورة الأنبياء

﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون. كل نفس ذائقة الموت﴾ ... [٣٣،٣٤] ... ٥٤٩، ٣٠١٠

﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ ... [٦٣] ... ١٨٧٥

سورة الحج

﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ ... [٣٩] ... ٢٥١٦

﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾ ... [٧٨] ... ٩٨٣

سورة المؤمنون

﴿الذين يرثون الفردوس﴾ ... [١١] ... ١٨٦١

﴿فخلقنا المضغة عظاما﴾ ... [١٤] ... ٢٨٧٧

﴿وهم فيها كالحون﴾ ... [١٠٤] ... ٨٩٣، ١٧٩٨

﴿ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين﴾ ... [١٠٦] ... ٣٠٣٦

سورة النور

﴿والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين﴾ ... [٣] ... ٢٣٠٢

﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ ... [٣١] ... ١٧٣٤." (١)

"٣٤٢١ - أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، ثنا سعيد بن مسعود، ثنا عبيد الله بن موسى، أنبأ إسرائيل، عن السدي، قال: سألت مرة الهمداني عن قول الله عز وجل: ﴿وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١] فحدثني أن عبد الله بن مسعود حدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ﷺيرد الناس النار، ثم يصدرون بأعمالهم فأولهم كلمع البرق، ثم كمر الريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب، ثم كشد الرحال، ثم كمشيهم» هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاهK3421 - على شرط مسلم." (٢)

"٣٤٢٣ - أخبرنا محمد بن إسحاق الصفار، ثنا أحمد بن نصر، ثنا عمرو بن طلحة القناد، أنبأ إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله رضي الله عنه، ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] قال: ﷺ" الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطائفة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود الإبل والبهائم، ثم يمرون والملائكة تقول: رب سلم سلم «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» K3423 - على شرط البخاري ومسلم." (٣)

---

(١) المخلصيات المخلص ١٨٤/٤

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم الحاكم، أبو عبد الله ٤٠٧/٢

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم الحاكم، أبو عبد الله ٤٠٧/٢

"٨٧٤١ – حدثني أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، ثنا سعيد بن مسعود، ثنا عبيد الله بن موسى، أنبأ إسرائيل، عن السدي، قال: سألت مرة عن قوله عز وجل: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] فحدثني أن عبد الله بن مسعود حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «ﷺيرد الناس النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم، فأولهم كلمح البرق، ثم كالريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب في رحله، ثم كشد الرجل، ثم كمشيه» هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وقد رواه شعبة، عن إسماعيل السدي "K8741 – على شرط مسلم." (١)

"٨٧٤٢ – حدثناه أحمد بن كامل القاضي، أنبأ أبو بكر بن أبي العوام، ثنا سعيد بن عامر، ثنا شعبة، عن السدي، عن مرة، عن عبد الله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] قال: ﷺ«يردونها ثم يصدرون عنها بأعمالهم»." (٢)

"٨٧٤٣ – حدثنيه أبو علي الحافظ، ثنا أبو عبد الرحمن النسائي، ثنا محمد بن المثنى، ثنا عبد الرحمن بن مهدي، ثنا شعبة، عن السدي، عن مرة، عن عبد الله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] قال: ﷺ«يردونها ثم يصدرون عنها بأعمالهم» قال عبد الرحمن بن مهدي: فحدثت شعبة، عن إسرائيل، عن السدي، عن مرة، عن عبد الله مرفوعا، عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكني أدعه عمدا." (٣)

"٨٧٤٥ – أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن الجراح العدل بمرو، ثنا يحيى بن ساسويه، ثنا علي بن حجر، ثنا داود بن الزبرقان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن مرة الهمداني، أن ابن مسعود، سئل عن قول الله عز وجل: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] قال: «وإن ﷺمنكم إلا داخلها كان على ربك حتما مقضيا ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا» هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه "K8745 – داؤد بن الزبر تركه أبو داود." (٤)

"٨٧٤٨ – حدثنا أبو العباس محمد بن علي بن عبد الحميد الصنعاني بمكة حرسها الله تعالى، ثنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، أنبأ عبد الرزاق، أنبأ ابن عيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، قال: "كان عبد الله بن رواحة واضعا رأسه في حجر امرأته فبكى فبكت امرأته، فقال: ما يبكيك؟ قالت: رأيتك تبكي فبكيت، قال: إني ذكرت قول الله عز وجل: ﴿ﷺوإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] فلا أدري أننجو منها أم لا «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» K8748 – فيه إرسال." (٥)

"١٢٧٥ – أخبرنا أحمد بن سليمان بن حذلم، ثنا عبد الله بن الحسين –[١٠٩]– المصيصي، ثنا محمد بن كثير، عن زائدة، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر، قالت: كنت في بيت حفصة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﷺ«لا يدخل النار إن شاء الله أحد شهد بدرا والحديبية» قالت: فقالت حفصة: ألست تسمع الله يقول:

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم الحاكم، أبو عبد الله ٤/٦٢٩

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم الحاكم، أبو عبد الله ٤/٦٣٠

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم الحاكم، أبو عبد الله ٤/٦٣٠

(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم الحاكم، أبو عبد الله ٤/٦٣٠

(٥) المستدرك على الصحيحين للحاكم الحاكم، أبو عبد الله ٤/٦٣١

﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] ؟ فقال: أولست تسمعين الله عز وجل يقول: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ [مريم: ٧٢] ؟ "." (١)

"٢١٩٣ - أنا محمد بن الحسين الفارسي، قال: نا أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد بن حمدون ببالس قال: نا إسحاق بن خالد بن يزيد البالسي، قال: نا حجاج، عن ابن جريج، أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرا، يقول: أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة: «لا يدخل النار إن شاء الله أحد من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها» قالت: بلى فانتهرها، قالت حفصة: ﴿ﷺوإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] فقال النبي صلى الله عليه وسلم " ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢]
-[١٢٣٧]- " أخرجه مسلم." (٢)

"حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، ثنا الحسن بن سهل، ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، قال: لما أراد ابن رواحة الخروج إلى أرض مؤتة من الشام، أتاه المسلمون يودعونه فبكى، فقالوا له: ما يبكيك؟ قال: أما والله ما بي حب الدنيا، ولا صبابة لكم، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية: ﴿وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١]، فقد ﷺعلمت أني وارد النار، ولا أدري كيف الصدر بعد الورود "." (٣)

"حدثنا فاروق بن عبد الكبير، ثنا زياد بن الخليل، ثنا إبراهيم، ثنا محمد بن فليح، ثنا موسى بن عقبة، عن ابن شهاب الزهري، قال: " زعموا أن ابن رواحة، بكى حين أراد الخروج إلى مؤتة، فبكى أهله حين رأوه يبكي، فقال: والله ما بكيت جزعا من الموت، ولا صبابة لكم، ولكني ﷺبكيت من قول الله عز وجل: ﴿وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١]، فأيقنت أني واردها، ولم أدر أأنجو منها -[١١٩]- أم لا "." (٤)

"حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المفتولي المقرئ قال: ثنا حاجب بن أبي بكر، قال: ثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا مرحوم العطار، قال: حدثني أبو عمران الجوني، قال: " ﷺتكون الأرض زمانا نارا فماذا أعددتم لها؟ وذلك قوله تعالى: ﴿وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢] "." (٥)

"حدثنا عبد الله بن أحمد بن محمد، ثنا جعفر بن محمد الفريابي، ثنا عبد الأعلى بن حماد، ثنا وهيب، ثنا أبو مسعود الجريري، عن أبي السليل، عن غنيم بن قيس، عن كعب قرأ هذه الآية: ﴿ﷺوإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما

---

(١) فوائد تمام تمام بن محمد الدمشقي ١٠٨/٢
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة اللالكائي ١٢٣٦/٦
(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ١١٨/١
(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ١١٨/١
(٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٣١٤/٢

مقضيا﴾ [مريم: ٧١]. ثم قال: " تدرون ما ورودها؟ تبرز جهنم للناس كأنها متن إهالة حتى تستوي عليها أقدام الخلائق، برهم وفاجرهم، فينادي مناد: أن خذي أصحابك ودعي أصحابي، فتخسف بكل ولي لها فهي أعرف بهم من الرجل بولده، ويخرج -[٣٦٨]- المؤمنون ندية ثيابهم " حدثنا أبو محمد بن حيان، ثنا ابن رسته، ثنا عباس النرسي، ح. وحدثنا عبد الله بن محمد بن سلام، ثنا داود بن إبراهيم قال: ثنا وهيب، نحوه." (١)

"حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، ثنا أبو يعلى، ثنا روح بن عبد المؤمن، ثنا مرحوم بن عبد العزيز، عن أبي عمران، عن أبي الجلد، قال: ﷺتكون الأرض يومئذ نارا فماذا أعددتم لها وذلك قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١] إلى قوله: جثيا." (٢)

"النصوص وتتفق ومن المعهود في المخاطبة أن وفد من بلد إلى بلد محبس فيه لأمر أوجب احتباسه فيه مدة ما فإنه ليس من أهل ذلك البلد الذي حبس فيه فمن دخل في النار ثم أخرج منها فقد انقطع عنه صليها فليس من أهلها وأهل صليها على الإطلاق والجملة هم الكفار المخلدون فيها أبدا فهكذا جاء في الحديث الصحيح فقد ذكر عليه السلام فيه من يدخل النار بذنوبه ثم يخرج منها ثم قال صلى الله عليه وسلم وأما أهل النار الذين هم أهلها يعني الكفار المخلدين فيها وقد قال عز وجل ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ فقد بين عليه السلام ذلك بقوله في الخبر الصحيح ثم يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فبالقرآن وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم صح أن ممر الناس من محشرهم إلى الجنة إنما هو بخوضهم وسط جهنم وينجي الله أولياء من حرها وهم الذين لا كبائر لهم أو لهم كبائر تابوا عنها ورجحب حسناوتهم بكبائرهم أو تساوت كبائرهم وسيئاتهم بحسناتهم وأنه تعالى يمحص من رجحت كبائره وسيئاته ثم يخرجهم عنها إلى الجنة بإيمانهم ويمحق الكفار بتخليدهم في النار كما قال تعالى ﴿وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين﴾ وأيضا فإن كل آية وعيد وخبر وعيد تعلق به من قال بتخليد المذنبين فإن المحتجين بتلك النصوص هم أول مخالف لها لأنهم يقولون أن من يأتى بتلك الكبائر ثم تاب سقط عنه الوعيد فقد تركوا ظاهر تلك النصوص فإن قالوا إنما قلنا بنصوص أخر أو جبت ذلك قيل لهم نعم وكذلك فعلنا بنصوص أخر وهي آيات الموازنة وأنه تعالى لا يضيع عمل عامل من خير أو شر ولا فرق ويقال لمن أسقط آيات الوعيد جملة وقال أنها كلها إنما جاءت في الكفار أن هذا باطل لأن نص القرآن بالوعيد على الفار من الزحف ليس إلا على المؤمن بيقين بنص الآية في قوله تعالى ﴿ومن يولهم يومئذ دبره﴾ ولا يمكن أن يكون هذا في كافر أصلا فسقط قول من قال بالتخليد وقول من قال باسقاط الوعيد ولم يبق إلا فول من أجمل جواز المغفرة وجوز العقاب

(قال أبو محمد) فوجدنا هذا القول مجملا قد فسرته آيات الموازنة وقوله تعالى الذي تعلقوا به ﴿أن الله لا يغفر إن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ حق على ظاهرها وعلى عمومها وقد فسرتها بإقرارهم آيات أخر لأنه لا يختلف في أن الله تعالى يغفر أن يشرك به لمن تاب من الشرك بلا شك وكذلك قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فهذاكله حق إلا أنه

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٣٦٧/٥

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٥٥/٦

قد بين من هم الذين شاء أن يغفر لهم فإن صرتم إلى بيان الله تعالى فهو الحق وأن أبيتم إلا الثبات على الأجمال فأخبرونا عن قول الله تعالى ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾ وقوله تعالى ﴿بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ أترون أن هذا العموم تقولون به فتجيزون أنه يغفر الكفر لأنه." (١)

"وليس هذا وزنا وندري أن إثم القاتل أعظم من إثم اللاطم وأن ميزان مصلي الفريضة أعظم من ميزان مصلي التطوع بل بعض الفرائض أعظم من بعض فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن من صلى الصبح في جماعة كمن قام ليلة ومن صلى العتمة في جماعة فكأنما قام نصف ليلة وكلاهما فرض وهكذا جميع الأعمال فإنما يوزن عمل العبد خيره مع شره ولو نصح المعتزلة أنفسهم لعلموا أن هذا عين العدل وأما من قال بما لا يدري أن ذلك الميزان ذو كفتين فإنما قاله قياسا على موازين الدنيا وقد أخطأ في قياسه إذ في موازين الدنيا مالا كفة له كالقرسطون وأما نحن فإنما اتبعنا النصوص الواردة في ذلك فقط ولا نقول إلا بما جاء به قرآن أو سنة صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا ننكر إلا ما لم يأت فيهما ولا نكذب إلا بما فيهما إبطاله وبالله تعالى التوفيق

وأما الحوض فقد صحت الآثار فيه وهو كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم ولمن ورد عليه من أمته ولا ندري لمن أنكره متعلقا ولا يجوز مخالفة ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا وغيره وبالله تعالى التوفيق

وأما الصراط فقد ذكرناه في الباب الأول الذي قبل هذا وأنه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوضع الصراط بين ظهراني جهنم ويمر عليه الناس فمخدوش وناج ومكردس في نار جهنم وأن الناس يمرون عليه على قدر أعمالهم كمر الطرف فما دون لك إلى من يقع في النار وهو طريق أهل الجنة إليها من المحشر في الأرض إلى السماء وهو معنى قول الله تعالى ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ وأما كتاب الملائكة لأعمالنا فحق قال الله تعالى ﴿وأن عليكم لحافظين كراما كاتبين﴾ وقال تعالى ﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ وقال تعالى ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك﴾ وقال تعالى ﴿إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾

قال أبو محمد وكل هذا ما لا خلاف فيه بين أحد ممن ينتمي إلى الإسلام إلا أنه لا يعلم أحد من الناس كيفية ذلك الكتاب عذاب القبر قال أبو محمد ذهب ضرار بن عمرو الغطفاني أحد شيوخ المعتزلة إلى إنكار." (٢)

"٣٤٩ - أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا محمد بن إسحاق الصاغاني ، ثنا حجاج بن محمد ، قال: قال ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابرا ، رضي الله عنه يقول: أخبرتني أم مبشر ، أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة رضي الله عنها: ﷺ«لا يدخل النار إن شاء الله تعالى أحد من أصحاب الشجرة الذين بايعوني تحتها» قالت: بلى يا رسول الله ، فانتهرها ، فقالت حفصة رضي الله عنها: ﴿وإن منكم

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ابن حزم ٤/٤٢

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ابن حزم ٤/٥٥

إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " وقد قال الله تعالى: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢] رواه مسلم في الصحيح عن هارون بن عبد الله عن حجاج بن محمد." (١)

"ﷺباب القول في الشفاعة وبطلان قول من قال بتخليد المؤمنين في النار قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾ [الإسراء: ٧٩] وقال: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ [الضحى: ٥] وقال: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢]." (٢)

"أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، ثنا سعيد بن مسعود، ثنا عبيد الله بن موسى، أنا إسرائيل، عن السدي، قال: سألت مرة الهمداني عن قول الله، عز وجل ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١] فحدثني أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﷺ«يرد الناس -[٢٠٤]- النار ثم يصدرون بأعمالهم فأولهم كلمع البرق ثم كمر الريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب ثم كشد الرجال ثم كمشيهم»." (٣)

"ورواه أبو الأحوص، عن عبد الله بن مسعود في قوله ﴿ﷺوإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] قال: الصراط على جهنم." (٤)

"أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ ، ثنا أبو العباس، محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن إسحاق الصغاني ، ثنا حجاج بن محمد، قال: قال ابن جريج، أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابرا، يقول أخبرتني أم مبشر، أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة: ﷺ«لا يدخل النار إن شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها» ، قالت: بلى ، يا رسول الله ، فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " قد الله عز وجل ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢]." (٥)

"٢٠٠٣٢ - أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا الحسن بن علي بن عفان العامري ، ثنا خالد بن مخلد ، ثنا مالك بن أنس ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﷺ" لا يموت لأحد ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم ". أخرجه البخاري في الصحيح من حديث مالك. قال أبو عبيد نرى قوله: " تحلة القسم: يعني قول الله تبارك وتعالى ﴿وإن منكم إلا واردها

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي البيهقي، أبو بكر ٤٢٧/١
(٢) الاعتقاد للبيهقي البيهقي، أبو بكر ص/١٩١
(٣) الاعتقاد للبيهقي البيهقي، أبو بكر ص/٢٠٣
(٤) الاعتقاد للبيهقي البيهقي، أبو بكر ص/٢٠٤
(٥) الاعتقاد للبيهقي البيهقي، أبو بكر ص/٣٢٢

كان على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١] ، يقول: فلا يردها إلا بقدر ما يبر الله قسمه فيه " ، وفيه أنه أصل للرجل يحلف: ليفعلن كذا وكذا ، ثم يفعل منه شيئا دون شيء يبر في يمينه. قال الشيخ: يعني: يفعل ما يقع عليه الاسم." (١)

"أخبرني أبو عبد الله الحسين بن عمر بن محمد بن عبد الله القصاب، ثنا أحمد بن جعفر بن حمدان ، إملاء، ثنا الفضل بن الحباب الجمحي ، بالبصرة، ثنا بندار ، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، ثنا شعبة ، عن السدي ، عن مرة ، عن عبد الله ، قال: " ﴿ﷺوإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] قال: يردونها ثم يصدرون بأعمالهم " قال عبد الرحمن: فقلت لشعبة: إن إسرائيل حدثني عن السدي عن مرة عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال شعبة: قد سمعته من السدي مرفوعا ولكني عمدا أدعه." (٢)

"والاستثناء بالمشيئة يدل على الانقسام وقوله تعالى ﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها﴾ وتخصيصه بالكفر تحكم

وقوله تعالى ﴿ألا إن الظالمين في عذاب مقيم﴾

وقال تعالى ﴿ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار﴾

فهذه العمومات في معارضة عموماتهم ولا بد من تسليط التخصيص والتأويل على الجانبين لأن الأخبار مصرحة بأن العصاة يعذبون بل قوله تعالى ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ كالصريح في أن ذلك لا بد منه للكل إذ لا يخلو مؤمن عن ذنب يرتكبه." (٣)

"وقوله تعالى ﴿لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى﴾ أراد به من جماعة مخصوصين أو أراد بالأشقى شخصا معينا أيضا

وقوله تعالى ﴿كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها﴾ أي فوج من الكفار وتخصيص العمومات قريب

ومن هذه الآية وقع للأشعري وطائفة من المتكلمين إنكار صيغ العموم وأن هذه الألفاظ يتوقف فيها إلى ظهور قرينة تدل على معناها

وأما المعتزلة فشبهتهم قوله تعالى

﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى﴾

وقوله تعالى ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾

وقوله تعالى ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾." (٤)

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي البيهقي، أبو بكر ١١٠/١٠

(٢) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي الخطيب البغدادي ص/٤١٧

(٣) قواعد العقائد أبو حامد الغزالي ص/٢٥٥

(٤) قواعد العقائد أبو حامد الغزالي ص/٢٥٦

"طبعا وخلقا فيفيض منه أفعال الشجعان بعد ذلك طبعا وإن كان مائلا إلى طرف الزيادة وهو التهور فليشعر نفسه بعواقب الأمور وبعظم أخطارها وليتكلف الاحجام إلى أن يعود إلى الاعتدال أو ما يقرب منه فإن الوقوف على حقيقة حد الاعتدال شديد ولو تصور ذلك لارتحلت النفس عن البدن وليس معها علاقة منها فكانت لا تتعذب أصلا بالتأسف على ما يفوته منها وكان لا يتكدر عليه ابتهاجه بما يتجلى له من جمال الحق وجلاله ولكن لما عسر ذلك جاء في قوله تعالى ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾

وقال عليه السلام شيبتني سورة هود وأخواتها وأراد به قوله تعالى ﴿فاستقم كما أمرت﴾ فان الامتداد على الصراط المستقيم في طلب الوسط بين هذه الأطراف شديد وهو أدق من الشعر وأحد من السيف كما وصف من حال الصراط في الدار الآخرة ومن استقام على الصراط في الدنيا استقام عليه في الآخرة بل يكون في الآخرة مستقيما إذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه ولذلك يجب في كل ركعة من الصلاة سورة الفاتحة المشتملة على قوله تعالى ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ فانه أعز الأمور وأعصاها على الطالب ولو كلف ذلك في خلق واحد لطال العناء فيه فكيف وقد كلفنا ذلك في جميع الأخلاق مع خروجها عن الحصر كما سيأتي ولا مخلص عن هذه المخاطرات إلا بتوفيق الله ورحمته ولذلك قال عليه الصلاة والسلام الناس كلهم هلكى إلا العالمون والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم

فنسأل الله العظيم أن يمدنا بتوفيقه لنتجاوز الأخطار في هذه الدار ولا نخدع بدواعي الاغترار فهذا هذا ثم ما يندرج تحت فضيلة الشجاعة فهو الكرم والنجدة وكبر النفس والاحتمال والحلم والثبات والنبل والشهامة والوقار." (١)

"الأجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين البصر والمرئي ولا بد من ارتفاع الحجاب لحصول الرؤية وما لم يرتفع كان الادراك الحاصل مجرد التخيل فكذلك مقتضى سنة الله تعالى أن النفس ما دامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وما غلب عليها من الصفات البشرية فانها لا تنتهي إلى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجية عن الخيال بل هذه الحياة حجاب لها مانع عنها بالضرورة كحجاب الأجفان عن رؤية الأبصار

ولذلك قال الله تعالى لموسى عليه السلام ﴿لن تراني﴾ وقال تعالى ﴿لا تدركه الأبصار﴾ أي في الدنيا فاذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكلية وان كانت متفاوتة في ذلك التلوث فمنها ما تراكم عليها الخبث والصدأ فصارت كالمرآة التي قد فسد بطول تراكم الخبث جوهرها ولا تقبل الاصلاح والتصقيل وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم أبدالأباد نعوذ بالله منه

ومنها ما لم ينته إلى حد الرين والطبع ولم يخرج عن قبول التزكية والتصقيل فيعرض على النار عرضا يقلع منه الخبث الذي هو متدنس به ويكون عرضه على النار بقدر الحاجة إلى التزكية وأقلها لحظة خفيفة وأقصاها في حق المؤمنين كما ورد في الخبر سبعة آلاف سنة ولن يرتحل نفس من هذا العالم إلا ويصحبها غبرة وكدورة ما وإن قلت

ولذلك قال تعالى ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ أللهم إلا نفوسا قد انغمست في تأمل الجبروت

---

(١) معارج القدس في مدارج معرفه النفس أبو حامد الغزالي ص/٨٨

وانخرطوا في سلك القدس مستديمين لشروق نور الحق في أسرارهم على الدوام فهؤلاء مبدؤهم ومعادهم سواء فان من النفوس الانسانية وعقولها ما هو نفس مفطورة على التجرد والتقدس." (١)

"أي: أبررتها، يريد إلا قدر ما يبر الله قسمه فيه، وهو قوله عز وجل: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] الآية، فإذا مر بها وجاوزها، فقد أبر قسمه، وقيل: ليس في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] قسم فتكون له تحلة، ولكن معناه إلا التعذير الذي لا يصيبه منه مكروه، من قول العرب: ضربه تحليلا، وضربه تعذيرا: إذا لم يبالغ في ضربه، والأول أصح، وموضع القسم مردود إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿فوربك لنحشرنهم﴾ [مريم: ٦٨]، وقيل: القسم فيه مضمر، معناه وإن منكم والله إلا واردها، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وإن منكم لمن ليبطئن﴾ [النساء: ٧٢] أي: والله لمن ليبطئن.

١٥٤٣ - أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، نا عبد الرحيم بن منيب، نا سفيان، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم».." (٢)

"قالت: قلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١]، قال: " فكم تسمعينه يقول: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢] ".

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم، عن هارون بن محمد، عن حجاج بن محمد، عن ابن جريج، عن أبي الزبير، عن جابر، عن أم مبشر، أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة

قلت: قد قيل في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] الورود عند العرب: موافاة المكان قبل دخوله، بدليل قوله سبحانه وتعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ [الأنبياء: ١٠١]، وقد يكون الورود دخولا، وهو المراد من قوله عز وجل: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١]، قاله ابن عباس، وهذا مذهب أهل السنة، وقالوا: النار يدخلها البر والفاجر، ثم ينجي الله المؤمنين، لأن النجاة إنما تكون مما دخل فيه، وأيضا قال: ﴿ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢]، هذا يدل على أن الكل داخلوها، فأخرج الله البعض، وترك البعض.

٣٩٩٥ - أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي، أنا عبد العزيز." (٣)

"عبد الحاكم

٦٤١- أخبرنا عبد الحاكم بن ظفر بن أحمد بن محمود بن أحمد بن محمود أبو طاهر الثقفي بقرءاتي عليه في جامع أصبهان العتيق قال أبنا أبو الخير محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن هارون المعروف بررا إمام الجامع قال ثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر اليزدي الجرجاني إملاء أبنا حاجب بن أحمد الطوسي ثنا محمد بن حماد الغازي ثنا أبو معاوية الضرير

---

(١) معارج القدس في مدارج معرفه النفس أبو حامد الغزالي ص/١٥٨

(٢) شرح السنة للبغوي البغوي ، أبو محمد ٥/٤٥١

(٣) شرح السنة للبغوي البغوي ، أبو محمد ١٤/١٩٤

محمد بن حازم عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر عن حفصة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد شهد بدرا -[٥٢٢]- والحديبية قال قلت يا رسول الله أليس قد قال الله عز وجل: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ قال فلم تسمعيه يقول: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ . كذا في هذه الرواية وإنما هو من رواية أم مبشر عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الصحيح من حديث أبي الزبير عن جابر كذلك.." (١)

"قيامهم حول النار ثم يمرون على الصراط بقدر أعمالهم

قال الله تعالى ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾

١٤٠ - فصل

الورود على الصراط حق فمن الناس من يمر مثل البرق الخاطف ومنهم من يمر مثل الطير ومنهم من يمر على أجود الخيل ومنهم كعدو الرجل حتى أن آخرهم يمشي ويقع هكذا ورد في الحديث." (٢)

"حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه، تجر يد، وتعلق يد، وتجر رجل، وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فيخلصون، فإذا خلصوا قالوا: الحمد لله الذي نجانا منك بعد أن أراناك، لقد أعطانا الله ما لم يعط أحدا» ، الحديث.

[معنى الورود في قوله تعالى " وإن منكم إلا واردها "]

واختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] ، ما هو؟ والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط، قال تعالى: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢] . وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم، قال: «والذي نفسي بيده، لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة، قالت حفصة: فقلت: يا رسول الله، أليس الله يقول: وإن منكم إلا واردها [مريم: ٧١] فقال: ألم تسمعيه قال: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢] » [مريم: ٧٢] . أشار صلى الله عليه وسلم إلى أن ورود النار." (٣)

"باب: فضل الغدوة والروحة

٩٠٧ - حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، حدثنا حسين بن محمد، حدثنا عمرو بن صفوان المزني، أخبرنا عروة بن الزبير، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «غدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها» .

باب: فضل الحرس في سبيل الله

---

(١) معجم ابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٥٢١/١

(٢) أصول الدين الغَزْنَوي، جمال الدين ص/٢٣٩

(٣) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط ابن أبي العز ٦٠٦/٢

٩٠٨ - حدثنا محرز، حدثنا رشدين بن سعد بن زبان بن فائد، عن سهل بن معاذ، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:: " من حرس من وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا لا يأخذه سلطان لم ير النار بعينيه إلا تحلة القسم، فإن الله سبحانه وتعالى لا شريك له يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] .

٩٠٩ - حدثنا عمرو بن الضحاك بن مخلد، حدثنا أبي، حدثنا شبيب بن بشر، عن." (١)

"وسئل الحسن عن السعيد والشقي متى يكون سعيدا وشقيا؟ فقال: السعيد في علم الغيب عند الله سعيد قبل أن يخلق، ولا يكون من فعل العبد، وما يختم له به إلا بعمل السعادة حتى يجعله الله سعيدا بعمله برحمة الله له، ويكون فعله موافقا لما سبق في علم الغيب فيه.

والشقي في علم الله شقي قبل أن يخلق، ولا يكون من فعله وخاتمة عمله إلا عمل الأشقياء حتى يكون عمله وما يختم له به موافقا لما سبق في علم الله أنه شقي. نسأل الله أن يمن علينا بالسعادة ولا يجعلنا من الأشقياء برحمته، فإنه ولي ذلك، والقادر عليه، وكان أمر الله قدرا مقدورا، وقال: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ [يونس: ٩٩]، وقال: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين (١١٨) إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾ [هود: ١١٨ - ١١٩] أي: للرحمة، وقال: ﴿ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وقال: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١]، وقال: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقال: ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون (٧) فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم﴾ [الحجرات: ٧ - ٨]، وقال: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا﴾ [النساء: ٨٣]، وقال: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال: ﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون﴾ [فصلت: ١٧] فأخبر الله سبحانه أنه لم يعذب من عصاه إلا بعد البيان والحجة، والإعذار إليهم، فكان عذابه لهم عقوبة إذ عصوه.

وقال محمد في المسائل: وسألت عمن يقول: إن الله لم يخلق شقيا ولا سعيدا. فإنا نقول: قد خلق الله الشقي والسعيد، فلن يزول عن الشقي أن يكون شقيا، ولا عن السعيد أن يكون سعيدا، وهو الذي سبق في علم الله أن يسعد." (٢)

"المسلمين بالعذاب (١) ليس هو الخلود، وإنما هو الورود كما في قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١].

ومن قال بعمومه، تمسك بحديث جابر مرفوعا على أنها " تكون على البر بردا وسلاما "، وهو الحديث (٢٤٥) من مسنده في " جامع ابن الجوزي " (٢).

قال هؤلاء المقدم ذكرهم: قد يمكن في (٣) هذا القدر أن يكون على وجه لا يكون فيه عذاب، وذلك بأن يكون المعنى

---

(١) المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي نور الدين الهيثمي ٤٠٧/٢

(٢) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ٣٢٠/٥

أن الله تعالى حرم عذاب النار على هؤلاء ومسها على وجه العذاب والغضب، ولكنه قد صح بل تواتر أن: " الحمى من فيح جهنم ". ولقد روى البخاري هذا المعنى عن سبعة من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - في موضع واحد على عزة شرطه، وذلك في باب صفة النار، وأنها مخلوقة، فإنه رواه هناك عن زيد بن وهب عن أبي ذر (٤)، وعن أبي هريرة (٥) لكن ببعضه وفي الصلاة (٦) بتمامه عن ابن المديني، عن [سفيان، عن] الزهري، [عن

---

(١) في (ش): " بالعدل "، وهو خطأ.

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٣٢٩، وعبد بن حميد (١١٠٦)، وصححه الحاكم ٥/ ٤٨٧، ووافقه الذهبي.

وأورده ابن كثير في " تفسيره " ٣/ ١٣٨ - ١٣٩ من رواية الإمام أحمد، وقال: غريب لم يخرجوه.

وذكره السيوطي في " الدر المنثور " ٥/ ٥٣٥، وزاد نسبته للبيهقي في " البعث " والحكيم الترمذي وابن أبي حاتم وابن المنذر، وقال الهيثمي في " المجمع " ٧/ ٥٥ و١٠/ ٣٦٠: رواه أحمد ورجاله ثقات.

(٣) " في " ساقطة من (ش).

(٤) برقم (٣٢٥٨)، وأخرجه أيضا برقم (٥٣٥) و (٥٣٩)، ومسلم (٦١٦)، وأبو داود (٤٠١)، والترمذي (١٥٨).

(٥) برقم (٣٢٦٠).

(٦) برقم (٥٣٦)، وأخرجه مسلم (٦٤٥)، ومالك ١/ ١٥، وأبو داود (٤٠٢)، والترمذي (١٥٧)، والنسائي ١/ ٢٤٨ - ٢٤٩.." (١)

"أمناء أصحابه رضي الله عنهم.

الآية الأولى: قوله تعالى في الزمر [٣٢ - ٣٦]: ﴿فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين (٣٢) والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون (٣٣) لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين (٣٤) ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون (٣٥) أليس الله بكاف عبده﴾ وفي قراءة ﴿عباده﴾ (١). والبشرى فيها من وجهين:

الوجه الأول: أنه ثبت بها إن الصادق، المصدق بقلبه المخلص للتصديق من المتقين، وهذا صحيح في السمع واللغة.

أما السمع: فهذه الآية وغيرها مما يأتي بعدها.

وأما اللغة، فلأنه قد اتقى جميع أنواع الشرك والكفر، وكل من فعل فعلا وجب في اللغة أن يشتق له منه اسم، فيجب أن يشتق له اسم المتقي، كما أنه لو عصى معصية واحدة، وجب أن يشتق له اسم العاصي، وقد قال الله في آدم وهو نبي ذنبه صغير: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ [طه: ١٢١]، فنسب إليه المعصية والغواية بصغيرة مكفرة في جنب حسناته، فكيف لا ينسب إلى المسلم تقوى أعظم الذنوب، ويشتق له منها اسم المتقي بخلاف الاتقاء، فلا يكون إلا لمن ترك الشرك والكبائر؟ وهو الذي يجنب النار، كما قال تعالى: ﴿وسيجنبها الأتقى﴾ [الليل: ١٧]، وقال: ﴿لا يسمعون حسيسها﴾ [الأنبياء:

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ٤١٩/٨

١٠٢]، وأما التقي، فيردها، ثم ينجو برحمة الله، كما قال تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا﴾ [مريم: ٧١ - ٧٢].

والذي يوضح هذه المسألة: قوله تعالى: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ [المائدة: ٢٧]. وقد أجمعت الأمة على صحة طاعات أهل الكبائر من

---

(١) هي قراءة حمزة والكسائي. انظر " حجة القراءات " ص ٦٢٢.." (١)

"مبتدع ولا أثري ولا متكلم ومن تعرض لها لم يحظ بطائل وقد يرد القرآن بهذه الحجة الظاهرة المناسبة لعرف العقلاء وحدها مثل آيات الوعيد وقد يرد بما يقتضي التعليل بحكمته الحقيقية المناسبة لعلمه الحق وحدها كقوله تعالى في سورة هود ﴿وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ وكذلك قوله تعالى ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ فانا نعلم أن هذه لم تكن سدى خالية عن الحكمة وقد يرد القرآن بهما جميعا كقوله تعالى جوابا على من قال ﴿فارجعنا نعمل صالحا﴾ قال تعالى ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون﴾ فجمع بينهما حيث أجاب على الكفار قولهم ﴿أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل﴾ استدراكا منهم لما فات فأخبرهم أنه كان قادرا على تحصيل ذلك منهم فيما مضى ولو أرادوه لم يفته حتى يحتاج إلى الملافاة والاستدراك وحين علمنا حكمته في ذلك حسن أن نشير اليها في الجملة من غير بيان معين كما قال سبحانه وتعالى للملائكة ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ جوابا على قولهم ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾

وأما ما ورد في ذلك من السنة فأنواع

منها حديث لا أحد أحب اليه العذر من الله تعالى من أجل ذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب

ومنها عملهم بمقتضى قوله تعالى ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ وقوله ﴿وخذوا حذركم﴾." (٢)

") وهي واضحة في تقدم الارادة قبل وقت قطع الاعذار والعذاب لا يقع قبل ذلك في حكم الله تعالى لقوله تعالى ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ وكذلك قوله تعالى ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ وفي آية أخرى ﴿وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ وفي آية اخرى ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ الاية وفي هذه الآيات الثلاث دلالة واضحة على أن عذاب الاخرة من قبيل الحق الراجح المتضمن للمصالح وهذه العبارات المؤكدة في وقوعه كلام من قد أراد ذلك فكيف يقسم عليه وهو لا يريده

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ٢٠١/٩

(٢) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات ابن الوزير ص/٢٥٧

وأما دليل العقول على ذلك فلان الارادة انما تتأخر في حقنا لتأخر العلم بالمرجحات وعدم العلم بانتفاء الموانع والمعارضات ولذلك قال أبو الحسين انها هي الداعي الراجح الراجع الى العلم لملازمة الفعل لذلك ولملازمة الارادة له وذلك منه يفضي الى نحو قول الاشعرية في قدم الارادة وأما الاثري السني فلا حاجة له الى الخوض في ذلك كما تقدم

البحث الثامن ان ارادة الله تعالى نافذة وانه لا راد لما أراد وقد تقدم كثير منها ولكن في هذا البحث فوائد مهمة لم تقدم ولا بأس ببعض التكرار للتأكيد والفائدة ولذلك ورد به كتاب الله تعالى وهو أكثر الكتب حكمة وأحكاما

وهذا البحث مبني على ان الله تعالى على كل شيء قدير وهذا ما لا شك فيه ولكن أكثر المعتزلة زعموا ان الله تعالى مريد لفعل جميع ما يقدر عليه من هداية المكلفين واللطف بهم بل اعتقدوا ان ذلك واجب عليه ولاجل اعتقادهم وجوبه عليه قطعوا حين لم يفعله انه غير قادر عليه تنزيها له من الاخلال بالواجب." (١)

"المؤمنين والصلحاء يوم القيامة، وإنما المراد طريق الجنة المشار إليه بقوله تعالى: ﴿سيهديهم ويصلح بالهم﴾ [محمد: ٥] ، وطريق النار المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ [الصافات: ٢٣] .

ومنهم من حمله على الأدلة الواضحة والمباحات والأعمال الرديئة ليسأل عنها ويؤاخذ بها.

وكل هذا باطل وخرافات؛ لوجود رد النصوص على حقائقها، وليس العبور على الصراط بأعجب من المشي على الماء أو الطيران في الهواء، والوقوف فيه.

وقد أجاب – صلى الله عليه وسلم – عن سؤال حشر الكافر على وجهه بأن القدرة صالحة لذلك.

وأنكر العلامة القرافي كون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف، وسبقه إلى ذلك شيخه العز بن عبد السلام، والحق أن الصراط وردت به الأخبار الصحيحة، وهو محمول على ظاهره بغير تأويل كما ثبت في الصحيحين والمسانيد والسنن والصحاح مما لا يحصى إلا بكلفة من أنه جسر مضروب على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق، وهم في جوازه متفاوتون.

وقال المنكر لكون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف: هذا إن ثبت حمل على غير ظاهره لمنافاته للأحاديث الأخر من قيام الملائكة على جنبتيه، وكون الكلاليب والحسك فيه، وإعطاء كل من المارين عليه من النور قدر موضع قدميه.

قال القرافي: والصحيح أنه عريض، وقيل طريقان يمنى ويسرى، فأهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين، وأهل الشقاوة يسلك بهم ذات الشمال، وفيه طاقات كل طاقة تنفذ إلى طبقة من طبقات جهنم، وجهنم بين الخلق وبين الجنة، والجسر على ظهرها منصوب فلا يدخل أحد الجنة حتى يمر على جهنم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] على أحد الأقوال.

ثم قال القرافي تبعا للحافظ البيهقي: كون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف لم أجده في الروايات الصحيحة، وإنما يروى عن بعض الصحابة، فيؤول بأن أمره أدق من الشعر، فإن يسر الجواز عليه وعسره على قدر الطاعات والمعاصي، ولا يعلم حدود ذلك إلا الله تعالى، وقد جرت العادة بضرب دقة الشعر مثلا للغامض الخفي، وضرب حد السيف لإسراع

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات ابن الوزير ص/٢٦٧

الملائكة في المضي لامتثال أمر الله، وإجازة الناس عليه.
ورد هذا." (١)

"الله على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» ". وروى الإمام أحمد عن أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها - قالت: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: " «إني لأرجو الله أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد ممن شهد بدرا والحديبية» ". قالت: قلت: أليس الله تعالى يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] قال: فسمعته يقول: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢] . وأخرج مسلم والترمذي من حديث جابر - رضي الله عنه - أن عبدا لحاطب جاء يشكو إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حاطبا، فقال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار. فقال: " «كذبت، لا يدخلها فإنه قد شهد بدرا والحديبية» ".
وفي الصحيح عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في قصة كتاب حاطب، «وأن عمر بن الخطاب قال: يا رسول الله دعني أضرب عنقه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " أليس من أهل بدر؟ ولعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم - أو قال: - قد وجبت لكم الجنة» ". وفي المعنى أحاديث غير ما ذكرنا.

(تنبيه (قد استشكل جمع قوله: " «اعملوا ما شئتم» "، فإن ظاهره أنه للإباحة، وهو خلاف عقد الشرع، وأجيب بأنه إخبار عن الماضي، أي كل عمل كان لكم فهو مغفور، ويؤيده أنه لو كان لما يستقبلونه من العمل لم يقع بلفظ الماضي، ولقال: فسأغفره لكم، وتعقب بأنه لو كان للماضي لما حسن الاستدلال به في قصة حاطب، لأنه - صلى الله عليه وسلم - خاطب بذلك عمر - رضي الله عنه - منكرا عليه ما قاله في أمر حاطب، وهذه القصة كانت بعد بدر بست سنين فدل على أن المراد ما سيأتي، وأورده بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه، «فإن أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - قال لحاطب: قاتلك الله، ترى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأخذ بالأنقاب وتكتب إلى قريش تحذرهم؟ دعني يا رسول الله أضرب عنقه، فإن الرجل قد نافق. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " وما يدريك يا عمر، إن الله - عز وجل - اطلع على أصحاب بدر يوم بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم؟ " فاغرورقت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم حين سمعه يقول في أهل بدر ما قال، وأنزل الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ [الممتحنة: ١]." (٢)

"هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار" رواه مسلم.

الصراط:

---

(١) لوامع الأنوار البهية السفاريني ١٩٣/٢

(٢) لوامع الأنوار البهية السفاريني ٣٦٤/٢

٧٦ - ونؤمن بأن الله يضرب الصراط (١) على ظهر جهنم فيمر عليه الناس أجمعون فينتهي أهل الجنة إلى الجنة ويسقط منه في النار أهل النار،

- لقوله تعالى: ﴿وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا، ثم ننجي الذين اتقوا، ونذر الظالمين فيها جثيا (٢)﴾.

دار العذاب:

٧٧ - ونؤمن بأن الله خلق النار دار عذاب وخلود لمن كفر، ودار عذاب إلى أجل لمن رجحت سيئاتهم على حسناتهم فاستحقوا العذاب.

وأن العذاب فيها للأرواح والأجساد،

---

(١) يضرب الصراط: يضعه وينصبه.

(٢) جثيا: جاثين على الركب جمع جاث أي بارك على ركبتيه.." (١)

"[دليل الصراط من الكتاب]

س: ما دليل الصراط من الكتاب؟

ج: قال الله عز وجل: ﴿وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا - ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧١ - ٧٢] وقال تعالى: ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم﴾ [الحديد: ١٢] الآيات.

[دليل الصراط من السنة]

س: ما دليل ذلك وصفته من السنة؟

ج: فيه أحاديث كثيرة منها: قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة: «يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم "، قلنا: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: " مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد، يقال لها السعدان، يمر المؤمن عليها كالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، وناج مخدوش، ومكدوس في نار جهنم، حتى يمر آخرهم يسحب سحبا» (١) . الحديث في الصحيح، وقال أبو سعيد رضي الله عنه: بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف " (٢) .

[دليل القصاص من الكتاب]

س: ما دليل القصاص من الكتاب؟

---

(١) العقائد الإسلامية لابن باديس ابن باديس، عبد الحميد ص/١٢٥

ج: قال الله تعالى: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما﴾ [النساء: ٤٠] وقال تعالى: ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم﴾ [غافر: ١٧] إلى قوله: ﴿والله يقضي بالحق﴾ [غافر: ٢٠] الآيات، وقوله تعالى: ﴿وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون﴾ [الزمر: ٦٩] الآيات.

[دليل القصاص وصفته من السنة]

س: ما دليل القصاص وصفته من السنة؟

---

(١) رواه البخاري (٧٤٣٩) ، ومسلم (الإيمان / ٣٠٢) .

(٢) رواه مسلم (الإيمان / ٣٠٢) ، وأحمد (٦ / ١١٠) عن عائشة.." (١)

"فصل: فيما جاء في الصراط

وينصب الجسر بلا امتراء ... كما أتى في محكم الأنباء

يجوزه الناس على أحوال ... بقدر كسبهم من الأعمال

فبين مجتاز إلى الجنان ... ومسرف يكب في النيران

وينصب الجسر وهو الصراط على متن جهنم بلا امتراء بلا شك كما أتى في محكم الأنباء من الآيات والأحاديث يجوزه يمر عليه الناس على أحوال متفاوتة بقدر كسبهم في الحياة الدنيا من الأعمال من إحسان أو إساءة أو تخليط ف هم بين مجتاز عليه إلى الجنان وهم المؤمنون على تفاوت درجاتهم ومراتبهم في البطء والإسراع ومسرف على نفسه يكب في النيران فلا ينجو، ومنهم من تلفحه وتمسه النار بقدر ذنبه، ثم يخرج منها قال الله تعالى ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧١] وقال تعالى: ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير﴾ [الحديد: ١٢-١٥] .

وروى الإمام أحمد عن كثير بن زياد البرساني عن أبي سمية قال اختلفنا في الورود فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن وقال بعضنا يدخلونها جميعا ثم ينجي الله." (٢)

---

(١) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة = ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة الاسلامية حافظ بن أحمد حكمي ص/٦٨

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول حافظ بن أحمد حكمي ٢/٨٥٠

"الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبد الله فقلت له إنا اختلفنا في الورود فقال يردونها جميعا

وقال سليمان بن مرة يدخلونها جميعا، وأهوى بأصبعيه إلى أذنيه وقال صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: "لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم، حتى إن للنار ضجيجا من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا" ١.

وروى الحسن بن عرفة عن خالد بن معدان قال قال أهل الجنة بعدما دخلوا الجنة ألم يعدنا ربنا الورود على النار قال قد مررتم عليها وهي خامدة٢.

وروى عبد الرزاق عن قيس بن حازم قال كان عبد الله بن رواحة واضعا رأسه في حجر امرأته فبكى فبكت امرأته، فقال ما يبكيك قالت رأيتك تبكي فبكيت، قال إني ذكرت قول الله عز وجل ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] فلا أدري أأنجو منها أم لا٣.

وله عن ابن عباس في قصة مخاصمته نافع بن الأزرق فقال ابن عباس الورود الدخول فقال نافع لا، فقرأ ابن عباس ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾ [الأنبياء: ٩٨] أوردوها أم لا وقال ﴿يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار﴾ [هود: ٩٨] أوردوها أم لا أما أنا وأنت فسندخلها فانظر هل نخرج منها أم لا، وما أرى الله تعالى مخرجك منها بتكذيبك، فضحك نافع٤.

وروى ابن جرير عن مجاهد قال كنت عند ابن عباس فأتاه رجل يقال له أبو

---

١ رواه أحمد ٣/ ٣٢٨ ٣٢٩ ورجاله ثقات غير أبي سمية، قال الحافظ مقبول.

ولذلك قال ابن كثير غريب ولم يخرجوه.

٢ الحسن بن عرفة ابن كثير ٣/ ١٣٢ وابن جرير ١٦/ ١٠٩.

٣ عبد الرزاق في مصنفه، ورجاله ثقات.

٤ أخرجه عبد الرزاق وابن جرير ١٦/ ١٠٨ ١٠٩ وسعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث وفيه رجل مبهم، ويشهد له الذي بعده.." (١)

"راشد وهو نافع بن الأزرق فقال له يابن عباس أرأيت قول الله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١] قال أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها، فانظر هل نصدر عنها أم لا١ وعنه رضي الله عنه في ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] قال البر والفاجر، ألا تسمع إلى قول الله تعالى لفرعون ﴿يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار﴾ [هود: ٩٨] الآية ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا﴾ [مريم: ٨٦] فسمى الورود على النار دخولا، وليس بصادر٢.

وروى الإمام أحمد رحمه الله عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يرد الناس كلهم ثم يصدرون عنها بأعمالهم" ٣ ورواه الترمذي هكذا مرفوعا وقد رواه ابن أبي حاتم

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول حافظ بن أحمد حكمي ٨٥١/٢

عنه موقوفا قال: "يرد الناس جميعا الصراط، ورودهم قيامهم حول النار ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل الريح، ومنهم من يمر مثل الطير، ومنهم من يمر كأجود الخيل، ومنهم من يمر كأجود الإبل، ومنهم من يمر كعدو الرجل حتى إن آخرهم مرا رجل نوره على موضع إبهامي قدميه يمر فيتكفأ به الصراط، والصراط دحض مزلة عليه حسك كحسك القتاد، حافتاه ملائكة معهم كلاليب من نار يختطفون بها الناس" ٤ الحديث.

وروى ابن جرير عنه في ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] قال: "الصراط على جهنم مثل حد السيف، فتمر الطبقة الأولى كالبرق والثانية كالريح والثالثة

---

١ ابن جرير ١٦/ ١١١.

٢ ابن جرير ٩/ ١٠٨ ١٠٩ وأخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٥/ ٥٣٥ وإسناده مسلسل بالضعفاء.

٣ رواه أحمد ١/ ٤٣٥ والترمذي ٥/ ٣١٧/ ح٣١٥٩ في التفسير باب ومن سورة مريم وقال هذا حديث حسن وابن جرير ١٦/ ١١١ وفي سنده إسماعيل السدي، قال شعبة وقد سمعته من السدي مرفوعا، ولكني عمدا أدعه.

٤ أخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ٣/ ١٣٩ وقد تقدم ذكر شعبة في هذا، والسدي له أوهام.." (١)

"كأجود الخيل والرابعة كأجود البهائم، ثم يمرون والملائكة يقولون اللهم سلم سلم" ١.

وقال قتادة قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] قال: "هو الممر عليها" ٢ وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرانيها، وورود المشركين أن يدخلوها٣.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم" ٤ قال الزهري: كأنه يريد هذه الآية: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١] قال ابن مسعود قسما واجبا، وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا مرفوعا من حديثه الطويل في الرؤية والشفاعة، وفيه: "ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان -قالوا: نعم يا رسول الله قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله عز وجل، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله، والموثق بعمله، ومنهم المخردل أو المجازى أو نحوه" ٥ الحديث.

وفيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه من حديثه الطويل في ذلك مرفوعا وفيه: "ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم" قلنا يا رسول الله، وما الجسر قال: "مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها

---

١ أخرجه ابن جرير ١٦/ ١١٠ قال ابن كثير ولهذا شواهد في الصحيحين وغيرهما من رواية أنس وأبي سعيد وأبي هريرة وجابر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ٣/ ١٣٩ ١٤٠.

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول حافظ بن أحمد حكمي ٢/٨٥٢

٢ أخرجه ابن جرير ٩/ ١١٠.

٣ أخرجه ابن جرير ٩/ ١١١ قلت وهذا أقرب الأقوال إلى الصحة، وله تشهد النصوص والدلائل.

٤ رواه البخاري ٣/ ١١٨ في الجنائز باب فضل من مات له فاحتسب ومسلم ٤/ ٢٠٢٨/ ح٢٦٣٢ في البر والصلة باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه.

٥ رواه البخاري ١٣/ ٤١٩ ٤٢٠ في التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ ومسلم ١/ ١٦٣-١٦٦/ ح١٨٢ في الإيمان باب معرفة طريق الرؤية.." (١)

"الشفاعة

الشفاعة لغة الوسيلة والطلب وعرفها بعضهم بأنها سؤال الخير للغير، وقيل: هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم .. والشفاعة تنقسم إلى قسمين مثبتة ومنفية: فالمثبتة هي التي أثبتها الله تعالى لأهل الإخلاص، ولها شرطان مذكوران في قوله تعالى: ﴿وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾، وأما الشفاعة المنفية فهي التي تطلب من غير الله، أو بغير إذنه، أو لأهل الشرك قال تعالى: ﴿من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون﴾ ... وشرح العلماء الشفاعة إلى ثمانية أنصاف:

١) الشفاعة العظمى: وهي شفاعة النبي - صلى الله عليه وسلم - لأهل الموقف حتى يقض بينهم حين يتراجع الأنبياء آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم جميعا صلوات رب وسلامه، وهي المقام المحمود.

٢) شفاعة في أهل الجنة أن يدخلوها.

٣) شفاعة سائر النبئين والصدقين والشهداء والصالحين وغيرهم فيشفعون فيمن استحق النار أن لا يدخلها وهو تكريم من الله- يوم القيامة- لبعض التفاة، يشفع الله من يشاء فيمن شاء ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾.

٤) وفيمن دخلها أن يخرج منها بعد أن يردها حقا ويراها عين اليقين ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾.

٥) في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم، فيشفع - صلى الله عليه وسلم - فيهم.

٦) الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.." (٢)

"«قال: "فينطلق إلى أصحابه، فيرونه من بعيد، فيقولون: اللهم ائتنا بهذا وبارك لنا في هذا، حتي يأتيهم، فيقول لهم: أبشروا؛ فإن لكل رجل منكم مثل هذا، وأما الكافر؛ فيعطى كتابه بشماله، مسودا وجهه، ويمد له في جسمه ستون ذراعا على صورة آدم، ويلبس تاجا من نار، فيراه أصحابه، فيقولون: نعوذ بالله من شر هذا، اللهم لا تأتنا بهذا". قال: "فيأتيهم، فيقولون: اللهم أخزه، فيقول: أبعدكم الله؛ فإن لكل رجل منكم مثل هذا» .

قال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب".

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول حافظ بن أحمد حكمي ٢/٨٥٣

(٢) كتاب التوحيد المسمى التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد عمر العرباوي ص/١٩٤

الفائدة الرابعة والعشرون: إثبات الصراط ومرور الخلق عليه.

ويشهد لهذا قول الله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ .

وقد روى الإمام أحمد عن أبي سمية؛ قال: اختلفنا هاهنا في الورود، فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا: يدخلونها جميعا، ثم ينجي الله الذي اتقوا، فلقيت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، فقلت: إنا اختلفنا في ذلك الورود، فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا: يدخلونها جميعا. فأهوى بأصبعيه إلى أذنيه، وقال: صمتا؛ إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الورود الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم، حت إن للنار (أو قال: لجهنم) ضجيجا من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا» .

قال الهيثمي: "رجاله ثقات". وقد رواه الحاكم في "مستدركه"، وقال "صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي في "تلخيصه".

وروى الحاكم أيضا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يرد الناس النار، ثم يصدرون عنها بأعمالهم، فأولهم كلمح البرق،»." (١)

"والدليل من القرآن على الصراط قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ فإن المراد بالورود في الآية المرور على جهنم فوق الصراط، المضروب على متنها، ثم من الناس من يسقط، ومنهم من ينجو، قال تعالى: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ ، ولا يلزم من المرور على الصراط فوقها دخول كل من مر في النار وتعذيبه بها، ولا يلزم أيضا من التعبير بالإنجاء دخول من أنجاهم الله فيها، فإنه يكفي في صحة التعبير بالإنجاء انعقاد أسباب الهلاك مع تخليص أهل الخير، كما في قوله تعالى: ﴿فلما جاء أمرنا نجينا صالحا﴾ . وقوله: ﴿ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا﴾ وقوله: ﴿ولما جاء أمرنا نجينا هودا﴾ فأخبر سبحانه بإنجائهم ولم يكن أصابهم ولا أصاب من آمن بهم شيء من العذاب الذي أهلك الله به من كذبهم وكفرهم، فكان توفر أسباب العذاب إجمالا كافيا لتصحيح التعبير بالإنجاء من الهلاك، وقال صلى الله عليه وسلم: «يجمع الله الناس يوم القيامة -إلى أن قال-: فيعطون نورهم على قدر أعمالهم، وقال: فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى دون ذلك بيمينه، حتى يكون آخر من يعطى نوره على إبهام قدمه، يضيء مرة ويطفأ أخرى، إذا أضاء قدم قدمه، وإذا طفئ قام، قال: فيمر ويمرون على الصراط، والصراط كحد السيف ودحض مزلة، فيقال لهم:»." (٢)

"المسك، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا.

فعن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنا فرطكم على الحوض، من مر على شرب، ومن شرب لا يظمه أأبدا، ليردن على أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم، ف أقول: إنهم مني (١)، فيقال: لا تدرى ما أحدثوا

---

(١) إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة التويجري، حمود بن عبد الله ٣/٣٢٠

(٢) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي - قسم العقيدة عبد الرزاق عفيفي ص/٢٣٧

بعدك، ف أقول: سحقا سحقا لمن غير بعدى» (٢).

* الصراط:

روا مسلم والترمذى، أن عائشة رضى الله عنها تلت هذه الآية: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار﴾ (٣)، قالت: يا رسول الله، أين يكون الناس؟ قال: «على الصراط»، وهو طريق يوضع على ظهر جهنم، يمر عليه الأولون والآخرون بعد انصرافهم من الموقف، فأهل الجنة يمرون عليه، وهم متجهون إليها، وأهل النار يسقطون فيها.

﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا *ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ (٤).

وفى حديث الإمام مسلم، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «يضرب الصراط بين ظهرى جهنم، ف أكون أنا وأمتى أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوة الرسل يومئذ: اللهم سلم، وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله – عز وجل – تخطف الناس ب أعمالهم».

---

(١) أى من أمتى.

(٢) أى بعدا لمن ارتد عن دينه؛ والحديث رواه البخارى ومسلم.

(٣) سورة إبراهيم – الآية ٤٨.

(٤) سورة مريم – الآية ٧١، ٧٢.." (١)

"* وكان من جملة المبايعين أبو بكر وعمر وعثمان وعلي.

فوصفهم الله تعالى بالإيمان، وهذه شهادة من الله عز وجل بأن كل من بايع تحت الشجرة؛ فهو مؤمن مرضي عنه، والنبي عليه الصلاة والسلام قال: "لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة"؛ (١) فالرضى ثابت بالقرآن، وانتفاء دخول النار ثبت بالسنة.

* وقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة" قد يقول قائل: كيف نجمع بينه وبين قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١]؟

فالجمع من أحد وجهين:

الأول: أن يقال: إن المفسرين اختلفوا في المراد بالورود، فقال بعضهم: هو المرور على الصراط؛ لأن هذا نوع ورود بلا شك؛ كما في قوله تعالى: ﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون﴾ [القصص: ٢٣]، ومعلوم أنه لم ينزل وسط الماء، بل كان حوله وقريبا منه، وبناء على هذا؛ لا إشكال ولا تعارض أصلا.

والوجه الثاني: أن من المفسرين من يقول: المراد بالورود الدخول، وأنه ما من إنسان إلا ويدخل النار، وبناء على هذا القول؛ فيحمل قوله: "لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة": لا يدخلها دخول عذاب وإهانة، وإنما يدخلها تنفيذا للقسم:

---

(١) العقائد الإسلامية سيد سابق ص/٢٨٨

﴿وإن

---

(١) تقدم تخريجه (٢/ ٢٦٠).." (١)

"منكم إلا واردها﴾، أو يقال: إن هذا من باب العام المخصوص بأهل بيعة الرضوان.

* وقوله: "الشجرة": الشجرة هذه شجرة سدر، وقيل: شجرة سمر، ولا طائل تحت هذا الخلاف، كانت ذات ظل، فجلس النبي – صلى الله عليه وسلم – تحتها يبايع الناس، وكانت موجودة في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وعهد أبي بكر رضي الله عنه وأول خلافة عمر، فلما قيل له: إن الناس يختلفون إليها –أي: يأتونها– يصلون عندها؛ أمر رضي الله عنه بقطعها، فقطعت.

قال في "الفتح" (١): "وجدته عند ابن سعد بإسناد صحيح، لكن في "صحيح البخاري" (٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: رجعنا من العام المقبل –يعني: بعد صلح الحديبية– فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها، كانت رحمة من الله. وهكذا قال المسيب والد سعيد: فلما خرجنا من العام المقبل؛ نسيناها، فلم نقدر عليها".

وهذا لا ينافي ما ذكره ابن حجر عن ابن سعد؛ لأن نسيانها لا يستلزم عدمها ولا عدم تذكرها بعد. والله أعلم.

وهذه من حسنات عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ لأننا نظن

---

(١) "فتح الباري" (٧/ ٤٤٨).

(٢) رواه: البخاري (٤١٦٢ و ٤١٦٣) (٢٩٥٨) عن ابن عمر رضي الله عنه، ورواه أيضا (٤١٦٢ و ٤١٦٣) عن والد سعيد بن المسيب.." (٢)

"... الشرح....

الصراط:

الصراط لغة: الطريق، وشرعا: الجسر الممدود على جهنم ليعبر الناس عليه إلى الجنة، وهو ثابت بالكتاب والسنة وقول السلف.

قال الله تعالى:

﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] .

فسرها عبد الله بن مسعود وقتادة وزيد بن أسلم بالمرور على الصراط، وفسرها جماعة منهم ابن عباس بالدخول في النار لكن ينجون منها.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلم سلم"، متفق عليه١٠٤.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين ابن عثيمين ٢٦٣/٢

(٢) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين ابن عثيمين ٢٦٤/٢

واتفق أهل السنة على إثباته.

صفة الصراط:

سئل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الصراط فقال: "مدحضة مزلة عليها خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان" رواه البخاري١٠٥، وله من حديث أبي هريرة: "وبه كلاليب مثل شوك السعدان غير

---

١٠٤ جزء من حديث أبي سعيد الخدري الطويل الذي أخرجه: البخاري: كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ [القيامة: ٢٢] "٧٤٣٩".

ومسلم: كتاب الإيمان: باب معرفة طريق الرؤية "١٨٣" "٣٠٢".

* الجسر: بفتح الجيم وكسرها لغتان مشهورتان وهو الصراط. شرح النووي لمسلم "٣/٢٩".

١٠٥ جزء من حديث أبي سعيد الخدري المتقدم عند البخاري ومسلم.." (١)

"الآية رقمها الصفحة

---

(١) تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد للعثيمين ابن عثيمين ص/١٢٦

"ذكر ما يقع بعد فصل القضاء

بعد ذلك يستجيب الله دعوته فيفصل بينهم، ويقول -كما في هذا الحديث-: (إني أنصت لكم منذ خلقت السماوات والأرض إلى هذا اليوم، فأنصتوا لي لأحكم بينكم) ، فعند ذلك تنصب الموازين، وتنشر الدواوين، ويأتي دور الحساب، ويحاسب الله كل أحد، وتتفرق الكتب وتتطاير الصحف بالأيمان وبالشمائل، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله، فيسعد الله أقواما ويشقي أخرين، يسعد أهل الدين وأهل التقوى وأهل الصلاح، ويشقى أهل الفساد وأهل الكفر والعناد.

بعد ذلك يكون ما أخبر الله به من كونه يميز هؤلاء من هؤلاء، فتفرق عليهم أنوار، فيمشون في أنوارهم فينطفئ نور المنافق ونور الكافر، ثم يتأخر فيضرب بينهم بسور له باب، وذلك تمهيد وفصل بين أهل التقوى وأهل الشقاوة -والعياذ بالله- حتى يميز الله بينهم.

ثم بعدما يتميزون ويركبون الصراط ويسلكونه وهو جسر على متن جهنم يمرون عليه بقدر أعمالهم، كما ذكر في بعض الأحاديث أنه أحر من الجمر وأحد من السيف وأدق من الشعرة، وأنهم يسيرون عليه بأعمالهم، فمنهم من يمر عليه كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كأجاود الخيل والركاب، ومنهم من يعدو عدوا، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يزحف زحفا، وعلى جنبتي الصراط كلاليب مثل شوك السعدان تخطف من أمرت بخطفه، فناج مسلم، ومخدوش، ومكردس في النار تختطفه تلك الكلاليب التي ذكر أنها مثل شوك السعدان إلا أنه لا يعلم قدرها إلا الله تعالى.

---

(١) تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد للعثيمين ابن عثيمين ص/١٧٣

فإذ نجوا من الصراط وسلكوه وكانوا قد وعدوا بأنهم يردون النار في قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم:٧١] قالوا: أين النار التي وعدنا الله بأنا سوف نردها؟ فيقال: إنكم مررتم عليها وهي خامدة.

يعني: عندما مروا على الصراط وكان منصوبا على متن جهنم، وذلك لأنه إذا مر المؤمن لم يحس بلهبها، بل تقول: جز يا مؤمن، فقد أطفأ نورك لهبي.

عند ذلك يوقفون على قنطرة بين الجنة والنار، ويقتص من بعضهم لبعض مظالم كانت بينهم، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم بدخول الجنة، ولا يدخلونها أيضا إلا بعد أن يستأذن لهم أو يشفع لهم نبينا صلى الله عليه وسلم، وهذه من خصائصه ومن مميزاته.." (١)

"تميز المؤمنين عن المنافقين عند المرور على الصراط

قد أخبر الله تعالى أنه يتميز المؤمنون من المنافقين في قول الله تعالى: ﴿نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم * يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم﴾ [الحديد:١٢-١٣] ، إذا أعطوا نورا وفرقت عليهم الأنوار انطفأ نور المنافقين، وسار المؤمنون بنورهم، فإذا ساروا تأخر المنافقون في تلك الظلمة، وعند ذلك يمنعون ويحجزون، ويقولون: ﴿انظرونا نقتبس﴾ يعني: نأخذ قبسا نستضيء به من نوركم، فيقال: ﴿ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا﴾ [الحديد:١٣] ، ارجعوا إلى المكان الذي قسمت فيه الأنوار فيرجعون، فإذا رجعوا ضرب بينهم بسور: حاجز منيع له باب لا يدخل إلا من ذلك الباب ﴿باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب﴾ [الحديد:١٣] ، فهذا الوقت الذي يتميز فيه المنافقون من المؤمنين.

وقد ورد أيضا: (يقال: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ومن كان يعبد القمر القمر، ومن كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتمثل لكل فئة طاغوتها الذي كانت تعبده، فيمثل للنصارى تمثال على هيئة ما يعبدونه، ويقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله، يقال: كذبتم ما اتخذ الله من ولد ولا صاحبة، ما تريدون؟ فيقولون: عطشنا يا رب! فيقال: ألا تردون؟ فيساقون إلى جهنم فيتساقطون فيها، وكذلك يقال لليهود، فيتساقطون فيها، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فإذا بقيت هذه الأمة أتاهم ربهم، فيقول: ماذا تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا، فيقول: أنا ربكم، فإذا تجلى لهم سجدوا، فإذا سجدوا تمكن المؤمنون من السجود، ولم يتمكن المنافقون، كلما أراد المنافق أن يسجد خر لقفاه، وذلك قوله تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون * خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون﴾ [القلم:٤٢-٤٣]) أي: قد كانوا يدعون في الدنيا إلى الصلاة وهم سالمون فلا يسجدون، فكذلك إذا دعوا إلى السجود يوم القيامة وأرادوا أن يسجدوا لم يحصل لهم ولم يستطيعوا السجود، وهنالك تقسم عليهم الأنوار ويتميز المؤمنون عن المنافقين، وينادون المؤمنين: ألم نكن معكم؟ فيقولون: ﴿بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم﴾ [الحديد:١٤] ، وهذا واضح في كلام الله.

وفي الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الجسر الذي ينصب يوم القيامة على متن جهنم ويعبرونه، يقول العلماء:

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ٦/٢٤

إن هذا هو المرور أو الورود، فالله تعالى أخبر أن كلا يرد على النار فقال تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم:٧١-٧٢] ، فمرورهم على هذا الصراط هو ورودهم المذكور: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ ، فأما المؤمنون المتقون فإن الله تعالى ينجيهم، ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ [مريم:٧٢] ، ولا تضرهم، بل كلما مروا على لهب منها طفئ اللهب، ويروى: (أن النار تقول: جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي، فإذا عبروا يتساءلون: ألم يعدنا ربنا أننا نرد النار؟ فيقال: إنكم قد وردتموها وهي هامدة خامد) ، هذا هو مرورهم على هذا الصراط.." (١)

"اختلاف العلماء في معنى قوله تعالى: (وإن منكم إلا واردها)

قال المؤلف رحمنا الله تعالى وإياه: [واختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم:٧١] ، ما هو؟ والأظهر والأقوى: أنه المرور على الصراط، قال تعالى: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم:٧٢] ، وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال: (والذي نفسي بيده! لا يلج أحد بايع تحت الشجرة، قالت حفصة فقلت: يا رسول الله! أليس الله يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم:٧١] ، فقال: ألم تسمعيه قال: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم:٧٢]) ، أشار صلى الله عليه وسلم إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا يستلزم حصوله، بل يستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه أعداؤه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه؛ يقال: نجاه الله منهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ولما جاء أمرنا نجينا هودا﴾ [هود:٥٨] ، وقال تعالى: ﴿فلما جاء أمرنا نجينا صالحا﴾ [هود:٦٦] ، وقال تعالى: ﴿ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا﴾ [هود:٩٤] ، ولم يكن العذاب أصابهم، ولكن أصاب غيرهم، ولولا ما خصهم الله به من أسباب النجاة لأصابهم ما أصاب أولئك، وكذلك حال الواردين النار يمرون فوقها على الصراط، ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم:٧٢] ، فقد بين صلى الله عليه وسلم في حديث جابر المذكور: (أن الورود هو المرور على الصراط) ، وروى الحافظ أبو نصر الوائلي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (علم الناس سنتي وإن كرهوا ذلك، وإن أحببت ألا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة فلا تحدثن في دين الله حدثا برأيك) ، أورده القرطبي، وروى أبو بكر أحمد بن سليمان النجاد عن يعلى بن منية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جز يا مؤمن! فقد أطفأ نورك لهبي)] .

قول الله تعالى -لما ذكر النار في سورة مريم-: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم:٧١] ، ظاهره أن كل الناس واردو النار، كلهم لابد أن يردوا النار، ما هذا الورود؟ ورد في بعض الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم: (من فعل كذا لم يدخل النار إلا تحلة القسم) ، والمراد: الورود المذكور في هذه الآية، وقوله: (تحلة القسم) كأن الله أقسم بأنكم لابد أن تردوها، لابد من الورود لها، والأصل أن الورود: هو الإتيان إلى الشيء، ومنه تسمية الإبل التي تأتي إلى الماء ورودا، يقال: وردت الإبل المياه.

يعني: جاءت إليها، وأخبر الله تعالى عن آل فرعون أنهم يردوها في قوله تعالى: ﴿فأوردهم النار وبئس الورد المورود﴾

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ١٢/٦٤

[هود:٩٨] ، فظاهر هذا أنه أدخلهم فيها، فهم وردوا إليها وسقطوا فيها، وفي بعض الأحاديث أنه (في يوم القيامة يقال لليهود: ما تعبدون؟ فيقولون: نعبد عزير ابن الله، فيقال: كذبتم لم يتخذ الله من صاحبة ولا ولد، ماذا تريدون؟ فيقولون: يا رب! عطشنا، فيقال: ألا تردون؟ فيساقون إلى النار فيتساقطون فيها، وكذلك يقال للنصارى: ألا تردون؟ فيساقون إلى النار ويتساقطون فيها) ، فالورود في هذه الآيات وفي هذه الأحاديث لا شك أنه الوصول إليها.

إذا: كيف يكون ورود الأتقياء وورود الأنبياء وورود الصالحين وورود الصحابة الذين لابد أن يردوها: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم:٧١] ؟ الله يخاطب الصحابة ويخاطب المؤمنين كلهم بأنه لابد أن كلا منكم واردها، ﴿كان على ربك حتما﴾ [مريم:٧١] ، حتما: يعني: أمرا محتوما لابد منه، مقضيا، ثم قال تعالى: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم:٧٢] ، فأخبر أنه ينجي أهل التقوى، ويبقى أهلها الظالمون جاثين فيها، والأشهر أن هذا الورود هو المرور على الصراط.

وقد تقدم أن الصراط: جسر مزلة، منصوب على متن جهنم، أحد من السيف، وأدق من الشعرة، يمر الناس عليه بأعمالهم، يمرون على هذا الجسر الذي هو أحد من السيف، وأدق من الشعرة، وكيف يمرون عليه؟ يمرون عليه بأعمالهم، هو منصوب على متن جهنم، فإذا مر المؤمن فإنه بنوره وبإيمانه لا يحس بحرارة ولا يحس بلهب، ولذلك تقول له النار: (جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي) ، والنار أخبر الله تعالى بأن لها لهبا، ﴿سيصلى نارا ذات لهب﴾ [المسد:٣] ، فلهيبها ينطفئ من نور المؤمن، إذا مر المؤمن انطفأ، ولا يحس بأن تحته نارا، ثم يمر على هذا الصراط كالبرق، تشاهدون البرق عندما يخطف في السماء من هنا ومن هنا أسرع من طرفة العين، ويمر بعضهم كالريح، الريح المسرعة التي تسوق السحاب، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل، الجواد من الخيل: هو السابق، ومنهم من يمر كأجاويد الركاب، ومنهم من يعدو عدوا، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يزحف زحفا؛ فسيرهم على قدر أعمالهم.

فإذا: قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم:٧١] المراد: أنكم لابد أن تمروا عليها مرورا على الصراط وإن لم يحس بها المؤمنون، وفي بعض الآثار: (أنهم يقولون بعدما يدخلون الجنة: أليس قد أخبر الله أنا نرد النار، أين النار ما شعرنا بها؟ فيقال لهم: مررتم عليها وهي خامدة) ، يعني: بمرور المؤمنين تخمد فلا يحسون بلهب، ولا يحسون بحرارة أبدا.

وأما المنافقون والعصاة وأهل الكبائر فإنهم يخطفون وهم على الصراط، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث: (إن على جنبتي الصراط كلالي) ، والكلاليب هي جمع الكلوب، وهو الحديدة المحنية الرأس المحددة، هذه الكلاليب مثل شوك السعدان، يعني: كلاليبها كثيرة، إلا أنه لا يقدر قدرها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، تخطف من أمرت بخطفه، فتخطف الرجل، وتخطف اليد، وتخطف بعد نصف الطريق، وتخطف بعد ثلثه، وتخطف عند آخره، فمن نجا منها نجا، ولو أصابه خدش، ولو أصابه خطف، ولو أصابه حرارة؛إذا نجا منها وجاز الصراط -ولو بعد مائة سنة أو نحوها- (التفت إلى النار وقال: الحمد لله الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله ما لم يعط أحدا من خلقه) ؛ وذلك لأنه نجا من عذاب النار التي عذابها شديد ومستمر، فرأى أن ذلك سعادة وأي سعادة! ولو أن غيره قد ظفر بالنجاة قبله! في حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن المؤمنين يدخلون الجنة ولا تمسهم النار) ، فاستشكلت عائشة الآية: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم:٧١] ، وقالت: كيف وقد قال الله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ ؟ فظاهرها أن الجميع يريدونها ويدخلونها؟ لكن النبي

صلى الله عليه وسلم بين لها أن الورود يكون للجميع، ولكن ينجي الله تعالى المؤمنين المتقين، يقول تعالى: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ [مريم:٧٢] ، كيف ينجيهم؟ هل يدخلونها ثم يرجعون منها؟ لا يلزم أنهم دخلوها، بل كل من تجاوزها يقال: نجا من النار، كل من مر على الصراط حتى انتهى يقال له: لقد أنجاك الله من النار، يعني: سلمك منها، أنقذك من دخولها، فكل من سلم من شر يقال: هذا قد نجا، ولا يلزم أنه قد دخل فيه ثم أخرج، فإن النجاة تستعمل فيمن سلم من العذاب الذي عذب به غيره، ولا يلزم أن يكون العذاب قد أصابه، فقول الله تعالى عن لوط وأهل بيته: ﴿نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته﴾ [العنكبوت:٣٢] معناه: أنا نخرجه حتى يسلم من العذاب، فلا يدخل العذاب ولا يحس به، وهكذا النجاة من النار.

وأنت دائما تدعو فتقول: اللهم نجنا من النار! رب نجني من عذاب النار! وكذلك حكى الله عن الذين آمنوا بموسى، قولهم: ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين * ونجنا برحمتك من القوم الكافرين﴾ [يونس:٨٥-٨٦] ، يعني: سلمنا وأنقذنا، فكل من سلم من العذاب فإنه ناج، فهكذا قوله: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ [مريم:٧٢] يعني: أنهم يسلمون من العذاب، ويمرون عليها وقد انطفأ لهبها، فلا يحسون بشيء من لهبها.." (١)

"اختلاف العلماء في معنى قوله تعالى: (وإن منكم إلا واردها)

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [واختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم:٧١] ، ما هو؟ والأظهر والأقوى: أنه المرور على الصراط، قال تعالى: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم:٧٢] .

وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال: (والذي نفسي بيده! لا يلج أحد بايع تحت الشجرة، قالت حفصة فقلت: يا رسول الله! أليس الله يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم:٧١] ، فقال: ألم تسمعيه قال: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم:٧٢]) .

أشار صلى الله عليه وسلم إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا تستلزم حصوله، بل تستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه أعداؤه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه؛ يقال: نجاه الله منهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ولما جاء أمرنا نجينا هودا﴾ [هود:٥٨] ، وقال تعالى: ﴿فلما جاء أمرنا نجينا صالحا﴾ [هود:٦٦] ، وقال تعالى: ﴿ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا﴾ [هود:٩٤] ، ولم يكن العذاب أصابهم، ولكن أصاب غيرهم، ولولا ما خصهم الله به من أسباب النجاة لأصابهم ما أصاب أولئك.

وكذلك حال الواردين النار يمرون فوقها على الصراط، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا، فقد بين صلى الله عليه وسلم في حديث جابر المذكور: (أن الورود هو المرور على الصراط.

وروى الحافظ أبو نصر الوائلي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (علم الناس سنتي وإن كرهوا ذلك، وإن أحببت ألا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة فلا تحدثن في دين الله حدثا برأيك) ، أورده القرطبي،

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ٣/٦٥

وروى أبو بكر أحمد بن سلمان النجاد عن يعلى بن منية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جز يا مؤمن! فقد أطفأ نورك لهبي)] .

قول الله تعالى -لما ذكر النار في سورة مريم-: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم:٧١] ، ظاهره أن كل الناس واردو النار، فما هذا الورود؟ ورد في بعض الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم: (من فعل كذا لم يدخل النار إلا تحلة القسم) ، والمراد الورود المذكور في هذه الآية، وقوله: (تحلة القسم) كأن الله أقسم بأنكم لابد أن تردوها، لابد من الورود لها.

والأصل أن الورود هو الإتيان إلى الشيء، ومنه تسمية إتيان الإبل إلى الماء ورودا، يقال: وردت الإبل المياه.

يعني: جاءت إليها، وأخبر الله تعالى عن آل فرعون أنهم يردونها في قوله تعالى: ﴿فأوردهم النار وبئس الورد المورود﴾ [هود:٩٨] ، فظاهر هذا أنه أدخلهم فيها، فهم وردوا إليها وسقطوا فيها، وفي بعض الأحاديث أنه (في يوم القيامة يقال لليهود: ما تعبدون؟ فيقولون: نعبد عزيرا ابن الله، فيقال: كذبتم لم يتخذ الله من صاحبة ولا ولد، ماذا تريدون؟ فيقولون: يا رب! عطشنا، فيقال: ألا تردون؟ فيساقون إلى النار فيتساقطون فيها، وكذلك يقال للنصارى: ألا تردون؟ فيساقون إلى النار ويتساقطون فيها) ، فالورود في هذه الآيات وفي هذه الأحاديث لا شك أنه الوصول إليها.

إذا: كيف يكون ورود الأتقياء وورود الأنبياء وورود الصالحين وورود الصحابة الذين لابد أن يردوها: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم:٧١] ؟ الله يخاطب الصحابة ويخاطب المؤمنين كلهم بأنه لابد أن كلا منكم واردها، ﴿كان على ربك حتما﴾ [مريم:٧١] ، يعني: أمرا محتوما لابد منه، ثم قال تعالى: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم:٧٢] ، فأخبر أنه ينجي أهل التقوى، ويبقى أهلها الظالمون جاثين فيها، والأشهر أن هذا الورود هو المرور على الصراط.

وقد تقدم أن الصراط: جسر منصوب على متن جهنم، أحد من السيف، وأدق من الشعرة، يمر الناس على هذا الجسر الذي هو أحد من السيف، وأدق من الشعرة، وكيف يمرون عليه؟ يمرون عليه بأعمالهم، فإذا مر المؤمن فإنه بنوره وبإيمانه لا يحس بحرارة ولا يحس بلهب، ولذلك تقول له النار: (جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي) ، والنار أخبر الله تعالى بأن لها لهبا، ﴿سيصلى نارا ذات لهب﴾ [المسد:٣] ، فلهيبها ينطفئ من نور المؤمن، ثم يمر على هذا الصراط كالبرق، أي: أسرع من طرفة العين، ويمر بعضهم كالريح المسرعة التي تسوق السحاب، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل، الجواد من الخيل: هو السابق، ومنهم من يعدو عدوا، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يزحف زحفا؛ فسيرهم على قدر أعمالهم.

فإذا: قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم:٧١] المراد: أنكم لابد أن تمروا عليها مرورا على الصراط وإن لم يحس بها المؤمنون، وفي بعض الآثار: (أنهم يقولون بعدما يدخلون الجنة: أليس قد أخبر الله أنا نرد النار، أين النار؟ فيقال لهم: مررتم عليها وهي خامدة) ، يعني: بمرور المؤمنين تخمد فلا يحسون بلهب، ولا يحسون بحرارة أبدا.

وأما المنافقون والعصاة وأهل الكبائر فإنهم يخطفون وهم على الصراط، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث: (إن على جنبتي الصراط كلاليب) ، والكلاليب هي جمع كلوب، وهو الحديدة المحنية الرأس المحددة، هذه الكلاليب مثل شوك السعدان، يعني: كلاليبها كثيرة، إلا أنه لا يقدر قدرها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فتخطف الرجل، وتخطف اليد،

وتخطف بعد نصف الطريق، وتخطف بعد ثلثه، وتخطف عند آخره، فمن نجا منها وجاز الصراط ولو بعد مائة سنة أو نحوها التفت إلى النار وقال: الحمد لله الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله ما لم يعط أحدا من خلقه؛ وذلك لأنه نجا من عذاب النار التي عذابها شديد ومستمر، فرأى أن ذلك سعادة وأي سعادة! ولو أن غيره قد ظفر بالنجاة قبله! في حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن المؤمنين يدخلون الجنة ولا تمسهم النار) ، فاستشكلت عائشة الآية: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم:٧١] ، وقالت: كيف وقد قال الله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ ؟ فظاهرها أن الجميع يردونها ويدخلونها؟ لكن النبي صلى الله عليه وسلم بين لها أن الورود يكون للجميع، ولكن ينجي الله تعالى المؤمنين المتقين، يقول تعالى: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ [مريم:٧٢] ، كيف ينجيهم؟ هل يدخلونها ثم يرجعون منها؟ لا يلزم أنهم دخلوها، بل كل من تجاوزها يقال: نجا من النار، كل من مر على الصراط حتى انتهى يقال له: لقد أنجاك الله من النار، فكل من سلم من شر يقال: هذا قد نجا، ولا يلزم أنه قد دخل فيه ثم أخرج، فإن النجاة تستعمل فيمن سلم من العذاب الذي عذب به غيره، ولا يلزم أن يكون العذاب قد أصابه، فقول الله تعالى عن لوط وأهل بيته: ﴿نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته﴾ [العنكبوت:٣٢] معناه: أنا نخرجه حتى يسلم من العذاب، فلا يدخل العذاب ولا يحس به، وهكذا النجاة من النار.

وأنت دائما تدعو فتقول: اللهم نجنا من النار! رب نجني من عذاب النار! وكذلك حكى الله عن الذين آمنوا بموسى، قولهم: ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين * ونجنا برحمتك من القوم الكافرين﴾ [يونس:٨٥-٨٦] ، يعني: سلمنا وأنقذنا، فكل من سلم من العذاب فإنه ناج، فهكذا قوله: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ [مريم:٧٢] يعني: أنهم يسلمون من العذاب، ويمرون عليها وقد انطفأ لهبها، فلا يحسون بشيء من لهبها.." (١)

"المثال الثامن: الحوض والصراط:

ولنبينا محمد صلى الله عليه وسلم حوض في القيامة ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، وأباريقه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا.

والصراط حق، يجوزه الأبرار، ويزل عنه الفجار.

(أ) ما تقول في الحوض؟

(ب) وهل هو خاص أو عام؟

(ج) وما الصراط؟

(أ) نعتقد أن الله يعطي نبينا صلى الله عليه وسلم في يوم القيامة حوضا عظيما وصف في بعض الروايات بسعته وأنه مسيرة شهر في شهر، أو ما بين أيلة إلى صنعاء وكذا ما ذكر من بياض مائه وحلاوته، وكثرة أباريقه وهي آنيته، وأنه يصب فيه ميزابان من الجنة، يرده الأبرار، ويذاد عنه الفجار.

(ب) وقد روي أن لكل نبي حوضا، ولكن محمد صلى الله عليه وسلم، أكثرهم واردا.

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ٤/٦٥

وقيل: هو الكوثر، وفسر أيضا الكوثر بأنه الخير الكثير، أو أنه نهر عظيم في الجنة، والله أعلم.

(ج) وأما (الصراط) فهو جسر ينصب على متن جهنم، دحض مزلة كحد السيف، يمر عليه الناس على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كأجاود الخيل والركاب، ومنهم من يعدو عدوا، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يزحف زحفا، وعلى جنبتي الصراط كلاليب، مثل شوك السعدان، تخطف من أمرت بخطفه، فناج مسلم، ومخدوش، ومكردس في النار، وهذا هو الورود المذكور في قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ ومعنى: يجوزه الأبرار أي: يعبرونه حتى يجاوزوه. ويزل عنه الفجار أي: يسقطون.." (١)

"منهم الموبق بعمله، ومنهم المخردل، ثم ينجوا.. " (١) .

وقد دلت هذه النصوص الصحيحة الصريحة الواضحة على عدة أمور مهمة، فقد ذكرت حشر الكفار إلى النار، ومسير المؤمنين إلى الجنة على الصراط، وخلاص المؤمنين من المنافقين، كما أشارت في جملتها إلى معنى الورود على النار الذي نص الله عليه في قوله: (وإن منكم إلا واردها) [مريم: ٧١] .

وسنتناول هذه المباحث بشيء من التفصيل فيما يأتي.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، فتح الباري: (١١/٤٤٤) ورقمه: ٨٠٦، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، (١/١٦٣) ورقم الحديث (١٨٢) ، واللفظ للبخاري.." (٢)

"٧- وعند ذلك يؤمرون بالدخول في النار وغضب الجبار أذلاء خاسرين (فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين) [النحل: ٢٩] ، ولا ينجو من النار من الجن والإنس إلا الأتقياء الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين، واتبعوا ما أنزل إليهم من ربهم (فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا - ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا - ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا - وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا - ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) [مريم: ٦٨-٧٢] .

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآيات: " يقسم الله بنفسه وهو أعظم قسم وأجله أنهم سيحشرون بعد الموت، فهذا أمر مفروغ منه (فوربك لنحشرنهم) [مريم: ٦٨] ، ولن يكونوا وحدهم (لنحشرنهم والشياطين) [مريم: ٦٨] فهم والشياطين سواء، والشياطين هم الذين يوسوسون بالإنكار، وبينهما صلة التابع والمتبوع، والقائد والمقود..

وهنا يرسم صورة حسية وهم جاثون حول جهنم جثو الخزي والمهانة، (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) [مريم: ٦٨] ، وهي صورة رهيبة، وهذه الجموع التي لا يحصيها العد محشورة محضرة إلى جهنم جاثية حولها، تشهد هولها، ويلفحها حرها، وتنتظر في كل لحظة أن تؤخذ فتلقى فيها، وهم جاثون على ركبهم في ذلة وفزع..، وهو مشهد ذليل للمتجبرين المتكبرين، يليه

---

(١) التعليقات على متن لمعة الاعتقاد لابن جبرين ابن جبرين ص/١٥٣

(٢) القيامة الكبرى سليمان الأشقر، عمر ص/٢٦٧

مشهد النزع والجذب لمن كانوا أشد عتوا وتجبرا: (ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا) [مريم: ٦٩] ، وفي اللفظ تشديد، ليرسم بظله وجرسه." (١)

"صورة لهذا الانتزاع، تتبعها صورة القذف في النار، وهي الحركة التي يكملها الخيال.

وإن الله ليعلم من هم أولى بأن يصلوها، فلا يؤخذ أحد جزافا من هذه الجموع التي لا تحصى، والتي أحصاها الله فردا فردا: (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) [مريم: ٧٠] ، فهم المختارون ليكونوا طليعة المقذوفين " (١) .

وقد غيرت هذه الآية: (وإن منكم إلا واردها) [مريم: ٧١] أحوال الصالحين، فأسهرت ليلهم، وعكرت عليهم صفو العيش، وحرمتهم الضحك، والتمتع بالشهوات، فقد ذكر ابن كثير أن أبا ميسرة كان إذا أوى إلى فراشه قال: يا ليت أمي لم تلدني، ثم يبكي، فقيل له: ما يبكيك يا أبا ميسرة؟ فقال: أخبرنا الله أنا واردوها، ولم نخبر أنا صادرون عنها.

وقال عبد الله بن المبارك عن الحسن البصري، قال: قال رجل لأخيه: هل أتاك أنك وارد النار؟ قال: نعم، قال: فهل أتاك أنك صادر عنها؟ قال: لا، قال: ففيم الضحك؟ قال: فما رئي ضاحكا حتى لحق بالله، وقال ابن عباس لرجل يحاوره: أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها، فانظر هل نصدر عنها أم لا؟ (٢) .

---

(١) في ظلال القرآن: (٤/٢٣١٧) .

(٢) تفسير ابن كثير: (٤/٤٧٦) .." (٢)

"معنى ورود النار

ذهب بعض العلماء إلى أن المراد بورود النار المذكور في قوله تعالى: (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا) [مريم: ٧١] هو دخول النار، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه (١) ، وكان يستدل على ذلك بقول الله تعالى في فرعون: (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار) [هود: ٩٨] ، وبقوله: (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) [مريم: ٨٦] ، وقوله: (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها) [الأنبياء: ٩٩] ، وروى مسلم الأعور عن مجاهد: (وإن منكم إلا واردها) [مريم: ٧١] قال: داخلها (٢) .

وذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بالورود هنا المرور على الصراط، يقول شارح الطحاوية: " واختلف المفسرون في المراد بالورود في قوله تعالى: (وإن منكم إلا واردها) [مريم: ٧١] ما هو؟ والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط قال تعالى: (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) [مريم: ٧٢] .

وفي ((الصحيح)) أنه صلى الله عليه وسلم قال: " والذي نفسي بيده، لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة "، قالت حفصة: فقلت: يا رسول الله، أليس الله يقول: (وإن منكم إلا واردها) [مريم: ٧١] . فقال: " ألم تسمعيه قال: (ثم ننجي الذين اتقوا

---

(١) القيامة الكبرى سليمان الأشقر، عمر ص/٢٧٠

(٢) القيامة الكبرى سليمان الأشقر، عمر ص/٢٧١

(١) التخويف من النار: ص ٢٠.

(٢) التخويف من النار: ص ٢٠٠.." (١)

"..................................

حبوا، ومنهم من تلقطه كلاليب على حافتي الجسر وتقذفه في النار، وهذه أمور غيب، فلا يدخل الإنسان عقله فيها، وكل الناس يمرون على الصراط (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا* ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) [مريم: ٧١، ٧٢] .

وتوزن الحسنات، فإن رجحت حسناته فاز، وإن رجحت سيئاته على حسناته خاب وخسر (والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون* ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون) [الأعراف: ٨، ٩] .

وتكرر ذكر الوزن والميزان في آيات كثيرة، وهذا من عدل الله عز وجل، وأنه لا يظلم أحدا. والميزان حقيقي، له كفتان: توضع الحسنات في كفه، وتوضع السيئات في كفة، فأيهم رجحت حسناته فاز، وأيهم رجحت سيئاته فخسر (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) [الأنبياء: ٤٧] .." (٢)

"٣ - حدثنا نصر بن علي الجهضمي قال: حدثنا بشر بن عمر قال: حدثنا شعيب بن رزيق أبو شيبة قال: حدثنا عطاء الخراساني، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله ": وفي الباب عن عثمان، وأبي ريحانة. وحديث ابن عباس حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شعيب بن رزيق ، (ت) ١٦٣٩ [قال الألباني]: صحيح

- حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا زبان، وحدثنا يحيى بن غيلان، حدثنا رشدين، عن زبان، عن سهل بن معاذ، عن أبيه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " من حرس من وراء المسلمين في سبيل الله تبارك وتعالى متطوعا، لا يأخذه سلطان، لم ير النار بعينيه، إلا تحلة القسم فإن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] " (حم) ١٥٦١٢ ، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف.." (٣)

(١) القيامة الكبرى سليمان الأشقر، عمر ص/٢٧٧

(٢) التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية صالح الفوزان ص/٢٠٣

(٣) المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة صهيب عبد الجبار ٢٣٨/٥

"٤٠ - حدثنا آدم، قال: حدثنا شعبة، قال: حدثني ابن الأصبهاني، قال: سمعت أبا صالح ذكوان، يحدث عن أبي سعيد الخدري قالت النساء للنبي صلى الله عليه وسلم: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوما من نفسك، فوعدهن يوما لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن، فكان فيما قال لهن: «ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها، إلا كان لها حجابا من النار» فقالت امرأة: واثنتين؟ فقال: «واثنتين» ، (خ) ١٠١

- حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا غندر، قال: حدثنا شعبة، عن عبد الرحمن بن الأصبهاني، عن ذكوان، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا وعن عبد الرحمن بن الأصبهاني، قال: سمعت أبا حازم، عن أبي هريرة قال: «ثلاثة لم يبلغوا الحنث» ، (خ) ١٠٢

- حدثنا مسلم، حدثنا شعبة، حدثنا عبد الرحمن بن الأصبهاني، عن ذكوان، عن أبي سعيد رضي الله عنه: أن النساء قلن للنبي صلى الله عليه وسلم: اجعل لنا يوما فوعظهن، وقال: «أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد، كانوا حجابا من النار»، قالت امرأة: واثنان؟ قال: «واثنان» ، (خ) ١٢٤٩

- وقال شريك: عن ابن الأصبهاني، حدثني أبو صالح، عن أبي سعيد، وأبي هريرة رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال أبو هريرة: «لم يبلغوا الحنث» ، (خ) ١٢٥٠

- حدثنا مسدد، حدثنا أبو عوانة، عن عبد الرحمن بن الأصبهاني، عن أبي صالح ذكوان، عن أبي سعيد: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، فقال: «اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا»، فاجتمعن، فأتاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعلمهن مما علمه الله، ثم قال: «ما منكن امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة، إلا كان لها حجابا من النار»، فقالت امرأة منهن: يا رسول الله، أو اثنين؟ قال: فأعادتها مرتين، ثم قال: «واثنين واثنين واثنين» ، (خ) ٧٣١٠

- حدثنا أبو كامل الجحدري فضيل بن حسين، حدثنا أبو عوانة، عن عبد الرحمن بن الأصبهاني، عن أبي صالح ذكوان، عن أبي سعيد الخدري، قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه، تعلمنا مما علمك الله، قال: "اجتمعن يوم كذا وكذا" فاجتمعن، فأتاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمهن مما علمه الله، ثم قال: "ما منكن من امرأة تقدم بين يديها، من ولدها ثلاثة، إلا كانوا لها حجابا من النار" فقالت امرأة: واثنين، واثنين، واثنين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "واثنين، واثنين، واثنين" ، (م) ١٥٢ - (٢٦٣٣)

- حدثنا محمد بن المثنى، وابن بشار، قالا: حدثنا محمد بن جعفر، ح وحدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي، حدثنا شعبة

عن عبد الرحمن بن الأصبهاني، في هذا الإسناد، بمثل معناه، وزادا جميعا عن شعبة، عن عبد الرحمن بن الأصبهاني، قال: سمعت أبا حازم، يحدث عن أبي هريرة قال: "ثلاثة لم يبلغوا الحنث" ، (م) ١٥٣ - (٢٦٣٤)

- حدثنا حسين بن محمد، حدثنا سليمان بن قرم، عن عبد الرحمن يعني ابن الأصبهاني، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قدم ثلاثة من ولده حجبوه من النار» (حم) ١١١٠٦

- حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عبد الرحمن بن الأصبهاني، عن ذكوان، عن أبي سعيد الخدري، أن النساء قلن: غلبنا عليك الرجال يا رسول الله، فاجعل لنا يوما يا رسول الله نأتيك فيه، فواعدهن ميعادا، فأمرهن ووعظهن، وقال: «ما منكن امرأة يموت لها ثلاثة من الولد، إلا كانوا لها حجابا من النار» فقالت امرأة: أو اثنان؟ فإنه مات لي اثنان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أو اثنان» (حم) ١١٢٩٦

- حدثنا بهز، حدثنا شعبة، عن عبد الرحمن بن الأصبهاني قال: سمعت ذكوان يحدث، عن أبي سعيد الخدري قال: قلن النساء يا رسول الله، غلب عليك الرجال، فعدنا موعدا، فوعدهن، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيما امرأة منكن قدمت ثلاثا من ولدها، كانوا لها حجابا من النار»، قالت امرأة: يا رسول الله، أنا قدمت اثنين. قال: «واثنين» (حم) ١١٦٨٦

- أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى، قال: حدثنا أبو خيثمة، قال: حدثنا شبابة، قال: حدثنا شعبة، عن عبد الرحمن الأصبهاني، عن ذكوان أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال النساء: غلبنا عليك الرجال يا رسول الله، فاجعل لنا يوما، فوعدهن يوما، فجئن، فوعظهن، فقال لهن فيما قال: "ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كانوا لها حجابا من النار" قالت امرأة: يا رسول الله، واثنين؟ وقد مات لها اثنان، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: "واثنان" (رقم طبعة با وزير: ٢٩٣٣) ، (حب) ٢٩٤٤ [قال الألباني]: صحيح - "الصحيحة" (٢٣٠٢): ق.

- أخبرنا أحمد بن عمرو بن السرح، قال: حدثنا ابن وهب، حدثني عمرو، قال: حدثني بكير بن عبد الله، عن عمران بن نافع، عن حفص بن عبيد الله، عن أنس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من احتسب ثلاثة من صلبه دخل الجنة"، فقامت امرأة، فقالت: أو اثنان؟ قال: "أو اثنان"، قالت المرأة: يا ليتني قلت واحدا ، (س) ١٨٧٢ [قال الألباني]: صحيح

- حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا عبد العزيز يعني ابن محمد، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال لنسوة من الأنصار: "لا يموت لإحداكن ثلاثة من الولد فتحتسبه، إلا دخلت الجنة" فقالت امرأة منهن:

أو اثنين يا رسول الله؟ قال: "أو اثنين" ، (م) ١٥١ - (٢٦٣٢)

- حدثنا سفيان، حدثنا سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة: جاء نسوة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلن: يا رسول الله، والله ما نقدر عليك في مجلسك من الرجال، فواعدنا منك يوما نأتيك فيه. قال: "موعدكن بيت فلان". وأتاهن في ذلك اليوم، ولذلك الموعد، قال: فكان مما قال لهن، يعني: "ما من امرأة تقدم ثلاثا من الولد تحتسبهن، إلا دخلت الجنة" فقالت امرأة منهن: أو اثنان؟ قال: "أو اثنان" (حم) ٧٣٥٧

- حدثنا قتيبة، حدثنا عبد العزيز، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني قال لنسوة من الأنصار: «لا يموت لإحداكن ثلاثة من الولد فتحتسبه، إلا دخلت الجنة» فقالت امرأة منهن: أو اثنان؟ يا رسول الله، قال: «أو اثنان» (حم) ٨٩١٦

- أخبرنا عمر بن محمد الهمداني، قال: حدثنا أحمد بن عبدة، قال: حدثنا الدراوردي، قال: حدثنا سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن نسوة من الأنصار قلن له: يا رسول الله، إنا لا نستطيع أن نأتيك مع الرجال، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "موعدكن بيت فلانة" فجاء فتحدث معهن، ثم قال: "لا يموت لإحداكن ثلاثة من الولد فتحتسبه إلا دخلت الجنة" فقالت امرأة منهن: واثنتين يا رسول الله؟ قال: "واثنتين" (رقم طبعة با وزير: ٢٩٣٠) ، (حب) ٢٩٤١ [قال الألباني]: صحيح - "الصحيحة" (٢٣٠٢ و ٢٦٨٠)، "التعليق الرغيب" (٣ ٩٠): م.

- حدثنا علي، حدثنا سفيان، قال: سمعت الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد، فيلج النار، إلا تحلة القسم» قال أبو عبد الله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] ، (خ) ١٢٥١

- حدثنا إسماعيل، قال: حدثني مالك، عن ابن شهاب، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد تمسه النار، إلا تحلة القسم» ، (خ) ٦٦٥٦

- حدثنا يحيى بن يحيى، قال: قرأت على مالك، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار، إلا تحلة القسم" ، (م) ١٥٠ - (٢٦٣٢)

- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وعمرو الناقد، وزهير بن حرب، قالوا: حدثنا سفيان بن عيينة، ح وحدثنا عبد بن حميد، وابن رافع، عن عبد الرزاق، أخبرنا معمر، كلاهما عن الزهري، بإسناد مالك، وبمعنى حديثه، إلا أن في حديث سفيان "فيلج النار إلا تحلة القسم" ، (م) ١٥٠

- حدثنا قتيبة، عن مالك بن أنس، ح وحدثنا الأنصاري قال: حدثنا معن، حدثنا مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم" وفي الباب عن عمر، ومعاذ، وكعب بن مالك، وعتبة بن عبد، وأم سليم، وجابر، وأنس، وأبي ذر، وابن مسعود، وأبي ثعلبة الأشجعي، وابن عباس، وعقبة بن عامر، وأبي سعيد، وقرة بن إياس المزني. "وأبو ثعلبة الأشجعي له عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث واحد هو هذا الحديث، وليس هو الخشني": "حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح" ، (ت) ١٠٦٠ [قال الألباني]: صحيح

- أخبرنا قتيبة بن سعيد، عن مالك، عن ابن شهاب، عن سعيد، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم" ، (س) ١٨٧٥ [قال الألباني]: صحيح

- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يموت لرجل ثلاثة من الولد فيلج النار، إلا تحلة القسم" ، (جة) ١٦٠٣ [قال الألباني]: صحيح

- حدثنا سفيان، عن الزهري، عن سعيد، عن أبي هريرة، يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار، إلا تحلة القسم" (حم) ٧٢٦٥

- حدثنا عبد الرزاق، قال: قال معمر: أخبرني الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث، لم تمسه النار إلا تحلة القسم" يعني الورود. (حم) ٧٧٢١

- حدثنا يحيى، عن مالك، قال: حدثني الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث، فتمسه النار، إلا تحلة القسم» (حم) ١٠١٢٠

- حدثنا وكيع، قال: حدثنا زمعة، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قدم ثلاثة من صلبه، لم يدخل النار إلا تحلة القسم» (حم) ١٠٢١٠

- حدثني يحيى، عن مالك، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد، فتمسه النار، إلا تحلة القسم. ، (ط) ٦٣١

- أخبرنا عمر بن سعيد بن سنان، قال: حدثنا أحمد بن أبي بكر، عن مالك، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب،

عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم" (رقم طبعة با وزير: ٢٩٣١) ، (حب) ٢٩٤٢ [قال الألباني]: صحيح - "ظلال الجنة" (٨٦٢).
". (١)

"١١ - حدثني هارون بن عبد الله، حدثنا حجاج بن محمد، قال: قال ابن جريج، أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله، يقول: أخبرتني أم مبشر، أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول عند حفصة: "لا يدخل النار، إن شاء الله، من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها" قالت: بلى، يا رسول الله فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قد قال الله عز وجل: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢] ، (م) ١٦٣ - (٢٤٩٦)

- حدثنا قتيبة قال: حدثنا الليث، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة": "هذا حديث حسن صحيح" ، (ت) ٣٨٦٠ [قال الألباني]: صحيح

- حدثنا قتيبة بن سعيد، ويزيد بن خالد الرملي، أن الليث، حدثهم عن أبي الزبير، عن جابر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة" ، (د) ٤٦٥٣ [قال الألباني]: صحيح

- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر، عن حفصة، قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إني لأرجو ألا يدخل النار أحد، إن شاء الله تعالى ممن شهد بدرا، والحديبية"، قالت: قلت: يا رسول الله أليس قد قال الله: ﴿وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم]، قال: " ألم تسمعيه يقول: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا، ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم] " ، (جة) ٤٢٨١ [قال الألباني]: صحيح

- حدثنا أبو معاوية، قال: حدثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر، عن حفصة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لأرجو أن لا يدخل النار، إن شاء الله، أحد شهد بدرا، والحديبية» قالت: فقلت أليس الله عز وجل يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١]؟ قالت: فسمعته يقول: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢] (حم) ٢٦٤٤٠

- حدثنا ابن إدريس، قال: حدثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر، امرأة زيد بن حارثة، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة، فقال: «لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية». قالت حفصة: أليس

(١) المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة صهيب عبد الجبار ٤٩/٦

الله عز وجل يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فمه، ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ [مريم: ٧٢] " (حم) ٢٧٠٤٢

– حدثنا حجاج، قال: أخبرني ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابرا قال: حدثتني أم مبشر، أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم عند حفصة يقول: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها»، فقالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١]، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " قد قال الله عز وجل: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢] " (حم) ٢٧٣٦٢

– أخبرنا أبو يعلى، حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا ابن إدريس، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر امرأة زيد بن حارثة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في بيت حفصة: "لا يدخل النار رجل شهد بدرا، والحديبية"، فقالت حفصة: يا رسول الله، أليس قد قال الله ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١]؟، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فمه ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ [مريم: ٧٢] " (رقم طبعة با وزير: ٤٧٨٠) ، (حب) ٤٨٠٠ [قال الألباني]: صحيح - "الصحيحة" (٢١٦٠): م.

– حدثنا عبد بن حميد قال: أخبرنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن السدي، قال: سألت مرة الهمداني، عن قول الله عز وجل: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم] فحدثني أن عبد الله بن مسعود، حدثهم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يرد الناس النار ثم يصدرون منها بأعمالهم، فأولهم كلمح البرق، ثم كالريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب في رحله، ثم كشد الرجل، ثم كمشيه". "هذا حديث حسن، ورواه شعبة، عن السدي فلم يرفعه"، ، (ت) ٣١٥٩ [قال الألباني]: صحيح

– حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا يحيى بن سعيد قال: حدثنا شعبة، عن السدي، عن مرة، عن عبد الله بن مسعود، ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم] قال: "يردونها ثم يصدرون بأعمالهم" حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن شعبة، عن السدي، بمثله، قال عبد الرحمن، قلت لشعبة: إن إسرائيل، حدثني عن السدي، عن مرة، عن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال شعبة: وقد سمعته من السدي "مرفوعا ولكني أدعه عمدا" ، (ت) ٣١٦٠ [قال الألباني]: صحيح موقوف وهو في حكم المرفوع

– حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن شعبة، عن السدي، عن مرة، عن عبد الله، قال: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١]، قال: "يدخلونها، أو يلجونها، ثم يصدرون منها بأعمالهم" قلت له: إسرائيل، حدثه عن النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، هو عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو كلاما هذا معناه. (حم) ٤١٢٨

- حدثنا عبد الرحمن، عن إسرائيل، عن السدي، عن مرة، عن عبد الله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يرد الناس النار كلهم، ثم يصدرون عنها بأعمالهم" (حم) ٤١٤١." (١)

"عند الرحمن عز وجل يقول: لا تعجلوا فإنه قد بقي له، فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان) (١) . وهذا الحديث يدل على أن العبد وحسناته وصحيفتها كل ذلك يكون في كفة، وسيئاته مع صحيفتها في الكفة الأخرى.

١٣-الصراط:

أ-بعض الآيات والأحاديث في الصراط:

١-قال الله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ (٢) . قال قتادة: قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ هو الممر عليها. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ورود المسلمين على المرور على الجسر بين ظهرانيها وورود المشركين أن يدخلوها.

وروى الإمام أحمد الله عن ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (يرد الناس كلهم ثم يصدرون عنها بأعمالهم) (٣) ، وقد رواه ابن أبي حاتم عنه موقوفا قال: (يرد الناس جميعا

---

(١) فيه ابن لهيعة. قال في التقريب: صدوق اختلط بعد احتراق كتبه ورواية ابن المبارك وابن وهب (وهما غير الرواي عنه لهذا الحديث) عنه أعدل من غيرهما. وقال في بلوغ الأماني: أورده الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رواه أحمد وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وبقية رجال الصحيح انظر بلوغ الأماني من أسرار ترتيب الفتح الرباني ج٢٤ ص١٤٥. (وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، حديث ٧٠٦٦، مكتب) .

(٢) مريم: ٧١، ٧٢، وقال في بلوغ الأماني: احتج بهذا القائلون بأن معنى الورود الدخول للكل لأنه قال: ﴿ونذر﴾ ولم يقل: (وندخل) . بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني ج١٨ ص٢٠٩.

(٣) صحيح. صحيح الجامع الصغير ٧٩٣٧، وصدره الألباني في الصحيحة ٣١١ بقوله: (كل الناس يدخل النار) .." (٢)

"الصراط بأعمالهم: فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل الريح..) الحديث، فهذا على القول بأن ورود الناس بالنسبة للمؤمنين هو المرور عليها على الصراط.

وهناك من فسر ورود المؤمنين بدخولهم فيها وتكون بردا عليهم، فعن أبي سمية قال: اختلفنا في الورود، فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا: يدخلونها جميعا. ثم ينجي الله الذين اتقوا. فلقيت جابر بن عبد الله فقلت له: إنا اختلفنا في

---

(١) المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة صهيب عبد الجبار ٢٨/٨

(٢) مختصر معارج القبول هشام آل عقدة ص/٢٥٢

الورود، فقال: يردونها جميعا.

وتفسير الورود بالدخول مروي أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما وأيد قوله بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿يقدم قومه (١) يوم القيامة فأوردهم النار﴾ (٢) ، وقوله: ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا﴾ (٣) ، وقوله: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون..﴾ (٤) فالورود في ذلك كله الدخول (٥) .

---

(١) أي فرعون لعنه الله.

(٢) هود: ٩٨.

(٣) مريم: ٨٦.

(٤) الأنبياء: ٩٨.

(٥) وذكر المؤلف رحمه الله حديث جابر مرفوعا: (لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار ضجيجا من بردهم؟، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا) والحديث ضعفه الألباني (ضعيف الجامع الصغير ٦١٦٩) وأوله: الورود الدخول. وقال الشيخ أحمد البنا رحمه الله في بلوغ الأماني: أورده الهيثمي وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات، قال: ولجابر في الصحيح في الورود شيء موقوف غير هذا. (بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني ج١٨ ص٢٠٩) ورجح الشنقيطي رحمه الله أن المراد بالورود في الآية الدخول، وذكر فيها أربعة أقوال. انظر أضواء البيان ج٤ ص٣٧٦- ٣٨٣، وفي الفتاوى لابن تيمية رحمه الله أن المراد بالورود المذكورة في الآية هو المرور على الصراط. (ج٤ ص٢٧٩) ، ومن استعمال الورود في غير الدخول قوله تعالى: ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ [القصص: ٢٣] ، وقال النووي رحمه الله: والصحيح أن المراد بالورود في الآية المرور على الصراط. (صحيح مسلم بشرح النووي: ٥٨/١٦) ..وقال شارح الطحاوية: الأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط، قال تعالى: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ وفي الصحيح أنه - صلى الله عليه وسلم - قال: (والذي نفسي بيده لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة) قالت حفصة: فقلت: يا رسول الله أليس الله يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ فقال: (ألم تسمعيه قال: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ أشار - صلى الله عليه وسلم - إلى أن ورود النار لا = =يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا تستلزم حصوله، بل تستلزم انعقاد أسبابه، فمن طلبه عدوه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه يقال: نجاه الله منهم، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا﴾ [هود: ٩٥] ولم يكن العذاب أصابهم ولكن أصاب غيرهم لولا ما خصهم الله به من أسباب النجاة لأصابهم ما أصاب أولئك.. (شرح الطحاوية ص٤٧١) . وحديث الصحيح المذكور رواه مسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة. وانظر شرح النووي (٥٨/١٦) وقال ابن باز حفظه الله: بأن المراد بالورود المرور على الصراط. الفتاوى الإسلامية ج١ ص١٥، ١٦ عن الدعوة ٩١٩.." (١)

---

(١) مختصر معارج القبول هشام آل عقدة ص/٢٥٣

"٣-وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم) قال الزهري: كأنه يريد هذه الآية ﴿وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا﴾ (١) قال ابن مسعود: قسما واجبا.

٤-وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا مرفوعا من حديث الطويل في الرؤية والشفاعة وفيه: (ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله عز وجل، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبق بعمله والموثق بعمله ومنهم المخردل أو المجازى أو نحوه) الحديث.

٥-وفيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه من حديثه الطويل في ذلك مرفوعا وفيه: (ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم) . قلنا: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: (مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان، يمر المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم، وناج مخدوش، ومكدوس في نار جهنم، حتى يمر آخرهم يسحب سحبا) الحديث.

٦-ولمسلم عن أنس عن ابن مسعود رضي الله عنهما أن رسول - صلى الله عليه وسلم - قال: (آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة يكبو مرة وتسعفه النار مرة، فإذا ما جاوزوها التفت إليها فقال: تبارك الذي نجاني منك لقد أعطاني الله شيئا ما أعطاه أحدا من الأولين والآخرين) الحديث.

---

(١) مريم: ٧١.." (١)

"٥- اذكر دليلا من الكتاب وآخر من السنة على الإيمان بالصور والنفخ فيه.

٦- اذكر ثلاث آيات وحديثين في إثبات البعث والنشور.

٧- اذكر أصناف منكري البعث وقول ابن سينا فيه ونبذة عنه وعن عقيدته وأكبر أنصاره.

٨- اذكر -مع الأدلة- ما لا يبلى في القبر.

٩- اذكر ما تعرفه من أدلة الكتاب والسنة على الحشر وصفته.

١٠- اذكر من الآيات والأحاديث ما يتعلق بجمع الناس في الموقف وأحوالهم فيه.

١١- اذكر من الكتاب والسنة الأدلة على اللقاء.

١٢- بين المراد بالعرض والحساب مع ذكر بعض الأدلة عليهما.

١٣- ما المراد بالأشهاد أو الشهداء الذين يجيئون يوم القيامة.

١٤- اذكر دليلا من الكتاب وآخر من السنة على شهادة الأعضاء والجوارح على صاحبها يوم القيامة.

---

(١) مختصر معارج القبول هشام آل عقدة ص/٢٥٥

١٥- بين كيف يأخذ الناس صحائف أعمالهم يوم القيامة؟

١٦- اذكر الأدلة من الكتاب والسنة على الميزان. وما يوضع فيه؟

١٧- اذكر بعض الأدلة من الكتاب والسنة على الصراط وصفته.

١٨- ما المراد بقوله تعالى: (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا) ؟

١٩- اذكر نبذة مختصرة عن عقيدة الخوارج والمعتزلة في الصراط والورود.

٢٠- اذكر دليلا على الاقتصاص من الظالم للمظلوم يوم القيامة.." (١)

"اختصاصه ببعضها من عدمه، والله تعالى أعلم.

[المطلب السابع الصراط صفته وأدلته]

المطلب السابع: الصراط، صفته وأدلته: الصراط في اللغة: الطريق الواضح.

وفي الشرع: جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون وهو طريق أهل المحشر لدخول الجنة. وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات الصراط.

قال تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا - ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧١ - ٧٢] (مريم: ٧١، ٧٢) ذهب أكثر المفسرين أن المقصود بورود النار هنا: المرور على الصراط وهو منقول عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار وغيرهم.

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وهو حديث طويل في الرؤية والشفاعة وفيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (. . «ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم قلنا يا رسول الله وما الجسر؟ قال: مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق، وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم يمر آخرهم يسحب سحبا» (١) .

وقد جاء وصف الصراط في نصوص كثيرة وملخص ما جاء فيها أنه أدق من الشعر وأحد من السيف دحض مزلة لا تثبت عليه قدم إلا من ثبته الله وأنه ينصب في ظلمة فيعطى الناس أنوارا على قدر إيمانهم ويمرون فوقه على قدر

---

(١) صحيح البخاري برقم (٧٤٣٩) ، وصحيح مسلم برقم (١٨٣) ، واللفظ للبخاري.." (٢)

"فضل التقوى

قال تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (١)

---

(١) مختصر معارج القبول هشام آل عقدة ص/٢٧٦

(٢) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة مجموعة من المؤلفين ص/٢٣٧

وقال تعالى: ﴿بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين﴾ (٢)

وقال تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق ، إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، قال لأقتلنك ، قال إنما يتقبل الله من المتقين﴾ (٣)

وقال تعالى: ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ (٤)

وقال تعالى: ﴿إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ، وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض ، والله ولي المتقين﴾ (٥)

وقال تعالى: ﴿وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم ، قالوا خيرا ، للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ، ولدار الآخرة خير ، ولنعم دار المتقين ، جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار ، لهم فيها ما يشاءون ، كذلك يجزي الله المتقين ، الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ، يقولون سلام عليكم ، ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ (٦)

وقال تعالى: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو ، إلا المتقين﴾ (٧)

وقال تعالى: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا﴾ (٨)

وقال تعالى: ﴿وإن **منكم إلا واردها ،** كان على ربك حتما مقضيا ، ثم ننجي الذين اتقوا ، ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ (٩)

وقال تعالى: ﴿وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم ، لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون﴾ (١٠)

وقال تعالى: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا ، حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ، وقال لهم خزنتها سلام عليكم ، طبتم فادخلوها خالدين ، وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده ، وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ، فنعم أجر العاملين﴾ (١١)

وقال تعالى: ﴿إن المتقين في جنات وعيون ، ادخلوها بسلام آمنين ، ونزعنا ما في صدورهم من غل ، إخوانا على سرر متقابلين ، لا يمسهم فيها نصب ، وما هم منها بمخرجين﴾ (١٢)

وقال تعالى: ﴿إن المتقين في جنات ونعيم ، فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ، كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون ، متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين ، والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ، ألحقنا بهم ذريتهم ، وما ألتناهم من عملهم من شيء ، كل امرئ بما كسب رهين ، وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون ، يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم ، ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون ، وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين ، فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ، إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم﴾ (١٣)

---

(١) [الحجرات/١٣]

(٢) [آل عمران: ٧٦]

(٣) [المائدة: ٢٧]

(٤) [التوبة: ٣٦]

(٥) [الجاثية: ١٩]

(٦) [النحل: ٣٠ - ٣٢]

(٧) [الزخرف: ٦٧]

(٨) [مريم: ٨٥]

(٩) [مريم: ٧١، ٧٢]

(١٠) [الزمر: ٦١]

(١١) [الزمر: ٧٣، ٧٤]

(١٢) [الحجر: ٤٥ - ٤٨]

(١٣) [الطور: ١٧ - ٢٨]." (١)

"(خ م س حم) ، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (جاء نسوة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن: يا رسول الله ، ما نقدر عليك في مجلسك من الرجال) (١) (ذهب الرجال بحديثك ، فاجعل لنا (٢) من نفسك يوما نأتيك فيه ، تعلمنا مما علمك الله ، فقال: " اجتمعن في يوم كذا وكذا ، في) (٣) (بيت فلان ") (٤) (فاجتمعن ، " فأتاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم) (٥) (في ذلك اليوم) (٦) (فعلمهن مما علمه الله) (٧) (ووعظهن ، وأمرهن (٨) فكان مما قال لهن:) (٩) (أيما امرأة) (١٠) وفي رواية: (ما من الناس مسلم ، يموت له ثلاثة من الولد ، لم يبلغوا الحنث (١١)) (١٢) (فاحتسبهم على الله) (١٣) (إلا كانوا له (١٤) حجابا من النار) (١٥) وفي رواية: (لم يدخل النار إلا تحلة القسم) (١٦) وفي رواية: (إلا أدخله الله الجنة ، بفضل رحمته إياهم (١٧)) (١٨) (يقال لهم: ادخلوا الجنة ، فيقولون: حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا) (١٩) (- يقال لهم ثلاث مرات ، فيقولون مثل ذلك -) (٢٠) (فيقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم (٢١) ") (٢٢) (فقالت امرأة: واثنان؟) (٢٣) (فإنه مات لي اثنان) (٢٤) (قال: " واثنان ") (٢٥) (فقالت المرأة: يا ليتني قلت واحدا) (٢٦).

---

(١) (حم) ٧٣٥١ ، وقال الشيخ شعيب الأرناءوط: إسناده صحيح.

(٢) أي: عين لنا. (فتح الباري - ح١٠٢)

(٣) (خ) ٦٨٨٠ ، (م) ٢٦٣٣

(٤) (خد) ١٤٨ ، (حم) ٧٣٥١

(٥) (خ) ٦٨٨٠ ، (م) ٢٦٣٤

(٦) (حم) ٧٣٥١

(٧) (خ) ٦٨٨٠ ، (م) ٢٦٣٣

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٢١٦/١٠

(٨) أي: بالصدقة، أو حذف المأمور به لإرادة التعميم. فتح الباري (ج١ص ١٦٦)

(٩) (خ) ١٠١ ، (حم) ٧٣٥١

(١٠) (خ) ١١٩٢

(١١) أي: لم يبلغوا سن التكليف الذي يكتب فيه الحنث، وهو الإثم. شرح النووي على مسلم - (ج ٨ / ص ٤٧٥)

(١٢) (خ) ١٣١٥ ، (م) ٢٦٣٤

(١٣) (حم) ١٧٣٣٦ ، (خد) ١٤٦

(١٤) أي: الأولاد. فتح الباري (ج ١ / ص ١٦٦)

(١٥) (خ) ١٠١ ، ١١٩٢ ، ٦٨٨٠ ، (م) ٢٦٣٤

(١٦) (خ) ١١٩٣ ، (م) (٢٦٣٢) ، وقال أبو عبد الله البخاري: (تحلة القسم) قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم/٧١].

(١٧) قوله (بفضل رحمته إياهم) أي: بفضل رحمة الله للأولاد. فتح (ج٤ص٢٧٤)

(١٨) (خ) ١١٩١ ، (س) (١٨٧٣)

(١٩) (حم) ١٧٠١٢ ، (س) ١٨٧٦

(٢٠) (حم) ١٠٦٣٠ ، وقال الشيخ شعيب الأرناءوط: إسناده صحيح.

(٢١) (حم) ١٠٦٣٠ ، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢٢) (حم) ١٧٠١٢ ، (س) ١٨٧٦ ، انظر صحيح الجامع: ٥٧٨٠ ، صحيح الترغيب والترهيب: ١٩٩٧ ، ٢٠٠٣

(٢٣) (خ) ١٠١ ، (م) ٢٦٣٣

(٢٤) (حم) ١١٣١٤

(٢٥) (خ) ١٠١ ، (م) (٢٦٣٣)

(٢٦) (س) ١٨٧٢ ، انظر الصحيحة: ٢٣٠٢." (١)

"(جة) ، وعن حفصة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " إني لأرجو إلا يدخل النار أحد إن شاء الله تعالى ممن شهد بدرا والحديبية " ، فقلت: يا رسول الله ، أليس قد قال الله: ﴿وإن منكم إلا واردها ، كان على ربك حتما مقضيا؟﴾ (١) قال: " ألم تسمعيه يقول: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ، ونذر الظالمين فيها جثيا؟﴾ (٢) " (٣)

---

(١) [مريم/٧١]

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٣٧/١١

(٢) [مريم/٧٢]

(٣) (جة) ٤٢٨١ ، (حم) ٢٥٩٠١ ، (م) ١٦٣ - (٢٤٩٦) ، الصحيحة: ٢١٦٠ ، المشكاة: ٦٢١٨." [(١)]

"﴿وإن منكم إلا واردها، كان على ربك حتما مقضيا، ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ (١)

(جة) ، وعن حفصة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " إني لأرجو إلا يدخل النار أحد إن شاء الله تعالى ممن شهد بدرا والحديبية " ، فقلت: يا رسول الله ، أليس قد قال الله: ﴿وإن منكم إلا واردها ، كان على ربك حتما مقضيا؟﴾ (٢) قال: " ألم تسمعيه يقول: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ، ونذر الظالمين فيها جثيا؟﴾ (٣) " (٤)

---

(١) [مريم: ٧١، ٧٢]

(٢) [مريم/٧١]

(٣) [مريم/٧٢]

(٤) (جة) ٤٢٨١ ، (حم) ٢٥٩٠١ ، (م) ١٦٣ - (٢٤٩٦) ، الصحيحة: ٢١٦٠ المشكاة: ٦٢١٨." [(٢)]

"(خ م س حم) ، وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: (جاء نسوة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلن: يا رسول الله ، ما نقدر عليك في مجلسك من الرجال) (١) (ذهب الرجال بحديثك ، فاجعل لنا (٢) من نفسك يوما نأتيك فيه ، تعلمنا مما علمك الله ، فقال: " اجتمعن في يوم كذا وكذا ، في) (٣) (بيت فلان ") (٤) (فاجتمعن ، " فأتاهن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -) (٥) (في ذلك اليوم) (٦) (فعلمهن مما علمه الله) (٧) (ووعظهن ، وأمرهن (٨) فكان مما قال لهن:) (٩) (أيما امرأة) (١٠) وفي رواية: (ما من الناس مسلم ، يموت له ثلاثة من الولد ، لم يبلغوا الحنث (١١)) (١٢) (فاحتسبهم على الله) (١٣) (إلا كانوا له (١٤) حجابا من النار) (١٥) وفي رواية: (لم يدخل النار إلا تحلة القسم ") (١٦)

---

(١) (حم) ٧٣٥١ ، وقال الشيخ شعيب الأرناءوط: إسناده صحيح.

(٢) أي: عين لنا. (فتح الباري - ح١٠٢)

(٣) (خ) ٦٨٨٠ ، (م) ٢٦٣٣

(٤) (خد) ١٤٨ ، (حم) ٧٣٥١

(٥) (خ) ٦٨٨٠ ، (م) ٢٦٣٤

(٦) (حم) ٧٣٥١

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٤٠٤/١٤

(٢) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ١٦٥/٢٠

(٧) (خ) ٦٨٨٠ ، (م) ٢٦٣٣

(٨) أي: بالصدقة، أو حذف المأمور به لإرادة التعميم. فتح الباري (ج١ص ١٦٦)

(٩) (خ) ١٠١ ، (حم) ٧٣٥١

(١٠) (خ) ١١٩٢

(١١) أي: لم يبلغوا سن التكليف الذي يكتب فيه الحنث، وهو الإثم. شرح النووي على مسلم - (ج ٨ / ص ٤٧٥)

(١٢) (خ) ١٣١٥ ، (م) ٢٦٣٤

(١٣) (حم) ١٧٣٣٦ ، (خد) ١٤٦

(١٤) أي: الأولاد. فتح الباري - (ج ١ / ص ١٦٦)

(١٥) (خ) ١٠١ ، ١١٩٢ ، ٦٨٨٠ ، (م) ٢٦٣٤

(١٦) (خ) ١١٩٣ ، (م) (٢٦٣٢) ، وقال أبو عبد الله البخاري: (تحلة القسم) قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم/٧١].." (١)

"(م) ، وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام (١) مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها " (٢)

وقال تعالى: ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون ، وترى كل أمة جاثية ، كل أمة تدعى إلى كتابها ، اليوم تجزون ما كنتم تعملون ، هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ، إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ (٣)

وقال تعالى: ﴿فوربك لنحشرنهم والشياطين ، ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ، ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ، ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا ، وإن **منكم إلا واردها ،** كان على ربك حتما مقضيا﴾ (٤)

وقال تعالى: ﴿يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ، يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا ، نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما﴾ (٥)

وقال تعالى: ﴿يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له ، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا﴾ (٦)

وقال تعالى: ﴿وعنت الوجوه (٧) للحي القيوم ، وقد خاب من حمل ظلما﴾ (٨)

وقال تعالى: ﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم؟ ، قالوا لا علم لنا ، إنك أنت علام الغيوب (٩)﴾ (١٠)

وقال تعالى: ﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ، ولنسألن المرسلين﴾ (١١)

وقال تعالى: ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين ، فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون﴾ (١٢)

وقال تعالى: ﴿ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون؟ ، قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ، فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ، ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون﴾ (١٣)

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ١٦٦/٢٠

قال تعالى: ﴿ويوم نحشرهم جميعا ، ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم ، فزيلنا بينهم ، وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون ، فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين ، هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت ، وردوا إلى الله مولاهم الحق ، وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ (١٤)

---

(١) الزمام: ما يجعل في أنف البعير دقيقا.

وقيل: ما يشد به رءوسها من حبل وسير. تحفة الأحوذي (ج٦ص ٣٦٧)

(٢) (م) ٢٨٤٢ ، (ت) ٢٥٧٣

(٣) [الجاثية: ٢٧ - ٢٩]

(٤) [مريم: ٦٨ - ٧١]

(٥) [طه: ١٠٢ - ١٠٤]

(٦) [طه: ١٠٨]

(٧) عنت: خضعت ، وذلت.

(٨) [طه: ١١١]

(٩) وهذا يدلك على مدى شدة غضب الله - عز وجل - يوم القيامة ، فإنه حتى الرسل يومئذ تخشى أن تجيب على سؤاله. ع

(١٠) [المائدة: ١٠٩]

(١١) [الأعراف/٦]

(١٢) [القصص/٦٥، ٦٦]

(١٣) [سبأ/٤٠ - ٤٢]

(١٤) [يونس/٢٨ - ٣٠]." (١)

"(خ م س حم) ، وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: (جاء نسوة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلن: يا رسول الله ، ما نقدر عليك في مجلسك من الرجال) (١) (ذهب الرجال بحديثك ، فاجعل لنا (٢) من نفسك يوما نأتيك فيه ، تعلمنا مما علمك الله ، فقال: " اجتمعن في يوم كذا وكذا ، في) (٣) (بيت فلان ") (٤) (فاجتمعن ، " فأتاهن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -) (٥) (في ذلك اليوم) (٦) (فعلمهن مما علمه الله) (٧) (ووعظهن ، وأمرهن (٨) فكان مما قال لهن:) (٩) (أيما امرأة) (١٠) وفي رواية: (ما من الناس مسلم ، يموت له ثلاثة من الولد ، لم يبلغوا الحنث (١١)) (١٢) (فاحتسبهم على الله) (١٣) (إلا كانوا له (١٤) حجابا من النار) (١٥) وفي رواية: (لم يدخل النار إلا تحلة القسم) (١٦) وفي رواية: (إلا أدخله الله الجنة ، بفضل رحمته إياهم (١٧)) (١٨)

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ١٠٥/٣

(يقال لهم: ادخلوا الجنة ، فيقولون: حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا) (١٩) (- يقال لهم ثلاث مرات ، فيقولون مثل ذلك -) (٢٠) (فيقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم (٢١) ") (٢٢) (فقالت امرأة: واثنان؟) (٢٣) (فإنه مات لي اثنان) (٢٤) (قال: " واثنان ") (٢٥) (فقالت المرأة: يا ليتني قلت واحدا) (٢٦).

---

(١) (حم) ٧٣٥١ ، وقال الشيخ شعيب الأرناءوط: إسناده صحيح.

(٢) أي: عين لنا. (فتح الباري - ح١٠٢)

(٣) (خ) ٦٨٨٠ ، (م) ٢٦٣٣

(٤) (خد) ١٤٨ ، (حم) ٧٣٥١

(٥) (خ) ٦٨٨٠ ، (م) ٢٦٣٤

(٦) (حم) ٧٣٥١

(٧) (خ) ٦٨٨٠ ، (م) ٢٦٣٣

(٨) أي: بالصدقة، أو حذف المأمور به لإرادة التعميم. فتح (١/ ١٦٦)

(٩) (خ) ١٠١ ، (حم) ٧٣٥١

(١٠) (خ) ١١٩٢

(١١) أي: لم يبلغوا سن التكليف الذي يكتب فيه الحنث، وهو الإثم. شرح النووي على مسلم - (ج ٨ / ص ٤٧٥)

(١٢) (خ) ١٣١٥ ، (م) ٢٦٣٤

(١٣) (حم) ١٧٣٣٦ ، (خد) ١٤٦

(١٤) أي: الأولاد. فتح الباري (ج ١ / ص ١٦٦)

(١٥) (خ) ١٠١ ، ١١٩٢ ، ٦٨٨٠ ، (م) ٢٦٣٤

(١٦) (خ) ١١٩٣ ، (م) (٢٦٣٢) ،

وقال أبو عبد الله البخاري: " تحلة القسم " قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم/٧١].

(١٧) أي: بفضل رحمة الله للأولاد. فتح الباري (ج٤ص٢٧٤)

(١٨) (خ) ١١٩١ ، (س) (١٨٧٣)

(١٩) (حم) ١٧٠١٢ ، (س) ١٨٧٦

(٢٠) (حم) ١٠٦٣٠ ، وقال الشيخ شعيب الأرناءوط: إسناده صحيح.

(٢١) (حم) ١٠٦٣٠ ، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين

(٢٢) (حم) ١٧٠١٢ ، (س) ١٨٧٦ ، انظر صحيح الجامع: ٥٧٨٠ ، صحيح الترغيب والترهيب: ١٩٩٧ ، ٢٠٠٣

(٢٣) (خ) ١٠١ ، (م) ٢٦٣٣

(٢٤) (حم) ١١٣١٤

(٢٥) (خ) ١٠١ ، (م) (٢٦٣٣)

(٢٦) (س) ١٨٧٢ ، انظر الصحيحة: ٢٣٠٢." (١)

"العصيب يمر الناس على الصراط، وهو جسر ممدود على متن جهنم، أدق من الشعرة وأحد من السيف، يرده الأولون والآخرون من أتباع الرسل الموحدون وفيهم أهل الذنوب والمعاصي، وفيهم أهل النفاق، فتلقى عليهم الظلمة قبل الصراط. وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين ويتخلفون عنهم ويسبقهم المؤمنون ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم، ويعطي كل مؤمن نوره بقدر عمله يضيء له الطريق فيمرون على الصراط، فمنهم من يمر كالبرق الخاطف، وكالريح، ومنهم من يرمل رملا حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه تخر يد وتعلق يد، وتخر رجل وتصيب جوانبه النار١.

وقد دل الكتاب والسنة على المرور على الصراط. قال تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ... ﴾ ٢. قال شارح الطحاوية: واختلف المفسرون في المراد بالورود في قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ ما هو؟ والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط. قال تعالى: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ ٣، وفي الصحيح أنه

١ انظر: شرح الطحاوية ص٤٧٠.

٢ الآية ٧٢ من سورة مريم.

٣ سورة مريم الآية ٧٢.." (٢)

"صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفسي بيده لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة"، قالت حفصة: فقلت: يارسول الله أليس الله يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ ، فقال: ألم تسمعيه قال: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ " ١ أشار إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا تستلزم حصوله. فالمؤمنون يمرون فوق النار على الصراط ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا، فبين صلى الله عليه وسلم أن الورود هو الورود على الصراط٢.

والحق أن الورود على النار ورودان: ورود الكفار أهل النار، فهذا ورود دخول لا شك في ذلك، كما قال تعالى في شأن فرعون ﴿يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود﴾ ٣، أي بئس المدخل المدخول.

والورود الثاني: ورود الموحدين وهو مرورهم٤ على الصراط كما سبق وهو ما عناه عمر بن عبد العزيز رحمه الله بقوله: "يا أخي إنك قد قطعت عظيم السفر وبقي أقله فاذكر يا أخي المصادر والموارد، فقد أوحي

١ مسلم برقم٢٤٩٦/ ٦ / ٤٧.

٢ شر ح الطحاوية ص٤٧١، والحديث رواه مسلم٦ /٤٧٠ برقم٢٤٩٦.

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ١٧٢/٨

(٢) الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة حياة بن محمد بن جبريل ٤٦٨/١

٣ سورة هود ٩٨.

٤ القيامة الكبرى للأشقر ص٢٧٨.." (١)

"(الصراط) * والصراط حق.

اللغة: (الصراط) : الطريق، والمراد هنا جسر على متن جهنم.

الشرح: أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات الصراط، وهو جسر - بفتح الجيم وكسرها - ممدود على جهنم ليعبر المسلمون عليه إلى الجنة، وهو أحد من السيف وأدق من الشعر، ولا يعبره إلا المؤمنون، فيمضون عليه على قدر نورهم، منهم من يمر كانقضاض الكواكب، ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يرمل رملا، وهو ثابت بالكتاب والسنة.

وقال تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ فسرها عبد الله بن مسعود وقتادة وزيد بن أسلم (بالمرور على الصراط) ، قال ابن أبي العز: (والأظهر أنه المرور على الصراط، وفسرها جماعة منهم ابن عباس بالدخول في النار لكن ينجون منها) . [انظر: تفسير البغوي (٥ / ٢٤٦)] .." (٢)

"(الصراط)

٢٦- والصراط حق.

الشرح:

أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات الصراط وهو جسر بفتح الجيم وكسرها ممدود على جهنم ليعبر المسلمون عليه إلى الجنة وهو أحد من السيف وأدق من الشعر ولا يعبره إلا المؤمنون فيمضون عليه على قدر نورهم منهم من يمر كانقضاض الكواكب، ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالطرف ومنهم من يرمل رملا وهو ثابت بالكتاب والسنة.

وقال تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١] فسرها عبد الله بن مسعود وقتادة وزيد بن أسلم بالمرور على الصراط قال ابن أبي العز والأظهر أنه المرور على الصراط وفسرها جماعة منهم ابن عباس بالدخول في النار لكن ينجون منها. انظر تفسير البغوي (٥/ ٢٤٦) .

وقد بوب الإمام البخاري في صحيحه باب (الصراط جسر جهنم) ذكر فيه حديث أبي هريرة الطويل وفيه "ويضرب جسر جهنم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأكون أول من يجيز ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان" ١ الحديث. وأنكره بعض المعتزلة ينظر شرح الأصول الخمسة ٧٣٧، ٣٧٨، والإرشاد للجويني ٣٧٠، ٣٨٠.

---

(١) الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة حياة بن محمد بن جبريل ١/ ٤٦٩

(٢) اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث محمد بن عبد الرحمن الخميس ص/٩٥

١ البخاري (٤٥٣/١١) ح ٦٥٧٣ في الرقاق باب الصراط جسر جهنم من حديث عطاء عن أبي هريرة مرفوعا.." (١)
"هل الكفار يمرون على الصراط؟

Q ذكرت في أهوال يوم القيامة السور الذي يضرب بين المؤمنين والكافرين، ويرى البعض أن أهل الكفر -أهل الظلمة- يذهب بهم إلى النار ولا مرور لهم على الصراط، وأن قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم:٧١] خاص بالمؤمنين، فهم الذين يمرون على الصراط بحسب أعمالهم، نريد أن نسمع الترتيب في ذلك والسابق منها واللاحق، والحوض والميزان والظلمة وغير ذلك؟

A بالنسبة للعبور على الصراط ظاهر الأحاديث أنه يشمل الجميع، فعندما يشفع الرسول صلى الله عليه وسلم في أهل المحشر، فإنه يؤذن لهم جميعا إلى الصراط، لكن يؤمر آدم بإخراج بعث النار، وهؤلاء قطعا سيقعون عن الصراط في النار، لكن يبدو أن الصراط يمر به الجميع، وأن أبواب جهنم تحت الصراط: ﴿لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾ [الحجر:٤٤] .

لكن لو قيل بأن بعثا يمكن أن يدخل النار دون المرور بالصراط فلا مانع، مثل ما ورد أن بعض أهل الجنة يدخلون الجنة دون حساب، ولا يمرون بشيء من العقبات، ولا يحسون بالأهوال، وحينئذ يكون عبور أهل الجنة من باب رحمة الله ولطفه: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون * لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون﴾ [الأنبياء:١٠١-١٠٢] ويكون تعجيل أهل النار إليها قبل الصراط أو دون أن يمروا عليه، أو أن يكون مرورهم عليه صوريا، يكون ذلك من باب عدل الله سبحانه وتعالى، فهذا هو الذي يستحقونه.

أما الترتيب بين هذه المشاهد أو الأهوال: فأولها الحشر كما ذكرنا من قبل، ثم إذا أذن للناس وشفع الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم، فإن أول ما يمرون به وأول منزلة بعد الحشر: حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم على الراجح؛ لأنه جاء في وصفه أنه لا يظمأ من شرب منه أبدا، ولو كان بعد الصراط لما احتاج الناس إليه؛ لأنهم سيدخلون الجنة، لكن يذاد عنه الذين غيروا وبدلوا، ويذاد عنه أيضا الذين أعانوا الظلمة، وقد جاء في حديثين ذكر أنواع من يذاد عنه: الحديث الأول: (ألا لا ألفين أقواما أعرفهم فيذادون دوني كما تذاد غرائب الإبل، فأقول: يا رب أصحابي أصحابي، وفي لفظ: أمتي أمتي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم لم يزالوا منذ فارقتهم مرتدين على أعقابهم فأقول: فسحقا فسحقا فسحقا) هؤلاء قد غيروا وبدلوا.

والحديث الآخر: عند عبد الرزاق في المصنف وإسناده صحيح، أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إنه سيستعمل عليكم أمراء يظلمون الناس ويؤخرون الصلاة عن أوقاتها، فمن صدقهم في كذبهم أو أعانهم على ظلمهم فلن يرد علي الحوض) فهؤلاء أيضا يذادون عن الحوض ويطردون عنه.

---

(١) اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث محمد بن عبد الرحمن الخميس ص/٢٨٠

وكذلك الميزان فإنه سابق على الصراط، فبعد مشهد الحوض، يأتي وزن أعمال العباد، والمقاصة بينهم حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء، وفي ذلك الوقت أيضا يأتي العرض على الله سبحانه وتعالى وبسط كنفه على عباده المؤمنين، ثم يأتي الحساب بعد الميزان محاكمة على الأعمال، ثم بعد ذلك تأتي هذه الظلمة وكذلك النور الذي ينور الله به المؤمنين، وهو إعلان النتيجة؛ لأنه سيعطى أهل هذا النور كتبهم بأيمانهم، ويعطى أهل الظلمة كتبهم بشمائلهم من وراء ظهورهم، نسأل الله السلامة والعافية.." (١)

"الصراط

ثم قال رحمه الله: (والصراط والميزان) أي: نؤمن بالصراط والميزان، والصراط ككتاب، فعال بمعنى مفعول، وهو ما ضربه الله جل وعلا من الجسر على جهنم، فالصراط هو الجسر المضروب على متن جهنم، يعني ظهرها، ومن هنا نعلم أن المرور على الصراط لا يلزم منه دخول النار، بل هو ورود كما قال الله جل وعلا: ﴿وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم:٧١] ، لكن الورود لا يلزم منه الدخول، وهذا الصراط ورد في وصفه أنه أدق من الشعر، وأحد من السيف، وأحر من الجمر، وورد في وصفه أنه مدحضة مزلة، والأصل في الصراط أنه الطريق المستقيم، وعلى كل حال هو جسر على متن جهنم، لا تضر دقته وحدته أهل الإيمان كما أنه لا ينفع سعته -إذا قيل بسعته- أهل العصيان؛ لأن الناس سيرهم في ذلك الموقف وفي هذا الاجتياز على حسب الأعمال ليس على حسب سعة الطريق وضيقه، والناس متفاوتون في اجتيازهم هذا الصراط، فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم يمر كالريح، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدوا، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يزحف زحفا، ومنهم من تخطفه الكلاليب، نسأل الله السلامة والعافية! وهذا التفاوت العظيم في السير هو لتفاوت الناس في سيرهم إلى الله جل وعلا في هذه الدنيا، فبقدر ما مع الإنسان من العلم النافع والعمل الصالح بقدر ما يحصل له من السرعة، فمطايا الناس يوم القيامة أعمالهم، (ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه) ، فمن أخره عمله لن ينفعه شيء، وإنما ذكر النسب لأن النسب يكون معه يوم القيامة، فإنه ينسب إلى أبيه حتى في القيامة، أما المال والمنصب والجاه فكله يزول، فذكر النسب في حديث: (من بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه) ، لأن النسب باق مع الإنسان حتى وهو في النار نسأل الله السلامة والعافية! بمعنى أنه ينسب إلى أبيه، فهذا الذي بقي معه يوم القيامة، وهو أن نسبته إلى قبيلته أو إلى أهله أو إلى أبيه أو إلى عشيرته ما تنفعه يوم القيامة إذا لم يكن له عمل صالح يجوز به.." (٢)

"يقول المصنف رحمه الله: [ثم قد صار التأويل مستعملا في غير معناه الأصلي، فالتأويل في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام] والمآل هو: والعاقبة والنهاية، أي: ينتهي إليها الكلام وتراد بالكلام [فتأويل المخبر به] مثلا أخبرنا الله -عز وجل- عن الجنة والنار، فقال في النار: وإن **منكم إلا واردها** [مريم:٧١] فتأويل هذه الآية -على هذا المعنى- أن العالمين جميعا يردون فوق جسر جهنم هذا تأويلها.

---

(١) سلسلة الأسماء والصفات محمد الحسن الددو الشنقيطي ٥/٢٤

(٢) شرح الطحاوية لخالد المصلح خالد المصلح ١١/١٨

وتأويل دخول الجنة أن يدخل المؤمنون الجنة.

وتأويل دخول النار أن يدخل الكفار النار.

وتأويل أخبار الدجال أن يظهر الدجال وتظهر الآيات التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم فيه.

وتأويل أخبار الدابة أن تظهر الدابة فإذا خرجت قلنا قد وقع تأويل ذلك، فكل ما كان من الأخبار فتأويله هو وقوع نفس المخبر به.

وتأويل الأمر: نفس الفعل المأمور به.
فعندما يقول الله تعالى: وأقيموا الصلاة [البقرة:٤٣] فتأويلها أن تصلي، فإذا كنت تصلي فأنت تأول هذه الآية بمعنى تأتي بما أمرك الله به وعلى هذا الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن) أي: يتأول قوله تعالى: إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا [النصر:١-٣] فالنبي صلى الله عليه وسلم لما تحقق له ذلك تأول القرآن أي: على لغتنا يطبق ذلك ويتمثله.." (١)
"[المسألة السابعة] :
في قوله (الصراط) الصراط هو الطريق، والصراط طريق موضوع على ظهر جهنم؛ يعني فوقها -فوق جهنم-، وهو طريق يوصل من العرصات من أرض المحشر إلى ساحات الجنة؛ يعني ما قبل دخول الجنة.
وهذا العبور على الصراط هو المذكور في قوله ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم:٧١-٧٢] .
والصراط جاءت صفته في السنة، وجاء ذكره مجملا في القرآن.
أما صفته في السنة فإنه: دقيق جدا وطويل، وأن على جنباته كلاليب تخطف من قضى الله - عز وجل - أن يكون من أهل النار، وأن الناس في العبور عليه يخافون خوفا شديدا، فالأنبياء يقولون قبل العبور اللهم سلم سلم.
ودون هذا الصراط ظلمة لا يتبين أحد ممن يريد أن يعبر طريق الصراط إلا المؤمنين بما فيهم العصاة.
وأما الكافرون والمنافقون فإنهم يجتمعون في الظلمة ويسيرون ويتهافتون في النار تهافت الجراد.
وغير ذلك مما جاء في وصفه وأنه أدق من الشعرة وأحد من السيف، إلى آخره.
وهذه الصفات أنكرها المعتزلة وأنكرها العقلانيون والفلاسفة، وقالوا: هذه لا يعقل أن يكون الطريق من صفته كذا وكذا.

---

(١) شرح الطحاوية لسفر الحوالي سفر الحوالي ص/٩٠٦

وإذا كان هذا الأمر قد جاء عن المصطفى صلى الله عليه وسلم وثبتت به السنة فالإيمان به واجب على نحو ما ورد على ما ذكرنا لكم من أن عالم الغيب لا يقاس على عالم الشهادة.." (١)

"وشرعا: جسر ممدود على متن جهنم، يرده الأولون والآخرون، والأدلة على إثباته كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ﴾ وفي الحديث الذي رواه البيهقي، عن مسروق، عن عبد الله بن عباس قال: (يجمع الله الناس يوم القيامة إلى أن قال: ويمرون على الصراط، والصراط كحد السيف دحض، ومزلة، فيقال: لهم امضوا على قدر نوركم) .

وجاء في حديث عائشة (في جهنم جسر أدق من الشعر، وأحد من السيف، عليه كلاليب وحسك)

قال العلماء في وصف الصراط: إنه أدق من الشعر، وأحد من السيف، وأحر من الجمر جاء هذا في أحاديث، وقد أنكر بعض الطوائف الصراط، وهم المعتزلة، وقالوا: ليس هناك صراط حسي، وقالوا: إن الصراط إنما هو المراد الصراط المعنوي، فأهل الحق يثبتون الصراط على ظاهره، من كونه جسرا ممدودا على متن جهنم، أحد من السيف وأنكر بعض المعتزلة كالقاضي عبد الجبار المعتزلي، وكثير من أصحابه، ومن أتباعه. قالوا: ليس هناك صراط حسي، قال: والمراد بالصراط طريق الجنة، المشار إليه بقوله تعالى: ﴿سيهديهم ويصلح بالهم (٥) ﴾ وطريق النار المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم (٢٣) ﴾ .

شبهتهم:

قالوا: إنهم أنكروا الصراط الحسي، زعما منهم أنه لا يمكن عبوره، وإن أمكن ففيه تعذيب، ولا عذاب على المؤمنين يوم القيامة، والرد أن هذا تأويل باطل بوجوب حمل النصوص على حقائقها، وليس العبور على الصراط بأعجب من المشي على الماء والطيران في الهواء، والوقوف فيه، وقد أجاب النبي صلى الله عليه وسلم عن سؤال حشر الكافر على وجهه، بأن القدرة صالحة لذلك، والمراد بالورود في قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ في أصح قولي العلماء: المرور على الصراط، وقال بعضهم: دخول جهنم، والصواب أن المراد به المرور على الصراط.

الصراط: كما سبق أنه لغة: الطريق الواضح، ومنه قول جرير

أمير المؤمنين على صراط *** إذا اعوج الموارد مستقيما

وشرعا: جسر ممدود على متن جهنم، يرده الأولون والآخرون بعد مفارقتهم مكان الموقف.

الأدلة على إثباته كثيرة: منها ما رواه البيهقي بسنده، عن مسروق، عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- قال: (يجمع الله الناس يوم القيامة إلى أن قال: ويمرون على الصراط، والصراط كحد السيف دحض، ومزلة، فيقال لهم: امضوا على قدر نوركم) ثانيا: ما أخرجه الإمام أحمد عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (في جهنم جسر أدق من الشعر، وأحد من السيف، عليه كلاليب وحسك..) الحديث، ثالثا: أخرج البيهقي عن أنس - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (الصراط كحد السيف..) الحديث.

---

(١) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل صالح آل الشيخ ص/٥٤٠

وفي بعض الآثار أن طول الصراط مسيرة ثلاث آلاف سنة، والله أعلم، قال: ألف منها صعود، وآلف منها هبوط، وآلف منها استواء، والله أعلم بالصواب.

وصف الصراط:

قال العلماء: الصراط أدق من الشعرة، وأحد من السيف وأحر من الجمر، فقد أخرج الطبراني بإسناد حسن، عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: (يوضع الصراط على سواء جهنم، مثل حد السيف المرهف مدحضة، أي مزلة، أي لا تثبت عليه قدم، بل تزل عنه إلا من يثبته الله، عليه كلاليب من نار تخطف أهلها، فتمسك بهواديبها، ويستبقون عليه بأعمالهم، فمنهم من شده كالبرق، وذلك الذي لا ينشب أن ينجو، ومنهم من شده كالريح، ومنهم من شده كالفرس) .

الطائفة المنكرة للصراط، وشبهتها وتأويلهم للصراط والرد عليه: أهل الحق يثبتون الصراط على ظاهره، بكونه جسرا حسيا ممدودا على متن جهنم، أحد من السيف، وأنكر هذا الظاهر القاضي عبد الجبار المعتزلي، وكثير من أتباعه، وأولوا الصراط فقالوا: المراد بالصراط طريق الجنة المشار إليه بقوله تعالى: ﴿سيهديهم ويصلح بالهم (٥) ﴾ وطريق النار المشار إليها بقوله: ﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم (٢٣) ﴾ شبهتهم: أنكروا الصراط الحسي، زعما منهم أنه لا يمكن عبوره، وإن أمكن، ففيه تعذيب، ولا عذاب على المؤمنين يوم القيامة.

الرد عليهم: تأويلهم هذا باطل بوجوب حمل النصوص على حقائقها، وليس العبور على الصراط بأعجب من المشي على الماء، والطيران في الهواء والوقوف فيه، وقد أجاب صلى الله عليه وسلم عن سؤال حشر الكافر على وجهه، بأن القدرة صالحة لذلك.

هل هناك صراط آخر؟

قال القرطبي –رحمه الله–: اعلم –رحمك الله تعالى– أن في الآخرة صراطين:." (١)

"أحدهما: مجاز لأهل الحشر كلهم ثقيلهم وخفيفهم، يجيزون عليه إلا من دخل الجنة بغير حساب، وإلا من يلتقطه عنق من النار، فإذا خلص من هذا الصراط الأكبر المذكور، ولا يخلص منه إلا المؤمنون، الذين علم الله منهم أن القصاص لا يستنفد حسناتهم، حبسوا على صراط آخر، خاص لهم، ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد، –إن شاء الله تعالى– لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم، التي يسقط منها من أوبقته ذنوبه، وزاد على الحسنات جرمه وعيوبه.

ويدل على هذا الصراط الثاني ما أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية: (﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين (٤٧) ﴾ قال: يخلص المؤمنون من النار، فيجلسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقص بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا، ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا) .

قال القرطبي: هذا في حق من لم يدخل النار من عصاة الموحدين، أما من دخلها، ثم أخرج، فإنهم لا يحبسون، بل إذا أخرجوا بقوا على أنهار الجنة.

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي عبد العزيز الراجحي ص/٣١٦

المراد بالورود في قول الله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ﴾ اختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في هذه الآية على قولين: فقيل: المراد به الدخول في النار، وهذا قال به ابن عباس وجماعة، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ بعد قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ فالتعبير بالإنجاء بعد الورود دليل على أنهم دخلوا، لكنهم نجوا، وأجيب بأن التعبير بالإنجاء لا يستلزم إحاطة العذاب بالشخص، بل يكفي في ذلك انعقاد أسبابه، ولو لم يهلك كما في قوله تعالى: ﴿ولما جاء أمرنا نجينا هودا﴾ ﴿فلما جاء أمرنا نجينا صالحا﴾ ﴿ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا﴾ ولم يكن العذاب أصابه، ولكن أصاب غيره.

ثانيا: من ناحية اللغة أن الورود في اللغة... الدليل الثاني: استدلوا باللغة قالوا: الورود في اللغة يستلزم الدخول، والجواب يرد ذلك بالحديث الصحيح، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: –وهو في صحيح مسلم– (والذي نفسي بيده لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة، قالت حفصة: فقلت: يا رسول الله، أليس الله يقول ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قال: ألم تسمعيه قال ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) ﴾) أشار صلى الله عليه وسلم إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من النار لا تستلزم حصوله، بل تستلزم العقاب الشديد.

الدليل الثالث: استدلوا بقوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون (٩٨) ﴾ وقوله تعالى: ﴿يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار﴾ وقوله: ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا (٨٦) ﴾ فسمى دخول النار ورودا، وأجيب بأن هذه الآيات في الكفار، ويستلزم الورود إحاطة العذاب بهم، ودخولهم من أدلة أخرى لا من نفس الورود.

القول الثاني: أن المراد بالورود المرور على الصراط، وهذا هو الصواب، ويؤيد ذلك الحديث الصحيح، الذي رواه الإمام مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (والذي نفسي بيده، لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة، قالت حفصة: فقلت: يا رسول الله أليس الله يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ فقال: ألم تسمعيه قال ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) ﴾) أشار صلى الله عليه وسلم إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من النار لا تستلزم حصوله، بل تستلزم انعقاد سببه، ولو لم يحصل الهلاك.

ثانيا: أن من طلبه عدوه؛ ليهلكوه، ولم يتمكنوا منه يقال: نجاه الله منهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ولما جاء أمرنا نجينا هودا﴾ ﴿فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه﴾ ﴿ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا﴾ ولم يكن العذاب أصابهم، ولكن أصاب غيرهم، ولولا ما خصهم الله به من أسباب النجاة لأصابهم ما أصاب أولئك، وكذلك حال الوارد في النار، يمرون فوقها على الصراط، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا.

ثالثا: أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بين في هذه الإجابة المذكور أن الورود هو المرور على الصراط، وعن يعلى بن أمية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جز يا مؤمن، فقد أطفأ نورك لهبي) .." (١)

"ووقفت مع قوله:" وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ﴿٧١﴾ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا" (مريم، آية: ٧١ . ٧٢)، وعلاقة هذه الآية بالمرور على الصراط ويااله من موقف يشيب لهوله الولدان ها هي

(١) شرح الطحاوية للراجحي عبد العزيز الراجحي ص/٣١٧

الأمانة على الصراط لتقول لكل خائن يمر عليها أين الأمانة التي ضيعتها؟ أين أمانة الأموال التي سرقتها؟ أين أمانة الشهادة لهذا الدين؟ أين الأمانات التي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها أنت الإنسان، بل ها هي الرحم تتعلق على الصراط لتقول لكل من قطعها: أين صلة الرحم التي قطعتها في الدنيا؟ وماذا ستصنع في اليوم أمام تلك الأهوال.

قال الشاعر:

أبت نفسي تتوب فيما احتيالي ... إذا برز العباد لذي الجلالي

وقاموا من قبورهم سكارى ... بأوزار كأمثال الجبال

وقد نصب الصراط لكي يجوزوا ... فمنهم من يكب على الشمال

ومنهم من يسير لدار عدن ... تلقاه العرائس بالغواني

يقول له المهيمن يا ولي ... غفرت لك الذنوب فلا تبالي

وفي الفصل الرابع كان الحديث عن النار والجنة وافردت في المبحث الأول: مقدمات، كخلود الجنة والنار وكونهما مخلوقتان موجودتان الآن، ومكانهما، وأصحاب الأعراف وفي المبحث الثاني تكلمت عن النار، واسمائها وخزنتها وصفتها وما أعد الله لأهلها ومطالبهم فيها وصور من عذابها، وفي المبحث الثالث، اشرت إلى موانع انفاذ الوعيد، كالتوبة والإستغفار، والحسنات الماحية، ودعاء المؤمنين، وإهداء القربات، والشفاعة لأهل الكبائر، والمصائب المكفرة والعفو الإلهي.." (١)

"والاستقامة كلمة جامعة، آخذة بمجامع الدين، قال الصديق لما سئل عنها: أن لا تشرك بالله شيئا، فأراد بها الاستقامة على محض التوحيد، وقال عمر بن الخطاب: الاستقامة: أن تستقيم على الأمر والنهي ولا تروغ روغان الثعالب (١).

٣. التقوى: قال تعالى:" يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون " (آل عمران، آية: ١٠٢)، وحق تقاته أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر (٢). وأصل التقوى: أن يجعل العبد بينه وبين من يخافه ويحذره وقاية تقيه منه، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه (٣)، فالتقوى سبب للخروج من كل ضيق، كما قال تعالى:" ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب" (الطلاق، آية: ٢، ٣).

ولا شك أن العبد عند السكرات يكون في ضيق وشدة فتكون التقوى سببا لنجاته، والتقوى سبب لتيسير السكرات على العبد المؤمن، قال تعالى:" ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا" (الطلاق، آية: ٤)، والتقوى سبب للنجاة من المهالك، قال تعالى:" وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا" (مريم، آية: ٧١، ٧٢).

وهي سبب لدخول الجنة، قال تعالى:" تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا" (مريم، آية: ٦٣).

---

(١) الإيمان باليوم الآخر علي محمد الصلابي ص/١٠

(١) رحلة إلى الدار الآخرة، محمود المصري صـ٤٢، سكب العبرات، سيد العفاني (١٠/ ٥٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/ ١٥٧).

(٣) جامع العلوم والحكم (١/ ٣٩٨).." (١)

"وهذا الجثي مصاحب لهم في كل حال، ففي الموقف يوم يحشر الناس إلى أرض الحساب تجثو كل الأمم، قال تعالى:" ولله ملك السماوات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون* وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون" (الجاثية، آية: ٢٧، ٢٨).

وفي النار كذلك، قال تعالى:" وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا" (مريم، آية: ٧١، ٧٢).

رابعا: أحوال عصاة الموحدين:

وهم المؤمنون الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، فأتوا بشعائر الإسلام وأركانه ولكنهم وقعوا ببعض المعاصي، وقد ذكر الله تعالى عذاب أولئك العصاة وجاء ذكر بعضهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا المطلب فيه مسائل:

١. الذين لا يؤدون الزكاة: الزكاة من فروض الإسلام الكبرى وهي حق المال، فمن لم يؤد زكاته عذب بها في ذلك اليوم العظيم وقد أخبرت النصوص أن عذابهم على وجهين:." (٢)

"ب . تسبيح الله وتحميده: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلمتان خفيفتان على اللسان وثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: "سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم" (١).

جـ . الحمد لله: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان والحمد لله تملآن . أو تملأ . ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو: فبائع نفسه، فمعتقها أو موبقها (٢).

ففي قوله: وسبحان الله والحمد لله تملآن . أو تملأ . ما بين السماوات والأرض: سبب عظيم فضلها ما اشتملت عليه من التنزيه لله تعالى والافتقار إليه (٣).

س . احتباس الخيل في سبيل الله: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقا بوعده، كان شبعه وريه وروثه وبوله حسنات في ميزانه يوم القيامة (٤).

تاسعا: الصراط:

(١) الإيمان باليوم الآخر علي محمد الصلابي ص/٤١

(٢) الإيمان باليوم الآخر علي محمد الصلابي ص/١٣٢

قال تعالى:" وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا" (مريم، آية: ٧١، ٧٢).

والمراد بالمرور في الآية المرور على الصراط وهو جسر منصوب على جهنم، فيقع فيها أهلها وينجو الآخرون (٥).

---

(١) البخاري رقم ٦٦٨٢، فتح الباري (١١/ ٥٧٥)

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٣/ ١٠٠) كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء.

(٣) شرح الأربعين حديثا النووية لابن دقيق العيد صـ٦١ ـ ٦٢.

(٤) البخاري رقم ٢٨٥٣، فتح الباري (٦/ ٦٧).

(٥) شرح مسلم للنووي (١٦/ ٥٨).." (١)

"وعن جابر عن أم مبشر، عن حفصة قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم:" إني لأرجو ألا يدخل النار أحد إن شاء الله تعالى ممن شهد بدرا والحديبية، قالت: قلت يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى:" وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا" قال: ألم تسمعيه يقول:" ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا" (مريم، آية: ٧٢) (١).

وقال تعالى:" يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم * يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب * ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور * فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير" (الحديد، آية: ١٢، ١٥).

لقد كرم الله تعالى المؤمنين يومئذ تكريما عظيما، إذ يمرون على الصراط بسرعات مختلفة وأنوار متفاوتة، أما المنافقون فلا نور لهم (٢).

---

(١) سنن ابن ماجة، ك الزهد رقم ٤٢٨١ سند صحيح.

(٢) الحياة في القرآن الكريم (٢/ ٦١٧).." (٢)

"٤٨٠٠ - أخبرنا أبو يعلى، حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا ابن إدريس، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر امرأة زيد بن حارثة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في بيت حفصة: ﷺ «لا يدخل النار رجل شهد بدرا، والحديبية»، فقالت حفصة: يا رسول الله، أليس قد قال الله ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١]؟، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فمه ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ [مريم: ٧٢]»

---

(١) الإيمان باليوم الآخر علي محمد الصلابي ص/١٧٨

(٢) الإيمان باليوم الآخر علي محمد الصلابي ص/١٧٩

(Z (4780

L________

صحيح – «الصحيحة» (٢١٦٠): م.

S

إسناده صحيح على شرط مسلم." (١)

"اختلاف الناس في إثبات الصراط

العجب من المعتزلة أنهم أنكروا، ولم يثبتوا الصراط، وهؤلاء المعتزلة ما جاءهم من أمر إلا ووقفوا في وجهه غير قابلين له، وبمجرد إمراره على العقل فلا يثبتونه، وهذا لا شك من جهلهم وخرافاتهم.

مسألة: اختلف الناس في المراد بالصراط؟ القول الأول: قول أهل السنة: وهو إثباته على ظاهره، وأنه جسر ممدود على جهنم يمر الناس منه.

القول الثاني وهو قول المعتزلة: وهو إنكار الصراط، وقالوا: لا يمكن عبوره أبدا، وجاءوا بعقولهم، قالوا: أدق من الشعر، وأحد من السيف، ودحض مزلة، كيف يعبر الناس هذا؟ ثم إن من يمر عليه، الله قال: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم:٧١] يصبح المؤمنون كلهم يمرون عليه، قالوا: وإذا كان المؤمنون سيمرون فهذا تعذيب لهم، والمؤمنون حقهم الجنة، فلماذا يعذبون؟ بمجرد إجالة العقل فقط، وهذا كلام باطل.

ومن العلماء من قال: المراد بالصراط هي الأدلة الواضحة، ولا شك أن هذا الكلام باطل غير صحيح، وذكر بعض أئمة أهل السنة كـ القرافي ونقل عن العز بن عبد السلام كذلك: أنه لا يمكن أن يكون أحد من السيف وأدق من الشعر وغيره، وإنما الصراط عريض يمر الناس منه، ولكن نقول: ما ورد من حديث أبي سعيد رضي الله عنه في صحيح مسلم يدلنا عليه، فوجب أن نثبته إثباتا كاملا.." (٢)

"الصراط وأحوال الناس فيه

قال الموفق رحمه الله: [والصراط حق يجوزه الأبرار، ويزل عنه الفجار].

ومما يجب الإيمان به الصراط، وهو ينصب على متن جهنم، ويمر عليه الناس، كما قال تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم:٧١] أي: يرمون على الصراط، وهذا هو التفسير الصحيح للآية.

وأما من قال: إن الورود هو لفحة من لفحات النار فهذا ليس صحيحا، فإن المؤمنين الأبرار المتقين من الأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين لا يمسهم شيء من أثر النار وإن كانوا يمرون على الصراط.

وقد جاء في حديث متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم، أن العباد يمرون على الصراط، فيمر أولهم على صورة القمر، ثم ذكر أحوالهم في المرور، ومقدار مرورهم، كمرور الريح، وكأجاود الخيل والركاب ..

---

(١) شرح نظم عقيدة السفاريني عبد الكريم الخضير ١٢٥/١١

(٢) شرح لامية ابن تيمية عمر العيد ٢١/١٥

وما إلى ذلك، ومنهم من يخطف وهو على الصراط فيقع في نار جهنم ..

ومنهم من يتعثر فيلحقه مقام من مقامات الشفاعة، وذكر عليه الصلاة والسلام أن الأمانة والرحم تقومان على جنبتي الصراط، وأن الأنبياء والمرسلين يقولون: اللهم سلم سلم.

فهذه بعض مواقف الصراط يجب الإيمان بها على ظاهرها، كما يجب الوقوف على نصها الصريح فقط، وأما المعنى الذي لم يتضمنه النص الصريح مما يفرض العقل الاستفصال عنه فإن الواجب السكوت عنه.

وأيضا: ثبت الصراط على وجه التحديد، وكذلك بعض مسائله، وقد روي فيه روايات منكرة في بعض كتب الرواية -ولا سيما في كتب الوعظ وذكر الجنة والنار والمآلات وما إلى ذلك- ذكر في الصراط روايات منكرة في صفته وهيأته وما إلى ذلك، فهذا يعتبر فيه الثابت ثبوتا بينا، وأما ما تردد في ثبوته فإنه يسكت عنه.." (١)

"الإيمان بالصراط

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: [والصراط حق] .

والصراط هو جسر ممدود على متن جهنم، أحد من السيف وأدق من الشعر، عليه كلاليب من نار، فيها ما هو كشوك السعدان، تختطف الناس، وهذا الصراط المنصوب على متن جهنم يمر منه الجميع، كما قال تعالى: ﴿وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم:٧١] ، فالجميع يردونها.

قال المصنف: [يجوزه الأبرار، ويزل عنه الفجار] .

وهذه خلاصة لما يجري حينما ينصب الصراط على متن جهنم، وإلا فالوارد في الأحاديث الصحيحة أنه إذا نصب على متن جهنم يعبر منه الناس على قدر أعمالهم: فمنهم من يعبر الصراط كالبرق، ومنهم كالريح، ومنهم كأجاود الخيل، ومنهم كالرجل المسرع، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يخطو خطوة ويعثر أخرى، وكل هؤلاء على درجات.

أما بالنسبة للكافر أو المنافق فإنه إذا أراد أن يعبر خطفته الكلاليب التي على الصراط، فتزل به قدمه، فيكردس في نار جهنم، نسأل الله السلامة والعافية، ونسأله النجاة من النار، ولهذا قال العلماء: نؤمن بالصراط ونصدق به؛ لورود الأدلة الصحيحة فيه.." (٢)

"من يمر على الصراط؟

قال رحمه الله: [يمر الناس عليه على قدر أعمالهم] .

المراد بالناس هنا أهل الإسلام، فإنه لا يمر على الصراط إلا مسلم، وبه نفهم أن المراتب المذكورة فيما سيأتي هي مراتب أهل الإسلام، فإن أهل الكفر يتبعون معبوداتهم وطواغيتهم قبل أن يعبر الناس الصراط، فأولئك يلقون فيها ابتداء ولا يمرون على صراط، ثم لا يبقى إلا هذه الأمة وفيها منافقوها.

فيعطى أهل الإيمان من النور على قدر أعمالهم، وأما أهل النفاق فلا نور لهم فيلقون في النار -نعوذ بالله من الخسران- ولا

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد - يوسف الغفيص يوسف الغفيص ٨/١٤

(٢) شرح لمعة الاعتقاد للمحمود عبد الرحمن بن صالح المحمود ١٣/١١

يمرون على الصراط، وتفاوت سير الناس على الصراط هو بقدر تفاوتهم في أعمالهم، وبقدر ما يمن الله به عليهم من النور، فمن كان نوره مشرقا واسعا كان مروره سريعا، ومن كان نوره دقيقا قليلا حسيرا فإنه يسير سيرا بطيئا.

فالناس في ذلك اليوم في ظلمة شديدة وكرب عظيم، حتى إنه إذا ضرب الصراط ألجمت الألسن، فلا يتكلم إلا الأنبياء، وكلامهم: (اللهم سلم سلم! رب سلم سلم!) ، فهذا دعاء الأنبياء عند المرور على هذا الصراط، وهو أمر عظيم إذا تصوره الإنسان بعقله، وأداره في فكره، وأنه سيكون ممن يمر على هذا وجل قلبه، فتخفف من الذنوب بالتقلل منها، والتوبة والاستغفار؛ لأنه لا يكون النجاء من هذا الموقف إلا بالعمل الصالح، ومن زاد يقينه ورسخ إيمانه بهذه الأمور أفلح ونجح، ومن أخذها على أنها علم نظري ما استفاد.

فالناس في هذا الموقف في كرب عظيم، والمرور على الصراط هو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم:٧١] ، فإن هذه الآية خطاب لأهل الإسلام وأهل الكفر.

لكن الورود يختلف، فورود تعقبه السلامة، وهذا نصيب الذين قال فيهم جل وعلا: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم:٧٢] .

وورود إقامة، وهو الذي قال فيه جل وعلا: ﴿ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم:٧٢] ، نعوذ بالله! فهؤلاء سيبقون فيها، والظلم هنا يشمل الظلم الأعظم وهو الكفر والشرك، ويشمل ما دون ذلك، وبقاؤهم فيها بقدر ما معهم من الظلم.

فأهل الكفر لا خروج لهم منها، وأما أهل المعصية فإنه يبقون فيها ما شاء الله أن يبقوا ثم يخرجون بعد ذلك إما بشفاعة أو بإكمال العذاب الذي استحقوه على سيئاتهم.

ففهمنا من قول المؤلف رحمه الله: [يمر الناس] أن الناس هنا لفظ عام أريد به الخصوص، وهم أهل الإسلام، وهل يمر الناس على قدر شبابهم ونشاطهم وقوتهم وصحتهم؟ الجواب: لا، بل يمر الناس على قدر أعمالهم، فمطايا الناس في ذلك الموقف أعمالهم، فبها ينجون وبها.

قال رحمه الله: [فمنهم من يمر كلمح البصر -وهذا أسرع ما يكون- ومنهم من يمر كالبرق الخاطف -وهذا قريب في السرعة من الذي قبله- ومنهم من يمر كالريح الشديدة، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل -أو كراكب الإبل، وركاب الإبل المقصود بها من يركب الإبل التي تستعمل لقطع المسافات والسفر- ومنهم من يعدو عدوا -وهو من يشتد ركضا- ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يزحف زحفا، ومنهم من يخطف ويلقى في جهنم] .

فإذا قيل: كيف يخطف؟ فالجواب أنه قال: [فإن الجسر عليه كلاليب] ، والكلاليب: جمع كلاب أو كلوب، والمراد به في اللغة: حديدة منحنية الرأس، ويطلق أيضا على ما كان منحني الرأس من غير الحديد.

وهذه الكلاليب تختطف الناس بأعمالهم، فهي التي تعيقهم عن السير، فسالم ناج، ومخدوش، ومكردس في النار نعوذ بالله من الخسران، والنار التي يلقى فيها من يخطف هي نار العصاة، وليست نار أهل الخلود؛ ولذلك قال: [فمن مر على الصراط دخل الجنة] ، وسيأتي بيان ذلك في الشفاعة، فإن نار أهل المعصية ليست كنار أهل الكفر، وإن كان المكان

واحدا، فالمكان من حيث المنظر واحد، ولكن العذاب مختلف متفاوت، وقد دلت السنة على أن النار دركات، وأسفلها نصيب المنافقين.." (١)

"ولما قال: - صلى الله عليه وسلم - ((لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة)) قالت له حفصة: أليس الله يقول: (وإن منكم إلا واردها) قال: ((ألم تسمعي قوله تعالى (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا)))) فأشكل عليها الجمع بين النصين وظنت الورود دخولها كما يقال ورد المدينة إذا دخلها فأجاب النبي - صلى الله عليه وسلم - بأن ورود المتقين غير ورود الظالمين فإن المتقين يردونها ورودا ينجون به من عذابها والظالمين يردونها ورودا يصيرون جثيا فيها به. فليس الورود كالورود)) (١) إلى غير ذلك من مراجعتهم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ((فلما كان في أواخر عصرهم حدثت الشيعة والخوارج، والقدرية والمرجئة، فبعدوا عن النور الذي كان عليه أوائل الأئمة، ومع هذا فلم يفارقوه بالكلية، بل كانوا للنصوص معظمين، وبها مستدلين، ولها على العقول والآراء مقدمين، ولم يدع أحد منهم أن عنده عقليات تعارض النصوص، وإنما أتوا من سوء الفهم فيها، والاستبداد بما ظهر لهم منها، دون من قبلهم، ورأوا أنهم إن اقتفوا أثرهم كانوا مقلدين لهم فصاح بهم من أدركهم من الصحابة وكبار التابعين من كل قطر، ورموهم بالعظائم، وتبرءوا منهم، وحذروا من سبيلهم أشد التحذير، ولا يرون السلام عليهم ولا مجالستهم، وكلامهم فيهم معروف في كتب السنة، وهو أكثر من أن يذكر هاهنا، فلما كثرت الجهمية في أواخر عصر التابعين كانوا هم أول من عارض الوحي بالرأي، ومع هذا كانوا قليلين أولا مقموعين مذمومين عند الأئمة، وأولهم شيخهم الجعد بن درهم، وإنما نفق عند الناس بعض الشيء لأنه كان معلم مروان بن محمد وشيخه ولهذا كان مروان يسمى مروان الجعدي وعلى رأسه سلب الله بني أمية الملك والخلافة وشتتهم في البلاد ومزقهم كل ممزق ببركة شيخ المعطلة النفاة، فلما اشتهر أمره في المسلمين، طلبه خالد بن عبد الله القسري، وكان أميرا على العراق، حتى ظفر به،

---

(١) الصواعق (١٠٥٢/٣) .." (٢)

"وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من حوسب عذب " فقالت عائشة: يقول الله تعالى: ﴿يحاسب حسابا يسيرا﴾ "سورة الانشقاق: الآية٨".

قالت فقال: "إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك " ١.

وأما الميزان فدليله قوله تعالى: ﴿فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هيه نار حامية﴾ "سورة القارعة: الآيات ٦-١١".

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده" ٢.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لخالد المصلح خالد المصلح ٥/١٩

(٢) نقض أصول العقلانيين سليمان الخراشي ٢٥/٢

وأما الصراط فدليله قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ "سورة مريم: الآيتان ٧١-٧٢".

وقول النبي صلى الله عليه وسلم ـ حين سئل أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال: " هم في الظلمة دون الجسر" ٣.

---

١ أخرجه البخاري كتاب العلم باب من سمع شيئا فراجع حتى يعرف ١/١٩٦، ١٩٧ ح"١٠٣" من طريق ابن أبي مليكة عن عائشة ومسلم كتاب الجنة باب إثبات الحساب ٤/٢٠٠٥ ح"٨٠" من طريق ابن أبي مليكة عن القاسم عن عائشة.

٢ أخرجه البخاري كتاب الدعوات باب فضل التسبيح ١١/٢٠٦ ح"٦٤٠٦" ومسلم كتاب الذكر والدعاء باب فضل التهليل ٤/٢٠٧٢ ح"٢٦٩٤" كلاهما من طريق أبي زرعة عن أبي هريرة.

٣ أخرجه مسلم كتاب الحيض باب بيان صفة مني الرجل والمرأة ١/٢٥٢ ح"٣١٥" من طريق أبي أسماء الرحبي عن ثوبان.." (١)

"أقسام الناس في المرور على الصراط

والناس أقسام: منهم من يؤمر به إلى جهنم من أول الأمر، وهؤلاء هم الكفار الذين لا يقيم لهم الله جل وعلا وزنا، فليس لهم حسنات، وإنما هم كفرة.

ومنهم من يؤمر به إلى الجنة بلا حساب ولا عذاب، وهؤلاء أيضا ليسوا كثيرين بالنسبة للناس، وإنما هم قلة، ولهذا عدهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال: (إن هذه الأمة منها سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب) ، وسبعون ألفا بالنسبة للأمة من أولها إلى آخرها قليل جدا، وهذه الأمة هي أكثر الأمم دخولا الجنة، وأكثرها إيمانا، وهي أيضا أكرم الأمم على الله؛ فإن هذه الأمة أول من تنشق عنها قبورها، وأول من يسبق إلى الموقف إلى المكان المرتفع فيه، وأول من يسبق إلى ظل العرش، وأول من يعبر الصراط، وأول من يدخل الجنة.

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله) ولكن هذه الخيرية للمؤمنين، أما الكفرة والمجرمون فهم أشد الناس عذابا؛ لأن الذي يكفر بأفضل الرسل وبأفضل الأديان يستحق أشد العقاب.

ثم العبور على الصراط عبور بالأعمال، ولهذا قال: (فمنهم من يمر كلمح البصر) يعني: عبوره فوق الصراط في السرعة مثل ما يغض الإنسان بصره.

(ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح -أي: في السرعة-) ، ومنهم من يمر كالطير ثم كأجاود الخيل، ومنهم من يركض ركضا، ومنهم من يحبو ويزحف، ومنهم من يسقط مرة وتتعلق يده الأخرى، وتسقط رجله وتتعلق الرجل الأخرى وهكذا.

ومنهم من يخطف من على الصراط؛ لأن الصراط كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (عليه كلاليب وحسك.

---

(١) أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة محمد بن عبد الرحمن الخميس ص/٥٠٩

ثم قال: أتدرون ما الحسك؟ شويكة تكون في نجد هل رأيتموها؟ قالوا: نعم.

قال: إنها مثلها غير أنه لا يعلم عظمها إلا الله جل وعلا) ، ومعنى ذلك: أن عليه كلاليب معطفة موكلة بأناس معينين تمسكهم وتلقيهم في النار، فمنهم من يخدش، ومنهم من يكردس في النار، ومنهم من يبقى وقتا طويلا يسير على الصراط، فإذا نجا التفت وقال: تبارك الذين نجانا منك – يخاطب النار! – لقد أعطانا الله شيئا لم يعطه أحدا من العالمين يقول هذا مع أن المؤمنين قد سبقوه بكثير جدا، ولكن الذي ينجو من النار يكون قد أعطي شيئا عظيما جدا، وكل أحد سوف يعبر عليه؛ لأن الله جل وعلا يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم:٧١] و (واردها) يعني: يرد جهنم.

وهذا قسم من الله جل وعلا، أقسم على أن كل الخلق سيردون جهنم، ولكن الورود لا يقتضي الدخول؛ لأنه قد يكون للمعاينة والمشاهدة، ولكونه وصل إلى الشيء وكاد يسقط فيه، ولهذا قال جل وعلا بعد ذلك: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم:٧٢] ، فالذي يعبر الصراط هم المتقون فقط الذين يتقون ربهم، وهذا أيضا من الأمور التي يجب الإيمان بها كما وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم، فمن أنكر ذلك فإنه يكون ضالا.

والناس يمرون عليه على قدر أعمالهم: فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس، أي: كركض الخيل، ومنهم من يمر كركض الإبل، ومنهم من يمر كركض الرجل، ومنهم من يكون ماشيا، ومنهم من يكون زاحفا وحابيا على حسب الأعمال؛ لأن المرور بالأعمال.

ومنهم من يخطف ويلقى في جهنم؛ فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، أي أن الإنسان إذا كان قد ارتكب من الخطايا والذنوب التي يستحق بها دخول النار ولم يعف الله عنه خطف من على الصراط وألقي فيها.

وقوله: (فمن مر على الصراط دخل الجنة) يعني أن الذي يعبر عليه قد نجى من النار، وأعطاه الله جل وعلا فضلا عظيما، ومن عليه منة كبرى.

فإذا عبروا، أي: انتهى المؤمنون من عبورهم حبسوا في صراط آخر اسمه (قنطرة) والقنطرة: هي الشيء المرتفع.

وقد يكون بناء، وقد يكون على شيء يعبر وهو تحت القنطرة، وقد يكون مرتفعا فقط، وبعض العلماء يقول: إن هذه القنطرة هي بقية الصراط، وهي امتداده من جهة الجنة؛ لأن الجنة في السماء، والنار يؤتى بها في ذلك اليوم في الموقف، والموقف يكون في أرض ليست هذه، وإنما أرض بيضاء نقية لم يعمل عليها خطيئة، ولم يعص الله جل وعلا عليها، وأما هذه فإنها تبدل وتزال، والله جل وعلا يغير الكون كله ويبدله، فيوقفون على هذه القنطرة ويحبسون، ثم يقتص لبعضهم من بعض في المظالم التي عليهم، وهذا القصاص يكون من المظالم التي علم الله جل وعلا أنها لا تأتي على حسناتهم، وإنما يفضل لهم حسنات يدخلون بها الجنة، فيؤخذ لكل مظلوم من ظالمه في ذلك الموقف، وهذا القصاص في هذا المكان خاص بالمؤمنين الذين يدخلون الجنة، أما الظلمة والكفرة فإن الاقتصاص منهم يكون قبل الصراط، فإذا نقوا من جميع المظالم وهذبوا وطهروا

أذن لهم في دخول الجنة، وقد أخبر الله جل وعلا أنه ينزع ما في قلوبهم من غل، أي: كل ما كان لبعضهم على بعض من أحقاد أو أمور تغري فإنه ينزع من قلوبهم بعد المقاصة والمحاصة، ثم بعد ذلك يؤذن لهم في دخول الجنة.." (١)

"قال تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا - ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧١ - ٧٢] (مريم الآيتان: ٧١ - ٧٢) .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - «أن ناسا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: " ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان " (١) .

هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم» .

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «. . . ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم سلم " قيل يا رسول الله وما الجسر؟ قال: " دحض مزلة، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم. . .» .

[القنطرة]

القنطرة: بعد عبور المؤمنين على الصراط ونجاتهم من النار، وقبل دخولهم الجنة يوقفون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض في المظالم التي كانت بينهم في الدنيا، فإذا هذبوا أذن لهم بدخول الجنة فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يخلص

---

(١) الكلاليب جمع كلوب وهي حديدة معطوفة الرأس، والسعدان نبت له شوكة عظيمة مثل الحسك من كل الجوانب.." (٢)

"كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدوا، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يزحف زحفا، ومنهم من يخطف خطفا ويلقى في جهنم. فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم. فمن مر على الصراط دخل الجنة.

في هذا ذكر المرور على الصراط، وهو "الورود المذكور في قوله - تعالى-: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] ، فقد فسره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه عن جابر بأنه المرور على الصراط١، والصراط هو الجسر، فلا بد من المرور عليه لكل من يدخل الجنة، من كان صغيرا في الدنيا ومن لم يكن"٢، "وهذا عام

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للغنيمان عبد الله بن محمد الغنيمان ٦/٢١

(٢) رسالة في أسس العقيدة محمد بن عودة السعوي ص/٧٢

لجميع الخلق" ٣.

"وقد ثبت في الصحيح أنهم إذا عبروا على الصراط: منهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل٤"٥.

"وهذا المرور لا يطلق عليه اسم الدخول الذي يجزى به العصاة، وينفى عن المتقين"٦.

فإذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا، ونقوا أذن لهم في دخول الجنة.

---

(١٩١) .

٢ مجموع الفتاوى (٤/٢٧٩) .

٣ درء تعارض العقل والنقل (٥/٢٣٠) .

٤ رواه البخاري (٧٤٣٩) ، ومسلم (١٨٢) .

٥ المصدر السابق.

٦ الجواب الصحيح (١/٢٢٨) .." (١)

"﴿فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا وإن منكم إلا واردها﴾ كل الناس يردون جهنم: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧١ - ٧٢] ، فإذا تجاوزوا الصراط أوقفوا للقصاص، يقتص لبعضهم من بعضهم، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة.." (٢)

"والمرور على الصراط هو المذكور في قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ ١.

وقد اختلف العلماء في المراد بالورود في قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ إلى أقوال كثيرة، ذكر الشيخ الأمين -رحمه الله- أربعة منها، فقال:

"الأول: أن المراد بالورود: الدخول ولكن الله يصرف أذاها عن عباده المتقين عند ذلك الدخول.

الثاني: أن المراد بورود النار المذكور: الجواز على الصراط؛ لأنه جسر منصوب على متن جهنم.

الثالث: أن الورود المذكور: هو الإشراف عليها والقرب منها.

الرابع: أن حظ المؤمنين من ذلك هو حر الحمى في دار الدنيا٢.

ثم استدل للقول الأول "أن ورود النار جاء في القرآن في آيات متعددة، والمراد في كل واحد منها: الدخول. فاستدل بذلك ابن عباس على أن الورود في الآية التي فيها النزاع هو الدخول؛ لدلالة الآيات الأخرى على ذلك؛ كقوله تعالى: ﴿يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود﴾ ٣؛ قال: فهذا ورود دخول. وكقوله: ﴿لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها

---

(١) شرح العقيدة الواسطية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية خالد المصلح ص/١٤٥

(٢) شرح عقيدة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب صالح الفوزان ص/٨٠

وكل فيها خالدون﴾ ٤؛ فهو ورود دخول أيضا. وكقوله: ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا﴾ ٥، وقوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون

---

١ سورة مريم، الآية [٧١] .

٢ أضواء البيان ٣٤٨/٤. وانظر روح المعاني ١٢١/١٦-١٢٢.

وقد ذكر هذه الأقوال: القرطبي، وزادها قولا خامسا: إن الورود النظر إليها في القبر: فينجي منها الفائز، ويصلاها من قدر عليه دخولها. (الجامع لأحكام القرآن ٩٢/١١) .

وذكر ابن رجب الأقوال الأربعة السابقة، إلا أنه ذكر بدل الإشراف عليها والقرب منها الورود خاص بالمحضرين حول جهنم. (انظر التخويف من النار ص ٢٠٠) .

٣ سورة هود، الآية [٩٨] .

٤ سورة الأنبياء، الآية [٩٩] .

٥ سورة مريم، الآية [٨٦] .." (١)

"متفق عليه من حديث عائشة وأسماء ابنتي أبي بكر، وابن عمر، ورافع بن خديج رضي الله عنهم.

رواه البخاري أيضا مرفوعا عن ابن عباس١.

ثم نصر -رحمه الله- القول الأول؛ القائل بأن الورود بمعنى الدخول، واستدل على ذلك بأربعة أدلة؛ فقال:

الأول: ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما من أن جميع ما في القرآن من ورود النار؛ معناه دخولها، غير محل النزاع، فدل ذلك على أن محل النزاع كذلك، وخير ما يفسر به القرآن القرآن.

الدليل الثاني: هو أن في نفس الآية قرينة دالة على ذلك؛ وهي أنه تعالى لما خاطب جميع الناس بأنهم سيردون النار برهم وفاجرهم بقوله: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ ٢، بين مصيرهم ومآلهم بعد ذلك الورود المذكوربقوله: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين﴾ ٣أي نترك الظالمين فيها دليل على أن ورودهم لها: دخولهم فيها، إذ لو لم يدخلوها لم يقل: ﴿ونذر الظالمين﴾ ، بل يقول: وندخل الظالمين، وهذا واضح كما ترى، وكذلك قوله: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ دليل على أنهم وقعوا فيما من شأنه أنه هلكة، ولذا عطف على قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قوله: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ ٤.

أما الدليل الثالث: فقد استدل -رحمه الله- بحديث جابر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها،

---

١ أضواء البيان ٣٤٩/٤-٣٥٠.

---

(١) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف عبد العزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان ٤٩٢/٢

٢ سورة مريم، الآية [٧١] .

٣ سورة مريم، الآية [٧٢] .

٤ أضواء البيان ٤/٣٥٠.." (١)

"فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار ضجيجا من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا" ١.

ثم قال –رحمه الله–: "إن حديث جابر المذكور يعتضد بظاهر القرآن وبالآيات الأخر التي استدل بها ابن عباس"٢.

أما الدليل الرابع: فقد استدل –رحمه الله– بآثار جاءت عن علماء السلف رضي الله عنهم، كلهم يقولون: إنه ورود دخول٣.

وختم كلامه –رحمه الله– بالرد على أدلة من منع الدخول؛ فقال –رحمه الله–: "وأجاب من قال بأن الورود في الآية: الدخول عن قوله تعالى: ﴿أولئك عنها مبعدون﴾ ٤؛ بأنهم مبعدون عن عذابها والآمها، فلا ينافي ذلك ورودهم إياها من غير شعورهم بألم ولا حر منها ... وأجابوا عن الاستدلال بحديث "الحمى من فيح جهنم" بالقول بموجبه، قالوا: الحديث حق صحيح، ولكنه لا دليل فيه لمحل النزاع؛ لأن السياق صريح في أن الكلام في النار في الآخرة، وليس في حرارة منها في الدنيا؛ لأن أول الكلام قوله تعالى: ﴿فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا﴾ إلى أن قال: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ ٥؛ فدل على أن كل ذلك في الآخرة لا في الدنيا كما ترى٦.

---

١ أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/٣٢٩ باختلاف يسير. وقال الشيخ الأمين عن إسناده: "لا يقل عن درجة الحسن" (انظر أضواء البيان ٤/٣٥١) .

قال الشيخ الألباني: (عن أبي سمية، عنه. وأبوسمية مجهول كما قال الذهبي. وقد صححه هو والحاكم، وفيه نظر ليس هذا موضع بيانه) . (كلمة الإخلاص لابن رجب ص٤١، بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني) .

٢ أضواء البيان ٤/٣٥٢.

٣ انظر أضواء البيان ٤/٣٥٢. وتفسير القرآن العظيم ٣/١٣٢-١٣٣.

وهذه الآثار عن خالد بن معدان، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه، وأبي ميسرة، وعبد الله بن المبارك، عن الحسن البصري؛ كلهم يقولون: إنه ورود دخول.

٤ سورة الأنبياء، الآية [١٠١] .

٥ سورة مريم، الآيات [٦٨-٧٢] .

٦ أضواء البيان ٤/٣٥٢. وانظر هذا المبحث في دفع إيهام الاضطراب –الملحق بأضواء البيان ١٠/١٩٢-١٩٣.." (٢)

---

(١) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف عبد العزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان ٢/٤٩٤

(٢) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف عبد العزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان ٢/٤٩٥

"وتفسير الورود اختلف فيه الصحابة، ومن بعدهم من العلماء١.

والشيخ الأمين -رحمه الله- حين يرجح أن الورود بمعنى الدخول لم يأت بشيء مبتدع، بل قاله غيره من علماء التفسير؛ أمثال القرطبي٢ -رحمه الله-، وغيره. بل قد قال الألوسي: "ذهب إلى ذلك جمع كثير من سلف المفسرين وأهل السنة"٣.

وبالمقابل رجح بعض العلماء أن الورود: هو المرور على الصراط؛ ومن هؤلاء ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله-، الذي قال: "اختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ ٤ ماهو؟ والأظهر الأقوى أنه المرور على الصراط"٥.

وكذلك الحافظ ابن رجب -رحمه الله- الذي قال: "ومما يستدل به على أن الورود ليس هو الدخول: ما خرجه مسلم من حديث جابر قال: أخبرتني أم بشر أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة: " لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها". قالت: بلى يا رسول الله. فانتهرها. فقالت حفصة: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ ٦ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "قد قال الله عز وجل: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ ٧"٨ ٩.

---

١ انظر التخويف من النار لابن رجب ص١٩٣. وأضواء البيان ٣٥٢/٤.

٢ انظر الجامع لأحكام القرآن ٩٣/١١.

٣ انظر روح المعاني ١٢١/١٦.

٤ سورة مريم، الآية [٧١] .

٥ شرح الطحاوية ص٤٧١.

٦ سورة مريم، الآية [٧١] .

٧ سورة مريم، الآية [٧٢] .

٨ أخرجه مسلم في صحيحه ١٩٤٢/٤.

٩ التخويف من النار ص١٩٤.." (١)

"وكذلك الإمام الشوكاني١ -رحمه الله- قال: "وقد توقف كثير من العلماء عن تحقيق هذا الورود وحمله على ظاهره؛ لقوله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ ٢.... ولا يخفى أن القول بأن الورود هو المرور على الصراط، أو الورود على جهنم وهي خامدة: فيه جمع بين الأدلة من الكتاب والسنة، فينبغي حمل هذه الآيات على ذلك"٣.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وأما الورود المذكور في قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ ٤: فقد فسره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: رواه مسلم في صحيحه عن جابر: بأنه المرور على الصراط٥. والصراط هو الجسر، فلا بد من المرور عليه لكل من يدخل الجنة؛ من كان صغيرا في الدنيا، ومن لم يكن"٦.

---

(١) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف عبد العزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان ٤٩٦/٢

١ تقدمت ترجمته.

٢ سورة الأنبياء، الآية [١٠١] .

٣ فتح القدير ٣/٣٤٤.

٤ سورة مريم، الآية [٧١] .

٥ أخرجه مسلم ٤/١٩٤٢. وقد تقدم قبل صفحة.

٦ الفتاوى ٤/٢٧٩.." (١)

"" وروى عدي بن حاتم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة، ليس بينه وبينه ترجمان، ثم ينظر أيمن منه فلا ينظر إلا شيئا قدمه، ثم ينظر أشأم منه فلا يرى إلا شيئا قدمه، ثم ينظر تلقاء وجهه فتستقبله النار، فمن استطاع منكم أن يقي وجهه النار ولو بشق تمرة فليفعل""

" ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان " أي: كلاما من الله، يسمعه المكلم مباشرة بدون واسطة. والمراد: الكلام الواقع في عرصات يوم القيامة لتقرير الإنسان ومحاسبته على أعماله في الحياة الدنيا.

" ثم ينظر " أي: الإنسان.

" أيمن منه فلا ينظر إلا شيئا قدمه، ثم ينظر أشأم منه فلا يرى إلا شيئا قدمه " أي: لا يجد إلا أعماله التي قدمها في الحياة الدنيا، ولعل الذي على اليمين أعماله الصالحة، والذي على اليسار أعماله غير الصالحة.

وفي الحديث فائدة، وهي أن كل عمل يقوم به الإنسان في هذه الحياة هو شيء يقدمه للآخرة، قال تعالى: ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله﴾ ١، وقد يكون الإنسان نسي بعضها ولكن: ﴿أحصاه الله ونسوه﴾ ٢. وإذا نظرنا في أحوالنا فيما نقدم نجد أننا فرطنا كثيرا وضيعنا كثيرا نسأل الله العافية والتوفيق للخير وحسن الختام.

" ثم ينظر تلقاء وجهه فتستقبله النار " وفي هذا أن النار أمام الناس كلهم، ولا سبيل إلى الجنة إلا بالمرور من فوقها، وعلى النار صراط أحد من السيف وأدق من الشعرة، وكلاليب تخطف الناس بأعمالهم كما قال تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ ٣. ثم يتفاوت الناس في مرورهم على الصراط بحسب أعمالهم التي قدموها في هذه الحياة، فمنهم من

١ الآية ١١٠ من سورة البقرة.

٢ الآية ٦ من سورة المجادلة.

٣ الآية ٧١ من سورة مريم.." (٢)

(١) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف عبد العزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان ٢/٤٩٧

(٢) تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/١٩٤

"بعضهم على بعض"١.

٢- روى الإمام مسلم بإسناده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: أخبرتني أم مبشر: أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة: "لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها" قالت: بلى يا رسول الله: فانتهرها فقالت حفصة: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "قد قال الله ـ عز وجل ـ ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ ٢.

قال النووي رحمه الله تعالى: قوله صلى الله عليه وسلم: " لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها" قال العلماء: معناه لا يدخلها أحد منهم قطعا ... وإنما قال إن شاء الله للتبرك لا للشك وأما قول حفصة بلى وانتهار النبي صلى الله عليه وسلم لها فقالت: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "وقد قال: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ فيه دليل للمناظرة والجواب على وجه الاسترشاد وهو مقصود حفصة لا أنها أرادت رد مقالته صلى الله عليه وسلم والصحيح أن المراد بالورود في الآية المرور على الصراط وهو جسر منصوب على جهنم فيقع فيها أهلها وينجو الآخرون"أ. هـ٣.

٣- وروى الإمام مسلم بإسناده إلى جابر أن عبدا لحاطب جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو حاطبا فقال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كذبت لا يدخلها فإنه شهد بدرا والحديبية" ٤.

هذا الحديث تضمن فضيلة أهل بدر والحديبية وفضيلة حاطب لكونه منهم رضي الله عنهم أجمعين.

---

١. فتح الباري ٤٤٣/٧.

٢. صحيح مسلم ١٩٤٢/٤، والآيتان رقم/٧١-٧٢ من سورة مريم.

٣. شرح النووي على صحيح مسلم ٥٨/١٦.

٤. صحيح مسلم ١٩٤٢/٤.." (١)

"فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾ (١) ، إلي غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا المعنى الذي يفيد أن الله تعالى حرم الظلم على نفسه، وقد مدح بذلك لبيان كمال عدله، فأين هذا المفهوم من مفهوم الجهمية حينما يقررون أن الإنسان مجبور على فعله، لا لوم عليه فيما يأتيه من الأفعال القبيحة والمنكرات؛ لأن موجدها إنما الله تعالى، ثم كلفه بامتثال أمره ونهيه فكيف يتصور هذا؟ يكلفه الله بالامتثال ثم يوجد فيه قوة العصيان، هذا تناقض وتكليف بما لا يطاق.

وقد أخبر الله تعالي بأن الحق هو عكس هذا المفهوم، فقال عز وجل: ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾ (٢) ، وجبر العبد على فعله لا يتفق مع مضمون هذه الآية وغيرها من الآيات والأحاديث، ويصح على مفهوم هؤلاء الجهمية ألا يقال للزاني: إنه زان، ولا للسارق: إنه سارق، ولا للمصلي: إنه مصل ... الخ؛ لأن هذه الأفعال هي أفعال الله فيهم، وإنما هم منفذون لها. لقد أعظموا على الله الفرية وقفوا ما ليس لهم بحق!!

---

(١) عقيدة أهل السنة في الصحابة لناصر بن علي ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ٢١١/١

٣- إنكار الجهمية الصراط:

الصراط من الأمور الغيبية التي أعدها الله في يوم القيامة، وقد ثبت في الشرع بأحاديث صحيحة إضافة إلي قول الله عز وجل: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ (٣)

وفي الصراط تفاصيل طويلة وأخبار كثيرة، وقد حاولت حصر أكثر ما تيسر من أخباره في "الحياة الآخرة ما بين البعث إلي دخول الجنة أو النار" (٤) .

ونكتفي بإيجاز ما يهمنا ذكره هنا من أخبار هذا الأمر.

---

(١) سورة الأنعام: ١٦٠

(٢) سورة البقرة: ٢٨٦

(٣) سورة مريم: ٧١

(٤) قدمتها لمرحلة الدكتوراه. انظر الباب العاشر منها من ص١٢١١ إلي ص١٣١٧، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.."

(١)

"الصراط المراد به: ما ثبت في السنة النبوية أنه جسر ممدود على متن جهنم أدق من الشعرة وأحد من السيف، يعبره الخلائق بقدر أعمالها إلي الجنة فمنهم من يجتازه ومنهم من يقع فيه.

وقد ورد في القرآن الكريم لفظة الصراط في تسعة وأربعين موضعا-علي معان مختلفة لكنها متقاربة في المعنى- مرادا بها الطريق أو طريق الهداية والرشاد. هذا في اللغة، ولكن السلف ما كانوا يغفلون حقيقته الشرعية من أنه جسر ممدود على متن جهنم، ولم يأت التصريح بذكره في القرآن الكريم.

غير أن هناك آيات بعض العلماء جعلها في ذكر الصراط وبعضهم يجعلها إشارة إليه، ومن ذلك:

قول الله تعالى: ﴿فاهدوهم إلي صراط الجحيم﴾ (١) ، وهذه الآية ليس فيها التصريح التام بذكر الصراط في اصطلاح الشرع، إلا أن يقال: إن طريق الجحيم هو أخذهم إلي الصراط ومنه إلي النار.

ومنه قوله تعالى: (﴿فلا اقتحم العقبة﴾ (٢) ، ورد في تفسير العقبة أقوال كثيرة منها أن العقبة هنا هي الصراط.

وكذا قوله تعالي: ﴿وإن منكم إلا واردها ... ﴾ الآية؛ أي بالمرور على الصراط.

أما في السنة النبوية فقد ورد ذكره ووصفه وكيفية المرور عليه في عدة أحاديث في الصحاح والسنن والمسانيد، منها قوله صلى الله عليه وسلم: ((ويضرب جسر

---

(١) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها د. غالب بن علي عواجي ١١٤٨/٣

(١) سورة الصافات: ٢٣.

(٢) سورة البلد: ١١." (١)

"المعارك، ويحاز الظفر والانتصار بفضل النفثات والأوراد، حيث لا يرمي المجاهدون بنظرهم إلى كافر إلا ويخر مغشيا عليه، ولا يرفعون أيديهم بالدعاء على الأعداء إلا وتخور هممهم، وتنخر الديدان في طائراتهم ودباباتهم ... فهذا مثل تصورات عامة المسلمين في ظهور الإمام المهدي، ولكن الذي أفهمه في أمره هو أن الحقيقة على عكس ذلك كله؛ فالذي أقدره وأتصوره أن الإمام المنتظر سيكون زعيما من الطراز الأحدث في زمانه، بصيرا بالعلوم الجديدة بصر المجتهد المطلع، ويكون جيد الفهم لمسائل الحياة، ويبرهن للعالمين رجاحة عقله وفكره، وبراعة تفكيره السياسي، وكمال حذقه لفنون الحرب، ويبز كل أبناء زمانه الجدد في تقدمه وارتقائه، وإني لأخشى أن حضرات المشايخ ورجال الدين هؤلاء هم يكونون أول من يرفع النكير على رجحانه إلى الوسائل العصرية وعلى طرقه المحدثة للإصلاح، ثم لا أراه (أي: المهدي) سيكون مختلفا في بيئته وهيئته عن عامة البشر، بحيث يعرفه الناس بعلاماته الخاصة وسماته المعلومة، كما لا أتوقع أنه يعلن

= (١١/ ٤٧٢ - فتح)، ومسلم رقم (٢٦٣٢). قيل: إن المقصود بالقسم قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ والأقرب أنه معطوف على قوله -عز وجل-: ﴿فوربك لنحشرنهم﴾.

أو يقال: ليس في الآية ولا في الحديث قسم؛ لأن من أساليب العرب التعبير بتحلة القسم عن القلة الشديدة، وإن لم يكن هناك قسم أصلا؛ يقولون: "ما فعلت كذا إلا تحلة القسم" يعنون: إلا فعلا قليلا جدا ما يحلل به الحالف قسمه، ومنه قول كعب بن زهير في وصف ناقته:

تخدي على يسرات وهي لاحقة ... ذوابل وقعهن الأرض تحليل أي: أن قوائم ناقته لا تمس الأرض لشدة خفتها إلا بقدر تحليل القسم، وانظر: "أضواء البيان" (٤/ ٣٥٤).." (٢)

"٧٦ - قال: وأخبرني حفص عن زيد بن أسلم في قول الله: ﴿ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا﴾، وذلك في الذين ينكرون البعث، يقول الله: ﴿أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا فوربك﴾، يا محمد، ﴿لنحشرنهم﴾، أهل هذا القول، المكذبين بالبعث، ﴿والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة

---

(١) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها د. غالب بن علي عواجي ١١٤٩/٣

(٢) فقه أشراط الساعة محمد إسماعيل المقدم ص/٣١٥

أيهم أشد على الرحمن عتيا﴾، المكذبين بالبعث، ﴿وإن منكم﴾، يا أهل هذا القول، ﴿إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا﴾، فلا يردونها، ﴿ونذر الظالمين فيها جثيا﴾.." (١)

"٣٢٢ – قال: وأخبرني أشهل، عن شعبة بن الحجاج، عن إسماعيل السدي قال: سمعت مرة الهمداني قال: قال عبد الله في هذه الآية: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾، قال: يردونها، ثم يصدرون عنها بأعمالهم.." (٢)

"وقوله – عز وجل –: (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود (٩٨) قال بعضهم: أي: صار قدامهم.

وقال بعضهم: يقدم أي: يقود قومه إلى النار حتى يوردهم النار.

ويحتمل قوله: (يقدم قومه) أي: يكون إماما لهم يوم القيامة يتبعون أثره، كما كان إمامهم في الدنيا فاتبعوه؛ كقوله: (يوم ندعو كل أناس بإمامهم)، وكقوله: (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار)، أخبر أنهم يكونون أئمة لهم في الآخرة.

ويشبه أن يكون قوله: (فأوردهم النار) أي: دعاهم في الدنيا، وأمرهم بأمور توردهم النار تلك الأعمال كقوله: (فما أصبرهم على النار)، أي: ما أصبرهم على عمل أهل النار.

وقال بعضهم: يتبعونه حتى يدخلهم النار.

وقوله – عز وجل –: (وبئس الورد المورود) قال بعضهم: بئس المدخل المدخول، والورد هو الدخول، والمورود المدخول؛ سمي الجزاء باسم سببه.

قال ابن عباس – رضي الله عنه –: جميع ما ذكر في القرآن من الورود فهو دخول منهم، قوله: (وبئس الورد المورود) وقوله: (وإن منكم إلا واردها)، وقوله: (أنتم لها واردون) (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا)، فقال: والله ليردنها كل بر وفاجر (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا). وقوله: (وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود (٩٩) يحتمل: اللعنة في الدنيا: العذاب الذي نزل بهم.

ويحتمل لعن الخلائق يلعنهم من ذكرهم.

وفي الآخرة يحتمل الوجهين جميعا.

يحتمل: يعذبون في الآخرة –أيضا– كما عذبوا في الدنيا.

ويحتمل: لعن الخلائق –أيضا– من رآهم لعنهم، واللعن هو الطرد في اللغة: طردوا عن رحمة الله ولم يرحموا في عذاب الدنيا، ولا يرحمون في عذاب الآخرة.." (٣)

---

(١) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، ابن وهب ٣٧/١

(٢) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، ابن وهب ١٣٩/١

(٣) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ١٧٩/٦

"وقوله - عز وجل -: (وما كان ربك نسيا).

هذا يخرج على وجوه ثلاثة:

أحدها: ما قال بعض أهل التأويل: إن جبريل قد كان احتبس عنه زمانا، فقال أهل مكة: قد ودعه ربه وقلاه؛ فنزل: (والضحى (١) والليل إذا سجى (٢) ما ودعك ربك وما قلى (٣). على ما قال المشركون، فيخرج على هذا قوله: (وما كان ربك نسيا) على الترك، أي: ما كان ربك تركك لما قال أولئك من التوديع والقلى.

ويحتمل: (وما كان ربك نسيا) كملوك الأرض يطلب خدمهم وخولهم وقت سهوهم وحالة غفلتهم، فيقضون حوائجهم وحوائج من يطلب منهم القيام بها، أي: ما كان ربك بالذي يسهو ويغفل كملوك الأرض.

والثالث: (وما كان ربك نسيا) بتأخير نزوله عن وقت النزول، بل أنزل عليك في الوقت الذي هو وقت النزول.

فهذان الوجهان يخرجان على السهو والغفلة، والأول على الترك.

وقوله - عز وجل -: (رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا (٦٥)

أي: اصبر نفسك عليها وعلى طاعته.

وقوله - عز وجل -: (هل تعلم له سميا)، أي: ما تعلم له شريكا تشتغل بعبادته عن عبادة الله، إنما هو إله واحد، لا راحة لك عن عبادته ولا ما يشغلك عنه.

وقال بعض أهل التأويل: هل تعلم أحدا اسمه: (الله) سواه؟!

وقال بعضهم: هل تعلم له مثلا وشبيها؟!

* * *

قوله تعالى: (ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا (٦٦) أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٧) فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠) وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)

وقوله - عز وجل -: (ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا).." (١)

"صليا، أي: يصلي بالنار، وهم القادة والكفرة.

وقوله: (يلقون غيا) قال أبو عوسجة: الغي: الشر، (جثيا)، قال: جماعات،

والجاثي: هو الراكب على ركبتيه، والشيعة: الصنف من الناس.

وقال القتبي: (جثيا): جمع جاث، وفي التفسير: جماعات.

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ٧/٢٥٠

وقال قتادة في قوله: (هل تعلم له سميا) قال: لا سمي لله ولا عدل ولا مثل، كل خلقه يقر له ويعرفه ويعلم أنه خالقه.

وقال بعضهم: لا يسمى أحد باسمه، يعني: بالله.

وقال بعضهم: بالرحمن.

وقوله - عز وجل -: (وإن منكم إلا واردها ...) (٧١)

اختلف فيه: قال بعضهم: الآية في الكفرة خاصة، واستدل بأول الآية بقوله: (فوربك لنحشرنهم والشياطين) إلى آخر ما ذكر، والمؤمنون لا يحشرون مع الشياطين، ولكن إنما يحشر الكفار مع الشياطين، كقوله: (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون (٢٢) من دون الله)، ويكون قوله: (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) على ابتداء منع الورود عليها والنجاة منها.

وقال بعضهم: الآية في المؤمنين والكافرين جميعا، لكن اختلف في الورود:

فقال بعضهم: الورود: الحضور دون الدخول؛ لأن الله - عز وجل - أخبر أن من أدخل النار فقد أخزاه بقوله: (ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته).

وقال بعضهم: الورود: الدخول فيها، واستدل بقوله: (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون)، وبقوله: (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار. . .) الآية، يقول: يدخل الفريقان جميعا فيها، لكنها تصير جامدة وبردا على المؤمنين على ما صارت بردا وسلاما على إبراهيم، ثم تصير." (١)

"٧٤٧ - قربا مربط النعامة مني ... لقحت حرب وائل عن حيال

٧٤٨ - لم أكن من جناتها علم الله ... وإني لحرها اليوم صالي. (وإن منكم إلا واردها)

منكم بمعنى منهم، وكذلك قرئت في بعض [القراءات]، كقوله: (إن هذا كان لكم جزاء) بعد قوله: (وسقاهم ربهم).

وقيل: إنه ورود حضور، لا ورود دخول، كقول زهير:." (٢)

"قال: فرفعه على جناحه، ثم طار به، فبينما هو في السماء الرابعة التقى بملك الموت ينظر في السماء، ينظر يمينا وشمالا، فسلم عليه ملك الشمس، وقال: يا إدريس هذا ملك الموت فسلم عليه فقال ملك الموت: سبحان الله! ولاي معنى رفعته هاهنا؟ قال: رفعته لأريه الجنة. قال: فإن الله تعالى أمرني أن أقبض روح إدريس في السماء الرابعة. قلت: يا رب وأين إدريس من السماء الرابعة، فنزلت فإذا هو معك، فقبض روحه فرفعها إلى الجنة، ودفنت الملائكة جثته في السماء الرابعة، فذلك قوله تعالى:" ورفعناه مكانا عليا" قال وهب بن منبه: كان يرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لأهل الأرض في زمانه، فعجب منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت، فاستأذن ربه في زيارته فأذن له، فأتاه في صورة آدمي، وكان إدريس عليه السلام يصوم النهار، فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل. ففعل به ذلك ثلاث ليال فأنكره إدريس،

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ٧/٢٥٢

(٢) باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، النيسابوري، بيان الحق ٢/٨٩٢

وقال له: من أنت! قال أنا ملك الموت، استأذنت ربي أن أصحبك فأذن لي، فقال: إن لي إليك حاجة. قال: وما هي؟ قال: أن تقبض روحي. فأوحى «١» الله تعالى إليه أن اقبض روحه، فقبضه ورده الله إليه بعد ساعة، وقال له ملك الموت: ما الفائدة في قبض روحك؟ قال لا ذوق كرب الموت فأكون له أشد استعدادا. ثم قال له إدريس بعد ساعة «٢»: إن لي إليك حاجة أخرى. قال: وما هي؟ قال أن ترفعني إلى السماء فأنظر إلى الجنة والنار، فأذن الله تعالى له في رفعه إلى السموات، فرأى النار فصعق، فلما أفاق قال أرني الجنة، فأدخله الجنة، ثم قال له ملك الموت: اخرج لتعود إلى مقرك. فتعلق بشجرة وقال: لا أخرج منها. فبعث الله تعالى بينهما ملكا حكما، فقال مالك لا تخرج؟ قال: لأن الله تعالى قال:" كل نفس ذائقة الموت" «٣» [آل عمران: ١٨٥] وأنا ذقته، وقال:" وإن منكم إلا واردها" «٤» [مريم: ٧١] وقد وردتها، وقال:" وما هم منها بمخرجين" «٥» [الحجر: ٤٨] فكيف أخرج؟ قال الله تبارك وتعالى لملك الموت:" بإذني دخل الجنة وبأمري يخرج" فهو حي هنالك فذلك قوله تعالى" ورفعناه مكانا عليا" قال النحاس: قول إدريس:" وما هم منها بمخرجين" يجوز أن يكون الله أعلم هذا إدريس، ثم نزل القرآن به. قال وهب ابن منبه: فإدريس تارة يرتع في الجنة، وتارة يعبد الله تعالى مع الملائكة في السماء.

---

(١). في ج: فأذن الله له.

(٢). في ج وك: بعد حين.

(٣). راجع ج ٤ ص ٢٩٧.

(٤). راجع ص ١٣٥ من هذا الجزء: إن صح هذا فهو دليل على ورود النظر. [.....]

(٥). راجع ج ١٠ ص ٣٣.." [1]

"[سورة مريم (١٩): الآيات ٦٦ الى ٧٢]

ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا (٦٦) أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٧) فو ربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠)

وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)

قوله تعالى: (ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا) الإنسان هنا أبي ابن خلف وجد عظاما بالية ففتتها بيده وقال: زعم محمد أنا نبعث بعد الموت قاله الكلبي ذكره الواحدي والثعلبي والقشيري وقال المهدوي نزلت في الوليد بن المغيرة وأصحابه وهو قول ابن عباس. واللام في" لسوف أخرج حيا" للتأكد. كأنه قيل له إذا ما مت لسوف تبعث حيا فقال" أإذا ما مت لسوف أخرج حيا"! قال ذلك منكرا فجاءت اللام في الجواب كما كانت في القول الأول ولو كان مبتدئا لم تدخل اللام لأنها للتأكيد والإيجاب وهو منكر للبعث. وقرأ ابن ذكوان" إذا ما مت" على الخبر والباقون بالاستفهام على

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١١٩/١١

أصولهم بالهمز. وقرأ الحسن وأبو حيوة:" لسوف أخرج حيا" قاله استهزاء لأنهم لا يصدقون بالبعث. والإنسان هاهنا الكافر. قوله تعالى: (أولا يذكر الإنسان) أي أو لا يذكر هذا القائل (أنا خلقناه من قبل) أي من قبل سؤاله وقول هذا القول (ولم يك شيئا) فالإعادة مثل الابتداء فلم يناقض. وقرأ أهل الكوفة إلا عاصما وأهل مكة وأبو عمر وأبو جعفر" أولا يذكر" وقرأ شيبة ونافع وعاصم:" أولا يذكر" بالتخفيف. والاختيار التشديد وأصله يتذكر لقوله تعالى" إنما يتذكر أولوا الألباب" «١» وأخواتها وفي حرف أبي" أولا يتذكر" وهذه القراءة على التفسير لأنها مخالفة لخط المصحف: ومعنى" يتذكر" يتفكر ومعنى" يذكر" يتنبه ويعلم قاله النحاس.

---

(١). راجع ج ١٥ ص ٣٤٠.." [(١)]

"أقوال وسمعت علي بن سليمان يحكي عن محمد بن يزيد قال" أيهم" متعلق ب" شيعة" فهو مرفوع بالابتداء والمعنى ثم لننزعن من الذين تشايعوا أيهم أي من الذين تعاونوا فنظروا أيهم أشد على الرحمن عتيا وهذا قول حسن. وقد حكى الكسائي أن التشايع التعاون. و" عتيا" نصب على البيان. [قوله تعالى «١»]: (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) ٧٠

«٢» أي أحق بدخول النار يقال: صلى يصلى صليا نحو مضى الشيء يمضي مضيا إذا ذهب وهوى يهوي هويا. وقال الجوهري: ويقال صليت الرجل نارا إذا أدخلته النار وجعلته يصلاها فإن ألقيته فيها إلقاء كأنك تريد الإحراق قلت: أصليته بالألف وصليته تصلية وقرى" ويصلى سعيرا" «٣». ومن خفف فهو من قولهم: صلي فلان بالنار (بالكسر) يصلى صليا احترق قال الله تعالى" هم أولى بها صليا ٧٠" قال العجاج: «٤»

والله لولا النار أن نصلاها

ويقال أيضا صلي بالأمر إذا قاسى حره وشدته. قال الطهوي:

ولا تبلى بسالتهم وإن هم ... صلوا بالحرب حينا بعد حين

واصطليت بالنار وتصليت بها. قال أبو زبيد:

وقد تصليت حر حربهم ... كما تصلى المقرور من قرس

وفلان لا يصطلى بناره إذا كان شجاعا لا يطاق. قوله تعالى: (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا) فيه خمس مسائل: الأولى- قوله تعالى:" وإن منكم" هذا قسم والواو يتضمنه. ويفسره حديث النبي صلى الله عليه وسلم (لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة

---

(١). من ب وج وز وك.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣١/١١

(٢). (صليا) بضم الصاد قراءة (نافع) وعليها التفسير.

(٣). راجع ج ١٩ ص ٢٧٠.

(٤). ونسبه في اللسان مادة (فيه) إلى الزفيان، وأورده في أبيات هي:

ما بال عين شوقها استبكاها ... في رسم دار لبست بلاها

تالله لولا النار أن نصلاها ... أو يدعو الناس علينا الله

لما سمعنا لأمير قاها

ألقاه: الطاعة.." (١)

"القسم («١» قال الزهري: كأنه يريد هذه الآية (وإن منكم إلا واردها) ذكره أبو داود الطيالسي فقوله:" إلا تحلة القسم" يخرج في التفسير المسند لأن القسم المذكور في هذا الحديث معناه عند أهل العلم قوله تعالى" وإن منكم إلا واردها" وقد قيل إن المراد بالقسم قوله تعالى:" والذاريات ذروا" إلى قوله" إنما توعدون لصادق. وإن الدين لواقع" «٢» والأول أشهر، والمعنى متقارب. الثانية- واختلف الناس في الورود فقيل: الورود الدخول روي عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم." ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا" أسنده أبو عمر في كتاب" التمهيد". وهو قول ابن عباس وخالد بن معدان وابن جريج وغيرهم وروي عن يونس [عن الحسين «٣»] أنه كان يقرأ:" وإن منكم إلا واردها" الورود الدخول على التفسير للورود فغلط فيه بعض الرواة فألحقه بالقرآن. وفي مسند الدارمي عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يرد الناس النار ثم يصدرون منها بأعمالهم فأولهم كلمح البرق ثم كالريح ثم كحضر «٤» الفرس ثم كالراكب المجد في رحله ثم كشد الرجل في مشيته (. وروي عن ابن عباس أنه قال في هذه المسألة لنافع بن الأزرق الخارجي: أما أنا وأنت فلا بد أن نردها أما أنا فينجيني الله منها وأما أنت فما أظنه ينجيك لتكذيبك. وقد أشفق كثير من العلماء من تحقق الورود والجهل بالصدر وقد بيناه في" التذكرة". وقالت فرقة: الورود الممر على الصراط. وروي عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار والسدي ورواه السدي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم وقاله الحسن أيضا قال: ليس الورود الدخول إنما تقول: وردت البصرة ولم أدخلها. قال: فالورود أن يمروا على الصراط. قال أبو بكر الأنباري: وقد بنى على مذهب الحسن قوم من أهل اللغة واحتجوا بقول الله تعالى:" إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ١٠"

---

(١). (إلا تحلة القسم): أي لا يدخل النار ليعاقبه بها ولكنه يجوز عليها فلا يكون ذلك إلا بقدر ما يبر الله به قسمه. [

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣٥/١١

[.....
(٢). راجع ج ١٧ ص ٢٩.
(٣). من ب وج وز وط وك.
(٤). الحضر (بالضم): العدو وشد الرجل: عدوه أيضا.." (١)

"«١» قالوا: فلا يدخل النار من ضمن الله أن يبعده منها. وكان هؤلاء يقرءون" ثم" بفتح الثاء" ننجي الذين اتقوا". واحتج عليهم الآخرون أهل المقالة الأولى بأن معنى قوله:" أولئك عنها مبعدون ١٠" عن العذاب فيها والإحراق بها. قالوا: فمن دخلها وهو لا يشعر بها ولا يحس منها وجعا ولا ألما فهو مبعد عنها في الحقيقة. ويستدلون بقوله تعالى:" ثم ننجي الذين اتقوا" بضم الثاء ف" ثم" تدل على نجاء بعد الدخول. قلت: وفي صحيح مسلم (ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة فيقولون اللهم سلم سلم) قيل: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: (دحض مزلة «٢» فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم) الحديث. وبه احتج من قال إن الجواز على الصراط هو الورود الذي تضمنته هذه الآية لا الدخول فيها. وقالت فرقة: بل هو ورود إشراف وأطلاع وقرب. وذلك أنهم يحضرون موضع الحساب وهو بقرب جهنم فيرونها وينظرون إليها في حالة الحساب ثم ينجي الله الذين اتقوا مما نظروا إليه ويصار بهم إلى الجنة" ونذر الظالمين" أي يؤمر بهم إلى النار قال الله تعالى" ولما ورد ماء مدين" «٣» أي أشرف عليه لا أنه دخله. وقال زهير:

فلما وردن الماء زرقا «٤» (جمامه ... وضعن عصي الحاضر المتخيم

وروت حفصة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا يدخل النار أحد من أهل بدر والحديبية) قالت فقلت: يا رسول الله وأين قول الله تعالى" وإن منكم إلا واردها" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فمه" ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا"). أخرجه مسلم من حديث أم مبشر قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة.

---

(١). راجع ص ٣٤٥ من هذا الجزء.
(٢). دحض مزلة: هما بمعنى وهو الموضع الذي نزل فيه الاقدام ولا تستقر.
(٣). راجع ج ١٣ ص ٢٦٧.
(٤). يقال: ماء أزرق إذا كان صافيا. وجمام جمع جم وجمه وهو الماء المجتمع. والحاضر: النازل على الماء. والمتخيم: المقيم وأصله من تخيم إذا نصب الخيمة. يصف زهير الظعائن بأنهن في أمن ومنعة فإذا نزلن نزلن آمنات كنزول من هو في أهله ووطنه. والبيت من معلقته.." (٢)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣٦/١١
(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣٧/١١

"الحديث. ورجح الزجاج هذا القول بقوله تعالى" إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ١٠" وقال مجاهد: ورود المؤمنين النار هو الحمى التي تصيب المؤمن في دار الدنيا، وهي حظ المؤمن من النار فلا يردها. روى أبو هريرة أن رسول الله صلى عليه وسلم عاد مريضا من وعك به فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (أبشر فإن الله تبارك وتعالى يقول:" هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من النار" (أسنده أبو عمر قال: حدثنا عبد الوارث بن سفيان قال حدثنا قاسم بن أصبغ قال حدثنا محمد بن إسماعيل الصائغ قال حدثنا أبو أسامة قال حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن إسماعيل بن عبيد الله [عن أبي صالح «١»] الأشعري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم عاد مريضا فذكره. وفي الحديث (الحمى حظ المؤمن من النار). وقالت فرقة: الورود النظر إليها في القبر فينجى منها الفائز ويصلاها من قدر عليه دخولها، ثم يخرج منها بالشفاعة أو بغيرها من رحمة الله تعالى. واحتجوا بحديث ابن عمر: (إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي) الحديث. وروى وكيع عن شعبة عن عبد الله بن السائب عن رجل عن ابن عباس أنه قال في قول الله تعالى: (وإن منكم إلا واردها) قال: هذا خطاب للكفار. وروي عنه أنه كان يقرأ:" وإن منهم" ردا على الآيات التي قبلها في الكفار: قوله" فو ربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا. ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا. ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا. ٧٠ - ٦٨ وإن منهم [مريم: ٦٨] وكذلك قرأ عكرمة وجماعة وعليها فلا شغب «٢» في هذه القراءة. وقالت فرقة: المراد ب (- منكم) الكفرة والمعنى: قل لهم يا محمد. وهذا التأويل أيضا سهل التناول والكاف في (منكم) راجعة إلى الهاء في (لنحشرنهم والشياطين. ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) فلا ينكر رجوع الكاف إلى الهاء، فقد عرف ذلك في قوله عز وجل" وسقاهم ربهم شرابا طهورا. إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا" «٣» [الإنسان: ٢٢ - ٢١] معناه كان لهم فرجعت الكاف إلى الهاء وقال الأكثر: المخاطب العالم كله ولا بد من ورود الجميع وعليه نشأ

(١). الزيادة من (تهذيب التهذيب) وتفسير الطبري.

(٢). كذا في ب وج وك: بالمعجمة. وفي اوز وط بالمهملة.

(٣). راجع ج ١٩ ص ١٤١ فما بعد.." (١)

"الخلاف في الورود. وقد بينا أقوال العلماء فيه. وظاهر الورود الدخول لقوله عليه الصلاة والسلام: (فتمسه النار) لأن المسيس حقيقته في اللغة المماسة إلا أنها تكون بردا وسلاما على المؤمنين وينجون منها سالمين. قال خالد بن معدان: إذا دخل أهل الجنة الجنة قالوا ألم يقل ربنا: إنا نرد النار؟ فيقال لقد وردتموها فألقيتموها رمادا. قلت: وهذا القول يجمع شتات لأقوال فإن من وردها ولم تؤذه بلهبها وحرها فقد أبعد عنها ونجي منها. نجانا الله تعالى منها بفضله وكرمه وجعلنا ممن وردها فدخلها سالما وخرج منها غانما. فإن قيل: فهل يدخل الأنبياء النار؟ قلنا: لا نطلق هذا ولكن نقول: إن الخلق جميعا يردونها كما دل عليه حديث جابر أول الباب فالعصاة يدخلونها بجرائمهم، والأولياء والسعداء لشفاعتهم فبين الدخولين

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣٨/١١

بون. وقال ابن الأنباري محتجا لمصحف عثمان وقراءة العامة: جائز في اللغة أن يرجع من خطاب الغيبة إلى لفظ المواجهة بالخطاب كما قال: (وسقاهم ربهم شرابا طهورا. إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) فأبدل الكاف من الهاء. وقد تقدم هذا المعنى في (يونس) «١». الثالثة- الاستثناء في قوله عليه السلام (إلا تحلة القسم) يحتمل أن يكون استثناء منقطعا: لكن تحلة القسم وهذا معروف في كلام العرب والمعنى ألا تمسه النار أصلا وتم الكلام هنا ثم ابتدأ (إلا تحلة القسم) أي لكن تحلة القسم لأبد منها في قوله تعالى:" وإن منكم إلا واردها" وهو الجواز على الصراط أو الرؤية أو الدخول دخول سلامة، فلا يكون في ذلك شي من مسيس لقوله عليه الصلاة والسلام: (لا يموت لأحدكم ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جنة من النار) والجنة الوقاية والستر ومن وقي النار وستر عنها فلن تمسه أصلا ولو مسته لما كان موقى. الرابعة: هذا الحديث يفسر الأول لأن فيه ذكر الحسبة، ولذلك جعله مالك بأثره مفسرا له. ويقيد هذا الحديث الثاني أيضا ما رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم (من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كان له حجابا «٢» من النار- أو-

---

(١). راجع ج ٨ ص ٣٢٤ فما بعد.

(٢). كان (: بالإفراد واسمها ضمير يعود. على الموت المفهوم مما سبق أي كان موتهم له حجابا. ولابي ذر عن الكشميهني (كانوا له حجابا). (قسطلاني).." (١)

"دخل الجنة) فقوله عليه السلام (لم يبلغوا الحنث) - ومعناه عند أهل العلم لم يبلغوا الحلم ولم يبلغوا أن يلزمهم حنث- دليل على أن أطفال المسلمين في الجنة- والله أعلم- لأن الرحمة إذا نزلت بآبائهم استحال أن يرحموا من أجل [من «١»] ليس بمرحوم. وهذا إجماع من العلماء في أن أطفال المسلمين في الجنة ولم يخالف في ذلك إلا فرقة شذت من الجبرية فجعلتهم في المشيئة وهو قول مهجور مردود بإجماع الحجة الذين لا تجوز مخالفتهم، ولا يجوز على مثلهم الغلط، إلى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من أخبار الآحاد الثقات العدول، وأن قوله عليه الصلاة والسلام (الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه وأن الملك ينزل فيكتب أجله وعمله ورزقه) الحديث مخصوص، وأن من مات من أطفال المسلمين قبل الاكتساب فهو ممن سعد في بطن أمه ولم يشق بدليل الأحاديث والإجماع. وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله تعالى عنها: (يا عائشة إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم وخلق النار وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم) ساقط ضعيف مردود بالإجماع والآثار وطلحة بن يحيى الذي يرويه ضعيف لا يحتج به. وهذا الحديث مما انفرد به فلا يعرج عليه. وقد روى شعبة عن معاوية بن قرة ابن إياس المزني عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا من الأنصار مات له ابن صغير فوجد عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أما يسرك ألا تأتي بابا من أبواب الجنة إلا وجدته يستفتح لك) فقالوا: يا رسول الله أله خاصة أم للمسلمين عامة؟ قال (بل للمسلمين عامة) قال أبو عمر: هذا حديث ثابت صحيح بمعنى «٢» ما ذكرناه مع إجماع الجمهور، وهو يعارض حديث يحيى ويدفعه. قال أبو

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١١/١٣٩

عمر: الوجه عندي في هذا الحديث وما أشبهه من الآثار أنها لمن حافظ على أداء فرائضه واجتنب الكبائر، وصبر واحتسب في مصيبته، فإن الخطاب لم يتوجه في ذلك العصر إلا إلى قوم الأغلب من أمرهم ما وصفنا وهم الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين. وذكر النقاش عن بعضهم أنه قال: نسخ قوله تعالى" وإن منكم إلا واردها" قوله:" إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ١٠"

---

(١). من ب وز وط وك.

(٢). في اوب وج وز وط وك. وفي ى: يعني. [.....]." [1]

"قيل: في الكلام حذف، والمعنى وهم فيها لا يسمعون شيئا، لأنهم يحشرون صما، كما قال الله تعالى:" ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما" «١» [الاسراء: ٩٧]. وفي سماع الأشياء روح وأنس، فمنع الله الكفار ذلك في النار. وقيل: لا يسمعون ما يسرهم، بل يسمعون صوت من يتولى تعذيبهم من الزبانية. وقيل: إذا قيل لهم" اخسؤا فيها ولا تكلمون" «٢» [المؤمنون: ١٠٨] يصيرون حينئذ صما بكما، كما قال ابن مسعود: إذا بقي من يخلد في النار في جهنم جعلوا في توابيت من نار، ثم جعلت التوابيت في توابيت أخرى فيها مسامير من نار، فلا يسمعون شيئا، ولا يرى أحد منهم أن في النار من يعذب غيره.

[سورة الأنبياء (٢١): الآيات ١٠١ الى ١٠٣]

إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون (١٠١) لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون (١٠٢) لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون (١٠٣)

قوله تعالى: (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) أي الجنة (أولئك عنها) أي عن النار (مبعدون) فمعنى الكلام الاستثناء، ولهذا قال بعض أهل العلم:" إن" هاهنا بمعنى" إلا" وليس في القرآن غيره. وقال محمد بن حاطب: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقرأ هذه الآية على المنبر" إن الذين سبقت لهم منا الحسنى " فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إن عثمان منهم). قوله تعالى: (لا يسمعون حسيسها) أي حس النار وحركة لهبها. والحسيس والحس الحركة. وروى ابن جريج عن عطاء قال قال أبو راشد الحروري لابن عباس:" لا يسمعون حسيسها" فقال ابن عباس: أمجنون أنت؟ فأين قوله تعالى:" وإن منكم إلا واردها" «٣» وقوله تعالى:" فأوردهم النار" «٤» [هود: ٩٨] وقوله:" إلى جهنم وردا" «٥» [مريم: ٨٦]. ولقد كان من دعاء من مضى: اللهم أخرجني من النار سالما، وأدخلني الجنة فائزا. وقال أبو عثمان النهدي:

---

(١). راجع ج ١٠ ص ٣٣٣.

(٢). راجع ج ١٢ ص ١٥٣.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٤٠/١١

(٣). راجع ص ١٣٥. وص ١٥٢ من هذا الجزء.

(٤). راجع ج ٩ ص ٩٣ فما بعد.

(٥). راجع ص ١٥٢ ص ١٤٩ من هذا الجزء.." (١)

"الآية حزن النبي صلى الله عليه وسلم لذلك فنزلت تعزية له، فقال جبريل عليه السلام: السلام عليك يا رسول الله! الله ربك يقرئك السلام ويقول لك:" وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق" أي يبتغون المعايش في الدنيا. الثانية- قوله تعالى:" إلا إنهم ليأكلون الطعام" إذا دخلت اللام لم يكن في إن" إلا الكسر، ولو لم تكن اللام ما جاز أيضا إلا الكسر، لأنها مستأنفة. هذا قول جميع النحويين. قال النحاس: إلا إن علي بن سليمان حكى لنا عن محمد بن يزيد قال: يجوز في" إن" هذه الفتح ون كان بعدها اللام، وأحسبه وهما منه. قال أبو إسحاق الزجاج: وفي الكلام حذف، والمعنى وما أرسلنا قبلك رسلا إلا إنهم ليأكلون الطعام، ثم حذف رسلا، لأن في قوله:" من المرسلين" ما يدل عليه. فالموصوف محذوف عند الزجاج. ولا يجوز عنده حذف الموصول وتبقية الصلة كما قال الفراء. قال الفراء: والمحذوف" من" والمعنى إلا من إنهم ليأكلون الطعام. وشبهه بقوله:" وما منا إلا له مقام «١» معلوم"، وقوله:" وإن منكم إلا واردها" «٢» أي ما منكم إلا من هو واردها. وهذا قول الكسائي أيضا. وتقول العرب: ما بعثت إليك من الناس إلا من إنه ليطيعك «٣». فقولك: إنه ليطيعك صلة من. قال الزجاج: هذا خطأ، لأن من موصولة فلا يجوز حذفها. وقال أهل المعاني: المعنى، وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا قيل إنهم ليأكلون، دليله قوله تعالى:" ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك". وقال ابن الأنباري: كسرت" إنهم" بعد" إلا" للاستئناف بإضمار واو. أي إلا وإنهم. وذهبت فرقة إلى أن قوله:" ليأكلون الطعام" كناية عن الحدث. قلت: وهذا بليغ في معناه، ومثله" ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام" «٤». (ويمشون في الأسواق) قرأ الجمهور" يمشون" بفتح الياء وسكون الميم وتخفيف الشين. وقرأ علي وابن عوف وابن مسعود بضم الياء وفتح الميم وشد الشين المفتوحة، بمعنى يدعون إلى المشي ويحملون عليه. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي بضم الياء وفتح الميم وضم الشين المشددة، وهي بمعنى يمشون، قال الشاعر:

---

(١). راجع ج ١٥ ص ١٣٧ وص ٣٦٦.

(٢). راجع ج ١١ ص ١٣٥.

(٣). في ك: ليعطيك، ليعطيك صلة.

(٤). راجع ج ٦ ص ٢٥٠.." (٢)

"وقد تقدمت هذه المعاني في قوله:" وإن منكم إلا واردها". ومدين لا تنصرف إذ هي بلدة معروفة قال الشاعر «١»:

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١١/٣٤٥

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣/١٣

رهبان مدين لو رأوك تنزلوا ... والعصم من شعف الجبال الفادر
وقيل: قبيلة من ولد مدين بن إبراهيم، وقد مضى القول فيه في" الأعراف" «٢». والأمة: الجمع الكثير و" يسقون" معناه ماشيتهم. و (من دونهم) معناه ناحية إلى الجهة التي جاء منها، فوصل إلى المرأتين قبل وصول إلى الأمة، ووجدهما تذودان ومعناه تمنعان وتحبسان، ومنه قول عليه السلام:" فليذادن «٣» رجال عن حوضي" وفي بعض المصاحف:" امرأتين حابستين تذودان" يقال: ذاد يذود إذا [حبس «٤»]. وذدت الشيء حبسته، قال الشاعر «٥»:
أبيت على باب القوافي كأنما ... أذود بها سربا من الوحش نزعا
أي أحبس وأمنع وقيل:" تذودان" تطردان، قال «٦»:
لقد سلبت عصاك بنو تميم ... فما تدري بأي عصا تذود
أي تطرد وتكف وتمنع ابن سلام: تمنعان غنمهما لئلا تختلط بغنم الناس، فحذف المفعول، إما إيهاما على المخاطب، وإما استغناء بعلمه. قال ابن عباس: تذودان غنمهما عن الماء خوفا من السقاة الأقوياء. قتادة: تذودان الناس عن غنمهما، قال النحاس: والأول أولى، لأن بعده" قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء" ولو كانتا تذودان عن غنمهما الناس لم تخبرا عن سبب تأخير سقيهما حتى يصدر الرعاء. فلما رأى موسى عليه السلام ذلك منهما" قال ما خطبكما" أي شأنكما، قال رؤبة:
يا عجبا ما خطبه وخطبي

---

(١). هو جرير. والعصم (جمع الأعصم): وهو من الظباء الذي في ذراعه بياض، وقيل: في ذراعيه، والفادر: المسن منها. وقيل: العظيم. ويروى:" من شعف العقول". وقبله: يا أم طلحة ما لقينا مثلكم في المنجدين ولا بغور الغائر
(٢). راجع ج ٧ ص ٢٤٧ طبعه أولى أو ثانية.
(٣). فليذادن، أي ليطردن. ويروى:" فلا تذادن" أي لا تفعلوا فعلا يوجب طردكم عنه، قال ابن الأثير: والأول أشبهه.
(٤). في الأصل:" إذا ذهب" وهو تحريف.
(٥). هو سويد بن كراع يذكر تنقيحه شعره.
(٦). هو جرير يهجو الفرزدق.." (١)
"وقيل: إن كلا في هذه المواضع الثلاثة بمعنى" ألا" قاله ابن أبي حاتم، وقال الفراء: هي بمعنى" حقا" وقد تقدم الكلام فيها مستوفى «١».

[سورة التكاثر (١٠٢): الآيات ٦ الى ٧]
لترون الجحيم (٦) ثم لترونها عين اليقين (٧)
قوله تعالى: (لترون الجحيم) هذا وعيد آخر. وهو على إضمار القسم، أي لترون الجحيم في الآخرة. والخطاب للكفار الذين

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٦٨/١٣

وجبت لهم النار. وقيل: هو عام، كما قال: وإن منكم إلا واردها «٢» [مريم: ٧١] فهيئ للكفار دار، وللمؤمنين ممر. وفي الصحيح: (فيمر أولهم كالبرق، ثم كالريح، ثم كالطير ...) الحديث. وقد مضى في سورة" مريم" «٣». وقرأ الكسائي وابن عامر (لترون) بضم التاء، من أريته الشيء، أي تحشرون إليها فترونها. وعلى فتح التاء، هي قراءة الجماعة، أي لترون الجحيم بأبصاركم على البعد. (ثم لترونها عين اليقين) أي مشاهدة. وقيل: هو إخبار عن دوام مقامهم في النار، أي هي رؤية دائمة متصلة. والخطاب على هذا للكفار. وقيل: معنى لو تعلمون علم اليقين أي لو تعلمون اليوم في الدنيا، علم اليقين فيما أمامكم، مما وصفت: لترون الجحيم بعيون قلوبكم، فإن علم اليقين يريك الجحيم بعين فؤادك، وهو أن تتصور لك تارات القيامة، وقطع مسافاتها. ثم لترونها عين اليقين: أي عند المعاينة بعين الرأس، فتراها يقينا، لا تغيب عن عينك. ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم: في موقف السؤال والعرض.

[سورة التكاثر (١٠٢): آية ٨]

ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم (٨)

قوله تعالى: (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: (ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة)؟ قالا: الجوع يا رسول الله. قال: (وأنا

---

(١). راجع ج ١١ ص ١٤٧ فما بعدها.

(٢). آية ٧١ سورة مريم.

(٣). راجع ج ١١ ص ١٣٧.." (١)

"به فإنه هالك لا محالة إن يسركم الله له فغلبت الذنوب ورجفت القلوب بالمعاصي وصار كل أحد من الناس ثعلبا يأوي إلى وجاره «١» وإن رأى المكيدة بجاره. فإنا لله وإنا إليه راجعون. وحسبنا الله ونعم الوكيل (. السابعة- قوله تعالى: (وجاهدوا) أمر بالجهاد، وهو مشتق من الجهد (بأموالكم وأنفسكم) روى أبو داود عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم). وهذا وصف لأكمل ما يكون من الجهاد وأنفعه عند الله تعالى. فحض على كمال الأوصاف، وقدم الأموال في الذكر إذ هي أول مصرف وقت التجهيز. فرتب الأمر كما هو نفسه.

[سورة التوبة (٩): آية ٤٢]

لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون (٤٢)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٧٤/٢٠

لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أظهر الله نفاق قوم. والعرض: ما يعرض من منافع الدنيا. والمعنى: غنيمة قريبة. أخبر عنهم أنهم لو دعوا إلى غنيمة لاتبعوه." عرضا" خبر كان." قريبا" نعته." وسفرا قاصدا" عطف عليه. وحذف اسم كان لدلالة الكلام عليه. التقدير: لو كان المدعو إليه عرضا قريبا وسفرا قاصدا- أي سهلا معلوم الطرق- لاتبعوك. وهذه الكناية للمنافقين كما ذكرنا، لأنهم داخلون في جملة من خوطب بالنفير. وهذا موجود في كلام العرب يذكرون الجملة ثم يأتون بالإضمار عائدا على بعضها، كما قيل في قوله تعالى:" وإن منكم إلا واردها" «٢» [مريم: ٧١] أنها القيامة. ثم قال جل وعز:" ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا" «٣» [مريم: ٧٢] يعني عز وجل جهنم. ونظير هذه الآية من السنة في المعنى قوله عليه السلام: (لو يعلم أحدهم أنه يجد عظما سمينا

---

(١). الوجار (بكسر وفتح) حجر الضبع وغيره.

(٢). راجع ج ١١ ص ١٣١ فما بعد.

(٣). راجع ج ١١ ص ١٣١ فما بعد.." (١)

"ابن عرفة: بل وعيد لهم، وإنما التسلية بقوله تعالى: (فقد كذب رسل من قبلك) ثم عقبه ببيان أنهم يموتون ويصير كل فريق إلى قدر له من الثواب والعقاب.

ابن عرفة: والدليل على أن الآية إنذار ووعيد للجميع.

قوله تعالى: (فمن زحزح عن النار).

الزحزح يقتضي أن الأصل مماسة النار وملاصقتها للجميع قال تعالى: (وإن منكم إلا واردها)، وقال بعض المتصوفة: ليس العجب ممن هلك كيف هلك، إنما العجب ممن سلم كيف سلم.

قال ابن عرفة: وهذا عام باق على عمومه، إن قلنا: إن ذات الله لا مطلق عليها نفس وإن جوز ما إطلاق النفس عليها أخذا بظاهر قوله تعالى: (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك)، فيكون مخصوصا قيل له: الأرواح للنفس قال الفخر: ويتناول الجمادات فرده ابن عرفة: بقوله تعالى: (كل نفس) وبأن الموت إنما مصدق على من يقتل الحياة، قال: إلا أن يريد بالنفس الذات ويجعله من قسم السلب مثل الحائط لا يبصر إلا من قسم العدم، والملكة مثل: زيد لا يبصر، قال: وذكر الأصوليون والمناطقة والنحويون الكل والكلي والكلية، فالكل: الحكم على المجموع من حيث هو مثل: ... ، والكلي: هو ما لا يمنع نفس تصور معناه من وقوع الحركة فيه مثل: الإنسان حيوان، والكلية: هي الحكم على المجموع باعتبار تتبع الأفراد، مثل كل إنسان حيوان موجود في زمن، وهذه الآية من قسم الكلية بحسب التمثيل بها.

قوله تعالى: ﴿لتبلون في أموالكم وأنفسكم ... (١٨٦)﴾

قال ابن عطية: هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولسائر أمته. ابن عرفة: لا ينبغي إدخال النبي صلى الله

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٥٣/٨

عليه وعلى آله وسلم في هذا [الخطاب*]؛ لأن هذا الخطاب تهيئة الصبر على المصائب، وتوطين النفس عليها ليكون المخاطب على هيئة خشية أن يلحقه خوف وهلع، والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ممن لا يتأتى لمثل ذلك، وقد قال: "إنما الصبر عند الصدمة الأولى".." (١)

"﴿وَإِن مِّنكُمْ﴾ وَمَا مِنْكُم من أحد ﴿إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ داخلها يَعْنِي النَّار غير النَّبِيين وَالْمُرْسلِينَ ﴿كَانَ على رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً﴾ قَضَاء كَائِنا وَاجِبا أَن يكون." (٢)

"رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا (٦٥) ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا (٦٦) أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٧) فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠) وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا (٧١)." (٣)

"(وإن منكم إلا واردها) الخطاب للناس من غير التفات أو للإنسان المذكور فيكون التفاتا، وقيل للكفار، وقرئ وإن منهم لمناسبة الآيات التي قبل هذه فإنها في الكفار، وهي قوله: فوربك لنحشرنهم، الآيات وكذلك قرأ عكرمة وجماعة، لكن الأكثرون على أن المخاطب العالم كلهم، والمعنى ما منكم من أحد مسلما كان أو **كافرا إلا واردها أي** واصلها وداخلها، والضمير يرجع إلى النار؛ وقيل إلى يوم القيامة والأول أولى.

وقد اختلف الناس في هذا الورود، فقيل الورود الدخول لقوله: لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها، لكنه يختص بالكفار لقراءة وإن منهم، وتحمل القراءة المشهورة على الالتفات ويستثنى الأنبياء والمرسلون، وتكون على المؤمنين بردا وسلاما، كما كانت على إبراهيم.

وقالت فرقة: الورود هو المرور على الصراط، لأن الصراط ممدود عليها، فيسلم أهل الجنة ويتقاذف أهل النار، وعلى هذا لا يستثنى الأنبياء والمرسلون، بل يمر عليه جميع الخلق. روي ذلك عن ابن عباس وكعب الأحبار والسدي ورواه السدي عن ابن مسعود عن النبي (صلى الله عليه وسلم) والحسن. وعن مجاهد: ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: " الحمى حظ كل مؤمن من النار " (١)، وفيه بعد. وقيل ليس الورود الدخول إنما هو كما تقول وردت البصرة ولم أدخلها، وقد توقف كثير من العلماء عن تحقيق هذا الورود، وحمله على ظاهره لقوله تعالى: (إن

---

(١) وتتمته: " وحمى ليلة تكفر خطايا سنة مجرمة " ضعيف الجامع الصغير ٢٧٩٥ سلسلة الأحاديث الضعيفة ٣٥٣٢.." (٤)

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٤٥١/١

(٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، الفيروزآبادي ص/٢٥٨

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٨٢/٨

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٨٦/٨

"وفي الحديث فتقول النار للمؤمنين: جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي وعن مجاهد قال: خاصم نافع بن الأزرق ابن عباس فقال: الورود الدخول وقال نافع: لا، فقرأ ابن عباس: (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) وقال أورود أم لا؟ وقرأ (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار)، وورود أم لا؟ أما أنا وأنت فسندخلها، فانظر هل نخرج منها أم لا؟ وقرأ ابن مسعود " وإن منكم إلا داخلها " مكان " واردها " وعنه قال ورودها الصراط وقال رجل من الصحابة لآخر: أيقنت بالورود. قال نعم، قال وأيقنت بالصدور قال لا، قال ففيم الضحك وفيم التثاقل.

وأخرج أحمد والترمذي والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم عن ابن مسعود في الآية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يرد الناس كلهم النار ثم يصدرون منها بأعمالهم، فأولهم كلمح البرق، ثم كالريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب المجد في رحله، ثم كشد الرجل في مشية " (١) وقد روى نحوه عنه من طريق، وهو في مسند الدارمي أيضا. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " (وإن منكم إلا واردها) يقول مجتاز فيها ".

وأخرج مسلم وغيره عن أم مبشر قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية ". قالت حفصة أليس الله يقول: (وإن منكم إلا واردها) قال " ألم تسمعيه يقول (ثم ننجي الذين اتقوا) ".

وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا يموت لمسلم ثلاث من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم؛ ثم قرأ سفيان (وإن منكم إلا واردها) " (٢).

---

(١) المستدرك كتاب الأهوال ٤/ ٥٨٦.

(٢) مسلم ٢٦٣٢ - البخاري ٦٧١.." [١]

"وأخرج أحمد والبخاري في تاريخه وأبو يعلى والطبراني عن معاذ بن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من جهس من وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا لا يأخذه سلطان لم ير النار بعينيه إلا تحلة القسم، فإن الله يقول: (وإن منكم إلا واردها) " والأحاديث في تفسير هذه الآية كثيرة جدا.

وأما فائدة دخول المؤمنين النار، إذا لم يكن عذاب فبوجوه. أحدها أن ذلك مما يزيدهم سرورا إذا علموا الخلاص منه؛ وثانيها أن فيه مزيد هم على أهل النار حيث يرون المؤمنين يتخلصون منها وهم باقون فيها، وثالثها أنهم إذا شاهدوا ذلك العذاب على الكفار صار ذلك سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة، ولا نقول صريحا إن الأنبياء يدخلون النار أدبا معهم، ولكن نقول إن الخلق جميعا يردونها كما دلت عليه أحاديث الباب، فالعصاة يدخلونها بجرائمهم، والأولياء والسعداء يدخلونها لشفاعتهم، فبين الداخلين بون.

(كان على ربك حتما مقضيا) أي كان ورودهم المذكور أمرا محتوما لازما قد قضى سبحانه أنه لا بد من وقوعه لا محالة بمقتضى حكمته لا بإيجاب غيره عليه قال مجاهد: مقضيا قضاء من الله. وقال عكرمة: قسما واجبا. قالت الأشاعرة: إن هذا مشبه بالواجب من جهة استحالة تطرق الخلف إليه. وقد استدلت المعتزلة بهذه الآية على أن العقاب واجب على الله،

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٨٨/٨

وأن صاحب الكبيرة مخلد، والفاسق مخلد في النار، بدليل أن الله بين أن الكل يردونها، ثم لين صفة من ينجو، وهم المتقون، والفاسق لا يكون متقيا فبقي في النار أبدا.

وأجيب عن ذلك بأن المتقي هو الذي يتقي الشرك، فصاحب الكبيرة متق، فوجب أن يخرج من النار بعموم قوله: (ثم ننجي الذين اتقوا) فالآية التي توهموها دليلا لهم هي من أقوى الدلائل على فساد قولهم، وهذا من حيث البحث وأما من حيث النص فقد وردت أحاديث تدل على إخراج المؤمن الموحد من النار وهي معروفة.." (١)

"(وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) قال الزجاج: الجملة الواقعة بعد إلا صفة لموصوف محذوف والمعنى ما أرسلنا قبلك أحدا منهم إلا آكلين وماشين فأنت مثلهم في ذلك وقد قيل لهم مثل ما قيل لك، وقال الفراء: لا محل لها من الإعراب إنما هي صلة لموصول محذوف والتقدير إلا من أنهم كما في قوله (إلا واردها) أي إلا من يردها، وبه قال الكسائي وقال الزجاج: هذا خطأ لأن من الموصولة لا يجوز حذفها، وقال ابن الأنباري: التقدير إلا وإنهم، وقرئ إنهم بكسر إن لوجود اللام في خبرها وهو مجمع عليه عند النحاة. وقال المبرد: يجوز فيه الفتح، قال النحاس: وأحسبه وهما. وقرئ يمشون مخففا ومثقلا. قال قتادة: يقول إن الرسل قبل محمد – صلى الله عليه وسلم – كانوا بهذه المنزلة يأكلون ويمشون.

(وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) هذا الخطاب عام للناس، وفيه تسلية له – صلى الله عليه وسلم – أيضا، فإنه أشرف الأشراف، وقد ابتلى بأخس الأخساء، وقد جعل سبحانه بعض عبيده فتنة لبعض، فالصحيح فتنة للمريض، والغني فتنة للفقير، وقيل المراد بالبعض الأول كفار الأمم، وبالبعض الثاني الرسل، ومعنى الفتنة الابتلاء، والمحنة. والأول أولى، فإن البعض من الناس ممتحن بالبعض مبتلى به فالمريض يقول لم لم أجعل كالصحيح؟ وكذا صاحب كل آفة، والصحيح مبتلى بالمريض، فلا يضجر منه ولا يحقره، والغني مبتلى بالفقير يواسيه، والفقير مبتلى بالغنى يحسده، ونحوه هذا مثله.

وقيل المراد بالآية أنه كان إذا أراد الشريف أن يسلم، ورأى الوضيع قد أسلم قبله، أنف وقال: لا أسلم بعده فيكون له على السابقة والفضل! فيقيم على كفره. فذلك افتتان بعضهم ببعض، واختار هذا الفراء والزجاج ولا وجه لقصر الآية على هذا، فإن هؤلاء إن كانوا سبب النزول فالاعتبار بعموم." (٢)

"(ولما ورد ماء مدين) أي: وصل إليه وهو الماء الذي يستقون منه، والمراد بالماء هنا بئر فيها، صرح به الخازن والمحلي، فهو من باب ذكر الحال وإرادة المحل، ولفظ الورود قد يطلق على الدخول في المورد، وقد يطلق على البلوغ إليه وإن لم يدخل فيه وهو المراد هنا؛ وقد تقدم تحقيق معنى الورود في قوله: وإن منكم إلا واردها، وقيل: مدين اسم للقبيلة لا للقرية، وهي غير منصرفة على كلا التقديرين.

(وجد عليه أمة) أي: وجد على الماء جماعة كثيرة لأن التنكير للتكثير (من الناس) أي من أناس مختلفين (يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم) أي: من دون الناس الذين يسقون ما بينهم وبين الجهة التي جاء منها وقيل: معناه في موضع أسفل منهم

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٨٩/٨

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٩٥/٩

قاله أبو السعود، وفي الخازن: في موضع بعيد منهم.

(امرأتين تذودان) أي تحبسان أغنامهما من الماء، حتى يفرغ الناس، ويخلو بينهما وبين الماء، وبه قال ابن عباس، وورد الذود بمعنى الطرد، أي تطردان، وقيل: تكفان الغنم عن أن تختلط بأغنام الناس، وقيل: تمنعان أغنامهما عن أن تند، وتذهب، والأول أولى لقوله:

(قال) موسى للمرأتين (ما خطبكما)؟ أي: ما شأنكما لا تسقيان غنمكما مع الناس؟ والخطب الشأن، قيل: وإنما يقال ما خطبك لمصاب أو لمضطهد أو لمن يأتي بمنكر.

(قالتا) عادتنا التأني (لا نسقي حتى يصدر الرعاء) عن الماء،." (١)

"(لترون الجحيم) جواب قسم محذوف، وفيه زيادة وعيد وتهديد أي والله لترون الجحيم في الآخرة، قال الرازي وليس هذا جواب لو لان جواب لو يكون منفيا وهذا مثبت، ولأنه عطف عليه (ثم لتسئلن) وهو مستقبل لا بد من وقوعه، قال وحذف جواب (لو) كثير، والخطاب لكفار، وقيل عام كقوله (وإن منكم إلا واردها).

قرأ الجمهور لترون بفتح التاء مبنيا للفاعل وقرىء بضمها مبنيا للمفعول، والرؤية هنا بصرية فلذلك تعدت إلى مفعول واحد. ثم كرر الوعيد والتهديد للتأكيد فقال." (٢)

"ولذا كان أول إنذار هو الإنذار بالعذاب الأليم في يوم القيامة، وهذا قوله تعالى: (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب) الإنذار: التخويف، وهو يتعدى إلى مفعولين الأول (الناس)، والثاني (يوم) والإنذار متجه لما يجري في هذا اليوم من حال تقشعر من هولها الأبدان، إذ تكون أبصارهم فيها شاخصة، خوف العذاب الأليم الذي هو في ذاته هول أكبر، ولكن جعل التخويف لليوم من إطلاق اسم المحل وإرادة الحال، وإنه لشديد تضطرب له نفوس أهل النار (فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب) الفاء هنا لبيان أن ما قبلها سبب لما بعدها فما فيه من هول شديد، وما فيه من جحيم (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا)، يكون سببا لأن يطلبوا الرجعة إلى الدنيا، وقد قالوا: (أخرنا إلى أجل قريب) إلى زمن قليل، وعبر عنه بالقريب لأنه قريب ما بين طرفيه أوله ومنتهاه، وهذا كقولهم فيما يحكي الله تعالى عنهم: (. . . ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون)، وكقولهم فيما حكى سبحانه عنهم: (. . . ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل. . .).

وقوله تعالى: (نجب دعوتك) وهي دعوة التوحيد، وألا يشركوا بالله شيئا وما جاء به القرآن وغيره من كتب السماء، ومن شرائع، (ونتبع الرسل)، أي لا نستكبر عليهم ولا نتعالى ونتسامي عليهم، بل لنكون لهم تبعا.

فيقول الملائكة بأمر الله تعالى مبكتا مذكرا لهم كفرهم: (أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال)، وقوله تعالى: (أولم تكونوا أقسمتم)، (الواو) عاطفة على ما قبلها، والهمزة للاستفهام الإنكاري الذي فيه إنكار الواقع، والاستفهام داخل على

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٠٤/١٠

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٦٨/١٥

النفي ونفي النفي إثبات على معنى التوبيخ، والمعنى لقد أقسمتم من قبل مغترين على الله تعالى جاهلين لأنفسكم، ولمجري الحياة (ما لكم من زوال)، أي ليس لكم أي زوال، وإنهم في الحقيقة كما يظهر من مجرى." (١)

"وتجيء العبر في الآيات المختلفة الكثيرة، فيذكر الناس بالبعث (أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٧) فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠) وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (٧٣).

ويضرب الأمثال للمشركين بالذين مضوا من الذين عادوا النبيين وأهلكهم الله، وهم أحسن منهم أثاثا ورئيا.

ويبين الله اهتداء المهتدين وضلال الضالين: (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا (٧٥) ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا (٧٦).

وتشرح السورة الكريمة نفس الكافر وغروره: (أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا (٧٧) أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا (٧٨)،

ثم بين سبحانه أن ذلك مكتوب عليه وأنه سيرث أعقاب هذا القول، ويقول: (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا (٨١) كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا (٨٢).

ويبين سبحانه سيطرة الشياطين على الكافرين: (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا (٨٣) فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا (٨٤).

ويذكر الله الناس جميعا بما يكون يوم الآخرة، (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا (٨٥) ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا (٨٦) لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا (٨٧).." (٢)

"منزه عن الحوادث كقوله تعالى: (. . . ليس كمثله شيء وهو السميع البصير).

وهذا النفي بالاستفهام الإنكاري دليل على استحقاقه وحده للعبادة لأنه لا شبيه له.

* * *

إنكار الإنسان للبعث

قال الله تعالى:

(ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا (٦٦) أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٧) فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم

---

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٤٠٥١/٨

(٢) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٤٦٠٥/٩

لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠) وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (٧٣) وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا (٧٤)

* * *

الإنسان ينظر دائما إلى حاضره ولا ينظر إلى قابله، وينكر القابل إذا لم يتفق مع حاضره إلا أن يكون ممن هداهم الله وآمنوا بالغيب إيمانهم بالشاهد، ولم يحصروا علمهم في المحسوس لا يخرجون عنه، وقد قال تعالى:." (١)

"ثم ذكر تعالى ما يكون بعد الحشر وهو إحضارهم إلى جهنم، فقال تعالى مقسما: (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا)، (ثم) عاطفة على جواب أقسم (لنحشرنهم) فهو سبحانه بعد أن يحشرهم مع شياطينهم الذين وسوسوا لهم بعبادة الأوثان يحضرون، وإن ذلك وإن كان خاصا بالكفرة؛ لأنهم الذين أغواهم الشياطين وأضلوهم، ولكن أضيفت إلى الجميع الأبرار والفجار؛ لأن الحشر للجميع، والجميع يرون جهنم كي تتلى الآيات من بعد.

والإحضار حول جهنم جاثين على ركبهم؛ ولذا قال تعالى: (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا)، والجثي جمع جاث، وهم الجالسون على ركبهم.

فقال تعالى: (وترى كل أمة جاثية. . .)، وذلك يكون في أحوال تناقلات القول، وذلك من تجاثي أهلها على ركبهم، وذلك يكون في حال الاستفزاز والقلق، وكأنهم لهول ما يرون يتجاثون على ركبهم فزعين قد أصابهم الهلع، ويكونون حول جهنم مترقبين ما يكون من أمرهم في جزع.

والعطف بـ (ثم) يقتضي فاصلا بأمد ليس قصيرا بين الحشر والإحضار، وذلك الأمد يكون فيه الحساب ويكون ما يقرره الله لأهل البر، وما يقرره للفجار، فكل يحضر حول جهنم ثم يكون الأبرار بعد ذلك للجنة إذ يرون ما آل إليه أمر الكفار، كما سنتلو قوله تعالى: (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا).

ويقول في أحوال يوم القيامة وأهواله:." (٢)

"(وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١)

(إن) هنا نافية، والمعنى ما منكم إلا واردها، وقد التفت سبحانه وتعالى من الغيبة إلى الخطاب؛ لمواجهة عباده بما قرر لهم وما قدره سبحانه وتعالى عليهم، والورود ليس معناه الدخول، بل إن المؤمن يردها ولا يلقى ولا يعذب فيها، وبذلك يوفق بين قوله تعالى: (وإن منكم إلا واردها)، وقوله تعالى بالنسبة للمؤمنين: (. . . أولئك عنها مبعدون)، أي مبعدون من عذابها ولا يلقون فيها ولا يدخلونها، وروي أن المؤمنين يوردون عليها وهي ضاورة (١)، أي خامدة بالنسبة إليهم لا تمسهم ولا يلقون عذابها.

(كان على ربك حتما مقضيا)، (كان) ذلك الورود (على ربك) الذي خلقك ورباك (حتما)، أي لازما، (مقضيا)، أي

---

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٤٦٧١/٩

(٢) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٤٦٧٤/٩

قضاه الله تعالى وكتبه على نفسه، كما قال تعالى: (. . . كتب ربكم على نفسه الرحمة. . .)، وإن هذا الكلام لتأكيد الوقوع، وإنه سبحانه وتعالى قد كتبه على ذاته العلية، ولا إلزام عليه من أحد ولا يصح أن يستدل به الذين يقولون بوجوب الصلاح أو الأصلح، فإن هذا ليس من ذلك الباب في شيء، إنما لتأكيد الوقوع والقضاء منه، وهو الذي يقضي ويقدر وهو العزيز الحكيم.

وبعد أن يردها الجميع يصطفي الله تعالى ممن وردها المؤمنين التقاة، فينجيهم منها؛ ولذا يقول تعالى:

---

(١) هكذا بالواو، والتضور: التضعف، من قولهم: رجل ضورة وامرأة ضورة، والضورة، بالضم، من الرجال: الصغير الحقير الشأن. قاله أبو العباس: لسان العرب – ضور. وقد تكون (ضامرة) بالراء، من الضمور وهو الهزال. وكلاهما يحتمل معنى الخمود، والله أعلم.

(ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)." (١)

"وتقدس وكل علوي يحل فيه الإله. وتكلفوا لتفسير القرآن بما يساعد الأصول التي أسسوها. ولهم في التفسير تكلفات ثقيلة منها قولهم ان قوله تعالى ﴿وعلى الأعراف رجال﴾ [لأعراف: ٤٦] أن جبلا يقال له الأعراف هو مقر أهل المعارف الذين يعرفون كلا بسيماهم. وأن قوله تعالى ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] أي لا يصل أحد إلى الله إلا بعد جوازه على الآراء الفاسدة إما في صباه، أو بعد ذلك، ثم ينجي الله من يشاء. وإن قوله تعالى ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾ [طه:٤٣] أراد بفرعون القلب.

وقد تصدى للرد عليهم الغزالي في كتابه الملقب ب "المستظهري". وقال إذا قلنا بالباطن فالباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر فيمكن تنزيل الآية على وجوه شتى اه يعني والذي يتخذونه حجة لهم يمكن أن نقلبه عليهم وندعي أنه باطن القرآن لأن المعنى الظاهر هو الذي لا يمكن اختلاف الناس فيه لاستناده للغة الموضوعة من قبل. وأما الباطن فلا يقوم فهم أحد فيه حجة على غيره اللهم إلا إذا زعموا أنه لا يتلقى إلا من الإمام المعصوم ولا إخالهم إلا قائلين ذلك. ويؤيد هذا ما وقع في بعض قراطيسهم قالوا إنما ينتقل إلى البدل مع عدم الأصل، والنظر بدل من الخبر فإن كلام الله هو الأصل فهو خلق الإنسان وعلمه البيان والإمام هو خليفته ومع وجود الخليفة الذي يبين قوله فلا ينتقل إلى النظر اه وبين ابن العربي في كتاب العواصم شيئا من فضائح مذهبهم بما لا حاجة إلى التطويل به هنا.

فإن قلت فما روى: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا". وعن ابن عباس أنه قال: إن للقرآن ظهرا وبطنا. قلت لم يصح ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، بله المروي عن ابن عباس فمن هو المتصدي لروايته عنه؟ على أنهم ذكروا من بقية كلام ابن عباس أنه قال فظهره التلاوة وبطنه التأويل فقد أوضح مراده إن صح عنه بأن الظهر هو اللفظ والبطن هو المعنى. ومن تفسير الباطنية تفسير القاشاني وكثير من أقوالهم مبثوث في "رسائل إخوان الصفاء. "

أما ما يتكلم به أهل الإشارات من الصوفية في بعض آيات القرآن من معان لا تجري على ألفاظ القرآن ولكن بتأويل ونحوه

---

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٤٦٧٦/٩

فينبغي أن تعلموا أنهم ما كانوا يدعون أن كلامهم في ذلك تفسير للقرآن، بل يعنون أن الآية تصلح للتمثل بها في الغرض المتكلم فيه، وحسبكم في ذلك أنهم سموها إشارات ولم يسموها معاني، فبذلك فارق قولهم قول الباطنية. ولعلماء الحق فيها رأيان: فالغزالي يراها مقبولة، قال." (١)

"المجلد السادس عشر

سورة مريم

...

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة مريم

اسم هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير وأكثر كتب السنة سورة مريم. ورويت هذه التسمية عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الطبراني والديلمي، وابن منده، وأبو نعيم، وأبو أحمد الحاكم: عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني عن أبيه عن جده أبي مريم قال :"أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله إنه ولدت لي الليلة جارية، فقال: والليلة أنزلت علي سورة مريم فسمها مريم " . فكان يكنى أبا مريم، واشتهر بكنيته. واسمه نذير، ويظهر أنه أنصاري. وابن عباس سماها سورة كهيعص ، وكذلك وقعت تسميتها في صحيح البخاري في كتاب التفسير في أكثر النسخ وأصحها. ولم يعدها جلال الدين في الإتقان في عداد السور المسماة باسمين ولعله لم ير الثاني اسما.

وهي مكية عند الجمهور. وعن مقاتل: أن آية السجدة مدنية. ولا يستقيم هذا القول لاتصال تلك الآية بالآيات قبلها إلا أن تكون ألحقت بها في النزول وهو بعيد.

وذكر السيوطي في الإتقان قولا بأن قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم:٧١]الآية مدني، ولم يعزه لقائل.

وهي السورة الرابعة والأربعون في ترتيب النزول؛ نزلت بعد سورة فاطر وقبل سورة طه. وكان نزول سورة طه قبل إسلام عمر بن الخطاب كما يؤخذ من قصة إسلامه فيكون نزول هذه السورة أثناء سنة أربع من البعثة مع أن السورة مكية، وليس أبو مريم هذا معدودا في المسلمين الأولين فلا أحسب الحديث المروي عنه مقبولا.

ووجه التسمية أنها بسطت فيها قصة مريم وابنها وأهلها قبل أن تفصل في غيرها.." (٢)

"والمعنى: لنميزن من كل فرقة تجمعها محلة خاصة من دين الضلال من هو تلك الشيعة أشد عصيانا لله وتجبرا عليه، وهذا تهديد لعظماء المشركين مثل أبي جهل وأمية بن خلف ونظرائهم.

و"أي" اسم موصول بمعنى "ما" و"من". والغالب أن يحذف صدر صلتها فتبنى على الضم. وأصل التركيب: أيهم هو أشد عتيا على الرحمان. وذكر صفة الرحمان هنا لتفظيع عتوهم، لأن شديد الرحمة بالخلق حقيق بالشكر له والإحسان لا بالكفر به والطغيان.

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٢/١

(٢) التحرير والتنوير، ٥/١٦

ولما كان هذا النزع والتمييز مجملا، فقد يزعم كل فريق أن غيره أشد عصيانا، أعلم الله تعالى أنه يعلم من هو أولى منهم بمقدار قلي النار فإنها دركات متفاوتة.

والصلي: مصدر صلي النار كرضي، وهو مصدر سماعي بوزن فعول. وقرأه حمزة، والكسائي، وحفص، وخلف بكسر الصاد إتباعا لحركة اللام، كما تقدم في ﴿جثيا﴾ .

وحرفا الجر يتعلقات بأفعلي التفضيل.

[٧١-٧٢] ﴿وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾

لما ذكر انتزاع الذين هم أولى بالنار من بقية طوائف الكفر عطف عليه أن جميع طوائف الشرك يدخلون النار، دفعا لتوهم أن انتزاع من هو أشد على الرحمان عتيا هو قصارى ما ينال تلك الطوائف من العذاب، بأن يحسبوا أن كبراءهم يكونون فداء لهم من النار أو نحو ذلك، أي وذلك الانتزاع لا يصرف بقية الشيع عن النار فإن الله أوجب على جميعهم النار.

وهذه الجملة معترضة بين جملة ﴿فوربك لنحشرنهم﴾ الخ... وجملة ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا﴾ الخ...

فالخطاب في ﴿وإن منكم﴾ التفات عن الغيبة في قوله: ﴿لنحشرنهم﴾ و ﴿لنحضرنهم﴾ ؛ عدل عن الغيبة إلى الخطاب ارتقاء في المواجهة بالتهديد حتى لا يبقى مجال للالتباس المراد من ضمير الغيبة فإن ضمير الخطاب أعرف من ضمير الغيبة.

ومقتضى الظاهر أن يقال: وإن منهم إلا واردها. وعن ابن عباس أنه كان يقرأ ﴿وإن منهم﴾ .." (١)

"وكذلك قرأ عكرمة وجماعة.

فالمعنى: وما منكم أحد ممن نزع من كل شيعة وغيره إلا وارد جهنم حتما قضاه الله فلا مبدل لكلماته، أي فلا تحسبوا أن تنفعكم شفاعتهم أو تمنعكم عزة شيعكم، أو تلقون التبعة على سادتكم وعظماء أهل ضلالكم، أو يكونون فداء عنكم من النار. وهذا نظير قوله تعالى ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾ ، أي الغاوين وغيرهم.

وحرف ﴿إن﴾ للنفي.

والورود: حقيقته الوصول إلى الماء للاستقاء. ويطلق على الوصول مطلقا مجازا شائعا، وأما إطلاق الورود على الدخول فلا يعرف إلا أن يكون مجازا غير مشهور فلا بد له من قرينة.

وجملة ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ زيادة في الارتقاء بالوعيد بأنهم خالدون في العذاب، فليس ورودهم النار بموقت بأجل.

و ﴿ثم﴾ للترتيب الرتبي، تنويها بإنجاء الذين اتقوا، وتشويها بحال الذين يبقون في جهنم جثيا. فالمعنى: وعلاوة على ذلك ننجي الذين اتقوا من ورود جهنم. وليس المعنى: ثم ينجي المتقين من بينهم بل المعنى أنهم نجوا من الورود إلى النار. وذكر إنجاء المتقين، أي المؤمنين، إدماج ببشارة المؤمنين في أثناء وعيد المشركين.

وجملة ﴿ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ عطف على جملة ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ . والظالمون: المشركون.

والتعبير بالذين ظلموا إظهار في مقام الإضمار. والأصل: ونذركم أيها الظالمون.

---

(١) التحرير والتنوير، ١٦/٦٩

ونذر: نترك، وهو مضارع ليس له ماض من لفظه، أمات العرب ماضي ﴿نذر﴾ استغناء عنه بماضي ﴿ترك﴾، كما تقدم عند قوله تعالى ﴿ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾ [الأنعام: من الآية٩١] في سورة الأنعام.
فليس الخطاب في قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم على معنى ابتداء كلام؛ بحيث يقتضي أن المؤمنين يردون النار مع الكافرين ثم ينجون من عذابها، لأن هذا معنى ثقيل ينبو عنه السياق، إذ لا مناسبة بينه وبين سياق الآيات." (١)

"تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ وهذا محمل باطل، إذ ليس في هذه الآية قسم يتحلل، وإنما معنى الحديث: أن من استحق عذابا من المؤمنين لأجل معاص فإذا كان قد مات له ثلاثة من الولد كانوا كفارة له فلا يلج النار إلا ولوجا قليلا يشبه ما يفعل لأجل تحله القسم، أي التحلل منه. وذلك أن المقسم على شيء إذا صعب عليه بر قسمه اخذ بأقل ما يتحقق فيه ما حلف عليه، فقوله تحله القسم تمثيل.
ويروي عن بعض السلف روايات انهم تخوفوا من ظاهر هذه الآية. من ذلك ما نقل عن عبد الله بن رواحة، وعن الحسن البصري، وهو من الوقوف في موقف الخوف من شيء محتمل.
وذكر فعل ﴿نذر﴾ هنا دون غيره للإشعار بالتحقير، أي نتركهم في النار لا نعبأ بهم، لأن في فعل الترك معنى الإهمال.
والحتم: اصله مصدر حتمه إذ جعله لازما، وهو هنا بمعنى المفعول، أي محتوما على الكافرين، والمقتضي: المحكوم به. وجثي تقدم.
وقرأ الجمهور ﴿ثم ننجي﴾ بفتح النون الثانية وتشديد الجيم وقرأه الكسائي بسكون النون الثانية وتخفيف الجيم.
[٧٣-٧٤] ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا * وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا﴾
عطف على قوله: ﴿ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا﴾ . وهذا صنف آخر من غرور المشركين بالدنيا وإناطتهم دلالة على السعادة بأحوال طيب العيش في الدنيا فكان المشركون يتشففون على المؤمنين ويرون أنفسهم أسعد منهم.
والتلاوة: القراءة. وقد تقدمت عند قوله تعالى: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان﴾ [البقرة: من الآية١٠٢] في البقرة، وقوله: ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا﴾ [لأنفال: من الآية٢] في أول الأنفال. كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ على المشركين القرآن فيسمعون آيات النعي عليهم وإنذارهم بسوء المصير، وآيات البشارة للمؤمنين بحسن العاقبة، فكان المشركون يكذبون بذلك ويقولون: لو كان للمؤمنين خير لعجل لهم، فنحن في نعمة وأهل سيادة، وأتباع محمد من عامة الناس، وكيف يفوقوننا بل كيف يستوون معنا، ولو كنا عند الله كما يقول." (٢)

"ومعنى ﴿لا يملكون﴾ لا يستطيعون، فإن الملك يطلق على المقدرة والاستطاعة. وقد تقدم عند قوله تعالى ﴿قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا﴾ [المائدة:٧٦]

---

(١) التحرير والتنوير، ٧٠/١٦
(٢) التحرير والتنوير، ٧٢/١٦

[٨٨-٩٥] ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا * لقد جئتم شيئا إدا * تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا * أن دعوا للرحمن ولدا * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا * إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا * لقد أحصاهم وعدهم عدا * وكلهم آتيه يوم القيامة فردا﴾

عطف على جملة ﴿ويقول الأنسان أإذا ما مت﴾ [مريم: من الآية٦٦] أو على جملة ﴿واتخذوا من دون الله آلهة﴾ [مريم: من الآية٨١] إتماما لحكاية أقوالهم، وهو القول بأن لله ولدا، وهو قول المشركين: الملائكة بنات الله. وقد تقدم في سورة النحل وغيرها؛ فصريح الكلام رد على المشركين، وكنايته تعريض بالنصارى الذين شابهوا المشركين في نسبة الولد إلى الله، فهو تكملة للإبطال الذي في قوله تعالى آنفا: ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه﴾ [مريم: ٣٥] الخ.

والضمير عائد إلى المشركين، فيفهم منه أن المقصود من حكاية قولهم ليس مجرد الإخبار عنهم، أو تعليم دينهم ولكن تفظيع قولهم وتشنيعه، وإنما قالوا ذلك تأييدا لعبادتهم الملائكة والجن واعتقادهم شفعاء لهم.

وذكر ﴿الرحمان﴾ هنا حكاية لقولهم بالمعنى، وهم لا يذكرون اسم الرحمان ولا يقرون به، وقد أنكروه كما حكى الله عنهم ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن﴾ [الفرقان: من الآية٦٠]. فهم إنما يقولون: ﴿اتخذ الله ولدا﴾ كما حكي عنهم في آيات كثيرة منها آية سورة الكهف. فذكر ﴿الرحمن﴾ هنا وضع للمرادف في موضع مرادفه. فذكر اسم ﴿الرحمن﴾ لقصد إغاظتهم بذكر اسم أنكروه.

وفيه أيضا إيماء إلى اختلال قولهم لمنافاة وصف الرحمان اتخاذ الولد كما سيأتي في قوله: ﴿وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا﴾ والخطاب في ﴿لقد جئتم﴾ للذين قالوا اتخذ الرحمان ولدا، فهو التفات لقصد إبلاغهم التوبيخ على وجه شديد الصراحة لا يلتبس فيه المراد. كما تقدم في قوله آنفا: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: من الآية٧١] فلا يحسن تقدير: قل لقد جئتم.." (١)

"إلا تمثال، وهو بمعنى اللقاء والمقاربة. وشاع إطلاق هذا المصدر على جهته فصار من ظروف المكان التي تنصب على الظرفية. والتقدير: لما توجه جهة تلاقي مدين، أي جهة تلاقي بلاد مدين، وقد تقدم قوله تعالى ﴿وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار﴾ في [سورة الأعراف: ٤٧].

و ﴿مدين﴾: قوم من ذرية مدين بن إبراهيم. وقد مضى الكلام عليهم عند قوله تعالى ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا﴾ في [سورة الأعراف: ٨٥].

وأرض مدين واقعة على الشاطئ الغربي من البحر الأحمر وكان موسى قد سلك إليها عند خروجه من بلد (رعمسيس) أو (منفيس) طريقا غربية جنوبية فسلك برية تمر به على أرض العمالقة وأرض الأدوميين ثم بلاد النبط إلى أرض مدين. تلك مسافة ثمانمائة وخمسين ميلا تقريبا. وإذ قد كان موسى في سيره ذلك راجلا فتلك المسافة تستدعي من المدة نحوا من خمسة وأربعين يوما. وكان يبيت في البرية لا محالة. وكان رجلا جلدا وقد ألهمه الله سواء السبيل فلم يضل في سيره.

والسواء: المستقيم النهج الذي لا التواء فيه. وقد ألهمه الله هذه الدعوة التي في طيها توفيقه إلى الدين الحق.

---

(١) التحرير والتنوير، ٨٤/١٦

[٢٣-٢٤] ﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾

يدل قوله ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ أنه بلغ أرض مدين، وذلك حين ورد ماءهم. والورود هنا معناه الوصول والبلوغ كقوله تعالى ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] بالماء موضع الماء. وماء القوم هو الذي تعرف به ديارهم لأن القبائل كانت تقطن عند المياه وكانوا يكنون عن أرض القبيلة بماء بني فلان، فالمعنى: ولما ورد، أي عندما بلغ بلاد مدين. ويناسب الغريب إذا جاء ديار قوم أن يقصد الماء لأنه مجتمع الناس فهنالك يتعرف لمن يصاحبه ويضيفه.

و ﴿لما﴾ حرف توقيت وجود شيء بوجود غيره، أي عندما حل بأرض مدين وجد أمة.." (١)

"فهذه أقسام الكفر والنفاق، وأخص أصحاب النار والاختصاص من الخلود فيها ولعنهم وهي حسبهم، وهم الذين نسوا الله فنسيهم،وهم عين من ذكر في هذه السورة سورة الحشر، ثم جاء مقابلة تماما في نفس السياق في قوله تعالى؟: ﴿و؟لمؤمنون و؟لمؤمن؟ت بعضهم أولياء بعض يأمرون ب؟لمعروف وينهون عن ؟لمنكر ويقيمون ؟لصلو؟ة ويؤتون ؟لزكو؟ة ويطيعون ؟لله ورسوله أول؟ئك سيرحمهم ؟لله إن ؟لله عزيز حكيموعد ؟لله ؟لمؤمنين و؟لمؤمن؟ت جن؟ت تجري من تحتها ؟لأنه؟ر خ؟لدين فيها ومس؟كن طيبة فى جنات عدن ورضو؟ن من ؟لله أكبر ذ؟لك هو ؟لفوز ؟لعظيم﴾.

وهذه أيضا أخص صفات أهل الجنة، من الرحمة والرضوان، والخلود، والإقامة الدائمة في جنات عدن، إذ العدن الإقامة الدائمة، ومنها المعدن لدوام إقامته في مكانه، ورضوان من الله أكبر.

ثم يأتي الختام في المقامين متحدا، وهو الحكم بالفوز لأصحاب الجنة، ففي آية التوبة ﴿ذ؟لك هو ؟لفوز ؟لعظيم﴾ وفي آية الحشر ﴿أصح؟ب ؟لجنة هم ؟لفآئزون﴾، وبهذا علم من هم أصحاب النار، ومن هم أصحاب الجنة.

وتبين ارتباط هذه المقابلة بين هذين الفريقين، وبين ما قبلهم ممن نسوا فأنساهم أنفسهم، ومن اتقوا الله وقدموا لغدهم، وبهذا يعلم أن عصاة المسلمين غير داخلين هنا في أصحاب النار، لما قدمنا من أن أصحاب النار هم المختصون بها ممن كفروا بالله وكذبوا بآياته، وكما يشهد لهذا قوله تعالى؟ ﴿وإن منكم إلا واردها كان على؟ ربك حتما مقضياثم ننجى ؟لذين ؟تقوا ونذر ؟لظ؟لمين فيها جثيا﴾، والظالمون هنا هم المشركون في ظلمهم أنفسهم.." (٢)

"وهو كما هو هنا ﴿فأنذرتكم نارا تلظى؟ * لا يصل؟هآ إلا ؟لاشقى * ؟لذى كذب وتولى؟﴾، وهو المعنى في قوله قبله : ﴿وأما من بخل و؟ستغنى؟ * وكذب ب؟لحسنى؟﴾، مما يدل أن للنار عدة حالات أو مناطق أو منازل ، كل منزلة تختص بصنف من الناس ، فاختصت لظى بهذا الصنف ، واختصت سقر بمن لم يكن من المصلين ، وكانوا يخوضون مع الخائضين ، ونحو ذلك . ويشهد له قوله : ﴿إن ؟لمن؟فقين فى ؟لدرك ؟لاسفل من ؟لنار﴾، كما أن الجنة منازل ودرجات ، حسب أعمال المؤمنين ، والله تعالى أعلم . ﴿لا يصل؟هآ إلا ؟لاشقى * ؟لذى كذب وتولى؟ * وسيجنبها ؟لاتقى * ؟لذى يؤتى ماله يتزكى؟﴾. هذه الآية من مواضع الإيهام ، ولم يتعرض لها في دفع إيهام الاضطراب ، وهو أنها تنص وعلى سبيل

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٧/٢٠

(٢) تتمة أضواء البيان للشيخ عطية محمد سالم، ٨٧/١

الحصر ، أنه لا يصلى النار إلا الأشقى مع مجيء قوله تعالى؟ : ﴿وإن منكم إلا واردها كان على؟ ربك حتما مقضيا﴾ مما يدل على ورود الجميع .

والجواب من وجهين : الأول كما قال الزمخشري : إن الآية بين حالي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين ، فأريد أن يبالغ في صفتيهما المتناقضتين .

فقيل : الأشقى وجعل مختصا بالصلى ، كأن النار لم تخلق إلا له ، وقال الأتقى ، وجعل مختصا بالجنة ، وكأن الجنة لم تخلق إلا له ، وقيل : عنهما هما أبو جهل أو أمية بن خلف المشركين ، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه ، حكاه أبو حيان عن الزمخشري .." (١)

"والوجه الثاني : هو أن الصلى الدخول والشي ، وأن يكون وقود النار على سبيل الخلود ، والورود والدخول المؤقت بزمن غير الصلى لقوله في آية الورود ، التي هي قوله تعالى؟ : ﴿وإن منكم إلا واردها﴾، ﴿ثم ننجى ؟لذين ؟تقوا ونذر ؟لظ؟لمين فيها جثيا﴾، ويبقى الإشكال ، بين الذين اتقوا وبين الأتقى ويجاب عنه : بأن التقى يرد ، والأتقى لا يشعر بورودها ، كمن يمر عليها كالبرق الخاطف . والله تعالى أعلم .

ولولا التأكيد في آية الورود بالمجيء بحرف من وإلا وقوله : ﴿كان على؟ ربك حتما مقضيا﴾ لولا هذه المذكورات لكان يمكن أن يقال : إنها مخصوصة بهذه الآية ، وأن الأتقى لا يردها ، إلا أن وجود تلك المذكورات يمنع من القول بالتخصيص . والله تعالى أعلم .

وفيه تقرير مصير القسمين المتقدمين ، من أعطى واتقى وصدق ، ومن بخل واستغنى وكذب ، وأن صليها بسبب التكذيب والتولي والإعراض وهو عين الشقاء ، ويتجنبها الأتقى الذي صدق ، وكان نتيجة تصديقه أنه أعطى ماله يتزكى ، وجعل إتيان المال نتيجة التصديق أمر بالغ الأهمية .

وذلك أن العبد لا يخرج من ماله شيئا إلا بعوض ، لأن الدنيا كلها معاوضة حتى الحيوان تعطيه علفا يعطيك ما يقابله من خدمة أو حليب . إلخ .

فالمؤمن المصدق بالحسنى يعطي وينتظر الجزاء الأوفى الحسنة بعشر أمثالها ، لأنه مؤمن أنه متعامل مع الله ، كما في قوله : ﴿من ذا ؟لذى يقرض ؟لله قرضا حسنا﴾.." (٢)

"وتقدم للشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه في الكلام على سورة غافر ، عند ﴿وحاق بأال فرعون سو؟ء ؟لعذاب﴾، إثبات عذاب القبر من القرآن .

وكذلك بيان معناه في آخر سورة الزخرف عند الكلام على قوله تعالى؟ : ﴿ف؟صفح عنهم وقل سل؟م فسوف يعلمون﴾. وهذا الزجر هنا والتحذير لهم ردا على ما كانوا عليه في التكاثر.

كما قال الشاعر : ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزة للكاثر

---

(١) تتمة أضواء البيان للشيخ عطية محمد سالم، ٢/١٩٦

(٢) تتمة أضواء البيان للشيخ عطية محمد سالم، ٢/١٩٧

وأصرح دليل لإثبات عذاب القبر من القرآن ، هو قوله تعالى؟ : ﴿؟لنار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم ؟لساعة أدخلو؟ا ءال فرعون أشد ؟لعذاب﴾، لأن الأول في الدنيا ، والثاني في الآخرة . ﴿كلا لو تعلمون علم ؟ليقين * لترون ؟لجحيم * ثم لترونها عين ؟ليقين﴾. لو : هنا شرطية ، جوابها محذوف باتفاق قدره ابن كثير أي لو علمتم حق العلم ، لما ألهاكم التكاثر عن طلب الآخرة ، حتى صرتم إلى المقابر ، وعلم اليقين : أجاز أبو حيان إضافة الشيء لنفسه ، أي لمغايرة الوصف ، إذ العلم هو اليقين ، ولكنه آكد منه .

وعن حسان قوله :

سرنا وساروا إلى بدر لحتفهم لو يعلمون يقين العلم ما ساروا

ولترون الجحيم : جواب لقسم محذوف .

وقال : المراد برؤيتها عند أول البعث ، أو عند الورود ، أو عند ما يتكشف الحال في القبر .

ثم لترونها عين اليقين :

قيل : هذا للكافر عند دخولها ، هذا حاصل كلام المفسرين .

ومعلوم أن هذا ليس لمجرد الإخبار برؤيتها ، ولكن وعيد شديد وتخويف بها ، لأن مجرد الرؤية معلوم .

وإن **منكم إلا واردها** ، ولكن هذه الرؤية أخص ، كما في قوله : ﴿ورأى ؟لمجرمون ؟لنار فظنو؟ا أنهم مواقعوها﴾، أي أيقنوا بدليل قوله : ﴿ولم يجدوا عنها مصرفا﴾.

وقد يبدو وجه في هذا المقام ، وهو أن الرؤية هنا للنار نوعان :." (١)

"إيجاز البيان عن معاني القرآن ، ج ٢ ، ص : ٥٤١

سيبويه «١» هو مبني بتقدير : الذي هو أشد ، فلما حذف «هو» واطرد الحذف صار كبعض الاسم فبني.

٧١ وإن **منكم إلا واردها** : ورود حضور ومرور «٢». وقال رجل من الصحابة - لآخر : أيقنت بالورود؟ قال : نعم ، قال : وأيقنت بالصدر؟ قال :

لا ، قال : ففيم الضحك؟ ففيم التثاقل «٣»؟!.

٧٣ نديا : مجلسا «٤» ، ندوت القوم أندوهم : جمعتهم فندوا :

اجتمعوا «٥».

٧٤ ورءيا : مهموزا «٦» على وزن «رعي» اسم المرئي ، رأيته رؤية ورأيا ، والمصدر رئي كالرعي والرعي ، أي : أحسن متاعا ومنظرا «٧».

---

(١) الكتاب : ٢/ ٣٩٨.

(٢) أخرج الطبري نحو هذا القول في تفسيره : ١٦/ ١١٠ عن قتادة.

---

(١) تتمة أضواء البيان للشيخ عطية محمد سالم، ٣١٣/٢

ونقله ابن الجوزي في زاد المسير : ٥/ ٢٥٦ عن عبيد بن عمير.

(٣) نقل ابن الجوزي في زاد المسير : ٥/ ٢٥٥ عن الحسن البصري أنه قال : «قال رجل لأخيه : يا أخي أتاك إنك وارد النار؟ قال : نعم ، قال : فهل أتاك أنك خارج منها؟ قال : لا ، قال : ففيم الضحك؟!».

وأورد نحوه القرطبي في التذكرة : ٤٠٤ عن الحسن رحمه الله تعالى.

قال القرطبي رحمه الله : «و قد أشفق كثير ممن تحقق الورود ، والجهل بالصدر. كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه يقول : ليت أمي لم تلدني. فتقول له امرأته : يا أبا ميسرة إن الله قد أحسن إليك وهداك إلى الإسلام ، قال : أجل ، ولكن الله قد بين لنا أنا واردو النار ولم يبين لنا أنا صادرون».

(٤) معاني القرآن للفراء : ٢/ ١٧١ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة : ٢/ ١٠ ، وغريب القرآن لليزيدي : ٢٤١.

(٥) اللسان : ١٥/ ٣١٧ (ندى).

(٦) قراءة عاصم ، وابن كثير ، وأبي عمرو ، وحمزة ، والكسائي.

ينظر السبعة لابن مجاهد : ٤١١ ، وحجة القراءات : ٤٤٦ ، والتبصرة لمكي : ٢٥٦. [.....]

(٧) معاني القرآن للفراء : ٢/ ٧١ ، وغريب القرآن لليزيدي : ٢٤١ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ٢٧٥.." [(١)]

"إعجاز البيان في تفسير أم القرآن ، ص : ٣٠١

وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ « ١ » الْقِيامَةِ وَالسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ « ٢ » فافهم.

فلليد الواحدة المضاف إليها عموم السعداء الرحمة والحنان « ٣ » كما ورد ، وللأخرى القهر والغضب ولوازمهما ، ولكلّ منهما دولة وسلطنة يظهر حكمها في السعداء القائمين بشروط العبوديّة وحقوق الربوبيّة حسب الإمكان ، وفي الأشقياء المعتدين الجائرين المنحرفين عن سنن الاعتدال الذي نبّهناك عليه ، المفرطين في حقوق الألوهة « ٤ » والمضيفين إلى أنفسهم ما لا يستحقّونه على الوجه الذي يتوهّمونه.

وغاية حظّهم من تلك الأحكام ما اتّصل بهم بشفاعة ظاهر الصورة الإنسانيّة المحاكية بصورة الإنسان الحقيقي الكامل ، وشفاعة نسبة الجمعيّة ، والقدر المشترك الظاهر بعموم الرحمة الظاهرة الحكم في هذه الدار ، وقد عرّفتك بأسرارها ، فتذكّر.

فلمّا جهلوا كنه الأمر ، اغترّوا وادّعوا واجترءوا وأشركوا وأخطئوا في إضافة الألوهة حقيقة إلى صورة متشخّصة لم يظهر عليها من أحكام الألوهة إلّا البعض ، فلا جرم استعدّوا بذلك لاتّصال أحكام الغضب بهم ، ولأن يكونوا هدفا لسهامها « ٥ » ، فالحقّ سبحانه من حيث اسميه : « الحكم » « العدل » يطالبهم بحقّ ألوهته « ٦ » ، ويحكم بينها « ٧ » وبينهم ، ويغضب لها على من بخسها حقّها ، وجار وجهل سرّها ، ولم يقدّرها قدرها.

ولو لا سبق الرحمة الغضب وغلبتها بالرحمة الذاتيّة الامتنانيّة التي هي للوجه الجامع بين اليدين ، ما تأخّرت عقوبة من شأنه

---

(١) إيجازالبيان عن معاني القرآن، ٢/٥٤١

ما ذكر.

هذا ، مع أنّه ما ثمّ من سلم من الجور بالكلّيّة ولو لم يكن إلّا جورنا في ضمن أبينا آدم عليه السّلام حين مخالفته فإنّا إذا لم نكن غيره فبنا أذنب وسلب ، كما أنّه « ٨ » ما سلب ، كما أنّه بتلقّيه الكلمات من ربّه ، وكمال جوهريّته وجمعيّته ، رجع إلى مقامه الكريم ، فلكلّ من ذلك نصيب يجني ثمرته عاجلا بالمحن والأنكاد إن اعتني به ، وآجلا بحكم وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها « ٩ »

(١). ق : « يوم القيامة » لا توجد.

(٢). الزمر (٣٩) الآية ٦٧.

(٣). ه : الجنان.

(٤). ق ، ه : الألوهيّة. [.....]

(٥). في بعض النسخ : لسامها.

(٦). ق : الرهبة.

(٧). ق : بينهما.

(٨). كذا في الأصل. والظاهر زيادة « كما أنّه » وفي ق : عنه.

(٩). مريم (١٩) الآية ٧١.." [1]

"٢- استحالة النسيان على الله عز وجل.

٣- تقرير ربوبية الله تعالى للعالمين، وبذلك وجبت له الألوهية على سائر العالمين.

٤- وجوب عبادة الله تعالى ووجوب الصبر عليها حتى الموت.

٥- نفي التشبيه والمثل والنظير لله إذ هو الله أحد لم يكن له كفوا أحد.

ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا (٦٦) أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٧) فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠) وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)

شرح الكلمات:

ويقول الإنسان : أي الكافر بلقاء الله تعالى.

ولم يك شيئا: أي قبل خلقه فلا ذات له ولا اسم ولا صفة.

جثيا: أي جاثمين على ركبهم في ذل وخوف وحزن.

(١) إعجاز البيان في تفسير أم القرآن نسخة معدلة، ص/٣٠١

من كل شيعة: أي طائفة تعاونت على الباطل وتشيع بعضها لبعض فيه.

عتيا: أي تكبرا عن عبادته وظلما لعباده.

أولى بها صليا: أي أحق بها اصطلاء واحتراقا وتعذيبا في النار.

إلا واردها: أي مارا بها إن وقع بها هلك، وإن مر ولم يقع نجا.

حتما مقضيا : أي أمرا قضى به الله تعالى وحكم به وحتمه فهو كائن لابد.

فيها جثيا: أي في النار جاثمين على ركبهم بضهم إلى بعض.." (١)

"أولى بها صليا﴾ يخبر تعالى بعلمه بالذين هم أجدر وأحق بالاصطلاء بعذاب النار، وسوف يدخلهم النار قبل غيرهم ثم يدخل باقيهم بعد ذلك وهو معنى قوله عز وجل: ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا﴾١.

وقوله: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ ، فإنه يخبر عز وجل عن حكم حكم به وقضاء قضى به وهو أنه ما من واحد منا معشر بني آدم إلا وارد جهنم وبيان ذلك كما جاء في الحديث أن الصراط جسر يمد على ظهر جهنم والناس يمرون فوقه فالمؤمنون يمرون ولا يسقطون في النار والكافرون يمرون فيسقطون في جهنم. وهو معنى قوله في الآية (٧٢) ﴿ثم ننجي الذين اتقوا٢﴾ أي ربهم فلم يشركوا به ولم يعصوه بترك واجب ولا بارتكاب محرم ﴿ ونذر الظالمين ﴾ بالتكبر والكفر وغشيان الكبائر من الذنوب ﴿فيها جثيا﴾ أي ونترك الظالمين فيها أي جهنم جاثمين على ركبهم يعانون أشد أنواع العذاب.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بالحشر والإحضار حول جهنم والمرور على الصراط.

٢ - تقرير معتقد الصراط في العبور عليه إلى الجنة.

٣- تقديم رؤساء الضلال وأئمة الكفر إلى جهنم قبل الأتباع الضالين.

٤- تقرير حتمية المرور على الصراط.

٥ - بيان نجاة الأتقياء، وهلاك الفاجرين الظالمين بالشرك والمعاصي.

---

١ يقال: صلى يصلى صليا كمضى يمضي مضيا وهوى يهوي هويا، وصليا بكسر الصاد: قراءة حفص، وبضمها: قراءة نافع، وهو مصدر صلي النار كرضي وهو مصدر سماعي بوزن فعول، قلبت فيه الواو ياء وأدغمت في الياء فصار صليا كما تقدم في جثيا.

٢ حاول صاحب التحرير أن يرد مذهب الجمهور في ورود المؤمنين على الصراط كسائر الخلق ثم ينجي الله الذين اتقوا حيث يجتازونه بسلام ويقع فيه الكافرون فلا يخرجون وما هناك حاجة إلى رد مذهب الجمهور من أئمة الإسلام إذ حديث

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٣٢٣/٣

الصراط والمرور به ثابت قطعيا ففي صحيح مسلم: "ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة فيقولون: اللهم سلم سلم قيل: يا رسول الله: وما الجسر؟ قال: دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون فيها شويكة يقال لها: السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم، وبهذا الصراط.. فسر السلف الورود على جهنم، ولم يقولوا بلازم الورود وهو الدخول، إذ قد يرد المرء على الحوض ويقف على طرفه ولا يدخل فيه وورد وصح قول الرسول صلى الله عليه وسلم فيمن مات له ثلاثة ولد لم يبلغوا الحنث لا تمسه النار إلا تحلة القسم" وهو الورود على متن جهنم نظرا إلى الآية ﴿وإن منكم إلا واردها﴾.." (١)

"٣- إنها: سببٌ للنجاة يوم القيامة من عذاب الله، قال تعالى: وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا مريم:٧١،٧٢. وقال تعالى: وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى الليل:١٧.

٤- إنها: سببٌ لقبول الأعمال، قال تعالى: إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ المائدة:٢٧.

٥- إن التقوى سببٌ قويٌ لأن يرثوا الجنة، قال تعالى: تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا مريم:٦٣.

٦- إن المتقين لهم في الجنة غُرفٌ مبنيةٌ من فوقها غُرف، قال تعالى: لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ الزمر:٢٠.

وفي الحديث: إن في الجنة لغرفاً يرى بطونها من ظهورها، وظهورها من بطونها فقال أعرابي: لمن هذا يا رسول الله؟ قال : لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وصلّى بالليل والناس نيام.

٧- إنهم بسبب تقواهم يكونون فوق الذين كفروا يوم القيامة في محشرهم، ومنشرهم، ومسيرهم، ومأواهم، فاستقروا في الدرجات في أعلى عليين، قال تعالى: زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ البقرة:٢١٢.." (٢)

"﴿ثم لننزعن من كل شيعة﴾ أي : من كل أمة تشيعت دينا من الأديان ، ﴿أيهم أشد على الرحمن عتيا﴾ أي : من كان منهم أعصى وأعتى ، فيطرحهم فيها. قال ابن عباس : أي : أيهم أشد جرأة ، وقال مجاهد : فجورا وكذبا ، وقال مقاتل : علوا ، أو غلوا في الكفر ، أو كبرا ، وقال الكلبي : قائدهم ورأسهم ، أي : فيبدأ بالأكابر فالأكابر بالعذاب ، ثم الذي يليهم جرما. وفي ذكر الأشدية تنبيه على أنه تعالى يعفو عن بعض أهل العصيان من غير الكفرة ، إذا قلنا بعموم الآية ، وأما إذا خصصناها بالكفرة ، فالأشدية باعتبار التقديم للعذاب.

قال تعالى : ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا﴾ أي : أولى بصليها وأحق بدخولها ، وهم المنتزعون الذين هم أشدهم عتوا ، أو رؤوسهم ، فإن عذابهم مضاعف لضلالهم وإضلالهم.

٢٤١

﴿وإن منكم إلا واردها﴾ ، فيه التفات لإظهار مزيد الاعتناء ، وقرئ : " وإن منهم ". ويحتمل أن يكون الخطاب لجميع

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٣٢٥/٣

(٢) آيات التقوى في القرآن الكريم، ص/٢٠

الخلق ، أي : وإن منكم أيها الناس ﴿إلا واردها﴾ أي : واصلها وحاضرها ، يمر بها المؤمنون وهي خامدة ، وتنهار بغيرهم. وعن جابر أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال : " إذا دخل أهل الجنة قال بعضهم لبعض : أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار ؟ فيقال لهم : قد وردتموها وهي خامدة " وأما قوله تعالى : ﴿أولئك عنها مبعدون﴾ فالمراد به الإبعاد عن عذابها ، وقيل : ورودها : الجواز على الصراط بالمرور عليها.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٤٠

". (١)

"الإشارة : من أراد كرامة الآخرة فليرب يقينه فيها ، حتى تكون نصب عينيه ، فإنه يرد على الله كريما. ومن أراد السلامة من أهوالها فليخفف من أوساخها وأشغالها ، ويلازم طاعة الله واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم. ومن أراد سرعة المرور على الصراط ، فليلزم اليوم اتباع الصراط المستقيم ، فبقدر ما يستقيم عليها تستقيم أقدامه على الصراط ، وبقدر ما يزل عنها يزل عن الصراط.

قال في الإحياء ، لما تكلم على العدل في الكيل والوزن ، قال بعد كلامه : وكل مكلف فهو صاحب موازين في أفعاله وأقواله وخطراته ، فالويل له إن عدل عن العدل ، ومال عن الاستقامة ، ولولا تعذر هذا واستحالته لما ورد قوله تعالى : ﴿وإن منكم إلا واردها...﴾ الآية ، فلا ينفك عبد ليس معصوما عن الميل عن الاستقامة ، إلا أن درجات الميل تتفاوت تفاوتا عظيما ، فبذلك تتفاوت مدة إقامتهم في النار إلى أوان الخلاص ، حتى لا يبقى بعضهم إلا بقدر تحلة القسم ، ويبقى بعضهم ألفا وألوف سنين ، نسأل الله تعالى أن يقربنا من الاستقامة والعدل ، فإن الاستداد على متن الصراط المستقيم من غير ميل عنه غير مطموع فيه ؛ فإنه أدق من الشعرة ، وأحد من السيف ، ولولاه لكان المستقيم عليه لا يقدر على جواز الصراط الممدود على متن النار ، الذي من صفته أنه أدق من الشعر ، وأحد من السيف ، وبقدر الاستقامة على الصراط المستقيم يخف مرور العبد يوم القيامة على الصراط. هـ.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٤٠

". (٢)

"١٢٠٤٩- حدثنا أبو زرعة، ثنا منجاب، ثنا بشر بن عمارة، عن مرزوق بن أبي سلامة، قال نافع بن الأزرق لابن عباس: يا ابن عباس"ما الورود ؟ قال: الدخول، قال: إنما الورود: الوقوف على شفيرها، قال: فقال ابن عباس: والله لأردنها ولتردنها وإني لأرجوا أن أكون من الذين، قال الله: " ثم ننجي الذين اتقوا " وتكون أنت من الذين، قال الله تعالى: " ونذر الظالمين فيها جثيا " قال: وكذلك كان يقرأها ويحك يا نافع بن الأزرق أما تقرأ كتاب الله: " وما أمر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار " أفتراه ويحك، إنما أقامهم على شفيرها، والله تعالى يقول: " ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب "

---

(١) البحر المديد. ، ٣٤٩/٤

(٢) البحر المديد. ، ٣٥١/٤

قوله تعالى: " وبئس الورد المورود "

١٢٠٥٠- أخبرنا أحمد بن الأزهر أبو الأزهر، فيما كتب إلي، ثنا وهب بن جرير، ثنا أبي، عن علي بن الحكم، عن الضحاك، أما قوله: " وبئس الورد المورود " فإن ابن عباس كان يقول:"المورود في القرآن أربعة أوراد، وإن منكم إلا واردها".

قوله تعالى: " وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة " ." (١)

" على أنه استفهامي وخبرة أشد والجملة محكية والتقدير لننزعن من كل شيعة الذين يقال لهم أيهم اشد أو معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم أو مستأنفة والفعل واقع على كل شيعة على زيادة من أو على معنى لننزعن بعض كل شيعة كقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا وعلى للبيان فيتعلق بمحذوف كأن سائلا قال على من عتوا فقيل على الرحمن أو متعلق بأفعل وكذا الباء في قوله تعالى

مريم ٧٠ ٧٣ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا أي هم أولى بصلبها أو صليهم أولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز أن يراد بهم وبأشدهم عتيا رؤساء الشيعة فإن عذابهم مضاعف لضلالهم وإضلالهم والصلي كالعتى صيغة وإعلالا وقرئ بضم الصاد وإن منكم التفات لإظهار مزيد الاعتناء بمضمون الكلام وقيل هو خطاب للناس من غير التفات إلى المذكور ويؤيد الأول أنه قرئ وإن منهم أي ما منكم أيها **الإنسان إلا واردها أي** واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتهار بغيرهم وعن جابر أنه صلى الله عليه و سلم سئل عنه فقال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة وأما قوله تعالى أولئك عنها مبعدون فالمراد به الإبعاد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط الممدود عليها كان أي ورودهم إياها على ربك حتما مقضيا أي أمرا محتوما أوجبه الله عز و جل على ذاته وقضى أنه لا بد من وقوعه البتة وقيل أقسم عليه ثم ننجي الذين اتقوا الكفر والمعاصي مما كانوا عليه من حال الجثو على الركب على الوجه الذي سلف فيساقون إلى الجنة وقرئ ننجي بالتخفيف وينجي وينجى على البناء للمفعول وقرئ ثمة ننجي بفتح الثاء أي هناك ننجيهم ونذر الظالمين بالكفر والمعاصي فيها جثيا منهارا بهم كما كانوا قيل فيه دليل على أن المراد بالورود الجثو حواليها وأن المؤمنين يفارقون الفجرة بعد تجاثيهم حولها ويلقى الفجرة فيها على هيآتهم وقوله تعالى وإذا تتلى عليهم الآية إلى آخرها حكاية لما قالوا عند سماع الآيات الناعية عليهم فظاعة حالهم ووخامة مآلهم أي وإذا تتلى على المشركين آياتنا التي من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بحسن حال المؤمنين وسوء حال الكفرة وقوله تعالى بينات أي مرتلات الألفاظ مبينات المعاني بنفسها أو ببيان الرسول صلى الله عليه و سلم أو بينات الإعجاز حال مؤكدة من آياتنا قال الذين كفروا أي قالوا ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على أنهم قالوا ما قالوا كافرين بما يتلى عليهم رادين له أو قال الذين مردوا منهم على الكفر ومرنوا على العتو والعناد وهم النضر بن الحرث وأتباعه ." (٢)

"هل تعلم له سميا أي مثلا أي أنك لا تعلمه و سميا هو من المساماة ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا هو المشرك يكذب بالبعث قال الله أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا فالذي خلقه ولم يك شيئا قادر

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٢٥٧/٨

(٢) تفسير أبي السعود، ٢٧٦/٥

على أن يبعثه يوم القيامة ثم أقسم بنفسه فقال فو ربك لنحشرنهم يعني المشركين والشياطين الذين دعتهم إلى عبادة الأوثان ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا قال قتادة يعني على ركبهم قال محمد جثيا جمع جاث وهو نصب على الحال ثم لننزعن من كل شيعة يعني من كل أمة أيهم أشد على الرحمن عتيا قال محمد أيهم بالرفع وهي أكثر القراءة على معنى الذين يقال لهم أيهم أشد قيل المعنى والله أعلم فإنه يبدأ بالتعذيب بأشدهم عتيا ثم الذي يليه ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا يعني الذين يصلونها وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا يحيي عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود في قوله وإن **منكم إلا واردها قال** الصراط على جهنم مثل حد السيف والملائكة معهم كلاليب من حديد كلما وقع رجل اختطفوه فيمر الصف الأول كالبرق والثاني كالريح والثالث كأجود

الخيل والرابع كأجود البهائم والملائكة يقولون اللهم سلم سلم وتفسير **الحسن إلا واردها إلا** داخلها فيجعلها الله على المؤمنين بردا وسلاما كما جعلها على إبراهيم سورة مريم من آية آية قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين نحن أو أنتم خير مقاما وأحسن نديا المقام المسكن والندي المجلس قال قتادة رأوا أصحاب النبي في عيشهم خشونة فقالوا لهم ذلك قال الله وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا أي متاعا ورئيا أي منظرا في قراءة من قرأها مهموزة ومن قرأها بغير همز وريا فهو من." (١)

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ٩ ، ص : ٥٦

ثم ساقت السورة الكريمة بعد ذلك موقف المشركين من عقيدة البعث. فحكت أقوالهم الباطلة ، وردت عليهم بما يكبتهم وبينت أن يوم القيامة آت لا ريب فيه ، وأن النجاة في هذا اليوم للمتقين ، والعذاب والخسران للكافرين قال - تعالى - :

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٦٦ الى ٧٢]

ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا (٦٦) أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٧) فو ربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠)

وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)

ذكر كثير من المفسرين أن قوله - تعالى - : ويقول الإنسان ... نزل في أشخاص معينين.

فمنهم من يرى أن هذه الآية نزلت في « أبي بن خلف » فإنه أخذ عظما باليا ، فجعل يفتته بيده ، ويذريه في الريح ويقول : زعم محمد صلى الله عليه وسلم أننا نبعث بعد أن نموت ونصير مثل هذا العظم البالي ومنهم من يرى أنها نزلت في الوليد بن المغيرة ، أو في العاصي بن وائل ، أو في أبي جهل.

وعلى كل واحد من هذه الأقوال تكون أل في الإنسان للعهد ، والمراد بها أحد هؤلاء الأشخاص ، ويكون لفظ الإنسان من قبيل العام الذي أريد به الخصوص.

(١) تفسير ابن أبي زمنين، ١/٤٠٧

ومن الأساليب العربية المعروفة ، إسناد الفعل إلى المجموع ، مع أن فاعله بعضهم لا جميعهم كما يقال : بنو فلان قتلوا فلانا مع أن القاتل واحد منهم ، ومن هذا القبيل قول الفرزدق : ." (١)

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ٩ ، ص : ٦٠

ثم بين – سبحانه – أن الجميع سيرد جهنم ، فقال : وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا.

وللعلماء أقوال متعددة في المراد بقوله – تعالى – وإن منكم إلا واردها.

فمنهم من يرى أن المراد بورودها : دخولها فجميع الناس مؤمنهم وكافرهم يدخلونها ، إلا أن النار تكون بردا وسلاما على المؤمنين عند دخولهم إياها ، وتكون لهيبا وسعيرا على غيرهم.

ومنهم من يرى أن المراد بورودها : رؤيتها والقرب منها والإشراف عليها دون دخولها. كما في قوله – تعالى – ولما ورد ماء مدين أى : أشرف عليه وقاربه.

ومنهم من يرى أن المراد بورودها ، خصوص الكافرين ، أى : أنهم وحدهم هم الذين يردون عليها ويدخلونها. أما المؤمنون فلا يردون عليها ولا يدخلونها.

ويبدو لنا أن المراد بالورود هنا : الدخول ، أى : دخول النار بالنسبة للناس جميعا إلا أنها تكون بردا وسلاما على المؤمنين ، وهناك أدلة على ذلك منها.

أن هناك آيات قرآنية جاء فيها الورود ، بمعنى الدخول ، ومن هذه الآيات قوله – تعالى – : ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين. إلى فرعون وملائه فاتبعوا أمر فرعون. وما أمر فرعون برشيد. يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود « ١ ».

ومعنى فأوردهم : فأدخلهم.

يضاف إلى ذلك أن قوله – تعالى – بعد هذه الآية : ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا قرينة قوية على أن المراد بقوله وإن منكم إلا واردها .. أى : داخلها سواء أكان مؤمنا أم كافرا ، إلا أنه – سبحانه – بفضله وكرمه ينجى الذين اتقوا من حرها ، ويترك الظالمين يصطلون بسعيرها.

كذلك مما يشهد بأن الورود بمعنى الدخول ، ما أخرجه الإمام أحمد وعبد بن حميد والترمذي ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والحاكم ... عن أبى سمية قال : اختلفنا في الورود فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن ، وقال آخرون يدخلونها جميعا ، ثم ينجى الله الذين اتقوا.

قال : فلقيت جابر بن عبد الله – رضى الله عنهما – فذكرت له ذلك فقال – وأهوى بإصبعه على أذنيه – صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يبقى بر

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٥٦/٩

(١) سورة هود الآيات ص ٩٦ ، ٩٨. [.....]."[1]

"و يقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا (٦٦) أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٧) فو ربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠)

و إن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧(١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)

الإعراب :

جثيا حال إن كان جمع (جاث) ، ومنصوب على المصدر إن كان مصدرا ، لا جمعا ، أي (جثوا) وأصله (جثوو) فأبدلوا منعا للاستثقال من الضمة كسرة ، وقلبوا الواو الأخيرة ياء.

أيهم أشد بالرفع ، على رأي أكثر البصريين : في موضع نصب ب لننزعن والضمة ضمة بناء. وعلى رأي الكوفيين : مبتدأ مرفوع ، وأشد خبره ، والضمة ضمة إعراب ، ولننزعن ملغى لم يعمل. ومن قرأ بالنصب أيهم نصبها ب لننزعن وجعلها معربة ، وهي لغة بعض العرب.

وإن منكم إلا واردها : إن : بمعنى (ما) أي ما أحد منكم ، وأحد : مبتدأ ، ومنكم صفته ، وواردها خبره. ولا يجوز إعمال إن هنا لدخول حرف الاستثناء الذي يبطل عمل (ما).

البلاغة :

ويقول الإنسان أي الكافر لأنه المنكر للبعث ، فهو عام أريد به الخاص.

مت وحيا بينهما طباق.

ج ١٦ ، ص : ١٤٢

أ ولا يذكر الإنسان الاستفهام للإنكار والتوبيخ.

المفردات اللغوية : ." [2]

"و إن منكم إلا واردها ، كان على ربك حتما مقضيا أي ما منكم من أحد من الناس إلا سوف يرد إلى النار ، والورود : هو المرور على الصراط ، كان ذلك المرور أمرا محتوما ، قد قضى سبحانه أنه لا بد من وقوعه لا محالة. وقيل : الورود : الدنو من جهنم وأن يصيروا حولها ، وهو موضع المحاسبة ، وقيل :

الورود : الدخول ،

لحديث : « الورود الدخول ، لا يبقى بر ولا فاجر ، إلا دخلها ، فتكون على المؤمنين بردا وسلاما ، كما كانت على إبراهيم » .

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٦٠/٩

(٢) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ١٤٥/١٦

والأصح أن الورود : المرور ، للحديث التالي :

روى ابن أبي حاتم عن ابن مسعود قال : يرد الناس جميعا الصراط ، وورودهم قيامهم حول النار ، ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم ، فمنهم من يمر مثل

ج ١٦ ، ص : ١٤٦

البرق ، ومنهم من يمر مثل الريح ، ومنهم من يمر مثل الطير ، ومنهم من يمر كأجود الخيل ، ومنهم من يمر كأجود الإبل ، ومنهم من يمر كعدو الرجل ، حتى إن آخرهم مرا رجل نوره على موضع إبهامي قدميه ، يمر فيتكفأ به الصراط ، والصراط دحض مزلة « ١ » ، عليه حسك كحسك القتاد « ٢ » ، حافتاه ملائكة معهم كلاليب من نار ، يختطفون بها الناس.

وهذا المروي عن ابن مسعود سمعه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وروى ابن جرير عن ابن مسعود أيضا قال : الصراط على جهنم مثل حد السيف ، فتمر الطبقة الأولى كالبرق ، والثانية كالريح ، والثالثة كأجود الخيل ، والرابعة كأجود البهائم ، ثم يمرون ، والملائكة يقولون : اللهم سلم سلم.

ثم ننجي الذين اتقوا ، ونذر الظالمين فيها جثيا أي بعد أن مر الخلائق كلهم على الصراط والنار ، ننجي الذين اتقوا ما يوجب النار ، وهو الكفر بالله ومعاصيه ، ننجيهم من الوقوع في النار ، فيمرون على الصراط بإيمانهم وأعمالهم.." (١)

"٦- إن ورود جميع الخلائق على النار ، أي المرور على الصراط ، لا الدخول في النار ، أمر واقع لا محالة. وقد فسر ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار والسدي والحسن البصري الورود بالمرور على الصراط. قال الحسن : ليس الورود الدخول ، إنما تقول : وردت البصرة ولم أدخلها ، فالورود : أن يمروا على الصراط لقوله تعالى : إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون [الأنبياء ٢١/ ١٠١] قالوا : فلا يدخل النار من ضمن الله أن يبعده منها.

وقوله سبحانه بعد هذه الآية : لا يسمعون حسيسها ولو وردوا جهنم لسمعوا حسيسها ، وقوله عز وجل : وهم من فزع يومئذ آمنون [النمل ٢٧/ ٨٩].

و

قال صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه الشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة : « لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد ، تمسه النار إلا تحلة القسم »

أي لكن تحلة القسم لا بد منها في قوله تعالى : وإن **منكم إلا واردها وهو** الجواز على الصراط أو الرؤية أو الدخول دخول سلامة ، فلا يكون في ذلك شيء من مسيس النار.

ج ١٦ ، ص : ١٤٨

٧- بنجي الله المتقين ، ويخلصهم من نار جهنم ، ويترك الكافرين فيها قعودا مخلدين على الدوام. والمذهب المقبول : أن صاحب الكبيرة وإن دخلها ، فإنه يعاقب بقدر ذنبه ثم ينجو. وقالت المرجئة : لا يدخل ، وقالت الخوارج : يخلد. والقائلون بأن الورود الدخول ، احتجوا بهذه الآية : ثم ننجي الذين اتقوا .. لأنه لم يقل : وندخل الظالمين ، وإنما

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ١٦/١٥٠

قال : ونذر الظالمين.

قال خالد بن معدان : إذا دخل أهل الجنة الجنة قالوا : ألم يقل ربنا : إنا نزد النار ؟ فيقال : لقد وردتموها فألفيتموها رمادا.

وعقب القرطبي عليه قائلا : ." (١)

"٤- كرر الله تعالى في هذه السورة الوعيد بعد الوعيد ، للتأكيد والتغليظ على ثبوت عذاب القبر وعذاب الآخرة ، وأن ما وعدنا به من البعث وتوابعه حق وصدق. ثم أعاد تعالى الزجر والتنبيه على أنه إن لم يفعل الناس العمل الصالح ، وترك التفاخر بالأموال والأولاد والرجال ، يندمون ، ويستوجبون العقاب.

٥- أتى الله تعالى بوعيد آخر بقسم محذوف : والله لترون الجحيم في الآخرة ، وهذا خطاب للكفار الذين وجبت لهم النار ، وقيل : الخطاب عام ، كما قال تعالى : وإن **منكم إلا واردها [**مريم ١٩/ ٧١] فهي للكفار دار ، وللمؤمنين ممر. ثم أخبر تعالى عن رؤية الجحيم رؤية مشاهدة بالأعين ، وبعيون القلوب والأفئدة.

٦- يسأل الناس يوم القيامة عن ألوان النعيم في الدنيا ، من ظلال المساكن والأشجار ، وطيب الحياة والرفاهية ، والصحة والفراغ ، والأمن والستر ونحو ذلك. والكل يسألون ، ولكن سؤال الكفار توبيخ لأنه قد ترك الشكر ، وسؤال المؤمن سؤال تشريف لأنه شكر ، وهذا النعيم في كل نعمة. ويكون السؤال في موقف الحساب ، وقيل : بعد الدخول في النار توبيخا لهم ، والأول هو الظاهر.

ج ٣٠ ، ص : ٣٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة العصر

مكية ، وهي ثلاث آيات.

تسميتها :

سميت سورة العصر لقسم الله به في مطلعها بقوله : والعصر إن الإنسان لفي خسر والعصر : الدهر ، لاشتماله على الأعاجيب ، من سراء وضراء ، وصحة وسقم ، وغنى وفقر ، وعز وذل ، وانقسامه إلى أجزاء : سنة وشهر ويوم وساعة ودقيقة وثانية.

مناسبتها لما قبلها :." (٢)

"و قوله تعالى : ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره : وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به ، ونحوه : وما منا إلا له مقام معلوم [الصافات ٣٧/ ١٦٤] وإن منكم إلا واردها. [مريم ١٩/ ٧١] والمعنى : وما من اليهود والنصارى أحد إلا ليؤمنن قبل موته بعيسى وبأنه عبد الله ورسوله ، يعني إذا عاين الموت قبل أن تزهق روحه ، حين لا ينفعه إيمانه لانقطاع وقت التكليف « ١ » ، ولأن كل أحد ينجلي له ما كان جاهلا به ، فيؤمن به ، ولكن لا يكون

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ١٥٢/١٦

(٢) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٣٧٩/٣٠

ذلك إيمانا نافعا له إذا كان قد شاهد الملك « ٢ » .

ويوم القيامة يشهد عيسى على اليهود بأنهم كذبوه ، وعلى النصارى بأنهم دعوه « ابن الله » فتظهر حقيقة حاله ، كما قال تعالى عنه : ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم [المائدة ٥/ ١١٧] أي يشهد للمؤمنين منهم بالإيمان وعلى الكافر بالكفر لأن كل نبي شهيد على أمته كما قال تعالى : فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيدا [النساء ٤/ ٤١]

---

(١) الكشاف : ١/ ٤٣٧

(٢) تفسير ابن كثير : ١/ ٥٧٧

ج ٦ ، ص : ٢٣

على هؤلاء شهيدا [النساء ٤/ ٤١] قال قتادة عن آية ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا : يشهد عليهم أنه قد بلغهم الرسالة من الله ، وأقر بعبودية الله عز وجل.

فقه الحياة أو الأحكام :

دلت الآيات على ما يأتي :

١- أخلاق اليهود وطباعهم وعرة صعبة غريبة ، فهم لا يذعنون للحق ، وإنما يجادلون فيه ، وينحازون عنه إلى المطالبة بأمور على سبيل التعجيز والإلحاد والعناد والمراوغة والتعنت.." (١)

"﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ﴾

وما منكم - أيها الناس - أحد إلا وارد النار بالمرور على الصراط المنصوب على متن جهنم، كل بحسب عمله، كان ذلك أمرا محتوما، قضى الله - سبحانه - وحكم أنه لا بد من وقوعه لا محالة.." (٢)

"وقوله " يقدم قومه يوم القيامة " الآية أخبر الله تعالى في هذه الآية عن فرعون أنه يأتي يوم القيامة مع قومه المغرقين معه وهو يقدمهم إلى النار وأوقع الفعل الماضي في " أوردهم " موقع المستقبل لوضوح الأمر وارتفاع الإشكال عنه ووجه الفصاحة من العرب في أنها تضع أحيانا الماضي موضع المستقبل أن الماضي أدل على وقوع الفعل وحصوله والورود في هذه الآية هو ورود الدخول وليس بورود الإشراف على الشيء والإشفاء كقوله تعالى " ولما ورد ماء مدين " وقال ابن عباس في القرآن أربعة أوراد " وإن منكم إلا واردها " وقوله " ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا " وهذه في مريم وفي الأنبياء " إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون " قال وهي كلها ورد دخول ثم ينجي الله الذين اتقوا و " المورود " صفة لمكان الورد على أن التقدير " وبئس " مكان " الورد المورود " وقيل " المورود " ابتداء والخبر مقدم والمعنى المورود بئس الورد .

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ٦/٢٠

(٢) التفسير الميسر، ٥/٢٨٢

وقوله " في هذه " يريد دار الدنيا واللعنة إبعادهم بالغرق والإستئصال وقبيح الذكر غابر الدهر وقوله " ويوم القيامة " أي يلعنون أيضا بدخولهم في جهنم قال مجاهد فلهم لعنتان وذهب قوم إلى أن التقسيم هو أن لهم في الدنيا لعنة ويوم القيامة بئس ما يرفدون به فهي لعنة واحدة أولا وقبح إرفاد آخرا وقوله " بئس الرفد المرفود " أي بئس العطاء المعطى لهم و " الرفد " في كلام العرب العطية وسمي العذاب هنا رفدا لأن هذا هو الذي حل محل الرفد وهذا كما تقول يا فلان لم يكن خيرك إلا أن تضربني أي لم يكن الذي حل محل الخير منك والإرفاد المعونة .

ومنه رفادة قريش معونتهم لفقراء الحج بالطعام الذي كانوا يطعمونه في الموسم .

وقوله " ذلك من أنباء الغيب " الآية " ذلك " إشارة إلى ما تقدم من ذكر العقوبات النازلة بالأمم المذكورة والأنباء الأخبار .

و " القرى " يحتمل أن يراد بها القرى التي ذكرت في الآيات المتقدمة خاصة ويحتمل
أن يريد القرى عامة أي هذه الأنباء المقصوصة عليك هي عوائد المدن إذا كفرت فيدخل على هذا التأويل فيها المدن المعاصرة ويجيء قوله " منها قائم وحصيد " منها عامر ودائر وهذا قول ابن عباس وعلى التأويل الأول في أنها تلك القرى المخصوصة يكون قوله " قائم وحصيد " بمعنى قائم الجدرات ومتهدم لا أثر له وهذا قول قتادة وابن جريج والآية بجملتها متضمنة التخويف وضرب المثل للحاضرين من أهل مكة وغيرهم .

قوله عز وجل

سورة هود ١٠١ - ١٠٥

٢٠٦

المعنى وما وضعنا عندهم من التعذيب ما لا يستحقونه لكنهم ظلموا أنفسهم بوضعهم الكفر موضع الإيمان والعبادة في جنبة الأصنام فما نفعتهم تلك الأصنام ولا دفعت عنهم حين جاء عذاب الله .

". (١)

"أي نحن في ذلك النزع لا نضع شيئا غير موضعه لأنا قد أحطنا علما بكل أحد فالأولى بصلي النار نعرفه والصلي مصدر صلي يصلى إذا باشره قال ابن جريج المعنى " أولى " بالخلود وقوله " وإن منكم إلا واردها " قسم والواو تقتضيه ويفسره قول النبي عليه السلام من مات له ثلاث من الولد لم تمسه النار إلا تحلة القسم وقرأ ابن عباس وعكرمة وجماعة وإن منهم بالهاء على إرادة الكفار فلا شغب في هذه القراءة وقالت فرقة من الجمهور القارئين " منكم " المعنى قل لهم يا محمد فإنما المخاطب منكم الكفرة وتأويل هؤلاء أيضا سهل التناول وقال الأكثر المخاطب العالم كله ولا بد من ورود الجميع واختلفوا في كيفية ورود المؤمنين فقال ابن مسعود وابن عباس وخالد بن معدان وابن جريج وغيرهم ورود دخول لكنها لا تعدو على المؤمنين ثم يخرجهم الله منها بعد معرفتهم بحقيقة ما نجوا منه وروي عن ابن عباس أنه قال في هذه المسألة لنافع بن الأزرق الخارجي أما أنا وأنت فلا بد أن نردها فأما أنا فينجيني الله منها وأما أنت فما أظنه ينجيك وقالوا في القرآن أربعة

(١) المحرر الوجيز . ، ٢١٩/٣

أوراد معناها الدخول هذه أحدها وقوله تعالى " يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار " وقوله " ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا " وقوله " إإنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون " وقالوا كان من دعاء بعض السلف اللهم أدخلني النار سالما وأخرجني منها غانما وروى جابر بن عبد الله عن النبي عليه السلام أنه قال الورود في هذه الآية هو الدخول وأشفق كثير من العلماء من تحقق الورود والجهل بالصدر وقالت فرقة بل هو ورود إشراف وإطلاع وقرب كما تقول وردت الماء إذا جئته وليس يلزم أن تدخل فيه وقال وحسب المؤمنين بهذا هولا ومنه قوله تعالى " ولما ورد ماء مدين " وروت فرقة أن الله تعالى يجعل يوم القيامة النار جامدة الأعلى كأنها أهالة فيأتي الخلق كلهم برهم وفاجرهم فيقفون عليها ثم تسوخ بأهلها ويخرج المؤمنون

". (١)

"الفائزون لم ينهلم ضر قالوا فهذا هو الورود وروت حفصة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد من أهل بدر والحديبية فقالت يا رسول الله وأين قول الله " وإن منكم إلا واردها " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمه ثم ننجي الذين اتقوا ورجح الزجاج هذا القول بقوله تعالى " إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون " وهذا ضعيف وليس هذا موضع نسخ وقال عبد الله بن مسعود ورودهم هو جوازهم على الصراط وذلك أن الحديث الصحيح تضمن أن الصراط مضروب على جسر جهنم فيمر الناس كالبرق وكالريح وكالجواد من الخيل على مراتب ثم يسقط الكفار في جهنم وتأخذهم كلاليب قالوا فالجواز على الصراط هو الورود الذي تضمنته هذه الآية وقال مجاهد ورود المؤمنين هو الحمى التي تصيب في دار الدنيا وفي الحديث الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء وفي الحديث الحمى حظ كل مؤمن من النار وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل مريض عاده من الحمى إن الله تعالى يقول هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من نار الآخرة فهذا هو الورود والحتم الأمر المنفذ المجزوم وقرأ أبي بن كعب وابن عباس ثم ننجي بفتح الثاء من

٢٨

ثم على الظرف وقرأ ابن أبي ليلى ثمة بفتح الثاء وهاء السكت وقرأ نافع وابن كثير وجمهور من الناس ننجي بفتح النون الثانية وشد الجيم وقرأ يحيى والأعمش ننجي بسكون النون الثانية وتخفيف الجيم وقرأت فرقة نجي بنون واحدة مضمومة وجيم مشددة وقرأ علي بن أبي طالب ثم بفتح الثاء ننحي بالحاء غير منقوطة و " الذين اتقوا " معناه اتقوا الكفر وقال بعض العلماء لا يضيع أحد بين الإيمان والشفاعة " ونذر " دالة على أنهم كانوا فيها والظلم هنا هو ظلم الكفر وقد تقدم القول في قوله " جثيا " وقرأ ابن عباس الذين اتقوا منها ونترك الظالمين .

قوله عز وجل

---

(١) المحرر الوجيز .   ،   ٣٤/٤

ـ سورة مريم الآية ٧٣٧٤

" (١)

"قال القاضي أبو محمد وهذا أبدع ونظيره قول الصديق عن النبي صلى الله عليه وسلم هذا الذي يهديني السبيل الحديث فمشى عليه السلام حتى ورد " مدين " أي بلغها ووروده الماء معناه بلغه لا أنه دخل فيه ولفظة الورود قد تكون بمعنى الدخول في المورود وقد تكون بمعنى الإطلال عليه والبلوغ إليه وإن لم يدخل فيه فورود موسى هذا الماء كان بالوصول إليه وهذه الوجوه في اللفظة تتأول في قوله تعالى " وإن منكم إلا واردها " و " مدين " لا ينصرف إذ هي بلدة معروفة والأمة الجمع الكثير و " يسقون " معناه ماشيتهم و " من دونهم " معناه ناحية إلى الجهة التي جاء منها فوصل إلى المرأتين قبل وصوله إلى الأمة وهكذا هما " من دونهم " بالإضافة إليه و " تذودان " معناه تمنعان وتحبسان ومنه قوله عليه السلام فليذادن رجال عن حوضي الحديث وشاهد الشعر في ذلك كثير وفي بعض المصاحف امرأتين حابستين تذودان واختلف في المذود فقال عباس وغيره " تذودان " غنمهما عن الماء خوفا من السقاة الأقوياء وقال قتادة " تذودان " الناس عن غنمهما فلما رأى موسى عليه السلام انتزاح المرأتين " قال ماخطبكما " أي ما أمركما وشأنكما وكان استعمال السؤال بالخطب إنما هو في مصاب أو مضطهد أو من يشفق عليه أو يأتي بمنكر من الأمر فكأنه بالجملة في

شر فأخبرتاه بخبرهما وأن اباهما " شيخ كبير " فالمعنى أنه لا يستطيع لضعفه ان يباشر أمر غنمه وأنهما لضعفهما وقلة طاقتهما لا يقدران على مزاحمة الأقوياء وأن عادتهما التأني حتى يصدر الناس عن الماء ويخلى وحينئذ تردان وقالت فرقة كانت الآبار مكشوفة وكان زحم الناس يمنعهما فلما أراد موسى أن يسقي لهما زحم الناس وغلبهم على الماء حتى سقى فعن هذا الغلب الذي كان منه وصفته إحداهما بالقوة وقالت فرقة بل كانت آبارهم على أفواهها حجارة كبار وكان ورود المرأتين تتبع ما في صهاريج الشرب من الفضلات التي تبقى للسقاة وأن موسى عليه السلام عمد إلى بئر كانت مغطاة والناس يسقون من غيرها وكان حجرها لا يرفعه إلا سبعة قاله ابن زيد وقال ابن جريج عشرة وقال ابن عباس ثلاثون وقال الزجاج أربعون فرفعه موسى وسقى للمرأتين فعن رفع الصخرة وصفته بالقوة وقيل إن بئرهم كانت واحدة وإنه رفع عنها الحجر بعد انفصال السقاة إذ كانت عادة المرأتين شرب الفضلات وقرأ الجمهور نسقي بفتح النون وقرأ طلحة نسقي بضمها وقرأ أبو عمرو وابن عامر حتى يصدر بفتح الياء وضم الدال وهي قراءة الحسن وأبي جعفر وقتادة وقرأ الباقون يصدر بضم الياء وكسر الدال على حذف المفعول تقديره مواشيهم وحذف المفعول

٢٨٤

" (٢)

"ج ٢ ، ص : ٤٦٤

المنزه عن كل قبيح فاعبده ، وأقبل على العمل الصالح يثبك كما أثاب غيرك من المتقين الأبرار ، واصطبر للعبادة ففيها

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٣٥/٤

(٢) المحرر الوجيز . ، ٣٣٤/٤

الشدائد ، ولكن لها ثوابها هل تعلم له سميا سمى باسم الله أو اسم الرحمن ، هل تعلم له من يشاركه في مسماه ويشبهه في شيء.

تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، ولما انتفى المشارك لله استحق أن يكون هو المعبود بحق دون سواه ، وأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، والاستفهام في الآية للإنكار ، والمراد بنفي العلم هنا نفى الشريك على أبلغ وجه.

المنكرون للبعث وجزاؤهم [سورة مريم (١٩) : الآيات ٦٦ الى ٧٢]

ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا (٦٦) أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٧) فو ربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠)

وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)

المفردات :

جثيا جمع جاث والمراد أنهم بركوا على ركبهم يقال : جثا يجثو إذا جلس على ركبته شيعة فرقة تشيعت لشخص أو لمبدأ عتيا عصيانا يقال عتا يعتو عتوا أى : صار عاتيا عاصيا صليا دخولا يقول صلى النار يصلى دخلها.." (١)

"ج ٢ ، ص : ٤٦٥

المعنى :

ويقول بعض أفراد الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا : وأبعث للحساب ؟ !! إن هذا لعجيب!! نعم يقول الكفار منكرين مستبعدين الحياة للبعث والثواب : أحقا أنا سنخرج أحياء بعد أن متنا ، وتمكن فينا الموت والهلاك ؟ ! والمراد الخروج من القبر أو حال الفناء ، وانظر يا أخى إلى تصوير القرآن لإنكارهم الشديد وأنه منصب على ما بعد الموت ، وهو كون الحياة منكرة ، ولذا قال : أإذا ما مت لسوف أخرج حيا ؟

فهو كقولك أحين تمت عليك نعمة فلان تسيء إليه ؟ ؟ ويقول الله - سبحانه وتعالى - في الرد على هؤلاء :

أيقول الكافر ذلك ولا يتذكر أنا خلقناه من قبل ، ولم يك شيئا ؟ !! أيقول الكافر ذلك ولا يتذكر نشأته الأولى ، حتى لا ينكر إعادته للبعث فإن الأولى أعجب وأغرب ، وأدل على قدرة الله حيث خلقه ، ولم يك شيئا أبدا فقد خلقه من غير مثال يحتذيه ولا نظام سابق يعيده ويحييه ، وأما الحياة الثانية فقد تقدمت نظيرتها ، وكل ما فيها إعادة تأليف أجزاء تبعثرت ، وتركيبها كما كانت فالإعادة أهون بالنسبة للأولى ، وإن كان البدء والإعادة سواء عند الله - سبحانه وتعالى - .

فوربك يا محمد لنحشرنهم والشياطين ، إنه قسم من الله برب محمد فهو تشريف له وأى تشريف ؟

والله أقسم ليحشرنهم جميعا بعد بعثهم من قبورهم ، ومعهم الشياطين التي هي سبب إغوائهم وضلالهم ليأخذ الكل جزاءه غير منقوص وليروا بأنفسهم أن الشيطان أضلهم وأعمى أبصارهم وسيتنصل منهم وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا

---

(١) التفسير الواضح ـ موافقا للمطبوع، ٤٦٤/٢

أنفسكم [سورة إبراهيم آية ٢٢].

ثم بعد هذا لنحضرنهم جميعا حول جهنم جاثمين على ركبهم غير قادرين على الوقوف على أرجلهم من شدة الهول وترى كل أمة جاثية [سورة الجاثية آية ٢٨].

وهل الضمير هنا في قوله لنحضرنهم للعموم أو للكفار فقط ؟ وهذا سيظهر عند الكلام على قوله : وإن منكم إلا واردها.." (١)

"ج ٢ ، ص : ٤٦٦

ثم بعد هذا لننزعن من كل شيعة الذي هو أشد على الرحمن عصيانا وفسوقا ، والمعنى نختار من كل طائفة من طوائف الغي والفساد أعصاهم فأعصاهم فإذا اجتمعوا في غل واحد طرحناهم في الجحيم على الترتيب نقدم أولاهم بالعذاب فالذي بعده وهكذا.

ثم لنحنأعلم بالذين هم أولى بجهنم صليا ودخولا ، ومن هذه الآية وأشباهها نعلم أن الله – سبحانه وتعالى – جعل لأئمة الكفر وقادة الضلال عذابا أشد ، ودركا أسفل في النار الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون [النحل ٨٨] وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم [العنكبوت ١٣].

وإن منكم من **أحد إلا واردها** ،كان على ربك حتما مقضيا ، وفي هذه الآية الحكم بورود جميع الخلق على النار ، ومن هنا اختلف المفسرون في معنى الورود. فهل هو الدخول بالفعل ؟ أو هو المرور عليها من غير دخول ؟ قيل الناس جميعا يدخلونها فأما المؤمنون فتكون عليهم بردا وسلاما ، وروى في تلك أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال. إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي جامدة ، وأما قوله – تعالى – : إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون « ١ » فالمراد أنهم مبعدون عن عذابها ، ولعل الحكمة في الورود بهذا المعنى ليروا ما أعد للكافرين والعصاة ، وما أعد لهم فيزدادوا فرحا وسرورا ، وليمتلئ قلب الكافر حسرة وندما على ما فرط منه.

ويجوز أن يراد بالورود الجثو حولها فقط من غير دخول فيها ، أو الورود بمعنى المرور على الصراط أما المؤمنون فينجون وأما الكافرون فيسقطون ، ويرشح هذا أن قول العرب « وردت القافلة البلد » لا يلزم منه دخولها ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون « ٢ » ولعل الرأى الأول أرجح وهو تفسير الورود بالدخول لقوله تعالى.

ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا حيث لم يقل وندخل الظالمين ، ولتظاهر السنة الشريفة على هذا المعنى.

وهذا كله إذا أريد العموم في قوله وإن **منكم إلا واردها أى** : من الناس جميعا فإن أريد الكافرون فقط فلا خلاف في معنى الورود.

---

(١) التفسير الواضح ـ موافقا للمطبوع، ٢/٤٦٥

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠١.

(٢) سورة القصص الآية ٢٣.." (١)

"" صفحة رقم ٤١١ "

قتلوه يقينا يعني ما قتلوه ظنهم يقينا) وكان الله عزيزا (أي قويا بالنقمة من اليهود فسلط عليه طغرى بن اطسيانوس الرومي فقتل منهم مقتلة عظيمة) حكيما (حكم عليهم) باللعنة والغضب) .

النساء : (١٥٩) وإن من أهل . . . . .

) وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته (قال الأستاذ الإمام : معناه ومامن أهل الكتاب إلا ليؤمنن به وتلا قوله تعالى) وما منا إلا وله مقام معلوم (أي ومامنا أحد إلا له مقام معلوم .

وقوله) وإن منكم إلا واردها (المعنى : ومامنكم أحد إلا واردها . قال الشاعر :

لو قلت ما في قومها لم تيثم

يفضلها في حسب ومبسم

المعنى : ما في قومها أحد يفضلها ، ثم حذف .

عن قتادة والربيع بن انس وابو مالك وابن زيد : هما راجعتان إلى عيسى ، المعنى فإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن به حتى تكون الملة واحدة ملة الإسلام ، وهو رواية سعيد بن جبير وعطية عن ابن عباس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ، وروى قتادة عن عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وإني أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي ، ويوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فإذا رأيتموه وهو رجل مربوع فلق إلى الحمرة والبياض سبط الشعر كان رأسه يقطره وان لم يصبه بلل بين ممصرتين ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال ويقاتل الناس على الإسلام حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها غير الإسلام وتكون السجدة واحدة لله تعالى ويهلك الله في زمانه الرجل الكذاب الدجال يقع الأمنة في الأرض في زمانه حتى ترتع الأسود مع الإبل ، والنمور مع البقرة ، والذئاب مع الغنم ، ويلعب الصبيان مع بعضهم بعضا ثم يلبث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه وإقرأوا إن شئتم (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) عيسى بن مريم) رددها أبو هريرة ثلاث مرات." (٢)

"" صفحة رقم ٢٢٠ "

خلة ، فأذن له حتى أتى إدريس وكان يسأله إدريس فكان مما سأله أن قال له : أخبرت أنك أكرم الملائكة وأمكنهم عند ملك الموت فاشفع لي إليه ليؤخر أجلي فازداد شكرا وعبادة ، فقال الملك : لا يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها قال : قد

---

(١) التفسير الواضح ـ موافقا للمطبوع، ٢/٤٦٦

(٢) الكشف والبيان ـ ، ٣/٤١١

علمت ذلك ولكنه أطيب لنفسي ، فقال : نعم أنا مكلمه لك فما كان يستطيع أن يفعل لأحد من بني آدم فهو فاعله لك ، ثم حمله ملك الشمس على جناحه فرفعه إلى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ، ثم أتى ملك الموت فقال : حاجة لي إليك ، فقال : أفعل كل شيء أستطيعه قال : صديق لي من بني آدم تشفع بي إليك لتؤخر أجله قال : ليس ذلك إلي ولكن إن أحببت أعلمته أجله متى يموت فيقدم في نفسه ، قال : نعم ، فنظر في ديوانه وأخبر باسمه فقال : إنك كلمتني في إنسان ما أراه يموت أبدا ، قال : وكيف ؟ قال : لا أجده يموت إلا عند مطلع الشمس ، قال : إني اتيتك وتركته هناك ، قال : انطلق فما أراك تجده إلا وقد مات ، فوالله ما بقي من أجل إدريس شيء ، فرجع الملك فوجده ميتا

وقال وهب : كان يرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الأرض في زمانه ، فعجبت منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت فاستأذن ربه في زيارته فأذن له فأتاه في صورة بني آدم ، وكان إدريس صائما يصوم الدهر ، فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فأنكره إدريس فقال له الليلة الثالثة : إنى أريد أن أعلم من أنت ، قال : أنا ملك الموت استأذنت ربي أن أصحبك فأذن لي ، قال : فلي إليك حاجة ، قال : وما هي ؟ قال : تقبض روحي ، فأوحى الله عز وجل إليه أن اقبض روحه ، فقبض روحه وردها الله عليه بعد ساعة .

قال له ملك الموت : ما الفائدة في سؤالك قبض الروح ؟ قال : لأذوق كرب الموت وغمته فأكون له أشد استعدادا ، ثم قال إدريس له : لي إليك حاجة أخرى ، قال : وما هي ؟ قال : ترفعني إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة وإلى النار ، فأذن الله له في رفعه إلى السماوات ، فلما قرب من النار قال : حاجة قال : وما تريد ؟ قال : تسأل مالكا حتى يفتح لي بابها فأردها ، ففعل ثم قال : فكما أريتني النار فأرني الجنة ، فذهب به إلى الجنة فاستفتح ففتحت أبوابها فأدخله الجنة ، ثم قال له ملك الموت : اخرج لتعود إلى مقرك فتعلق بشجرة وقال : لا أخرج منها ، فبعث الله ملكا حكما بينهما ينظر في قولهما فقال له الملك : ما لك لا تخرج ؟ قال : لأن الله تعالى قال :) كل نفس ذائقة الموت (وقد ذقته ، وقال) وان منكم إلا واردها (وقد وردتها ، وقال) وما هم منها بمخرجين (فلست أخرج ، فأوحى الله سبحانه إلى ملك الموت : دخل الجنة وبأمري يخرج ، فهو حي هناك فذلك قوله :) ورفعناه مكانا عليا (.." (١)

"" صفحة رقم ٢٢٤ "

وعاصم ويعقوب يذكر بالتخفيف ، والاختيار التشديد لقوله سبحانه) إنما يتذكر أولوا الألباب (وأخواتها ، يدل عليه قراءة أبي) يتذكر الانسان (يعني أبى بن خلف الجمحي) أنا خلقناه من قبل ولم يكن شيئا (ثم أقسم بنفسه فقال

مريم : (٦٨) فوربك لنحشرنهم والشياطين . . . . .

) فوربك لنحشرنهم (لنجمعنهم في المعاد يعني المشركين المنكرين للبعث) والشياطين (مع الشياطين يعني قرناءهم الذين أضلوهم ، يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة) ثم لنحضرنهم حول جهنم (يعني في جهنم) جثيا (قال ابن عباس : جماعات جماعات ، وقال مقاتل : جميعا وهو على هذا القول جمع جثوة ، وقال الحسن والضحاك : جاثية على الركب وهو على هذا التأويل جمع جاث . قال الكميت :

---

(١) الكشف والبيان ، ٦/٢٢٠

هم تركوا سراتهم جثيا

وهم دون السراة مقرنينا

مريم : (٦٩) ثم لننزعن من . . . . . .

) ثم لننزعن من كل شيعة (لنخرجن من كل أمة وأهل دين) أيهم أشد على الرحمان عتيا (عتوا قال ابن عباس : يعني جرأة ، وقال مجاهد : فجورا وكذبا ، قال مقاتل : علوا ، وقيل : غلوا في الكفر ، وقيل : كفرا ، وقال الكلبي : قائدهم رأسهم في الشر .

أخبرنا عبد الله بن حامد قال : حدثنا محمد بن يعقوب قال : حدثنا الحسن بن علي قال : حدثنا أبو أسامة عن سفيان عن علي بن الأرقم عن أبي الأحوص قال : نبدأ بالأكابر فألاكابر

مريم : (٧٠) ثم لنحن أعلم . . . . . .

) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (أي أحق بدخول النار ، يقال : صلي يصلى صليا مثل لقي يلقى لقيا وصلى يصلى صليا مثل مضى يمضي مضيا .

٢ ( ) وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وإذا تتلى عليهم ءاياتنا بينات قال الذين كفروا للذين ءامنوا أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورءيا قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمان مدا حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والبقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا أفرأيت الذى كفر بئاياتنا وقال لاوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمان عهداكلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا واتخذوا من دون الله ءالهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ألم تر أنآ أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا يوم نحشر المتقين إلى الرحمان وفدا ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمان عهدا (٢

مريم : (٧١) وإن منكم إلا . . . . . .

) وإن منكم إلا واردها (قيل : في الآية اضمار مجازه : والله إن منكم يعني ما منكم من." (١)

"" صفحة رقم ٢٢٦ "

ابن عباس) حصب جهنم أنتم لها واردون (أدخل هؤلاء أم لا ؟) فاوردهم النار وبئس الورد المورود (أدخل هؤلاء أم لا ؟ والله أنا وأنت فسنردها ، وأنا أرجو أن يخرجني الله وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك .

وبإسناده عن ابن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله عليه السلام : ما من مسلم يموت له ثلاث من الولد إلا لم يلج النار إلا تحلة القسم ثم قرأ) وإن منكم إلا واردها (.

وبإسناده عن روح قال : حدثنا شعبة قال : أخبرني إسماعيل السدى عن مرة الهمداني عن ابن مسعود في قوله) وإن منكم

---

(١) الكشف والبيان .   ،   ٢٢٤/٦

إلا واردها (قال : يردونها ثم يصدرون عنها بأعمالهم .
وبه عن روح عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال : الصراط على جهنم مثل حد السيف ، تمر الطائفة الأولى كالبرق ، والثانية كالريح ، والثالثة كأجود الخيل ، والرابعة كأجود البهائم ، ثم يمرون والملائكة يقولون : اللهم سلم سلم .
أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد الاصبهاني قال : أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الهروي قال : حدثنا الحسين بن إدريس قال : حدثنا سويد بن نصر عن عبد الله بن المبارك عن سفيان بن عيينة عن رجل عن الحسن قال : قال رجل لأخيه : أي أخ هل أتاك أنك وارد النار ؟ قال : نعم ، قال : فهل أتاك أنك خارج منها ؟ قال : لا ، قال : ففيم الضحك إذا ؟ قال : فما رؤي ضاحكا حتى مات .
وبإسناده عن عبد الله بن المبارك عن مالك بن معول عن أبي إسحاق عن ابن ميسرة أنه أوى إلى فراشه فقال : يا ليت أمي لم تلدني ، فقالت امرأته : يا أبا ميسرة ، إن الله سبحانه قد أحسن إليك ، هداك إلى الإسلام فقال : أجل ، ولكن الله قد بين لنا أنا واردو النار ولم يبين لنا أنا صادرون منها ، وأنشد في معناه :
لقد أتانا ورود النار ضاحية
حقا يقينا ولما يأتنا الصدر
فإن قيل : فخبرونا عن الأنبياء هل يدخلون النار ؟ يقال لهم : لا تطلق هذه اللفظة بالتخصيص فيهم بل نقول : إن الخلق جميعا يردونها .
فإن احتجوا بقوله) ولما ورد ماء مدين (يقال لهم : إن موسى لم يمر على تلك البئر." (١)
"" صفحة رقم ٢٢٧ "
وإنما استقى لابنتي شعيب وروى الأغنام وأقام ، وهو معنى الدخول ، والعرب تعبر عن الحي وأماكنهم بذكر الماء ، فتقول : ماء بني فلان .
فإن قيل : فكيف يجوز أن يدخلها من قد أخبر الله سبحانه أنه لا يسمع حسيسها ولا يدخلها ؟ قيل : إن الله سبحانه أخبر عن وقت كونهم في الجنة أنهم لا يسمعون حسيسها فيجوز أن يكونوا قد سمعوا ذلك قبل دخولهم الجنة لأن الله سبحانه لم يقل : لم يسمعوا حسيسها ويجوز أن لا يسمعوا حسيسها عند دخولهم إياها إذ الله عز وجل قادر على ان يجعلها عليهم بردا وسلاما .
وكذلك تأويل قوله لاا يدخلون النار أي لا يخلدون فيها ، أو لا يتألمون ويتأذون بها ، يدل عليه ما أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان قال : أخبرنا مكي بن عبدان قال : حدثنا أبو الأزهر قال : حدثنا مؤمل بن إسماعيل عن أبي هلال عن قتادة عن أنس في قول الله سبحانه) إنك من تدخل النار فقد أخزيته (فقال : إنك من تخلد في النار فقد أخزيته .
والدليل على أن الخلق جميعا يدخلون النار ثم ينجي الله المؤمنين بعضهم سالمين غير آلمين وبعضهم معذبين معاقبين ثم

---

(١) الكشف والبيان . ، ٢٢٦/٦

يدخلهم جميعا الجنة برحمته ، ما أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان قال : أخبرنا حاجب بن محمد قال : حدثنا محمد بن حامد الأبيوردي قال : حدثنا أبو سعيد عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر عن حفصة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني أرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد شهد بدرا والحديبية قالت : قلت : يا رسول الله أليس قد قال الله سبحانه) وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (؟ قال : أفلم تسمعيه يقول) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (

؟ .. " (١)

"" صفحة رقم ٢٢٨ "

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال : أخبرنا أحمد بن محمد بن شاذان قال : أخبرنا جبغوية بن محمد قال : أخبرنا صالح بن محمد بن عبد العزيز بن المسيب عن الربيع بن بدر عن أبي مسعود عن العباس عن كعب أنه قال في هذه الآية) وإن منكم إلا واردها (قال : ترفع جهنم يوم القيامة كأنها متن اهالة وتستوي أقدام الخلائق عليها ، فينادي مناد أن خذي أصحابك ودعي أصحابي ، فتخسف بهم وهي أعرف بهم من الوالدة بولدها ، ويمر أولياء الله عز وجل بندي ثيابهم ، وقال خالد بن معدان : يقول أهل الجنة : ألم يعدنا ربنا أن نرد النار ؟ فيقال : بلى ولكنكم مررتم بها وهي خامدة .

وروى خالد بن أبي الدريك عن يعلى بن منبه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : (تقول النار للمؤمن يوم القيامة جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي) .

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال : حدثنا محمد بن يعقوب قال : حدثنا أحمد بن عبد الحميد الحارثي قال : حدثنا عبد الرحمن بن أبي حماد عن يحي بن يمان عن عثمان الأسود عن مجاهد في قوله) وإن منكم إلا واردها (قال : من حم من المسلمين فقد وردها .

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال : أخبرنا مكي بن عبدان قال : حدثنا عبد الله بن هاشم قال : حدثنا يحي بن سعيد القطان قال : حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : (يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قليه من الخير ما يزن برة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة) .

) ثم ننجي الذين اتقوا (يعني اتقوا الشرك وهم المؤمنون ، وفي مصحف عبد الله : ثم ننجي بفتح الثاء يعني هناك) ونذر الظالمين (أي الكافرين) فيها (في النار) جثيا (جميعا ، وقيل : على الركب .

أخبرنا عبد الله بن حامد قال : أخبرنا محمد بن خالد بن الحسن قال : حدثنا داود بن سليمان قال : حدثنا عبد بن حميد قال : حدثنا سعيد بن عامر عن حشيش أبي محرز قال : سمعت أبا عمران الجوني يقول : هبك ننجو بعدكم ننجو ؟

مريم : (٧٣) وإذا تتلى عليهم . . . . . .

) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا (يعني النضر بن الحرث ودونه من قريش) للذين آمنوا (يعني فقراء

---

(١) الكشف والبيان .   ،   ٢٢٧/٦

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة ، وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤوسهم ويلبسون خير ثيابهم فقالوا للمؤمنين :) أي الفريقين خير مقاما (منزلا ومسكنا ، وقرأ أهل مكة مقاما بالضم أي إقامة) وأحسن نديا (يعني مجلسا ، ومثله النادي ، ومنه دار الندوة لأن المشركين كانوا يجلسون فيها ويتشاورون في أمورهم ، قال الله تعالى مجيبا لهم

مريم : (٧٤) وكم أهلكنا قبلهم . . . . .

) وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا (أي متاعا ، وقال ابن عباس : هيئة وقال مقاتل : ثيابا .) ورئيا (أي منظرا ، وقرأ أبي : وزيا بالزاي وهو الهيئة .

مريم : (٧٥) قل من كان . . . . .

) قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمان مدا (أي فليدعه في طغيانه ويمهله في كفره) حتى إذا رأوا ما يوعدون (من العذاب) إما العذاب (في الدنيا) وإما الساعة (يعني القيامة) فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا (أهم أم المؤمنون .

مريم : (٧٦) ويزيد الله الذين . . . . .

) ويزيد الله الذين اهتدوا هدى (أي إيمانا ويقينا يعني المؤمنين ، يقال : ويزيد الله الذين." (١)

"٧٤٧- قربا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال ٧٤٨- لم أكن من جناتها علم الله وإني لحرها اليوم صالي. (وإن منكم إلا واردها) [٧١] منكم بمعنى منهم، وكذلك قرئت في بعض [القراءات]، كقوله: (إن هذا كان لكم جزاء) بعد قوله: (وسقاهم ربهم). وقيل: إنه ورود حضور، لا ورود دخول، كقول زهير:." (٢)

"قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ الآية: ٧١

[١٦١٤] ففي حديث حفصة أنها لما سمعت "لا يدخل النار أحد ممن شهد بدرا والحديبية" قالت: أليس الله يقول ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ فأجيبت بقوله ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ الآية ١.

قوله تعالى: ﴿أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا﴾ الآية: ٧٣

[١٦١٥] قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله ﴿وأحسن نديا﴾ قال: مجلسا ٢.

قوله تعالى: ﴿هم أحسن أثاثا ورئيا﴾ الآية: ٧٤

[١٦١٦] ولابن أبي حاتم من طريق أبي ظبيان ٣ عن ابن عباس قال: الأثاث المتاع، والرئي المنظر ٤.

_

١ فتح الباري ١/ ١٩٧.

أخرجه أحمد ٢٨٥/٦ ثنا أبو معاوية، قال: ثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر - امرأة زيد بن حارثة

---

(١) الكشف والبيان . ، ٢٢٨/٦

(٢) باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، ٨٩٢/٢

- عن حفصة، نحوه. وأخرجه ٣٦٢/٦ من وجه آخر عن الأعمش، بهذا الإسناد عن أم مبشر، به من حديثها، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة - فذكر الحديث مثله. وذكره ابن كثير في تفسيره ٢٥٠/٥ عن أحمد بهذين الإسنادين.

٢ فتح الباري ٤٢٨/٨.

أخرجه عبد الرزاق ١١/٢ به.

٣ اسمه حصين بن جندب بن الحارث الجنبي - نسبة إلى جنب قبيلة من اليمن - أبو ظبيان الكوفي، روى عن عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس وغيرهم، وعنه ابنه قابوس وأبو إسحاق السبيعي وسلمة بن كهيل والأعمش وغيرهم. ثقة، مات سنة تسعين، وقيل غير ذلك. أخرج له الجماعة. انظر ترجمته في: التهذيب ٣٢٧/٢ ، والتقريب ١٨٢/١.

٤ فتح الباري ٤٢٧/٨.

أخرجه ابن أبي حاتم كما في تغليق التعليق ٢٤٨/٤ حدثنا أحمد بن سنان، ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، به. وأخرجه ابن جرير ١١٧/١٦ من طريق سفيان، عن الأعمش، به.." (١)

"وأخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال الورود في القرآن أربعة ، في هود ﴿وبئس الورد المورود﴾ وفي مريم (وإن منكم إلا واردها) (مريم الآية ٧١) وفيها أيضا (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) (مريم الآية ٨٦) وفي الأنبياء (حصب جهنم أنتم لها واردون) (الأنبياء الآية ٩٨) قال : كل هذا الدخول.

وأخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم عن مجاهد ﴿وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة﴾ أردفوا وزيدوا بلعنة أخرى فتلك لعنتان ﴿بئس الرفد المرفود﴾ اللعنة في أثر اللعنة.

وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿بئس الرفد المرفود﴾ قال : لعنة الدنيا والآخرة.

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي رضي الله عنه في الآية قال : لم يبعث نبي بعد فرعون إلا لعن على لسانه ويوم القيامة يزيد لعنة أخرى في النار.

وأخرج ابن الأنباري في الوقف والابتداء والطستي عن ابن عباس ، أن نافع بن الأزرق قال له : أخبرني عن قوله عز وجل ﴿بئس الرفد المرفود﴾ قال : بئس اللعنة بعد اللعنة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك قال : نعم أما سمعت نابغة بني ذبيان وهو يقول :." (٢)

"وقالوا : أمرت فينا بشيء فقال : لو أمرت فيكم بشيء ما ناظرتكم ولكن نبي الله إدريس - عليه السلام - سأل أن ينظر إلى لمحة من الجنة فافتحوا ، فلما فتح أصابه من بردها وطيبها وريحانها ما أخذ بقلبه فقال : يا ملك الموت إني أحب أن أدخل الجنة فآكل أكلة من ثمارها وأشرب شربة من مائها فلعل ذلك أن يكون أشد لطلبتي ورغبتي وحرصي ،

---

(١) الروايات التفسيرية في فتح الباري، ٧٥٠/٢

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١٣٥/٨

فقال : ادخل ، فدخل فأكل من ثمارها وشرب من مائها ، فقال له ملك الموت : اخرج يا نبي الله قد أصبت حاجتك حتى يردك الله مع الأنبياء يوم القيامة ، فاحتضن بساق شجرة من شجر الجنة وقال : ما أنا بخارج منها وإن شئت أن أخاصمك خاصمتك ، فأوحى الله إلى ملك الموت : قاضه الخصومة ، فقال له ملك الموت : ما الذي تخاصمني به يا نبي الله فقال إدريس : قال الله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) (آل عمران الآية ١٨٥) فقد ذقت الموت الذي كتبه الله على خلقه مرة واحدة ، وقال الله : ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ (مريم آية ٧٦) وقد وردتها أفأردها مرة بعد مرة وإنما كتب الله ورودها على خلقه مرة واحدة وقال لأهل الجنة : (وما هم منها بمخرجين) (الحجر آية ٤٨) أفأخرج من شيء ساقه الله إلي فأوحى الله إلى ملك الموت : خصمك عبدي إدريس وعزتي وجلالي : إن." (١)

"يدخلونها جميعا ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ فلقيت جابر بن عبد الله فذكرت له فقال : وأهوى بأصبعيه إلى أذنيه صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم حتى أن للنار ضجيجا من بردهم ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾.

وأخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وهناد ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عن مجاهد قال : خاصم نافع بن الأزرق ابن عباس فقال ابن عباس : الورود الدخول : وقال نافع : لا ، فقرأ ابن عباس (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) (الأنبياء آية ٩٨) وقال : وردوا أم لا وقرأ (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار) (هود آية ٩٨) أوردوا أم لا أما أنا وأنت فسندخلها فانظر هل نخرج منها أم لا.

وأخرج عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قال : يردها البر والفاجر ، ألم تسمع قوله : (فأوردهم النار وبئس الورد المورود) (هود آية ٩٨) وقوله : ﴿ونسوق المجرمين إلى." (٢)

"وأخرج الطبراني ، وابن مردويه بسند لا بأس به عن أبي أيوب رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أول من يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته ، والله ما يتكلم لسانها ولكن يداها ورجلاها يشهدان عليها بما كانت لزوجها وتشهد يداه ورجلاه بما كان يوليها ، ثم يدعى الرجل وخادمه بمثل ذلك ثم يدعى أهل الأسواق وما يوجد ثم دوانق ولا قراريط ولكن حسنات هذا تدفع إلى هذا الذي ظلم وسيئآت هذا الذي ظلمه توضع عليه ثم يؤتى بالجبارين في مقامع من حديد فيقال : أوردوهم إلى النار ، فو الله ما أدري يدخلونها أو كما قال الله (وإن منكم إلا واردها) (مريم الآية ٧١).

وأخرج أحمد والطبراني بسند حسن عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أول خصمين يوم القيامة جاران.

وأخرج البزار عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يجاء بالأمير الجائر فتخاصمه الرعية ،

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٩٠/١٠

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١١٣/١٠

فيفلجون عليه فيقال له: سد ركنا من أركان جهنم " ..

". (١)

"وأخرج ابن المنذر عن أبي الجوزاء في قوله : ﴿إن جهنم كانت مرصادا﴾ قال : صارت.

وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر عن الحسن في قوله : ﴿إن جهنم كانت مرصادا﴾ قال : لا يدخل الجنة أحد حتى يجتاز النار.

وأخرج ابن جرير عن سفيان ﴿إن جهنم كانت مرصادا﴾ قال : عليهم ثلاث قناطر لا يدخل الجنة أحد حتى يجتاز النار.

وأخرج عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر عن قتادة ﴿إن جهنم كانت مرصادا﴾ قال : تعلموا أنه لا سبيل إلى الجنة حتى تقطع النار وقال في آية أخرى : (وإن منكم إلا واردها) (سورة مريم الآية ٧١) ﴿للطاغين مآبا﴾ قال : مأوى ومنزلا ﴿لابثين فيها أحقابا﴾ قال : الأحقاب ما لا انقطاع له كلما مضى حقب جاء بعده حقب آخر قال وذكر لنا أن الحقب." (٢)

" وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وأبو الشيخ عن قتادة رضي الله عنه في قوله يقدم قومه يوم القيامة قال : فرعون يمضي بين يدي قومه حتى يهجم بهم على النار

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله فأوردهم النار قال الورود الدخول

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال الورود في القرآن أربعة

في هود وبئس الورد المورود وفي مريم وإن **منكم إلا واردها مريم** الآية ٧١ وفيها أيضا ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا مريم الآية ٨٦ وفي الأنبياء حصب جهنم أنتم لها واردون الأنبياء الآية ٩٨ قال : كل هذا الدخول

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة أردفوا وزيدوا بلعنة أخرى فتلك لعنتان بئس الرفد المرفود اللعنة في أثر اللعنة

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله بئس الرفد المرفود قال : لعنة الدنيا والآخرة

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي رضي الله عنه في الآية قال : لم يبعث نبي بعد فرعون إلا لعن على لسانه ويوم القيامة يزيد لعنة أخرى في النار

وأخرج ابن الأنباري في الوقف والابتداء والطستي عن ابن عباس

أن نافع بن الأزرق قال له : أخبرني عن قوله عز و جل بئس الرفد المرفود قال : بئس اللعنة بعد اللعنة

قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أما سمعت نابغة بني ذبيان وهو يقول : لا تقدمن بركن لا كفاء له وإنما تفك الأعداء بالرفد

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٦٥٩/١٢

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١٩٩/١٥

الآية ١٠٠ وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله منها قائم يعني بها قرى عامرة وحصيد يعني قرى خامدة ." (١)

" قال له ملك الموت : يا نبي الله كيف رأيت ؟ قال : يا ملك الموت كنت أحدث وأسمع فإذا هو أعظم مما كنت أحدث وأسمع ! فقال له : يا ملك الموت قد بقيت لي حاجة أخرى لم يبق غيرها

قال : وما هي ؟ قال : تريني لمحة من الجنة

قال له ملك الموت – عليه السلام : يا نبي الله أبشر ! فإنك إن شاء الله من خيار أهلها وإنها إن شاء الله مقيلك ومصيرك

فقال : يا ملك الموت إني أحب أن أنظر إليها ولعل ذلك أن يكون أشد لشوقي وحرصي وطلبي ! فذهب به إلى باب من أبواب الجنة فنادى بعض خزنتها فأجابوه فقالوا : من هذا ؟ قال : ملك الموت

فارتعدت فرائصهم وقالوا : أمرت فينا بشيء ؟ فقال : لو أمرت فيكم بشيء ما ناظرتكم ولكن نبي الله إدريس – عليه السلام – سأل أن ينظر إلى لمحة من الجنة فافتحوا

فلما فتح أصابه من بردها وطيبها وريحانها ما أخذ بقلبه فقال : يا ملك الموت إني أحب أن أدخل الجنة فآكل أكلة من ثمارها وأشرب شربة من مائها فلعل ذلك أن يكون أشد لطلبتي ورغبتي وحرصي

فقال : ادخل

فدخل فأكل من ثمارها وشرب من مائها

فقال له ملك الموت : اخرج يا نبي الله قد أصبت حاجتك حتى يردك الله مع الأنبياء يوم القيامة

فاحتضن بساق شجرة من شجر الجنة وقال : ما أنا بخارج منها وإن شئت أن أخاصمك خاصمتك

فأوحى الله إلى ملك الموت : قاضه الخصومة

فقال له ملك الموت : ما الذي تخاصمني به يا نبي الله ؟ فقال إدريس : قال الله تعالى كل نفس ذائقة الموت آل عمران الآية ١٨٥ فقد ذقت الموت الذي كتبه الله على خلقه مرة واحدة

وقال الله : وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا مريم آية ٧٦ وقد وردتها أفأردها مرة بعد مرة وإنما كتب الله ورودها على خلقه مرة واحدة ؟ وقال لأهل الجنة : وما هم منها بمخرجين الحجر آية ٤٨ أفأخرج من شيء ساقه الله إلي ؟ فأوحى الله إلى ملك الموت : خصمك عبدي إدريس وعزتي وجلالي : إن في سابق علمي قبل أن أخلقه أنه لا موت عليه إلا الموتة التي ماتها وإنه لا يرى جهنم غلا خلا ؟ الورد الذي وردها وأنه يدخل الجنة في الساعة التي دخلها وأنه ليس بخارج منها فدعه يا ملك الموت ." (٢)

---

(١) الدر المنثور، ٤/٤٧٢

(٢) الدر المنثور، ٥/٥٢١

" على الخلائق له عينان تبصران ولسان فصيح فيقول : إني وكلت منكم بثلاثة : بكل جبار عنيد فتلتقطهم من الصفوف لقط الطير حب السمسم فتحبس بهم في جهنم ثم تخرج ثانية فتقول : إني وكلت منكم بمن آذى الله تعالى ورسوله فتلتقطهم من الصفوف لقط الطير حب السمسم فتحبس بهم في جهنم ثم تخرج ثالثة فتقول : إني وكلت بأصحاب التصاوير فتلقطهم من الصفوف لقط الطير حب السمسم فتحبس بهم في جهنم فإذا أخذ من هؤلاء ثلاثة ومن هؤلاء ثلاثة : نشرت الصحف ووضعت الموازين ودعي الخلائق للحساب

وأخرج أحمد وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث عن أبي سمية قال : اختلفنا في الورود فقال بعضنا : لا يدخلها مؤمن وقال بعضهم : يدخلونها جميعا ثم ينجي الله الذين اتقوا فلقيت جابر بن عبد الله فذكرت له فقال : وأهوى بأصبعيه إلى أذنيه صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : " لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم حتى أن للنار ضجيجا من بردهم ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا

وأخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عن مجاهد قال : خاصم نافع بن الأزرق ابن عباس فقال ابن عباس : الورود الدخول : وقال نافع : لا

فقرأ ابن عباس إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون الأنبياء آية ٩٨ وقال : وردوا أم لا وقرأ يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار هود آية ٩٨ أوردوا أم لا أما أنا وأنت فسندخلها فانظر هل نخرج منها أم لا

وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : وإن **منكم إلا واردها قال** : يردها البر والفاجر ألم تسمع قوله : فأوردهم النار وبئس الورد المورود هود آية ٩٨ وقوله : ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا مريم آية ٨٦ ". (١)

" هذه الخصومة ؟ ! فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا : نعم هو هذا

وأخرج أحمد بسند حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " ليختصمن يوم القيامة كل شيء حتى الشاتين فيما انتطحتا "

وأخرج الطبراني وابن مردويه بسند لا بأس به عن أبي أيوب رضي الله عنه

أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " أول من يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته

والله ما يتكلم لسانها ولكن يداها ورجلاها يشهدان عليها بما كانت لزوجها وتشهد يداه ورجلاه بما كان يوليها

ثم يدعى الرجل وخادمه بمثل ذلك ثم يدعى أهل الأسواق وما يوجد ثم دوانق ولا قراريط ولكن حسنات هذا تدفع إلى هذا الذي ظلم وسيئآت هذا الذي ظلمه توضع عليه ثم يؤتى بالجبارين في مقامع من حديد فيقال : أوردوهم إلى النار فو الله ما أدري يدخلونها أو كما قال الله وإن **منكم إلا واردها مريم** الآية ٧١

---

(١) الدر المنثور، ٥/٥٣٥

وأخرج أحمد والطبراني بسند حسن عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " أول خصمين يوم القيامة جاران "

وأخرج البزار عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " يجاء بالأمير الجائر فتخاصمه الرعية "

وأخرج ابن منده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : يختصم الناس يوم القيامة حتى يختصم الروح مع الجسد

فتقول الروح للجسد أنت فعلت ويقول الجسد للروح أنت أمرت وأنت سولت

فيبعث الله تعالى ملكا فيقضي بينهما فيقول لهما : إن مثلكما كمثل رجل مقعد بصير وآخر ضرير دخلا بستانا فقال المقعد للضرير : أني أرى ههنا ثمارا ولكن لا أصل إليها

فقال له الضرير : اركبني فتناولها فركبه فتناولها فأيهما المعتدي ؟ فيقولان : كلاهما فيقول لهما الملك : فإنكما قد حكمتما على أنفسكما

يعني أن الجسد للروح كالمطية وهو راكبه

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون يقول : يخاصم الصادق الكاذب والمظلوم الظالم والمهتدي الضال والضعيف المستكبر ." (١)

" أخرج عبد بن حميد عن عاصم أنه قرأ وفتحت خفيفة

وأخرج ابن المنذر عن أبي الجوزاء في قوله : إن جهنم كانت مرصادا قال : صارت

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن الحسن في قوله : إن جهنم كانت مرصادا قال : لا يدخل الجنة أحد حتى يجتاز النار

وأخرج ابن جرير عن سفيان إن جهنم كانت مرصادا قال : عليهم ثلاث قناطر لا يدخل الجنة أحد حتى يجتاز النار

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة إن جهنم كانت مرصادا قال : تعلموا أنه لا سبيل إلى الجنة حتى تقطع النار وقال في آية أخرى : وإن **منكم إلا واردها سورة** مريم الآية ٧١ للطاغين مآبا قال : مأوى ومنزلا لابثين فيها أحقابا قال : الأحقاب ما لا انقطاع له كلما مضى حقب جاء بعده حقب آخر قال وذكر لنا أن الحقب ثمانون سنة من سني يوم القيامة

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس لابثين فيها أحقابا قال : سنين

وأخرج عبد بن حميد عن الحسن لابثين فيها أحقابا قال : ليس لها أجل كلما مضى حقب دخلنا في الأخرى

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن الحسن قال : الحقب الواحد سبعون سنة كل يوم منها ألف سنة ." (٢)

---

(١) الدر المنثور، ٧/٢٢٧

(٢) الدر المنثور، ٨/٣٩٤

"وكأن هذا لقصد إقامة أبواب من حديد في مداخل الردم؛ لمرور سيول الماء في شعب الجبل؛ حتى لا ينهدم البناء بأن جعل الأبواب الحديدية كالشبابيك تمنع مرور الناس، ولا تمنع انسياب الماء من بين قضبها، وجعل قضبان الحديد معضودة بالنحاس المذاب المصبوب على الحديد. ١٦/٣٤_٣٦

١_ اسم هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير وأكثر كتب السنة سورة مريم.
ورويت هذه التسمية عن النبي"في حديث رواه الطبراني، والديلمي، وابن منده، وأبو نعيم، وأبو أحمد الحاكم: عن أبي بكر بن عبدالله بن أبي مريم الغساني عن أبيه عن جده أبي مريم قال: أتيت النبي"فقلت: يا رسول الله إنه ولدت لي الليلة جارية، فقال: =والليلة أنزلت علي سورة مريم؛ فَسمِّها مريم+. فكان يكنى أبا مريم، واشتهر بكنيته، واسمه نذير، ويظهر أنه أنصاري.
وابن عباس سماها سورة كهيعص، وكذلك وقعت تسميتها في صحيح البخاري في كتاب التفسير في أكثر النسخ وأصحها، ولم يعدها جلال الدين في الإتقان في عداد السور المسماة باسمين، ولعله لم يَرَ الثاني اسماً.
وهي مكية عند الجمهور، وعن مقاتل: أن آية السجدة مدنية، ولا يستقيم هذا القول؛ لاتصال تلك الآية بالآيات قبلها إلا أن تكون ألحقت بها في النزول وهو بعيد.
وذكر السيوطي في الإتقان قولاً بأن قوله _تعالى_: [وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا] الآية مدني، ولم يعزه لقائل.
وهي السورة الرابعة والأربعون في ترتيب النزول؛ نزلت بعد سورة فاطر وقبل سورة طه، وكان نزول سورة طه قبل إسلام عمر بن الخطاب كما يؤخذ من قصة إسلامه؛ فيكون نزول هذه السورة أثناء سنة أربع من البعثة مع أن السورة مكية، وليس أبو مريم هذا معدوداً في المسلمين الأولين؛ فلا أحسب الحديث المروي عنه مقبولاً.
ووجه التسمية أنها بسطت فيها قصة مريم وابنها وأهلها قبل أن تفصَّل في غيرها، ولا يشبهها في ذلك إلا سورة آل عمران التي نزلت في المدينة.." (١)

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ١ ، ص : ٥٠٤
و لا تضطرب من استهزاء الكفرة وسخريتهم وكيف لا تصطبر ولا تصبر هل تعلم وتسمع له سميا باسم الإله مسمى به مثلا له مستحقا للعبودية والتوجه لإنجاح المطلوب سواه سبحانه حتى ترجع أنت نحوه عند توجه الخطوب وإلمام الملمات عليك وبالجملة ما عليك الا العبادة والاصطبار وترك الاضطراب والاستعجال وتفويض عموم الأمور إلى الكبير المتعال
و من غاية الجهل ونهاية الغفلة عن ربوبيته سبحانه يقول الإنسان المجبول على الكفران والنسيان بنعم الله وبإنكار قدرته على اعادة المعدوم وحشر الأموات أإذا ما مت وقد صرت عظاما ورفاتا لسوف أخرج من الأرض حيا سويا معادا كلا وحاشا ما هذا الا محال باطل وضلال ظاهر
أ ينكر المنكر على قدرتنا ويصر على الإنكار ولا يذكر الإنسان المكابر المعاند أنا قد خلقناه واوجدناه إيجادا إبداعيا من قبل والحال انه لم يك شيئا مما يطلق عليه اسم الشي ء إذ هو معدوم صرف وعدم محض والمعدوم ليس بشي ء ولا مسبوق

(١) التقريب لتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ص/٣٩٤

بشي ء فقدرنا على إيجاده وإظهاره من العدم الصرف ولم لم نقدر على إعادته سيما بعد سبق اجزائه وان كان الإعادة والإبداء عندنا وفي جنب قدرتنا على السواء الا ان الإعادة بالنسبة إلى فهمهم أسهل وأيسر من الإبداء والإبداع عن لا شي ء

فو ربك يا أكمل الرسل الذي هو أعظم أسمائه وأشملها وبعزته وجلاله لنحشرنهم أولئك الضالين والشياطين المضلين لهم معهم منخرطين في سلسلتهم ثم لنحضرنهم مقيدين مغلولين حول جهنم جثيا باركين على الركب قائمين على أطراف الأصابع بلا تمكن لهم واطمئنان مثل الجاني الخائف عند الحاكم القاهر القادر على انواع الانتقام

ثم بعد حشرهم وإحضارهم حول النار كذلك لننزعن ننتخبن ونخرجن من كل شيعة فئة وفرقة قد شاعت منهم موجبات العذاب والنكال ونميزن منهم أيصا أيهم أشد على الرحمن المفيض لهم انواع الخيرات والبركات عتيا جرأة على العصيان له وعلى ترك أوامره وارتكاب نواهيه حتى يطرح أولا على قعر النار ثم الا مثل فالأمثل إلى ان يطرح الكل فيها على تفاوت طبقاتهم ودرجاتهم في افتراق موجباتها قوة وضعفا

ثم بعد ما انتزعنا وانتخبنا لنحن أعلم بالذين هم أولى وأحق بها أى بدخول النار صليا أى دخولا وطرحا أوليا سابقا على الكل ألا وهم الرؤساء الضالون المضلون إذ يضاعف عذابهم بضلالهم واضلالهم. ثم قال سبحانه مخاطبا لبنى آدم بأجمعهم لا تغتروا بدنياكم وبلذاتها وشهواتها فإنها توقعكم في النار

و إن منكم أيها المتلذذون بزخرفة الدنيا المائلون إلى أمتعتها وما احد من المتمتعين **بها إلا واردها أى** وارد النار وواقعها قد ذاق كل منكم مقدار ما تلذذ بحطام الدنيا اما المؤمنون المطيعون المتقون الذين يقنعون من الدنيا ومن أمتعتها بسد جوعة ولبس خرقة وكن ضرورة فيمرون عنها ويردون عليها وهي حينئذ خامدة منطفية وانما يردون ويوردون عليها عبرة لهم منها واعتبارا وشكرا لنعمة النجاة عنها واما المؤمنون العاصون التائبون فيذوقون من عذابها مقدار تلذذهم بالمعاصي ثم يخرجون بمقتضى عدله سبحانه واما أصحاب الكبائر من المؤمنين المصرين عليها الخارجين من الدنيا وهم عليها بلا توبة وكذا. عموم الكفرة والمشركين فهم هم الواردون المقصورون على الورود فيها الا ان المؤمنين تلحقهم الشفاعة واما الكفرة فهم الخالدون المخلدون لا نجاة لهم منها أصلا وبالجملة لا تترددوا أيها السامعون ولا تشكوا فيما ذكر من الورود المذكور إذ قد كان هذا من جملة الاحكام المحكمة المبرمة الإلهية التي قد وجبت على ربك يا أكمل الرسل بإيجابه على نفسه وجوبا حتما مقضيا محققا بلا." (١)

"هذا، و يتراءى لنا فيما احتوته الآيتان من إعلان اعتراف الملائكة بحدودهم إزاء العزة الربانية و تقريرهم بإحاطة الله سبحانه بكل شي ء و قدرته على كل شي ء و عدم طروء ما يطروأ على البشر من غفلة و نسيان عليه، و نفي أي مشابهة له في الأسماء و الصفات و القدرة الشاملة، و توكيدهم على النبي صلى الله عليه و سلم وجوب التزام عبادته و الخضوع له هدف تدعيمي للتقريرات القرآنية و الدعوة الربانية في مختلف فصول القرآن في بيئة يتخذ غالب أهلها الملائكة أولياء و أربابا و شركاء قادرين على النفع و الضرر. بل لعل الآيتين قد استهدفتا هذا الهدف بصورة رئيسية و الله تعالى أعلم.

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، ٥٠٤/١

التفسير الحديث، ج ٣، ص: ١٧١

[سورة مريم (١٩): الآيات ٦٦ الى ٧٢]

وَ يَقُولُ الْإِنْسانُ أَ إِذا ما مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) أَ وَ لا يَذْكُرُ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ يَكُ شَيْئاً (٦٧) فَوَ رَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَ الشَّياطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (٦٨) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمنِ عِتِيًّا (٦٩) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلى بِها صِلِيًّا (٧٠)

وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيًّا (٧٢)

(١) جثيّا: جاثين على ركبهم كناية عن الخضوع و الذل.

(٢) عتيّا: تمرّدا و تكبرا و عصيانا.

(٣) صليّا: إصلاء بالنار و إلزاما لها.." [(١)]

"و اختصاص الذين اتقوا بالنجاة ذو مغزى كبير سواء في تطمين هذه الفئة و بثّ الاغتباط فيها أم في الحث على التقوى التي هي أبرز مظاهر الإيمان. لأنها تجعل المؤمن مراقبا للّه في جميع أعماله و تعصمه من الوقوع في الأمم على ما شرحناه في سياق سورة العلق.

تعليق على جملة وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها

لقد تعددت الأحاديث و الروايات و التأويلات في كتب التفسير في صدد هذه الجملة.

ففي معنى كلمة (الورود) إنها بمعنى الدخول و إن الضمير في كلمة (واردها) يرجع إلى جهنم. أو إنها بمعنى المرور عليها دون الدخول فيها.

و في مدى جملة وَ إِنْ مِنْكُمْ إنها خطاب لجميع الناس أبرارهم و فجارهم.

و مؤمنيهم و كافريهم، و قد استدل القائلون بدخول جميع الناس جهنم بالآية [٧٢] آخر الآيات التي نحن في صددها، و بأحاديث نبوية عديدة منها حديث رواه الطبري عن حفصة قالت «قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم لا يدخل النار أحد شهد بدرا و الحديبية. قالت فقلت يا رسول اللّه أليس اللّه يقول وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها. فقال رسول اللّه أ فلم تسمعيه يقول ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيًّا» و هذا الحديث لم يرد في كتب الصحاح. و هناك أحاديث أخرى يوردها المفسرون من بابه لم ترد كذلك في هذه الكتب. و هناك قولان متناقضان معزوان إلى ابن عباس: واحد مؤيد للقول السابق، و واحد يفيد أن الخطاب في (منكم) للكفار و منكري البعث. و أن المؤمنين لا يردون النار. و أورد بعض المفسرين اعتراضا على القول الأول بآية سورة الأنبياء هذه إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ (١٠١) لا يَسْمَعُونَ

(١) التفسير الحديث، ص/١٦٥٧

حَسِيسَها وَ هُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خالِدُونَ (١٠٢) و أجابوا على الاعتراض بأن القصد يمكن أن يكون ذلك و هم في الجنة أو يمكن أن يكون القصد من ذلك أن التفسير الحديث، ج ٣، ص: ١٧٤." (١)

"تفسير سورة مريم ١٤١ تعليق على قصة ولادة عيسى و أهدافها ١٤٧ تعليق على جملة فَاخْتَلَفَ الْأَحْزابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ١٥٨ تعليق على سلسلة الأنبياء بعد قصتي يحيى و عيسى عليهما السلام ١٦٠ تعليق على مغزى التفصيل في قصة إبراهيم عليه السلام ١٦٢ تعليق على شخصية إدريس عليه السلام ١٦٣ تعليق على الآية فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ و الآيات الثلاث ١٦٦ تعليق على آية وَ ما نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ١٦٨ تعليق على جملة وَ إِنْ **مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها ١٧٣** تعليق على جملة وَ الْباقِياتُ الصَّالِحاتُ ١٧٧ تعليق على الآية أَ لَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ ... ١٨١

تفسير سورة طه ١٨٦ تعليق على الآيات الأولى من سورة طه ١٨٧ تعليق على مدى السلسلة القصصية عن رسالة موسى عليه السلام إلى فرعون ١٩٠ تعليق على جملة وَ أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ١٩٣ تعليق على الحلقة الثانية من سلسلة قصص موسى عليه السلام ١٩٤ تعليق على أمر الله تعالى لموسى بملاينة الكلام مع فرعون ١٩٥ تعليق على الحلقة الثالثة من سلسلة قصص موسى و فرعون و بني إسرائيل ١٩٩ تعليق على الآيات المتضمنة حكاية بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر ٢٠٢ تعليق على جملة وَ هُوَ مُؤْمِنٌ ٢٠٨ تعليق على جملة وَ كَذلِكَ أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا ٢٠٩ التفسير الحديث، ج ٣، ص: ٥٦٢

تعليق على الآية فَتَعالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ... ٢٠٩

تعليق على الجديد في قصة آدم و إبليس في هذه السورة ٢١٤ تعليق على مدى الآية التي تأمر بذكر الله و تسبيحه ٢١٦ تلقينات آية وَ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ... ٢١٩

تعليق على تحدي الكفار للنبي بالإتيان بآية ٢٢٠ تفسير سورة الواقعة ٢٢٥ تعليق على وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ... ٢٢٨." (٢)

"تعليق على جملة وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ ١١٨ تعليق على جملة إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ ١٢١ تعليق على جملة أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا ١٢٥ تعليق على جملة فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ١٢٩ تعليق على جملة إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً ١٣١ تعليق على جملة وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ ١٣٢ سبب وقوف زعماء قريش موقف المعاداة ١٣٦ تعليق على ما حكاه القرآن من استعجال المشركين العذاب ١٣٨ حكمة الله المنطوية في جملة وَ لكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ ... ١٤٠ تفسير سورة مريم ١٤١ تعليق على قصة ولادة عيسى و أهدافها ١٤٧ تعليق على جملة فَاخْتَلَفَ الْأَحْزابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ١٥٨ تعليق على سلسلة الأنبياء بعد قصتي يحيى و عيسى عليهما السلام ١٦٠ تعليق على مغزى التفصيل في قصة إبراهيم عليه السلام ١٦٢ التفسير الحديث، ج ١٠، ص: ٣٢٣

تعليق على شخصية إدريس عليه السلام ١٦٣ تعليق على الآية فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ و الآيات الثلاث ١٦٦ تعليق

---

(١) التفسير الحديث، ص/١٦٦٠

(٢) التفسير الحديث، ص/٢١٣٥

على آية وَ ما نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ١٦٨ تعليق على جملة وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها ١٧٣ تعليق على جملة وَ الْباقِياتُ الصَّالِحاتُ ١٧٧ تعليق على الآية أَ لَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ ... ١٨١." (١)

" ٨ فهو من المسامي والمضاهي وقيل من تسمى باسمه لأنه لم يتسم باسم الله غير الله تعالى ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا هذه حكاية قول من أنكر البعث من القبور والإنسان هنا جنس يراد به الكفار وقيل إن القائل لذلك أبي بن خلف وقيل أمية بن خلف والهمزة التي دخلت على أئذا ما مت للإنكار والاستبعاد واللام في قوله لسوف سيقت على الحكاية لقول من قال بهذا المعنى والإخراج يراد به البعث أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل احتجاج على صحة البعث ورد على من أنكره لأن النشأة الأولى دليل على الثانية لنحشرنهم والشياطين يعني قرناءهم من الشياطين الذين أضلوهم والواو للعطف أو بمعنى مع فيكون الشياطين مفعول معه جثيا جمع جاث ووزنه مفعول من قولك جثا الرجل إذا جلس جلسة الذليل الخائف ثم لننزعن من كل شيعة الشيعة الطائفة من الناس التي تتفق على مذهب أو اتباع إنسان ومعنى الآية أن الله ينزع من كل طائفة أعتاها فيقدمه إلى النار وقال بعضهم المعنى نبدأ بالأكبر جرما فالأكبر جرما أيهم اختلف في إعرابه فقال سيبويه هو مبني على الضم لأنه حذف العائد عليه من الصلة وكأن التقدير أيهم أشد فوجب البناء وقال الخليل هو مرفوع على الحكاية تقديره الذي يقال له اشد وقال يونس علق عنها الفعل وارتفعت بالابتداء أولى بها صليا الصلي مصدر صلى النار ومعنى الآية أن الله يعلم من هو أولى بأن يصلى العذاب وإن منكم إلا واردها خطاب لجميع الناس عند الجمهور فأما المؤمنون فيدخلونها ولكنها تخمد فلا تضرهم فالورود على هذا بمعنى الدخول كقوله حصب جهنم أنتم لها واردون وأوردهم النار وقيل الورود بمعنى القدوم عليها كقوله ورد ماء مدين والمراد بذلك جواز الصراط وقيل الخطاب للكفار فلا إشكال حتما أي أمرا لا بد منه ثم ننجي الذين اتقوا إن كان الورود بمعنى الدخول فنجاة الذين اتقوا بكون النار عليهم بردا وسلاما ثم بالخروج." (٢)

"٢١٦ سورة التكاثر

ألهاكم التكاثر هذا خبر يراد به الوعظ والتوبيخ ومعنى ألهاكم شغلكم والتكاثر المباهاة بكثرة المال والأولاد وأن يقول هؤلاء نحن أكثر ويقول هؤلاء نحن أكثر ولما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول ابن آدم مالي مالي وليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت حتى زرتم المقابر فيه ثلاثة أقوال أحدها أن معناه حتى متم فأراد بزيارة المقابر الدفن فيها الثاني أن معناه حتى ذكرتم الموتى الذين في المقابر فعبر بزيارتها عن التفاخر بمن فيها لأن بعض العرب تفاخر بآبائها الموتى فالمعنى ألهاكم التكاثر حتى بلغتم فيه إلى ذكر الموتى الثالث أن معناه زيارة المقابر حقيقة لتعظيم أهلها والتفاخر بهم فيقال هذا قبر فلان ليشهر ذكره ويعظم قدره كلا سوف تعلمون زجر وتهديد ثم كرره للتأكيد وعطفه بثم إشارة إلى أن الثاني أعظم من الأول وقيل الأول تهديد للكفار والثاني تهديد للمؤمنين وحذف معمول تعلمون وتقديره تعلمون ما يحل بكم أو تعلمون أن القرآن حق أو تعلمون أنكم كنتم على خطأ في اشتغالكم بالدنيا وإنما حذفه لقصد

---

(١) التفسير الحديث، ص/٦٥٢٢

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ١٦٣/٢

التهويل فيقدر السامع أعظم ما يخطر بباله لو تعلمون علم اليقين جواب لو محذوف تقديره لو تعلمون لازدجرتم واستعددتم للآخرة فينبغي الوقف على اليقين ومعمول لو تعلمون محذوف أيضا وعلم اليقين مصدر ومعنى علم اليقين العلم الذي لا يشك فيه قال بعضهم هو من إضافة الشئ إلى نفسه كقولك دار الآخرة وقال الزمخشري معناه علم الأمور التي تتيقنونها بالمشاهدة لترون الجحيم هذا جواب قسم محذوف وهو تفسير لمفعول لو تعلمون تقديره لو تعلمون عاقبة أمركم ثم فسرها بأنها رؤية الجحيم والتفسير بعد الابهام يدل على التهويل والتعظيم والخطاب لجميع الناس فهو كقوله وإن **منكم إلا واردها وقيل** للكفار خاصة فالرؤية على هذا يراد بها الدخول فيها

ثم لترونها عين اليقين هذا تأكيد للرؤية." (١)

"وخلاصة قصته عليه السلام أنه حبب إلى الملائكة لكثرة عبادته ، فقال لملك الموت أذقني الموت يهن علي ففعل بإذن الله ، ثم أحياه الله ، ثم قال لمالك خازن النار ، أدخلني النار أزدد رهبة من الله ، فأدخله فيها بإذن الله ، ثم أخرجه منها ، ثم قال إلى رضوان خازن الجنة أدخلني الجنة أزدد رغبة في عبادة الله ، فأدخله فيها بإذن الله ، ولما أراد أن يخرجه أبى فتلاحيا بينهما ، فبعث الله

(٢/١٦٣)

بيان المعاني ، ج ٢ ، ص : ١٦٤

ملكا ليتحاكما إليه ، فقال الملك بعد أن أخذ ادعاء المدعي رضوان ودفاع المدعى عليه إدريس لإدريس : لم لم تخرج بأمره بعد أن أدخلك بأمره وأنت تعترف بأنك استأذنته بالدخول وأنه أمرك بالخروج فلم تفعل ؟ قال لأن الله قضى على كل نفس بالموت بقوله : (كل نفس ذائقة الموت) الآية ٣٦ من سورة الأنبياء في ج ٢ وقد مت ، وقضى على كل نفس بورود جهنم بقوله : (وإن منكم إلا واردها) الآية ٧٤ الآتية وقد وردتها ، وقضى على كل من دخل الجنة أن لا يخرج منها بقوله : (وما هم منها بمخرجين) الآية ٤٩ من سورة الحجر في ج ٢ ، ولذلك فإني لا أخرج.

فأوحى الله إلى الملك بأمري دخل وبأمري لا يخرج.

وجاء هذا في حديث طويل أخرجه ابن المنذر عن عمر مولى عفرة يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، والله أعلم بذلك ، ولا يقال إن هذه الآيات المحتج بها نزلت على محمد ولم تكن في زمنه ، لأن الله قادر على إلهامه إياها ، لأنها مدونة في لوحه ، وقد يجوز أنه أشار إليها في الصحف التي أنزلها عليه.

هذا ، وان الرفعة بالمكان كما جاء في هذه الآية لا تكون معنوية بل حسية ، وظاهرها لا يحتاج إلى التأويل فيكون ، والله أعلم ، أن سيدنا إدريس حي خالد في جنة ربه ، نسأل الله أن يدخلنا فيها ونراه إن شاء الله ، وهذه الآية المدنية من هذه السورة المتأخر نزولها عنها.." (٢)

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٣/٣٥٧

(٢) بيان المعاني، ١/١٢٧

"وإنما خص اسم الرحمن دون سائر أسمائه الحسنى في هذه الآية والآيات المتقدمة إعلاما بأنه لا ينبغي أن يغر الكافر برحمته تعالى ، لأن من حل عليه قضاؤه المبرم بالعذاب لا تشمله الرحمة.

ومن درى أن الرحمة مقيدة بشروط والمغفرة أيضا كما هو مصرح في الآيات الكثيرة من هذا القرآن العظيم ، إذ لا تجد رحمة أو مغفرة مطلقة من قيد أو شرط لم يغتر بذكرها ، بل عكف على عبادة ربه وطاعته وجعل في قلبه معنى أسمائه المنتقم أيضا ، والمذل المهيمن ، الحكم العدل ، الجبار القهار ، قال تعالى «ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا» ٧٠ من غيرهم فقدمه على غيره بالإحراق فيها ، وهذه الآية المدنية الثانية ،

قال تعالى «وإن منكم إلا واردها» وأصلها ومقرب إليها.

مطلب معنى الورود وأن مرتكب الكبيرة لا يخلد بالنار :

واعلم أن الورود موافاة المكان ، وقال أكثر المفسرين إنه بمعنى الدخول ، وأنكره ابن الأزرق ، وأقسم ابن عباس بأنه سيدخلها هو وهذا المنكر ، وقال أرجو أن يخرجني بتصديقي ، وما أراه يخرجك بتكذيبك.

واحتج بالآية ٩٨ من سورة الأنبياء في ج ٢ وهي (إنكم وما تعبدون من دون الله) إلخ والآية ١٩ من سورة هود في ج ٢ أيضا وهي (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار) إلخ.

وحجة ابن الأزرق بهاتين الآيتين أيضا ، ولكن المتعارف أن الورود غير الدخول ، قال في القاموس : الورود الإشراف على الماء دخله أو لم يدخله ، ففارق معنى الدخول من الجهة الثانية «كان» ذلك الورود إلى جهنم لكل من البشر كما أقسم الله تعالى «على ربك حتما مقضيا» ٧١ لازما مبرما حقا.

قال بعض المفسرين إن في هذه الآية معنى القسم ، وهي كذلك ، ولكن بقطع النظر عما قبلها ،

(١٦٩/٢)

بيان المعاني ، ج ٢ ، ص : ١٧٠." (١)

"و إلا فهي قسم كالتي قبلها ، أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يموت لأحد ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلته القسم.

وأراد به الآية المارة أي والله ما منكم من أحد إلا ويرد جهنم.

وروى مسلم عن أم مبشر الأنصاري أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصه : لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد ، أو من الذين بايعوه تحتها الوارد ذكرهم في الآية ١٩ من سورة الفتح في ج ٣ ، قالت بلى يا رسول الله ، فانتهرها لأنها لم تقل إن شاء الله ، فقالت حفصة : (وإن منكم إلا واردها) فقال صلى الله عليه وسلم جوابا لها ما قاله ربه : «ثم ننجي الذين اتقوا» الأسباب الموجبة لدخولها من الكفر ودواعيه ، ولم يصروا على ما فعلوه من المعاصي الكبيرة برحمتنا «ونذر الظالمين فيها جثيا» ٧٢ بعدلنا لاختيارهم الكفر على الإيمان وإصرارهم عليه إلى الوفاة ، ولا دليل في

---

(١) بيان المعاني، ١٣٤/١

هذه الآية لمن يقول إن الفاسق وصاحب الكبيرة يخلد في النار ، لأن المراد بالتقي المستثنى من الورود من اتقى الشرك ، لأن من آمن بالله ورسوله يصح أن يقال له متق الشرك ولو كان مقترفا الكبائر من غير استحلال ، لأن المستحل لها كافر ، ومن صدق عليه أنه متق الشرك صح عنه أنه متق ، لأن التقى جزء من التقى من الشرك ، ومن صدق عليه المركب صدق عليه المفرد مثبت أن صاحب الكبيرة والفاسق متق ، وإذا ثبت لك هذا وجب أن لا يخلد في النار وأنه يخرج منها لعموم هذه الآية ، وعليه إجماع الأمة من علماء التوحيد ، قال صاحب الشيبانية :

ولا يبقى في نار الجحيم موحد ولو قتل النفس الحرام تعمدا

و يؤيد هذا ما رواه البخاري عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :." (١)

"قال صلى الله عليه وسلم : إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا فيها ، رجل يخرج من النار حبوا ، فيقول الله له اذهب فادخل الجنة ، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى ، فيقول يا رب وجدتها ملأى ، فيقول الله اذهب فادخل الجنة ، قال فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع ، فيقول يا رب وجدتها ملأى ، فيقول الله تعالى اذهب فادخل الجنة ، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها ، أو إن لك مثل

(١٧٢/٢)

بيان المعاني ، ج ٢ ، ص : ١٧٣

عشرة أمثال الدنيا ، فيقول تسخر بي وأنت المالك! فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه (أضراسة وأنيابه وهي آخر الأسنان) فكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة اه.

بلفظها حرفيا ، فدلت الآية الأولى على أن الكل دخلوا النار ، ودلت الثانية والأحاديث على أن الله أخرج منها المتقين والموحدين وترك فيها الظالمين المشركين فقط.

وقد جاء في الحديث : تقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهي.

وروي عن مجاهد في قوله تعالى : (وإن منكم إلا واردها) إلخ قال من حم من المسلمين وردها ، وفي الخبر : الحمى من قيح جهنم.

وفي خبر آخر :

الحمى كير من جهنم وهي حظ المؤمن من النار الآية ١٠٠ من سورة الأنبياء في ج ٢.

وقال خالد ابن معدان يقول أهل الجنة ألم يعدنا أن نرد النار ، فيقال :

بلى ولكنكم مررتم بها وهي خامدة.

وروى مسلم والبخاري عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الحمى من فيح جهنم (أي وهجها) فأبردوها بالماء. ولهذا فإن الطب الحديث يرى أن يغسل أطراف المحموم بالماء البارد ، ومن كانت حماه برأسه يضعون على رأسه الثلج ،

---

(١) بيان المعاني، ١٣٥/١

وهذا من الطب النبوي المحتاج إلى عقيدة راسخة كما في الآية ٢٥ من سورة القلم ، لأن من لم يعتقد بالقرآن لا ينتفع بما فيه ، بل يكون عليه وبالا ، وسيأتي لهذا البحث في تفسير الآية ٨٠ من سورة الإسراء الآتية بيان واضح واسع فراجعه.." (١)

"بيان المعاني ، ج ١ ، ص : ١٧١

«ثم كلا سوف تعلمون ٣» مخافة يوم الحشر والنشور ، قال علي كرم الله وجهه كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة التي فيها هذه الآية فأيقنا ، قال تعالى مكررا الردع والزجر تأكيدا لعظم ما يلاقونه عند البعث «كلا لو تعلمون ٤» الحال الذي أنتم فيه بأنه زائل ، وأن ما بين أيديكم لا ينفعكم نفعا دائما إذ لا يكون إلا بالعمل الصالح «علم اليقين ٥» كالأمور التي تتحققون صحتها وتتيقنون وقوعها لما ألهاكم تكاثركم ولأشغلكم خوف الآخرة وعذابها عن كل ما في الدنيا ، راجع تفسير آخر سورة الواقعة الآتية ، ثم أكد الإنذارات الثلاثة بالقسم وعزتي وجلالي «لترون» أيها المتفاخرون المتكاثرون «الجحيم ٦» بأبصاركم عيانا بعد الموت قبل الجزاء ، وهي التي أوعدكم العذاب فيها على لسان رسله ، ثم كرر القسم تشديدا للتهديد وتهويلا للأمر فقال عز قوله «ثم لترونها» أي الجحيم المذكورة «عين اليقين ٧» بالمشاهدة لاخفاء فيها ، وهذا القسم من نوع الأقسام المضمرة التي تدل عليها اللام وقد يستدل عليها بالواو معنى كقوله تعالى (وإن منكم إلا واردها) الآية ٧٥ من سورة مريم الآتية والأولى في القرآن كثير ، وإن غالب الأقسام المحذوفة الفعل تكون بالواو وإذا ذكر حرف القسم أتى بالفعل كقوله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) الآية ٥٢ من سورة النور وقوله (يحلفون بالله) الآية ٧٣ من سورة التوبة في ج ٣ وإذا لم يوجد الفعل لا توجد الياء قطعا ولهذا أخطأوا عند قوله تعالى (إن الشرك لظلم عظيم) الآية ١٢ من سورة لقمان في ج ٢ ، وقوله (بما عهد عندك) الآية ١٢ من الأعراف الآتية (وقوله إن كنت قلته فقد علمته) ١١٩ من المائدة في جزء ٣ ومن القسم.

واليقين اعتقاد الشيء أنه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا اعتقادا مطابقا المواقع غير ممكن الزوال ثم كرر القسم التهديدي تأييدا للتأكيد فقال «ثم لتسئلن يومئذ) يوم الحساب الذي سينال فيه كل أحد جزائه «عن النعيم» الذي شغلكم الالتذاذ به في الدنيا عن القيام بأمر الدين.

روي عن ابن الزبير أنه قال لما نزلت هذه الآية قال الزبير رضي الله عنه يا رسول الله وأي نعيم نسأل عنه وإنما هما الأسودان التمر والماء قال أما إنه سيكون." (٢)

"بيان المعاني ، ج ١ ، ص : ١٩١

عليه اللام نحو : (لتبلون في أموالكم) الآية ١٨٦ من آل عمران في ج ٣ ، وقسم دل عليه المعنى كقوله تعالى : (وإن منكم إلا واردها) الآية ٧١ من سورة مريم الآتية (يا ويلتاه الورود محقق ، والخروج مظنون ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، إنا لله وإنا إليه راجعون) وجواب القسم هنا «ما ضل» عن الحق ولا زاغ عن الصواب فيما تلاه عليكم من الآيات البينات «صاحبكم»

---

(١) بيان المعاني، ١٣٩/١

(٢) بيان المعاني، ١٧١/١

محمد بن عبد الله «وما غوى » في اتباع الباطل وما جهل قط ، لأن الضلال نقيض الهدى والغي ضد الرشد ، وهو هاد مهتد راشد مرشد ليس كما تزعمون يا كفار قريش في نسبتكم إياه للضلال والغي والجهل «وما ينطق» قط «عن الهوى ٣» من تلقاء نفسه عن لا شيء كلاما «إن هو» الذي يتلوه عليكم «إلا وحي يوحى ٤» إليه من قبلنا على لسان رسولنا لا من رأيه ولا من قبل الغير «علمه» إياه ونزل به إليه من لدنا ملك عظيم «شديد القوى ٥» هو جبريل عليه السلام وقد مر شيء من قوته في تفسير الآية ١٩ من سورة التكوير المارة وهو «ذو مرة» قوة عظيمة ، وبأس شديد ، ومنظر حسن ، وخلق جميل «فاستوى ٦» في خلقه على أحسن صورة واعتدل قائما على صورته الحقيقية حينما رآه عبدنا محمد عيانا على غير الصورة التي تمثل بها حين هبوطه بالوحي ، إذ كان على صورة دحية الكلبي.

مطلب مقر جبريل ومعنى قاب قوسين :

ولم يره في صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها غير مرة في الأرض ، وهي المشار إليها في سورة التكوير المارة «وهو» أي جبريل «بالأفق الأعلى ٧» الشرقي ومحمد بحراء كما مر فيها ، ومرة في السماء ليلة المعراج كما سيأتي أول سورة الإسراء الآتية «ثم دنا» جبريل من محمد «فتدلى ٨» ازداد نزوله فتقرب منه «فكان» جبريل من محمد «قاب» وقب وقيب وقاد وقيس كلها بمعنى المقدار القليل ، أي ان مسافة قربه منه «قوسين» من الأقواس العربية المعروفة عندهم إذ لكل قوس قابان وقاب القوس ما بين وترها ومقبضها «أو أدنى ٩» من ذلك وأقرب بحسب تقديركم أيها الناس إذ لا أقرب من هذا عندكم وأما عندنا نحن مولى." (١)

"ثم كلا سوف تعلمون ٣» مخافة يوم الحشر والنشور ، قال علي كرم الله وجهه كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة التي فيها هذه الآية فأيقنا ، قال تعالى مكررا الردع والزجر تأكيدا لعظم ما يلاقونه عند البعث «كلا لو تعلمون ٤» الحال الذي أنتم فيه بأنه زائل ، وأن ما بين أيديكم لا ينفعكم نفعا دائما إذ لا يكون إلا بالعمل الصالح «علم اليقين ٥» كالأمور التي تتحقون صحتها وتتيقنون وقوعها لما ألهاكم تكاثركم ولأشغلكم خوف الآخرة وعذابها عن كل ما في الدنيا ، راجع تفسير آخر سورة الواقعة الآتية ، ثم أكد الإنذارات الثلاثة بالقسم وعزتي وجلالي «لترون» أيها المتفاخرون المتكاثرون «الجحيم ٦» بأبصاركم عيانا بعد الموت قبل الجزاء ، وهي التي أوعدكم العذاب فيها على لسان رسله ، ثم كرر القسم تشديدا للتهديد وتهويلا للأمر فقال عز قوله «ثم لترونها» أي الجحيم المذكورة «عين اليقين ٧» بالمشاهدة لاخفاء فيها ، وهذا القسم من نوع الأقسام المضمرة التي تدل عليها اللام وقد يستدل عليها بالواو معنى كقوله تعالى (وإن منكم إلا واردها) الآية ٧٥ من سورة مريم الآتية والأولى في القرآن كثير ، وإن غالب الأقسام المحذوفة الفعل تكون بالواو وإذا ذكر حرف القسم أتى بالفعل كقوله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) الآية ٥٢ من سورة النور وقوله (يحلفون بالله) الآية ٧٣ من سورة التوبة في ج ٣ وإذا لم يوجد الفعل لا توجد الياء قطعا ولهذا أخطأوا عند قوله تعالى (إن الشرك لظلم عظيم) الآية

---

(١) بيان المعاني، ١٩١/١

١٢ من سورة لقمان في ج ٢ ، وقوله (بما عهد عندك) الآية ١٢ من الأعراف الآتية (وقوله إن كنت قلته فقد علمته) ١١٩ من المائدة في جزء ٣ ومن القسم.." (١)

"عليه اللام نحو : (لتبلون في أموالكم) الآية ١٨٦ من آل عمران في ج ٣ ، وقسم دل عليه المعنى كقوله تعالى : (وإن منكم إلا واردها) الآية ٧١ من سورة مريم الآتية (يا ويلتاه الورود محقق ، والخروج مظنون ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، إنا لله وإنا إليه راجعون) وجواب القسم هنا «ما ضل» عن الحق ولا زاغ عن الصواب فيما تلاه عليكم من الآيات البينات «صاحبكم» محمد بن عبد الله «وما غوى » في اتباع الباطل وما جهل قط ، لأن الضلال نقيض الهدى والغي ضد الرشد ، وهو هاد مهتد راشد مرشد ليس كما تزعمون يا كفار قريش في نسبتكم إياه للضلال والغي والجهل «وما ينطق» قط «عن الهوى ٣» من تلقاء نفسه عن لا شيء كلاما «إن هو» الذي يتلوه عليكم «إلا وحي يوحى ٤» إليه من قبلنا على لسان رسولنا لا من رأيه ولا من قبل الغير «علمه» إياه ونزل به إليه من لدنا ملك عظيم «شديد القوى ٥» هو جبريل عليه السلام وقد مر شيء من قوته في تفسير الآية ١٩ من سورة التكوير المارة وهو «ذو مرة» قوة عظيمة ، وبأس شديد ، ومنظر حسن ، وخلق جميل «فاستوى ٦» في خلقه على أحسن صورة واعتدل قائما على صورته الحقيقية حينما رآه عبدنا محمد عيانا على غير الصورة التي تمثل بها حين هبوطه بالوحي ، إذ كان على صورة دحية الكلبي.

مطلب مقر جبريل ومعنى قاب قوسين :." (٢)

"بيان المعاني ، ج ٢ ، ص : ١٦٤

ملكا ليتحاكما إليه ، فقال الملك بعد أن أخذ ادعاء المدعي رضوان ودفاع المدعى عليه إدريس لإدريس : لم لم تخرج بأمره بعد أن أدخلك بأمره وأنت تعترف بأنك استأذنته بالدخول وأنه أمرك بالخروج فلم تفعل ؟ قال لأن الله قضى على كل نفس بالموت بقوله : (كل نفس ذائقة الموت) الآية ٣٦ من سورة الأنبياء في ج ٢ وقد مت ، وقضى على كل نفس بورود جهنم بقوله : (وإن منكم إلا واردها) الآية ٧٤ الآتية وقد وردتها ، وقضى على كل من دخل الجنة أن لا يخرج منها بقوله : (وما هم منها بمخرجين) الآية ٤٩ من سورة الحجر في ج ٢ ، ولذلك فإني لا أخرج.

فأوحى الله إلى الملك بأمري دخل وبأمري لا يخرج.

وجاء هذا في حديث طويل أخرجه ابن المنذر عن عمر مولى عفرة يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، والله أعلم بذلك ، ولا يقال إن هذه الآيات المحتج بها نزلت على محمد ولم تكن في زمنه ، لأن الله قادر على إلهامه إياها ، لأنها مدونة في لوحه ، وقد يجوز أنه أشار إليها في الصحف التي أنزلها عليه.

هذا ، وان الرفعة بالمكان كما جاء في هذه الآية لا تكون معنوية بل حسية ، وظاهرها لا يحتاج إلى التأويل فيكون ، والله أعلم ، أن سيدنا إدريس حي خالد في جنة ربه ، نسأل الله أن يدخلنا فيها ونراه إن شاء الله ، وهذه الآية المدنية من هذه السورة المتأخر نزولها عنها.

---

(١) بيان المعاني، ١/٢٢٤

(٢) بيان المعاني، ١/٢٥٠

قال تعالى «أولئك» اشارة الى الأنبياء المذكورين في هذه السورة كلهم ، وما في هذه الكلمة من معنى البعد يؤيد أن نزولها كان متأخرا إذ كان بعد بضع سنين ، وفيها إشارة اخرى الى علو منزلة المشار إليهم ولارتفاع شأنهم عنده «الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح» أي إدريس ونوح ومن تقدمه من الأنبياء ومن حملهم في سفينته وذريتهم ومنهم ابراهيم لأنه

من ولد سام بن نوح «ومن ذرية إبراهيم» اسحق وإسماعيل ويعقوب المعني بقوله «وإسرائيل» ومن ذرية موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى المار ذكرهم ، عليهم جميعا صلوات الله وسلامه ، لأنهم كما شرفوا بالنبوة شرفوا بالنسب الطاهر «و» هؤلاء المحترمون الأكارم «ممن هدينا واجتبينا» من خلقنا إلى الإيمان بنا والدعوة لخلقنا لتوحيدنا." (١)

"بيان المعاني ، ج ٢ ، ص : ١٦٩

حقارتهم وهي بكسر الجيم والتاء ويجوز ضم الجيم «ثم لننزعن من كل شيعة» طائفة غارية من الكفار «أيهم» كان في الدنيا «أشد على الرحمن عتيا» ٦٩ جرأة وتمردا وفجورا فنطرحهم فيها الأعتى فالأعتى على الترتيب الأكبر جرما والأشد كفرا.

وإنما خص اسم الرحمن دون سائر أسمائه الحسنى في هذه الآية والآيات المتقدمة إعلاما بأنه لا ينبغي أن يغر الكافر برحمته تعالى ، لأن من حل عليه قضاؤه المبرم بالعذاب لا تشمله الرحمة.

ومن درى أن الرحمة مقيدة بشروط والمغفرة أيضا كما هو مصرح في الآيات الكثيرة من هذا القرآن العظيم ، إذ لا تجد رحمة أو مغفرة مطلقة من قيد أو شرط لم يغتر بذكرها ، بل عكف على عبادة ربه وطاعته وجعل في قلبه معنى أسمائه المنتقم أيضا ، والمذل المهيمن ، الحكم العدل ، الجبار القهار ، قال تعالى «ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا» ٧٠ من غيرهم فقدمه على غيره بالإحراق فيها ، وهذه الآية المدنية الثانية ،

قال تعالى «وإن منكم إلا واردها» وأصلها ومقرب إليها.

مطلب معنى الورود وأن مرتكب الكبيرة لا يخلد بالنار :

واعلم أن الورود موافاة المكان ، وقال أكثر المفسرين إنه بمعنى الدخول ، وأنكره ابن الأزرق ، وأقسم ابن عباس بأنه سيدخلها هو وهذا المنكر ، وقال أرجو أن يخرجني بتصديقي ، وما أراه يخرجك بتكذيبك.

واحتج بالآية ٩٨ من سورة الأنبياء في ج ٢ وهي (إنكم وما تعبدون من دون الله) إلخ والآية ١٩ من سورة هود في ج ٢ أيضا وهي (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار) إلخ.

وحجة ابن الأزرق بهاتين الآيتين أيضا ، ولكن المتعارف أن الورود غير الدخول ، قال في القاموس : الورود الإشراف على الماء دخله أو لم يدخله ، ففارق معنى الدخول من الجهة الثانية «كان» ذلك الورود إلى جهنم لكل من البشر كما أقسم الله تعالى «على ربك حتما مقضيا» ٧١ لازما مبرما حقا.

قال بعض المفسرين إن في هذه الآية معنى القسم ، وهي كذلك ، ولكن بقطع النظر عما قبلها ، ." (٢)

---

(١) بيان المعاني، ١٦٤/٢

(٢) بيان المعاني، ١٦٩/٢

"بيان المعاني ، ج ٢ ، ص : ١٧٠

و إلا فهي قسم كالتي قبلها ، أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يموت لأحد ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلته القسم.

وأراد به الآية المارة أي والله ما منكم من أحد إلا ويرد جهنم.

وروى مسلم عن أم مبشر الأنصاري أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصه : لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد ، أو من الذين بايعوه تحتها الوارد ذكرهم في الآية ١٩ من سورة الفتح في ج ٣ ، قالت بلى يا رسول الله ، فانتهرها لأنها لم تقل إن شاء الله ، فقالت حفصة : (وإن منكم إلا واردها) فقال صلى الله عليه وسلم جوابا لها ما قاله ربه : «ثم ننجي الذين اتقوا» الأسباب الموجبة لدخولها من الكفر ودواعيه ، ولم يصروا على ما فعلوه من المعاصي الكبيرة برحمتنا «ونذر الظالمين فيها جثيا» ٧٢ بعدلنا لاختيارهم الكفر على الإيمان وإصرارهم عليه إلى الوفاة ، ولا دليل في هذه الآية لمن يقول إن الفاسق وصاحب الكبيرة يخلد في النار ، لأن المراد بالتقي المستثنى من الورود من اتقى الشرك ، لأن من آمن بالله ورسوله يصح أن يقال له متق الشرك ولو كان مقترفا الكبائر من غير استحلال ، لأن المستحل لها كافر ، ومن صدق عليه أنه متق الشرك صح عنه أنه متق ، لأن التقى جزء من التقى من الشرك ، ومن صدق عليه المركب صدق عليه المفرد مثبت أن صاحب الكبيرة والفاسق متق ، وإذا ثبت لك هذا وجب أن لا يخلد في النار وأنه يخرج منها لعموم هذه الآية ، وعليه إجماع الأمة من علماء التوحيد ، قال صاحب الشيبانية :

ولا يبقى في نار الجحيم موحد ولو قتل النفس الحرام تعمدا

و يؤيد هذا ما رواه البخاري عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير.

وفي رواية من إيمان.." (١)

"بيان المعاني ، ج ٢ ، ص : ١٧٣

عشرة أمثال الدنيا ، فيقول تسخر بي وأنت المالك! فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه (أضراسة وأنيابه وهي آخر الأسنان) فكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة اه.

بلفظها حرفيا ، فدلت الآية الأولى على أن الكل دخلوا النار ، ودلت الثانية والأحاديث على أن الله أخرج منها المتقين والموحدين وترك فيها الظالمين المشركين فقط.

وقد جاء في الحديث : تقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهي.

ورُوي عن مجاهد في قوله تعالى : (وإن منكم إلا واردها) إلخ قال من حم من المسلمين وردها ، وفي الخبر : الحمى من فيح جهنم.

---

(١) بيان المعاني، ١٧٠/٢

وفي خبر آخر :

الحمى كير من جهنم وهي حظ المؤمن من النار الآية ١٠٠ من سورة الأنبياء في ج ٢.

وقال خالد ابن معدان يقول أهل الجنة ألم يعدنا أن نرد النار ، فيقال :

بلى ولكنكم مررتم بها وهي خامدة.

وروى مسلم والبخاري عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الحمى من فيح جهنم (أي وهجها) فأبردوها بالماء. ولهذا فإن الطب الحديث يرى أن يغسل أطراف المحموم بالماء البارد ، ومن كانت حماه برأسه يضعون على رأسه الثلج ، وهذا من الطب النبوي المحتاج إلى عقيدة راسخة كما في الآية ٢٥ من سورة القلم ، لأن من لم يعتقد بالقرآن لا ينتفع بما فيه ، بل يكون عليه وبالا ، وسيأتي لهذا البحث في تفسير الآية ٨٠ من سورة الإسراء الآتية بيان واضح واسع فراجعه.

هذا ، وإن مذهب أهل السنة والجماعة هو أن صاحب الكبيرة قد يعاقب بقدر ذنبه ثم ينجو لا محالة ، ويجوز أن يعفو الله عنه ، وهذه الطريقة يجب التمسك بها والجنوح إليها ، فكل قول يخالف هذا باطل لا قيمة له إذ لا مستند له على الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة.

أما أقوال المخالفين فهي كيفية لا عبرة بها وسنأتيك ببعضها ، فمنهم المرجئة يقولون لا يعاقب المؤمن على ما يقترف من الذنوب كبائر كانت أو صغائر ، لأن المعصية لا تضر مع الإيمان ، قاتلهم الله.

وقالت فرقة أخرى إن المسلمين أهل الكبائر يكونون بمنزلة بين المنزلتين ، أي لا يقال له مؤمن لعدم دخوله في عموم المتقين ، ولا كافر لعدم دخوله في عموم الظالمين ، فيكون بين بين ، وهذا باطل أيضا إذ لا دار عند الله إلا الجنة أو النار ، فمن نجا." (١)

"٣٨٠

هو ما ملك الموت فأخبره بالقصة ثم نظر الملك إلى إدريس قال ما تقول يا إدريس قال أقول إن الله يقول "كل نفس ذائقة الموت " [آل عمران : ١٨٥] فقد ذقته ويقول الله عز وجل " وإن منكم إلا واردها " [مريم : ٧١] وقد وردتها وقال لأهل الجنة " وما هم منها بمخرجين " [الحجر : ٤٨] فوالله لا أخرج منها حتى يكون الله عز وجل هو الذي يخرجني قال فسمع هاتفا يقول بإذني دخل وبإذني فعل فخل سبيله فذلك قوله عز وجل " ورفعناه مكانا عليا " يعني الجنة ويقال " رفعناه " في القدر والمنزلة ويقال " رفعناه " في النبوة والعلم

ثم قال عز وجل " أولئك " يعني إبراهيم وموسى وإسماعيل وإدريس وسائر الأنبياء عليهم السلام " الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح " من سائر الأنبياء وهم ولد نوح عليه السلام إلا إدريس عليه السلام يعني حملناهم على السفينة وهم في صلب نوح وأولاده " ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل " وهو يعقوب " وممن هدينا " يعني أكرمنا بالنبوة ويقال أكرمنا بالإسلام " واجتبينا " يعني واصطفينا بعد هؤلاء " إذا تتلى عليهم آيات الرحمن " يعني القرآن " خروا سجدا وبكيا " يعني يسجدون ويبكون من خوف الله عز وجل بكي جمع باكي وقوله " سجدا وبكيا " منصوب على الحال وقال

---

(١) بيان المعاني، ١٧٣/٢

بعضهم " بكيا " مصدر بكى يبكي بكيا وقال الزجاج من قال مصدر فهو خطأ لأن " سجدا " جمع ساجد " وبكيا " عطف عليه فهو جمع باك

سورة مريم ٥٩ - ٦٢

قوله تعالى " فخلف من بعدهم خلف " يعني بقي بعد الأنبياء الذين ذكرناهم من أول السورة إلى هنا بقيات سوء وهم اليهود والنصارى يقال في الرداءة خلف بإسكان اللام وفي الصلاح خلف بفتح اللام

ثم وصفهم فقال " أضاعوا الصلاة " يعني عن وقتها ويقال تركوها ويقال تركوا الصلاة فلم يؤدوها وجحدوا بها فكفروا " واتبعوا الشهوات " يعني شرب الخمر ويقال إستحلوا الزنى ويقال إستحلوا نكاح الأخت من الأب " فسوف يلقون غيا " يعني شرا ويقال وادي في جهنم يسمى غيا ويقال مجازاة الغي كما قال الله عز وجل " يلق أثاما " [الفرقان : ٦٨] أي مجازاة الآثام

ثم إستثنى فقال تعالى " إلا من تاب " يعني رجع عن الكفر " وآمن " يعني صدق بتوحيد الله عز وجل " وعمل صالحا " بعد التوبة " فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا " يعني لا ينقصون شيئا من ثواب أعمالهم." (١)

٣٨٣"

سورة مريم ٧١ - ٧٢

ثم قال عز وجل " وإن منكم إلا واردها " قال بعضهم يعني داخلها المؤمن والكافر يدخلون على الصراط وهو ممدود على متن جهنم ويقال " وإن منكم إلا واردها " يعني الكفار الذين تقدم ذكرهم

وروى سفيان عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد أن نافع بن الأزرق خاصم إبن عباس وقال لا يردها مؤمن فقال إبن عباس أما أنا وأنت فسندخلها فانظر بماذا تخرج منها إن خرجنا

وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال يرد الناس جميعا الصراط وورودهم قيامهم حول النار ثم يمرون على الصراط بأعمالهم فمنهم من يمر مثل البرق ومنهم من يمر مثل الريح ومنهم من يمر مثل الطير ومنهم من يمر كأجود الخيل ومنهم من يمر كأجود الإبل ومنهم من يمر كعدو الرجل حتى أن آخرهم مثل رجل نوره على موضع إهاب قدميه ثم يتكفأ به الصراط والصراط دحض مزلق مزلقة كحد السيف عليه حسك كحسك العتاد وحافتاه ملائكة معهم كلاليب من نار يختطفون بها الناس فبين مار ناج وبين مخدوش مكدوش في النار والملائكة عليهم السلام يقولون رب سلم سلم

وروى سفيان عن ثور بن خالد بن معدان قال إذا دخل أهل الجنة الجنة قالوا ألم يعدنا ربنا أنا نرد النار قيل إنكم قد مررتم بها وهي خامدة فذلك قوله عز وجل " وإن منكم إلا واردها " يعني الخلائق على الصراط والصراط في جهنم "كان على ربك حتما مقضيا " يعني قضاء واجبا

قال حدثنا أبو الحسن محمد بن محمد بن مندوست رحمه الله قال حدثنا فارس بن مردويه قال حدثنا محمد بن الفضل قال

---

(١) بحر العلوم. ، ٣٨٠/٢

حدثنا عدي بن عاصم قال حدثنا يزيد بن هارون قال حدثنا جرير عن أبي السليل عن غنيم بن قيس عن أبي العوام قال قال كعب هل تدرون ما قوله " وإن منكم إلا واردها " قالوا ما كنا نرى ورودها إلا دخولها قال لا ولكن." (١)
"٣٨٤

ورودها أن يجاء بجهنم كأنها متن إهالة حتى إذا إستوت عليها أقدام الخلائق برهم وفاجرهم نادى مناد خذي أصحابك وذري أصحابي فتخسف بكل ولي لها وهي أعلم بهم من الوالد بولده وينجو المؤمنون ندية ثيابهم

قال الفقيه وحدثني الثقة بإسناده عن الكلبي عن أبي صالح عن إبن عباس قال لما نزلت هذه الآية كبا لها الناس كبوة شديدة وحزنوا حتى بلغ الحزن منهم كل مبلغ وقالوا وليس أحد إلا هو يدخلها فأنشؤوا يبكون قال ونزل بإبن مظعون ضيف فقال لامرأته هيئي لنا طعاما فاستوصي بضيفك خيرا حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتهى إليهم وهم يبكون فقال ما يبكيكم قالوا نزلت هذه الآية " وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا " يقول كائنا لا يبقى أحد إلا دخلها فأنشأ عثمان بن مظعون يبكي ثم إنصرف إلى منزله باكيا فلما أتى منزله سمعت إمرأته بكاءه فأنشأت تبكي فلما سمع الضيف بكاءهما أنشأ يبكي فلما دخل عليهما عثمان قال لها ما يبكيك قالت سمعت بكاءك فبكيت فقال للضيف وأنت ما يبكيك قال عرفت أن الذي أبكاكما سيبكيني قال عثمان فابكوا وحق لكم أن تبكوا أنزل الله عز وجل اليوم على رسوله " وإن منكم إلا واردها " فمكثوا بعد هذه الآية سنتين ثم أنزل الله هذه الآية وهو قوله " ثم ننجي الذين إتقوا " وروي في بعض الأخبار أنه نزل بعد ثلاثة أيام " ثم ننجي الذين إتقوا " أي الذين إتقوا الشرك والمعاصي " ونذر الظالمين " يعني المشركين " فيها جثيا " يعني جميعا ففرح المسلمون بها قرأ الكسائي " ننجي " بالتخفيف قرأ والباقون بالنصب والتشديد أنجى ينجي ونجى ينجي بمعنى واحد

سورة مريم ٧٣ - ٧٦

قوله تعالى " وإذا تتلى عليهم " يعني تعرض عليهم " آياتنا بينات " يعني واضحات قد بين فيها الحلال والحرام " قال الذين كفروا للذين آمنوا " يعني النضر بن الحارث قال لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويقال أهل مكة قالوا لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم " أي الفريقين " يعني أي دينين " خير مقاما " يعني منزلا قرأ إبن كثير " مقاما " بضم الميم وقرأ الباقون بالنصب فمن قرأ بالضم فهو الإقامة يقال أقمت إقامة ومقاما ومن قرأ بالنصب فهو المكان الذي يقام فيه " وأحسن نديا " يعني مجلسا وذلك أنهم لبسوا الثياب وادهنوا الرؤوس ثم قالوا للمؤمنين أي الفريقين خير منزلة المسلمون أو المشركون وأرادوا أن يصرفوهم عن دينهم." (٢)

"٦- عن أم مبشر امرأة زيد بن حارثة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة فقال:" لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية" قالت حفصة: أليس الله عز وجل يقول :﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾[مريم:٧١] قالت:

---

(١) بحر العلوم. ، ٣٨٣/٢
(٢) بحر العلوم. ، ٣٨٤/٢

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فمه، ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ﴾[مريم:٧٢] "[صحيح:رواه أحمد(٢٧٠٨٧) وغيره]..". (١)

"" " صفحة رقم ١١٨ " "

فصل

عموم هذه الآية مخصوص في مواضع ، منها قوله تعالى : (وإن **منكم إلا واردها** ([مريم : ٧١] ثم قال : (ثم ننجى لذين اتقوا ([مريم : ٧٢] وأهل الثواب مصونون عن الخزي .

ومنها : أن الملائكة - الذين هم خزنة جهنم يكونون في النار ، وهم - أيضا - مصونون عن الخزي ، قال تعالى : (عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله مآ أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ([التحريم : ٦] .

قوله : (وما للظالمين من أنصار (" من " زائدة ، لوجود الشرطين ، وفي مجرورها وجهان :

أحدهما : أنه مبتدأ ، وخبره في الجار قبله ، وتقديمه - هنا - جائز لا واجب ؛ لأن النفي مسوغ وحسن تقديمه كون مبتدئه فاصلة .

الثاني : أنه فاعل بالجار قبله ، لاعتماده على النفي ، وهذا جائز عند الجميع .

فصل

تمسك المعتزلة بهذه الآية في نفي الشفاعة للفساق ؛ وذلك لأن الشفاعة ، نوع نصرة ، ونفي الجنس يقتضي نفي النوع ، والجواب من وجوه :

أحدها : أن القرآن دل على أن الظالمين - بالإطلاق - هم الكفار ، قال تعالى : (والكافرون هم الظالمون ([البقرة : ٢٥٤] ويؤكده ما حكى عن الكفار من نفيهم الشفعاء والأنصار في قولهم : (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ([الشعراء : ١٠٠ - ١٠١] .

ثانيها : أن الشفيع لا يمكنه أن يشفع إلا بإذن الله تعالى ، قال تعالى : (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ([البقرة : ٢٥٥] وإذا كان كذلك لم يكن الشفيع قادرا على النصرة إلا بعد الإذن ، وإذا حصل الإذن ففي الحقيقة إنما ظهر العفو من الله تعالى ، فقوله : (وما للظالمين من أنصار (يفيد أنه لا حكم إلا لله ، كما قال : (ألا له الحكم ([الأنعام : ٦٢] وقال : (والأمر يومئذ لله ([الانفطار : ١٩] .

فإن قيل : فعلى هذا التقدير لا يبقى لتخصيص الظالمين - بهذا الحكم - فائدة .

فالجواب : بل فيه فائدة ، لأنه وعد المؤمنين المتقين في الدنيا بالفوز بالثواب ، والنجاة من العقاب ، فلهم يوم القيامة هذه المنزلة ، وأما الفساق فليس لهم ذلك ، فصح تخصيصهم بنفي الأنصار على الإطلاق .

ثالثها : أن هذه الآية عامة ، والأحاديث الواردة بثبوت الشفاعة خاصة ، والخاص مقدم على العام .." (٢)

---

(١) بحث في التفسير بين السنة والشيعة الإمامية الاثنى عشرية، ٣٢٨/١

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ١١٨/٦

"" صفحة رقم ١١٧ " "

) إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ([آل عمران : ٥٥] .

ثم قال : (وكان الله عزيزا حكيما (، والمراد بالعزة : كمال القدرة ، ومن الحكمة : كمال العلم ، نبه بهذا على أن رفع عيسى عليه السلام إلى السموات وإن [كان] كالمتعذر على البشر ، لكنه لا بد فيه من النسبة إلى قدرتي وحكمتي ؛ كقوله تعالى - : (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا ([الإسراء : ١] فإن الإسراء وإن كان متعذرا بالنسبة إلى قدرة محمد ، إلا أنه سهل بالنسبة إلى قدرة الله تعالى .

(وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا (

لما ذكر فضائح اليهود وقبح أفعالهم ، وأنهم قصدوا قتل عيسى عليه الصلاة والسلام ، وأنه لم يحصل لهم ذلك المقصود ، وأن عيسى - عليه السلام - حصل له أعظم المناصب ، بين أن هؤلاء اليهود الذين بالغوا في عداوته ، لا يخرج أحد منهم من الدنيا إلا بعد أن يؤمن به ، فقال : (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته (، " إن " هنا نافية بمعنى " ما " ، و " من أهل " يجوز فيه وجهان :

أحدهما : أنه صفة لمبتدأ محذوف ، والخبر الجملة القسمية المحذوفة وجوابها ، والتقدير : وما أحد من أهل الكتاب إلا والله ليؤمنن به ، فهو كقوله : (وما منآ إلا له مقام معلوم ([الصافات : ١٦٤] ، أي : ما أحد منا ، وكقوله : (وإن منكم إلا واردها ([مريم : ٧١] أي : ما أحد منكم إلا واردها ، هذا هو الظاهر .

والثاني - وبه قال الزمخشري وأبو البقاء - : أنه في محل الخبر ، قال الزمخشري : " وجملة " ليؤمنن به " جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف ، تقديره : وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به ، ونحوه : (وما منا إلا له مقام معلوم ( ) وإن منكم إلا واردها (، والمعنى : " وما من اليهود أحد إلا ليؤمنن " ، قال أبو حيان : " وهو غلط فاحش ؛ إذ زعم أن " ليؤمنن به " جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف إلى آخره ، وصفة " أحد " المحذوف إنما الجار والمجرور ؛ كما قدرناه ، وأما قوله : " ليؤمنن به " ، فليست صفة لموصوف ، ولا هي جملة قسمية ، إنما هي جملة جواب القسم ، والقسم محذوف ، والقسم وجوابه خبر للمبتدأ ، إذ لا ينتظم من " أحد " ، والمجررو إسناد ؛ لأنه لا يفيد ، وإنما ينتظم الإسناد بالجملة القسمية وجوابها ، فذلك هو محط الفائدة ، وكذلك أيضا الخبر هو " إلا له مقام " ، وكذلك " إلا واردها " ؛ إذ لا ينتظم مما قبل " إلا " تركيب." (١)

"" صفحة رقم ٩٧ " "

قال القاضي : هذه الآية دالة على أن الجنة يدخلها من كان تقيا ، والفاسق المرتكب للكبائر لم يوصف بذلك .

وأجيب بأن هذه الآية تدل على أن المتقي يدخلها ، وليس فيها دلالة على أن غير المتقي لا يدخلها ؛ وأيضا : فصاحب الكبيرة متق عن الكفر ، ومن صدق عليه أنه متق (عن الكفر ، فقد صدق عليه أنه متق) ، لأن المتقي جزء مفهوم قولنا : المتقي عن الكفر ، وإذا كان صاحب الكبيرة (يصدق عليه أنه متق ، وجب أنه) يدخل الجنة ، (فالآية بأن تدل على

(١) اللباب في علوم الكتاب، ١١٧/٧

أن صاحب الكبيرة يدخل الجنة) أولى من أن تدل على أنه لا يدخلها .

(/ وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (

قوله تعالى : (وما نتنزل إلا بأمر ربك (الآية .

قال ابن عطية : الواو عاطفة جملة كلام على أخرى ، واصلة بين القولين ، وإن لم يكن معناهما واحدا .

وقد أغرب النقاش في حكاية قول : وهو أن قوله : " وما نتنزل " متصل بقوله : (قال إنمآ أنا رسول ربك لاهب لك ([مريم : ١٩] .

وقال أبو البقاء : " وما نتنزل " أي : وتقول الملائكة . فجعله معمولا لقول مضمر .

وقيل : هو من كلام أهل الجنة . وهو أقرب مما قبله . و " نتنزل " مطاوع." (١)

"" " صفحة رقم ١١٥ " "

قوله : " على الرحمن " متعلق ب " أشد " ، و " عتيا " منصوب على التمييز وهو محول عن المبتدأ ، " إذ التقدير " : أيهم هو عتوه أشد . ولا بد من محذوف يتم به الكلام ، التقدير : فيلقيه في العذاب ، أو فنبدأ بعذابه .

قال الزمخشري : فإن قلت : بم يتعلق " على " ، و " الباء " ، فإن تعلقهما بالمصدرين لا سبيل إليه .

قلت : هما للبيان لا للصلة ، أو يتعلقان بأفعل ، أي : عتوهم أشد على الرحمن ، وصليهم أولى بالنار ، كقولهم : هو أشد على خصمه ، وهو أولى بكذا .

يعني ب " على " قوله : : على الرحمن " ، وب " الباء " قوله : " بالذين هم " وقوله : بالمصدرين . يعني بهما " عتيا " و " صليا " .

" وأما كونه لا سبيل إليه " ، فلأن المصدر في نية الموصول ، ولا يتقدم معمول الموصول عليه " وجوز بعضهم " أن يكون " عتيا " ، و " صليا " في هذه الآية مصدرين كما تقدم وجوز أن يكون جمع عات وصال فانتصابهما على هذا الحال .

وعلى هذا يجوز أن يتعلق " على " و " الباء " بهما لزوال المحذوف المذكور .

قال المفسرون : معنى قوله : (ثم لنحن أعلم ب الذين هم أولى بها صليا (أي أحق بدخول النار . يقال : صلي يصلى صليا مثل لقي يلقى لقيا ، وصلى يصلي صليا مثل مضى يمضي مضيا ، إذا دخل النار ، وقاسى حرها .

قوله تعالى : (وإن منكم إلا واردها (الآية . الواو في " وإن " فيها وجهان :

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ١٣/٩٧

أحدهما : أنها عاطفة لهذه الجملة على ما قبلها . وقال ابن عطية : (وإن منكم إلا واردها (قسم ، والواو تقتضيه ، ويفسره قول النبي (صلى الله عليه وسلم) " من مات له ثلاث من." (١)

"" " صفحة رقم ١١٦ " "

الولد لم تمسه النار إلا تحله القسم " وأراد بالقسم قوله تعالى : (وإن منكم إلا واردها) .

قال أبو حيان : " وذهل عن " قول النحويين : إنه لا يستغنى عن القسم بالجواب لدلالة المعنى إلا إذا كان الجواب باللام أو ب " إن " ، والجواب هنا على زعمه ب " إن " النافية ، فلا يجوز حذف القسم على ما نصوا . وقوله : والواو تقتضيه . يدل على أنها عنده واو القسم ، ولا يذهب نحوي إلى أن مثل هذه الواو واو القسم ، لأنه يلزم عن ذلك حذف المجرور وإبقاء الجاء ، ولا يجوز بذلك إلا أن وقع في شعر أو نادر كلام بشرط أن تقوم صفة المحذوف مقامه ، كما أولوا في قولهم : نعم السير على بئس العير . أي : على عير بئس العير ، وقول الشاعر :

٣٦١٨ - والله ما ليلي بنام صاحبه

أي : بليل نام صاحبه ، وهذه الآية ليست من هذا الضرب ، إذ لم يحذف المقسم " به " وقامت صفته مقامه . و " إن " حرف نفي ، " و " منكم " صفة لمحذوف تقديره : وإن أحد منكم " ويجوز أن يكون التقدير : وإن منكم إلا من هو واردها وقد تقدم لذلك نظائر . والخطاب في قوله : : منكم " يحتمل الالتفات وعدمه .." (٢)

"" " صفحة رقم ١١٧ " "

قال الزمخشري : التفات إلى الإنسان ، ويعضده قراءة ابن مسعود وعكرمة ، " وإن منهم " أو خطاب للناس من غير التفات إلى المذكور .

والحتم : القضاء ، والوجوب حتم ، أي : أوجبه حتماص ، ثم يطلق الحتم على الأمر المحتوم كقوله تعالى : (ه اذا خلق الله ([لقمان : ١١] ، وهذا درهم ضرب الأمير . و " على ربك " متعلق ب " حتم " ، لأنه في معنى اسم المفعول ولذلك وصفه ب " مقضيا " .

فصل

المعنى : وما منكم إلا واردها ، والورود هو موافاة المكان . وقيل القسم فيه مضمر ، أي : والله ما منكم من أحد إلا واردها . واختلفوا في معنى الورود هنا فقال ابن عباس والأكثرون : الورود ههنا هو الدخول ، والكناية راجعة إلى النار ، وقالوا : يدخلها البر والفاجر ، ثم ينجي الله المتقين فيخرجهم منها ، ويدل على أن الورود هو الدخول قوله تعالى : (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار ([هود : ٩٨] .

روى ابن عيينة عن عمرو بن دينار أن نافع بن الأزرق مارى ابن عباس في الورود فقال ابن عباس : هو الدخول . وقال نافع : ليس الورود الدخول ، فتلى ابن عباس) إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون (أدخلها

(١) اللباب في علوم الكتاب، ١١٥/١٣

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ١١٦/١٣

هؤلاء أم لا ؟ ثم قال : يا نافع أما والله أنا وأنت سنردها ، وأنا أرجو أن يخرجني الله ، وما أرى أن يخرجك منها بتكذيبك .

ويدل عليه أيضا قوله تعالى " ثم ننجي الذين اتقوا " ، أي : ننجي من الواردين من اتقى ، ولا يجوز أن يقول " ثم ننجي الذين اتقول ونذر الظالمين فيها جثيا " إلا." (١)

"" صفحة رقم ١١٨ " "

والكل واردون . والأخبار المروية دل على هذا القول ، وهو ما " روي عن عبد الله بن رواحة قال : أخبر الله تعالى عن الورود ولم يخبر بالصد ، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) " يا ابن رواحة " اقرأ ما بعدها " ثم ننجي الذين اتقوا " فدل على أن ابن رواحة فهم من الورود الدخول ، ولم ينكر عليه النبي (صلى الله عليه وسلم) ذلك وعن جابر أنه سئل عن هذه الآية ، فقال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : " الورود الدخول ، ولا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها ، فتكون على المؤمنين بردا وسلاما ، حتى إن للنار ضجيجا من بردها " . وقيل : المراد من تقدم ذكره من الكفار ، فكنى عنهم أولا كناية الغيبة ثم خاطب خطاب المشافهة . قالوا : ولا يجوز أن يدخل الناء مؤمن أبدا لقوله تعالى : (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أؤلئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها) والمبعد عنها لا يوصف بأنه واردها ، ولو وردوا جهنم لسمعوا حسيسها .

وقوله : (وهم من فزع يومئذ آمنون) [النمل : ٨٩] . والمراد في قوله : (وإن منكم إلا واردها) الحضور والرؤية لا الدخول ، كقوله : (ولما ورد مآء مدين) [القصص : ٢٣] أراد به الحضور . وقال عكرمة : الآية في الكفار يدخلونها ولا يخرجون منها .

وقال ابن مسعود : (وإن منكم إلا واردها) يعني القيامة والكناية راجعة إليها .." (٢)

"" صفحة رقم ١٢١ " "

عباس : يردونها كأنها إهالة . وقيل : إن الله - تعالى - يجعل النار الملاصقة لأبدان المؤمنين بردا وسلاما كما جاء في الحديث المتقدم ، وكما في حق إبراهيم - عليه السلام - ، وكما في حق الكوز الواحد من الماء يشربه القبطي فيكون دما ، ويشربه الإسرائيلي فيكون ماء عذبا ، وفي الحديث : " تقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي " . وعن مجاهد في قوله تعالى : (وإن منكم إلا واردها) قال : من حم من المسلمين فقد وردها . وفي الخبر " الحمى كنز من جهنم ، وهي حظ المؤمن من النار " واعلم أنه لا بد من أحد هذه الوجوه في الملائكة الموكلين بالعذاب حتى يكونوا في النار مع المعاقبين . فإن قيل : إذا لم يكن على المؤمنين عذاب في دخولهم فما الفائدة في ذلك الدخول ؟ فالجواب : أن ذلك مما يزيدهم سرورا إذا علموا الخلاص منه . وأيضا : فيه مزيد غم على أهل النار حيث تظهر فضيحتهم عند من كان يخوفهم من النار فما كانوا يلتفتون إليه وأيضا : إن المؤمنين إذا كانوا معهم في النار يبكتونهم فيزداد غم الكفار وسرور المؤمنين .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ١١٧/١٣

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ١١٨/١٣

وأيضا : فإن المؤمنين كانوا يخوفونهم بالحشر والنشر ، ويستدلون على ذلك ، فما كانوا يقبلون تلك الدلائل ، فإذا دخلوا جهنم معهم أظهروا لهم أنهم كانوا صادقين فيما قالوه ، وأن المكذبين بالحشر والنشر كانوا كاذبين . وأيضا : إنهم إذا شاهدوا ذلك العذاب صار سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة على ما قيل : وبضدها تتبين الأشياء .

(/ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورءيا قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا (

قوله تعالى : (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات (الآية .." (١)

"" صفحة رقم ٦١٠ " "

الأول : أن يقال : إن عادة الله تعالى أنه متى شرح عقاب الكفار أردفه بشرح ثواب الأبرار ، فلهذا ذكر هذه الآية عقيب تلك الآية فهي عامة في حق كل المؤمنين .

الثاني : أن هذه الآية نزلت في تلك الواقعة لتكون كالتأكيد في دفع سؤال ابن الزبعرى ثم قال : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وهذا هو الحق ، أجراها على عمومها ، فتكون الملائكة والمسيح وعزير – عليهم السلام – داخلين فيها ، لا أن الآية مختصة بهم . ومن قال العبرة بخصوص السبب خصص قوله : " إن الذين " بهؤلاء فقط .

قوله : " منا " يجوز أن يتعلق ب " سبقت " ، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من " الحسنى " قال الزمخشري : " الحسنى " الخصلة المفضلة في الحسن تأنيث الأحسن وهي إما السعادة ، وإما البشرى بالثواب ، وإما التوفيق للطاعة ثم شرح أحوال ثوابهم فقال : (أؤلئك عنها مبعدون) .

قال أهل العفو معناه : أولئك عنها مخرجون ، واحتجوا بوجهين :

الأول : قوله) وإن منكم إلا واردها ([مريم : ٧١] أثبت الورود ، والورود الدخول ، فدل على أن هذا الإبعاد هو الإخراج .

والثاني : أن إبعاد الشيء لا يصح إلا إذا كانا متقاربين لأنهما لو كانا متباعدين استحال إبعاد أحدهما عن الآخر ، لأن تحصيل الحاصل محال .

وقال المعتزلة : (أؤلئك عنها مبعدون (لا يدخلون النار ولا يقربونها ألبتة . واحتج القاضي عبد الجبار على فساد الأول بأمور :

أحدها : أن قوله تعالى : (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى (يقتضي أن الوعد بثوابهم قد تقدم في الدنيا ، وليس هذا حال من يخرج من النار .

وثانيها : أنه تعالى قال : (أؤلئك عنها مبعدون (فكيف يدخل في لك من وقع فيها .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ١٢١/١٣

وثالثها : قوله : (لا يسمعون حسيسها (وقوله : (لا يحزنهم الفزع الأكبر (يمنع من ذلك . والجواب عن الأول لا نسلم أن المراد من قوله) إن الذين سبقت لهم منا الحسنى (هو أن الوعد بثوابهم قد تقدم ، ولم لم يجوز أن يكون المراد من " الحسنى " تقدم الوعد بالثواب ، (لكن لم قلتم إن الوعد بالثواب لا) يليق بحال من يخرج من النار فإن عنده المحابطة باطلة ، ويجوز الجميع بين استحقاق الثواب والعقاب . وعن الثاني : أنا." (١)

"" " صفحة رقم ٦١١ " "

بينا أن قوله : (أؤلئك عنها مبعدون (لا يمكن إجراؤه على ظاهره إلا في حق من كان في النار . وعن الثالث : أن قوله : (لا يسمعون حسيسها (مخصوص بما بعد الخروج . وعلى قول المعتزلة بأن المراد بقوله : (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أؤلئك عنها مبعدون (أنهم لا يدخلون النار ولا يقربونها ، يبطل القول بأن جميع الناس يردون النار ، ثم يخرجون إلى الجنة ، فيجب التوفيق بينه وبين قوله : (وإن منكم إلا واردها ([مريم : ٧١] وقد تقدم .

قوله : (وهم في ما اشتهت (إلى قوله : ويتلقاهك "كل جملة من هذه الجمل يحتمل أن تكون حالا مما قبلها ، وأن تكون مستأنفة ، وكذلك الجملة المضمرة من القول العامل في جملة قوله : " ه اذا يومكم " إذ التقدير : وتتلقاهم الملائكة يقولون هذا يومكم .

فصل

معنى) لا يسمعون حسيسها (أي : صوتها وحركة تلهبها إذا نزلوا منازل لهم في الجنة . والحس والحسيس : الصوت الخفي .) وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون (مقيمون كقوله : (وفيها ما تشتهيه الأنفس ([الزخرف : ٧١]) لا يحزنهم الفزع الأكبر (النفخة الأخيرة لقوله تعالى : (ويوم ينفخ فى لصور ففزع من فى لسماوات ومن فى لأرض ([النمل : ٨٧] . وقال الحسن : حين يؤمر بالعبد إلى النار . وقال ابن جريج : حين يذبح الموت وينادي يا أهل الجنة خلود فلا موت . وقال سعيد بن جبير والضحاك : هو أن تطبق جهنم ، وذلك بعد أن يخرج الله منها من يريد أن يخرجه .

) وتتلقاهم الملائكة) . أي : تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة يقولون) ه اذا يومكم الذي كنتم توعدون) . فإن قيل : أي : بشارة في أنهم لا يسمعون حسيسها ؟

فالجواب : المراد منه تأكيد بعدهم عنها ، لأن من قرب منها قد يسمع حسيسها فإن قيل : أليس أهل الجنة يرون أهل النار ، فكيف لا يسمعون حسيس النار ؟ فالجواب : إذا حملناه على التأكيد زال هذا السؤال .." (٢)

"" " صفحة رقم ٥٠٣ " "

محذوف هو المفعول (ل " أرسلنا ") ، تقديره : إلا من أنهم . فالضمير في " إنهم " وما بعده عائد على معنى " من " المقدرة ، واكتفي بقوله : " من المرسلين " عنه كقوله : (وإن منكم إلا واردها (كان على ربك حتما) ([مريم : ٧١] ، أي : إلا من يردها .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٦١٠/١٣

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ٦١١/١٣

فعلى قول الزجاج الموصوف محذوف ، وعلى قول الفراء الموصول هو المحذوف ، ولا يجوز حذف الموصول وتبقية الصلة عند البصريين إلا في مواضع ، تقدم التنبيه عليها في البقرة .

الثالث : أن الجملة محلها النصب على الحال ، وإليه ذهاب ابن الأنباري قال : التقدير : إلا وإنهم ، يعني أنها حالية ، فقدر معها الواو بيانا للحالية ، فكسر بعد استئناف . ورد بكون ما بعد " إلا " صفة لما قبلها ، وقدره أبو البقاء أيضا .

والعامة على كسر " إن " ، لوجود اللام في خبرها ، ولكون الجملة حالا على الراجح .

قال أبو البقاء : وقيل : لو لم تكن اللام لكسرت أيضا لأن الجملة حالية ، إذ المعنى : إلا وهم . وقيل : المعنى : إلا قيل أنهم .

وقرئ " أنهم " بالفتح على زيادة اللام وأن مصدرية ، والتقدير : إلا لأنهم أي : ما جعلنا رسلا إلى الناس إلا لكونهم مثلهم .

وقرأ العامة " يمشون " خفيفة ، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وعبد الله " يمشون " مشددا مبنيا للمفعول ، أي : تمشيهم حوائجهم أو الناس .

وقرأ عبد الرحمن : " يمشون " بالتشديد مبنيا للفاعل ، وهي بمعنى " يمشون " قال الشاعر :

٣٨٦٩ – ومشى بأعطان المياه وابتغى

قلائص منها صعبة وركوب." (١)

"" " صفحة رقم ١٠٣ " "

والحالة الرابعة : أن تنسف ؛ لأنها مع الأحوال المتقدمة تارة في مواضعها في الأرض ، فترسل الرياح ، فتنسفها عن وجه الأرض ، فتطيرها في الهواء كأنها مارة ، فمن نظر إليها يحسبها لتكاثفها أجساما جامدة ، وهي في الحقيقة مارة ، إلا أن مرورها بسبب مرور الرياح بها مندكة منتسفة .

والحالة الخامسة : أن تصير سرابا ، أي : لأي شيء كما رؤي السراب من بعد .

(إن جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا لابثين فيهآ أحقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا جزآء وفاقا إنهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كذابا وكل شيء أحصيناه كتابا فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا (

قوله تعالى : (إن جهنم كانت مرصادا (" مفعالا " من الرصد ، والرصد : كل شيء كان أمامك .

قرأ ابن يعمر وابن عمر والمنقري : " أن جهنم " بفتح " أن " .

قال الزمخشري : على تعليل قيام الساعة ، بأن جهنم كانت مرصادا للطاغين ، كأنه قيل : كان ذلك قامة الجزاء ، يعني : أنه علة لقوله تعالى : (يوم ينفخ فى لصور (إلى آخره .

قال القفال : في المرصاد قولان :

أحدهما : أن المرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه ، كالمضمار اسم للمكان الذي يضمر فيه الخيل ، والمنهاج : اسم للمكان

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٥٠٣/١٤

الذي ينهج فيه ، أي : جهنم معدة لهم فالمرصاد بمعنى المحل ، وعلى هذا فيه احتمالان :

الأول : أن خزنة جهنم يرصدون الكفار .

والثاني : أن مجاز المؤمنين ، وممرهم على جهنم ، لقوله تعالى : (وإن منكم إلا واردها ([مريم : ٧١] ، فخزنة الجنة يستقبلون المؤمنين عند جهنم ، ويرصدونهم عندها .

القول الثاني : أن " المرصاد " " مفعال " من الرصد ، وهو " الترقب " بمعنى أن ذلك يكثر منه ، و " المفعال " من أبنية المبالغة ك " المعطاء ، والمعمار ، والمطعان " .

قيل : إنها ترصد أعداء الله ، وتشتد عليهم لقوله تعالى : تكاد تميز من الغيظ .." (١)

"" صفحة رقم ١٤٧ " "

قوله : (يوم يتذكر (بدل من " إذا " ، أو : منصوبا بإضمار فعل ، أي : أعني : يوم أو يوم يتذكر كيت وكيت .

قوله : (ما سعى (أي : ما عمل من خير أو شر يراه مكتوبا في كتابه فيتذكره ، وكان قد نسيه ، لقوله تعالى : (أحصاه الله ونسوه ([المجادلة : ٦] .

قوله تعالى : (وبرزت الجحيم (العامة على بنائه للمفعول مشددا ، و) لمن يرى (بياء الغيبة .

وزيد بن علي وعائشة وعكرمة : مبنيا للفاعل مخففا ، و " ترى " بتاء من فوق ، فجوزوا في تاء " ترى " أن تكون للتأنيث ، وفي " ترى " ضمير الجحيم ، كقوله تعالى : (إذا رأتهم من مكان بعيد ([الفرقان : ١٢] ، وأن تكون للخطاب ، أي : ترى أنت يا محمد ، والمراد : ترى الناس . وقرأ عبد الله : " لمن رأى " فعلا ماضيا .

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : " برزت "كشفت عنها تتلظى ، فيراه كل ذي بصر ، فالمؤمنون يمرون عليها ،) وإن منكم إلا واردها ([مريم : ٧١] ، وأما الكفار فهي مأواهم .

وقيل : الرؤية هنا : استعارة ، كقولهم : قد تبين الصبح لذي عينين .

وقيل : المراد : الكافر ؛ لأنه الذي يرى النار بما فيها من أصناف العذاب .

وقيل : يراها المؤمن ليعرف قدر النعمة .

قوله : (فأما من طغى (أي : تجاوز الحد في العصيان .

قيل : نزلت في النضر وأبيه الحارث ، وهي عامة في كل كافر آثر الحياة الدنيا على الآخرة .

قوله : (فإن الجحيم هي المأوى (إما هي المأوى له ، أو هي مأواه ، وقامت " أل " مقام الضمير ، وهو رأي الكوفيين وقد تقدم تحقيق هذا والرد على قائله ، خلافا للبصريين ؛ قال الشاعر : [الطويل]

٥١٠٦ - رحيب قطاب الجيب منها رقيقة

بجس الندامى بضة المتجرد

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ١٠٣/٢٠

إذ لو كانت " أل " عوضا من الضمير لما جمع بينهما في هذا البيت ، ولا بد من أحد هذين التأويلين في الآية الكريمة لأجل العائد من الجملة الواقعة خبرا للمبتدأ ، والذي." (١)

"" " صفحة رقم ٤٨٠ " "

وقيل : لو تعلمون لماذا خلقتم لاشتغلتم وحذف الجواب أفخر ، لأنه يذهب الوهم معه كل مذهب ، قال تعالى : (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون ([الأنبياء : ٣٩] ، وقال تعالى : (ولو ترى إذ وقفوا على ربهم ([الأنعام : ٣٠]

وأعاد " كلا " وهو زجر وتنبيه ؛ لأنه عقب كل واحد بشيء آخر ، كأنه قال : لا تفعلوا ، فإنكم تندمون ، لا تفعلوا ، فإنكم تستوجبون العقاب .

و) علم اليقين (مصدر . قيل : وأصله العلم اليقين ، فأضيف الموصوف إلى صفته .

وقيل : لا حاجة إلى ذلك ؛ لأن العلم يكون يقينا وغير يقين ، فأضيف إليه إضافة العام للخاص ، وهذا يدل على أن اليقين أخص .

فصل في المراد باليقين

قال المفسرون : أضاف العلم إلى اليقين ، كقوله تعالى : (لهو حق اليقين ([الواقعة : ٩٥] ، قال قتادة : اليقين هنا : الموت .

وعنه أيضا : البعث ، لأنه إذا جاء زال الشك ، أي : لو تعلمون علم البعث أو الموت ، فعبر عن الموت باليقين ، كقولك : علم الطب ، وعلم الحساب ، والعلم من أشد البواعث على الفعل ، فإذا كان بحيث يمكن العمل ، كان تذكرة ، وموعظة ، وإن كان بعد فوات العمل كان حسرة ، وندامة ، وفيها تهديد عظيم للعلماء ، الذين لا يعمبون بعلمهم .

قوله : (لترون الجحيم) . جواب قسم مقدر ، أي : لترون الجحيم في الآخرة .

والخطاب للكفار الذين وجبت لهم النار .

وقيل : عام [كقوله تعالى : (وإن منكم إلا واردها ([مريم : ٧١] فهي للكفار دار ، وللمؤمنين ممر] .

وقرأ ابن عامر ، والكسائي : " لترون " مبنيا للمفعول ، وهي مفعولة من " رأى " الثلاث أي : أرأيته الشيء ، فاكتسب مفعولا آخر ، فقام الأول مقام الفاعل ، وبقي الثاني منصوبا .." (٢)

"هذا قول جميع النحويين، قال النحاس: إلا أن علي بن سليمان حكى لنا عن محمد بن زيد قال: يجوز في (إنّ) هذه الفتح وإن كان بعدها اللام وأحسبه وهماً منه، قال أبو إسحاق الزجاج: وفي الكلام حذف والمعنى (وما أرسلنا قبلك رسلاً إلا إنهم ليأكلون الطعام) ثم حذف رسلاً؛ لأن في قوله: ﴿مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[(٢٠) سورة الفرقان] ما يدل عليه، فالموصوف محذوف عند الزجاج، ولا يجوز عنده حذف الموصول وتبقية الصلة كما قال الفراء، قال الفراء: والمحذوف (من) والمعنى: (إلا من إنهم ليأكلون الطعام) وشبهه بقوله: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾[(١٦٤) سورة الصافات]، وقوله: ﴿وَإِن

(١) اللباب في علوم الكتاب، ١٤٧/٢٠

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ٤٨٠/٢٠

مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[(٧١) سورة مريم] أي: ما منكم إلا من هو واردها، وهذا قول الكسائي أيضاً، وتقول العرب: ما بعثت إليك من الناس إلا من إنه ليطيعك، فقولك: إنه ليطيعك صلة (مِن)..

صلة (مَن) التي هي الموصول.

صلة (مَن)، قال الزجاج: هذا خطأ لأن (مَن) موصلة فلا يجوز حذفها، وقال أهل المعاني: المعنى: (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا قيل إنهم ليأكلون) دليله قوله تعالى: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾[(٤٣) سورة فصلت].

أما قوله: لا يجوز حذف الموصول فقد جاء ما يدل على حذفه، كما في قول الشاعر:

أمنتِ وهذا تحملين طليق.

يعني وهذا الذي تحملينه طليقُ، حذف الموصول هنا لدلالة السياق عليه.

وقال ابن الأنباري كسرت ﴿إِنَّهُمْ﴾ بعد (إلا) للاستئناف بإضمار واو: أي إلا وإنهم، وذهبت فرقة إلى أن قوله: ﴿لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾[(٢٠) سورة الفرقان] كناية عن الحدث.." (١)

"(١٩) سورة مريم

اسم هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير وأكثر كتب السنة سورة مريم. ورويت هذه التسمية عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في حديث رواه الطبراني والديلمي، وابن منده، وأبو نعيم، وأبو أحمد الحاكم: عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني عن أبيه عن جده أبي مريم قال :"أتيت النبي – صلى الله عليه وسلم – فقلت: يا رسول الله إنه ولدت لي الليلة جارية، فقال: والليلة أنزلت علي سورة مريم فسمها مريم " . فكان يكنى أبا مريم، واشتهر بكنيته. واسمه نذير، ويظهر أنه أنصاري.

وابن عباس سماها سورة كهيعص ، وكذلك وقعت تسميتها في صحيح البخاري في كتاب التفسير في أكثر النسخ وأصحها.

ولم يعدها جلال الدين في الإتقان في عداد السور المسماة باسمين ولعله لم ير الثاني اسما.

وهي مكية عند الجمهور. وعن مقاتل: أن آية السجدة مدنية. ولا يستقيم هذا القول لاتصال تلك الآية بالآيات قبلها إلا أن تكون ألحقت بها في النزول وهو بعيد.

وذكر السيوطي في الإتقان قولا بأن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم:٧١]الآية مدني، ولم يعزه لقائل.

وهي السورة الرابعة والأربعون في ترتيب النزول؛ نزلت بعد سورة فاطر وقبل سورة طه. وكان نزول سورة طه قبل إسلام عمر بن الخطاب كما يؤخذ من قصة إسلامه فيكون نزول هذه السورة أثناء سنة أربع من البعثة مع أن السورة مكية، وليس أبو مريم هذا معدودا في المسلمين الأولين فلا أحسب الحديث المروي عنه مقبولا.

ووجه التسمية أنها بسطت فيها قصة مريم وابنها وأهلها قبل أن تفصل في غيرها.

ولا يشبهها في ذلك إلا سورة آل عمران التي نزلت في المدينة.

---

(١) التعليق على تفسير القرطبي، ص/٩

وعدت آياتها في عدد أهل المدينة ومكة تسعا وتسعين. وفي عدد أهل الشام والكوفة ثمانا وتسعين.

أغراض السورة

ويظهر أن هذه السورة نزلت للرد على اليهود فيما اقترفوه من القول الشنيع في مريم وابنها، فكان فيها بيان نزاهة آل عمران وقداستهم في الخير.

وهل يثبت الخطي إلا وشيجه

ثم التنويه بجمع من الأنبياء والمرسلين من أسلاف هؤلاء وقرابتهم.." (١)

"والمعنى : ثم لنستخرجن من كل طائفة تشايعت وتعاهدت على الكفر بالبعث ، والجحود للحق ، الذين هم أشد خروجاً عن طاعتنا وامتثال أمرنا فنبدأ بتعذيبهم أولاً ، لأنهم أشد من غيرهم فى العتو والعناد والجحود والضلال .

قال الجمل ما ملخصه : " وأظهر الأعاريب فى قوله : ﴿ أَيُّهُمْ أَشَدُّ ﴾ أن " أى " موصولة بمعنى الذى . وأن حركتها حركة بناء – أى هى مبنية على الضم – ، وأشد خبر مبتدأ مضمر . والجملة صلة لأى . وأيهم وصلتها فى محل نصب مفعولا به لننزعن . وعتيا تمييز محول عن المبتدأ المحذوف الذى هو أشد ، أى : جراءته على الرحمن أشد من جراءة غيره " .

وقوله – تعالى – : ﴿ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بالذين هُمْ أولى بِهَا صِلِيّاً ﴾ بيان لشمول علمه – تعالى – بأحوال هؤلاء الجاحدين ، وبأحوال غيرهم .

و ﴿ صِلِيّاً ﴾ مصدر صلى النار –كرضى – يصلاها صليا – بكسر الصاد وضمها – إذا ذاق حرها ، واكتوى بها .

أى : ثم لنحن أعلم من كل أحد سوانا ، بالذين هم أحق بجهنم ، وباصطلاء نارها ، وبالاكتواء بحرها وسعيرها ، لأننا لا يخفى علينا شيء من أحوال خلقنا وسنجازى المتقين بما يستحقون من خير وثواب ، وسنجازى الجاحدين بما يستحقون من إهانة وعذاب .

ثم بين – سبحانه – أن الجميع سيرد جهنم ، فقال : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ على رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً ﴾ .

وللعلماء أقوال متعددة فى المراد بقوله – تعالى ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ .

فمنهم من يرى أن المراد بورودها : دخولها فجميع الناس مؤمنهم وكافرهم يدخلونها ، إلا أن النار تكون براداً وسلاماً على المؤمنين عند دخولهم إياها ، وتكون لهيباً وسعيراً على غيرهم .

ومنهم من يرى أن المراد بورودها : رؤيتها والقرب منها والإشراف عليها دون دخولها . كما فى قوله – تعالى – ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ ﴾ أى : أشرف عليه وقاربه .

ومنهم من يرى أن المراد بورودها : خصوص الكافرين ، أى : أنهم وحدهم هم الذين يردون عليها ويدخلونها . أما المؤمنون فلا يردون عليها ولا يدخلونها .

ويبدو لنا أن المراد بالورود هنا : الدخول ، أى : دخول النار بالنسبة للناس جميعاً إلا أنها تكون برداً وسلاماً على المؤمنين ، وهناك أدلة على ذلك منها .

(١) المفصل في موضوعات سور القرآن، ص/٦٩٦

أن هناك آيات قرآنية جاء فيها الورود ، بمعنى الدخول ، ومن هذه الآيات قوله – تعالى – : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا موسى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ إلى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فاتبعوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القيامة فَأَوْرَدَهُمُ النار وَبِئْسَ الورد المورود ﴾ ومعنى فأوردهم : فأدخلهم .

يضاف إلى ذلك أن قوله – تعالى – بعد هذه الآية : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الذين اتقوا وَّنَذَرُ الظالمين فِيهَا جِثِيّاً ﴾ قرينة قوية على أن المراد بقوله ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا .." (١)

" ﴿ وإن منكم ﴾ وما منكم من أحد ﴿ إلا واردها ﴾ إلا وهو يرد النار ﴿كان على ربك ﴾ كان الورود على ربك ﴿ حتما مقضيا ﴾ حتم بذلك وقضى ." (٢)

"وقال الفراء : المعنى : " لننزعن " بالنداء ، فيكون معنى " لننزعن " : لننادين . وهذا يتعلق ، ولا يتعدى ، فحسن الرفع بالابتداء ، إذ هو في موضع فعل يجوز أن يعلق عن العمل . أعني " لننزعن " وقع موقع " لننادين " . و نادى/ فعل يعلق عن العمل إذا كان بعده جملة . فلا يعمل في اللفظ ويعمل في المعنى كظننت وحسبت.

وقال بعض الكوفيين في " أي " معنى الشرط والمجازاة فلذلك لم يعمل فيها ما قبلها.

وقال المبرد : " أيهم " متعلقة بشيعة لا بننزعن . والمعنى : ثم لننزعن من الذين تشايعوا أيهم . أي : من الذين تعاونوا فنظروا أيهم أشد . فيكون المعنى على هذا ثم لننزعن من هؤلاء الذين فعلوا هذا الذي وصف عنهم.

قوله تعالى ذكره : ﴿ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا ﴾ إلى قوله ﴿ فيها جثيا ﴾.

أي : ثم لنحن أعلم بالذين ننزعهم من كل شيعة فيقدمهم إلى العذاب فيصلونه.

" وصليا " مصدر صلى يصلي صليا ، على فعول وأصله صلوي : ثم أعل وكسرت اللام.

ثم قال : ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ﴾.

المعنى : وإن من هؤلاء القوم ، الذين هذا القول المتقدم قولهم في البعث ، إلا وارد." (٣)

"وقال ابن زيد : الورود عام ، للمسلم والكافر ، إلا أن ورود المؤمن المرور.

ودل على هذا أن ابن عباس وعكرمة قرآ : وإن منهم إلا واردها يريدان الكفار برد الهاء والميم على ما تقدم من ذكر الكفار.

وقرأ ابن عباس وعلي بن أبي طالب Bهما : ﴿ ثم ننجي الذين ﴾ بفتح التاء . إلا أن عليا قرأ " تنحى بالحاء " وكذلك قرأ ابن أبي ليلى بفتح التاء.

فورود المؤمن على الجسر بين ظهريها ، وورود الكافر الدخول . وعن النبي A أنه قال : " الزالون والزالات يؤمئذ كثيرة وقد أحاط بالجسر سماطان من الملائكة ، دعواهم يومئذ يا الله سلم سلم ".

(١) الوسيط لسيد طنطاوي، ص/٢٧٩٦
(٢) الوجيز للواحدي، ص/٦٨٧
(٣) الهداية الى بلوغ النهاية، ٤٥٧٣/٧

وقال مجاهد : " الحمى حظ كل مسلم من النار.

وقال أبو هريرة : " خرج رسول الله A يعود رجلا من أصحابه وعك ، وأنا معه .." (١)

"فقال : إن الله جل ذكره يقول : هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من النار في الآخرة ".

وقال السدي : يردونها كلهم ، ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم.

وروت حفصة ، " أن النبي A : قال إني لأرجو أن لا يدخل أحد شهد بدرا والحديبية . قالت : فقلت : يا رسول الله ، أليس الله جل وعز يقول : " وإن منكم إلا واردها ؟ قال لها : أولم تسمعيه يقول : " ثم ننجي الذين اتقوا ".

وقيل : المعنى : وإن منكم إلا وارد القيامة . وهذا اختيار الطبري ودل على هذا قوله : ﴿ لا يسمعون حسيسها ﴾ [الأنبياء : ١٠٢] وقوله : ﴿ أولئك عنها مبعدون ﴾ [الأنبياء : ١٠١].

ودل على هذا أيضا قوله تعالى/ قبل الآية " ﴿ فوربك لنحشرنهم والشياطين ﴾." (٢)

"إنه لا وجهة له حينئذ إلا هذه النار وهذا الضوء!! وكذلك الناس ، أو الفراش البشرى ، لا مورد لهم إلا هذه النار التي سعرت وتأججت .. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى : « و إن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا » (٧١ : مريم).

وما مصير هذا الفراش الحشرى المتدافع إلى النار؟ إنه يتقحمها ، ويلقى بنفسه فيها ، وكأن يدا قوية تدفعه إليها دفعا ليكون وقودا لها .. وقليل قليل هو الذي ينجو بنفسه ، ويعدل بوجهه عن لهيبها ..

كذلك شأن الفراش البشرى الوارد على نار جهنم ، إنه وقود هذه النار إلا قليلا قليلا ممن أنجاهم الله منها ، وكتب لهم الفوز بجنات النعيم ، كما يقول سبحانه : « ثم ننجي الذين اتقوا و نذر الظالمين فيها جثيا » (٧٢ : مريم) ..

فهذا القليل هو الذي يقف فى منطقة النور دون أن يتقحم النار ..

وأما الكثير الغالب ، فإنه يغشى فى هذا الضوء فيهوى فى جهنم .. إنه أعمى لا يرى إلى أين مساقه ، لأنه حشر على ما كان فى الدنيا من عمى : « قال رب لم حشرتني أعمى و قد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها و كذلك اليوم تنسى » .. فالهلكى فى الآخرة كثيرون ، والناجون قليل بل وأقل من القليل!! وأكاد أقول إن الناس سيكونون يوم القيامة على صورة الفراش حقيقة لا تشبيها ، وذلك لهذا التوافق العجيب الدقيق بين الصورتين ، - صورة الفراش الحشرى ، وصورة الفراش البشرى - فى الملامح ، والألوان ، والظلال ..

التفسير القرآني للقرآن ، ج ١٤ ، ص : ٥٥٣

و يتأكد هذا المفهوم ، إذ نجد القرآن الكريم يلتزم هذا التشبيه فى معرض آخر ، من معارض البعث والنشور ، فيقول

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية، ٤٥٧٦/٧

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية، ٤٥٧٧/٧

سبحانه : « يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر » (٧ ـ ٨ : القمر) ..." (١)

"لأرحم الراحمين ، الذي لو شاء لمسخهم قردة وخنازير ، ولو شاء لرماهم بكل داء ، ولأخذ سمعهم ، وأبصارهم ، وسلط عليهم من الأوبئة ما يجعل أنفاسهم تتقطع أنينا وصراخا .. إلى غير ذلك مما فى قدرة الله ، ومما رأوا منه مارأوا فى بعض الناس منهم ..

فهؤلاء المجرمون ـ وتلك رحمة الله بهم ـ يخرجون عن طاعة الرحمن ، بل ويحاربونه ، بل ويستعلون على الولاء له ، والانقياد لأمره ..

والصورة تمثل معركة بين هؤلاء العتاة المجرمين ، وبين رحمة الله .. حيث تدعوهم الرحمة إلى رحابها ، وتفسح لهم الطريق إليها ، وهم يتأبون عليها ، ويتفلتون منها .. فهم فى هذا أشبه بالمغالبين لرحمة الله ، وهذا أسوأ ما يمكن أن تكون عليه حال إنسان .. من شقاء غليظ ، لا تنفذ إليه فيه بارقة من رجاء فى عافية ، أو خروج من بلاء ..!

الآيات : (٧١ ـ ٧٢) [سورة مريم (١٩) : الآيات ٧١ الى ٧٢]

و إن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا و نذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)

التفسير :

قوله تعالى : « و إن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا و نذر الظالمين فيها جثيا » .

[جهنم .. هل يردها الناس جميعا؟]

الضمير فى واردها يعود إلى جهنم ، المذكورة فى قوله تعالى : « ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا » ..

التفسير القرآني للقرآن ، ج ٨ ، ص : ٧٥٧." (٢)

"أما الضمير فى « منكم » فقد اختلف فيه ويكاد إجماع المفسرين ينعقد على أن المراد به الناس جميعا ، مؤمنهم وكافرهم .. بمعنى أن كل إنسان ، حتى الأنبياء ، والرسل ، سيردون النار ويمرون بها ، ويشهدون أهوالها ، دون أن يصيبهم منها أذى ، بل ستكون بردا ، وسلاما عليهم .. ويأتون على هذا الرأى بأحاديث ، وأقوال تشهد له!! ثم يقوى من هذا الرأى عندهم قوله تعالى : « ثم ننجي الذين اتقوا و نذر الظالمين فيها جثيا » ! ثم هم ـ من جهة أخرى ـ يدفعون ما قد يثور فى النفس من تخوف على المؤمنين من هذه التجربة التي يمرون بها ، والتي إن سلمت منها أجسامهم ، فلن تسلم منها مشاعرهم ـ هم يدفعون هذا ، بأن المؤمنين حين يمرون بجهنم ، ثم يخلصون منها إلى الجنة ، يشهدون عظمة النعمة وجلالها ، التي أنعم الله بها عليهم ، إذ عافاهم من هذا البلاء العظيم ، الذي رأوه رأى العين!! ونحن نرد هذا القول ، ونأخذ بما هو أولى وأكرم بكرم الله ، وفضله ، وقدرته على إبلاغ نعمته إلى عباده المخلصين ، خالصة من كل شائبة أو كدر! فنقول : إن الضمير فى « منكم » يعود إلى هؤلاء المجرمين الذين سيقوا إلى جهنم ، واجتمعوا حولها جاثين على ركبهم ، لم يدخلوها

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، ١٢٩/١

(٢) التفسير القرآني للقرآن، ١٨٨/٢

بعد .. ثم ينتزع من بينهم أئمتهم ، وقادة الضلال والكفر فيهم ، فيلقى بهم فى جهنم .. كما جاء فى قوله تعالى : « ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا » .

وإلى هنا لم يكن قد انكشف أمر الأتباع ، المتعلقين بهؤلاء الأئمة ..

فجاء قوله تعالى : « و إن **منكم إلا واردها** » ليكشف لهؤلاء الأتباع عن مصيرهم

التفسير القرآني للقرآن ، ج ٨ ، ص : ٧٥٨." (١)

"و أنهم مأخوذون بما أخذ به هؤلاء القادة الذين سبقوهم إلى جهنم! « و إن **منكم إلا واردها** .. كان على ربك حتما مقضيا » أي أمرا قضى به الله سبحانه وتعالى على الظالمين ، من الكافرين ، والمشركين ، وأصحاب الضلالات أن يردوا جهنم ، وأن يقفوا على هذا المورد الوبيل ، كما يقول سبحانه وتعالى : « إن الله جامع المنافقين و الكافرين في جهنم جميعا » (١٤٠ : النساء) وكما يقول جل شأنه : « و تمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة و الناس أجمعين » (١١٩ :

هود) وكما يقول سبحانه : « إنكم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون » (٩٨ : الأنبياء) .. فجهنم هى الحكم الذي قضى به الحق جل وعلا على أهل الشقوة من الناس ..

ثم إنه ليس يصح أن يكون من تكريم المؤمنين فى هذا اليوم ، وعلى رأسهم الأنبياء ، والرسل والصديقون ، والأولياء ، والأبرار ، والشهداء - ليس يصح أن يكون من مظاهر تكريمهم أن يدخلوا فى هذه التجربة القاسية ، وأن يردوا هذا المورد الجهنمى ، وهم إنما سعوا إلى الله ، وأحبوا لقاءه ، ليخلصوا من أكدار الدنيا .. فهل مما يقع فى التصور أن يكون أول ما يلقونه فى الآخرة ، هو هذا الوجه الكريه المشئوم منها ، وهو جهنم؟

و كيف يرد المؤمنون وعلى رأسهم الأنبياء والرسل ، هذا المورد الذي لا يرده إلا الخاطئون ، والذي يصفه الحق تبارك وتعالى بقوله عن فرعون :

«يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار و بئس الورد المورود » (٩٨ :

هود)؟

ثم كيف ، والله سبحانه وتعالى يقول : « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها و هم في ما اشتهت أنفسهم خالدون

التفسير القرآني للقرآن ، ج ٨ ، ص : ٧٥٩." (٢)

"لا يحزنهم الفزع الأكبر و تتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون »

(١٠١ - ١٠٣ : الأنبياء) فهذا صريح قول الله تعالى ، فيما يلقى المؤمنون الذين سبقت لهم من الله الحسنى ، من كرامة ، وتكريم ، فى هذا اليوم ، إنهم مبعدون عن جهنم ، لا يسمعون حسيسها .. فكيف يردونها؟ ثم كيف يدخلونها؟ إنه على

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، ١٨٩/٢

(٢) التفسير القرآني للقرآن، ١٩٠/٢

أي حال دخول في محيط هذا البلاء العظيم ، وإن خرجوا منه من غير أن يصيبهم من لظاها أذى! والمثل يقول : « حسبك من شر سماعه » فكيف بلقائه ، والانغماس فيه؟

. أما قوله تعالى : « ثم ننجي الذين اتقوا و نذر الظالمين فيها جثيا » .. فهو معطوف على قوله تعالى : « فو ربك لنحشرنهم و الشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا و إن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا » ..

فهذه الآيات تصور موقف الضالين والكافرين يوم القيامة ، وما يلقون من بلاء وهوان ، وأنهم جميعا واردون جهنم على دفعات .. الرؤساء أولا .. ثم المرءوسون ثانيا ..

. وفي قوله تعالى : « ثم ننجي الذين اتقوا و نذر الظالمين فيها جثيا » بيان لما يكون للمتقين ، ولعباد الله المكرمين في هذا اليوم من تكريم ، حيث يفوزون بالنجاة من هول هذا اليوم ، ومن عذابه الأليم .. كما يقول سبحانه « فوقاهم الله شر ذلك اليوم ، و لقاهم نضرة و سرورا » (١١ : الإنسان) ..

أما أهل الشقوة فيتركون على ما هم فيه من بلاء وضنك ، ونكال ، حيث يشهدون بأعينهم هذا الركب الميمون ، تزفه ملائكة الرحمن ، إلى جنات النعيم ، وإلى ما يرزقون فيها من كل طيب وكريم ..." (١)

"و جاء قوله تعالى أيضا : « يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي و سعيد فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير و شهيق خالدين فيها ما دامت السماوات و الأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد و أما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات و الأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير

التفسير القرآني للقرآن ، ج ٨ ، ص : ٧٦١

مجذوذ »

(١٠٥ ـ ١٠٨ : هود).

هذا ويمكن أن تؤول الآية الكريمة على وجه آخر ، وهو أن قوله تعالى :

«و إن منكم إلا واردها » يراد به أهل النار جميعا ، على اختلاف حظوظهم السيئة منها .. سواء في هذا من يخلدون في النار من الكافرين والمشركين والمنافقين ، أو من كان من المؤمنين ، أصحاب الكبائر والصغائر ..

ثم يجى ء قوله تعالى بعد ذلك : « ثم ننجي الذين اتقوا » محتملا أن يراد به بعض أهل النار ، وهم أولئك المؤمنون من أصحاب المنكرات .. فهؤلاء ـ لا شك ـ غير مخلدين في النار ، وإنما هم فيها أشبه بالمسجونين سجنا مؤقتا ، سيخرجون منه حتما بعد استيفاء المدة المحكوم على كل واحد منهم بها .. ثم بعد هذا قوله تعالى : « و نذر الظالمين فيها جثيا » مبينا المصير الذي يعيش فيه الظالمون من الكافرين ، والمشركين ، والمنافقين ، بعد أن انكشف المصير الذي صار إليه من

(١) التفسير القرآني للقرآن، ١٩١/٢

كانوا معهم فى النار من عصاة المؤمنين ..

الآيات : (٧٣ ـ ٧٦) [سورة مريم (١٩) : الآيات ٧٣ الى ٧٦]." (١)

"فالزحزحة عن النار دفع لضرر ، جلب معه مصلحة ، وهو دخول الجنة ..

أما من دخل الجنة ابتداء من غير أن يتحقق أنه زحزح عن النار ، فإن شبح النار لا يزال مطلا عليه ، لأنه لم يعلم حقيقة أمره مع النار ..

ولعل هذا هو السر فى قوله تعالى : « و إن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا ، ثم ننجي الذين اتقوا و نذر الظالمين فيها جثيا » (٧١ ـ ٧٢ :

مريم).

وقوله تعالى : « إن عذاب ربهم غير مأمون » ..

أي أن المؤمن ـ مع إيمانه بالله ، وإقامته الصلاة. وإيتائه الزكاة ، وتصديقه باليوم الآخر ـ كل ذلك لا يخلى نفسه من الشعور بالخوف من الله ، والوقوع تحت طائلة عذابه .. فما أحد يدرى ما الله صانع به ، وما أحد يدرى أهو من أهل الجنة أم من أهل النار ، وإن كان ـ مع هذا ـ طريق قائم على الجنة ، وأعمال تبلغ بالعاملين على هذا الطريق ، إلى الجنة .. وطريق قائم على النار ، وأعمال تسوق العاملين على هذا الطريق ، إلى النار ..

ثم الحكم بعد هذا كله إلى الله وحده ، « يدخل من يشاء في رحمته و الظالمين أعد لهم عذابا أليما » .. (٣١ : الإنسان)

التفسير القرآني للقرآن ، ج ١٥ ، ص : ١١٨١

[الإسلام .. وشهوة الجنس]

قوله تعالى :

«و الذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون » .

أي وكذلك من صفات المؤمنين ـ مع إيمانهم بالله ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والتصديق باليوم الآخر ، والخشية من عذاب الله ـ هم أنهم لفروجهم حافظون ، أي حافظون لها من الوقوع فى الحرام.." (٢)

"و قوله تعالى : « ثم لترونها عين اليقين » أي لرأيتم الجحيم فى الدنيا رؤية علمية يدلكم عليها العقل ، فكأنها ماثلة بين أعينكم .. ثم إنكم بعد ذلك : « لترونها عين اليقين » أي رؤية بصرية ، واقعية ، حيث يشهدها كل من فى المحشر ، ويراها رأى العين ، كما يقول سبحانه : « و إن **منكم إلا واردها »** (٧١ : مريم) وكما يقول جل شأنه : « و برزت الجحيم لمن يرى » (٣٦ : النازعات) وتوكيد جواب « لو » هنا لتحقق وقوعه مستقبلا ..

وذلك لأن « لو » حرف يمتنع جوابها لامتناع شرطها .. وذلك محقق فى الماضي ، لأن الشرط لم يقع ، فامتنع لذلك وقوع

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، ١٩٣/٢

(٢) التفسير القرآني للقرآن، ٢١٢/٢

الجواب ..

فإذا جاء الشرط والجواب مضارعين ،كان الحكم معلقا ، فقد يقع الشرط فيقع تبعا لذلك الجواب ، وقد لا يقع الشرط فلا يقع الجواب .. تقول لو جاء الضيف لأكرمته .. وهذا يعنى أن الضيف لم يجى ء وبالتالى لم يقع إكرامه ..

وتقول لو يجى ء الضيف لأكرمنه .. فالضيف لم يجى ء بعد ، وقد يجى ء ، فإذا جاء لم يكن بد من إكرامه .. والتوكيد للفعل هنا واجب ، لأنه حل محل

التفسير القرآني للقرآن ، ج ١٦ ، ص : ١٦٦٧

فعل غلب أن يكون ممتنعا وقوعه ، وهو جواب لو الماضي الذي يجى ء أكثر ما يجى ء فعلا ماضيا ، فلزم توكيد الجواب هنا ، ليقطع كل احتمال لامتناع وقوعه.

وقوله تعالى :

«ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم » .

أي ثم إذ ترون الجحيم فى المحشر ، تحاسبون على ما أنعم الله به عليكم من نعم ، وأجلها العقل ، والرسول ، والقرآن .. فمن رعى هذه النعم ، وأدى واجب الشكر عليها ، نجا من هذه النار ، ونزل منازل المؤمنين فى الجنة ، ومن كفر بهذه النعم ، حرم نعيم الجنة ، وألقى به فى عذاب الجحيم.." (١)

" صفحة رقم ٣٨٤

أحدها : دخولا ، قاله الكلبي .

الثاني : لزوما .

(مريم : (٧١ - ٧٢) وإن منكم إلا . . . . .

" وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا " (قوله عز وجل :)

وإن منكم إلا واردها (فيه قولان :

أحدهما : يعني الحمى والمرض ، قاله مجاهد . روى أبو هريرة قال : خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعود رجلا من أصحابه فيه وعك وأنا معه ، فقال رسول الله : (أبشر فإن الله عز وجل يقول : هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من النار) أي في الآخرة .

الثاني : يعني جهنم . ثم فيه قولان :

أحدهما : يعني بذلك الكافرين يردونها دون المؤمن ؛ قاله عكرمة ويكون قوله :) وإن منكم (أي منهم كقوله تعالى :) وسقاهم ربهم شرابا طهورا (ثم قال :) إن هذا كان لكم جزاء (أي لهم .

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، ١٣٤/٣

الثاني : أنه أراد المؤمن والكافر . روى ابن زيد عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال (الزالون والزالات يومئذ كثير) وفي كيفية ورودها قولان :." (١)

"قال أبو حيان : (وقرأ الجمهور : " فأواري " بنصب الياء عطفا على قوله " أن أكون " كأنه قال : أعجزت أن أواري سوءة أخي . وقال الزمخشري(١): فأواري بالنصب على جواب الاستفهام . وهو خطأ فاحش لأن الفاء الواقعة جوابا للاستفهام تنعقد من الجملة الاستفهامية ، والجواب شرط وجزاء ، وهنا تقول أتزورني فأكرمك ، وقال تعالى : فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا " أي : إن يكن لنا شفعاء يشفعوا لنا ، ولو قلت هنا : إن أعجز أن أكون مثل هذا الغراب أوار سوءة أخي لم يصح ، لأن المواراة لا تترتب على عجزه عن كونه مثل الغراب .)(٢)

قال يحي الشاوي : وهو ظاهر ، ولا حاجة إليه مع إمكان غيره وهو عطفه على " أكون" .

ومثله أيضا في تفسير قوله تعالى : (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ..) سورة النساء : ١٥٨

قال أبو حيان : (وقال الزمخشري(٣): " ليؤمنن به " جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره : وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به ، ونحوها " وما منا إلا له مقام معلوم " ، " وإن منكم إلا واردها " والمعنى : وما من اليهود أحد إلا ليؤمنن به . إنتهى ، وهو غلط فاحش ، إذ زعم أن " ليؤمنن به " جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف إلى آخره ، وصفة " أحد " المحذوف إنما هو الجار والمجرور وهو " من أهل الكتاب " والتقدير كما ذكرناه : " وإن أحد من أهل الكتاب " وأما قوله " ليؤمن به " فليست صفة لموصوف ، ولا هي جملة قسمية كما زعم ، وإنما هي جملة جواب القسم ، والقسم محذوف ، والقسم وجوابه في موضع رفع خبر المبتدأ الذي هو " أحد " المحذوف .)(٤)

---

(١) . الكشاف : ٦٢٦/١

(٢) . البحر المحيط : ٤٦٧/٣ . وانظر المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري : ٤٧٧

(٣) . الكشاف : ٥٨٨/١

(٤) . البحر المحيط : ٣٩٢/٣." (٢)

"وقد قال المصنف في مقدمة كتابه : (.. وبعد ، فالكتاب قصدت فيه جمع اعتراضات الإمام ذي البيان ، المشتهر بأبي حيان ، على ابن عطية ومحمود الزمخشري ، والتكلم بما يظهر للقريب والبعيد ، وأسأل الله في ذلك التسديد .)(١)

وهذه نماذج قصيرة منه :

في إعراب البسملة قال يحي الشاوي : (قال الزمخشري : يقدر عامل البسملة مؤخرا ، لأن تقديم المعمول يوجب الاختصاص(٢).

وقال أبو حيان : وليس كما زعم ، قال سيبويه في المفعول : تقديمه على عامله وتأخيره ، كل منهما عربي جيد ، والاهتمام

---

(١) النكت والعيون. ، ٣٨٤/٣

(٢) الموازنة بين تفسير الكشاف الزمخشري وتفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ص/١٣

والعناية بالتقديم والتأخير كتقديمه على الفاعل وتأخيره عنه(٣).

قلت : نأخذ منه الاهتمام لا الاختصاص ، وأنه في مختلف النسبة كالفاعل والمفعول ، لا في متحدها كالمبتدأ والخبر ، وما ذهب إليه الزمخشري مذهب البيانيين لا مذهب النحويين .)(٤)

وفي تفسير قوله تعالى : " وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته .." سورة النساء : ١٥٨

قال يحيى الشاوي : (قال الزمخشري " ليؤمنن به " جملة قسمية واقعة صفة لمحذوف ، أي : وإن من اليهود أحدا إلا ليؤمنن ، نحو : " وما منا إلا له مقام معلوم " ، و" وإن منكم إلا واردها .

قال أبو حيان : هذا غلط فاحش ، إنما الصفة لـ " أحد " هي " من أهل الكتاب " أي وما أحد من أهل الكتاب ، وأما " ليؤمنن " فليسا صفة لمحذوف ، وهو وجوابه خبر " أحد " المحذوف ، إذ لا ينتظم من " أحد " والمجرور إسناد ، لأنه لا يفيد ، وإنما ينتظم الإسناد بالجملة القسمية وجوابها ، فذلك هو محط الفائدة ، وكذلك الخبر وهو " إلا له مقام معلوم " ، وكذا " إلا واردها " إذ لا ينتظم مما قبل إلا تركيب إسنادي .

---

(١) . يحيى الشاوي ، المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري ، تحقيق : مصطفى الغماري ، نسخة خطية ، ص: ١٦٦

(٢) . الكشاف : ٣/١

(٣) . سيبويه ، الكتاب : ٣٤/١

(٤) . المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري : ١٦٧." (١)

"فاطر).

وقوله تعالى : « ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ » أي لرأيتم الجحيم فى الدنيا رؤية علمية يدلكم عليها العقل ، فكأنها ماثلة بين أعينكم .. ثم إنكم بعد ذلك : « لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ » أي رؤية بصرية ، واقعية ، حيث يشهدها كل من فى المحشر ، ويراها رأى العين ، كما يقول سبحانه : « وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها » (٧١ : مريم) وكما يقول جل شأنه : « وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرى » (٣٦ : النازعات) وتوكيد جواب « لو » هنا لتحقق وقوعه مستقبلا ..

وذلك لأن « لو » حرف يمتنع جوابها لامتناع شرطها .. وذلك محقق فى الماضي ، لأن الشرط لم يقع ، فامتنع لذلك وقوع الجواب ..

فإذا جاء الشرط والجواب مضارعين ، كان الحكم معلقا ، فقد يقع الشرط فيقع تبعا لذلك الجواب ، وقد لا يقع الشرط فلا يقع الجواب .. تقول لو جاء الضيف لأكرمته .. وهذا يعنى أن الضيف لم يجىء وبالتالى لم يقع إكرامه ..

وتقول لو يجىء الضيف لأكرمنّه .. فالضيف لم يجىء بعد ، وقد يجىء ، فإذا جاء لم يكن بدّ من إكرامه .. والتوكيد للفعل هنا واجب ، لأنه حلّ محل فعل غلب أن يكون ممتنعا وقوعه ، وهو جواب لو الماضي الذي يجىء أكثر ما يجىء فعلا

---

(١) الموازنة بين تفسير الكشاف الزمخشري وتفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ص/٣٠

ماضيا ، فلزم توكيد الجواب هنا ، ليقطع كل احتمال لامتناع وقوعه.

وقوله تعالى : « ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ». أي ثم إذ ترون الجحيم فى المحشر ، تحاسبون على ما أنعم الله به عليكم من نعم ، وأجلّها العقل ، والرسول ، والقرآن .. فمن رعى هذه النعم ، وأدى واجب الشكر عليها ، نجا من هذه النار ، ونزل منازل المؤمنين فى الجنة ، ومن كفر بهذه النعم ، حرم نعيم الجنة ، وألقى به فى عذاب الجحيم (١)

هذه السورة ذات إيقاع جليل رهيب عميق وكأنما هي صوت نذير ، قائم على شرف عال . يمد بصوته ويدوي بنبرته . يصيح بنوّم غافلين مخمورين سادرين ، أشرفوا على الهاوية وعيونهم مغمضة ، وحسهم مسحور . فهو يمد بصوته إلى أعلى وأبعد ما يبلغ : ﴿ ألهاكم التكاثر . حتى زرتم المقابر ﴾ . .أيها السادرون المخمورون . أيها اللاهون المتكاثرون بالأموال والأولاد وأعراض الحياة وأنتم مفارقون . أيها المخدوعون بما أنتم فيه عما يليه . أيها التاركون ما تتكاثرون فيه وتتفاخرون إلى حفرة ضيقة لا تكاثر فيها ولا تفاخر . . استيقظوا وانظروا . . فقد ﴿ ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر ﴾ .

---

(١) – التفسير القرآني للقرآن ـ موافقا للمطبوع – (١٥ / ١٦٦٤)." (١)

"وَقَال الْخَيْرُ الرَّمْلِيُّ : إِنْ كَانَ ذَلِكَ لِتَجْدِيدِ الْحُزْنِ وَالْبُكَاءِ وَالنَّدْبِ وَمَا جَرَتْ بِهِ عَادَتُهُنَّ فَلاَ تَجُوزُ ، وَعَلَيْهِ حُمِل حَدِيثُ لَعَنَ اللَّهُ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ . وَإِنْ كَانَ لِلاِعْتِبَارِ وَالتَّرَحُّمِ مِنْ غَيْرِ بُكَاءٍ ، وَالتَّبَرُّكِ بِزِيَارَةِ قُبُورِ الصَّالِحِينَ فَلاَ بَأْسَ – إِذَا كُنَّ عَجَائِزَ – وَيُكْرَهُ إِذَا كُنَّ شَوَابَّ ، كَحُضُورِ الْجَمَاعَةِ فِي الْمَسَاجِدِ .

قَال ابْنُ عَابِدِينَ : وَهُوَ تَوْفِيقٌ حَسَنٌ .

وَقَال الْحَنَابِلَةُ : تُكْرَهُ زِيَارَةُ الْقُبُورِ لِلنِّسَاءِ ، لِحَدِيثِ أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نُهِينَا عَنِ اتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا (١) فَإِنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَقَعُ مِنْهُنَّ مُحَرَّمٌ ، حَرُمَتْ زِيَارَتُهُنَّ الْقُبُورَ ، وَعَلَيْهِ يُحْمَل قَوْلُهُ – صلى الله عليه وسلم – : لَعَنَ اللَّهُ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ .

قَالُوا : وَإِنِ اجْتَازَتِ امْرَأَةٌ بِقَبْرٍ فِي طَرِيقِهَا فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ وَدَعَتْ لَهُ فَحَسَنٌ ؛ لأَِنَّهَا لَمْ تَخْرُجْ لِذَلِكَ

وَيُسْتَثْنَى مِنَ الْكَرَاهَةِ زِيَارَةُ قَبْرِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – ، فَإِنَّهُ يُنْدَبُ لَهُنَّ زِيَارَتُهُ ، وَكَذَا قُبُورُ الأَْنْبِيَاءِ غَيْرِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ، لِعُمُومِ الأَْدِلَّةِ فِي طَلَبِ زِيَارَتِهِ – صلى الله عليه وسلم – . (٢)

٨– كرر اللَّه تعالى في هذه السورة الوعيد بعد الوعيد ، للتأكيد والتغليظ على ثبوت عذاب القبر وعذاب الآخرة ، وأن ما وعدنا به من البعث وتوابعه حق وصدق. ثم أعاد تعالى الزجر والتنبيه على أنه إن لم يفعل الناس العمل الصالح ، وترك التفاخر بالأموال والأولاد والرجال ، يندمون ، ويستوجبون العقاب.

٩– أتى اللَّه تعالى بوعيد آخر بقسم محذوف : واللَّه لترون الجحيم في الآخرة ، وهذا خطاب للكفار الذين وجبت لهم النار ، وقيل : الخطاب عام ، كما قال تعالى : وَإِنْ **مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها** [مريم ١٩/ ٧١] فهي للكفار دار ، وللمؤمنين ممر. ثم أخبر تعالى عن رؤية الجحيم رؤية مشاهدة بالأعين ، وبعيون القلوب والأفئدة.

١٠– يسأل الناس يوم القيامة عن ألوان النعيم في الدنيا ، من ظلال المساكن والأشجار ، وطيب الحياة والرفاهية ، والصحة

---

(١) المهذب في تفسير جزء عم، ص/٩٥٩

والفراغ ، والأمن والستر ونحو ذلك. والكل يسألون ، ولكن سؤال الكفار توبيخ لأنه قد ترك الشكر ، وسؤال المؤمن سؤال تشريف لأنه شكر ، وهذا النعيم في كل نعمة. ويكون السؤال في موقف الحساب ، وقيل : بعد الدخول في النار توبيخا لهم ، والأول هو الظاهر.

(١) – أخرجه البخاري (الفتح ٣ / ١٤٤ – ط السلفية) ، ومسلم (٢ / ٦٤٦ ط عيسى الحلبي) من حديث أم عطية

(٢) – ابن عابدين ١ / ٦٠٤ ، الشرح الصغير ١ / ٢٢٧ ، شرح البهجة ٢ / ١٢٠ ، كشاف القناع ٢ / ١٥٠ ، غاية المنتهى ١ / ٢٥٦ ، المغني ٢ / ٥٦٥ ، ٥٧٠ .." (١)

"لطائف الإشارات ، ج ٢ ، ص : ٤٣٨

من تقدم عليهم فى الإضلال والضلال ضوعف عليه غدا العذاب والأغلال.

ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا ينزل فى كل دركة من دركاتها من هو أهل لها ، فمن كان عتوه اليوم أشد غلوا كان فى النار أبعد من الله وأشد عقوبة وإذلالا.

قوله جل ذكره :

[سورة مريم (١٩) : آية ٧١]

وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١)

كل يرد النار ولكن لا ضير منها ولا احتباس بها لأحد إلا بمقدار ما عليه من (...) «١»

و الزلل فأشدهم انهماكا أشدهم بالنار اشتعالا واحتراقا. وقوم يردونها – كما فى الخبر :

«إن للنار عند مرورهم عليها إذوابة كإذوابة اللبن ، فيدخلونها ولا يحسون بها ، فإذا عبروها قالوا : أو ليس وعدنا جهنم على طريق؟ فيقال لهم. عبرتم وما شعرتم «٢»! قوله جل ذكره :

[سورة مريم (١٩) : آية ٧٢]

ثم ننجي الذين اتقوا و نذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)

ينجي من كان مؤمنا ، بعضهم قبل بعض ، وبعضهم بعد بعض ، ولكن لا يبقى من

(١) مشتبهة وهى في الرسم هكذا (الالتبات) وربما كانت فى الأصل (الالتباس) أي الوقوع فى (اللبس) والالتباس مناسب (للزلل).

(٢) الإذوابة : الزبد حين يوضع فى البرمة ليذاب (مقاييس اللغة لابن فارس ج ٢ ص ٣٦٢).

وعن جابر أنه عليه السلام سئل عن ذلك فقال : إذا دخل أهل الجنة قال بعضهم لبعض : أ ليس قد وعدنا ربنا أن نرد

(١) المهذب في تفسير جزء عم، ص/٩٦٢

النار؟ فيقال لهم قد ورد نموها وهى خامدة (القاضي البيضاوي ط الجسال بجدة) ص ٤١٠.

و عن جابر أيضا ، الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم» [الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١١ ص ١٣٦ سلسلة التراث].

وعن الحسن «ليس الورود الدخول ، إنما تقول وردت البصرة ولم أدخلها فالورود أن يمروا على الصراط «و قد استند كثير إلى رأى الحسن واحتجوا بقوله تعالى «إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون» فلا يدخل النار من ضمن الله أن يبعده عنها. [.....]."(١)

"٢٦٦ – مسألة :

قوله تعالى (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) وقد قال تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١)) ؟ .

جوابه :

أدن ورود المؤمنين : الجواز على الصراط ، والكفار والعصاة يدخلونها أو أن الخطاب لمن تقدم ذكرهم في قوله (أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (٦٩)

إلى قوله تعالى : (صِلِيًّا (٧٠).

٢٦٧ – مسألة :

قوله تعالى : (تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى (٤)) وفى غيره من المواضع : (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) ؟ .

فبدأ بِالسَّمَاوَاتِ." (٢)

"وآثروه على طاعة الله تعالى.

٤٧٥ – مسألة :

قوله تعالى : (لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ) وفيه توكيد الخبر وقال

تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ). الآيتين

جوابه :

تقدم في سورة الأنبياء. وقيل : هو خطاب للمشركين خاصة ، والمراد رؤية دخول وحلول فيها ، وهو عين اليقين. وقيل : هو الخطاب للناس كقوله تعالى : (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) فالمؤمن ناج منها والكافر داخل فيها.

سورة الكافرين

---

(١) لطائف الإشارات موافقا للمطبوع، ٢/٤٣٨

(٢) كشف المعانى فى المتشابه من المثانى، ص/٢٥٠

٤٧٦ – مسألة :

قوله تعالى : (لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ) إلى آخر السورة. هل هو تكرار الفائدة أم ليس بتكرار ؟ .." (١)

" ٧١ – ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ الخطاب للناس من غير التفات أو للإنسان المذكور فيكون التفاتا : أي ما منكم من أحد إلا واردها : أي واصلها

وقد اختلف الناس في هذا الورود فقيل الورود الدخول ويكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم وقالت فرقة : الورود هو المرور على الصراط وقيل ليس الورود الدخول إنما هو كما يقول وردت البصرة ولم أدخلها وقد توقفت كثير من العلماء عن تحقيق هذا الورود وحمله على ظاهره لقوله تعالى : ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴾ قالوا : فلا يدخل النار من ضمن الله أن يبعده عنها ومما يدل على أن الورود لا يستلزم الدخول قوله تعالى : ﴿ ولما ورد ماء مدين ﴾ فإن المراد أشرف عليه لا أنه دخل فيه ومنه قول زهير

(فلما وردن الماء زرقا جمامه ... وضعن عصي الحاضر المتخيم)

ولا يخفى أن القول بأن الورود هو المرور على الصراط أو الورود على جهنم وهي خامدة فيه جمع بين الأدلة من الكتاب والسنة فينبغي حمل هذه الآية على ذلك لأنه قد حصل الجمع بحمل الورود على دخول النار مع كون الداخل من المؤمنين مبعدا من عذابها أو بحمله على المضي فوق الجسر المنصوب عليها وهو الصراط ﴿كان على ربك حتما مقضيا ﴾ أي كان ورودهم المذكور أمرا محتوما قد قضى سبحانه أنه لا بد من وقوعه لا محالة وقد استدلت المعتزلة بهذه الآية على أن العقاب واجب على الله وعند الأشاعرة أن هذا مشبه بالواجب من جهة استحالة تطرق الخلف إليه ." (٢)

" ٧٢ – ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ﴾ أي اتقوا ما يوجب النار وهو الكفر بالله ومعاصيه وترك ما شرعه وأوجب العمل به قرأ عاصم الجحدري ومعاوية بن قرة ﴿ ننجي ﴾ بالتخفيف من أنجى وبها قرأ حميد ويعقوب والكسائي وقرأ الباقون بالتشديد وقرأ ابن أبي ليلى ﴿ ونذر ﴾ بفتح الثاء من ثم والمراد بالظالمين الذين ظلموا أنفسهم بفعل ما يوجب النار أو ظلموا غيرهم بمظلمة في النفس أو المال أو العرض والجثي جمع جاث وقد تقدم قريبا تفسير الجثي وإعرابه

وقد أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لجبريل [ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ فنزلت ﴿ وما نتنزل إلا بأمر ربك ﴾ إلى آخر الآية] وزاد ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وكان ذلك الجواب لمحمد وأخرج ابن مردويه من حديث أنس قال [سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم أي البقاع أحب إلى الله وأيها أبغض إلى الله ؟ قال : ما أدري حتى أسأل فنزل جبريل وكان قد أبطأ عليه فقال : لقد أبطأت علي حتى ظننت أن بربي علي موجدة فقال : وما نتنزل إلا بأمر ربك] وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن عكرمة قال : [أبطأ جبريل على النبي صلى الله عليه و سلم أربعين يوما ثم أنزل فقال له النبي صلى الله عليه و سلم : ما نزلت حتى اشتقت إليك فقال له جبريل : أنا كنت إليك أشوق ولكني مأمور فأوحى الله إلى جبريل أن قل له ﴿ وما نتنزل إلا بأمر ربك ﴾] وهو مرسل

---

(١) كشف المعاني في المتشابه من المثاني، ص/٣٧٩

(٢) فتح القدير، ٤٩٢/٣

وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال : أبطأت الرسل على رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم أتاه جبريل فقال له : [ما حبسك عني ؟ قال : وكيف نأتيكم وأنتم لا تقصون أظفاركم ولا تنقون براجمكم ولا تأخذون شواربكم ولا تستاكون ؟ وقرأ ﴿ وما نتنزل إلا بأمر ربك ﴾] وهو مرسل أيضا وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير ﴿ له ما بين أيدينا ﴾ قال من أمر الآخرة ﴿ وما خلفنا ﴾ قال : من أمر الدنيا ﴿ وما بين ذلك ﴾ قال : ما بين الدنيا والآخرة وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة ﴿ وما بين ذلك ﴾ قال : ما بين النفختين وأخرج ابن المنذر عن أبي العالية مثله وأخرج البزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والطبراني والبيهقي والحاكم وصححه عن أبي الدرداء رفع الحديث قال : ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عافية فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن لينسى شيئا ثم تلا ﴿ وما كان ربك نسيا ﴾ وأخرج ابن مردويه من حديث جابر مثله وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن ابن عباس في قوله : ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ قال : هل تعرف للرب شبها أو مثلا وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب عنه ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ ؟ قال : ليس أحد يسمى الرحمن غيره وأخرج ابن مردويه عنه أيضا في الآية قال : يا محمد هل تعلم لإلهك من ولد ؟ وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله : ﴿ ويقول الإنسان ﴾ قال : العاص بن وائل وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : ﴿ جثيا ﴾ قال : قعودا وفي قوله : ﴿ عتيا ﴾ قال : معصية وأخرج ابن جرير عنه في قوله : ﴿ عتيا ﴾ قال : عصيا وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله : ﴿ ثم لننزعن ﴾ قال : لننزعن من أهل كل دين قادتهم ورؤوسهم في الشر وأخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عن ابن مسعود قال : نحشر الأول على الآخر حتى إذا تكاملت العدة أثارهم جميعا ثم بدأ بالأكابر فالأكابر جرما ثم قرأ ﴿ فوربك لنحشرنهم ﴾ إلى قوله : ﴿ عتيا ﴾ وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله : ﴿ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا ﴾ قال : يقول إنهم أولى بالخلود في جهنم وأخرج أحمد وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي عن أبي سمية قال : اختلفنا في الورود فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن وقال بعضنا يدخلونها جميعا ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ﴾ فلقيت جابر بن عبد الله فذكرت له فقال وأهوى بأصبعه إلى أذنيه صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : [لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار ضجيجا من بردها ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾] وأخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي عن مجاهد قال : خاصم نافع بن الأزرق ابن عباس فقال ابن عباس : الورود الدخول وقال نافع لا فقرأ ابن عباس ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ﴾ وقال : وردوا أم لا ؟ وقرأ : ﴿ يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار ﴾ أوردوا أم لا ؟ أما أنا وأنت فسندخلها فانظر هل نخرج منها أم لا ؟ وأخرج الحاكم عن ابن مسعود في قوله : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ قال : وإن منكم إلا داخلها وأخرج هناد والطبراني عنه في الآية قال : ورودها الصراط وأخرج أحمد وعبد بن حميد والترمذي وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي وابن الأنباري وابن مردويه عن ابن مسعود في قوله : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [ليرد الناس كلهم النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم

فأولهم كلمح البرق ثم كالريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب في رحله ثم كشد الرحل ثم كمشيه] وقد روي نحو هذا من حديث ابن مسعود من طرق وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية قالت حفصة : أليس الله يقول : ﴿ وإن **منكم إلا واردها** ﴾ قالت : ألم تسمعيه يقول : ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ﴾] وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم] ثم قرأ سفيان ﴿ وإن **منكم إلا واردها** ﴾ وأخرج أحمد والبخاري في تاريخه وأبو يعلى والطبراني وابن مردويه عن معاذ بن أنس عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : [من حرس من وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا لا يأخذه سلطان لم ير النار بعينيه إلا تحلة القسم فإن الله يقول : ﴿ وإن **منكم إلا واردها** ﴾] والأحاديث في تفسير هذه الآية كثيرة جدا وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله : ﴿ حتما مقضيا ﴾ قال : قضاء من الله وأخرج الخطيب في تالي التخليص عن عكرمة حتما مقضيا قال : قسما واجبا وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : ﴿ ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ قال : باقين فيها ." (١)

" فقال : ﴿ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ﴾ قال الزجاج : الجملة اواقعة بعد إلا صفة لموصوف محذوف والمعنى : وما أرسلنا قبلك أحدا من المرسلين إلا آكلين وماشين وإنما حذ الموصوف لأن في قوله من المرسلين دليلا عليه نظيره ﴿ وما منا إلا له مقام معلوم ﴾ أي وما منا أحد وقال الفراء لا محل لها من الإعراب وإنما هي صلة لموصول محذوف هو المفعول والتقدير : إلا من أنهم فالضمير في أنهم وما بعده راجع إلى المقدرة ومثله قوله تعالى : ﴿ وإن **منكم إلا واردها** ﴾ أي إلا من يردها وبه قرأ االكسائي قال الزجاج : هذا خطأ لأن من الموصولة لا يجوز حذفها وقال ابن الأنباري : إنها في محل نصب على الحال والتقدير : إلا وإنهم فالمحذوف عنده الواو قرأ الجمهور ﴿ إلا إنهم ﴾ بكسر إن لوجود اللام في خبرها كما تقرر في علم النحو وهو مجمع عليه عندهم قال النحاس : إلا أن علي بن سليمان الأخفش حكى لنا عن محمد بن يزيد المبرد أنه قال : يجوز في إن هذه الفتح وإن كان بعدها اللام وأحسبه وهما وقرأ الجمهور ﴿ يمشون ﴾ بفتح الياء وسكون الميم وتخفيف الشين وقرأ علي و ابن عوف وابن مسعود بضم الياء وفتح الميم وضم الشين المشددة وهي بمعنى القراءة الأولى قال الشاعر :

(أمشي بأعطان المياه وأتقي ... قلائص منها صعبة وركوب)

وقال كعب بن زهير :

(منه تظل سباع الحي ضامزة ... ولا تمشي بواديه الأراجيل)

﴿ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ﴾ هذا الخطاب عام للناس وقد جعل سبحانه بعض عبيده فتنة لبعض فالصحيح فتنة للمريض والغني فتنة للفقير وقيل المراد بالبعض الأول كفار الأمم وبالبعض الثاني المرسل ومعنى الفتنة الابتلاء والمحنة والأول لأولى فإن البعض من الناس ممتحن بالبعض مبتلى به فالمريض يقول لم لم أجعل كالصحيح ؟ وكذا كل صاحب آفة والصحيح مبتلى بالمريض فلا يضجر منه ولا يحقره والغني مبتلى بالفقير يواسيه والفقير مبتلى بالغني يحسده ونحو هذا مثله

---

(١) فتح القدير، ٣/٤٩٢

وقلي المراد بالآية أنه كان إذا أراد الشريف أن يسلم ورأى الوضيع قد أسلم قبله أنف وقال لا أسلم بعده فيكون له علي السابقة والفضل فيقيم على كفره فذلك افتتان بعضهم لبعض واختار هذا الفراء والزجاج ولا وجه لقصر الآية على هذا فإن هؤلاء إن كانوا سبب النزول فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ثم قال سبحانه بعد الإخبار بجعل البعض للبعض فتنة ﴿ أتصبرون ﴾ هذا الاستفهام للتقرير وفي الكلام حذف تقديره أم لا تصبرون : أي أتصبرون على ما ترون من هذه الحال الشديدة والابتلاء العظيم قيل موقع هذه الجملة الاستفهامية ها هنا موقع قوله : ﴿ أيكم أحسن عملا ﴾ في قوله : ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ ثم وعد الصابرين بقوله : ﴿ وكان ربك بصيرا ﴾ أي بكل من يصبر ومن لا يصبر فيجازي كلا منهما بما يستحقه وقيل معنى أتصبرون : اصبروا مثل قوله : ﴿ فهل أنتم منتهون ﴾ أي انتهوا ." (١)

" ٢٣ - ﴿ ولما ورد ماء مدين ﴾ أي وصل إليه وهو الماء الذي يستقون منه ﴿ وجد عليه أمة من الناس يسقون ﴾ أي وجد على الماء جماعة كثيرة من الناس يسقون مواشيهم ولفظ الورود قد يطلق على الدخول في المورد وقد يطلق على البلوغ إليه وإن لم يدخل فيه وهو المراد هنا ومنه قول زهير :

(فلما وردنا الماء زرقا جمامه)

وقد تقدم تحقيق معنى الورود في قوله : ﴿ وإن **منكم إلا واردها** ﴾ وقيل مدين اسم للقبيلة وهي غير منصرفة على كلا التقديرين ﴿ ووجد من دونهم ﴾ أي من دون الناس الذين يسقون ما بينهم وبين الجهة التي جاء منها وقيل معناه : في موضع أسفل منهم ﴿ امرأتين تذودان ﴾ أي تحبسان أغنامهما من الماء حتى يفرغ الناس ويخلو بينهما وبين الماء ومعنى الذود الدفع والحبس ومنه قول الشاعر :

(أبيت على باب القوافي كأنما ... أذود بها سربا من الوحش نزعا)

أي أحبس وأمنع وورد الذود بمعنى الطرد ومنه قول الشاعر :

(لقد سلبت عصاك بنو تميم ... فما تدري بأي عصا تذود)

أي تطرد ﴿ قال ما خطبكما ﴾ أي قال موسى للمرأتين : ما شأنكما لا تسقيان غنمكما مع الناس ؟ والخطب الشأن قيل وإنما يقال ما خطبك لمصاب أو مضطهد أو لمن يأتي بمنكر ﴿ قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء ﴾ أي إن عادتنا التأني حتى يصدر الناس عن الماء وينصرفوا منه حذرا من مخالطتهم أو عجزا عن السقي معهم قرأ الجمهور ﴿ يصدر ﴾ بضم الياء وكسر الدال مضارع أصدر المتعدي بالهمزة وقرأ ابن عامر وأبو عمرو وأبو جعفر بفتح الياء وضم الدال من صدر يصدر لازما فالمفعول على القراءة الأولى محذوف : أي يرجعون مواشيهم والرعاء جمع راع قرأ الجمهور الرعاء بكسر الراء وقرأ أبو عمرو في رواية عنه بفتحها قال أبو الفضل : هو مصدر أقيم مقام الصفة فلذلك استوى فيه الواحد والجمع وقرئ الرعاء بالضم اسم جمع وقرأ طلحة بن مصرف نسقي بضم النون من أسقى ﴿ وأبونا شيخ كبير ﴾ عالي السن وهذا

---

(١) فتح القدير، ٤/٩٩

من تمام كلامهما : أي لا يقدر أن يسقي ماشيته من الكبر فلذلك احتجنا ونحن امرأتان ضعيفتان أن نسقي الغنم لعدم وجود رجل يقوم لنا بذلك فلما سمع موسى كلامهما ." (١)

" وقوله : ٦ - ﴿ لترون الجحيم ﴾ جواب قسم محذوف وفيه زيادة وعيد وتهديد : أي والله لترون الجحيم جواب قسم محذوف وفيه زيادة وعيد وتهديد : أي والله لترون الجحيم في الآخرة قال الرازي : وليس هذا جواب لو لأن جواب لو يكون منفيا وهذا مثبت ولأنه عطف عليه ﴿ ثم لتسألن ﴾ وهو مستقبل لا بد من وقوعه قال : وحذف جواب لو كثير والخطاب للكفار وقيل عام كقوله ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ قرأ الجمهور ﴿ لترون ﴾ بفتح التاء مبنيا للفاعل وقرأ الكسائي وابن عامر بضمها مبنيا للمفعول ." (٢)

"" صفحة رقم ٣٣١ "

العادة لا على سبيل الحقيقة .

والإنصاف في هذا المقام أن وجود الوسائط لا ينافي استناد الكل إلى مسبب الأسباب ، وأن كون أفعال الله تعالى مستتبعة لمصالح العباد لا ينافي جريان الأمور كلها بقضائه وقدره .

ثم إنهم لما سألوا ربهم أن يقيهم عذاب النار أتبعوا ذلك ما يدل على عظم ذلك العقاب وهو الإخزاء ليدل على شدة إخلاصهم وجدهم في الهرب من ذلك فيكون أقرب إلى الاستجابة ، كما أنهم قدموا الثناء على الله بقولهم : (سبحانك) على الطلب ليكون أقرب إلى الأدب وأحرى بالإجابة ، وكل ذلك تعليم من الله تعالى عباده في حسن الطلب .

قال الواحدي : الإخزاء جاء لمعان متقاربة .

عن الزجاج : أخزى الله العدو أي أبعده .

وقيل : أهانه .

وقيل : فضحه .

وقيل : أهلكه .

وقال ابن الأنباري : الخزي في اللغة الهلاك بتلف أو انقطاع حجة أو بوقوع في بلاء .

قالت المعتزلة : في الآية دلالة على أن صاحب الكبيرة من أهل الصلاة ليس بمؤمن لأنه إذا دخل النار فقد أخزاه الله والمؤمن لا يخزى لقوله : (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه) [التحريم : ٨] وأجيب بأنه لا يلزم من أن لا يكون من امن وهو مع النبي (صلى الله عليه وسلم) مخزي أن لا يكون غيره وهو مؤمن مخزي .

وأيضا الآية ليست على عمومها لقوله : (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا) [مريم : ٧١] فثبت أن كل من دخل النار فإنه ليس بمخزي .

وعن سعيد بن المسيب والثوري أن هذا في حق الكفار الذين أدخلوا النار للخلود .

---

(١) فتح القدير، ٤/٢٣٦

(٢) فتح القدير، ٥/٦٩٥

وأيضا إنه مخزي حال دخوله وإن كانت عاقبته الخروج .
وقوله : (يوم لا يخزي) [التحريم : ٨] نفى الخزي على الإطلاق والمطلق يكفي في صدقه صورة واحدة وهي نفي الخزي المخلد .
ويحتمل أن يقال : الإخزاء مشترك بين التخجيل وبين الإهلاك ، وإذا كان المثبت هو الأول والمنفي هو الثاني لم يلزم التنافي .
واحتجت المرجئة بالآية على أن صاحب الكبيرة لا يدخل النار لأنه مؤمن لقوله : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص) [البقرة : ١٧٨] ولقوله : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) [الحجرات : ٩] والمؤمن لا يخزى لقوله : (يوم لا يخزي الله النبي) [التحريم : ٨] والمدخل في النار مخزي بهذه الآية .
والمقدمات بأسرها يدخلها المنع .
أما الأولى فباحتمال أن لا يسمى بعد القتل مؤمنا وإن كان قبله مؤمنا ، وأما الأخريان فبخصوص المحمول وجزئيه الموضوع كما تقرر آنفا .
وقد يتمسك حكماء الإسلام بهذا في أن العذاب الروحاني أشد لأنه بين سبب الاستعاذة بالإخزاء الذي هو التخجيل وهو أمر نفساني .
وقد يتمسك المعتزلة بقوله : (وما للظالمين (أي الداخلين في النار) من أنصار (أي في نفي الشفاعة للفساق لأنها نوع نصرة ، ونفي الجنس يقتضي نفي النوع .
والجواب أن الظالم على الإطلاق هو الكافر لقوله : (والكافرون هم الظالمون (في." (١)
"" صفحة رقم ٤٩٩ "
هو على أيسر) وكان يأمر أهله (أي الجسم والنفس والقلب والروح بالصلاة له توجه كل منهم توجبها يليق بحاله ، وبالزكاة أي تزكية كل واحد منهم من الأخلاق الذميمة) ورفعناه مكانا عليا (في مقعد صدق عند مليك مقتدر) خروا (بقلوبهم على عتبة العبودية) سجدا (بالتسليم للأحكام الأزلية) وبكيا (بكاء السمع يذوبان الوجود على نار الشوق والمحبة) عباده بالغيب (أي بغيبتهم عن الوجود قبل التكوين كقوله : (غن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) [التوبة : ١١١] (ولهم رزقهم (رؤية الله على ما جاء في الحديث : (وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوا وعشيا ( ) وما نتنزل إلا بأمر ربك (المقدور في علم الله ، وتنادى أهل العزة. إلا بأمر ربك) وما كان ربك نسيا (ليحتاج إلى تذكير متمن ، بل هو رب سموات الأرواح وأرض الأجساد وما بينهما من النفوس والقلوب والأسرار له) فاعبده (بأركان الشريعة بجسدك وبآداب الطريقة بنفسك وبالإعراض عن الدنيا والإقبال على المولى بقلبك وبالفناء في الله والبقاءبه بروحك وبسرك.) هل تعلم له (نظيرا في المحبوبية لك. والله أعلم بالصواب. (مريم : (٦٦ - ٩٨) ويقول الإنسان أئذا . . . .
" ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا فوربك لنحشرنهم

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٣٣١/٢

والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقالوا اتخذ." (١)

"" صفحة رقم ٥٦ "

وغيرهم ولهذا جاء) والسماء وما بناها) [الشمس : ٥] سبحان ما سخركن لنا. ومنها أنه تعالى يصور لهم في النار ملكا على صورة من عبدوه ، وضعف بأن القوم لم يعبدوا تلك الصورة ، وبأن الملك لا يتعذب بالنار كخزنة جهنم. واعلم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فقوله) إن الذين (لا يبعد أن يكون عاما لكل المؤمنين ويؤيده ما روي أن عليا قرأ هذه الآية ثم قال : أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف. وزعم مثبتوا لعفو أن الحسنى في الاية هي الوعد بالعفو لأنه قال) أولئك عنها مبعدون (بأزاء قوله) أنتم لها واردون (والورود الدخول فالإبعاد الإخراج من النار بعد أن كانوا فيها. وأيضا إبعاد البعيد محال. وقوله) لا يسمعون حسيسها (إذ الصوت الذي يحس به مخصوص بما بعد الإخراج. وايضا قوله) لا يحزنهم الفزع الأكبر (يفهم منه أنه يحزنهم الفزع الأصغر ، فالأكبر عذاب الكفار والأصغر عذاب صاحب الكبيرة ، والأكثرون على أن المراد من قوله) مبعدون (أنهم لا يدخلون النار ولا يقربونها ألبتة لأن ما جعل بعيدا عن شيء ابتداء يحسن أن يقال : إنه أبعد عنه ، وهؤلاء لم يفسروا الورود في قوله) وإن **منكم إلا واردها**) [مريم : ٧١] بالدخول كما مر في سورة مريم. وفي قوله) لا يسمعون حسيسها (تأكيد للإبعاد فقد لا يدخل النار ويسمع حسيسها. ثم بين أنهم مع العبد عن المنافي منتفعون بالقرب من الملائم ملتذون به على سبيل التأبيد فقال) وهم فيما إشتهته ( ) أنفسهم (أي فيما تطلبه اللالتذاذ به) خالدون (هذا نصيب أهل الجنة ، وأما أهل الله فهم فيما اشتهت قلوبهم وارواحهم وأسرارهم خالدون. والفزع الأكبر قيل : النفخة الأخيرة لقوله) ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض) [النمل : ٨٧] وعن الحسن هو الانصراف إلى النار فإنه لا فزع أكبر مما إذا شاهدوا النار ، وهذا أمر يشترك فيه أهل النار جيمعا ، ثم مراتب التعذيب بعد ذلك متفاوتة. وعن الضحاك وسعيد بن جبير هو حين تطبق النار على أهلها فيفزعون لذلك فزعة عظيمة ، وقيل : حين يذبح الموت على صورة كبش أملح فعند ذلك يستقر أهل النار في النار وأهل الجنة في الجنة وتستقبلهم الملائكة مهنئين قائلين) هذا يومكم (اي وقت ثوابكم) الذي كنتم

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٤٩٩/٤

توعدون (ذلك قال الضحاك : هم الحفظة الذين كتبوا أعمالهم. والعامل في) يوم نطوي السماء (: (لا يحزنهم (أو) تلقاهم (. والسجل اسم للطومار الذي يكتب فيه. وعن ابن عباس أنه ملك يطوي كتب بني آدم إذا رفعت إليه وهو مروي ايضا عن علي رضي الله عنه. وروى أيضا أبو الجوزاء عن ابن عباس أنه كاتب لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) وليس بمعروف. قال الزجاج : هو الرجل بلغة الحبش. فعلى هذه الوجوه فالطي وهو المصدر مضاف إلى الفاعل وعلى الوجه." (١)

"" صفحة رقم ٤٣٢ "

) وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا (وهي في كل هذه الأحوال باقية في مواضعها ثم تنسف بإرسال الرياح عليها) وإذا الجبال نسفت) [الانفطار : ٤] ثم تطير ههنا أحوال إذا برزت من تحتها) ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة) [الكهف : ٤٧] والثاني للجبال فتطيره في الهواء كالهباء فمن نظر إليها حسبها لتكاثفها أجساما جامدة وهي بالحقيقة مارة بتحريك الهواء كما قال) وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) [النمل : ٨٨] والثالث لها باعتبار أماكنها الأصلية فمن نظر إلى المواضع من بعيد ظن أن الجبال هناك حتى إذا دنا منها لم يجد فيها شيئا) كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءهلم يجده شيئا) [النور : ٣٩] وقد أشار إلى هذه الحالة بقوله) وسيرت الجبال فكانت سرابا (ثم أخبر عن أحوال السعداء والأشقياء يومئذ .

وقدم ذكر هذا المقام غير محرر فلينظر الأشقياء لأن الكلام في السورة بني على التهديد فقال) إن جهنم كانت (أي في علم الله أو هي مسلوبة الدلالة على المضي .

والمرصاد إما اسم للمكان الذي يرصد فيه كالضمار للذي تضمر فيه الخيل ، والمنهاج إسم للمكان الذي ينهج فيه .

والمعنى أن خزنة جهنم يرصدون الكفار هناك ، أو أن خزنتها يستقبلون المؤمنين عندها لأن جوازهم عليه بدليل قوله) وإن منكم إلا واردها) [مريم : ٧١] ولهذا قال الحسن وقتادة : يعني طريقا إلى الجنة .

وإما صفة نحو (مقدام) بمعنى أنها ترصد أعداء الله .

وقوله (للطاغين (متعلق بما بعده أو بما قبله ، وعلى التقديرين لا بد من إضمار وهو لفظة لهم أو لأهل الجنة .

ثم ذكر كيفية استقرارهم هناك فقال) لابثين (ومن قرأ بغير ألف فهو أدل على الثبات .

قال جار الله : اللابث من وجد منه اللبث فقط ، واللبث من لا يكاد يبرح المكان أما الأحقاب فزعم الفراء أن أصله الترادف والتتابع أي دهورا مترادفة لا تكاد تتناهى كلما مضى حقب تبعه آخر. وقال الحسن : الأحقاب لا يدري أحد ما هي ولكن الحقب الواحد سبعون ألف سنة اليوم منها كألف سنة مما تعدون .

وسأل هلال الهجري عليا فقال : الحقب مائة سنة السنة اثنا عشر شهرا والشهر ثلاثون يوما واليوم ألف سنة .

وقال عطاء والكلبي ومقاتل عن ابن عباس : الحقب الواحد بضع وثمانون سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما واليوم ألف سنة من أيام الدنيا ونحو هذا يروى عن ابن عباس وقطرب مرفوعا .

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٥/٥٦

فإن قيل : عذاب أهل النار ولا سيما الطاغين غير متناه والأحقاب بالتفاسير المذكورة وإن كثر مبلغها متناهية ، فلما وجه الجمع بينهما ؟ قلنا : الحق متناه ولكن الأحقاب لا نسلم أنها متناهية فإن الجمع لا يلزم تناهي آحاده فيجوز أن يكون المعنى كلما مضى حقب تبعه آخر .

قال الفراء : سلمنا أن الأحقاب تفيد التناهي لكن بالمفهوم والنصوص الدالة على التأبيد كقوله) يريدون أن يخرجو من النار." (١)

"[نديا] الندى والنادي : الذي يجتمع فيه القوم للتحدث والمشورة ، قال الجوهري : الندئ مجلس القوم ومتحدثهم وكذلك الندوة والنادي فإن تفرقوا فليس بندي

[أثاثا] الأثاث : متاع البيت

[رئيا] منظرا حسنا

[تؤزهم] الأز : التهييج والإغراء ، قال أهل اللغة : الأز والهز والاستفزاز متقاربة ، ومعناها التهييج وشدة الإزعاج ، ومنه أزيز المرجل وهو غليانه وحركته

[وفدا] جمع وافد وهو الذي يقدم على سبيل التكرمة معززا مكرما

[وردا] مشاة عطاشا ، قال الرازي : والورد اسم للعطاش لأن من يرد الماء لا يرده إلا للعطش

[إدا] منكرا عظيما ، قال الجوهري : الإد : الداهية والأمر الفظيع

[ركزا] الركز : الصوت الخفي .

سبب التزول :

عن خباب بن الأرت قال : (كنت رجلا قينا - أى حدادا- وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه فقال : لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد ، فقلت : لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث - أى تموت الآن وتبعث أمامي ، وهذا من باب المستحيل - قال : فإنى إذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثم مال فأعطيتك فأنزل الله [أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا] .

التفسير :

[ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا] أى يقول الكافر على وجه الإنكار والاستبعاد : أئذا مت وأصبحت ترابا ورفاتاً ، فسوف أخرج من القبر حيا ؟ قال ابن كثير : يتعجب ويستبعد إعادته بعد موته ، وآللام " لسوف " للمبالغة في الإنكار ، وهو إنكار منشؤه غفلة الإنسان عن نشأته الأولى ، أين كان ؟ وكيف كان ؟ ولو تذكر لعلم أن الأمر ايسر مما يتصور

[أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا] أى أولا يتذكر هذا المكذب الجاحد أول خلقه ، فيستدل بالبداءة على الإعادة ؟ ويعلم أن الله الذي خلقه من العدم ، قادر على أن يعيده بعد الفناء وتشتت الأجزاء ؟ قال بعض العلماء

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٤٣٢/٦

: لو اجتمع كل الخلائق على إيراد حجة في البعث ، على هذا الاختصار لما قدروا عليها ، إذ لا شك أن الإعادة ثانيا أهون من الإيجاد أولا ، ونظيره قوله : [قل يحييها الذي أنشأها أول مرة]

[فوربك لنحشرنهم والشياطين] أى فوربك يا محمد لنحشرن هؤلاء المكذبين الفجرة ، مع الشياطين الذين أغووهم ، قال المفسرون : يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة

[ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا] أى نحضر هؤلاء المجرمين ، حول جهنم قعودا على الركب ، من شدة الهول والفزع ، لا يطيقون القيام على أرجلهم لما يدهمهم من شدة الأمر

[ثم لننزعن من كل شيعة] أى لنأخذن ولننتزعن من كل فرقة وجماعة ارتبطت بمذهب

[أيهم أشد على الرحمن عتيا] أى من منهم أعصى لله وأشد تمردا ، والمراد أنه يؤخذ من هؤلاء المجرمين ، ليقذف في جهنم الأعتى فالأعتى ، قال ابن مسعود : يبدأ بالأكابر جرما

[ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا] أى نحن أعلم بمن هم أحق بدخول النار ، والاصطلاء بحرها ، وبمن يستحق تضعيف العذاب فنبدأ بهم

[وإن منكم إلا واردها] أى ما منكم أحد من بر أو فاجر ، ألا وسيرد على النار ، المؤمن للعبور ، والكافر للقرار

[كان على ربك حتما مقضيا] أى كان ذلك الورود ((اختلف علماء السلف في معنى الورود فقال ابن عباس : الورود الدخول ، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم ، وقال ابن مسعود وقتادة : الورود : المرور عليها حين اجتياز الصراط ، ولعل هذا القول أصح ، أجارنا الله من نار جهنم)) قضاء لازما لا يمكن خلفه

[ثم ننجي الذين اتقوا] أى ننجي من جهنم المتقين بعد مرور الجميع عليها

". (١)

"ثم تخرج من الشرنقة فراشة .. على حين يكون الإنسان قد خرج من قبره، كما تخرج الفراشة من الشرنقة وقد تخلقت لها أجنحة تسبح بها في الفضاء"(١).

...ثم قال: "الناس إذن يكونون يوم القيامة كالفراش المبثوث، فحين يخرجون من الأجداث يطيرون في خفة كما يطير الفراش المنطلق نحو النور والنار! ولكن إلى أين يطير هذا الفراش الآدمي؟ وإلى أين يطير الفراش الحشري إذا رأى نارا؟ أو أحس ضوءا؟ إنه لا وجهة له حينئذ إلا هذه النار وهذا الضوء؟! وكذلك الناس، أو الفراش البشري، لا مورد لهم إلا هذه النار التي سعرت وتأججت .. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ﴾ (٢). وما مصير هذا الفراش الحشري المتدافع إلى النار؟ إنه يتقحمها، ويلقي بنفسه فيها، وكأن يدا قوية تدفعه إليها دفعا ليكون وقودا لها... وقليل قليل هو الذي ينجو بنفسه، ويعدل بوجهه عن لهيبها .. وكذلك شأن الفراش البشري الوارد على نار جهنم، إنه وقود هذه النار إلا قليلا قليلا ممن أنجاهم الله منها، وكتب لهم الفوز بجنات النعيم كما يقول سبحانه ﴿ ثم

---

(١) صفوة التفاسير . للصابوني، ١٧٤/٢

ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ (٣)(٤).

---

(١) م١٤، ٥٤٩/٢٧، ٥٥٠، التفسير القرآني للقرآن د. عبد الكريم الخطيب، تفسير سورة الطور.

(٢) سورة مريم، الآية: ٧١.

(٣) سورة مريم، الآية: ٧٢.

(٤) م١٤، ٥٥١/٧، ٥٥٢، التفسير القرآني للقرآن، د. عبد الكريم الخطيب.." [١]

"...وهكذا يسير د. الخطيب مع عقله الحر في تصوير عالم الغيب، ولم يتوقف عند مدلول الألفاظ التي حددها القرآن الكريم. فالله تعالى يقول: ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ﴾ (١). أي وتتبدل السماوات كذلك. و د. الخطيب يقول عكس ذلك تماما. فيحق لنا أن نعد كلامه شوائب في التفسير.

...أما تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ﴾ (٢). فقد فسرها وقطعها عن سياقها، فالآية تخاطب الإنسان الذي يستهجن البعث بعد الموت ﴿ ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا ﴾ (٣)، والخطاب فيه التفات من الحديث عن الغائب إلى الحاضر. وليس الخطاب لكل إنسان مؤمنا كان أو كافرا. وكلمة واردها تحتمل أكثر من معنى منها الدخول ومنها المرور عليها، وقال آخرون هو الدخول، ولكنه عنى الكفار دون المؤمنين، وقال آخرون: بل الورود عام لكل مؤمن وكافر، غير أن ورود المؤمن مرور، وورود الكافر الدخول. وقال آخرون يردها الجميع، ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم(٤). والذين فسروا الورود بالدخول قالوا إن النار تكون على المؤمنين بردا وسلاما حسبما صح عندهم من أدلة من الكتاب والسنة منها قوله تعالى: ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون ﴾ (٥). فلا تعارض ولا تناقض في القرآن. فالأنبياء والشهداء والصالحون ومن يؤتون كتبهم بأيمانهم لا يدخلون النار قطعا

---

(١) سورة ابراهيم، الآية: ٤٨.

(٢) سورة مريم، الآية: ٧١.

(٣) سورة مريم، الآية: ٦٦.

(٤) هذه المعاني الخمسة ذكرها الطبري في تفسيره للآية م٩، ١٥، ١٠٨/١٦-١١١، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، طبعة دار الفكر.

(٥) سورة الأنبياء، الآيات: ١٠١، ١٠٢.." [٢]

---

(١) شوائب التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، ٣١٣/١

(٢) شوائب التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، ٣١٥/١

"﴿ آمنا به كل من عند ربنا ﴾ ... ٧ ... آل عمران ... ١٨٠

﴿ إذ يوحي ربك إلى الملآئكة أني معكم ﴾ ... ١٢ ... الأنفال ... ١٨٢

﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ﴾ ... ٧١ ... مريم ... ١٨٤، ١٨٥

﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ ... ٧٢ ... مريم ... ١٨٤

﴿ يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر ﴾ ... ٧ ... القمر ... ١٨٥

﴿ فإذا برق البصر ﴾ ... ٧ ... القيامة ... ١٨٥

﴿ لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك ﴾ ... ٢٢ ... ق ... ١٨٥

﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض ﴾ ... ٤٨ ... ابراهيم ... ١٨٥

﴿ ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا ﴾ ... ٦٦ ... مريم ... ١٨٥

﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى ﴾ ... ١٠١ ... الأنبياء ... ١٨٦

﴿ نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة ﴾ ... ٦، ٧ ... الهمزة ... ١٨٧

﴿ لابثين فيها أحقابا ﴾ ... ٢٣ ... النبأ ... ١٨٧

﴿كل يوم هو في شأن ﴾ ... ٢٩ ... الرحمن ... ١٨٧

﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار ﴾ ... ١٥ ... محمد ... ١٨٨، ١٩٠

﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ ... ٣٥ ... البقرة ... ١٨٨

﴿ عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق ﴾ ... ٢١ ... الإنسان ... ١٨٩

﴿ ليس لوقعتها كاذبة ﴾ ... ٢ ... الواقعة ... ١٩٠

﴿ خافضة رافعة ﴾ ... ٣ ... الواقعة ... ١٩٠

﴿ إذا رجت الأرض رجا ﴾ ... ٤ ... الواقعة ... ١٩٠

﴿ وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا ﴾ ... ٨ ... الجن ... ١٩٢." (١)

"واعلم أن حاصل هذا الجواب : أن لفظ الإخزاء لفظ مشترك بين التخجيل وبين الإهلاك ، واللفظ المشترك لا يمكن حمله في طرفي النفي والإثبات على معنييه جميعا ، وإذا كان كذلك جاز أن يكون المنفى بقوله : ﴿يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه﴾ غير المثبت في قوله : ﴿إنك من تدخل النار فقد أخزيته﴾ وعلى هذا يسقط الاستدلال ، إلا أن هذا الجواب إنما يتمشى إذا كان لفظ الإخزاء مشتركا بين هذين المفهومين ، أما إذا كان لفظا متواطئا مفيدا لمعنى واحد ، وكان المعنيان اللذان ذكرهما الواحدي نوعين تحت جنس واحد ، سقط هذا الجواب لأن قوله : ﴿لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه﴾ لنفي الجنس وقوله : ﴿فقد أخزيته﴾ لإثبات النوع ، وحينئذ يحصل بينهما منافاة. أ هـ ﴿مفاتيح الغيب حـ ٩ صـ ١١٥ ـ ١١٦﴾

---

(١) شوائب التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، ٢/٢٠٠

وقال العلامة ابن عطية :

إنه خزي دون خزي وليس خزي من يخرج منها بفضيحة هادمة لقدره ، وإنما الخزي التام للكفار. أ هـ ﴿المحرر الوجيز حـ ١ صـ ٥٥٦﴾

وقال محمد بن أبي بكر الرازى :

فإن قيل : كيف قال : ﴿ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته﴾ وقال فى موضع آخر ﴿يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه﴾ ويلزم من هذا أن لا يدخل المؤمنين النار كما قالت المعتزلة والخارجية ؟

قلنا : ﴿أخزيته﴾ بمعنى أذللته وأهنته من الخزى وهو الذل والهوان ، وقوله ﴿يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه﴾ من الخزاية وهو النكال والفضيحة ، فكل من يدخل النار يذل ، وليس كل من يدخلها ينكل به ويفضح.

أو المراد بالآية الأولى إدخال الإقامة والخلود لا إدخال تحلة القسم المدلول عليها بقوله تعالى ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ أراد إدخال التطهير الذى يكون لبعض المؤمنين بقدر ذنوبهم.

وقيل : إن قوله تعالى ﴿يوم لا يخزي الله النبي﴾ كلام تام ، وقوله تعالى ﴿والذين آمنوا معه﴾ كلام مبتدأ غير معطوف على ما قبله. أ هـ ﴿تفسير الرازى صـ ٧٢ ـ ٧٣﴾

فائدة

قال ابن عاشور :

وقولهم : ﴿ ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته ﴾ مسوق مساق التعليل لسؤال الوقاية من النار ، كما توذن به (إن) المستعملة لإرادة الاهتمام إذ لا مقام للتأكيد هنا.

والخزي مصدر خزي يخزى بمعنى ذل وهان بمرأى من الناس ، وأخزاه أذله على رؤوس الأشهاد ، ووجه تعليل طلب الوقاية من النار بأن دخولها خزي بعد الإشارة إلى موجب ذلك الطلب بقولهم : ﴿ عذاب النار ﴾ أن النار مع ما فيها من العذاب الأليم فيها قهر للمعذب وإهانة علنية ، وذلك معنى مستقر في نفوس الناس ، ومنه قول إبراهيم عليه السلام : ﴿ ولا تخزني يوم يبعثون ﴾ [بالشعراء : ٨٧] وذلك لظهور وجه الربط بين الشرط والجزاء ، أي من يدخل النار فقد أخزيته.." (١)

"قوله : ﴿إنك من تدخل النار فقد أخزيته﴾ عام دخله الخصوص في مواضع منها : أن قوله تعالى : ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا * ثم ننجى الذين اتقوا﴾ [مريم : ٧١ ٧٢] يدل على أن كل المؤمنين يدخلون النار ، وأهل الثواب يصانون عن الخزي.

وثانيها : أن الملائكة الذين هم خزنة جهنم يكونون في النار ، وهم أيضا يصانون عن الخزي.

قال تعالى : ﴿عليها ملائكة غلاظ شداد﴾ [التحريم : ٦]. أ هـ ﴿مفاتيح الغيب حـ ٩ صـ ١١٦﴾

فصل

قال الفخر :

---

(١) جامع لطائف التفسير، ١١٦/١٩

احتج حكماء الإسلام بهذه الآية على أن العذاب الروحاني أشد وأقوى من العذاب الجسماني ، قالوا : لأن الآية دالة على التهديد بعد عذاب النار بالخزي ، والخزي عبارة عن التخجيل وهو عذاب روحاني ، فلولا أن العذاب الروحاني أقوى من العذاب الجسماني وإلا لما حسن تهديد من عذب بالنار بعذاب الخزي والخجالة. أ هـ ﴿مفاتيح الغيب حـ ٩ صـ ١١٦﴾

فصل

قال الفخر :

احتجت المعتزلة بهذه الآية على أن الفساق الذين دخلوا النار لا يخرجون منها بل يبقون هناك مخلدين ، وقالوا : الخزي هو الهلاك ، فقوله : ﴿إنك من تدخل النار فقد أخزيته﴾ معناه فقد أهلكته ، ولو كانوا يخرجون من النار إلى الجنة لما صح أن كل من دخل النار فقد هلك.

والجواب : أنا لا نفسر الخزي بالإهلاك بل نفسره بالإهانة والتخجيل ، وعند هذا يزول كلامكم. أ هـ ﴿مفاتيح الغيب حـ ٩ صـ ١١٧﴾." (١)

"واحتج حكماء الإسلام بهذه الآية على أن العذاب الروحاني أقوى من العذاب الجسماني وذلك لأنه رتب فيها العذاب الروحاني وهو الإخزاء بناءا على أنه الإهانة والتخجيل على الجسماني الذي هو إدخال النار ، وجعل الثاني شرطا والأول جزاءا ، والمراد من الجملة الشرطية الجزاء والشرط قيد له فيشعر بأنه أقوى وأفظع وإلا لعكس كما قال الإمام الرازي وأيضا المفهوم من قوله تعالى : ﴿ فقنا عذاب النار ﴾ [آل عمران : ١٩١] طلب الوقاية منه ، وقوله سبحانه : ﴿ ربنا ﴾ الخ دليل عليه فكأنه طلب الوقاية من المذكور لترتب الخزي عليه فيدل على أنه غاية يخاف منه كما قاله بعض المحققين واحتج بها المعتزلة على أن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن لأنه إذا أدخله الله تعالى النار فقد أخزاه والمؤمن لا يخزى لقوله تعالى : ﴿ يوم لا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم ﴾ [التحريم : ٨] ، وأجيب بأنه لا يلزم من أن لا يكون من آمن مع النبي صلى الله عليه وسلم مخزيا أن لا يكون غيره وهو مؤمن كذلك ، وأيضا الآية ليست عامة لقوله تعالى : ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ﴾ [مريم : ٧١ ، ٧٢] فتحمل على من أدخل النار للخلود وهم الكفار ، وهو المروي عن أنس وسعيد بن المسيب وقتادة وابن جريج.

وأيضا يمكن أن يقال : إن كل من يدخلها مخزي حال دخوله وإن كانت عاقبة أهل الكبائر منهم الخروج ، وقوله تعالى : ﴿ يوم لا ﴾ [التحريم : ٨] الخ نفي الخزي فيه على الإطلاق والمطلق يكفي في صدقه صورة واحدة وهو نفس الخزي المخلد ، وأيضا يحتمل أن يقال : الإخزاء مشترك بين التخجيل والإهلاك والمثبت هو الأول والمنفي هو الثاني ، وحينئذ لا يلزم التنافي.." (٢)

---

(١) جامع لطائف التفسير، ١١٩/١٩

(٢) جامع لطائف التفسير، ١٢٤/١٩

" ٧١ – ﴿ وإن ﴾ أي ما ﴿ منكم ﴾ أحد ﴿ **إلا واردها** ﴾ أي داخل جهنم ﴿كان على ربك حتما مقضيا ﴾ حتمه وقضى به لا يتركه ." (١)

"ج٣ص١٤

خلاف الظاهر ، والتنكير كما يحتمل التعظيم والتحقير يحتمل التكثير ، ورجح التعظيم بأنه أدخل في التوبيخ لأنهم مع ما معهم من الحظ الوافر يفعلون خلافه ، وفيه نظر لا! المعنى يحتمل إن ما معهم شيء قليل بالنسبة إلى غيره وهم يتركون الخير الكثير ، ولما كان المتبادر من كتاب الله القرآن أيد الوجه الأخر بما رواه ابن إسحق وغيره من سبب النزول ، والمدراس صاحب الدراسة ومعلمها ، ويطلق على الموضحع الذي يقرأ اليهود فيه التوراة وهو المراد هنا ، وقصة الرجم والتسخيم ستأتي. قوله : (وقرئ ليحكم على البناء للمفعول الخ) في الكشاف والوجه أن يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من أسلم من أحبارهم ، وبين من لم يسلم يعني لا بينهم وبين الرسول في إبراهيم صلى الله عليه وسلم بدليل ، قوله : ليحكم بينهم فالداعي ليس هو

الرسول صلى الله عليه وسلم بل بعضهم لبعض فمن قال : إنه رد على الزمخشري رحمه الله لم يصب وكذا من قال : فيه بحث فإنه يجوز أن يكون ضمير بينهم لليهود والرسول صلى الله عليه وسلم كما في القراءة المشهورة بلا فرق وقيل إن قوله : والوجه ليس مخصوصا بهذه القراءة بل هو الراجح مطلقا ، والمصنف رحمه الله فهم منه خلاف مراده وفيه نظر. قوله : (وفيه دليل الخ) لأنهم لما اذعوا أن دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام اليهودية وأراد إثباته بما في التوراة ، وهو دليل سمعي دل على ذلك ، وفيه بحث لأنه ليس بمتعين لذلك لاحتمال أن يكون الحكم مما هو في الفروع كالرجم وهو المتبادر من الحكم وأما احتمال أنه أراد إثبات معجزة له صلى الله عليه وسلم باطلاعه على ما في التوراة مع أنه أمي لا إثبات دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام فبعيد مع إن المستدل عليه حال إبراهيم صلى الله عليه وسلم أنه يهودي أم مسلم ، وليس من الأصول إلا أن يراد به غير العملي فتأمل. قوله : (استبعاد الخ) يعني أن التراخي رتبي لا حقيقي ، وقوله : وهم قوم عادتهم الإعراض كذا فسره الزمخشرقي فقيل إنه إشارة إلى أن الجملة معترضة على رأيه أو تذييل على رأي الأكثر وأياما كان فهي مؤكدة لما سبق لا حال كما ذكره المصنف رحمه الله شعم إنما تكون حالا إذا لم تفسر بأنهم قوم عادتهم الإعراض انتهى ، والمصنف رحمه الله جنح إلى أن التفسير بما ذكر لا يمنع الحالية وكذا الوصفية بأن يعطف على منهم بناء على قلة الفائدة بعد وصفهم بالتولي لأنه إنما فسر بذلك لتحصل الفائدة إذ الأول يقتضي الحدوث الذي يكون في معرض! الزوال فأردفه بما يدل على أنه ثابت لهم كالطبيعي فيهم ، والحال لا يلزم أن تكون منتقلة فلا يرد عليه ما توهموه واردا. وقوله : (بسبب تسهيلهم الخ (لا جهلهم بحقيقته ، والطمع الفارغ استعارة لما لا يجدي كما مر وقوله : (ألا تحلة القسيم) أي إلا قليلأ وسيأتي تحقيقه في قوله تعالى : ﴿ وإن **منكم إلا واردها** ﴾ [سورة مريم ، الآية : ٧١] . قوله : (فكيف إذا جمعناهم الخ) أي كيف يكون حالهم في ذلك الوقت فالفعل محذوف ، وهو كثير في كلامهم لأن كيف سؤال عن الحال وهذا الاستفهام للاستعظام والتهويل ، وأن حالهم كذا وما حدثوه به أنفسهم كذا. قوله : (جزاء ما كسبت الخ)

---

(١) تفسير الجلالين، ص/٤٠٣

يعني أن في الكلام مضافا مقدرا وحبوط العبادة سقوطها بالمعاصي ، والمسألة مفصلة في شرح المقاصد ، وقوله : (وأن المؤمن لا يخلد الخ) رد على المعتزلة ، وهم يؤولون التوفية بتخفيف العذاب ولا وجه له . قوله : (الضمير لكل نفس الخ) يعني أن النفس مفردة مؤنثة وقد أرجع إليها ضمير الجمع المذكر لأنها في معنى كل إنسان وكل يجوز مراعاة معناه فيجمع ضميره فلا يقال الصواب كل الناس كما في الكشاف : ولا حاجة إلى الاعتذار بأن المراد توجيه التذكير وتوجيه الجمع يعلم منه. قوله : (الميم عوض عن يا الخ) وشذد لأنه عوض عن حرفين وأما جمعها مع يا في قوله :

أقول يا اللهم يا اللهما

فشاذ.

والقول بأن أصله يا الله آمنا قول الكوفيين ولا يخفى ما فيه ، ويقتضي أن لا يليه أمر دعائي آخر إلا بتكلف. قوله : (يتصرف فيما يمكن التصرف فيه) في الكشف إنه تعزيف للملك لأن الملك من له الملك كما أن المالك من له المال ، ولو قيل مللث المللث لم يصح إلا على ضرب من التجوز ، وكون اللهم لا يوصف مذهب سيبويه رحمه الله لأنه لاتصال الميم به أشبه أسماء الأصوات وهي لا توصف وخالف غيره ونقض دليله بسيبويه وعمرويه فإنه مع كونه فيه اسم صوت يوصف ، وأجيب بأن اسم الصوت مركب معه ، وصار كبعض حروف الكلمة بخلاف ما نحن." (١)

"ج٦ص١٤١

المراد به إلى آخرها ، ويحتمل أن يكون المراد من قرأ أواخرها لأنه ورد في حديث آخر من قرأ في ليلته من كان ب!جو لقاء ربه الآية كان له نور من عدن أبين إلى مكة ، والحديث المذكور قال العراقي رحمه الله : له سند إلا أنه ضعيف ومثله لا يضر في فضائل الأعمال) تمت السورة) اللهم ببركة كلامك العظيم نور بصائرنا وأبصارنا بنور الهداية والتوفيق لما يرضيك ، وصل وسلم على أشرف مخلوقاتك سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما دائمين إلى يوم القيامة يا أرحم الراحمين.

سورة مريم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله : (إلا آية السجدة) والا آية وان منكم إلا واردها كما في الإتقان ، وقوله : أمال أبو عمرو الهاء أي لفظ ها ولفظ يا ، وقوله : لأن ألفات أسماء التهجمي يا آت الخ ، أي منقلبة عن الياء والألف تمال لأسباب منها كونها منقلبة عن ياء فتمال تقريبا لها من أصلها ، وقدم وجه الإمالة المذكورة لتعينه في لفظ ها بخلاف يا فإن إمالته تحتمل أن تكون لأجل مناسبة الياء المجاورة لها ، كما يمال سيال وإن لم تكن ألفه منقلبة وكأنه إيماء إلى أنه أصلها للتصريح بها في كثير منها كميم وجيم وعين وغين وهذا أمر تقديري لأنها لا اشتقاق لها لكن هذا مخالف لما ذهب إليه ابن جني في المحتسب وقال : إنه مذهب الخليل والجمهور وهو : أن الإمالة وضدها ويسمى تفخيما وضما أيضا وهو من اصطلاحا تهم هنا وقد عبر به الزمخشري هنا تبعا لهم على عادته هما ضربان من التصرف ، وهذه كالجوامد لا يعرف لها اشتقاق على الصحيح لكنها لما جعلت أسماء متمكنة قويت على التصرف فحملت الإمالة والتفخيم فمن فخمها على الأصل ومن أمالها قصد بيان أنها

(١) حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوى، ٣/١٤

تمكنت وقصدت بالتصرف ، وإلا فألفها وإن كانت مجهولة لعدم اشتقاقها لكنها تقدر منقلبة عن واو لأنه الأكثر ، قال : وهذا قول جامع فأعرفه وأغن به ، ثم إن قراءة أبي عمرو وجهت بعد صحتها نقلا عن النبي صلى الله عليه وسلم بأنه خص ها لئلا تلتبس بها التي للتنبيه في مثل هؤلاء ، ولم يمل يا لأن الكسرة مستثقلة على الياء فكذا ما يعرب منها ، واعترض! بأنه مع كونه لا يصلح وجها للتخصيص منتقض بإمالتهم نحو السيال ، وليس بشيء لأن التخصيص إضافي ورب شيء يخف وحده ويثقلي إذا ضم إليه مثله ، وهو ظاهر مع أن اطراد مثله ليس بلازم. قوله : (وابن عامر وحمزة الياء (تنبيها على ما مر أو لمجاورة الألف للياء أو للفرق بينها وبين ما في النداء ولم يلتفت إليه أبو عمرو للفرار من جمع إمالتين ، ولأن حرف النداء لا احتمال له هنا لدخوله على ما يبعد نداؤه ، فتأمل. قوله : (خبر ما قبله (من قوله : كهيعص إن جعل اسما للسورة أو القرآن كما مر ، وقوله : فإنه أي ما قبله أو كل واحد مما ذكر من السورة أو القرآن ، وقوله : مشتمل عليه أي على الذكر فيسند إليه تجوزا أو بتقدير مضاف

أي ذو ذكر رحمة أو بتأويل مذكور فيه رحمة ربك لا بتأويل ذاكر كما قيل ، فإنه مجاز أيضا وكذا إذا كان مبتدأ. قوله : (وقرئ ذكر وحمة على الماضي (هذه تحتمل قراءة الحسن ذكر فعلا ماضيا مشددا ورحمة بالنصب على أنها مفعول ثان مقدم على الأول ، وهو عبده والفاعل إما ضمير القرآن ، أو ضمير الله لعلمه من السياق ويجوز أن يكون رحمة ربك مفعولا أول على المجاز أي جعل الرحمة ذاكرة له وقيل : أصله برحمة فانتصب على نزع الخافض هذا ما في الكشف ، وقرأ الكلبي : ذكر ماضيا مخففا ونصب رحمة ورفع عبده على الفاعلية وكلام المصنف يحتمله. قوله : (وذكر على الأمر) والتشديد وهما مفعولان كما مر ولا يلزم ارتباطه بما قبله لجواز كونه حروفا على نمط التعديد كما مر فلا محل لها من الإعراب ، ولا يلزم في وجوه القرا آت اتحاد معناها وإنما اللازم عدم تخالفها فإن كان اسما للسورة أو القرآن يقدر له مبتدأ أو خبر وتكون هذه جملة مستأنفة وفاعل ذكر هو النبي صلى الله عليه وسلم ورحمة الظاهر أنه منصوب على نزع الخافض وعبده مفعوله أي ذكر الناس برحمة ربك لعبده زكريا." (١)

"ج٦ص١٧٥

فإن صيغة النذر قد يراد بها اليمين كما صرحوا به ، أو المراد بهذه الجملة القسم كقولهم : عزمت عليك إلا فعلت كذا ، وورد في الحديث لا يموت لأحدكم ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم فقال أبو عبيد وتبعه جماعة من المفسرين : إن المراد بالقسم في الحديث قوله : (وإن **منكم إلا واردها** ، الآية واعترضه الأزهري في التهذيب بأنه لا قسم فيها فكيف يكون له تحلة ، وقيل : إن أصل معناه ولكن لما كان ما يتحلل به يكون أمرا قليلا إن أريد به إيقاع شيء من المحلوف عليه كتر قسمه أو ذكر ما يمنعه من الحنث وهو قوله : إن شاء

الله فعبر به عن القلة ، كقول كعب :

وقعهق الأرض تحليل

قال ابن هشام في شرح بانت سعاد اللهم إلا أن يقال إن قوله تعالى : ﴿ وإن **منكم إلا واردها** ﴾ [سورة مريم ، الآية :

(١) حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوى، ٦/١٤١

١٧١] معطوف على ما أجيب به القسم في قوله : فوربك لنحشرنهم الخ وهذا مراد من قال : إن الواو للقسم وفيه بعد وقال السبكيئ : هذا عجيب فإن القسم مقدر في قوله : دمان منكم ، ويدل عليه شيآن أحدهما قوله : كان على ربك حتما مقضيا قال الحسن وقتادة قسما واجبا ، وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه ، والثاني أن النبي صلى الله عليه وسلم فهم منه القسم كما مر في الحديث ، ولك أن تقول إنه لا تقدير فيه والمعنى ما قررناه كما مر ، أو يقال : الجملة معطوفة على جواب القسم أو حال ، وحديث البعد غير مسموع لعدم تخلل الفاصل. قوله : (وهو دليل على أن المراد بالورود الجثو الخ (وجه الدلالة أنه لما ذكر أن الجميع واردون لها ثم قسمهم إلى ناج هالى متروك على حالة في الجثي علم أن مقابله جاث لكنه غير متروك على جثيه فجاء ما ذكر ، وهو ظاهر والدليل هو قوله : ونذر الظالمين الخ ، وقد بين أيضا بأن المؤمنين يفارقون الكفرة إلى الجنة بعد نجاتهم وتبقى الكفرة في مكانهم جاثين ، والتركيب يدل على إنجاء المتقين من الورطة التي يبقى الظالمون فيها للتقابل بينهما فدل على أن تلك الورطة هي الجثؤ حولها وأنهما يشتركان فيها وقد كانا اشتركا في الورود فدل هذا على أن المراد بالورود هو الجثيئ وهذا إنما يتأتى بتقدير مضاف في قوله : فيها أي في حواليها بقرينة الجثؤ كما أشار إليه المصنف رحمه الله فمن قال : إنه لا يجري في كلام المصنف رحمه الله لم يصب لكنه قيل عليه إن الجثو إنما يصلح قرينة إن ثبت أنه لا جثؤ في النار وهو غير مسلم وأيد بأن الظالمين لا يتركون حولها بل يدخلون النار ، ورد بأق الجثو حول جهنم علم من الآية السابقة فرد هذا إليها والتفصيل بالمعلوم أولى ، وليس المراد بالدلالة الدلالة القطعية حتى يخل بها الاحتمال ، وقوله : لا يتركون الخ لا دليل فيه ، ولا يخفى أن ما اذعاه من الأولوية الظاهر خلافه لأن جثيا نكرة أعيدت فالظاهر أنها غير الأولى لا سيما وقد وقعت فاصلة ، وهي كالقافية لا يحسن تكرارها مع ما فيها من التقدير المخالف للظاهر فتأمل. قوله : (أو ببيان الرسول الخ (أو هنا لمنع الجمع لأن ما هو بين اللفظ والمعنى بنفسه لا يكون مبنيا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم ، كالمجمل ونحوه لا سيما ومبينة على الأول بمعنى متبينة بصيغة اسم الفاعل وهذا بمعنى مبينة بصيغة اسم المفعولى فلا حاجة إلى القول بأنها لمنع الخلو حتى يقال : إن فيه تغليبا إذا أريد بالآيات جميعها ليخرج المتشابهات ، وقوله : واضحات الإعجاز فهو من بأن بمعنى ظهر ،

كالأول فلو قدمه كان أظهر وعلى هذا فالإسناد لها مجاز أو بتقدير مضات ، وقوله : لأجلهم فاللام للتعليل وقوله أو معهم فاللام صلة القول كقلت له كذا إذا خاطبته به وما وقع في بعض النسخ منهم تحريف. قوله : (موضع قيام أو مكانا) كان الظاهر أي مكانا لأن أصل معناه الأول ثم استعمل لمطلق المكان كما في الكشاف وما قيل إن أو للتخيير في التعبير والتفسير لا يجدي لأنهما ليسا مترادفين فالظاهر أنه أراد أن المقام محل القيام فإن كان القيام بمعنى المعاش كما ذكره الراغب في قوله : قياما للناس فهو على ظاهره ، وإن كان مقابل القعود فهو خاص أريد به عام ففيه زيادة على ما في الكشاف وهو على الأول بمعنى المنزل فتتوافق القراءتان ولا يتكرر مع قوله نديا ، ولذا قدمه والندي كالنادي مجتمع لندوة القوم ومحادثتهم ، ومنزل إن كان بضم الميم بمعنى النزول فهو عطف على إقامة وإن كان بفتحها فهو عطف على موضع وكان الظاهر نصبه حينئذ. قوله : (والمعنى الخ (ناظر إلى ما مر." (١)

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوى، ١٧٥/٦

"ج٦ص٢٧٥

مقدما والعامل فرعي غفلة. وقوله : والدلالة عطفه

بالواو والظاهر أو لأن التعليل لا ينافي الاختصاص وليس الاختصاص من التقديم وان صح كما توهم.

قوله : (لآن المؤاخذة المعذب) المعذب تفسير للمؤاخذ من قولهم آخذه مؤاخذة وأخذ.

الله إذا أهلكه وأخذه بذنبه عاقبه عليه وجعل الورود بمعنى دخول النار لأنه يطلق عليه كما ذكره أهل اللغة. وقوله : حصب جهنم يعينه فلا يرد عليه ما قيل إن ورود النار لا يلزمه العذاب كما يدل عليه قوله ﴿ وإن **منكم إلا واردها** ﴾ وقد مر ما في هذه الآية. وقوله لإخلاص الخ فسره به لأن الأصنام لا توصف بالخلود المعروف ولذا قيل إنه يجوز أن يخلق الله للأصنام إحساسا بالعذاب وزفيرا. وقوله : المؤاخذ المعذب يلائمه إلا أن يراد بالعذاب صورته فيكون المراد أن دخولهم جهنم ينافي الألوهية وان لم يكن ثمة تعذيب فلا يرد عليه شيء. قوله : (أنين وتنفس شديد) أصل معنى الزفر كما قاله الراغب ترديد النفس حتى تنتفخ منه الضلوع ، والبعض هم العابدون والكل هم وما عبدوه وقوله : للتغليب إن أريد بما تعبدون الأصنام وكذا إن أريد الأعم لكنه خصه لأن التغليب فائدته شمول ما لا يعقل وهم خارجون من العموم أو المراد الحامل لهم على عبادة العقلاء فلا لبس فيه وما قيل عليه من أنه لا تغليب فيه بل هو التفات والضمير يرجع إلى المخاطبين في أنكم خاصة رد بأنه يوجب تنافر النظم ألا ترى قوله أنتم لها واردون ، كيف جمع بينهم تغليبا للمخاطبين ، فلو خص لهم فيها زفير لزم التفكيك ، وقيل إن فيه تجوزا من جهة نسبة فعل البعض إلى الكل وتغليبا من جهة إطلاق هم على العقلاء وغيرهم ولا تأثير للتغليب ، في الأول ورد بأنهم قرروا أن في قوله أو لتعودن في ملتنا تغليبين تغليب الأكثر على الأقل إذ نسب إلى الجميع ما هو منسوب للأكثر وتغليب الخطاب على الغيبة وهذا كذلك إذ غلب الأكثر وهم الاتباع على الأقل وهم الأصنام في نسبة الزور إلى الجميع وغلب العقلاء على غيرهم والتجوز لا ينافي التغليب بل التغليب كله مجاز وفيه بحث لأنه يعني أن نسبة فعل البعض إلى الكل. كقولهم : بنو فلان قتلوا قتيلا ليس من التغليب في شيء وكون التغليب يكون بالتجوز في الطرف والنسبة لا يجدي فتدبر. قوله : (من الهول وشدة العذاب (أو لصراخهم قيل وهو أنسب بما قبله وأما حمله على الصحمم حقيقة فبعيد وان جوزه بعضهم. وقوله : الخصلة الحسنى أي أو المنزلة وهو توجيه لتأنيثه. وقوله : بالطاعة أي بسبب الطاعة وكان الظاهر للطاعة وقوله : أو البشرى بالجنة فيكون المراد بالذين الخ العشرة المبشرة بالجنة كما سيأتي عن علي

رضي الله عنه. قوله : (لآنهم يرفعون إلى أعلى عليين) فسره في سورة مريم بأن المراد به مبعدون عن عذابها وهو لا ينافي ما ذكره هنا لأن المراد بعليين الجنة على أحد التفاسير فيه وهو المراد ولإخفاء في أن البعد عن النار بحيث لا يسمع حسيسها يدل على دخول الجنة فما قيل إنه أشار في الموضعين إلى وجهين تعسف لا حاجة إليه. وكذا ما قيل إن الرفع إلى أعلى عليين مما لا دليل عليه. قوله : (روي ان عليا رضي الله عنه وكرم الله وجهه الخ) قال ابن حجر رحمه الله رواه ابن أبي حاتم وابن عدي وابن مردويه عن ليث بن أبي سليم عن النعمان بن بشير وكان من سمار علي وقوله : كرم الله وجهه جملة دعائية تختص بعلي على الألسنة وقد قيل في وجه التخصيص إنه لإسلامه صغيرا بحيث لم يسجد لغير الله أو لم يخل عن السجود

لله. قوله : (بدل من مبعدون) قيل الظاهر أنها جملة مؤكدة. وقوله : سيق للمبالغة لأنه يدل علي شدة البعد وقد قيل إن الأبعاد يكون بعد القرب فيفهم منه أنهم وردوها أولا ولما كان مظنة التأذي بها دفع بقوله لا يسمعون الخ. وقوله : في غاية التنعم يفهم من قوله فيما اشتهت أنفسهم كما لا يخفى ولا منافاة بين هذا وبين قوله في تفسير قوله : مبعدون لأنهم يرفعون إلى أعلى عليين كما توهم والظرف فيما اشتهت الخ وتقديمه للاختصاص لا ينافي الاهتمام ورعاية الفاصلة. قوله : (النفخة الأخيرة) كذا في الكشاف وفي الكشف إنه لم يرد به النفخة الثانية وإنما أراد الأولى لأن الآية المستشهد بها مصرحة بذلك والوصف بالأخيرة لأنها آخر ما يقع في هذه الدار ولا يخفى بعده. وقد أورد عليه أن تمام الآية وهو قوله وتتلقاهم الملائكة الخ يدل على أن الفزع." (١)

"ج٧ص١٥٠

أنها تدل على التمني حقيقة أو مجازا وحينئذ لا يكون لها جواب ملفوظ ، ولا مقدر وقد خالف في ذلك ابن مالك وأبو حيان وقالا لا بد لها من الجواب استدلالا بقول مهلهل في حرب البسوس :

فلو نبش المقابر عن كليب فيخبر بالذنائب أقي زير

بيوم الشعثمين لقر عينا وكيف لقاءم ن تحت القبور

فإن لو فيه للتمني بدليل نصب فيخبر وله جواب وهو قوله لقر ورد بأنها شرطية ونصبه

عطفا له كلى المصدر المتصيد من نبش ، وتقديره لو حصل نبش فإخبار وهو تكلف ، ولو قيل إنها لتقدير التمني معها كثيرا أعطيت حكمه فاستغنى عن تقدير الجواب فيها إذا لم يذكر كما في الوصلية ، ونصمب جوابها كان أسهل مما ذكر. قوله : (والمضي فيها) أي في لو لأنها حرف امتناع لامتناع فيما مضى وفي إذ وضعا لأن إخباره تعالى عما تحقق في علمه الأزلي لتحققه بمنزلة الماضي فيستعمل فيه ما يدل عليه مجازا كلو واذ قيل ولا يبعد حمل ترى أيضا على المضي الفرضي أي لو رأيت إذ وقفوا على النار في الدنيا ، وهو كلام حسن سقط به اعتراض! ابن هشام رحمه الله بانه لا معنى له إذا لو أول ترى برأيت وهو مستقبل لزم كون رأيت بمعنى ترى وفي بعض شروح الكشاف فان قلت هذا في قوله ناكسو صحيح لأنه نزل فيه النكس المستقبل منزلة الواقع فيما مضى فأدخل فيه إذ أما في ترى فلا لأنه في حيز لو الامتناعية المقتضية عدم وقوع الرؤية فكيف ينزل منزلة الواقع قلت المراد من المترقب النكس لا الرؤية لكن لما جعل النكس ، واقعا فيما مضى صارت الرؤية المتعلقة به بمنزلة الماضي بتبعيته مع امتناعها ورده معلوم مما قررناه أيضا فتأمل. قوله : (ولا يقدر الخ ا لتنزيله منزلة اللازم ، وما دل عليه صلة إذ أي ما أضيفت إليه لأنه بمنزلة الصلة المتممة لها للزومها الإضافة وهو المجرمون

أو وقوفهم على النار ، وقوله أو لكل أحد أي ممن يصح منه الرؤية لأن الضمير قد يراد به غير معين كما تقرر في المعاني. قوله تعالى : (﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ﴾) قيل إنه جواب لقولهم فاوجعنا بأنهم لو أرجعوا لعادوا لما نهوا عنه لأنا لم نقدر هدايتهم ، وقوله ما يهتدي به الخ لو فسر بنفس الإيمان والعمل الصالح صح لكن هذا أتم وأولى وأنسب بمعنى الهداية ، وقوله بالتوفيق متعلق بقوله آتينا. قوله : (ثبت) تفسير لحق لأنه بمعنى ثبت وتحقق ، وقوله قضائي تفسير للقول

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ٢٧٥/٦

لأنه إذا أضيف إلى الله يراد به حكمه وقضاؤه كما ذكره الراغب في قوله : ﴿ لقد حق القول على أكثرهم ﴾ [سورة يس ، الآية : ٧] ومثله : ﴿ وتمت كلمة ربك ﴾ [سورة الأنعام ، الآية : ١١٥] وقوله : ﴿ سبق وعيدي ﴾ تفسير آخر له فالقول على ظاهره ، وقوله لأملأن الخ هو المقول على هذا ولذا قال وهو الخ. قوله تعالى : (﴿ من الجنة والناس ﴾) قدم الجنة لأن المقام مقام تحقير ولأن الجهنميين منهم أكثر فيما قيل ولا يلزم من قوله أجمعين دخول جميع الإنس ، والجن فيها وأما قوله تعالى : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ [سورة مريم ، الآية : ٧١ ، فالورود غير الدخول كما مر تحقيقه في هود لأنها تفيد عموم الأنواع لا الإفراد فالمعنى لأملأنها من ذينك النوعين جميعا كملأت الكيس من الدراهم والدنانير جميعا ، كما ذكره بعض المحققين ورد بأنه لو قصد ما ذكر كان المناسب التثنية دون الجمع بأن يقال كأيهما فالظاهر أنها لعموم الإفراد والتعريف فيها للعهد ، والمراد عصاتهما ويؤيده قوله تعالى في آية أخرى خطابا لإبليس لعنه الله : ﴿ لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين ﴾ [سورة ص ، الآية : ٨٥] فتدبر. قوله : (وذلك تصريح الخ) ذلك إشارة إلى النص ، وقوله لأملأن الخ وقد وقع في نسخة هذا النص صريح وهو رد على الزمخشري حيث أيد مذهبه من أنه تعالى لا يشاء القبيح كالضلال بل الهداية ، وحمل المشيئة المذكورة على القسرية وقال إن تعقيب فذوقوا الخ بنسبة النسيان إليهم وجعله سببا للإذاقة دال على أن المشيئة المطلقة مقيدة هنا بقيد الإلجاء والقسر ، وأن العلم الأزلي مانع لاختيارهم قال الطيبي رحمه الله وهو عدول عن جادة الصواب حيث أوقع حق القول المعبر به عن العلم الأزلي المستتبع للكائنات سببا عن استحبابهم العمي وجعل استحبابه مسببا عن اختيارهم المعدوم ، والحق قول الإمام إن لو شئنا لآتينا الخ جواب لقولهم فارجعنا أي هذا الذي جرى علينا بسبب ترك العمل أما الإيمان فنحن موقنون به فأرجعنا لتتلافى العمل فأجيبوا بأنا لو أردنا الإيمان فنحن موقنون به فأرجعنا لتتلافى العمل فأجيبوا بأنا لو أردنا الإيمان هديناكم فلما لم نهدكم تبين أنا لم نرد إيمانكم فلا نردكم فذوقوا العذاب." (١)

" يوم يدعون إلى نار جهنم دعا و يسحبون في النار على وجوههم و يؤخذ بالنواصي والأقدام ويؤيد الثاني قوله تعالى : وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها وإن منكم إلا واردها الآية و إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون والتحقيق أن أحوال الكفار يوم القيامة عند إدخالهم النار شتى وبذلك يحصل الجمع بين الآيات وإن الإضطرار مجاز عن كون العذاب واقعا به وقوعا محقا حتى كأنه مربوط به قيل : إن هذا ألإضطرار في الدنيا وهو مجاز أيضا كأنه شبه حال الكافر الذي أدر الله تعالى عليه النعمة التي أستدناه بها قليلا إلى ما يهلكه بحال من لا يملك الإمتناع مما أضطر إليه فأستعمل في المشبه ماأستعمل في المشبه به وهو كلام حسن لولا أنه يستدعي ظاهرا حمل ثم على التراخي الرتبي وهو خلاف الظاهر وقرأ إبن عامرإضطرهبكسر الهمزة ويزيد بن أبي حبيب أضطره بضم الطاء وأبي نضطره بالنون وإبن عباس ومجاهد على صيغة الأمر وإبن محيصن أطره بإدغام الضاد في الطاء خبرا قال الزمخشري وهي لغة مرذولة لأن حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس وفيه أن هذه الحروف أذغمت في غيرها فأدغم أبو عمرو الراء في اللام في نغفر لكم والضاد في الشين فيلبعض شأنهم والشين في السين في العرش سبيلا والكسائي الفاء في الباء في نخسف

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوى، ١٥٠/٧

بهم ونقل سيبويه عن العرب أنهم قالوا مضطجع ومطجعإلا أن عدم الإدغام أكثر واصل أضطر على هذا على ما قيل : أصتر فأبدلت التاء طاءا ثم وقع الإدغام وبئس المصير ١٢٦ المخصوص بالذم محذوف لفهم المعنى أي وبئس المصير النار إن كان المصير أسم مكان وإن كان مصدرا على من أجاز ذلك فالتقدير وبئست الصيرورة صيرورته إلى العذاب وإذ يرفع إبراهيم عطف على وإذ قال إبراهيم وإذ للمضى وآثر صيغة المضارع مع أن القصة ماضية إستحضارا لهذا الأمر ليقتدي الناس به في إتيان الطاعات الشاقة مع الإبتهال في قبولها وليعلموا عظمة البيت المبني فيعظموه القواعد من البيت القواعد جمع قاعدة وهي الأساس كما قاله أبو عبيدة صفة صارت بالغلبة من قبيل الأسماء الجامدة بحيث لا يذكر لها موصوف ولا يقدر من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله تعالى في الدعاء بمعنى أدامك الله تعالى وثبتك ورفع القواعد على هذا المعنى مجاز عن البناء عليها إذ الظاهر من رفع الشيء جعله عاليا مرتفعا والأساس لا يرتفع بل يبقى بحاله لكن ما كانت هيأته قبل البناء عليه الإنخفاض ولما بنى عليه إنتقل إلى هيأة الأرتفاع بمعنى أنه حصل له مع ما بنى عليه تلك الهيأة صار البناء عليه سببا للحصول كالرفع فأستعمل الرفع في البناء عليه وأشتق من ذلك يرفع بمعنى يبني عليها وقيل : القواعد ساقات البناء وكل ساق قاعدة لما فوقه فالمراد برفعها على هذا بناؤها نفسها ووجه الجمع عليه ظاهر وعلى الأول لأنها مربعة ولكل حائط أساس وضعف هذا القول بأن فيه صرف لفظ القواعد عن معناه المتبادر وليس هو كصرف الرفع في الأول وقيل : الرفع بمعنى الرفعة والشرف و القواعد بمعناه الحقيقي السابق فهو إستعارة تمثيلية وفيه بعدإذ لا يظهر حينئذ فائدة لذكر القواعد و من إبتدائية متعلقة ب يرفع أو حال من القواعد ولم يقل قواعد البيت لما في الإبهام والتبيين من الإعتناء الدال على التفخيم ما لا يخفى

وإسماعيل عطف على إبراهيم وفي تأخيره عن المفعول المتأخر عنه رتبة إشارة إلى أن مدخلتيه في رفع البناء والعمل دون مدخلية إبراهيم عليه السلام وقد ورد أنه كان يناوله الحجارة وقيل : كانا يبنيان في طرفين أو على التناوب وأبعد بعضهم فزعم أن إسمعيل مبتدأ وخبره محذوف أي يقول : ربنا وهذا ميل ." (١)

" وأنت تعلم أن القول بإيداع القوى في الفلكيات بل وفي جميع الأسباب مع القول بأنها مؤثرة بإذن الله تعالى مما لا بأس به بل هو المذهب المنصور الذي درج عليه سلف الأمة وحققناه فيما قبل وهو لا ينافي إستناد الكل إلى مسبب الأسباب ولا يزاحم جريان الأمور كلها بقضائه وقدره تعالى شأنه نعم القول بأن الفلكيات ونحوها مؤثرة بنفسها ولو لم يأذن الله تعالى ضلال وإعتقاده كفر وعلى ذلك يخرج ما وقع في الخبر من قال : أمطرنا بنوء كذا فهو كافر بالله تعالى مؤمن بالكوكب ومن قال : أمطرنا بفضل الله تعالى فهو مؤمن بالله تعالى كافر بالكوكب فليحفظ ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته مبالغة في إستدعاء الوقاية من النار وبيان لسببه وصدرت الجملة بالنداء مبالغة في التضرع إلى معود الإحسان كما يشعر به لفظ الرب وعن إبن عباس أنه كان يقول : أسم الله تعالى الأكبر رب رب والتأكيد بأن الإظهار كمال اليقين بمضمون الجملة والإيذان بشدة الخوف ووضع الظاهر موضع الضمير للتهويل وذكر الإدخال في موراد العذاب لتعيين كيفيته

---

(١) روح المعاني، ٣٨٣/١

وتبيين غاية فظاعته والإخزاءكما قال الواحديجاء لمعان متقاربة فعن الزجاج يقال : أخزى الله تعالى العدو أي أبعده وقيل : أهانه وقيل : فضحه وقيل : أهلكه ونقل هذا عن المفضل وقيل : أحله محلا وأوقفه موقفا يستحي منه

وقال إبن الأنباري : الخزي في اللغة الهلاك بتلف أو بإنقطاع حجة أو بوقوع في بلاء والمراد فقد أخزيته خزيا لا غاية وراءه ومن القواعد المقررة انه إذا جعل الجزاء أمرا ظاهر اللزوم للشرط سواء كان اللزوم بالعموم والخصوص كما في قولهم : من أدرك مرعى الصمان فقد أدرك أو بالإستلزام كما في هذه الآية يحمل على أعظم أفراده وأخصها لتربية الفائدة ولهذا قيد الخزي بما قيد وأحتج حكماء الإسلام بهذه الآية على أن العذاب الروحاني أقوى من العذاب الجسماني وذلك لأنه رتب فيها العذاب الروحاني وهو الإخزاء بناءا على أنه الإهانة والتخجيل على الجسماني الذي هو إدخال النار وجعل الثاني شرطا والأول جزاءا والمراد من الجملة الشرطية الجزاء والشرط قيد له فيشعر بأنه أقوى وأفظع وإلا لعكسكما قال الإمام الرازيوأيضا المفهوم من قوله تعالى : وقنا عذاب النار طلب الوقاية منه وقوله سبحانه : ربنا إلخ دليل عليه فكأنه طلب الوقاية من المذكور لترتب الخزي عليه فيدل على أنه غاية يخاف منهكما قاله بعض المحققينوأحتج بها المعتزلة على أن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن لأنه إذا أدخله الله تعالى فقد أخزاه والمؤمن لا يخزي لقوله تعالى : يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه وأجيب بأنه لا يلزم من أن لا يكون من آمن مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مخزيا أن لا يكون غيره وهو مؤمن كذلك وأيضا الآية ليست عامة لقوله تعالى : وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين أتقوا فتحمل على من أدخل النار للخلود وهم الكفار وهو المروى عن أنس وسعيد بن المسيب وقتادة وإبن جريج

وأيضا يمكن أن يقال : إن كل من يدخلها مخزي حال دخوله وإن كانت عاقبة أهل الكبائر منهم الخروج وقوله تعالى : يوم لا يخزي إلخ نفي الخزي فيه على الإطلاق والمطلق يكفي في صدقه صورة واحدة وهو نفي الخزي المخلد وأيضا يحتمل أن يقال : الإخزاء مشترك بين التخجيل والإهلاك والمثبت هو الأول والمنفي هو الثاني وحينئذ لا يلزم التنافي وأحتجت المرجئة بها على أن صاحب الكبيرة لا يدخل النار لأنه مؤمن لقوله تعالى : يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى وقوله سبحانه : وإن طائفتان من المؤمنين أقتتلوا والمؤمن لا يخزي لقوله تعالى : يوم لا يخزي الله النبي إلخ والمدخل في النار مخزي لهذه الآية وأجيب بمنع المقدمات بأسرها ." (١)

" المؤمنين إلى الحبشة وفي الإتقان استثناء قوله تعالى وإن **منكم إلا واردها أيضا** وهي عند العراقيين والشاميين ثمان وتسعون آية وعند المكيين تسع وتسعوت وللمدنيين قولان ووجه مناسبتها لسورة الكهف اشتمالها على نحو ما اشتملت عليه من الأعاجيب كقصة ولادة يحي وقصة ولادة عيسى عليه السلام ولهذا ذكرت بعدها وقيل إن أصحاب الكهف يبعثون قبل الساعة ويحجون مع عيسى عليه السلام حين ينزل ففي ذكر هذه السورة بعد تلك مع ذلك إن ثبت ما لا يخفى من المناسبة ويقوي ذلك ما قيل أنهم من قومه عليه السلام وقيل غير ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص ١ أخرج ابن مردويه عن الكلبي أنه سئل عن ذلك فحدث عن أبي صالح عن أم هانيء عن رسول الله قال كاف هاد عالم صادق واختلفت الروايات عن ابن عباس ففي رواية أنه قال : كاف من كريم وها

---

(١) روح المعاني، ١٦٢/٤

من هاد ويا من حكيم وعين من عليم وصاد من صادق وفي رواية أنه قال : كبير هاد أمين عزيز صادق وفي أخرى أنه قال : هو قسم أقسم الله تعالى به وهو من أسماء الله تعالى وفي أخرى أنه كان يقول : كهيعص وحم ويس وأشباه هذا هو اسم الله تعالى الأعظم ويستأنس له بما أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي وابن ماجة وابن جرير عن فاطمة بنت علي قالت : كان علي كرم الله تعالى وجهه : يقول يا كهيعص اغفر لي وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود وناس من الصحابة أنهم قالوا كهيعص هو الهجاء المقطع الكاف من الملك والهاء من الله والياء والعين من العزيز والصاد من المصور وأخرج أيضا عن محمد بن كعب نحو ذلك إلا أنه لم يذكر الياء وقال الصاد من الصمد

وأخرج أيضا عن الربيع بن أنس أنه قال في ذلك : يا من يجير ولا يجار عليه وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة أنه اسم من أسماء القرآن وقيل : إنه اسم للسورة وعليه جماعة وقيل حروف مسرودة على نمط التعديد ونسب إلى جمع من أهل التحقيق وفوض البعض علم حقيقة ذلك إلى حضرة علام الغيوب

وقد تقدم تمام الكلام في ذلك وأمثاله في أول سورة البقرة فتذكر وقرأ الجمهور كاف بإسكان الفاء وروي عن الحسن ضمها وأمال نافع هاويا بين اللفظين وأظهر دال صاد ولم يدغمها في الذال بعد وعليه الأكثرون

وقرأ الحسن بضم الهاء وعنه أيضا ضم الياء وكسر الهاء وعن عاصم ضم الياء وعنه أيضا كسرهما وعن حمزة فتح الهاء وكسر الياء قال أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن المقري الرازي في كتاب اللوامح : إن الضم في هذه الأحرف ليس على حقيقته وإلا لوجب قلب ما بعدهن من الألفات واوات بل المراد أن ينحى هذه الألفات نحو الواو على لغة أهل الحجاز وهي التي تسمى ألف التفخيم ضد الإمالة وهذه الترجمة كما ترجموا عن الفتحة الممالة المقربة من الكسر بالكسر لتقريب الألف بعدها من الياء انتهى ووجه الإمالة والتفخيم أن هذه الألفات لما لم يكن لها أصل حملوها على المنقلبة عن الواو تارة وعن الياء أخرى فجوز الأمران دفعا للتحكم

وقرأ أبو جعفر بتقطيع هذه الحروف وتخليص بعضها من بعض واقتضى ذلك إسكان ءاخرهن والتقاء الساكنين مغتفر في باب الوقف وأدغم أبو عمرو دال صاد في الذال بعد وقرأ حفص عن عاصم وفرقة بإظهار النون من عين والجمهور على إخفائها واختلف في إعرابه فقيل على القول بأن كل حرف من اسم ." (١)

" فلما فتحوا له اصابه من بردها وطيبها وريهانها ما اخذ بقلبه فقال : يا ملك الموت اني احب أن ادخل الجنة فآكل اكلة من ثمارها واشرب شربة من مائها فلعل ذلك أن يكون اشد لطلبتي ورغبتي فدخل واكل وشرب فقال له ملك الموت : أخرج يا نبي الله تعالى قد اصبت حاجتك حتى يردك الله عز و جل مع الأنبياء عليهم السلام يوم القيامة فاحتضن بساق شجرة من اشجارها وقال : ما انا بخارج وان شئت أن اخاصمك خاصمتك فاوحى الله تعالى إلى ملك الموت قاضه الخصومة فقال له : ماالذي تخاصمني به يا نبي الله تعالى فقال ادريس : قال الله تعالى كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال سبحانه وان منكم إلا واردها وقد وردتها وقال جل وعلا لأهل الجنة وما هم منها بمخرجين افأخرج من شئ ساقه الله عز و جل الي فاوحى الله تعالى إلى ملك الموت خصمك عبدي ادريس وعزتي وجلالى أن في سابق علمي أن يكون كذلك

---

(١) روح المعاني، ٥٧/١٦

فدعه فقد احتج عليك بحجة قوية الحديث والله تعالى أعلم بصحته وكذا بصحة ما قبله من خبر كعب وهذا الرفع لاقتضائه علو الشأن ورفعة القدر كان فيه من المدح ما فيه وإلا فمجرد الرفع إلى مكان عالى حسا ليس بشئ

فالنار يعلوها الدخان وربما يعلو الغبار عمائم الفرسان وادعى بعضهم أن الأقرب أن العلو حسى لأن الرفعه المقترنة بالمكان لاتكون معنويه وتعقب بأن فيه نظرا لأنه ورد مثله بل ما هو اظهر منه كقوله : وكن في مكان اذا ما سقطت تقوم ورجلك في عافيه فتأمل أولئك اشارة إلى المذكورين في السورة الكريمة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو مرتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى الذين انعم الله عليهم أي بفنون النعم الدينية والدنيوية حسبما اشير اليه مجملا خبره على ما استظهره في البحر والحصر عند القائل به اضامى بالنسبة إلى غير الأنبياء الباقين عليهم الصلاة والسلام لانهم معروفون بكونهم منعما عليهم فينزل الأنعام على غيرهم منزلة العدم وقيل : يقدر مضاف أي بعض الذين انعم الله عليهم وقوله تعالى من النبيين بيان للموصول وقيل : من تبعيضية بناء على أن المراد أولئك المذكورون الذين انعم الله تعالى عليهم بالنعم المعهوده المذكوره هنا فيكون الموضوع والمحمول مخصوما بمن سمعت وهم بعض النبيين وعموم المفهوم المراد من المحمول في نفسه ومن حيث هو في الذهن لاينافي أن يقصد به أمر خاص في الخارج كما لايخفى واختير حمل التعريف في الخبر عن الجنس للمبالغة كما في قوله تعالى ذلك الكتاب والمحذور مندفع بما ذكرنا و من في قوله سبحانه من ذرية إدم قيل بيانيه والجار والمجرور بدل من الجار والمجرور السابق والمجرور بدل من المجرور باعادة الجار وهو بدل بعض من كل بناء على أن المراد ذريته الأنبياء وهي غير شاملة لآدم عليه السلام ولا يخفى بعده وقيل : هي تبعيضية لأن المنعم عليه اخص من الذرية من وجه لشمولها بناء على الظاهر المتبادر منها غير من انعم عليه دونه ولايضر في ذلك كونها اعم منها من وجه لشموله ادم والملك ومؤمنى الجن دونها وممن حملنا مع نوح أي ومن ذرية من حملناهم معه عليه السلام خصوصا وهم من عدا ادريس عليه السلام لما سمعت من أنه قبل نوح وابراهيم عليه السلام كان بالأجماع من ذرية سام بن نوح عليهما السلام ومن ذرية ابراهيم وهم الباقون ." (١)

" الولد فيلج النار إلا تحلة القسم

وقال أبو عبيدة وابن عطية وتبعهما غير واحد : أن القسم في الخبر أشارة إلىالقسم في المبتدأ اعنى وان منكم إلا واردها وصرح بعضهم أن الواو فيه للقسم وتعقب ذلك أبو حيان بأنه لا يذهب نحوى إلىان مثل الواو واو القسم لأنه يلزم من ذلك حذف المجرور وابقاء الجار وهو لايجوز إلا أن وقع في شعر أو نادر كلام بشرط أن تقوم صفة المحذوف مقامه كما في قوله :

والله ما ليلى بنام صاحبه

وقال ايضا : نص النحويون على أنه لايستغنى عن القسم بالجواب لدلالة المعنى إلا أن كان الجواب باللام أو بأن واين ذلك في الآيةوجعل ابن هشام تحله القسم كناية عن القلة وقد شاع في ذلكومنه قول كعب : تخذى على يسرات وهي لاحقة ذوابل مسهن الأرض تحليل فان المعنى مسهن الأرض قليل كما يحلف الانسان على شئ ليفعلنه فيفعل منه اليسير

---

(١) روح المعاني، ١٠٧/١٦

ليتحلل به من قسمه ثم قال : أن فيما قاله جماعه من المفسرين من أن القسم على الأصل وهو أشارة إلقوله تعالى : وان **منكم إلا واردها الخ** نظرا لأن الجملة لاقسم فيها إلا أن عطفت على الجمل التي أجيب بها القسم من قوله تعالى : فوربك لنحشرنهم الى آخرها وفيه بعد انتهى والخفاجي جوز الحالية والعطف وقال : حديث البعد غير مسموع لعدم تخلل الفاصل وهو كما ترى ولعل الاسلم من القيل والقال جعل ذلك مجازا عن القلة وهو مجاز مشهور فيما ذكر ولايعكر على هذا ما أخرجه احمد والبخاري في تاريخه والطبراني وغيرهم عن معاذ بن انس عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : من حرس من وراء المسلمين في سبيل الله تعالى متطوعا لاياخذه سلطان لم ير النار بعينه إلا تحلة القسم فان الله تعالى يقول : وان **منكم إلا واردها**

فان التعليل صحيح مع ارادة القلة من ذلك أيضا فكانه قيل : لم ير النار إلا قليلا لأن الله تعالى اخبر بورود كل احدإياها ولابد من وقوع ما اخبر به ولولا ذلك لجاز أن لايراها اصلا ثم ننجى الذين اتقوا بالأخراج منها على ماذهب اليه الجمع الكثير ونذر الظالمين فيها جثيا

٧٢

– على ركبهم كما روى عن ابن عناس ومجاهد وقتادة وابن زيدوهذه الآية ظاهره عندي في أن المراد بالورود الدخول وهو الأمر المشترك

وقال بعضهم : انها دليل على أن المراد بالورود الجثو حواليها وذلك لأن ننجى ونذر وتفصيل للجنس فكانه قيل ننجى هؤلاء ونترك هؤلاء على حالهم الذي احضروا فيه جاثين ولابد على هذا من أن يكون التقدير في حواليها وانت تعلم أن الظاهر عدم التقدير والجثو لايوجب ذلك وخولف بين قوله تعالى : اتقوا وقوله سبحانه الظالمين ليؤذن بترجيح جانب الرحمه وان التوحيد هو المنجي والاشراك هو المردى فكانه قيل : ثم ننجى من وجد منه تقوى ما وهو الاحتراز من الشرك ونهلك من اتصف بالظلم أي بالشرك وثبت عليه في ايقاع نذر مقابلا لننجى اشعار بتلك اللطيفة ايضا قال الراغب : يقال فلان يذر الشئ أي يقذفه لقله اعداده به ومن ذلك قيل لقطعة اللحم التي لايعتد بها وذر وجئ بثم للايذان بالتفاوت بين فعل الخلق وهو ورودهم النار وفعل الحق سبحانه وهو النجاة والادمار زمانا ورتبه قاله العلامه الطي طيب ." (١)

" موسى عليه السلام فاحتار له اخاه هرون مستودعا لها فهرون عليه السلام مستودع سر موسى عليه السلام واذكر في الكتاب اسماعيل أنه كان صادق الوعد بالصبر على بذل نفسه أو بما وعد به استعداده من كمال التقوى لربه جل وعلا والتحلى بما يرضيه سبحانه من الأخلاق واذكر في الكتاب ادريس أنه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا وهو نوع من القرب من الله تعالى به عليه عليه السلام وقيل : السماء الرابعة والتفضل عليه بذلك لما فيه من كشف بعض اسرار الملكوت اولءك الذين انعم الله تعالى عليهم بما لا يحيط نطاق الحصر به من النعم الجليلة إذا تتلى عليهم ايات الرحمن حروا سجدا مما كشف لهم من اياته تعالى وقد ذكر أن القرآن اعظم مجلى لله عز و جل وبكيا من مزيد فرحهم بما وجدوه أو من خوف عدم استمرار ما حصل لهم من التجلى : ونبكى أن ناوا شوقا اليهم ونبكى أن دنوا خوف الفراق ولهم رزقهم فيها بكرة

---

(١) روح المعاني، ١٢٣/١٦

وعشيا قيل : الرزق ههنا مشاهدة الحق يبحانه ورؤيته عز و جل وهذا لعموم أهل الجنة وأماالمحبوبون والمشتاقون فلا تنقطع عنهم مشاهدة لمحة ولو حجبوا لما توا من الم الحجاب رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا مثلا يلتفت اليه ويطلب منه شئ وقال الحسين بن الفضل : هل يستحق أحد أن يسمى باسم من اسمائه تعالى على الحقيقة وان **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا وذلك لتظهر عظمة قهره جل جلاله وآثار سطوته لجميع خلقه عز و جل ثم ننجى الذين اتقوا جزاء تقواهم ونذر الضالمين فيها جثيا جزاء ظلمهم وهذه الآية كم اجرت من عيون العيون

فعن عبد الله بن رواحة رضى الله تعالى عنه أنه كان يبكي ويقول : قد علمت انى وارد النار ولا ادرى كيف الصدور بعد الورود وعن الحسن كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا التقوا يقول الرجل لصاحبه : هل اتاك انك وارد فيقول : نعم فيقول : هل اتاك انك خارج فيقول لا فيقول : ففيم الضحك اذن قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا لما افتخروا بحظوظ الدنيا التي لا يفخر بها إلا ذوو الهمم الدنية رد الله تعالى عليهم بأن ذلك استدراج ليس باكرام والأشارة فيه أن كل ما يشغل عن الله تعالى والتوجه اليه عز و جل فهو شر لصاحبه يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ركبانا على نجائب النور وقال ابن عطاء : بلغني عن الصادق رضى الله تعالى عنه أنه قال : ركبانا على متون المعرفة ان كل من في السموات والأرض إلا اتى الرحمن عبدا فقيرا ذليلا منقادا مسلوب الأنانية بالكلية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا في القلوب المفطورة على حب الله تعالى وذلك أثر محبته سبحانه لهم وفي الحديث لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى احبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الخ ولا يشكل على هذا انا نرى كثيرا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ممقوتين لأن الذين يمقتونهم قد فطرت قلوبهم على الشر وان لم يشعروا بذلك ومن هنا يعلم أن بعض الصالحين علامة خبث الباطن ربنا اغفر لنا ولا خواننا الذين سبقونا بالأيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا وقيل : معنى سيجعل لهم الرحمن ودا سيجعل لهم لذة وحلاوة في الطاعة والأخبار تؤيد ما تقدم والله تعالى أعلم وله الحمد على اتمام تفسير سورة مريم ونسأله جل شأنه التوفيق لاتمام تفسير سائر سور كتابه المعظم بحرمة نبيه صلى الله عليه و سلم ". (١)

" فيستعمل فيه ما يدل على المضي مجازا كلو وإذ هذا ومن الغريب قول أبي العباس في الآية : المعنى قل يامحمد للمجرم ولو ترى وقد حكاه عنه أبو حيان ثم قال : رأى أن الجملة معطوفة على يتوفاكم داخلة تحت قل السابق ولذا لم يجعل الخطاب فيه للرسول عليه الصلاة و السلام إنتهى كلامه فلا تغفل

ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها مقدر بقول معطوف عل ىمقدر قبل قوله تعالى : ربنا أبصرنا إلخ وهو جواب لقولهم أرجعنا يفيد أنهم لو أرجعوا لعادوا لما نهوا عنه لسوء إختيارهم وأنهم ممن لم يشأ الله تعالى أعطاءهم الهدى أي ونقول : لو شئنا أي لو تعلقت مشيئتنا تعلقا فعليا بأن نعطي كل نفس من النفوس البرة والفاجرة هداها أي ما تهتدي به إلى الإيمان والعمل الصالح وفسره بعضهم بنفس الإيمان والعمل الصالح والأول أولى وأما تفسيره بما سأله الكثرة من الرجوع إلى الدنيا

---

(١) روح المعاني، ١٤٦/١٦

أو بالهداية إلى الجنة فليس بشيء لأعطيناها إياه في الدنيا التي هي دار الكسب وما أخرناه إلى دار الجزاء ولكن حق القول مني أي ثبت وتحقق قولي وسبقت كلمتي حيث قلت لإبليس عند قوله : لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين : فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وهو المعنى بقوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ٣١ كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فإنه في الخطاب لإبليس مقدم وتقديمه هناك لأنه الأوفق لمقام تحقير ذلك المخاطب عليه اللعنة وقيل : التقديم في الموضعين لأن الجهنميين من الجنة أكثر

ويعلم مما ذكرنا وجه العدول عن ضمير العظمة في قوله سبحانه : ولو شئنا لآتينا إلى ضمير الوحدة في قوله جل وعلا : ولكن حق القول مني وذلك لأن ما ذكر إشارة إلى ما وقع في الرد على اللعين وقد وقع فيه القول والإملاء مسندين إلى ضمير الوحدة ليكون الكلام على طرز لأغوينهم أجمعين إلا عبادك في توحيد الضمير وقد يقال : ضمير العظمة أوفق بالكثرة الدال عليها كل نفس والضمير الآخر أوفق بما دون تلك الكثرة الدال عليه من الجنة والناس أو يقال إنه وحد الضمير في الوعيد لما أن المعنى به المشركون فكأنه أخرج الكلام على وجه لا يتوهم فيه متوهم نوعا من أنواع الشركة أصلا أو أخرج على وجه يلوح بما عدلوا عنه من التوحيد إلى ما أرتكبوه مما أوجب لهم الوعيد من الشرك أو يقال : وحد الضمير في لأملأن لأن الإملاء لا تعدد فيه فتوحيد الضمير أوفق به ويقال نظير ذلك في حق القول مني والإيتاء يتعدد بتعدد المؤتى فضمير العظمة أوفق به ويقال نظيره في شئنا فتدبر ولا يلزم من قوله تعالى : أجمعين دخول جميع الجن والإنس فيها وأما قوله تعالى : وإن منكم إلا واردها فالورود فيه غير الدخول وقد مر الكلام في ذلك لأن أجمعين تفيد عموم الأنواع لا الأفراد فالمعنى لأملائنها من ذينك النوعين جميعا كملأت الكيس من الدراهم والدنانير جميعا كذا قيل ورد بأنه لو قصد ما ذكر لكان المناسب التثنية دون الجمع بأن يقال كليهما وأستظهر أنها لعموم الأفراد والتعريف في الجنة والناس للعهد والمراد عصاتهما ويؤيده الآية المتضمنة خطاب إبليس وحاصل الآية لو شئنا إيتاء كل نفس هداها لآتيناها إياه لكن تحق القول مني لأملأن جهنم إلخ فبموجب ذلك القول لم نشأ إعطاء الهدى على العموم بل منعناه من أتباع إبليس الذين أنتم من جملتهم حيث صرفتم إختياركم إلى الغي بإغوائه ومشيئتنا لأفعال العباد منوطة بإختيارهم إياها فلما لم تختاروا الهدى وأخترتم الضلال لم نشأ إعطاءه لكم وإنما أعطيناه الذين أختاروه من البررة وهم المعنيون بما سيأتي إن شاء الله تعالى من قوله سبحانه إنما يؤمن بآياتنا الآية ." (١)

" قالت الصحابة : ما خصومتنا ونحن إخوان يدل على أنه قول الكل فالوجه إيثار ذلك

وتحقيقه أن قوله تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن كلام مع الأمة كلهم موحدهم ومشركهم وكذلك قوله تعالى ضرب الله مثلا رجلا ورجلا بل أكثرهم دون بل هم كالنص على ذلك فإذا قيل : إنك ميت وجب أن يكون على نحو يا أيها النبي إذا طلقتم أي إنكم أيها النبي والمؤمنون وأبهم ليعمم القبيلين ولا يتنافر النظم فقد روعي من مفتتح السورة إلى هذا المقام التقابل بين الفريقين لا بينه عليه الصلاة و السلام وحده وبين الكفار ثم إذا قيل : ثم إنكم على التغليب يكون تغليبا للمخاطبين على جميع الناس فهذا من حيث اللفظ والمساق الظاهر ثم إذا كان الموت أمرا عمه والناس جميعا كان المعنى

---

(١) روح المعاني، ١٢٨/٢١

عليه أيضا وأما حديث الإختصام والطباق الذي ذكره فليس بشيء لأنه لعمومه يشمله شمولا أوليا كما حقق هذا المعنى مرارا والتعقيب بقوله تعالى فمن أظلم للتنبيه على أنه مصب الغرض وأن المقصود التسلق إلى تلك الخصومة ولا أنكر أن قوله تعالى عند ربكم يدل على أن الإختصام يوم القيامة ولكن أنكر أن يختص باختصام النبي صلى الله عليه و سلم وحده والمشركين بل يتناوله أولا وكذلك اختصام المؤمنين والمشركين واختصام المؤمنين بعضهم مع بعض كاختصام عثمان رضي الله تعالى عنه يوم القيامة وقاتليه وهذا ما ذهب إليه هؤلاء وهم هم رضي الله تعالى عنهم انتهى وكأنه عني بقوله ولا أنكر الخ رد ما يقال إن عند ربكم يدل على أن الإختصام يوم القيامة وقد صرح في النظم الجليل بذلك فيكون تأكيدا مشعرا بالإهتمام بأمر ذلك الإختصام فليس هو إلا اختصام حبيبه صلى الله عليه و سلم مع أعدائه الطغام ووجه الرد أنه إن سلم أن فائدة الجمع ما ذكر فلا نسلم استدعاء ذلك لاعتبار الخصوص بل يكفي للإهتمام دخول اختصام الحبيب مع أعدائه عليه الصلاة و السلام فتأمله ثم أنت تعلم أنه لو لم يكن في هذا المقام سوى الحديث الصحيح المرفوع لكفى في كون المراد عموم الإختصام فالحق القول بعمومه وهو أنواع شتى فقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس أنه قال في الآية : يخاصم الصادق الكاذب والمظلوم الظالم والمهتدي الضال والضعيف المستكبر وأخرج الطبراني وابن مردويه بسند لا بأس به عن أبي أيوب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : أول من يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته والله ما يتكلم لسانها ولكن يداها ورجلاها يشهدان عليها بما كان لزوجها وتشهد يداه ورجلاه بما كان لها ثم يدعى الرجل خادمه بمثل ذلك ثم يدعى أهل الأسواق وما يوجد ثم دانق ولا قرار يط ولكن حسنات هذا تدفع إلى هذا الذي ظلمه وسيئات هذا الذي ظلمه توضع عليه ثم يؤتى بالجبارين في مقامع من حديد فيقال أوردوهم إلى النار فو الله ما أدري يدخلونها أو كما قال الله وإن منكم إلا واردها وأخرج البزار عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم يجاء بالأمير الجائر فتخاصمه الرعية وأخرج أحمد والطبراني بسند حسن عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم أول خصمين يوم القيامة جاران ولعل الأولية إضافية لحديث أبي أيوب السابق

وجاء عن ابن عباس اختصام الروح مع الجسد أيضا أخرج أحمد بسند حسن عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ليختصمن يوم القيامة كل شيء حتى الشاتان فيما انتطحا

تم الجزء الثالث والعشرون ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الرابع والعشرون وأوله فمن أظلم ٢٤ ." (١)

" هنا بمعنى إظهار النعم عليهم فهو صفة فعل لا صفة ذات ليتقيد بالزمان وأنت تعلم أن السلف لا يؤولون مثل ذلك ويثبتونه له تعالى على الوجه اللائق به سبحانه ويصرفون الحدوث الذي يستدعيه التقييد بالزمان إلى التعلق ثم أن تقييد الرضا بزمان المبايعة يشعر بعليتها له فلا حاجة إلى جعل إذ للتعليل والتعبير لاستحضار صورة المبايعة وقوله سبحانه : تحت الشجرة إما متعلق بيبايعونك أو بمحذوف هو حال من مفعوله وفي التقييد بذلك إشارة إلى مزيد وقع تلك المبايعة وأنها لم تكن عن خوف منه عليه الصلاة و السلام ولذا استوجبت رضا الله تعالى الذي لا يعادله شيء ويستتبع ما لا يكاد يخطر على بال ويكفي فيما ترتب على ذلك ما أخرج أحمد عن جابر ومسلم عن أم بشر عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه

(١) روح المعاني، ٢٦٥/٢٣

وسلم قال : لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة وقد قال عليه الصلاة و السلام ذلك عند حفصة فقالت : بلى يا رسول الله فانتهرها فقالت : وإن منكم إلا واردها فقال عليه الصلاة و السلام قد قال الله تعالى : ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا

وصح برواية الشيخين وغيرهما في أولئك المؤمنين من حديث جابر أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم : أنتم خير أهل الأرض فينبغي لكل من يدعي الأسلام وتعظيمهم والرضا عنهم وإن كان غير ذلك لا يضرهم بعد رضا الله تعالى عنهم وعثمان منهم بل كانت يد رسول الله صلى الله عليه و سلم له رضي الله تعالى عنه كما قال أنس خيرا من أيديهم لأنفسهم فعلم ما في قلوبهم أي من الصدق والأخلاص في مبايعتهم وروي نحو ذلك عن قتادة وابن جريج وعن الفراء وقال الطبري ومنذر بن سعيد : من الإيمان وصحته وحب الدين والحرص عليه قيل : من الهم والأنفة من لين الجانب للمشركين وصلحهم واستحسنه أبو حيان والأول عندي أحسن

وهو عطف على يبايعونك لما عرفت من أنه بمعنى بايعوك وجوز عطفه على رضي بتأويله بظهر علمه فيصير مسببا عن الرضا مترتبا عليه فأنزل السكينة عليهم أي الطمأنينة والأمن وسكون النفس والربط على قلوبهم بالتشجيع وقيل : بالصلح وليس بذاك والظاهر أنه عطف على علم

وفي الأرشاد أنه عطف على رضي الله تعالى وظاهر كلام أبي حيان الأول وحيث استحسن تفسير ما في القلوب بما سمعت آنفا : إن السكينة هنا تقرير قلوبهم وتذليلها لقبول أمر الله تعالى وقال مقاتل : فعلم الله ما في قلوبهم من كراهة البيعة على أن يقاتلوا معه صلى الله تعالى عليه وسلم على الموت فأنزل السكينة عليهم حتى بايعوا وتفسر السكينة بتذليل قلوبهم ورفع البيعة عنها ولعمري أن الرجل لم يعرف للصحابة رضي الله تعالى عنهم حقهم وحمل كلام الله تعالى على خلاف ظاهره وأثابهم فتحا قريبا

١٨

– قال ابن عباس وعكرمة وقتادة وأبن أبي ليلى وغيرهم : هو فتح خيبر وكان غب انصرافهم من الحديبية وقال الحسن : فتح هجر والمراد هجر البحرين وكان فتح في زمانه صلى الله عليه و سلم بدليل كتابه إلى عمرو بن حزم في الصدقات والديات

وفي صحيح البخاري أنه صلى الله تعالى عليه وسلم صالح أهل البحرين وأخذ الجزية من مجوس هجر والفتح لا يستدعي سابقة الغزو كما علمت مما سبق في تفسيره فسقط قول الطيبي معترضا على الحسن : إنه لم يذكر أحد من الأئمة أنه صلى الله تعالى عليه وسلم غزا هجرا نعم إطلاق الفتح على مثل ذلك قليل غير شائع بل قيل هو معنى مجازي له وقيل : هو فتح مكة والقرب أمر نسبي وقرأ الحسن ونوح القاري وآتاهم أي أعطاهم

ومغانم كثيرة يأخذونها هي مغانم خيبر كما قال غير واحد وقسمها عليه الصلاة و السلام كما ." (١)

---

(١) روح المعاني، ١٠٨/٢٦

" على وجهين : الأول ثبوت حكم التحريم فيه وهو كاعتقاد ثبوت حكم التحليل في الحرام محظور يوجب الكفر فلا يمكن صدوره من المعصوم أصلا والثاني الأمناع من الحلال مطلقا أو مؤكدا باليمين مع اعتقاد حله وهذا مباح صرف وحلال محض ولو كان ترك المباح والأمتناع منه غير مباح لاستحالت حقيقة الحلال وما وقع منه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من هذا النوع وإنما عاتبه الله تعالى عليه رفقا به وتنويها بقدره وإجلالا لمنصبه عليه الصلاة و السلام أن يراعي مرضات أزواجه بما يشق عليه جريا على ما ألف من لطف الله عالى به وتأول بعضهم كلام الزمخشري وفيه ما ينبو عن ذلك

وقيل : نسبة التحريم إليه صلى الله تعالى عليه وسلم مجاز والمراد لم تكون سببا لتحريم الله تعالى عليك ما أحل لك بحلفك على تركه هذا لا يحتاج إليه وفي وقوع الحلف خلاف ومن قال به احتج ببعض الأخبار وبظاهر قوله تعالى : قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم أي قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته الأيمان بالكفارة فالتحلة مصدر حلل كتكرمة من كرم وليس مصدر مقيسا والمقيس التحليل والتكريم لأن قياس فعل الصحيح العين غير المهموز هو التفعيل وأصله تحللة فأدغم وهو من الحل ضد العقد فكأنه باليمين على الشيء لالتزامه عقد عليه وبالكفارة يحل ذلك ويحل أيضا بصديق اليمين كما في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : لا يمو لرجل ثلاثة أولاد فتمسه النار إلا تحلة القسم يعني وإن **منكم إلا واردها الخ** وتحليله بأقل ما يقع عليه الأسم كمن حلف أن ينزل يكفي فيه إلمام خفيف فالكلام كناية عن التقليل أي قدر الأجتياز اليسير وكذا يحل بالأستثناء أي بقول الحالف : إن شاء الله تعالى بشرطه المعروف في الفقه

ويفهم من كلام الكشاف أن التحليل بمعنى الأستثناء ومعناه كما في الكشف تعقيب اليمين عند الأطلاق بالأستثناء حتى لا تنعقد ومنه حلا أبيت اللعن وعلى القولبأنه كان منه عليه الصلاة و السلام يمين كما جاء في بعض الروايات وهو ظاهر الآية اختلف هل أعطي صلى الله تعالى عليه وسلم الكفارة أم لا فعن الحسن أنه عليه الصلاة و السلام لم يعط لأنه كان مغفورا له ما تقدمن ذنبه وما تأخر وإنما هو تعليم للمؤمنين وفيه أن غفران الذنب لا يصلح دليلا لأن ترتب الحكام الدنيوية على فعله عليه الصلاة و السلام ليس من المؤاخذة على الذنب كيف وغير مسلم أنه ذنب وعن مقاتل أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أعتق رقبة في تحريم مارية وقد نقل مالك في المدونة عن زيد بن أسلم أنه عليه الصلاة و السلام أعطي الكفارة في تحريمه أم ولده حيث حلف أن لا يقربها ومثله عن الشعبي واختلف العلماء في حكم قول الرجل لزوجته : أنت علي حرام أو الحلال على حرام ولم يستثن زوجته فقيل : قال جماعة منهم مسروق وربيعة وأبو سلمة والشعبي وأصبغ : هو كتحريم الماء والطعام لا يلزمه شيء وقال أبو بكر وعمر وزيد وابن مسعود وابن عباس وعائشة وابن المسيب وعطاء وطاوس وسليمان بن يسار وابن جبير وقتادة والحسن والأوزاعي وأبو ثور وجماعة : هو يمين يكفرها وابن عباس أيضا في رواية والشافعي في قول في أحد قوليه : فيه تكفير يمين وليس بيمين وأبو حنيفة يرى تحريم الحلال يمينا في كل شيء ويعتبر الأنتفاع المقصود فيما يحرمه فإذا حرم طعاما فقد حلف على عدم أكله أو أمة فعلى وطئها أو زوجة فعلى الإيلاء منها إذا لم ." (١)

---

(١) روح المعاني، ١٤٨/٢٨

"هل مثل هذا التمثيل بإيراد آيات من القرآن على أمور محسوسة مشاهدة أو وقائع من بعض الأفراد هل هذا أمر سائغ أو أمر ممنوع منه؟ هذا موطن خلاف بين الفقهاء منهم من منع؛ لأن القرآن قد نزل للتعبد به والعمل بما فيه، وليس هذا الاستعمال من أغراض إنزال القرآن، والقول الآخر بجواز مثل ذلك وعدم المنع منه، وهذا القول أصح لما ورد في حديث علي أن " النبي – صلى الله عليه وسلم – دخل على علي وفاطمة فقال : "ألا تصليان من الليل" فقال علي – رضي الله عنه – إن الله قد قبض أنفسنا وأرواحنا. خرج النبي – صلى الله عليه وسلم – يضرب فخذه ويقول ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (٥٤) ﴾ (١) " .

القسم في القرآن

قال رحمه الله تعالى : (الإقسام : القسم تحقيق للخبر وتوكيد له، ولا يكون إلا بمعظَّم، وهو تعالى يقسم بنفسه المقدسة الموصوفة بصفاته، وبآياته المستلزمة لذاته وصفاته تارة على التوحيد وتارة على أن القرآن حق، وتارة على أن الرسول حق وتارة على الجزاء والوعد والوعيد وتارة على حال الإنسان، والقسم إما ظاهر وإما مضمر، وهو قسمان: قسم دلت عليه اللام نحو : ﴿ * لَتُبْلَوُنَّ ﴾ (٢) وقسم دل عليه المعنى نحو : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ (٣) .

ذكر المؤلف هنا ما يتعلق بالقسم في القرآن، وقد ألف ابن القيم في هذا الموضوع كتابا طبع في مجلدين عنوانه: (التبيان في أقسام القرآن) قال المؤلف: (القسم، القسم هو الحلف بمعظم) قال (وفي القسم تحقيق للخبر وتوكيد له) هذه فائدة من فوائد وجود القسم في القرآن، والتوكيد في لغة العرب وتحقيق الخبر له طرق متعددة : منها القسم، ومنها أدوات التأكيد مثل (إنَّ) ونحو ذلك.

---

(١) – سورة الكهف آية : ٥٤.

(٢) – سورة آل عمران آية : ١٨٦.

(٣) – سورة مريم آية : ٧١.." (١)

"وقد يكون جواب القسم والمقسم عليه متقدما على القسم، كما في قوله سبحانه : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ (١) فقد قال طائفة بأن هنا قُدِّم جواب القسم والمقسم عليه، يقول : (هذا الإضمار لأداة القسم على نوعين: إضمار مدلول عليه باللام المقارنة للجواب كما تقدم، وهناك إضمار لحرف القسم والمقسم به، لكنه ليس معه لام في جواب القسم، وإنما يدل عليه المعنى، ويمثلون له بقوله سبحانه : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ (٢) كأنه قال والله إن منكم إلا واردها، ويمثلون له بقوله سبحانه : ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٤٧) ﴾ (٣) هذا ما يتعلق بالقسم، ولعلنا نترك ما يتعلق بالخبر والإنشاء ليوم آخر.

---

(١) شرح أصول التفسير، ص/١٢٣

نسأل الله – عز وجل – أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح، وأن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين، وأن يرزقنا وإياكم الهدى والاستقامة على الخير والحق والرشاد، وأن يصلح أحوال الأمة وأن يردهم إلى دينه ردا جميلا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

س: يقول السائل: نرى يا فضيلة الشيخ أن كثيرا من علماء اللغة وكثيرا من الأصوليين يقولون بالمجاز، وفي المقابل نرى أن من اهتم بأمور العقيدة وتفاصيلها أنكر ذلك، فهل إنكار من أنكر هو فقط من أجل أنه ذريعة إلى أهل الأهواء والبدع إلى تأويل الصفات؟

....

....

---

(١) – سورة الذاريات آية : ٢٢-٢٣.

(٢) – سورة مريم آية : ٧١.

(٣) – سورة يس آية : ٤٧.." (١)

" وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا

قوله تعالى وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قال الزجاج المعنى وما منهم أحد إلا ليؤمنن به ومثله وإن منكم إلا واردها مريم ٧١ وفي أهل الكتاب قولان

أحدهما أنهم اليهود قاله ابن عباس والثاني اليهود والنصارى قاله الحسن وعكرمة وفي هاء به قولان

أحدهما أنها راجعة إلى عيسى قاله ابن عباس والجمهور والثاني أنها راجعة إلى محمد صلى الله عليه و سلم قاله عكرمة وفي هاء موته قولان

أحدهما أنها ترجع إلى المؤمن روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ليس يهودي يموت أبدا حتى يؤمن بعيسى فقيل لابن عباس إن خر من فوق بيت قال يتكلم به في الهوي قال وهي في قراءة أبي قبل موتهم

وهذا قول مجاهد وسعيد بن جبير وروى الضحاك عن ابن عباس قال يؤمن اليهودي قبل أن يموت ولا تخرج روح النصراني حتى يشهد أن عيسى عبد وقال عكرمة لا تخرج روح اليهودي والنصراني حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه و سلم ". (٢)

" وكان يصحبه فلما عرفه قال إني أسألك حاجة قال ما هي قال تذيقني الموت فلعلي أعلم ما شدته فأكون له أشد استعدادا فأوحى الله إليه أن اقبض روحه ساعة ثم أرسله ففعل ثم قال كيف رأيت قال كان أشد مما بلغني عنه وإني أحب

---

(١) شرح أصول التفسير، ص/١٢٧

(٢) زاد المسير، ٢/٢٤٧

أن تريني النار قال فحمله فأراه إياها قال إني أحب أن تريني الجنة فأراه إياها فلما دخلها طاف فيها قال له ملك الموت اخرج فقال والله لا أخرج حتى يكون الله تعالى يخرجني فبعث الله ملكا فحكم بينهما فقال ما تقول يا ملك الموت فقص عليه ما جرى فقال ما تقول يا إدريس قال إن الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت آل عمران ١٨٥ وقد ذقته وقال وإن **منكم إلا واردها مريم** ٧١ وقد وردتها وقال لأهل الجنة وما هم منها بمخرجين الحجر ٤٨ فوالله لا أخرج حتى يكون الله يخرجني فسمع هاتفا من فوقه يقول باذني دخل وبأمري فعل فخل سبيله هذا معنى ما رواه زيد بن أسلم مرفوعا الى النبي صلى الله عليه و سلم

فان سأل سائل فقال من أين لإدريس هذه الآيات وهي في كتابنا فقد ذكر ابن الأنباري عن بعض العلماء قال كان الله تعالى قد أعلم إدريس بما ذكر في القرآن من وجوب الورود وامتناع الخروج من الجنة وغير ذلك فقال ما قاله بعلم والثاني أن ملكا من الملائكة استأذن ربه أن يهبط إلى إدريس فأذن له فلما عرفه إدريس قال هل بينك وبين ملك الموت قرابة قال ذاك اخي من الملائكة قال هل تستطيع أن تنفعني عند ملك الموت قال سأكلمه فيك ." (١)

" والثاني أنه عالم بما كان ويكون لا ينسى شيئا قاله الزجاج

قوله تعالى فاعبده أي وحده لأن عبادته بالشرك ليست عبادة واصطبر لعبادته أي اصبر على توحيده وقيل على أمره ونهيه

قوله تعالى هل تعلم له سميا روى هارون عن أبي عمرو أنه كان يدغم هل تعلم ووجهه أن سيبويه يجيز إدغام اللام في التاء والثاء والدال والزاي والسين والصاد والطاء لأن آخر مخرج من اللام وقريب من مخارجهن قال أبو عبيدة إذا كان بعد هل تاء ففيه لغتان بعضهم يبين لام هل وبعضهم يدغمها

وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال

أحدها مثلا وشبها رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس وبه قال سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة

والثاني هل تعلم أحدا يسمى الله غيره رواه عطاء عن ابن عباس

والثالث هل تعلم أحدا يستحق أن يقال له خالق وقادر الا هو قاله الزجاج

ويقول الإنسان إذا مامت لسوف أخرج حيا أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة ايهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا

قوله تعالى ويقول الإنسان سبب نزولها ان ابي بن خلف أخذ عظما ." (٢)

" ولقد أبيت عن الفتاة بمنزل ... فأبيت لاحرج ولا محروم ...

المعنى أبيت بمنزلة الذي يقال له لا هو حرج ولا محروم

---

(١) زاد المسير، ٥/٢٤٢

(٢) زاد المسير، ٥/٢٥١

والثالث أن أيهم مبنية على الضم لأنه خالفت أخواتها فالمعنى أيهم هو أفضل وبيان خلافها لأخواتها أنك تقول اضرب أيهم أفضل ولا يحسن اضرب من أفضل حتى تقول من هو أفضل ولا يحسن كل ما أطيب حتى تقول ما هو أطيب ولا خذ ما أفضل حتى تقول الذي هو أفضل فلما خالفت ما و من و الذي بنيت على الضم قاله سيبويه

قوله تعالى هم أولى بها صليا يعني أن الأولى بها صليا الذين هم أشد عتيا فيبتدأ بهم قبل أتباعهم وصليا منصوب على التفسير يقال صلي النار يصلاها إذا دخلها وقاسى حرها

قوله تعالى وإن منكم إلا واردها في الكلام إضمار تقديره وما منكم أحد إلا وهو واردها

وفيمن عني بهذا الخطاب قولان

أحدهما أنه عام في حق المؤمن والكافر هذا قول الأكثرين وروي عن ابن عباس أنه قال هذه الآية للكفار وأكثر الروايات عنه كالقول الأول قال ابن الأنباري ووجه هذا أنه لما قال لنحضرنهم وقال أيهم أشد ." (١)

" والخامس أن ورود المؤمن إليها ما يصيبه من الحمى في الدنيا روى عثمان بن الأسود عن مجاهد أنه قال الحمى حظ كل مؤمن من النار ثم قرأ وإن منكم إلا واردها فعلى هذا من حم من المسلمين فقد وردها

قوله تعالى كان على ربك يعني الورود حتما والحتم ايجاب القضاء والقطع بالأمر والمقضي الذي قضاه الله تعالى والمعنى إنه حتم ذلك وقضاه على الخلق

قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا وقرأ ابن عباس وأبو مجلز وابن يعمر وابن أبي ليلى وعاصم الجحدري ثم بفتح الثاء وقرأ الكسائي ويعقوب ننجي مخففة وقرأت عائشة وأبو بحرية وأبو الجوزاء الربعي ثم ينجي بياء مرفوعة قبل النون خفيفة الجيم مكسورة وقرأ أبي بن كعب وأبو مجلز وابن السميفع وأبو رجاء ننحي بحاء غير معجمة مشددة وهذه الآية يحتج بها القائلون بدخول جميع الخلق لأن النجاة تخليص الواقع في الشيء ويؤكده قوله تعالى ونذر الظالمين فيها ولم يقل وندخلهم وإنما يقال نذر ونترك لمن قد حصل في مكانه ومن قال إن الورود للكفار خاصة قال معنى هذا الكلام نخرج المتقين من جملة من يدخل النار والمراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك وبالظالمين الكفار وقد سبق معنى قوله تعالى جثيا مريم ٦٨

وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورءيا

قوله تعالى وإذا تتلى عليهم يعني المشركين آياتنا يعني القرآن ." (٢)

"قوله تعالى : ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به ﴾ قال الزجاج : المعنى : وما منهم أحد إلا ليؤمنن به ، ومثله ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ [مريم : ٧١] . وفي أهل الكتاب قولان .

أحدهما : أنهم اليهود ، قاله ابن عباس .

والثاني : اليهود والنصارى ، قاله الحسن ، وعكرمة . وفي هاء «به» قولان .

---

(١) زاد المسير، ٥/٢٥٤

(٢) زاد المسير، ٥/٢٥٧

أحدهما : أنها راجعة إلى عيسى ، قاله ابن عباس ، والجمهور .

والثاني : أنها راجعة إلى محمد A ، قاله عكرمة . وفي هاء «موته» قولان .

أحدهما : أنها ترجع إلى المؤمن . روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ليس يهودي يموت أبدا حتى يؤمن بعيسى ، فقيل لابن عباس : إن خر من فوق بيت؟ قال : يتكلم به في الهوي قال : وهي في قراءة أبي : «قبل موتهم» .

وهذا قول مجاهد ، وسعيد بن جبير . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : يؤمن اليهودي قبل أن يموت ، ولا تخرج روح النصراني حتى يشهد أن عيسى عبد . وقال عكرمة : لا تخرج روح اليهودي والنصراني حتى يؤمن بمحمد A .

والثاني : أنها تعود إلى عيسى . روى عطاء عن ابن عباس قال : إذا نزل إلى الأرض لا يبقى يهودي ولا نصراني ، ولا أحد يعبد غير الله إلا اتبعه ، وصدقه ، وشهد أنه روح الله ، وكلمته ، وعبده ، ونبيه . وهذا قول قتادة ، وابن زيد ، وابن قتيبة ، واختاره ابن جرير ، وعن الحسن كالقولين . وقال الزجاج : هذا بعيد ، لعموم قوله : ﴿ وإن من أهل الكتاب ﴾ ، والذين يبقون حينئذ شرذمة منهم ، إلا أن يكون المعنى : أنهم كلهم يقولون : إن عيسى الذي ينزل لقتل الدجال نؤمن به .

قوله تعالى : ﴿ ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا ﴾ قال قتادة : يكون عليهم شهيدا أنه قد بلغ رسالات ربه ، وأقر بالعبودية على نفسه .." (١)

"قوله تعالى : ﴿ إنه كان صادق الوعد ﴾ هذا عام فيما بينه وبين الله ، وفيما بينه وبين الناس . وقال مجاهد : لم يعد ربه بوعد قط إلا وفى له به .

فإن قيل : كيف خص بصدق الوعد إسماعيل ، وليس في الأنبياء من ليس كذلك؟

فالجواب : أن إسماعيل عانى [في الوفاء] بالوعد ما لم يعانه غيره من الأنبياء ، فأثني عليه بذلك . وذكر المفسرون : أنه كان بينه وبين رجل ميعاد ، فأقام ينتظره مدة فيها لهم ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه أقام حولا ، قاله ابن عباس .

والثاني : اثنين وعشرين يوما ، قاله الرقاشي .

والثالث : ثلاثة أيام ، قاله مقاتل .

قوله تعالى : ﴿ وكان رسولا ﴾ إلى قومه ، وهم جرهم . ﴿ وكان يأمر أهله ﴾ قال مقاتل : يعني : قومه . وقال الزجاج : أهله : جميع أمته . فأما الصلاة والزكاة ، فهما العبادتان المعروفتان .

قوله تعالى : ﴿ ورفعناه مكانا عليا ﴾ فيه أربعة أقوال .

أحدها : أنه في السماء الرابعة ، روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث مالك بن صعصعة عن رسول الله A في حديث المعراج : أنه رأى إدريس في السماء الرابعة ، وبهذا قال أبو سعيد الخدري ، ومجاهد ، وأبو العالية .

والثاني : أنه في السماء السادسة ، رواه أبو صالح عن ابن عباس ، وبه قال الضحاك .

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، ١٤٦/٢

والثالث : أنه في الجنة ، قاله زيد بن أسلم ، وهذا يرجع إلى الأول ، لأنه قد روي أن الجنة في السماء الرابعة .

والرابع : أنه في السماء السابعة ، حكاه أبو سليمان الدمشقي .

وفي سبب صعوده إلى السماء ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه كان يصعد له من العمل مثل ما يصعد لجميع بني آدم ، فأحبه ملك الموت ، فاستأذن الله في خلته ، فأذن له ، فهبط إليه في صورة آدمي ، وكان يصحبه فلما عرفه ، قال إني أسألك حاجة ، قال : ما هي؟ قال : تذيقني الموت ، فلعلي أعلم ما شدته فأكون له أشد استعدادا؛ فأوحى الله إليه أن اقبض روحه ساعة ثم أرسله ، ففعل ، ثم قال : كيف رأيت؟ قال : كان أشد مما بلغني عنه ، وإني أحب أن تريني النار ، قال : فحمله ، فأراه إياها؛ قال : إني أحب أن تريني الجنة ، فأراه إياها ، فلما دخلها وطاف فيها ، قال له ملك الموت : اخرج ، فقال : والله لا أخرج حتى يكون الله تعالى يخرجني؛ فبعث الله ملكا فحكم بينهما ، فقال : ما تقول يا ملك الموت؟ فقص عليه ما جرى؛ فقال : ما تقول يا إدريس؟ قال : إن الله تعالى قال : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ [آل عمران : ١٨٥] ، وقد ذقته ، وقال : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ [مريم : ٧١] ، وقد وردتها ، وقال لأهل الجنة : ﴿ وما هم منها بمخرجين ﴾ [الحجر : ٤٨] ، فوالله لا أخرج حتى يكون الله يخرجني؛ فسمع هاتفا من فوقه يقول : باذني دخل ، وبأمري فعل ، فخل سبيله؛ هذا معنى ما رواه زيد بن أسلم مرفوعا إلى النبي A .." (١)

"ولقد أبيت عن الفتاة بمنزل ... فأبيت لا حرج ولا محروم

المعنى : أبيت بمنزلة الذي يقال له : لا هو حرج ولا محروم .

والثالث : أن «أيهم» مبنية على الضم ، لأنه خالفت أخواتها ، فالمعنى : أيهم هو أفضل . وبيان خلافها لأخواتها أنك تقول : اضرب أيهم أفضل ، ولا يحسن : اضرب من أفضل ، حتى تقول : من هو أفضل ، ولا يحسن : كل ما أطيب ، حتى تقول : ما هو أطيب ، ولا خذ ما أفضل ، حتى تقول : الذي هو أفضل ، فلما خالفت «ما» و«من» و«الذي» بنيت على الضم ، قاله سيبويه .

قوله تعالى : ﴿ هم أولى بها صليا ﴾ يعني : أن الأولى بها صليا الذين هم أشد عتيا ، فيبتدأ بهم قبل أتباعهم . و«صليا» : منصوب على التفسير ، يقال : صلي النار يصلاها : إذا دخلها وقاسى حرها .

قوله تعالى : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ في الكلام إضمار تقديره : وما منكم أحد إلا وهو واردها .

وفيمن عني بهذا الخطاب قولان .

أحدهما : أنه عام في حق المؤمن والكافر ، هذا قول الأكثرين . وروي عن ابن عباس أنه قال : هذه الآية للكفار . وأكثر الروايات عنه كالقول الأول . قال ابن الأنباري : ووجه هذا أنه لما قال : «لنحضرنهم» وقال : «أيهم أشد على الرحمن عتيا» كان التقدير : وإن منهم ، فأبدلت الكاف من الهاء ، كما فعل في قوله : ﴿ إن هذا كان لكم جزاء ﴾ [الانسان : ٢٢] المعنى : كان لهم ، لأنه مردود على قوله : ﴿ وسقاهم ربهم ﴾ [الانسان : ٢١] ، وقال الشاعر :

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، ٢٧٩/٤

شطت مزار العاشقين فأصبحت ... عسرا علي طلابك ابنة مخرم

أراد : طلابها . وفي هذا الورود خمسة أقوال .

أحدها : أنه الدخول . روى جابر بن عبد الله عن رسول الله A أنه قال : " الورود : الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها ، فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم ، حتى إن للنار أو قال : لجهنم ضجيجا من بردهم " وروي عن ابن عباس أنه سأله نافع بن الأزرق عن هذه الآية ، فقال له : «أما أنا وأنت فسندخلها ، فانظر أيخرجنا الله D منها ، أم لا؟» فاحتج بقوله تعالى ﴿ فأوردهم النار ﴾ [هود : ٩٨] وبقوله تعالى : ﴿ أنتم لها واردون ﴾ [الأنبياء : ٩٨] . وكان عبد الله بن رواحة يبكي ويقول : أنبئت أني وارد ، ولم أنبأ أني صادر . وحكى الحسن البصري : أن رجلا قال لأخيه : يا أخي هل أتاك أنك وارد النار؟ قال : نعم؛ قال : فهل أتاك أنك خارج منها؟ قال : لا؛ قال : ففيم الضحك؟! وقال خالد بن معدان : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قالوا : ألم يعدنا ربنا أن نرد النار؟ فيقال لهم : بلى ، ولكن مررتم بها وهي خامدة .

وممن ذهب إلى أنه الدخول : الحسن في رواية ، وأبو مالك .." (١)

"وقد اعترض على أرباب هذا القول بأشياء . فقال الزجاج : العرب تقول : وردت بلد كذا ، ووردت ماء كذا : إذا أشرفوا عليه وإن لم يدخلوا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ولما ورد ماء مدين ﴾ [القصص : ٣٣] ، والحجة القاطعة في هذا القول قوله تعالى : ﴿ أولئك عنها مبعدون . لا يسمعون حسيسها ﴾ [الأنبياء : ١٠١ ، ١٠٢] ، وقال زهير :

فلما وردن الماء زرقا جمامه ... وضعن عصي الحاضر المتخيم

أي : لما بلغن الماء قمن عليه .

قلت : وقد أجاب بعضهم عن هذه الحجج ، فقال : أما الآية الأولى ، فإن موسى لما أقام حتى استقى الماء وسقى الغنم ، كان بلبثه ومباشرته كأنه دخل؛ وأما الآية الأخرى : فإنها تضمنت الإخبار عن أهل الجنة حين كونهم فيها ، وحينئذ لا يسمعون حسيسها . وقد روينا آنفا عن خالد بن معدان أنهم يمرون بها ، ولا يعلمون .

والثاني : أن الورود : الممر عليها ، قاله عبد الله بن مسعود ، وقتادة . وقال ابن مسعود : يرد الناس النار ، ثم يصدرون عنها بأعمالهم ، فأولهم كلمح البرق ، ثم كالريح ، ثم كحضر الفرس [ثم كالراكب في رحله] ، ثم كشد الرحل ، ثم كمشيه .

والثالث : أن ورودها : حضورها ، قاله عبيد بن عمير .

والرابع : أن ورود المسلمين : المرور على الجسر ، وورود المشركين : دخولها . قاله ابن زيد .

والخامس : أن ورود المؤمن إليها : ما يصيبه من الحمى في الدنيا ، روى عثمان بن الأسود عن مجاهد أنه قال : الحمى حظ كل مؤمن من النار ، ثم قرأ : «وإن منكم إلا واردها» فعلى هذا من حم من المسلمين ، فقد وردها .

قوله تعالى : ﴿ كان على ربك ﴾ يعني : الورود ﴿ حتما ﴾ والحتم : ايجاب القضاء ، والقطع بالأمر . والمقضي : الذي

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، ٢٨٦/٤

قضاه الله تعالى ، والمعنى : إنه حتم ذلك وقضاه على الخلق .

قوله تعالى : ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ﴾ وقرأ ابن عباس ، وأبو مجلز ، وابن يعمر ، وابن أبي ليلى ، وعاصم الجحدري : «ثم» بفتح الثاء . وقرأ الكسائي ، ويعقوب : «ننجي» مخففة . وقرأت عائشة ، وأبو بحرية ، [وأبو الجوزاء الربعي : «ثم ينجي» بياء مرفوعة قبل النون خفيفة الجيم مكسورة . وقرأ أبي بن كعب] ، وأبو مجلز ، وابن السميفع ، وأبو رجاء : «ننحي» بحاء غير معجمة مشددة . وهذه الآية يحتج بها القائلون بدخول جميع الخلق ، لأن النجاة : تخليص الواقع في الشيء ، ويؤكده قوله تعالى : ﴿ ونذر الظالمين فيها ﴾ ولم يقل : وندخلهم؛ وإنما يقال : نذر ونترك لمن قد حصل في مكانه . ومن قال : إن الورود للكفار خاصة ، قال : معنى هذا الكلام : نخرج المتقين من جملة من يدخل النار . والمراد بالمتقين : الذين اتقوا الشرك ، وبالظالمين : الكفار . وقد سبق معنى قوله تعالى : ﴿ جثيا ﴾ [مريم : ٦٨] .." (١)

"ا"اتفسيرا اسوااأااقامريم أأااأ ا@اا ا@ وتجيء العبر فى الآيات المختلفة الكثيرة ، فيذكر الناس بالبعث @أولا يدص الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا@ فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحفرنهم حول جهنم جثيا@ ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا@ ثم لنحن أعلم بالذين فم أولى بها صليا@ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا@ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا@ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا و.

ويضرب الأمثال للمشركين بالذين مضوا من الذين عادوا النبيين وأهلكهم الله ، وهم أحسن منهم أثاثا ورئيا.

ويبين الله اهتداء المهتدين وضلال الضالين : (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا@ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا ه.

وتشرح السورة الكريمة نفس الكافر وغروره : (أفرءيت الذي كفر باياتنا وقال لأوتين مالا وولدا@ أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا ، ثم بين سبحانه أن ذلك مكتوب عليه وأنه سيرث أعقاب هذا القول ، ويقول : (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ا@٨ كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا .

ويبين سبحانه سيطرة الشمياطين على الكافرين : (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا@ فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا .

ويذ@ الله الناس جميعا بما يكون يوم الآخرة ، (يوم نحشمر المتقين إلى الرحمن وفدا@ ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا@ لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا .." (٢)

(١) زاد المسير في علم التفسير، ٢٨٧/٤

(٢) زهرة التفاسير، ص/٤٦٠٥

"ثم ذكر تعالى ما يكون بعد الحشر وهو إحضارهم إلى جهنم ، فقال تعالى مقسما : (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيالأ ، (ثم @ عاطفة على جواب ا@قسم (لنحشرنهم @ فهو سبسانه بعد أن يحشرهم مع شياطينهم الذين وسوسوا لهم بعباده الأوثان يحضرون ، وإن ذلك وإن كان خاصا بالكفرة ؟ لأنهم الذين أغواهم الشياطين وأضلوهم ، ولكن أضيفت إلى الجميع الأبرار والفجار ؟ لأن الحشو للجميع ، والجمجع يرون جهنم كي تتلى الآيات من بعد.

والإحفمار حول جهنم جاثين على ركبهم ؟ ولذا قال تعالى : (ثم لنحفرنهم حول جهنم جثيا@ ، والجثى جمع جاث ، وهم الجالسون على ركبهم. فقال تعالى : (وترى كل أمة جاثية... أ الجاثية ، ، وذلك يكون فى أحوال تناقلات القول ، وذلك من تجاثى أهلها على ركبهم ، وذلك يكون فى حال الاستفزاز والقلق ، وكأنهم لهول ما يرون يتجاثون على ركبهم فزعين قد أصابهم الهلع ، ويكونون حول جهنم مترقبين ما يكون من أمرهم فى جزع.

والعطف ب (ثم @ يقتضى فاصلا بأمد ليس@ قصيرا بين الحشر والإحضار ،

وذلك الأمد يكون فيه الحساب ويكون ما يقرره الله لأهل البر ، وما يقرره للفجار ، @كل يحضر حول جهنم ثم يكون الأبرار بعد ذلك للجنة إذ يرون ما ال إليه أمر الكفار ، كما منتلو قوله تعالى : (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ١٠

ويقول فى أحوال يوم القيامة وأهواله :

(ثم لننزعن من كل لث@يعة أيهم ألث@د على الرحمن عتيا .

(ثم @ عاطفة للترتيب والتراخى ، لأنه ترتيب أعمال يوم ، فيكون الحشر ثم الإحضار إلى جهنم جثيا ثم نزع أشدهم عتوا من الشيع ، من كل شيعة أعتاها وأجرؤها على الرحمن ، وقوله تعالى : (لننزعن @ " اللام " لام القسم التى تكون فى جوابه وهى تنبئ عن قسم مقذر فى القول ، والنزع الاستخراج لا اختيار." (١)

"وإن الناس جميعا يرون النار ، ليعرف الابرار مقدار إكرام الله تعالى إذا دخلوا ، فيرون الفردتى بين الجنة والنار ، وبين النعيم المقيم وعذاب الجحيم ، ولذا قال تعالى :

(وإن منكم إلا واردها كان علىٰ ربك حتما مقضيا .

(إن) هنا نافية ، والمعنى ما منكم إلا واردها ، وقد التفت سبحانه وتعالى من الغيبة إلى الخطاب ؟ لمواجهة عباده بما قرر لهم وما قدره سبحانه وتعالى عليهم ، والورود ليس معناه الدخول ، بل إن المؤمن يردها ولا يلقى ولا يعذب فيها ، وبذلك يوفق بين قوله تعالى : (وإن منكم إلا وارفى ها@ ، وقوله تعالى بالنسبة للمؤمنين : (... أولئك عنها مبعذون ١١ لأ@اء ، ، أى@رون من نزا@ا ولا يلقون فيها ولا يدخلونها ، وروى أن المؤمنين يوردون عليها وهى ضاورة (١) ، أى خامدة بالنسبة إليهم لا تمسهم ولا يلقون عذابها.

(كان علىٰ ربك حتما مقضيا@و ، (كان @و ذلك الورود (علىٰ ربك @و الذى خلفك ورراك (حتما@ ، أى لازما ، (مقضيا@ ، أى قضاه الله تعالى وكتبه على نفسه ، كما قال تعالى : (... كتب ربكم على نفسه الرحمة... ١١ لأنعام

---

(١) زهرة التفاسير، ص/٤٦٧٤

، ، وإن هذا الكلام لتأكيد الوقوع ، وإنه سبحانه وتعالى قد كتبه على ذاته العلية ، ولا إلف ام عليه من أحد ولأح أن يستدل به الذين يقولون بوجوب الصلاح أو الأصلح ، فإن هذا ليس من ذلك الباب فى شىء ، إنما لتأكيد الوقوع والقضاء منه ، وهو الذى يقضى ويقدر وهو العزيز الحكيم.

وبعد أن يردها الجميع يصطفى الله تعالى ممن وردها المؤمنين التقاة ، فينجيهم

منها ؟ ولذا يقول تعالى :

(ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا .

(١) هكذا بالواو ، والتض@ر : التضعف ، من قولهم : رجل ضورة وامراة ضورة ، والفحورة ، بالضم ، من الرجال : الصغير الحقير الشأن. قاله أبو العباس : لسان العرب – ضور. وقد تكون (ضامرة) بالراء ، من الضمور وهو الهزال. وكلاهما يحتمل معنى الخمود ، والله أعلم.." (١)

"معنى ورود جهنم المذكور في سورة مريم

Q ما معنى الورود في قوله تعالى: ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ﴾ [مريم:٧١]؟

A قال فريق من أهل العلم -ويكاد ينعقد قول الجمهور على ذلك-: إن المراد بالورود: المرور على الصراط، والله سبحانه وتعالى أعلم.." (٢)

"تفسير قوله تعالى: (وإنه لتذكرة للمتقين)

قال تعالى: ﴿ وإنه لتذكرة للمتقين ﴾ [الحاقة:٤٨]، أي: لا ينتفع بهذه التذكرة إلا المتقون، الذين يخشون ربهم ويتقون عذابه.

قال تعالى: ﴿ وإنا لنعلم أن منكم مكذبين ﴾ [الحاقة:٤٩] أي: لا يخفى علينا أمركم ولا حالكم.

﴿ وإنه لحسرة على الكافرين ﴾ [الحاقة:٥٠]، حسرة من من؟ جاء في الآية الكريمة في سورة (يس): ﴿ يا حسرة على العباد ﴾ [يس:٣٠]، من الذي يتحسر على العباد؟ وهنا يقول تعالى: ﴿ وإنه لحسرة على الكافرين ﴾ ، من الذي يتحسر على الكفار؟ من العلماء من قدر أشياء في الآية وقال: ﴿ يا حسرة على العباد ﴾ [يس:٣٠]، أي: يا حسرة المتحسرين! تعالي وحلي على هؤلاء الكفار، ويا من تتحسرون! تعالوا وتحسروا على هؤلاء، فليست ثم حسرة أكبر من الحسرة على الكافرين.

يا أيها النادمون! تعالوا إن كان هناك مجال للندم، فلا تندموا على شيء فاتكم في حياتكم، بل اندموا على أمر أخراكم، تحسروا على الكافرين، ألا ها هنا يصب الندم وهاهنا تتنزل الحسرات، وهاهنا تقتطع الأنامل من الغيظ.

---

(١) زهرة التفاسير، ص/٤٦٧٦

(٢) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي، ٣٣/٥١

﴿ وإنه لحق اليقين ﴾ [الحاقة:٥١]، قد سبق بيان: إن العلم على ثلاث مراتب: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين، ومثلنا ذلك: بأنك إذا سمعت عن الكعبة، فعندك علم يقين بأن هناك بمكة كعبة، لكن إذا جئت ورأيت الكعبة بعينيك أصبح هذا العلم عين اليقين.

فإذا جئت ودخلت الكعبة ولمست أحجارها أصبح العلم بها حق اليقين، كما قال تعالى في شأن الجحيم: ﴿ ثم لترونها عين اليقين ﴾ [التكاثر:٧]، فكلنا –أهل الإيمان– نعلم أن هناك نارا، فهذا علم يقين بالنسبة للمؤمنين.

فإذا جاء شخص ورآها: ﴿ ثم لترونها عين اليقين ﴾ [التكاثر:٧]، رؤيا حقيقة، ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ [مريم:٧١-٧٢] وعند المرور على الصراط يراها الناس.

والجنان أيضا إذا أردت أن تراها، كما قال تعالى: ﴿ فاطلع فرآه في سواء الجحيم * قال تالله إن كدت لتردين ﴾ [الصافات:٥٥-٥٦]، لكن إذا دخلها الشخص الكافر أصبح الدخول حق اليقين، قال تعالى: (وإنه)، أي: القرآن.

ليس علما يقينا فحسب، وليس عين اليقين فحسب، بل هو حق اليقين، باشرته ولمسته قلوب المؤمنين، فحل في قلوب أهل الإيمان، فلم يصبح عند أهل الإيمان علم يقين ولا عين يقين، بل أصبح حق اليقين: ﴿ وإنه لحق اليقين * فسبح باسم ربك العظيم ﴾ [الحاقة:٥١-٥٢].

صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لما نزلت: ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ قال: (اجعلوها في ركوعكم) ، وهل وجودها في الركوع على السنية أم على الاستحباب أم على الإيجاب؟ الأكثرون أنها مستحبة، ومن العلماء من يرى الوجوب، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وسلم.." (١)

" صفحة رقم ٥٥٠

عن الجنة ، فثبت أمر البعث ، أتبع ذلك ما يقرره على وجه أصرح منه وأعم فقال مبدلا من) ربك (: (رب السماوات والأرض (اللتين نحن من جملة ما فيهما من عباده) وما بينهما (منا ومن غيرنا من الأحياء وغيرها) فاعبده (بالمراقبة الدائمة على ما ينبغي له من مثلك) واصطبر) أي اصبر صبرا عظيما بغاية جهدك على كل ما ينبغي الاصطبار عليه كذلك) لعبادته) أي لأجلها فإنها لا تكون إلا عن مجاهدة شديدة ؛ ثم علل ذلك بقوله : (هل تعلم له سميا) أي متصفا بوصف من أوصافه اتصافا حقيقيا ، أو مسمى باسمه ، العلم الواقع موقع لأنه لا مماثل له حتى ولا في مجرد الاسم ، وإيراده بصورة الاستفهام كالدعوى بدليلها .

مريم : (٦٦ - ٧١) ويقول الإنسان أئذا. .. . . .

) ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي، ١٧/٧٣

بها صليا وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (( )

ن بذلك وبما ذكر في هاتين السورتين مما سألوا عنه ومن غيره شمول علمه وتمام قدرته لاسيما في إيجاد البشر تارة من الترابن وتارة من ذكر وأنثى في حكم العدم ، وتارة من أنثى بلا ذكرن وثبت ذلك كله ، فانكشفت الشبه ، وتضاءلت موجبات المراء ، وانقمعت مخيلات الفتن ، عجب منها في إنكارهم البعث وهم يشاهدون ما ذكر من قدرته وعلمه ، عاطفا على التعجب في قولهم) وقالوا ءاذا كنا (تعجيبا أشد من ذلك فقال : (ويقول (بلفظ المضارع المؤذن بالتجدد بعد هذا البيان المقتضي حتما لاعتقاده البعث فضلا عن إنكار مرة من المرات ، ليخبر عنها بصيغة الماضي ، فكيف بالمداومة على ذلك المشار إليها بصيغة المضارع ؛ وعبر بالمفرد وإن كان للجنس لأن الإنكار على الواحد يستلزم الإنكار على المتعدد فقال : (الإنسان) أي الذي خلقناه ولم يك شيئا ، مع ما فضلناه به من العقلن ونصبا له من الدلائلن فشغله الإنس بنفسه عن التأمل في كمال ربه منكرا مستبعدا : (ءذا ما مت (ثم دل على شدة استبعاده لذلك بقوله مخلصا للاستقبال : (لسوف أخرج) أي يخرجني مخرج) حيا) أي بعد طول الرقاد ، وتفتت الأجزاء والمواد ، وجاء بهذه التأكيدات لأن ما بعد الموت وقت كون الحياة منكرة على زعمه ، والعامل في) إذا (فعل من معنى) أخرج (لا هو ، لمنع لام الابتداء لعمله فيما قبله ؛ ثم قابل إنكاره الباطل بإنكار هو الحق فقال عطفا على يقول أو على ما تقديره : ألا يذكر ما لنا من تمام القدرة بخلق ما." (١)

" صفحة رقم ٥٥٢

من كل عالم) بالذين هم (لظواهرهم وبواطنهم) أولى بها) أي جهنم) صليا (وبالذين هم أولى بكل طبقة من دركاتها من جميع الخلق من المنتزعين وغيرهم ، فلا يظن بنا أنا نضع أحدا في غير دركته أو غير طبقته من دركته ؛ وعطف هذه الجمل بأداة البعد مقرونة بنون العظمة لبعد مرابتها وتصاعدها في ذرى العليا وترقيها ، تهويلا للمقام وتعظيما للأمر لاستبعادهم له ، على أنه يمكن أن تكون الحروف الثلاثة للترتيب الزماني ، وهو في الأولين واضح ، وأما في الثالث فلأن العلم كناية عن الإصلاء ، لأن من علم ذنب عدوه - وهو قادر - عذبه ، فكأنه قيل : لنصلين كلا منهم النار على حسب استحقاقه لأنا أعلم بأولويته لذلك .

ولما كانوا بهذا الإعلام ، المؤكد بالإقسام ، من ذي الجلال والإكرام ، جديرين بإصغاء الأفهام ، إلى ما يوجه إليها من الكلام ، التفت إلى مقام الخطاب ، إفهاما للعموم فقال : (وإن) أي وما) منكم (أيها الناس أحد) إلا واردها) أي داخل جهنم ؛ ثم استأنف قوله : (كان (هذا الورود ؛ ولما كان المعنى أنه لا بد من من إيقاعه ، أكده غاية التأكيد فأتى بأداة الوجوب فقال : (على ربك (الموجد لك المحسن إليك بإنجاء أمتك لأجلك) حتما) أي واجبا مقطوعا به) مقتضيا (لا بد من إيقاعه ؛ قال الرازي في اللوامع : ما من مؤمن - إلا الأنبياء - إلا وقد تلطخ بخلق سوء ولا ينال السعادة الحقيقية إلا بعد تنقيته ، وتخليصه من ذلك إنما يكون بالنار .

مريم : (٧٢ - ٧٦) ثم ننجي الذين. . . .

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٥٠/٤

) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورءيا قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا (( )

ولما كان الخلاص منها بعد ذلك مستبعدا ، قال مشيرا إليه بأداة البعد : (ثم ننجي) أي تنجية عظيمة على قراءة الجماعة ، ومطلق إنجاء على قراءة الكسائي ، وكأن ذلك باختلاف أحوال الناس مع أن المطلق لا ينافي المقيد) الذين اتقوا) أي كانوا متقين منها بأن تكون عليهم حال الورود بردا وسلاما) ونذر الظالمين) أي نترك على أخبث الأحوال الذين وضعوا الأشياء في غير مواضعها واستمروا في على ذلك فكانوا في أفعالهم خابطين كالأعمى) فيها جثيا (كما كانوا حولها لا يهتدون إلى وجه يخلصون به منها .." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا ﴾ [٧١] .

﴿ وإن **منكم إلا واردها** ﴾ أي : ليس أحد منكم ، من بر وفاجر ، إلا وهو يردها ﴿كان على ربك حتما مقضيا ﴾ أي : حكما جزما مقطوعا به .." (٢)

"الثالث : أن سراج الدنيا يضمحل من نور الشمس ، أما سراج المعرفة والتوحيد فإنه يضمحل نور الشمس فى نوره.

الرابع : أن سراج الدنيا لا وفاء له ، يحرق من أوقده ، ومن أمده بالفتيلة ، كما يحرق من لم يوقده ولم يمده بالفتيلة ، وسراج المعرفة ذو وفاء ، لا يحرق صاحبه البتة ، بل ينجيه من الحرق ، فشتان ما بين السراجين.

السؤال الربع : ما الحكمة فى تشبيه المعرفة بالمصباح ؟

الجواب من وجوه :

الأول : أن المصباح تضره الرياح ، والمعرفة يضرها الوسواس والشبهات.

الثانى : أن المصباح لايبقى بغير الدهن ، والمعرفة لا تبقى بغير التوفيق.

الثالث : لا بد للمصباح من حافظ يتعهده ، ولا بد لمصبح المعرفة من متعهد وهو فضل الله ورحمته :

السؤال الخامس : ما الحكمة من تشبيه القلب بالزجاجة ؟

والجواب من وجوه :

الأول : ان الذهب والفضه وإن كانا نفيسين رفعين إلا أنهما كثيفان يوقعان الحجاب ، والزجاجة أن كانت قليلة القيمة إلا أنها لطيفة صافية لا توقع الحجاب ، فإنه يرى ظاهرها من باطنها وبالضد ، والله تعالى ذكر هذا المثل لرفع الحجاب لا لوضعه.

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٥٢/٤

(٢) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، /

الثاني : أنه ليس لأنية الزجاجة خطر ، إنما الخطر لما فى الآنية ، فكذلك ليس لقلبك خطر إنما ، الخطر للإيمان.

الثالث : إذا إنكسرت الزجاجة لم تصلح إلا بإدخال النار والإذابة ، وكذا القلب إذا فسد لم يصلح إلا بإدخال النار و الإذابة : (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا)..." (١)

"الثالث : أن سراج الدنيا يضمحل من نور الشمس ، أما سراج المعرفة والتوحيد فإنه يضمحل نور الشمس فى نوره.

الرابع : أن سراج الدنيا لا وفاء له ، يحرق من أوقده ، ومن أمده بالفتيلة ، كما يحرق من لم يوقده ولم يمده بالفتيلة ، وسراج المعرفة ذو وفاء ، لا يحرق صاحبه البتة ، بل ينجيه من الحرق ، فشتان ما بين السراجين.

السؤال الربع : ما الحكمة فى تشبيه المعرفة بالمصباح ؟

الجواب من وجوه :

الأول : أن المصباح تضره الرياح ، والمعرفة يضرها الوسواس والشبهات.

الثانى : أن المصباح لايبقى بغير الدهن ، والمعرفة لا تبقى بغير التوفيق.

الثالث : لا بد للمصباح من حافظ يتعهده ، ولا بد لمصبح المعرفة من متعهد وهو فضل الله ورحمته :

السؤال الخامس : ما الحكمة من تشبيه القلب بالزجاجة ؟

والجواب من وجوه :

الأول : ان الذهب والفضه وإن كانا نفيسين رفعين إلا أنهما كثيفان يوقعان الحجاب ، والزجاجة أن كانت قليلة القيمة إلا أنها لطيفة صافية لا توقع الحجاب ، فإنه يرى ظاهرها من باطنها وبالضد ، والله تعالى ذكر هذا المثل لرفع الحجاب لا لوضعه.

الثاني : أنه ليس لأنية الزجاجة خطر ، إنما الخطر لما فى الآنية ، فكذلك ليس لقلبك خطر إنما ، الخطر للإيمان.

الثالث : إذا إنكسرت الزجاجة لم تصلح إلا بإدخال النار والإذابة ، وكذا القلب إذا فسد لم يصلح إلا بإدخال النار و الإذابة : (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا)..." (٢)

"ولما كانوا بهذا الإعلام ، المؤكد بالإقسام ، من ذي الجلال والإكرام ، جديرين بإصغاء الأفهام ، إلى ما يوجه إليها من الكلام ، التفت إلى مقام الخطاب ، إفهاما للعموم فقال : ﴿وإن﴾ أي وما ﴿منكم﴾ أيها الناس أحد ﴿إلا واردها﴾ أي داخل جهنم ؛ ثم استأنف قوله : ﴿كان﴾ هذا الورود ؛ ولما كان المعنى أنه لا بد من من إيقاعه ، أكده غاية التأكيد فأتى بأداة الوجوب فقال : ﴿على ربك﴾ الموجد لك المحسن إليك بإنجاء أمتك لأجلك ﴿حتما﴾ أي واجبا مقطوعا به ﴿مقتضيا *﴾ لا بد من إيقاعه ؛ قال الرازي في اللوامع : ما من مؤمن - إلا الأنبياء - إلا وقد تلطخ بخلق سوء ولا ينال السعادة الحقيقية إلا بعد تنقيته ، وتخليصه من ذلك إنما يكون بالنار.

---

(١) من أسرار التنزيل، ص/٩٤

(٢) من أسرار التنزيل، ص/٩٤

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٥٥٠

ولما كان الخلاص منها بعد ذلك مستبعدا ، قال مشيرا إليه بأداة البعد : ﴿ثم ننجي﴾ أي تنجية عظيمة على قراءة الجماعة ، ومطلق إنجاء على قراءة الكسائي ، وكأن ذلك باختلاف أحوال الناس مع أن المطلق لا ينافي المقيد ﴿الذين اتقوا﴾ أي كانوا متقين منها بأن تكون عليهم حال الورود بردا وسلاما ﴿ونذر الظالمين﴾ أي نترك على أخبث الأحوال الذين وضعوا الأشياء في غير مواضعها واستمروا في على ذلك فكانوا في أفعالهم خابطين كالأعمى ﴿فيها جثيا *﴾ كما كانوا حولها لا يهتدون إلى وجه يخلصون به منها.

٥٥٢

". (١)

"ج ١ ، ص : ٢٧١

وقوله : من الذين هادوا يحرفون الكلم ... (٤٦)

إن شئت جعلتها متصلة بقوله (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ، من الذين هادوا يحرفون الكلم) وإن شئت كانت «١» منقطعة منها مستأنفة ، ويكون المعنى : من الذين هادوا من يحرفون الكلم. وذلك من كلام العرب : أن يضمروا (من) فى مبتدأ الكلام. فيقولون : منا يقول ذلك ، ومنا لا يقوله. وذلك أن (من) بعض لما هى منه ، فلذلك أدت عن المعنى المتروك قال الله تبارك وتعالى :

وما «٢» منا إلا له مقام معلوم وقال وإن منكم إلا واردها «٣» وقال ذو الرمة :

فظلوا ومنهم دمعه سابق له وآخر يثنى دمعة العين بالهمل «٤»

يريد : منهم من دمعه سابق. ولا يجوز إضمار (من) فى شىء من الصفات إلا على المعنى «٥» الذي نبأتك به ، وقد قالها الشاعر فى (فى) ولست أشتهيها ، قال «٦» :

لو قلت ما فى قومها لم تأثم يفضلها فى حسب وميسم «٧»

ويروى أيضا (تيثم) لغة. وإنما جاز ذلك فى (فى) لأنك تجد معنى (من) أنه بعض ما أضيفت إليه ألا ترى أنك تقول فينا صالحون وفينا دون ذلك ، فكأنك قلت : منا ، ولا يجوز أن تقول : فى الدار يقول ذلك وأنت تريد فى الدار من يقول ذلك ، إنما يجوز إذا أضفت (فى) إلى جنس المتروك.

---

(١) كذا فى أ، ج ، وفى ش : «كان».

(٢) آية ١٦٤ سورة الصافات.

(٣) آية ٧١ سورة مريم.

---

(١) نظم الدرر . ، ٨٦٤/٤

(٤) قبله :

بكيت على مى بها إذ عرفتها وهجت الهوى حتى بكى القوم من أجلى

وانظر الديوان ٤٨٥

(٥) كذا فى أ. وفى ش ، ج : «هذا».

(٦) أي حكيم بن معية. وانظر الخزانة ٢/ ٣١١.

(٧) «تأثم» كذا فى ا ، ش. وفى ج : «تألم».." (١)

"ج ٢ ، ص : ١٧٠

الواو ألا ترى أن الرضوان بالواو. والذين قالوا مرضيا بنوه على رضيت (ومرضوا «١» لغة أهل الحجاز).

وقوله : ورفعناه مكانا عليا [٥٧] ذكر أن إدريس كان حبب إلى ملك الموت حتى استأذن ربه فى خلته. فسأل إدريس ملك الموت أن يريه النار فاستأذن ربه فأراها إياه ثم (استأذن «٢» ربه) فى الجنة فأراها إياه فدخلها. فقال له ملك الموت : اخرج فقال : والله لا أخرج منها أبدا لأن الله قال (وإن «٣» منكم إلا واردها) فقد وردتها يعنى النار وقال (وما هم منها بمخرجين «٤») فلست بخارج منها إلا بإذنه. فقال الله : بإذنى دخلها فدعه. فذلك قوله (ورفعناه مكانا عليا).

وقوله : فخلف من بعدهم خلف : الخلف يذهب به إلى الذم. والخلف الصالح. وقد يكون فى الرديء خلف وفى الصالح خلف لأنهم قد يذهبون بالخلف إلى القرن بعد القرن.

وقوله : جنات عدن [٦١] نصب. ولو رفعت على الاستئناف كان صوابا.

وقوله (إنه كان وعده مأتيا) ولم يقل : آتيا. وكل ما أتاك فأنت تأتيه ألا ترى أنك تقول أتيت على خمسين سنة وأتت على خمسون سنة. وكل ذلك صواب.

وقوله : ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا [٦٢] ليس هنالك بكرة ولا عشى ، ولكنهم يؤتون بالرزق على مقادير من «٥» الغدو والعشى فى الدنيا.

وقوله : وما نتنزل إلا بأمر ربك [٦٤] يعنى الملائكة وقوله : له (ما بين أيدينا) من أمر الدنيا (وما خلفنا) من أمر الآخرة (وما بين ذلك) يقال ما بين النفختين ، وبينهما أربعون سنة.

---

(١) سقط ما بين القوسين فى ا.

(٢) ا : «استأذنه».

(٣) الآية ٧١ سورة مريم.

---

(١) معاني القرآن للفراء موافقا للمطبوع، ٢٧١/١

(٤) الآية ٤٨ سورة الحجر.

(٥) سقط فى ا.." [1]

"ج ٢ ، ص : ٢٦٤

قالت الأصنام : ما كان لنا أن نعبد غيرك فكيف ندعو إلى عبادتنا! ثم قالت : ولكنك يا رب متعتهم بالأموال والأولاد حتى نسوا ذكرك. فقال الله للآدميين (فقد كذبوكم) يقول : (كذبتكم الآلهة بما تقولون) وتقرأ (بما يقولون) بالياء (والتاء «١») فمن قرأ بالتاء فهو كقولك كذبك يكذبك. ومن قرأ بالياء قال : كذبوكم بقولهم. والقراء مجتمعة على نصب النون فى (نتخذ) إلا أبا جعفر المدنى فإنه قرأ (أن نتخذ) بضم النون (من دونك) فلو لم تكن فى الأولياء (من) كان وجها جيدا ، وهو على (شذوذه «٢» و) قلة من قرأ به قد يجوز على أن يجعل الاسم «٣» فى (من أولياء) وإن كانت قد وقعت فى موقع الفعل ١٣٠ ب وإنما آثرت قول الجماعة لأن العرب إنما تدخل (من) فى الأسماء لا فى الأخبار ألا ترى أنهم يقولون : ما أخذت من شيء وما عندى من شيء ، ولا يقولون ما رأيت عبد الله من رجل. ولو أرادوا ما رأيت من رجل عبد الله فجعلوا عبد الله هو الفعل جاز ذلك. وهو مذهب أبى جعفر المدنى.

وقوله (قوما بورا) والبور مصدر واحد وجمع والبائر الذي لا شيء فيه. تقول : أصبحت منازلهم بورا أي لا شيء فيها. فكذلك أعمال الكفار باطل. ويقال : رجل بور وقوم بور.

وقوله : إلا إنهم ليأكلون الطعام [٢٠] (ليأكلون) صلة لاسم «٤» متروك اكتفى بمن المرسلين منه كقيلك فى الكلام : ما بعثت إليك من الناس إلا من إنه ليطيعك ، ألا ترى أن (إنه ليطيعك) صلة لمن. وجاز ضميرها «٥» كما قال (وما منا «٦» إلا له مقام معلوم) معناه - والله أعلم - إلا من له مقام وكذلك قوله (وإن «٧» منكم إلا واردها) ما منكم إلا من يردها ، ولو لم تكن اللام جوابا لإن كانت إن مكسورة أيضا ، لأنها مبتدأة ، إذ كانت صلة.

---

(١) سقط فى ا.

(٢) سقط فى ا.

(٣) أي يكون هو المفعول الثاني.

(٤) يريد من الموصولة.

(٥) أي حذفها.

(٦) الآية ١٦٤ سورة الصافات.

(٧) الآية ٧١ سورة مريم. [.....]." [2]

---

(١) معاني القرآن للفراء موافقا للمطبوع، ١٧٠/٢

(٢) معاني القرآن للفراء موافقا للمطبوع، ٢٥٩/٢

"ج ٢ ، ص : ١٦
بعذاب أعظم ، لأن عذاب الضال المضل ، يجب أن يكون فوق من يضل تبعا لغيره ، وليس عذاب من يتجبر كعذاب المقلد ، وليس عذاب من يورد الشبه في الباطل ، كعذاب من يقتدي به مع الغفلة. ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها أي أحق بجهنم صليا (٧٠) أي دخولا فنبدأ بهم.

وإن **منكم إلا واردها أي** ما منكم أيها الإنسان أحد إلا حاضر قرب جهنم ، ويمر بها المؤمنون ، وهي خامدة ، وتنهار بعيرهم.

وعن جابر أنه صلى الله عليه وسلم سئل فقال : «إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال بعضهم لبعض : أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار؟ فيقال لهم : قد وردتموها وهي خامدة»

« ١».

وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال : «لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية» «٢» ، فقالت حفصة أليس الله يقول : وإن منكم إلا واردها؟

فقال صلى الله عليه وسلم : «ثم ننجي الذين اتقوا»

أي نبعدهم عن عذاب جهنم.

وقيل : ورود جهنم هو الجواز على الصراط الممدود عليها ، وقيل : الورود : الدخول ، فالمؤمنون يدخلون النار من غير خوف وضرر ألبتة ، بل مع الغبطة والسرور. كان على ربك حتما مقضيا (٧١) أي كان ورودهم إياها أمرا محتوما أوجبه الله تعالى على ذاته. ثم ننجي الذين اتقوا من الكفر والمعاصي ، أي نخرجهم منها ، فلا يخلدون بعد أن أدخلوا فيها ، وإنما دخلوا لهم فيها ليشاهدوا العذاب ، ليصير ذلك سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة. ونذر الظالمين ، بالكفر والمعاصي فيها أي جهنم جثيا (٧٢) أي منهارا بهم. وإذا تتلى عليهم أي المشركين ، آياتنا الناطقة بحسن حال المؤمنين ، وسوء حال الكفرة ، بينات أي مرتلات الألفاظ ، مبينات المعاني ، قال الذين كفروا أي مردوا منهم على الكفر ، ومرنوا على العناد ، وهم : النضر بن الحرث ، وأتباعه الفجرة. للذين آمنوا أي لفقراء المؤمنين الذين هم في خشونة عيش ، ورثاثة ثياب وضيق منزل ، واللام للتبليغ لأنهم شافهوا المؤمنين وخاطبوهم بقولهم : أي الفريقين

أي المؤمنين والكافرين خير مقاما أي منزلا. وقرأ ابن كثير بضم الميم وأحسن نديا (٧٣) أي مجلسا أي أنحن أو أنتم.

روي أنهم كانوا يرجلون شعورهم ، ويدهنونها ، ويتطيبون ، ويتزينون بالزينة الفاخرة ، ثم يدعون فقراء المؤمنين ، ويقولون مفتخرين عليهم : انظروا إلى منازلنا فتروها أحسن من منازلكم ، وانظروا إلى مجالسنا عند التحدث ومجلسكم ، فترونا نجلس في صدر المجلس ، وأنتم في طرفه الحقير. فإذا كنا بهذه المثابة ، وأنتم بتلك ، فنحن عند الله خير منكم ، ولو كنتم على خير لأكرمكم بهذه الأمور ، كما أكرمنا بها.

---

(١) رواه ابن عبد البر في التمهيد (٧ : ١٥٦) ، بما معناه.

(٢) رواه أحمد (م ٦/ ص ٣٦٢).." [1]

" والمعنى أنهم لشدة ما هم فيه لا يقدرون على القيام

٦٧ - وقوله جل وعز ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا

روى سفيان عن علي بن الأقمر عن أبي الأحوص قال يبدأ بالأكابر جرما

ومعنى هذا القول نبدأ بتعذيب أكبرهم جرما ثم الذي يليه ثم الذي يليه

قال مجاهد من كل شيعة من كل أمة عتيا أي كفرا

٦٨ - وقوله جل وعز وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا

في هذه الآية خمسة أقوال أ قيل ورودها دخولها لأن بعده ونذر الظالمين فيها

وإنما يقال نذر لما حصل فينجي الله الذين اتقوا ويصيرون إلى رحمته فيعرفون مقدار ما خلصوا منه لأنهم قد دخلوا النار وخلصوا منها وهذا قول ابن عباس وإسناده جيد ." [2]

" ب وقيل يردها المؤمنون وهي جامدة

وروى سفيان عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال إذا دخل أهل الجنة قالوا يارب ألم توعدنا أنا نرد النار فيقول قد وردتموها وهي جامدة ج وقيل يعني القيامة د وقيل وإن منكم إلا واردها يراد به المشركون واستدل صاحب هذا القول بأن عمر بن الوليد روى عن عكرمة أنه قرأ وإن منكم إلا واردها ه والقول الخامس أن ورودها بلاغها والممر بها

وروى معمر عن قتادة وإن منكم إلا واردها قال الممر بها

وروى الحسن بن مسلم عن عبيد الله بن عمير وإن منكم إلا واردها

قال حضورها ." [3]

" فهذه خمسة أقوال والله أعلم بما أراد إلا أنه معروف في كلام العرب أن يقال وردت كذا أي بلغته ولم أدخله قال زهير ... فلما وردن الماء زرقا جمامة ... وضعن عصي الحاضر المتخيم ...

وقرأ أبي بن كعب ثم ننجي الذين اتقوا أي في ذلك الموضع

قال أبو جعفر وأبين ما في هذه الأقوال قول من قال وإن منكم إلا واردها إنها القيامة وقوله تعالى فوربك لنحشرنهم يدل على ذكر القيامة فكنى عنها بهذا

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن مجييد، ١٦/٢

(٢) معاني القرآن، ٣٤٧/٤

(٣) معاني القرآن، ٣٤٩/٤

وكذلك ذكر جهنم يدل على القيامة لأنها فيها والله جل وعز يقول لا خوف عليهم ولا هم يحزنزن فيبعد أن يكون مع ." (١)

"[٧١] ﴿ وإن **منكم إلا واردها** ﴾ ، أي وما منكم إلا واردها، وقيل : القسم في مضمر أي والله ما منكم من أحد إلا واردها، والورود هو موافاة المكان، واختلفوا في الورود هاهنا وفيما تنصرف إليه الكناية في قوله : ﴿ واردها ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه وهو قول الأكثرين معنى الورود هاهنا هو الدخول ، والكناية راجعة إلى النار ، وقالوا : النار يدخلها البر والفاجر ، ثم ينجي الله المتقين ، فيخرجهم منها ، والدليل على أن الورود هو الدخول قول الله عز وجل حكاية عن فرعون : ﴿ يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار ﴾ وقال قوم : ليس المراد من الورود الدخول، وقالوا : النار لا يدخلها مؤمن أبدا، لقوله تعالى : ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴾﴿ لا يسمعون حسيسها ﴾ ، وقالوا : كل من دخلها لا يخرج منها، والمراد من قوله : ﴿ وإن **منكم إلا واردها** ﴾ ، الحضور والرؤية، لا الدخول، كما قال تعالى : ﴿ ولما ورد ماء مدين ﴾ أراد به الحضور . وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أنه قال : وإن **منكم إلا واردها يعني**." (٢)

"القيامة والكناية راجعة إليها ، والأول أصح ، وعليه أهل السنة أنهم جميعا يدخلون النار ثم يخرج الله عز وجل منها أهل الإيمان ، بدليل قوله تعالى : ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ﴾ ، أي اتقوا الشرك ، وهم المؤمنون . والنجاة إنما تكون مما دخلت فيه لا ما وردت والدليل على هذا ما ورد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم » (١) وأراد بالقسم قوله : ﴿ وإن **منكم إلا واردها** ﴾ . عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير . ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير » (٢) ، وقال أبان عن قتادة " من إيمان " مكان " خير " وأما قوله عز وجل : ﴿ لا يسمعون حسيسها ﴾ قيل : إن الله عز وجل أخبر عن وقت كونهم في الجنة أنهم لا يسمعون حسيسها فيجوز أن يكون قد سمعوا ذلك قبل دخولهم الجنة ، لأنه لم يقل لم يسمعوا حسيسها ويجوز ألا يسمعوا حسيسها عند دخولهم إياها ، لأن الله عز وجل يجعلها

---

(١) أخرجه البخاري في الأيمان والنذور ١١ / ٥٤١ ومسلم في البر والصلة برقم (٢٦٣٢) ٤ / ٢٠٢٨ .

(٢) أخرجه البخاري في الإيمان ١ / ١٠٣ ومسلم في الإيمان رقم (١٩٢) ١ / ١٨٢ .." (٣)

"- الرصد: الاستعداد للترقب، يقال: رصد له، وترصد، وأرصدته له. قال عز وجل: ﴿وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل﴾ [التوبة/١٠٧]، وقوله عز وجل: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ [الفجر/١٤]، تنبيها أنه لا ملجأ ولا مهرب.

---

(١) معاني القرآن، ٤/٣٥٠

(٢) مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل، ٥/٨٩

(٣) مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل، ٥/٩٠

والرصد يقال للراصد الواحد، وللجماعة الراصدين، وللمرصود، واحدا كان أو جمعا. وقوله تعالى: ﴿يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا﴾ [الجن/٢٧]، يحتمل كل ذلك. والمرصد: موضع الرصد، قال تعالى: ﴿واقعدوا لهم كل مرصد﴾ [التوبة/٥]، والمرصاد نحوه، لكن يقال للمكان الذي اختص بالترصد، قال تعالى: ﴿إن جهنم كانت مرصادا﴾ [النبأ/٢١]، تنبيها أن عليها مجاز الناس، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم/٧١].

رضع

- يقال: رضع المولود يرضع (انظر: الأفعال ٩١/٣)، ورضع يرضع رضاعا ورضاعة، وعنه استعير: لئيم راضع: لمن تناهى لؤمه، وإن كان في الأصل لمن يرضع غنمه ليلا؛ لئلا يسمع صوت شخبه (الشخب: صوت اللبن عند الحلب)، فلما تعورف في ذلك قيل: رضع فلان، نحو: لؤم، وسمي الثنيتان من الأسنان الراضعتين؛ لاستعانة الصبي بهما في الرضع، قال تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ [البقرة/٢٣٣]، ﴿فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن﴾ [الطلاق/٦]، ويقال: فلان أخو فلان من الرضاعة، وقال صلى الله عليه وسلم: (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) (الحديث أخرجه بن ماجه ٦٢٣/١ عن عائشة، وأخرجه مالك في الموطأ عنها أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة. انظر: تنوير الحوالك ١١٧/٢؛ وشرح الزرقاني ٢٤٧/٣.
وأخرجه الترمذي ولفظه: (إن الله حرم من الرضاعة ما حرم من الولادة).
وقال: هذا حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي وغيرهم، لا نعلم بينهم في ذلك اختلافا. انظر: عارضة الأحوذي ٨٨/٥)، وقال تعالى: ﴿وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم﴾ [البقرة/ ٢٣٣]، أي: تسومونهن إرضاع أولادكم.

(١) ".

"- الورود أصله: قصد الماء، ثم يستعمل في غيره. يقال: وردت الماء أرد ورودا، فأنا وارد، والماء مورود، وقد أوردت الإبل الماء. قال تعالى: ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ [القصص/٢٣] والورد: الماء المرشح للورود، والورد: خلاف الصدر، والورد: يوم الحمى إذا وردت، واستعمل في النار على سبيل الفظاعة. قال تعالى: ﴿فأوردهم النار وبئس الورد المورود﴾ [هود/٩٨]، ﴿إلى جهنم وردا﴾ [مريم/٨٦]، ﴿أنتم لها واردون﴾ [الأنبياء/٩٨]، ﴿ما وردوها﴾ [الأنبياء/٩٩]. والوارد: الذي يتقدم القوم فيسقي لهم. قال تعالى: ﴿فأرسلوا واردهم﴾ [يوسف/١٩] أي: ساقيهم من الماء المورود، ويقال لكل من يرد الماء وارد، وقوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم/٧١] فقد قيل منه: وردت ماء كذا: إذا حضرته؛ وإن لم تشرع فيه، وقيل: بل يقتضي ذلك الشروع ولكن من كان من أولياء الله والصالحين لا يؤثر فيهم بل يكون حاله فيها كحال إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم﴾ [الأنبياء/٦٩] والكلام في هذا الفصل إنما هو لغير هذا

(١) مفردات ألفاظ القرآن . نسخة محققة، ٤٠٣/١

النحو الذي نحن بصدده الآن. ويعبر عن المحموم بالمورود، وعن إتيان الحمى بالورد، وشعر وارد: قد ورد العجز أو المتن، والوريد: عرق يتصل بالكبد والقلب، وفيه مجاري الدم والروح. قال تعالى: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ [ق/١٦] أي: من روحه. والورد: قيل: هو من الوارد، وهو الذي يتقدم إلى الماء، وتسميته بذلك بكونه أول ما يرد من ثمار السنة، ويقال لنور كل شجر: ورد، ويقال: ورد الشجر: خرج نوره، وشبه به لون الفرس، فقيل: فرس ورد، وقيل: في صفة السماء إذا احمرت احمرارا كالورد أمارة للقيامة. قال تعالى: ﴿فكانت وردة كالدهان﴾ [الرحمن/٣٧].

ورق

". (١)

"المفردات في غريب القرآن ، ص : ٣٥٥

الأخرويّة لا غير. والرَّاشِدُ والرَّشِيدُ يقال فيهما جميعا ، قال تعالى : أُولئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ

[الحجرات / ٧] ، وَما أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ

[هود / ٩٧].

رص

قال تعالى : كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ

[الصف / ٤] ، أي : محكم كأنما بني بالرَّصَاصِ ، ويقال : رَصَصْتُهُ ورَصَّصْتُهُ ، وتَرَاصُّوا في الصلاة. أي : تضايقوا فيها. وتَرْصِيصُ المرأة : أن تشدّد التّنقّب ، وذلك أبلغ من التَّرَصُّصُ.

رصد

الرَّصَدُ : الاستعداد للترّقّب ، يقال : رَصَدَ له ، وتَرَصَّدَ ، وأَرْصَدْتُهُ له. قال عزّ وجلّ : وَإِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ

[التوبة / ١٠٧] ، وقوله عز وجل : إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ

[الفجر / ١٤] ، تنبيها أنه لا ملجأ ولا مهرب.

والرَّصَدُ يقال لِلرَّاصِدِ الواحد ، وللجماعة الرَّاصِدِينَ ، ولِلْمَرْصُودِ ، واحدا كان أو جمعا.

وقوله تعالى : يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً [الجن / ٢٧] ، يحتمل كلّ ذلك. والمَرْصَدُ : موضع الرّصد ، قال تعالى :

وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ

[التوبة / ٥] ، والْمِرْصَادُ نحوه ، لكن يقال للمكان الذي اختصّ بالتَّرَصُّدِ ، قال تعالى : إِنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصاداً [النبأ / ٢١] ، تنبيها أنّ عليها مجاز الناس ، وعلى هذا قوله تعالى : وَإِنْ **مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها** [مريم / ٧١].

(١) مفردات ألفاظ القرآن . نسخة محققة، ٢/٥٠٦

رضع

يقال : رَضَعَ المولود يَرْضِعُ «١» ، ورَضِعَ يَرْضَعُ رَضَاعاً ورَضَاعَةً ، وعنه استعير : لئيم رَاضِعٌ : لمن تناهى لؤمه ، وإن كان في الأصل لمن يرضع غنمه ليلا ، لئلّا يسمع صوت شخبه «٢» ، فلمّا تعورف في ذلك قيل : رَضُعَ فلان ، نحو : لؤم ، وسمّي الثّنيّتان من الأسنان الرَّاضِعَتَيْنِ ، لاستعانة الصّبيّ بهما في الرّضع ، قال تعالى :

وَالْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ لِمَنْ أَرادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعَةَ

[البقرة / ٢٣٣] ، فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَ

[الطلاق / ٦] ، ويقال : فلان أخو فلان من الرّضاعة ، وقال صلّى الله عليه وسلم : «يحرم من الرَّضَاعِ ما يحرم من النّسب» «٣» ، وقال تعالى : وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ

---

(١) انظر : الأفعال ٣ / ٩١.

(٢) الشّخب : صوت اللبن عند الحلب. [.....]

(٣) الحديث أخرجه ابن ماجة ١ / ٦٢٣ عن عائشة ، وأخرجه مالك في الموطأ عنها أيضا أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال : يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة. انظر : تنوير الحوالك ٢ / ١١٧ ، وشرح الزرقاني ٣ / ٢٤٧.

وأخرجه الترمذي ولفظه : «إنّ الله حرّم من الرّضاعة ما حرّم من الولادة».

وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي وغيرهم ، لا نعلم بينهم في ذلك اختلافا. انظر : عارضة الأحوذي ٥ / ٨٨.." (١)

"٧٦- قال: وأخبرني حفص عن زيد بن أسلم في قول الله: ﴿ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حياً﴾، وذلك في الذين ينكرون البعث، يقول الله: ﴿أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً فوربك﴾، يا محمد، ﴿لنحشرنهم﴾، أهل هذا القول، المكذبين بالبعث، ﴿والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً ثم لننزعن من كل شيعةٍ أيهم أشد على الرحمن عتياً﴾، المكذبين بالبعث، ﴿وإن منكم﴾، يا أهل هذا القول، ﴿إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا﴾، فلا يردونها، ﴿ونذر الظالمين فيها جثياً﴾.." (٢)

"#١٣٩#

٣٢٢- قال: وأخبرني أشهل، عن شعبة بن الحجاج، عن إسماعيل السدي قال: سمعت مرة الهمداني قال: قال عبد الله في هذه الآية: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾، قال: يردونها، ثم يصدرون عنها بأعمالهم.." (٣)

---

(١) مفردات القرآن . للراغب . نسخة محققة، ص/٣٥٥

(٢) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، ص/٣٧

(٣) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، ص/١٣٩

" عبد الله بن رواحة واضعا رأسه في حجر امرأته فبكى فبكت امرأته فقال ما يبكيك قالت رأيتك تبكي فبكيت قال إني ذكرت قول الله وإن منكم إلا واردها فلا ندري أننجو منها أم لا

عبد الرزاق قال أنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال أخبرني من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الأزرق فقال ابن عباس الورود الدخول وقال نافع لا قال فقرأ ابن عباس إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون أورد هؤلاء أم لا وقرأ يقدم قومه يوم القيامه فأوردهم النار أورد هؤلاء أم لا أما أنا وأنت فسندخلها فانظر هل نخرج منها أم لا وما أرى الله مخرجك منها لتكذيبك قال فضحك نافع فقال ابن عباس ففيم الضحك إذا

عبد الرزاق قال أنا معمر عن قتادة في قوله تعالى أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا قال خير مكانا وأحسن مجلسا قال أنا معمر عن قتادة في قوله تعالى أحسن أثثا ورءيا قال أكثر أموالا وأحسن صورا

عبد الرزاق قال أنا معمر عن الحسن وقتادة في قوله تعالى والبقيت الصلحت قال لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحا الله هن الباقيات الصالحات ." (١)

"١٨٥٣٢- حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة:(يقدم قومه يوم القيامة) يقول: يقود قومه = "فأوردهم النار".

١٨٥٣٣- حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال، قال ابن عباس قوله:(يقدم قومه يوم القيامة)، يقول: أضلهم فأوردهم النار.

١٨٥٣٤- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق، قال، أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عمن سمع ابن عباس يقول في قوله:(فأوردهم النار) ، قال: "الورد"، الدخول.

١٨٥٣٥- حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ يقول، حدثنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول في قوله:(فأوردهم النار) ، كان ابن عباس يقول: "الورد " في القرآن أربعة أوراد: في هود قوله:(وبئس الورد المورود)= وفي مريم:(وإن منكم إلا واردها) [سورة مريم: ٧١] ، وورد في "الأنبياء":(حصب جهنم أنتم لها واردون)، [سورة الأنبياء: ٩٨] ، وورد في "مريم" أيضا:(ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) [سورة مريم: ٧٢] كان ابن عباس يقول: كل هذا الدخول، والله ليردن جهنم كل بر وفاجر:(ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) ، [سورة مريم: ٨٦] .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود (٩٩) ﴾

قال أبو جعفر: يقول الله تعالى ذكره: وأتبعهم الله في هذه = يعني في هذه الدنيا = مع العذاب الذي عجله لهم فيها من الغرق في البحر، لعنته (١) =(ويوم

(١) تفسير الصنعاني، ١١/٣

(١) انظر تفسير " اللعنة " فيما سلف ١٢ : ٤٤٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .." (١)

"أشدهم على الله عتوا، فلنبدأن بإصلائه جهنم. والتشايع في غير هذا الموضع: التفرق؛ ومنه قول الله عز ذكره:(وكانوا شيعا) يعني: فرقا؛ ومنه قول ابن مسعود أو سعد ؛ إني أكره أن آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقول: شيعت بين أمتي، بمعنى: فرقت.

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠) ﴾

يقول تعالى ذكره:

ثم لنحن أعلم من هؤلاء الذين ننزعهم من كل شيعة أولاهم بشدة العذاب، وأحقهم بعظيم العقوبة.

وذكر عن ابن جريج أنه كان يقول في ذلك ما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج(ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) قال: أولى بالخلود في جهنم.

قال أبو جعفر: وهذا الذي قاله ابن جريج، قول لا معنى له، لأن الله تعالى ذكره أخبر أن الذين ينزعهم من كل شيعة من الكفرة أشدهم كفرا، ولا شك أنه لا كافر بالله إلا مخلد في النار، فلا وجه، وجميعهم مخلدون في جهنم، لأن يقال: ثم لنحن أعلم بالذين هم أحق بالخلود من هؤلاء المخلدين، ولكن المعنى في ذلك ما ذكرنا. وقد يحتمل أن يكون معناه: ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى ببعض طبقات جهنم صليا. والصلي: مصدر صليت تصلي صليا، والصلي: فعول، ولكن واوها انقلبت ياء فأدغمت في الياء التي بعدها التي هي لام الفعل، فصارت ياء مشددة.

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ﴾

يقول تعالى ذكره: وإن منكم أيها الناس إلا وارد جهنم، كان على ربك يا محمد إيراهموها قضاء مقضيا، قد قضى ذلك وأوجبه في أم الكتاب.." (٢)

"واختلف أهل العلم في معنى الورود الذي ذكره الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: الدخول.

* ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة عن عمرو، قال: أخبرني من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الأزرق، فقال ابن عباس: الورود: الدخول، وقال نافع: لا فقرأ ابن عباس:(إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) أورود هو أم لا؟ وقال(يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود) أورود هو أم لا؟ أما أنا وأنت فسندخلها، فانظر هل نخرج منها أم لا؟ وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك، قال: فضحك نافع.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح، قال. قال أبو راشد الحروري: ذكروا هذا فقال الحروري: لا يسمعون حسيسها، قال ابن عباس: ويلك أمجنون أنت؟ أين قوله تعالى(يقدم قومه يوم القيامة

(١) تفسير الطبري، ٤٦٧/١٥

(٢) تفسير الطبري، ٢٢٩/١٨

فأوردهم النار وبئس الورد المورود)(ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا)، وقوله(وإن **منكم إلا واردها**) والله إن كان دعاء من مضى: اللهم أخرجني من النار سالما، وأدخلني الجنة غانما.

قال ابن جريج: يقول: الورود الذي ذكره الله في القرآن: الدخول، ليردنها كل بر وفاجر في القرآن أربعة أوراد(فأوردهم النار) و(حصب جهنم أنتم لها واردون)(ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) ، وقوله(وإن **منكم إلا واردها**).

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني عمي، قال : ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله(وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا) يعني البر والفاجر، ألم تسمع إلى قول الله تعالى لفرعون(يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود) وقال(ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) فسمى الورود في النار دخولا وليس بصادر.

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن بكار بن أبي مروان، عن خالد بن معدان، قال: قال أهل الجنة بعد ما دخلوا الجنة: ألم." (١)

"يعدنا ربنا الورود على النار؟ قال: قد مررتم عليها وهي خامدة.

قال ابن عرفة، قال مروان بن معاوية، قال بكار بن أبي مروان، أو قال: جامدة.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا مرحوم بن عبد العزيز، قال: ثني أبو عمران الجوني، عن أبي خالد قال: تكون الأرض يوما نارا، فماذا أعددتم لها؟ قال: فذلك قول الله(وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا).

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن الجريري، عن أبي السليل، عن غنيم بن قيس، قال: ذكروا ورود النار، فقال كعب: تمسك النار للناس كأنها متن إهالة، حتى يستوي عليها أقدام الخلائق برهم وفاجرهم، ثم يناديها مناد: أن أمسكي أصحابك، ودعي أصحابي، قال: فيخسف بكل ولي لها، ولهي أعلم بهم من الرجل بولده، ويخرج المؤمنون ندية أبدانهم. قال: وقال كعب: ما بين منكبي الخازن من خزنتها مسيره سنة، مع كل واحد منهم عمود له شعبتان، يدفع به الدفعة، فيصرع به في النار سبعمائة ألف.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن مالك بن مغول، عن أبي إسحاق، قال: كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه، قال: يا ليت أمي لم تلدني، ثم يبكي، فقيل: وما يبكيك يا أبا ميسرة؟ قال : أخبرنا أنا واردوها، ولم يخبرنا أنا صادرون عنها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن إسماعيل، عن قيس، قال: بكى عبد الله بن رواحة في مرضه، فبكت امرأته، فقال: ما يبكيك، قالت: رأيتك تبكي فبكيت، قال ابن رواحة: إني قد علمت إني وارد النار فما أدري أناج منها أنا أم لا؟ .

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو عمرو داود بن الزبرقان، قال: سمعت السدي يذكر عن مرة الهمداني، عن ابن مسعود(وإن **منكم إلا واردها**) قال: داخلها.." (٢)

---

(١) تفسير الطبري، ٢٣٠/١٨

(٢) تفسير الطبري، ٢٣١/١٨

"حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله(وإن منكم إلا واردها) قال: يدخلها.

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن ابن عيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، قال: كان عبد الله بن رواحة واضع رأسه في حجر امرأته، فبكى، فبكت امرأته، قال: ما يبكيك؟ قالت : رأيتك تبكي فبكيت، قال: إني ذكرت قول الله(وإن منكم إلا واروها) فلا أدري أنجو منها، أم لا؟ .

وقال آخرون: بل هو المر عليها.

* ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة(وإن منكم إلا واردها) يعني جهنم مر الناس عليها.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله(وإن منكم إلا واردها) قال: هو المر عليها.

حدثنا خلاد بن أسلم، قال: أخبرنا النضر، قال: أخبرنا إسرائيل، قال: أخبرنا أبو إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله في قوله(وإن منكم إلا واردها) قال: الصراط على جهنم مثل حد السيف، فتمر الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم ، ثم يمرون والملائكة يقولون: اللهم سلم سلم.

وقال آخرون: بل الورود: هو الدخول، ولكنه عنى الكفار دون المؤمنين.

* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا شعبة، قال: أخبرني عبد الله بن السائب، عن رجل سمع ابن عباس يقرؤها(وإن منكم إلا واردها) يعني الكفار، قال: لا يردها مؤمن.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا عمرو بن الوليد الشني، قال: سمعت عكرمة يقول(وإن منكم إلا واردها) يعني الكفار.

وقال آخرون: بل الورود عام لكل مؤمن وكافر، غير أن ورود المؤمن المرور، وورود الكافر الدخول.." (١)

"* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله(وإن منكم إلا واردها) ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهريها وورود المشركين أن يدخلوها، قال: وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الزالون والزالات يومئذ كثير، وقد أحاط الجسر سماطان من الملائكة، دعواهم يومئذ يا الله سلم ".

وقال آخرون: ورود المؤمن ما يصيبه في الدنيا من حمى ومرض.

* ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد قال: الحمى حظ كل مؤمن من النار، ثم قرأ(وإن منكم إلا واردها).

---

(١) تفسير الطبري، ١٨/٢٣٢

حدثني عمران بن بكار الكلاعي، قال: ثنا أبو المغيرة، قال: ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن تميم، قال: ثنا إسماعيل بن عبيد الله، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود رجلا من أصحابه وبه وعك وأنا معه، ثم قال: "إن الله يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن، لتكون حظه من النار في الآخرة".

وقال آخرون: يردها الجميع، ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم.

* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا يحي بن سعيد، عن شعبة، قال: ثني السدي، عن مرة، عن عبد الله(وإن **منكم إلا واردها**) قال: يردونها ثم يصدون عنها بأعمالهم.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا شعبه، عن السدي، عن مرة، عن عبد الله، بنحوه.

حدثني محمد بن عبيد المحاربي، قال: ثنا أسباط ، عن عبد الملك، عن عبيد الله، عن مجاهد، قال: كنت عند ابن عباس، فأتاه رجل يقال له أبو راشد، وهو نافع بن الأزرق، فقال له : يا ابن عباس أرأيت قول الله(وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا) قال: أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها، فانظر هل نصدر عنها أم لا؟ .." (١)

"* ذكر الأخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك: حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر امرأة زيد بن حارثة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت حفصة: "لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية ، قالت: فقالت حفصة: يا رسول الله، أليس الله يقول(وإن **منكم إلا واردها**) ؟ فقال رسول الله: "فمه(ثم ينجي الله الذين اتقوا) ".

حدثنا الحسن بن مدرك، قال: ثنا يحي بن حماد، قال: ثنا أبو عوانة، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بمثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر، عن حفصة، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني لأرجو أن لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية ، قالت: فقلت يا رسول الله، أليس الله يقول:(وإن **منكم إلا واردها**) ؟ قال: فلم تسمعيه يقول:(ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) ؟".

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن محمد بن إسحاق، قال : ثني عبيد الله بن المغيرة بن معيقب، عن سليمان بن عمرو بن عبد العتواري، أحد بني ليث، وكان في حجر أبي سعيد، قال: سمعت أبا سعيد الخدري يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يوضع الصراط بين ظهري جهنم، عليه حسك كحسك السعدان، ثم يستجيز الناس، فناج مسلم ومجروح به، ثم ناج ومحتبس ومكدس فيها، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد تفقد المؤمنون رجالا كانوا معهم في الدنيا يصلون صلاتهم، ويزكون زكاتهم ويصومون صيامهم، ويحجون حجهم، ويغزون غزوهم، فيقولون: أي ربنا عباد من عبادك كانوا معنا في الدنيا، يصلون صلاتنا، ويزكون زكاتنا، ويصومون صيامنا، ويحجون حجنا، ويغزون غزونا، لا نراهم،

---

(١) تفسير الطبري، ١٨/٢٣٣

فيقول: اذهبوا إلى النار، فمن وجدتم فيها منهم فأخرجوه، فيجدونهم قد أخذتهم النار على قدر أعمالهم، فمنهم من أخذته النار إلى قدميه، ومنهم من أخذته إلى نصف ساقيه، ومنهم من أخذته إلى ركبتيه، ومنهم من أخذته إلى." (١)

"زياد بن فائد، عن سهل بن معاذ، عن أبيه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من حرس وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا، لا يأخذه سلطان بحرس، لم ير النار بعينه إلا تحلة القسم ، فإن الله تعالى يقول(وإن **منكم إلا واردها**)."

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، أخبرني الزهري، عن ابن المسيب عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من مات له ثلاثة لم تمسه النار إلا تحلة القسم" يعني: الورود.

وأما قوله(كان على ربك حتما مقضيا) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم معناه: كان على ربك قضاء مقضيا.

* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو ، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله(حتما) قال: قضاء.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج(حتما مقضيا) قال قضاء.

وقال آخرون: بل معناه: كان على ربك قسما واجبا.

* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو عمرو داود بن الزبرقان، قال: سمعت السدي يذكر عن مرة الهمداني، عن ابن مسعود(كان على ربك حتما مقضيا) قال: قسما واجبا.

حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة(كان على ربك حتما مقضيا) يقول: قسما واجبا.

قال أبو جعفر: وقد بينت القول في ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) ﴾

يقول تعالى ذكره:(ثم ننجي) من النار بعد ورود جميعهم إياها،(الذين." (٢)

"* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثني الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، في قوله:(ومن يظلم منكم) قال: يشرك(نذقه عذابا كبيرا).

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن، في قوله:(ومن يظلم منكم) قال: هو الشرك:

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم

---

(١) تفسير الطبري، ٢٣٥/١٨

(٢) تفسير الطبري، ٢٣٧/١٨

لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا (٢٠) ﴾

وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره لنبيه على مشركي قومه الذين قالوا:(مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق) وجواب لهم عنه يقول لهم جل ثناؤه: وما أنكر يا محمد هؤلاء القائلون: ما لهذا الرسول يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق، من أكلك الطعام، ومشيك في الأسواق، وأنت لله رسول، فقد علموا أنا ما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، كالذي تأكل أنت وتمشي، فليس لهم عليك بما قالوا من ذلك حجة.

فان قال قائل: فإن(من) ليست في التلاوة، فكيف قلت: معنى الكلام: إلا من إنهم ليأكلون الطعام؟ قيل: قلنا في ذلك: معناه: أن الهاء والميم في قوله: إنهم، كناية أسماء لم تذكر، ولا بد لها من أن تعود على من كني عنه بها، وإنما ترك ذكر"من" وإظهاره في الكلام اكتفاء بدلالة قوله:(من المرسلين) عليه، كما اكتفي في قوله:(وما منا إلا له مقام معلوم) من إظهار"من"، ولا شك أن معنى ذلك: وما منا إلا من له مقام معلوم، كما قيل(وإن **منكم إلا واردها**) ومعناه: وإن منكم إلا من هو واردها، فقوله:(إنهم ليأكلون الطعام) صلة لمن المتروك، كما يقال في الكلام: ما أرسلت إليك من الناس إلا من إنه ليبلغك الرسالة، فإنه ليبلغك الرسالة، صلة لمن.

وقوله:(وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) يقول تعالى ذكره: وامتحنا أيها الناس بعضكم ببعض، جعلنا هذا نبيا وخصصناه بالرسالة، وهذا ملكا وخصصناه بالدنيا، وهذا فقيرا وحرمناه الدنيا لنختبر الفقير بصبره على ما حرم مما أعطيه الغني، والملك بصبره على ما." (١)

"تمطروا فتتأذوا به(وطمعا) لكم، إذا كنتم في إقامة، أن تمطروا، فتحيوا وتخصبوا(وينزل من السماء ماء) يقول: وينزل من السما مطرا، فيحيي بذلك الماء الأرض الميتة؛ فتنبت ويخرج زرعها بعد موتها، يعني جدوبها ودروسها(إن في ذلك لآيات) يقول: إن في فعله ذلك كذلك لعبرا وأدلة(لقوم يعقلون) عن الله حججه وأدلته.

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله:(يريكم البرق خوفا وطمعا) قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله:(ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا) قال: خوفا للمسافر، وطمعا للمقيم. واختلف أهل العربية في وجه سقوط "أن" في قوله:(يريكم البرق خوفا وطمعا) فقال بعض نحويي البصرة: لم يذكر هاهنا "أن"؛ لأن هذا يدل على المعنى، وقال الشاعر:

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى... وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي (١)

قال: وقال:

لو قلت ما في قومها لم تيثم... يفضلها في حسب وميسم (٢)

---

(١) البيت لطرفة بن العبد البكري من معلقته (مختار الشعر الجاهلي، بشرح مصطفى السقا، طبعة الحلبي ص ٣١٧).

---

(١) تفسير الطبري، ٢٥٢/١٩

ورواية البيت عند البصريين أحضر بالرفع، لأنه لما أضمر (أن) قبله ذهب عملها، لأنها لا تعمل عندهم وهي مضمرة إلا في المواضع العشرة المخصوصة. وعند الكوفيين أحضر بالنصب، لأنها وإن أضمرت فكأنها موجودة لقوة الدلالة عليها؛ فكأنه قال: أن أحضر. والوغى: الحرب. وأصله أصوات المحاربين فيها. يقول: أيها الإنسان الذي يلومني على شهودي الحرب، وتحصيل اللذات، هل تخلدني في الدنيا إذا كففت عن الحرب؟ وقوله تعالى: (ومن آياته يريكم البرق ...) إلخ إما أن يتعلق (من آياته) بـ (يريكم)، فيكون في موضع نصب، ومن لابتداء الغاية أو "يريكم" على إضمار (أن) كما قال طرفة: "ألا أيهذا ..." البيت برفع أحضر، كرواية البصريين، والتقدير: أن أحضر، فلما حذف (أن) ارتفع الفعل، فيكون التقدير: ومن آياته إراءتكم إياكم البرق .

(٢) البيت من الرجز لحكيم بن معية الربعي التميمي، وهو راجز إسلامي كان في زمن العجاج، وقد نسبه إليه سيبويه في الكتاب (خزانة الأدب الكبرى للبغدادي ٢ : ٣١١). وأنشده الفراء في معاني القرآن عند قوله تعالى: (من الذين هادوا يحرفون الكلم) على أحد وجهين وذلك من كلام العرب أن يضمروا (من بفتح الميم) في مبتدأ الكلام (بمن بكسر الميم)، فيقولون: منا يقول ذاك ومنا لا يقوله؛ وذلك أن (من بالكسر) بعض لما هي منه فلذلك أدت عن المعنى المتروك؛ قال الله تعالى: (وما منا إلا له مقام معلوم) وقال (وإن منكم إلا واردها). ولا يجوز إضمار (من) بالفتح في شيء من الصفات (حروف الجر) إلا على هذا الذي نبأتك به، وقد قالها الشاعر في (في) ولست أشتهيها. قال: لو قلت ... البيت. وإنما جاز لك لأنك تجد معنى من (بالكسر) من أنه بعض ما أضيفت إليه ألا ترى أنك تقول: فينا الصالحون، وفينا دون ذلك، فكأنك قلت: منا. وقال الفراء في قوله تعالى (ومن آياته يريكم البرق). فمن أضمر (أن) فهي موضع اسم مرفوع، كما قال: (ومن آياته منامكم) فإذا حذفت أن، جعلت من (بالكسر) مؤدية عن اسم متروك يكون الفعل (في) صلة له، كقول الشاعر "وما الدهر إلا تارتان ..." إلخ البيت. كأن أراد: فمنها ساعة أموتها، وساعة أعيشها. وكذلك، ومن آياته آية للبرق، وآية لكذا. وإن شئت: يريكم من آياته البرق، فلا تضمر أن ولا غيره. ا هـ .." (١)

"@ ٢٨٥ @ الإله غيره ، أو ولداً . ^ (ويقول الإنسان أءذا ما متّ لسوف أخرج حيّاً أولا يذكر الإنسان أنّا خلقناه من قبل ولم يكن شيئاً فوربك لنحشرنّهم والشياطين ثمّ لنحضرنّهم حول جهنم جثيا ثم لننزعنّ من كل شيعةٍ أيّهم أشدّ على الرّحمن عتيّاً ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليّاً وإن منْكم إلا واردها كان على ربّك حتماً مقضيّاً ثمّ ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيّاً) ^ ٦٨ - ! ٢ " جهنم " ٢ ! اسم للنار أو لأعمق موضع فيها كالفردوس اسم لأعلى الجنة ! ٢ " جثيا " ٢ ! جماعات ، أو بروكاً على الركب . ٦٩ - ! ٢ " شيعة " ٢ ! الشيعة : الجماعة المتعاونون ، الأمة شيعة لاجتماعهم وتعاونهم . ^ (لننزعن) ^ لنبدأن أو لنستخرجن ! ٢ " عتيا " ٢ ! افتراء بلغة تميم ، أو جرأة أو كفراً ، أو تمرداً ، أو معصية . ٧٠ - ! ٢ " صليا " ٢ ! دخولاً أو لزوماً . ٧١ - ! ٢ " واردها " ٢ ! الحمى والأمراض ، عاد الرسول [صلى الله عليه وسلم] رجلاً ثم قال : ' إن الله - تعالى - يقول : هي ناري أسلطها على عبدي

---

(١) تفسير الطبري، ٨٨/٢٠

المؤمن لتكون حظه من النار

(١) ".

"وأيضا الآية ليست على عمومها لقوله : ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ﴾ [مريم : ٧١٧٢] فثبت أن كل من دخل النار فإنه ليس بمخزي . وعن سعيد بن المسيب والثوري أن هذا في حق الكفار الذين أدخلوا النار للخلود . وأيضا إنه مخزي حال دخوله وإن كانت عاقبته الخروج . وقوله : ﴿ يوم لا يخزي ﴾ [التحريم : ٨] نفى الخزي على الإطلاق والمطلق يكفي في صدقه صورة واحدة وهي نفي الخزي المخلد . ويحتمل أن يقال : الإخزاء مشترك بين التخجيل وبين الإهلاك ، وإذا كان المثبت هو الأول والمنفي هو الثاني لم يلزم التنافي . واحتجت المرجئة بالآية على أن صاحب الكبيرة لا يدخل النار لأنه مؤمن لقوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص ﴾ [البقرة : ١٧٨] ولقوله : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ﴾ [الحجرات : ٩] والمؤمن لا يخزى لقوله : ﴿ يوم لا يخزي الله النبي ﴾ [التحريم : ٨] والمدخل في النار مخزي بهذه الآية . والمقدمات بأسرها يدخلها المنع . أما الأولى فباحتمال أن لا يسمى بعد القتل مؤمنا وإن كان قبله مؤمنا ، وأما الأخريان فبخصوص المحمول وجزئيه الموضوع كما تقرر آنفا . وقد يتمسك حكماء الإسلام بهذا في أن العذاب الروحاني أشد لأنه بين سبب الاستعاذة بالإخزاء الذي هو التخجيل وهو أمر نفساني . وقد يتمسك المعتزلة بقوله : ﴿ وما للظالمين ﴾ أي الداخلين في النار ﴿ من أنصار ﴾ أي في نفي الشفاعة للفساق لأنها نوع نصرة ، ونفي الجنس يقتضي نفي النوع . والجواب أن الظالم على الإطلاق هو الكافر لقوله : ﴿ والكافرون هم الظالمون ﴾ [البقرة : ٢٥٤] وأيضا لا تأثير للشفاعة إلا بإذن الله فيؤل معنى الآية إلى أن الأمر يومئذ لله . وعلى هذا ففائدة تخصيص الظالمين بهذا الحكم أنه وعد المتقين الفوز فلهم هذه الحجة بخلاف الفساق . وأيضا أدلة الشفاعة مخصصة لعموم الآية . قالوا : الفاسق لا يخرج من النار وإلا كان مخرجه ناصرا له . وعورض بالآيات الدالة على العفو ﴿ ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي ﴾ تقول : سمعت رجلا يتكلم بكذا فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع اكتفاء بما وصفته به ، أو جعلته حالا عنه . والمنادي عند الأكثرين هو رسول الله A ﴿ ادع إلى سبيل ربك ﴾ [النحل : ١٢٥] ﴿ أدعوا إلى الله ﴾ [يوسف : ١٠٨] ﴿ وداعيا إلى الله ﴾ [الأحزاب : ٤٦] وقيل : القرآن كما نسب إليه الهداية في قوله : ﴿ إن هذا القرآن يهدي ﴾ [الإسراء : ٩] كأنه يدعو إلى نفسه وينادي بما فيه من الدلائل كما قيل في جهنم ﴿ تدعو من أدبر وتولى ﴾ [المعارج : ١٧] والفصحاء يصفون الدهر بأنه ينادي ويعظ لدلالة تصاريفه قال :

يا واضع الميت في قبره ... خاطبك الدهر فلم تسمع

ويقال : ينادي إلى كذا ولكذا ودعاه إليه وله وهداه للطريق وإليه فيقام كل من اللام و « إلى » مقام الأخرى نظرا إلى وقوع معنى الانتهاء والاختصاص معا .." (٢)

---

(١) تفسير العز بن عبد السلام ، ص/٦٥٢

(٢) تفسير النيسابوري، ٤١٧/٢

"واعلم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فقوله ﴿ إن الذين ﴾ لا يبعد أن يكون عاما لكل المؤمنين ويؤيده ما روي أن عليا قرأ هذه الآية ثم قال : أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف . وزعم مثبتوا لعفو أن الحسنى في الاية هي الوعد بالعفو لأنه قال ﴿ أولئك عنها مبعدون ﴾ بأزاء قوله ﴿ أنتم لها واردون ﴾ والورود الدخول فالإبعاد الإخراج من النار بعد أن كانوا فيها . وأيضا إبعاد البعيد محال . وقوله ﴿ لا يسمعون حسيسها ﴾ إذ الصوت الذي يحس به مخصوص بما بعد الإخراج . وايضا قوله ﴿ لا يحزنهم الفزع الأكبر ﴾ يفهم منه أنه يحزنهم الفزع الأصغر ، فالأكبر عذاب الكفار والأصغر عذاب صاحب الكبيرة ، والأكثرون على أن المراد من قوله ﴿ مبعدون ﴾ أنهم لا يدخلون النار ولا يقربونها ألبتة لأن ما جعل بعيدا عن شيء ابتداء يحسن أن يقال : إنه أبعد عنه ، وهؤلاء لم يفسروا الورود في قوله ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ [مريم : ٧١] بالدخول كما مر في سورة مريم . وفي قوله ﴿ لا يسمعون حسيسها ﴾ تأكيد للإبعاد فقد لا يدخل النار ويسمع حسيسها . ثم بين أنهم مع العبد عن المنافي منتفعون بالقرب من الملائم ملتذون به على سبيل التأبيد فقال ﴿ وهم فيما إشتهته ﴾ ﴿ أنفسهم ﴾ أي فيما تطلبه للالتذاذ به ﴿ خالدون ﴾ هذا نصيب أهل الجنة ، وأما أهل الله فهم فيما اشتهت قلوبهم وارواحهم وأسرارهم خالدون . والفزع الأكبر قيل : النفخة الأخيرة لقوله ﴿ ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض ﴾ [النمل : ٨٧] وعن الحسن هو الانصراف إلى النار فإنه لا فزع أكبر مما إذا شاهدوا النار ، وهذا أمر يشترك فيه أهل النار جيمعا ، ثم مراتب التعذيب بعد ذلك متفاوتة . وعن الضحاك وسعيد بن جبير هو حين تطبق النار على أهلها فيفزعون لذلك فزعة عظيمة ، وقيل : حين يذبح الموت على صورة كبش أملح فعند ذلك يستقر أهل النار في النار وأهل الجنة في الجنة وتستقبلهم الملائكة مهنئين قائلين ﴿ هذا يومكم ﴾ اي وقت ثوابكم ﴿ الذي كنتم توعدون ﴾ ذلك قال الضحاك : هم الحفظة الذين كتبوا أعمالهم . والعامل في ﴿ يوم نطوي السماء ﴾ : ﴿ لا يحزنهم ﴾ أو ﴿ تتلقاهم ﴾ . والسجل اسم للطومار الذي يكتب فيه . وعن ابن عباس أنه ملك يطوي كتب بني آدم إذا رفعت إليه وهو مروي ايضا عن علي Bه . وروى أيضا أبو الجوزاء عن ابن عباس أنه كاتب لرسول الله A وليس بمعروف . قال الزجاج : هو الرجل بلغة الحيش . فعلى هذه الوجوه فالطي وهو المصدر مضاف إلى الفاعل وعلى الوجه الأول هو مضاف إلى المفعول والفاعل محذوف كطي الطاوي للسجل وهو قول الأكثرين وإشتقاقه من السجل الدلو العظيم وقد قرئ به والتركيب يدل على الامتلاء والاجتماع ولهذا لا يسمى الدلو سجلا إلا إذا كان فيه ماء ومنه « أسجلت الحوض ملأته » .." (١)

"وفتح السماء شقها وانفطارها أو معنى آخر مغاير لهما . والضمير في ﴿ فكانت ﴾ للسماء كأنها لكثرة أبوابها المفتوحة لنزول الملائكة صارت بكليتها أبوابا كقوله ﴿ وفجرنا الأرض عيونا ﴾ [القمر : ١٢] ويحتمل أن يعود إلى مقدر دل عليه الكلام أي فكانت تلك المواضع المفتوحة أبوابا . وقال الواحدي : المضاف محذوف أي فكانت ذات أبواب . وأما الجبال فإنه تعالى ذكر حالها بعبارات مختلفة ، ويمكن الجمع بينها بأن تدرك أولا ﴿ وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ﴾ [الحاقة : ١٤] ثم تصير كالعهن ثم تصير كالهباء ﴿ وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا ﴾ وهي في كل هذه

(١) تفسير النيسابوري، ٥/٣٨٠

الأحوال باقية في مواضعها ثم تنسف بإرسال الرياح عليها ﴿ وإذا الجبال نسفت ﴾ [الانفطار : ٤] ثم تطير ههنا أحوال إذا برزت من تحتها ﴿ ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة ﴾ [الكهف : ٤٧] والثاني للجبال فتطيره في الهواء كالهباء فمن نظر إليها حسبها لتكاثفها أجساما جامدة وهي بالحقيقة مارة بتحريك الهواء كما قال ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ﴾ [النمل : ٨٨] والثالث لها باعتبار أماكنها الأصلية فمن نظر إلى المواضع من بعيد ظن أن الجبال هناك حتى إذا دنا منها لم يجد فيها شيئا ﴿كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ﴾ [النور : ٣٩] وقد أشار إلى هذه الحالة بقوله ﴿ وسيرت الجبال فكانت سرابا ﴾ .

ثم أخبر عن أحوال السعداء والأشقياء يومئذ . وقدم ذكر هذا المقام غير محرر فلينظر الأشقياء لأن الكلام في السورة بني على التهديد فقال ﴿ إن جهنم كانت ﴾ أي في علم الله أو هي مسلوبة الدلالة على المضي . والمرصاد إما اسم للمكان الذي يرصد فيه كالضمار للذي تضمر فيه الخيل ، والمنهاج إسم للمكان الذي ينهج فيه . والمعنى أن خزنة جهنم يرصدون الكفار هناك ، أو أن خزنتها يستقبلون المؤمنين عندها لأن جوازهم عليه بدليل قوله ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ [مريم : ٧١] ولهذا قال الحسن وقتادة : يعني طريقا إلى الجنة . وإما صفة نحو « مقدام » بمعنى أنها ترصد أعداء الله . وقوله ﴿ للطاغين ﴾ متعلق بما بعده أو بما قبله ، وعلى التقديرين لا بد من إضمار وهو لفظة لهم أو لأهل الجنة . ثم ذكر كيفية استقرارهم هناك فقال ﴿ لابثين ﴾ ومن قرأ بغير ألف فهو أدل على الثبات . قال جار الله : اللابث من وجد منه اللبث فقط ، واللبث من لا يكاد يبرح المكان أما الأحقاب فزعم الفراء أن أصله الترادف والتتابع أي دهورا مترادفة لا تكاد تتناهى كلما مضى حقب تبعه آخر . وقال الحسن : الأحقاب لا يدري أحد ما هي ولكن الحقب الواحد سبعون ألف سنة اليوم منها كألف سنة مما تعدون . وسأل هلال الهجري عليا فقال : الحقب مائة سنة السنة اثنا عشر شهرا والشهر ثلاثون يوما واليوم ألف سنة . وقال عطاء والكلبي ومقاتل عن ابن عباس : الحقب الواحد بضع وثمانون سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما واليوم ألف سنة من أيام الدنيا .." (١)

"١٧٢٧ – عبد الرزاق قال : أرنا ابن عيينة ، عن إسماعيل ، عن قيس ، قال : كان عبد الله بن رواحة واضعا رأسه في حجر امرأته ، فبكى فبكت امرأته ، فقال : « ما يبكيك ؟ » ، قالت : رأيتك تبكي فبكيت ، فقال : « إني ذكرت قول الله (وإن منكم إلا واردها (١)) فلا ندري أننجو منها أم لا ؟ »

---

(١) سورة : مريم آية رقم : ٧١." (٢)

"﴿وكان يأمر أهله بالصلاة﴾ أي : التي هي طهرة البدن وقرة العين وخير العون على جميع المآرب ﴿والزكاة﴾ أي : التي هي طهرة المال كما أوصى الله تعالى بذلك جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمراد بالأهل قومه ، وقيل : أهله جميع أمته كان رسولا إلى جرهم قاله الأصفهاني وإلى أهل تلك البراري بدين أبيه إبراهيم والمراد بالصلاة قال ابن عباس : يريد

---

(١) تفسير النيسابوري، ٢٧٩/٧

(٢) تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني، ٢٥٠/٤

التي افترضها الله تعالى عليهم قال البغوي وهي الحنيفية التي افترضت علينا قيل كان يبدأ بأهله في الأمر بالعبادة ليجعلهم قدوة لمن سواهم كما قال تعالى : ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ (الشعراء ، ٢١٤)
﴿وأمر أهلك بالصلاة﴾ (طه ، ١٣٢)
﴿قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾ (التحريم ، ٦)
وبالزكاة قال ابن عباس إنها طاعة الله والإخلاص فكأنه تأوله على ما يزكو به الفاعل عند ربه تعالى والظاهر كما قال ابن عادل إن الزكاة إذا قرنت بالصلاة أن يراد بها الصدقات الواجبة.
رابعها : قوله تعالى : ﴿وكان عند ربه﴾ بعبادته على حسب ما أمره به ﴿مرضيا﴾ وهذا في نهاية المدح لأن المرضي عند الله هو الفائز في كل طاعة بأعلى الدرجات فاقتد أنت به فإنه من أجل آبائك لتجمع بين طهارة القول والبدن والمال فتنال رتبة الرضا.
القصة السادسة : قصة إدريس عليه السلام المذكورة في قوله تعالى :
جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٧٤
﴿واذكر في الكتاب﴾ أي : الجامع لكل ما يحتاج إليه حتى ما يحتاج إليه من قصص المتقدمين والمتأخرين ﴿إدريس﴾ وهو جد أبي نوح عليه السلام قيل : سمي إدريس لكثرة دراسته الكتب واسمه أحنوخ بمهملة ونون وآخره خاء معجمة وصفه الله تعالى بأمور أحدها : وثانيها : قوله تعالى : ﴿إنه كان صديقا نبيا﴾ أي : صادقا في أفعاله وأقواله ومصدقا بما آتاه الله من آياته وعلى ألسنة الملائكة.
٤٧٧
ثالثها : قوله تعالى :
﴿ورفعناه مكانا عليا﴾ وفيه قولان :
أحدهما : أنه من رفع المنزلة كقوله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ (الإنشراح ، ٤٠)
فإن الله تعالى شرفه بالنبوة وأنزل عليه ثلاثين صحيفة وهو أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب وأول من خاط الثياب ولبسها وكانوا من قبله يلبسون الجلود وأول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار.
جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٧٧
وثانيهما : أنه من رفعة المكان ثم اختلفوا فقال بعضهم : رفعه الله تعالى إلى السماء الرابعة وهي التي رآه النبي صلى الله عليه وسلم بها ليلة الإسراء وقيل : إلى الجنة وهو حي لا يموت وقالوا أربعة من الأنبياء أحياء اثنان في الأرض الخضر وإلياس واثنان في السماء عيسى وإدريس وقال وهب كان يرفع لإدريس كل يوم من العبادة ما يرفع لجميع أهل الأرض في زمانه فعجبت منه الملائكة واشتاق له ملك الموت فاستأذن ربه في زيارته فأذن له فأتاه في صورة بني آدم وكان إدريس يصوم الدهر فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فأنكره إدريس وقال له الليلة الثالثة : إني أريد أن أعلم من أنت ، قال أنا ملك الموت استأذنت ربي أن أصحبك فقال : لي إليك حاجة قال ما هي قال تقبض روحي فأوحى الله تعالى إليه أن اقبض روحه ، فقبض روحه وردها إليه بعد ساعة ، فقال له ملك الموت : ما الفائدة في

سؤالك قبض الروح ؟
قال لأذوق كرب الموت وغمته فأكون أشد استعداد له ، ثم قال له إدريس : إن لي إليك حاجة أخرى ، قال : وما هي قال ترفعني إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة والنار فأذن الله تعالى له في ذلك فرفعه فلما قرب من النار قال : لي إليك حاجة ، قال : وما تريد ؟

قال : تسأل مالكا أن يفتح أبوابها فأردها ، ففعل ثم قال : كما أريتني النار فأرني الجنة فذهب به إلى الجنة فاستفتح ففتح أبوابها فأدخله الجنة ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود إلى مكانك فتعلق بشجرة وقال ما أخرج منها فبعث الله تعالى ملكا حكما بينهما ، فقال له الملك : ما لك لا تخرج ؟

قال : إن الله تعالى قال : ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ (آل عمران ، ١٨٥)

وقد ذقته ، وقال : ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ (مريم ، ٧١)

وقد وردتها وقال : ﴿وما هم منها بمخرجين﴾ (الحجر ، ٤٨)

فلست أخرج فأوحى الله تعالى إلى ملك الموت بإذني دخل الجنة وبإذني لا يخرج فهو حي هناك ، وقال آخرون : بل رفع إلى السماء وقبض روحه.." (١)

"والواو في والشياطين يجوز أن تكون للعطف وبمعنى مع وهو أولى. ثانيها : قوله تعالى ﴿ثم لنحضرنهم﴾ بعد طول الوقوف ﴿حول جهنم﴾ من خارجها ليشاهد السعداء الأحوال التي نجاهم الله تعالى منها وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة إلى غبطتهم وسرورا إلى سرورهم ويشمتوا بأعداء الله وأعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغبطهم من سعادة أولياء الله وشماتتهم بهم وقوله تعالى ﴿جثيا﴾ حال مقدرة من مفعول لنحضرنهم وهو جمع جاث جمع على فعول نحو قاعد وقعود وجالس وجلوس وأصله جثوو بواوين أو جثوى من جثا يجثو ويجثى لغتان.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٨٢

فإن قيل : هذا المعنى حاصل للكل بدليل قوله تعالى : ﴿وترى كل أمة جاثية﴾ (الجاثية ، ٢٨)

ولأن العادة جارية بأن الناس في مواقف مطالبات الملوك يتجاثون على ركبهم لما في ذلك من القلق أو لما يدهمهم من شدة الأمر التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم ، وإذا كان هذا حاصلا للكل فكيف يدل على مزيد ذل الكفار ؟

أجيب : بأنهم يكونون من وقت الحشر إلى وقت الحضور

٤٨٤

على هذه الحالة وذلك يوجب مزيد ذلهم وقرأ حفص وحمزة والكسائي جثيا وعتيا وصليا بكسر أولها والباقون بضمه ثالثها : قوله تعالى :

﴿ثم لننزعن﴾ أي : لنأخذن أخذا بشدة وعنف ﴿من كل شيعة﴾ أي : فرقة مرتبطة بمذهب واحد ﴿أيهم أشد على الرحمن﴾ الذي غمرهم بالإحسان ﴿عتيا﴾ أي : تكبرا مجاوزا للحد والمعنى أن الله تعالى يحضرهم أولا حول جهنم ثم يميز

---

(١) تفسير السراج المنير. ، ٣٤٢/٢

البعض من البعض فمن كان أشدهم تمردا في كفره خص بعذاب عظيم لأن عذاب الضال المضل يجب أن يكون فوق عذاب من يضل تبعا لغيره وليس عذاب من يتمرد ويتجبر كعذاب المقلد ففائدة هذا التمييز التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص بأصل العذاب ، ولذلك قال تعالى في جميعهم :

﴿ثم لنحن أعلم﴾ من كل عالم ﴿بالذين هم﴾ بظواهرهم وبواطنهم ﴿أولى بها﴾ أي : بجهنم ﴿صليا﴾ أي : دخولا واحتراقا فنبدأ بهم ولا يقال أولى إلا مع اشتراكهم وأصله صلوى من صلى بكسر اللام وفتحها

تنبيه : في إعراب أيهم أشد أقوال كثيرة أظهرها عند جمهور المعربين وهو مذهب سيبويه أن أيهم موصولة بمعنى الذي وإن حركتها حركة بناء بنيت عند سيبويه لخروجها عن النظائر وأشد خبر مبتدأ مضمر والجملة صلة لأيهم وأيهم وصلتها في محل نصب مفعول بها ، ولأي أحوال أربعة ذكرتها في شرح القطر. ولما كانوا بهذا الإعلام المؤكد بالإقسام من ذي الجلال والإكرام جديرين بإصغاء الأفهام إلى ما توجه إليها من الكلام التفت إلى مقام الخطاب إفهاما للعموم فقال تعالى :

﴿وإن﴾ أي : وما ﴿منكم﴾ أيها الناس أحد ﴿إلا واردها كان﴾ ذلك الورود ﴿على ربك﴾ الموجد لك المحسن إليك ﴿حتما مقضيا﴾ أي : حتمه وقضى به لا يتركه والورود موافاة المكان فاختلفوا في معنى الورود هنا. فقال ابن عباس والأكثرون : الورود ههنا هو الدخول والكناية راجعة إلى النار وقالوا يدخلها البر والفاجر ثم ينجي الله المتقين فيخرجهم منها ويدل على أن الورود هو الدخول قوله تعالى : ﴿يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار﴾ (هود ، ٩٨)

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٨٢

وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار أن نافع بن الأزرق مارى ابن عباس في الورود فقال ابن عباس : هو الدخول وقال نافع ليس الورود الدخول ، فتلا ابن عباس ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾ (الأنبياء ، ٩٨) أدخلها هؤلاء أم لا ؟

ثم قال : يا نافع أما والله أنا وأنت سنردها وأنا أرجو أن يخرجني الله منها وما أرى الله يخرجك منها بتكذيبك ، ويدل عليه أيضا قوله تعالى :

﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ أي : الكفر منها ولا يجوز أن يقول ثم ننجي الذين اتقوا ﴿ونذر الظالمين﴾ بالكفر ﴿فيها جثيا﴾ على الركب ألا والكل واردون والأخبار المروية دالة على هذا القول روي أن عبد الله بن رواحة قال أخبر الله تعالى عن الورود ولم يخبر بالصدر فقال صلى الله عليه وسلم "يا ابن رواحة اقرأ ما بعدها ثم ننجي الذين اتقوا" فدل على أن ابن رواحة فهم من الورود الدخول ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وعن جابر أنه سأل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "الورود الدخول ولا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها

٤٨٥

فتكون على المؤمنين بردا وسلاما حتى أن للنار ضجيجا من بردها" ولأن حرارة النار ليست بطبعها فالأجزاء الملاصقة لأبدان الكفار يجعلها الله تعالى محرقة مؤذية والأجزاء الملاصقة لأجزاء المؤمنين يجعلها بردا وسلاما كما في حق إبراهيم عليه

السلام وكما أن الملائكة الموكلين بها لا يجدون ألمها وكما في الكوز الواحد من الماء كان يشربه القبطي فيكون دما ويشربه الإسرائيلي فيكون ماء عذبا.." (١)

"وعن جابر بن عبد الله أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال : "إذا دخل أهل الجنة الجنة وقال بعضهم لبعض أليس وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة" وخامدة بخاء معجمة أي : ساكنة وروي بالجيم أي : باردة ولا بد من ذلك في الملائكة الموكلين بالعذاب حتى يكونوا في النار مع المعاقبين.

فإن قيل : فإذا لم يكن على المؤمنين عذاب في دخولهم فما الفائدة في ذلك الدخول ؟

أجيب بوجوه ؛ أحدها : أن ذلك مما يزيدهم سرورا إذا علموا الخلاص منها.

ثانيها : أن فيه مزيد غم على أهل النار حيث يرون المؤمنين الذين هم أعداؤهم يتخلصون منها وهم يبقون فيها.

ثالثها : أن فيه مزيد غم على أهل النار حيث تظهر فضيحتهم عند المؤمنين.

رابعها : أنهم إذا شاهدوا ذلك العذاب صار سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة ، وقيل : المراد بالذين يردونها من تقدم ذكرهم من الكفار فكنى عنهم أولا كناية الغيبةثم خاطب خطاب المشافهة وعلى هذا القول فلا يدخل النار مؤمن واستدل له بقوله تعالى : ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها﴾ (الأنبياء : ١٠١ ، ١٠٢)

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٨٢

والمبعد عنها لا يوصف بأنه واردها ولو وردوا جهنم لسمعوا حسيسها بقوله تعالى : ﴿وهم من فزع يومئذ آمنون﴾ (النمل ، ٨٩)

وروي عن مجاهد من حم من المؤمنين فقد وردها وفي الخبر الحمى كير من جهنم وهي حظ المؤمن من النار وفي رواية الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء وقوله من فيح جهنم أي : وهجها وحرها وقال ابن مسعود وإن **منكم إلا واردها يعني** القيامة والكناية راجعة إليها قال البغوي والأول أصح وعليه أهل السنة وروي أنه يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير وفي رواية من إيمان وعن ابن مسعود

٤٨٦

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول وجدتها ملأى فيقول الله : له اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشر أمثالها فيقول له أتسخر بي وأنت الملك فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه" فكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة قوله حتى بدت نواجذه أي : أنيابه وأضراسه وقيل : هي أعلى الأسنان.

وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا حمما ثم تدركهم

---

(١) تفسير السراج المنير ، ٣٤٧/٢

الرحمة قال فيخرجون فيطرحون على باب الجنة قال فيرش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون كما ينبت الغثاء في حمالة السيل الحمم الفحم والغثاء كل ما جاء به السيل" وقرأ الكسائي ننجي بسكون النون الثانية وتخفيف الجيم والباقون بفتح النون الثانية وتشديد الجيم ولما أقام تعالى الحجة على مشركي قريش المنكرين للبعث قال تعالى عطفا على قوله ويقول الإنسان :
جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٨٢

﴿وإذا تتلى عليهم﴾ أي : الناس من المؤمنين والكفار من أي تال كان ﴿آياتنا﴾ أي : القرآن حال كونها ﴿بينات﴾ أي : واضحات وقيل مرتبات الألفاظ ملخصات المعاني وقيل : ظاهرات الإعجاز ﴿قال الذين كفروا﴾ بآيات ربهم البينة جهلا منهم ونظرا إلى ظاهر الحياة الدنيا الذي هو مبلغهم من العلم ﴿للذين آمنوا﴾ أي : لأجلهم أو مواجهة لهم إعراضا عن الاستدلال بالآيات بالإقبال على هذه الشبهة الواهية وهي المفاخرة بالمكاثرة في الدنيا من قولهم ﴿أي الفريقين﴾ نحن بما لنا من الاتساع أم أنتم بما لكم من خشونة العيش ورثاثة الحال ولو كنتم أنتم على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم في الدنيا أحسن من حالنا لأن الحكيم لا يليق به أن يوقع أولياءه المخلصين في الذل وأعداءه المعرضين عن خدمته في العز والراحة وإنما كان الأمر بالعكس فإن الكفار كانوا في النعمة والراحة والاستعلاء والمؤمنين كانوا في ذلك الوقت في الخوف والقلة هذا حاصل شبهتهم والقائل ذلك هو النضر بن الحارث وذووه من قريش للذين آمنوا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويلبسون خير ثيابهم فقالوا للمؤمنين أي الفريقين ﴿خير مقاما﴾ أي : موضع قيام أو إقامة على قراءة ابن كثير بضم الميم والباقون بفتحها ففي كلتا القراءتين يحتمل أن يكون اسم مصدر أو اسم مكان إما من قام ثلاثيا أو من أقام
جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٨٧." (١)

"به فإنه هالك لا محالة إن يسركم الله له فغلبت الذنوب ورجفت القلوب بالمعاصي وصار كل أحد من الناس ثعلبا يأوي إلى وجاره (١) وإن رأى المكيدة بجاره.
فإنا لله وإنا إليه راجعون.
وحسبنا الله ونعم الوكيل).
السابعة - قوله تعالى: (وجاهدوا) أمر بالجهاد، وهو مشتق من الجهد (بأمو الكم وأنفسكم) روى أبو داود عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم).
وهذا وصف لاكمل ما يكون من الجهاد وأنفعه عند الله تعالى.
فحض على كمال الاوصاف، وقدم الاموال في الذكر إذ هي أول مصرف وقت التجهيز.
فرتب الامر كما هو نفسه.
قوله تعالى: لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون (٤٢) لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أظهر الله نفاق قوم.

---

(١) تفسير السراج المنير.، ٣٤٨/٢

والعرض: ما يعرض من منافع الدنيا.

والمعنى: غنيمة قريبة.

أخبر عنهم أنهم لو دعوا إلى غنيمة لاتبعوه.

" عرضا " خبر كان.

" قريبا " نعته.

" وسفرا قاصدا " عطف عليه.

وحذف اسم كان لدلالة الكلام عليه.

التقدير: لو كان المدعو إليه عرضا قريبا وسفرا قاصدا - أي سهلا معلوم الطرق - لاتبعوك.

وهذه الكناية للمنافقين كما ذكرنا، لانهم داخلون في جملة من خوطب بالنفير.

وهذا موجود في كلام العرب يذكرون الجملة ثم يأتون بالاضمار عائدا على بعضها، كما قيل في قوله تعالى: " وإن منكم إلا واردها " (٢) [مريم: ٧١] أنها القيامة.

ثم قال جل وعز: " ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا " (٢) [مريم: ٧٢] يعني عزوجل جهنم.

ونظير هذه الآية من السنة في المعنى قوله عليه السلام: (لو يعلم أحدهم أنه يجد عظما سمينا

---

(١) الوجار (بكسر وفتح) حجر الضبع وغيره.

(٢) راجع ج ١١ ص ١٣١ فما بعد.

(*)".[1]

"قال: فرفعه على جناحه، ثم طار به، فبينما هو في السماء الرابعة التقى بملك الموت ينظر في السماء، ينظر يمينا وشمالا، فسلم عليه ملك الشمس، وقال: يا إدريس هذا ملك الموت فسلم عليه فقال ملك الموت: سبحان الله ! ولاي معنى رفعته هاهنا ؟ قال: رفعته لاريه الجنة.

قال: فإن الله تعالى أمرني أن أقبض روح إدريس في السماء الرابعة.

قلت: يا رب وأين إدريس من السماء الرابعة، فنزلت فإذا هو معك، فقبض روحه فرفعها إلى الجنة، ودفنت الملائكة جثته في السماء الرابعة، فذلك قوله تعالى: " ورفعناه مكانا عليا " قال وهب بن منبه: كان يرفع لادريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لاهل الارض في زمانه، فعجب منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت، فاستأذن ربه في زيارته فأذن له، فأتاه في صورة آدمي، وكان إدريس عليه السلام يصوم النهار، فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل.

ففعل به ذلك ثلاث ليال فأنكره إدريس، وقال له: من أنت ! قال أنا ملك الموت، أستأذنت ربي أن أصحبك فأذن لى، فقال: إن لي إليك حاجة.

---

(١) تفسير القرطبي، ١٥٣/٨

قال: وما هي ؟ قال: أن تقبض روحي.

فأوحى (١) الله تعالى إليه أن اقبض روحه، فقبضه ورده الله إليه بعد ساعة، وقال له ملك الموت: ما الفائدة في قبض روحك ؟ قال لا ذوق كرب الموت فأكون له أشد استعدادا.

ثم قال له إدريس بعد ساعة (٢): إن لي إليك حاجة أخرى.

قال: وما هي ؟

قال أن ترفعني إلى السماء فأنظر إلى الجنة والنار، فأذن الله تعالى له في رفعه إلى السموات، فرأى النار فصعق، فلما أفاق قال أرني الجنة، فأدخله الجنة، ثم قال له ملك الموت: أخرج لتعود إلى مقرك.

فتعلق بشجرة وقال: لا أخرج منها.

فبعث الله تعالى بينهما ملكا حكما، فقال مالك لا تخرج ؟ قال: لان الله تعالى قال: "كل نفس ذائقة الموت " (٣) [آل عمران: ١٨٥] وأنا ذقته، وقال: " وإن منكم إلا واردها " (٤) [مريم: ٧١] وقد وردتها، وقال: " وما هم منها بمخرجين " (٥) [الحجر: ٤٨] فكيف أخرج ؟ قال الله تبارك وتعالى لملك الموت: " بإذني دخل الجنة وبأمري يخرج " فهو حي هنالك فذلك قوله تعالى " ورفعناه مكانا عليا " قال النحاس: قول إدريس: " وما هم منها بمخرجين " يجوز أن يكون الله أعلم هذا إدريس، ثم نزل القرآن به.

قال وهب ابن منبه: فإدريس تارة يرتع في الجنة، وتارة يعبد الله تعالى مع الملائكة في السماء.

---

(١) في ج: فأذن الله له.

(٢) في ج وك: بعد حين.

(٣) راجع ج ٤ ص ٢٩٧.

(٤) راجع ص ١٣٥ من هذا الجزء: إن صح هذا فهو دليل على ورود النظر.

(٥) راجع ج ١٠ ص ٣٣.

(*)".[1]

"قوله تعالى: ويقول الانسان أءذا ما مت لسوف أخرج حيا (٦٦) أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٧) فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠) وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) قوله تعالى: (ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا) الانسان هنا أبي ابن خلف وجد عظاما بالية ففتتها بيده وقال: زعم محمد أنا نبعث بعد الموت قاله الكلبي ذكره الواحدي والثعلبي والقشيري وقال المهدوي نزلت في الوليد بن المغيرة وأصحابه وهو قول ابن عباس.

---

(١) تفسير القرطبي، ١١٩/١١

واللام في " لسوف أخرج حيا " للتأكد.
كأنه قيل له إذا ما مت لسوف تبعث حيا فقال " أئذا ما مت لسوف أخرج حيا " ! قال ذلك منكرا فجاءت اللام في الجواب كما كانت في القول الاول ولو كان مبتدئا لم تدخل اللام لانها للتأكيد والايجاب وهو منكر للبعث.
وقرا ابن ذكوان " إذا ما مت " على الخبر والباقون بالاستفهام على أصولهم بالهمز.
وقرأ الحسن وأبو حيوة: " لسوف اخرج حيا " قاله استهزاء لانهم لا يصدقون بالبعث.
والانسان هاهنا الكافر.
قوله تعالى: (أولا يذكر الانسان) أي أو لا يذكر هذا القائل (أنا خلقناه من قبل) أي من قبل سؤاله وقول هذا القول (ولم يك شيئا) فالاعادة مثل الابتداء فلم يناقض.
وقرأ أهل الكوفة إلا عاصما وأهل مكة وأبو عمر وأبو جعفر " أولا يذكر " وقرأ شيبة ونافع وعاصم: " أو لا يذكر " بالتخفيف.
والاختيار التشديد وأصله يتذكر لقوله تعالى " إنما يتذكر
أولو الالباب " (١) وأخواتها وفي حرف أبي " أولا يتذكر " وهذه القراءة على التفسير لانها مخالفة لخط المصحف: ومعنى " يتذكر " يتفكر ومعنى " يذكر " يتنبه ويعلم قاله النحاس.

---

(١) راجع ج ١٥ ص ٣٤٠.
(*)."[1]

"أقوال وسمعت علي بن سليمان يحكي عن محمد بن يزيد قال " أيهم " متعلق ب " شيعة " فهو مرفوع بالابتداء والمعنى ثم لننزعن من الذين تشايعوا أيهم أي من الذين تعاونوا فنظروا أيهم أشد على الرحمن عتيا وهذا قول حسن.
وقد حكى الكسائي أن التشايع التعاون.
و " عتيا " نصب على البيان.
[قوله تعالى] (١): (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) (٢) أي أحق بدخول النار يقال: صلى يصلى صليا نحو مضى الشئ يمضي مضيا إذا ذهب وهوى يهوي هويا.
وقال الجوهري: ويقال صليت الرجل نارا إذا أدخلته النار وجعلته يصلاها فإن ألقيته فيها إلقاء كأنك تريد الاحراق قلت: أصليته بالالف وصليته تصلية وقرئ " ويصلى سعيرا " (٣).
ومن خفف فهو من قولهم: صلى فلان بالنار (بالكسر) يصلى صليا أحترق قال الله تعالى " هم أولى بها صليا " قال العجاج: (٤)
* والله لولا النار أن نصلاها * ويقال أيضا صلي بالامر إذا قاسى حره وشدته.

---

(١) تفسير القرطبي، ١١/١٣١

قال الطهوي: ولا تبلى بسالتهم وإن هم * صلوا بالحرب حينا بعد حين واصطليت بالنار وتصليت بها.

قال أبو زبيد: وقد تصليت حر حربهم *كما تصلى المقرور من قرس وفلان لا يصطلى بناره إذا كان شجاعا لا يطاق.

قوله تعالى: (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا) فيه خمس مسائل: الاولى - قوله تعالى: " وإن منكم " هذا قسم والواو يتضمنه.

ويفسره حديث النبي صلى الله عليه وسلم (لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة

---

(١) من ب وج وز وك.

(٢) (صليا) بضم الصاد قراءة (نافع) وعليها التفسير.

(٣) راجع ج ١٩ ص ٢٧٠.

(٤) ونسبه في اللسان مادة (فيه) إلى الزفيان، وأورده في أبيات هي: ما بال عين شوقها أستبكاها * في رسم دار لبست بلاها تالله لولا النار أن نصلاها * أو يدعو الناس علينا الله * لما سمعنا لامير قاها * القاه: الطاعة.

(*)."[1]

"القسم) (١) قال الزهري: كأنه يريد هذه الآية (وإن منكم إلا واردها) ذكره أبو داود الطيالسي فقوله: " إلا تحلة القسم " يخرج في التفسير المسند لان القسم المذكور في هذا الحديث معناه عند أهل العلم قوله تعالى " وإن منكم إلا واردها " وقد قيل إن المراد بالقسم قوله تعالى: " والذاريات ذروا " إلى قوله " إنما توعدون لصادق.

وإن الدين لواقع " (٢) والاول أشهر، والمعنى متقارب.

الثانية - وأختلف الناس في الورود فقيل: الورود الدخول روي عن جابر بن

عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم.

" ثم ننجي الذين أتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا " أسنده أبو عمر في كتاب " التمهيد ".

وهو قول ابن عباس وخالد بن معدان وابن جريج وغيرهم وروي عن يونس [عن الحسين] (٣) أنه كان يقرأ: " وإن منكم إلا واردها " الورود الدخول على التفسير للورود فغلط فيه بعض الرواة فألحقه بالقرآن.

وفي مسند الدارمي عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يرد الناس النار ثم يصدرون منها بأعمالهم فأولهم كلمح البرق ثم كالريح ثم كحضر (٤) الفرس ثم كالراكب المجد في رحله ثم كشد الرجل في مشيته).

وروى عن ابن عباس أنه قال في هذه المسألة لنافع بن الازرق الخارجي: أما أنا وأنت فلابد أن نردها أما أنا فينجيني الله منها وأما أنت فما أظنه ينجيك لتكذيبك.

وقد أشفق كثير من العلماء من تحقق الورود والجهل بالصدر وقد بيناه في " التذكرة ".

---

(١) تفسير القرطبي، ١٣٥/١١

وقالت فرقة: الورود الممر على الصراط.

وروي عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الاحبار والسدي ورواه السدي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم وقاله الحسن أيضا قال: ليس الورود الدخول إنما تقول: وردت البصرة ولم أدخلها.

قال: فالورود أن يمروا على الصراط.

قال أبو بكر الانباري: وقد بنى على مذهب الحسن قوم من أهل اللغة واحتجوا بقول الله تعالى: " إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها

---

(١) (إلا تحلة القسم): أي لا يدخل النار ليعاقبه بها ولكنه يجوز عليها فلا يكون ذلك إلا بقدر ما يبر الله به قسمه.

(٢) راجع ج ١٧ ص ٢٩.

(٣) من ب وج وز وط وك.

(٤) الحضر (بالضم): العدو وشد الرجل: عدوه أيضا.

(*)."[١]

"مبعدون " (١) قالوا: فلا يدخل النار من ضمن الله أن يبعده منها.

وكان هؤلاء يقرءون " ثم " بفتح الثاء " ننجي الذين أتقوا ".

واحتج عليهم الآخرون أهل المقالة الاولى بأن معنى قوله: " أولئك عنها مبعدون " عن العذاب فيها والاحراق بها.

قالوا: فمن دخلها وهو لا يشعر

بها ولا يحس منها وجعا ولا ألما فهو مبعد عنها في الحقيقة.

ويستدلون بقوله تعالى: " ثم ننجي الذين آتقوا " بضم الثاء ف " ثم " تدل على نجاء بعد الدخول.

قلت: وفي صحيح مسلم (ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة فيقولون اللهم سلم سلم) قيل: يا رسول الله وما الجسر ؟ قال: (دحض مزلة (٢) فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم) الحديث.

وبه أحتج من قال إن الجواز على الصراط هو الورود الذي تضمنته هذه الآية لا الدخول فيها.

وقالت فرقة: بل هو ورود إشراف وأطلاع وقرب.

وذلك أنهم يحضرون موضع الحساب وهو بقرب جهنم فيرونها وينظرون إليها في حالة الحساب ثم ينجي الله الذين آتقوا مما نظروا إليه ويصار بهم إلى الجنة " ونذر الظالمين " أي يؤمر بهم إلى النار قال الله تعالى " ولما ورد ماء مدين) (٣) أي أشرف عليه لا أنه دخله.

---

(١) تفسير القرطبي، ١٣٦/١١

وقال زهير: فلما وردن الماء زرقا (٤) جمامه * وضعن عصي الحاضر المتخيم وروت حفصة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا يدخل النار أحد من أهل بدر والحديبية) قالت فقلت: يارسول الله وأين قول الله تعالى " وإن **منكم إلا واردها** " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فمه " ثم ننجي الذين آتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ").

أخرجه مسلم من حديث أم مبشر قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة.

---

(١) راجع ص ٣٤٥ من هذا الجزء.

(٢) دحض مزلة: هما بمعنى وهو الموضع الذي نزل فيه الاقدام ولا تستقر.

(٣) راجع ج ١٣ ص ٢٦٧.

(٤) يقال: ماء أزرق إذا كان صافيا.

وجمام جمع جم وجمة وهو الماء المجتمع.

والحاضر: النازل على الماء.

والمتخيم: المقيم وأصله من تخيم إذا نصب الخيمة.

يصف زهير الظعائن بأنهن في أمن ومنعة فإذا نزلن نزلن آمنات كنزول من هو في أهله ووطنه.

والبيت من معلقته.

(*)."(١)

"الحديث.

ورجح الزجاج هذا القول بقوله تعالى " إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك

عنها مبعدون " وقال مجاهد: ورود المؤمنين النار هو الحمى التي تصيب المؤمن في دار الدنيا، وهي حظ المؤمن من النار فلا يردها.

روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد مريضا من وعك به فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (أبشر فإن الله تبارك وتعالى يقول: " هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من النار ") أسنده أبو عمر قال: حدثنا عبد الوارث بن سفيان قال حدثنا قاسم بن أصبغ قال حدثنا محمد بن إسمعيل الصائغ قال حدثنا أبو أسامة قال حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن إسمعيل بن عبيد الله [عن أبي صالح] (١) الاشعري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم عاد مريضا فذكره.

وفي الحديث (الحمى حظ المؤمن من النار).

وقالت فرقة: الورود النظر إليها في القبر فينجي منها الفائز ويصلاها من قدر عليه دخولها، ثم يخرج منها بالشفاعة أو بغيرها من رحمة الله تعالى.

---

(١) تفسير القرطبي، ١٣٧/١١

واحتجوا بحديث ابن عمر: (إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي) الحديث.

وروى وكيع عن شعبة عن عبد الله بن السائب عن رجل عن ابن عباس أنه قال في قول الله تعالى: (وإن منكم إلا واردها) قال: هذا خطاب للكفار.

وروي عنه أنه كان يقرأ: " وإن منهم " ردا على الآيات التي قبلها في الكفار: قوله " فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا.

ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا.

ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا.

وإن منهم) (مريم: ٦٨] وكذلك قرأ عكرمة وجماعة وعليها فلا شغب (٢) في هذه القراءة.

وقالت فرقة: المراد ب (- منكم) الكفرة والمعنى: قل لهم يا محمد.

وهذا التأويل أيضا سهل التناول والكاف في (منكم) راجعة إلى الهاء في (لنحشرنهم والشياطين.

ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) فلا ينكر رجوع الكاف إلى الهاء، فقد عرف ذلك في قوله عز وجل " وسقاهم ربهم شرابا طهورا.

إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا " (٣) [الانسان: ٢١ - ٢٢] معناه كان لهم فرجعت الكاف إلى الهاء وقال الاكثر: المخاطب العالم كله ولابد من ورود الجميع وعليه نشأ

---

(١) الزيادة من (تهذيب التهذيب) وتفسير الطبري.

(٢) كذا في ب وج وك: بالمعجمة.

وفي ا

وز وط بالمهملة.

(٣) راجع ج ١٩ ص ١٤١ فما بعد.

(*)."[1]

"الخلاف في الورود.

وقد بينا أقوال العلماء فيه.

وظاهر الورود الدخول لقوله عليه الصلاة والسلام: (فتمسه النار) لان المسيس حقيقته في اللغة المماسة إلا أنها تكون بردا وسلاما على المؤمنين وينجون منها سالمين.

قال خالد بن معدان: إذا دخل أهل الجنة الجنة قالوا ألم يقل ربنا: إنا نرد النار ؟ فيقال لقد وردتموها فألقيتموها رمادا.

قلت: وهذا القول يجمع شتات لاقوال فإن من وردها ولم تؤذه بلهبها وحرها فقد أبعد عنها ونجي منها.

---

(١) تفسير القرطبي، ١٣٨/١١

نجانا الله تعالى منها بفضله وكرمه وجعلنا ممن وردها فدخلها سالما وخرج منها غانما.

فإن قيل: فهل يدخل الانبياء النار ؟ قلنا: لا نطلق هذا ولكن نقول: إن الخلق جميعا يردونها كما دل عليه حديث جابر أول الباب فالعصاة يدخلونها بجرائمهم، والاولياء والسعداء لشفاعتهم فبين الدخولين بون.

وقال أبن الانباري محتجا لمصحف عثمان وقراءة العامة: جائز في اللغة أن يرجع من خطاب الغيبة إلى لفظ المواجهة بالخطاب كما قال: (وسقاهم ربهم شرابا طهورا.

إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) فأبدل الكاف من الهاء.

وقد تقدم هذا المعنى في (يونس) (١).

الثالثة - الاستثناء في قوله عليه السلام (إلا تحلة القسم) يحتمل أن يكون أستثناء منقطعا: لكن تحلة القسم وهذا معروف في كلام العرب والمعنى ألا تمسه النار أصلا وتم الكلام هنا ثم ابتدأ (إلا تحلة القسم) أي لكن تحلة القسم لابد منها في قوله تعالى: " وإن منكم إلا واردها " وهو الجواز على الصراط أو الرؤية أو الدخول دخول سلامة، فلا يكون في ذلك شئ من مسيس لقوله عليه الصلاة والسلام: (لا يموت لاحدكم ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جنة من النار) والجنة الوقاية والستر ومن وقى النار وستر عنها فلن تمسه أصلا ولو مسته لما كان موقى.

الرابعة: هذا الحديث يفسر الاول لان فيه ذكر الحسبة، ولذلك جعله مالك بأثره

مفسرا له.

ويقيد هذا الحديث الثاني أيضا ما رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم (من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كان له حجابا (٢) من النار - أو -

---

(١) راجع ج ٨ ص ٣٢٤ فما بعد.

(٢) (كان): بالافراد واسمها ضمير يعود.

على الموت المفهوم مما سبق أي كان موتهم له حجابا.

ولابي ذر عن الكشميهني (كانوا له حجابا).

(قسطلاني).

(*)".(١)

"دخل الجنة) فقوله عليه السلام (لم يبلغوا الحنث) - ومعناه عند أهل العلم لم يبلغوا الحلم ولم يبلغوا أن يلزمهم حنث - دليل على أن أطفال المسلمين في الجنة - والله أعلم - لان الرحمة إذا نزلت بآبائهم أستحال أن يرحموا من أجل [من]

(١) ليس بمرحوم.

وهذا إجماع من العلماء في أن أطفال المسلمين في الجنة ولم يخالف في ذلك إلا فرقة شذت من الجبرية فجعلتهم في المشيئة

---

(١) تفسير القرطبي، ١١/١٣٩

وهو قول مهجور مردود بإجماع الحجة الذين لا تجوز مخالفتهم، ولا يجوز على مثلهم الغلط، إلى ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من أخبار الآحاد الثقات العدول، وأن قوله عليه الصلاة والسلام (الشقي من شقى في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه وأن الملك ينزل فيكتب أجله وعمله ورزقه) الحديث مخصوص، وأن من مات من أطفال المسلمين قبل الاكتساب فهو ممن سعد في بطن أمه ولم يشق بدليل الاحاديث والاجماع.

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله تعالى عنها: (يا عائشة إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم وخلق النار وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم) ساقط ضعيف مردود بالاجماع والآثار وطلحة بن يحيى الذي يرويه ضعيف لا يحتج به.

وهذا الحديث مما انفرد به فلا يعرج عليه.

وقد روى شعبة عن معاوية بن قرة ابن إياس المزني عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا من الانصار مات له أبن صغير فوجد عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أما يسرك ألا تأتى بابا من أبواب الجنة إلا وجدته يستفتح لك) فقالوا: يارسول الله أله خاصة أم للمسلمين عامة ؟ قال (بل للمسلمين عامة) قال أبو عمر: هذا حديث ثابت صحيح بمعنى (٢) ما ذكرناه مع إجماع

الجمهور، وهو يعارض حديث يحيى ويدفعه.

قال أبو عمر: الوجه عندي في هذا الحديث وما أشبهه من الآثار أنها لمن حافظ على أداء فرائضه واجتنب الكبائر، وصبر واحتسب في مصيبته، فإن الخطاب لم يتوجه في ذلك العصر إلا إلى قوم الاغلب من أمرهم ما وصفنا وهم الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين.

وذكر النقاش عن بعضهم أنه قال: نسخ قوله تعالى " وإن **منكم إلا واردها** " قوله: " إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها

---

(١) من ب وز وط وك.

(٢) في ا وب وج وز وط وك.

وفي ى: يعني.

(*)."(١)

"لا يسمعون) قيل: في الكلام حذف، والمعنى وهم فيها لا يسمعون شيئا، لانهم يحشرون صما، كما قال الله تعالى: " ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما " (١) [الاسراء: ٩٧].

وفي سماع الاشياء روح وأنس، فمنع الله الكفار ذلك في النار.

وقيل: لا يسمعون ما يسرهم، بل يسمعون صوت من يتولى تعذيبهم من الزبانية.

---

(١) تفسير القرطبي، ١١/١٤٠

وقيل: إذا قيل لهم " اخسئوا فيها ولا تكلمون " (٢) [المؤمنون: ١٠٨] يصيرون حينئذ صما بكما، كما قال ابن مسعود: إذا بقى من يخلد في النار في جهنم جعلوا في توابيت من نار، ثم جعلت التوابيت في توابيت أخرى فيها مسامير من نار، فلا يسمعون شيئا، ولا يرى أحد منهم أن في النار من يعذب غيره.

قوله تعالى: إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون (١٠١) لا يسمعون حسيسها وهم في ما أشتهت أنفسهم خالدون (١٠٢)

لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون (١٠٣) قوله تعالى: (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) أي الجنة (أولئك عنها) أي عن النار (مبعدون) فمعنى الكلام الاستثناء، ولهذا قال بعض أهل العلم: " إن " هاهنا بمعنى " إلا " وليس في القرآن غيره.

وقال محمد بن حاطب: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقرأ هذه الآية على المنبر " إن الذين سبقت لهم منا الحسنى " فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إن عثمان منهم).

قوله تعالى: (لا يسمعون حسيسها) أي حس النار وحركة لهبها.

والحسيس والحس الحركة.

وروى ابن جريج عن عطاء قال قال أبو راشد الحروري لابن عباس: " لا يسمعون حسيسها " فقال ابن عباس: أمجنون أنت ؟ فأين قوله تعالى: " وإن منكم إلا واردها " (٣) وقوله تعالى: " فأوردهم النار " (٤) [هود: ٩٨] وقوله: " إلى جهنم وردا " (٣) [مريم: ٨٦].

ولقد كان من دعاء من مضى: اللهم أخرجني من النار سالما، وأدخلني الجنة فائزا.

وقال أبو عثمان النهدي:

---

(١) راجع ج ١٠ ص ٣٣٣.

(٢) راجع ج ١٢ ص ١٥٣.

(٣) راجع ص ١٣٥.

وص ١٥٢ ص ١٤٩ من هذا الجزء.

(٤) راجع ج ٩ ص ٩٣ فما بعد.

(*)".(١)

"الآية حزن النبي صلى الله عليه وسلم لذلك فنزلت تعزية له، فقال جبريل عليه السلام: السلام عليك يا رسول الله ! الله ربك يقرئك السلام ويقول لك: " وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسوق " أي يبتغون المعايش في الدنيا.

---

(١) تفسير القرطبي، ٣٤٥/١١

الثانيه – قوله تعالى: " إلا إنهم ليأكلون الطعام " إذا دخلت اللام لم يكن في إن " إلا الكسر، ولو لم تكن اللام ما جاز أيضا إلا الكسر، لانها مستأنفة.

هذا قول جميع النحويين.

قال النحاس: إلا أن على بن سليمان حكى لنا عن محمد بن يزيد قال: يجوز في " إن " هذه الفتح وإن كان بعدها اللام، وأحسبه وهما منه.

قال أبو إسحق الزجاج: وفى الكلام حذف، والمعنى وما أرسلنا قبلك رسلا إلا إنهم ليأكلون الطعام، ثم حذف رسلا، لان في قوله: " من المرسلين " ما يدل عليه.

فالموصوف محذوف عند الزجاج.

ولا يجوز عنده حذف الموصول وتبقية الصلة كما قال الفراء.

قال الفراء: والمحذوف " من " والمعنى إلا من إنهم ليأكلون الطعام.

وشبهه بقوله: " وما منا إلا له مقام معلوم "، وقوله: " وإن منكم إلا واردها " أي ما منكم إلا من هو واردها.

وهذا قول الكسائي أيضا.

وتقول العرب: ما بعثت إليك من الناس إلا من إنه ليطيعك.

فقولك: إنه ليطيعك صلة من.

قال الزجاج: هذا خطأ، لان من موصولة فلا يجوز حذفها.

وقال أهل المعاني: المعنى، وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا قيل إنهم ليأكلون، دليله قوله تعالى: " ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ".

وقال ابن الانباري: كسرت " إنهم " بعد " إلا " للاستئناف بإضمار واو.

أي إلا وإنهم.

وذهبت فرقة إلى أن قوله: " ليأكلون الطعام " كناية عن الحدث.

قلت: وهذا بليغ في معناه، ومثله " ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ".

(ويمشون في الاسواق) قرأ الجمهور " يمشون " بفتح الياء وسكون الميم وتخفيف الشين.

وقرأ على وابن عوف وابن مسعود بضم الياء وفتح الميم وشد الشين المفتوحة، بمعنى يدعون إلى المشى ويحملون عليه.

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى بضم الياء وفتح الميم وضم الشين المشددة، وهى بمعنى يمشون، قال الشاعر:." (١)

"وقد تقدمت هذه المعاني في قوله: " وإن منكم إلا واردها ".

ومدين لا تنصرف إذ هي بلدة معروفة قال الشاعر (١): رهبان مدين لو رأوك تنزلوا * * والعصم من شعف الجبال الفادر

---

(١) تفسير القرطبي، ١٣/١٣

وقيل: قبيلة من ولد مدين بن إبراهيم، وقد مضى القول فيه في " الاعراف " (٢).

والامة: الجمع الكثير و " يسقون " معناه ماشيتهم.

و (من دونهم) معناه ناحية إلى الجهة التي جاء منها، فوصل إلى المرأتين قبل وصول إلى الامة، ووجدهما تذودان ومعناه تمنعان وتحبسان، ومنه قول عليه السلام: " فليذادن (٣) رجال عن حوضي " وفي بعض المصاحف: " امرأتين حابستين تذودان " يقال: ذاد يذود إذا [حبس] (٤).

وذدت الشئ حبسته، قال الشاعر (٥):

أبيت على باب القوافي كأنما * * أذود بها سربا من الوحش نزعا أي أحبس وأمنع وقيل: " تذودان " تطردان، قال (٦): لقد سلبت عصاك بنو تميم * * فما تدري بأي عصا تذود أي تطرد وتكف وتمنع ابن سلام: تمنعان غنمهما لئلا تختلط بغنم الناس، فحذف المفعول، إما إيهاما على المخاطب، وإما أستغناء بعلمه.

قال ابن عباس: تذودان غنمهما عن الماء خوفا من السقاة الاقوياء.

قتادة: تذودان الناس عن غنمهما، قال النحاس: والاول أولى، لان بعده " قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء " ولو كانتا تذودان عن غنمهما الناس لم تخبرا عن سبب تأخير سقيهما حتى يصدر الرعاء.

فلما رأى موسى عليه السلام ذلك منهما " قال ما خطبكما " أي شأنكما، قال رؤية: * يا عجبا ما خطبه وخطبي *

---

(١) هو جرير.

والعصم (جمع الاعصم): وهو من الظباء الذى في ذراعه بياض، وقيل: في ذراعية، والفادر: المسن منها.

وقيل: العظيم.

ويروى: " من شعف العقول ".

وقبله: يا أم طلحة ما لقينا مثلكم * * في المنجدين ولا بغور الغائر (٢) راجع ج ٧ ص ٢٤٧ طبعة أولى أو ثانية.

(٣) قليذادن، أي ليطردن.

ويروى: " فلا تذادن " أي لا تفعلوا فعلا يوجب طردكم عنه، قال اين الاثير: والاول أشبهه.

(٤) في الاصل: " إذا ذهب " وهو تحريف.

(٥) هو سويد بن كراع يذكر تنقيحه شعره.

(٦) هو جرير يهجو الفرزدق.

(*)."[١]

"وقيل: إن "كلا " في هذه المواضع الثلاثة بمعنى " ألا " قاله ابن أبي حاتم، وقال الفراء: هي بمعنى " حقا " وقد تقدم الكلام فيها مستوفى (١).

---

(١) تفسير القرطبي، ٢٦٨/١٣

قوله تعالى: لترون الجحيم (٦) ثم لترونها عين اليقين (٧) قوله تعالى: (لترون الجحيم) هذا وعيد آخر.

وهو على إضمار القسم، أي لترون الجحيم في الآخرة.

والخطاب للكفار الذين وجبت لهم النار.

وقيل: هو عام، كما قال: " وإن منكم إلا واردها " (٢) [مريم: ٧١] فهيئ للكفار دار، وللمؤمنين ممر.

وفي الصحيح: (فيمر أولهم كالبرق، ثم كالريح، ثم كالطير...) الحديث.

وقد مضى في سورة " مريم ".

وقرأ الكسائي وابن عامر " لترون " بضم التاء، من أريته الشئ، أي تحشرون إليها فترونها.

وعلى فتح التاء، هي قراءة الجماعة، أي لترون الجحيم بأبصاركم على البعد.

(ثم لترونها عين اليقين) أي مشاهدة.

وقيل: هو إخبار عن دوام مقامهم في النار، أي هي رؤية دائمة متصلة.

والخطاب على هذا للكفار.

وقيل: معنى " لو تعلمون علم اليقين " أي لو تعلمون اليوم في الدنيا، علم اليقين فيما أمامكم، مما وصفت: " لترون الجحيم " بعيون قلوبكم، فإن علم اليقين يريك الجحيم بعين فؤادك، وهو أن تتصور لك تارات القيامة، وقطع مسافاتها.

" ثم لترونها عين اليقين ": أي عند المعاينة بعين الرأس، فتراها يقينا، لا تغيب عن عينك.

" ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ": في موقف السؤال والعرض.

قوله تعالى: ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم (٨) قوله تعالى: (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: (ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة) ؟ قالا: الجوع يا رسول الله.

قال: (وأنا

---

(١) راجع ج ١١ ص ١٤٧ فما بعدها.

(٢) آية ٧١ سورة مريم.

(٣) راجع ج ١١ ص ١٣٧.

(*)".[1]

"" صفحة رقم ٦٢١ "

استثناء منقطع لأن اتباع الظن ليس من جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون الظن

فإن قلت قد وصفوا بالشك والشك ان لا يترجح أحد الجائزين ثم وصفوا بالظن والظن ان يترجح احدهما فكيف يكونون

---

(١) تفسير القرطبي، ١٧٤/٢٠

شاكين ظانين قلت أريد انهم شاكون ما لهم من علم قط ولكن إن لاحت لهم إمارة فظنوا فذاك

) وما قتلوه يقينا (

وما قتلوه قتلا يقينا

أو ما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم (إنا قتلنا المسيح) أو يجعل (يقينا) تأكيدا لقوله

) وما قتلوه (

كقولك ما قتلوه حقا أي حق انتفاء قتله حقا

وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ فيه علمك

وفيه تهكم لأنه اذا نفي عنهم العلم نفيا كليا بحرف الاستغراق ثم قيل وما علموه علم يقين وإحاطة لم يكن الا تهكما بهم

) ليؤمنن به (

جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره

وإن من اهل الكتاب أحد الا ليؤمنن به

ونحوه

) وما منا إلا له مقام معلوم (الصافات ١٦٤

) وإن **منكم إلا واردها (** مريم والمعنى وما من اليهود والنصارى أحد الا ليؤمنن قبل موته بعيسى وبانه عبد الله ورسوله يعني إذا عاين قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه إيمانه لانقطاع وقت التكليف

وعن شهر ابن حوشب قال لي الحجاج آية ما قراتها الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية وقال إني أوتى بالأسير من اليهود والنصارى فأضرب عنقه فلا أسمع منه ذلك فقلت إن اليهودي إذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك موسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد نبي

وتقول للنصراني أتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله أو ابن الله فيؤمن أنه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه إيمانه

قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي ابن الحنفية." (١)

"" صفحة رقم ٣٦ "

تعلقهما بالمصدرين لا سبيل إليه ؟ قلت : هما للبيان لا الصلة . أو يتعلقان بأفعل ، أي : عتوهم أشد على الرحمن ، وصليهم أولى بالنار ، كقولهم : هو أشد على خصمه ، وهو أولى بكذا .

) وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (

مريم : (٧١) وإن منكم إلا . . . . .

) وإن منكم (التفات إلى الإنسان ، يعضده قراءة ابن عباس وعكرمة رضي الله عنهما : (وإن منهم) أو خطاب للناس من غير التفات إلى المذكور ، فإن أريد الجنس كله فمعنى الورود دخولهم فيها وهي جامدة ، فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٦٢١/١

. عن ابن عباس رضي الله عنه : يردونها كأنها إهالة . وروي دواية . وعن جابر بن عبد الله .
(٦٧٠) أنه سأل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن ذلك ؟ فقال : (إذا دخل أهل الجنة قال بعضهم لبعض : أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار ، فيقال لهم : قد وردتموها وهي جامدة) وعنه رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية ؟ فقال :
(٦٧١) سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : (الورود الدخول ، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها ، فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم ، حتى إن للنار ضجيجا من بردها) وأما قوله تعالى :) أولئك عنها مبعدون ((الأنبياء : ١٠١) فالمراد عن عذابها . وعن ابن مسعود والحسن وقتادة : هو الجواز على الصراط ؛ لأن الصراط ممدود عليها .." (١)

"ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا (٧٠) أى لنحن اعلم بالّذين هم اولى بالصلي اوصليهم بالنار اولى – وكلمة ثم هاهنا للتراخى في الرتبة كما في قوله تعالى ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا – أو يقال هذا الكلام كناية عن قولهم ثم لنعذبنهم
التفسير المظهري ج ٦ ، ص : ١١١
فلا إشكال إذا التعذيب متاخر من الإحضار قيل اعلم هاهنا بمعنى العليم لاختصاص هذا العلم به تعالى وجاز ان يقال ان الكرام الكاتبين وغيرهم من الملائكة أيضا يعلمون الفاجر من التقى والسعيد من الشقي والله تعالى أعلم بذلك – قرأ حمزة والكسائي وحفص جثيّا وعتيّا وصليّا بكسر اوائلها كما ذكرنا في قوله تعالى وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا – والجمهور بضمها وهى على وزن فعول كما ذكرنا وقوله من كلّ شيعة ان كان يعمم الكفار والعصاة من المؤمنين ففى ذكر أشد تنبيه على انه تعالى يعفو كثيرا من أهل العصيان – ولو خص ذلك بالكفار على ما يقتضيه السياق كما اختاره البغوي واكثر المفسرين فالمراد انه يميّز طوائفهم أعتاهم فاعتاهم ويطرحهم في النار على الترتيب – أو يدخل كلّا طبقتها الّتي أعدت لهم أخرج ابن أبى حاتم والبيهقي عن ابن مسعود رضى الله عنه في الآية قال يحشر الأول على الاخر حتى إذا تكاملت العدة اثارهم ثم يبدا بالاكابر فالاكابر جرما ثم قرأ فو ربّك لنحشرنّهم إلى قوله عتيّا – واخرج هناد عن أبى الأحوص في الآية قال يبدء الأكابر فالاكابر جرما – .
وَإِنْ مِنْكُمْ ان نافية ومنكم صفة لمحذوف أى ان أحد **منكم إِلَّا وارِدُها أى** جهنم قيل القسم مضمر أى والله ما **منكم الّا واردها بدليل** ما ورد في الأحاديث الا تحلة القسم وسنذكرها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً الحتم مصدر حتم الأمر إذا وجب يعنى واجبا أوجبه الله على نفسه مَقْضِيًّا (٧١) قضاه الله عليكم بان وعده وعدا لا يمكن خلفه ...." (٢)

"ما رواه احمد وأبو يعلى والطبراني بسند لا بأس به عن معاذ بن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من حرس وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا لا بأخذ السلطان لم ير النار بعينه الا تحلة القسم وان الله تعالى يقول وَإِنْ **مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها –** قلنا اطلاق الورود على الاشراف والحضور والروية تجوز لا يجوز ارتكابه الا لضرورة ولا ضرورة هاهنا ويأبى

---
(١) تفسير الكشاف . ، ٣٦/٣
(٢) تفسير المظهرى، ص/٤٠٤٦

عن هذا التأويل قوله تعالى ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا لان الانجاء والترك فيها لا يتصور الا بعد الدخول ولا دليل في الحديث على عدم الدخول فانه يثبت الروية تحلة القسم ولا ينفى الدخول ومعنى قوله تعالى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ بعد ورودهم لا يسمعون حسيسها إذ ابعدوا – وقيل لا يسمعون حسيسها عند ورودهم النار لان الله تعالى يجعلها عليهم بردا وسلما – أخرج هناد والطبراني والبيهقي عن خالد بن معدان قال إذا ادخل أهل الجنة الجنة قالوا ربنا الم تعدنا انا نرد النار – قال بلى ولكنّكم مررتم عليها وهى خامدة واخرج ابن عدى والطبراني عن يعلى بن امية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تقول النار للمؤمن يوم القيمة جزيا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي ولنا على كون الورود بمعنى الدخول ولو على سبيل المرور ما أخرج احمد والحاكم وصححه والبيهقي عن أبي سميّه قال اختلفنا في الورود فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن – وقال بعضنا يدخلونها جميعا ثمّ ننجى الّذين اتّقوا فلقيت جابر بن عبد الله فذكرت له فقال وأهوى بإصبعيه إلى اذنيه صمننا ان لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها – فيكون على المؤمن بردا وسلما كما كانت على ابراهيم – حتى ان للنار ضجيجا من بردهم ثمّ ننجّى الّذين اتّقوا ونذر الظّالمين فيها جثيّا – وذكر البغوي انه روى ابن عيينة عن عمرو بن دينار ان نافع بن الأزرق « ١ » ." (١)

"لها واردون قال وردوا أم لا وقرأ يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النّار أوردها أم لا – اما انا وأنت فسندخلها فانظر هل تخرج منها أم لا واخرج من طريق العوفى عن ابن عباس في قوله تعالى ان **منكم الّا واردها يعنى** البر والفاجر الم تسمع قوله تعالى فاوردهم النّار وبئس الورد المورود وقوله تعالى ونسوق المجرمين إلى جهنّم وردا – واخرج الحاكم عن ابن مسعود انه سئل عن قوله تعالى وان **منكم الّا واردها قال** وان منكم الّا داخلها واخرج البيهقي عن عكرمة عن ابن عباس في الآية قال لا يبقى أحد الا دخلها فهذه الآيات مفسرة للورود بالدخول – واخرج احمد والترمذي والحاكم وصححه والبيهقي عن ابن مسعود في قوله تعالى وَإِنْ **مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها قال** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد الناس كلهم النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم فاوّلهم كلمح البرق ثم كالريح ثم كحفر؟؟؟ الفرس ثم كالراكب في رحله ثم كشد الرجل ثم كمشيه واخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود قال يرد الناس جميعا ورودهم قيامهم حول النار ثم يصدون عن الصراط بأعمالهم فمنهم مثل البرق ومنهم من يمرّ مثل الريح ومنهم من يمر مثل الطير ومنهم من يمر كاجز والخيل ومنهم من يمرّ كاجود الا؟؟؟ ل ومن يمرّ كعدو الرجل حتى ان آخرهم سيرا نوره على موضع إبهام قدميه يمر يتكفاء به الصراط وأخرجها الشيخان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار الا تحلة القسم – ثم قرأ سفيان وان **منكم الّا واردها –** واخرج الطبراني عن عبد بن بشير الأنصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث لم يرد الا عابر سبيل يعنى الجواز على الصراط – واخرج ابن جرير عن غنيم بن قيس قال ذكروا ورود النار فقال كعب تمسك النّار الناس كانها بين اهالة حتى يستوى عليها أقدام الخلائق برهم وفاجرهم – ثم ينادى مناد ان." (٢)

" مريم ٧٢ – ٦٩

---

(١) تفسير المظهرى، ص/٤٠٤٨

(٢) تفسير المظهرى، ص/٤٠٥٠

ثم لننزعن من كل شيعة طائفة شاعت أي تبعت غاويا من الغواة أيهم أشد على الرحمن عتيا جراة أو فجورا أي لنخرجن من كل طائفة من طوائف الغي أعتاهم فاعتاهم فإذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب نقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم وقيل المراد بأشدهم عتيا الرؤساء لتضاعف جرمهم لكونهم ضلالا ومضلين قال سيبويه أيهم مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته وهو هو من هو أشد حتى لو جئ به لاعرب بالنصب وقيل أيهم هو أشد وهذا لأن الصلة توضح الموصول وتبينه كما أن المضاف اليه يوضح المضاف ويخصصه فكما أن حذف المضاف إليه في من قبل يوجب بناء المضاف وجب أن يكون حذف الصلة أو شيء منها موجبا للبناء وموضعها نصب بننزع وقال الخليل هي معربة وهي مبتدأ وأشد خبره وهو رفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد على الرحمن عتيا ويجوز أن يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا أي لننزعن بعض كل شيعة فكأن قائلا قال من هم فقيل أيهم أشد عتيا وعلى يتعلق بافعل أي عتوهم أشد على الرحمن ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها أحق بالنار صليا تمييز أي دخولا والباء تتعلق بأولى وإن منكم **أحد إلا واردها داخلها** والمراد النار والورود الدخول عند على وابن عباس رضي الله عنهم وعليه جمهور أهل السنة لقوله تعالى فاوردهم النار ولقوله تعالى لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ولقوله ثم ننجي الذين اتقوا إذ النجاة إنما تكون بعد الدخول ولقوله عليه السلام الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم وتقول النار للمؤمنين جزيا مؤمن فان نورك أطفأ لهبي وقيل الورود بمعنى الدخول لكنه يختص بالكفار لقراءة ابن عباس وان منهم تحمل القراءة المشهورة على الالتفات وعن عبد الله الورود الحضور لقوله تعالى ولما ورد ماء مدين وقوله أولئك عنها مبعدون وأجيب عنه بأن المراد عن عذابها وعن الحسن وقتادة الورود المرور على الصراط لان الصراط ممدود عليها فيسلم أهل الجنة ويتقاذف أهل النار وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه السلام الحمى حظ كل مؤمن من النار وقال رجل من الصحابة لآخر أيقنت بالورود قال نعم قال وأيقنت بالصدر قال لا قال ففيم الضحك وفيم التثاقل كان على ربك حتما مقضيا أي كان ورودهم واجبا كائنا محتوما والحتم مصدر حتم الأمر إذا أوجبه فسمى به الموجب كقولهم ضرب الأمير ثم ننجي وعلى بالتخفيف الذين اتقوا عن الشرك وهم المؤمنون ونذر الظالمين فيها جثيا فيه دليل على دخول الكل لأنه قال ونذر ولم يقل وندخل والمذهب ان ." (١)

" فيها أربعين سنة ثم يموت كما يموت البشر وقوله تعالى وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته اختلف في معنى الآية فقال ابن عباس وغيره الضمير في موته راجع إلى عيسى والمعنى أنه لا يبقى من أهل الكتاب أحد إذا نزل عيسى إلى الأرض إلا يؤمن بعيسى كما يؤمن سائر البشر وترجع الأديان كلها واحدا يعني يرجعون على دين نبينا محمد صلى الله عليه و سلم إذ عيسى واحد من أمته وعلى شريعته وائمتنا منا كما ورد في الحديث الصحيح وقال مجاهد وابن عباس أيضا وغيرهما الضمير في به لعيسى وفي موته للكتابي لكن عند المعاينة للموت فهو إيمان لا ينفعه وقال عكرمة الضمير في به لنبينا محمد صلى الله عليه و سلم وقبل موته للكتابي قال وليس يخرج يهودي ولا نصراني من الدنيا حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه و سلم ولو غرق أو سقط عليه جدار فإنه يؤمن في ذلك الوقت وفي مصحف أبي بن كعب قبل موتهم ففي هذه

---

(١) تفسير النسفي، ٣/٤٤

القراءة تقوية لعود الضمير على الكتابي قال ص وإن من أهل الكتاب الآية إن هنا نافية والمخبر عنه محذوف قامت صفته مقامه أي وما أحد من أهل الكتاب كما حذف في قوله تعالى وإن **منكم إلا واردها وقوله** تعالى وما منا إلا له مقام معلوم أي وما أحد منا وما أحد منكم قال الشيخ أبو حيان ليؤمنن به جواب قسم محذوف والقسم وجوابه هو الخبر وكذلك أيضا إلا له مقام وإلا واردها هما الخبر قال الزجاج وحذف أحد مطلوب في كل نفي يدخله الاستثناء نحو ما قام إلا زيد أي ما قام أحد إلا زيد انتهى وقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم الآية فبظلم معطوف على قوله سبحانه فبما نقضهم والطيبات هنا هي الشحوم وبعض الذبائح والطير والحوت وغير ذلك وقرأ ابن عباس طيبات كانت أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا يحتمل ." (١)

" ونحوه وذكر أن القائل هو أبي بن خلف وروي أن القائل هو العاصي بن وائل وفي قوله تعالى ولم يك شيئا دليل على أن المعدوم لا يسمى شيئا وقال أبو علي الفارسي أراد شيئا موجودا قال ع – وهذه من أبي علي نزعة اعتزالية فتأملها والضمير في لنحشرنهم عائد على الكفار القائلين ما تقدم ثم أخبر تعالى أنه يقرن بهم الشياطين المغوين لهم وجثيا جمع جاث فأخبر سبحانه أنه يحضر هؤلاء المنكرين البعث مع الشياطين المغوين فيجثون حول جهنم وهو قعود الخائف الذليل على ركبتيه كالأسير ونحوه قال ابن زيد الجثي شر الجلوس والشيعة الفرقة المرتبطة بمذهب وأحد المتعاونة فيه فأخبر سبحانه أنه ينزع من كل شيعة أعتاها وأولاها بالعذاب فتكون مقدمتها إلى النار قال أبو الأحوص المعنى نبدأ بالأكابر جرما وأي هنا بنيت لما حذف الضمير العائد عليها من صدر صلتها وكان التقدير أيهم هو أشد وصليا مصدر صلي يصلي إذا باشره وقوله عز و جل وإن **منكم إلا واردها قسم** والواو تقتضيه ويفسره قول صلى الله عليه و سلم من مات له ثلاثة أولاد لم تمسه النار إلا تحلة القسم وقرأ ابن عباس وجماعة وإن منهم بالهاء على إرادة الكفار قال ع ولا شغب في هذه القراءة وقالت فرقة من الجمهور القارئين منكم المعنى قل لهم يا محمد فالخطاب بمنكم للكفرة وتأويل هؤلاء أيضا سهل التناول وقال الأكثر المخاطب العالم كله ولا بد من ورود الجميع ثم اختلفوا في كيفية ورود المؤمنين فقال ابن عباس وابن مسعود وخالد بن معدان وابن جريج وغيرهم هو ورود دخول لكنها لا تعدو عليهم ثم يخرجهم الله عز و جل منها بعد معرفتهم حقيقة ما نجوا منه وروى جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال

الورود في هذه الآية هو الدخول وقد أشفق كثير من العلماء من تحقق الورود مع الجهل بالصدر جعلنا الله تعالى من الناجين بفضله ورحمته وقالت فرقة بل هو ورود أشراف واطلاع وقرب كما تقول وردت الماء إذا جئته وليس ما يلزم ." (٢)

" أن تدخل فيه قالوا وحسب المؤمن بهذا هولا ومنه قوله تعالى ولما ورد ماء مدين وروت فرقة أثرا أن الله تعالى يجعل النار يوم القيامة جامدة الأعلى كأنها أهالة فيأتي الخلق كلهم برهم وفاجرهم فيقفون عليها ثم تسوخ بأهلها ويخرج المؤمنون الفائزون لم ينلهم ضر قالوا فهذا هو الورود قال المهدوي وعن قتادة قال يرد الناس جهنم وهي سوداء مظلمة فأما المؤمنون

(١) تفسير الثعالبي، ٤٣٢/١

(٢) تفسير الثعالبي، ١٦/٣

فأضاءت لهم حسناتهم فنجوا منها وأما الكفار فأوبقتهم سيئاتهم واحتبسوا بذنوبهم انتهى وروت حفصة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه و سلم قال

لا يدخل النار أحد من أهل بدر والحديبية قالت فقلت يا رسول الله وأين قول الله تعالى وإن **منكم إلا واردها** **فقال** صلى الله عليه و سلم فمه ثم ننجي الذين اتقوا ورجح الزجاج هذا القول بقوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ت وحديث حفصة هذا أخرجه مسلم وفيه

أفلم تسمعيه يقول ثم ننجي الذين اتقوا وروى ابن المبارك في رقائقه أنه لما نزلت هذه الآية وإن **منكم إلا واردها** **ذهب** ابن رواحة إلى بيته فبكى فجاءت امرأته فبكت وجاءت الخادم فبكت وجاء أهل البيت فجعلوا يبكون فلما انقضت عبرته قال يا أهلاه ما يبكيكم قالوا لا ندري ولكن رأيناك بكيت فبكينا فقال ءاية نزلت على رسول الله صلى الله عليه و سلم ينبئني فيها ربي إني وراد النار ولم ينبئني أني صادر عنها فذلك الذي أبكاني انتهى وقال ابن مسعود ورودهم هو جوازهم على الصراط وذلك أن الحديث الصحيح تضمن أن الصراط مضروب على متن جهنم والحتم الأمر المنفذ المجزوم والذين اتقوا معناه اتقوا الكفر ونذر دالة على أنهم كانوا فيها قال أبو عمر بن عبد البر في التمهيد بعد أن ذكر رواية جابر وابن مسعود في الورود وروي عن كعب أنه تلا وإن منكم إلا واردها فقال أتدرون ما ورودها أنه يجاء بجهنم فتمسك للناس كأنها متن أهالة يعني الودك الذي يجمد على القدر من المرقة حتى إذا استقرت عليها إقدام ." (١)

"تعبدون ؟ فيقولون نعبد الله وعزيرا فيقال لهم خذوا ذات الشمال ثم يؤتى بالنصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون نعبد الله والمسيح فيقال لهم خذوا ذات الشمال ثم يؤتى بالمشركين فيقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون ثم يقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون ثم يقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون فيقال لهم خذوا ذات الشمال .

قال أبو نضرة فينطلقون أسرع من الطير قال أبو العلاء ثم يؤتى بالمسلمين فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون كنا نعبد الله تعالى فيقال لهم هل تعرفونه إذا رأيتموه ؟ فيقولون نعم فيقال لهم فكيف تعرفونه ولم تروه ؟ فيقولون نعلم أنه لا عدل له قال فيتعرف لهم تبارك وتعالى وتقدس وينجي الله المؤمنين.

إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون (٣٥)

إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون

" إنا كذلك نفعل بالمجرمين إنهم كانوا " أي في الدار الدنيا " إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون " أي يستكبرون أن يقولوها كما يقولها المؤمنون .

قال ابن أبي حاتم حدثنا عبيد الله ابن أخي بن وهب حدثنا عمي حدثنا الليث عن ابن مسافر يعني عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل

---

(١) تفسير الثعالبي، ١٧/٣

" وأنزل الله تعالى في كتابه العزيز وذكر قوما استكبروا فقال تعالى " إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون " .
وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن سعيد الجريري عن أبي العلاء قال : يؤتى باليهود يوم القيامة فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون نعبد الله وعزيرا فيقال لهم خذوا ذات الشمال ثم يؤتى بالنصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون نعبد الله والمسيح فيقال لهم خذوا ذات الشمال ثم يؤتى بالمشركين فيقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون ثم يقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون ثم يقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون فيقال لهم خذوا ذات الشمال .
قال أبو نضرة فينطلقون أسرع من الطير قال أبو العلاء ثم يؤتى بالمسلمين فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون كنا نعبد الله تعالى فيقال لهم هل تعرفونه إذا رأيتموه ؟ فيقولون نعم فيقال لهم فكيف تعرفونه ولم تروه ؟ فيقولون نعلم أنه لا عدل له قال فيتعرف لهم تبارك وتعالى وتقدس وينجي الله المؤمنين.
ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون (٣٦)
ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون

أي أنحن نترك عبادة آلهتنا وآلهة آبائنا عن قول هذا الشاعر المجنون يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم .
بل جاء بالحق وصدق المرسلين (٣٧)
بل جاء بالحق وصدق المرسلين

قال الله تعالى تكذيبا لهم وردا عليهم " بل جاء بالحق " يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق في جميع شرعة الله تعالى له من الأخبار والطلب " وصدق المرسلين " أي صدقهم فيما أخبروا عنه من الصفات الحميدة والمناهج السديدة وأخبر عن الله تعالى في شرعه وأمره كما أخبروا " ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك" الآية .
إنكم لذائقو العذاب الأليم (٣٨)
إنكم لذائقو العذاب الأليم

يقول تعالى مخاطبا للناس " إنكم لذائقو العذاب الأليم وما تجزون إلا ما كنتم تعملون " ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين كما قال تعالى " والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات " وقال عز وجل " لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات " وقال تعالى " وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا " وقال تعالى "كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين " ولهذا قال جل وعلا ههنا " إلا عباد الله المخلصين " أي ليسوا يذوقون العذاب الأليم ولا يناقشون في الحساب بل يتجاوز عن سيئاتهم إن كان لهم سيئات ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة إلى ما يشاء الله تعالى من التضعيف.

وما تجزون إلا ما كنتم تعملون (٣٩)

وما تجزون إلا ما كنتم تعملون

يقول تعالى مخاطبا للناس " إنكم لذائقو العذاب الأليم وما تجزون إلا ما كنتم تعملون " ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين كما قال تعالى " والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات " وقال عز وجل " لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات " وقال تعالى " وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا " وقال تعالى "كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين " ولهذا قال جل وعلا ههنا " إلا عباد الله المخلصين " أي ليسوا يذوقون العذاب الأليم ولا يناقشون في الحساب بل

١٦@@@." (١)

"يتجاوز عن سيئاتهم إن كان لهم سيئات ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة إلى ما يشاء الله تعالى من التضعيف .

إلا عباد الله المخلصين (٤٠)

إلا عباد الله المخلصين

يقول تعالى مخاطبا للناس " إنكم لذائقو العذاب الأليم وما تجزون إلا ما كنتم تعملون " ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين كما قال تعالى " والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات " وقال عز وجل " لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات " وقال تعالى " وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا " وقال تعالى "كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين " ولهذا قال جل وعلا ههنا " إلا عباد الله المخلصين " أي ليسوا يذوقون العذاب الأليم ولا يناقشون في الحساب بل يتجاوز عن سيئاتهم إن كان لهم سيئات ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة إلى ما يشاء الله تعالى من التضعيف .

أولئك لهم رزق معلوم (٤١)

أولئك لهم رزق معلوم

قوله جل وعلا " أولئك لهم رزق معلوم " قال قتادة والسدي يعني الجنة ثم فسره بقوله تعالى " فواكه " أي متنوعة " وهم مكرمون " أي يخدمون ويرفهون وينعمون .

---

(١) تفسير ابن كثير – ط قرطبة، ١٢/١٥

فواكه وهم مكرمون (٤٢)
فواكه وهم مكرمون

قوله جل وعلا " أولئك لهم رزق معلوم " قال قتادة والسدي يعني الجنة ثم فسره بقوله تعالى " فواكه " أي متنوعة " وهم مكرمون " أي يخدمون ويرفهون وينعمون.

في جنات النعيم (٤٣)
في جنات النعيم

قال مجاهد لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض وقال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن عبدك القزويني حدثنا حسان بن حسان حدثنا إبراهيم بن بشر حدثنا يحيى بن معين حدثنا إبراهيم القرشي عن سعيد بن شرحبيل عن زيد بن أبي أوفى رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية " على سرر متقابلين " ينظر بعضهم إلى بعض " حديث غريب .

على سرر متقابلين (٤٤)
على سرر متقابلين

قال مجاهد لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض وقال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن عبدك القزويني حدثنا حسان بن حسان حدثنا إبراهيم بن بشر حدثنا يحيى بن معين حدثنا إبراهيم القرشي عن سعيد بن شرحبيل عن زيد بن أبي أوفى رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية " على سرر متقابلين " ينظر بعضهم إلى بعض " حديث غريب .

يطاف عليهم بكأس من معين (٤٥)
يطاف عليهم بكأس من معين

قوله تعالى " يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون "كما قال عز وجل في الآية الأخرى " يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون " نزه الله سبحانه وتعالى خمر الجنة عن الآفات التي في خمر الدنيا من صداع الرأس ووجع البطن وهو الغول وذهابها بالعقل جملة فقال تعالى ههنا " يطاف عليهم بكأس من معين " أي بخمر من أنهار جارية لا يخافون انقطاعها ولا فراغه
١٧@@@." (١)

---

(١) تفسير ابن كثير - ط قرطبة، ١٦/١٢

"تعبدون ؟ فيقولون نعبد الله وعزيرا فيقال لهم خذوا ذات الشمال ثم يؤتى بالنصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون نعبد الله والمسيح فيقال لهم خذوا ذات الشمال ثم يؤتى بالمشركين فيقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون ثم يقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون ثم يقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون فيقال لهم خذوا ذات الشمال .

قال أبو نضرة فينطلقون أسرع من الطير قال أبو العلاء ثم يؤتى بالمسلمين فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون كنا نعبد الله تعالى فيقال لهم هل تعرفونه إذا رأيتموه ؟ فيقولون نعم فيقال لهم فكيف تعرفونه ولم تروه ؟ فيقولون نعلم أنه لا عدل له قال فيتعرف لهم تبارك وتعالى وتقدس وينجي الله المؤمنين.

إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون (٣٥)

إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون

" إنا كذلك نفعل بالمجرمين إنهم كانوا " أي في الدار الدنيا " إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون " أي يستكبرون أن يقولوها كما يقولها المؤمنون .

قال ابن أبي حاتم حدثنا عبيد الله ابن أخي بن وهب حدثنا عمي حدثنا الليث عن ابن مسافر يعني عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل " وأنزل الله تعالى في كتابه العزيز وذكر قوما استكبروا فقال تعالى " إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون " .

وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن سعيد الجريري عن أبي العلاء قال : يؤتى باليهود يوم القيامة فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون نعبد الله وعزيرا فيقال لهم خذوا ذات الشمال ثم يؤتى بالنصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون نعبد الله والمسيح فيقال لهم خذوا ذات الشمال ثم يؤتى بالمشركين فيقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون ثم يقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون ثم يقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون فيقال لهم خذوا ذات الشمال .

قال أبو نضرة فينطلقون أسرع من الطير قال أبو العلاء ثم يؤتى بالمسلمين فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون كنا نعبد الله تعالى فيقال لهم هل تعرفونه إذا رأيتموه ؟ فيقولون نعم فيقال لهم فكيف تعرفونه ولم تروه ؟ فيقولون نعلم أنه لا عدل له قال فيتعرف لهم تبارك وتعالى وتقدس وينجي الله المؤمنين.

ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون (٣٦)

ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون

أي أنحن نترك عبادة آلهتنا وآلهة آبائنا عن قول هذا الشاعر المجنون يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بل جاء بالحق وصدق المرسلين (٣٧)

بل جاء بالحق وصدق المرسلين

قال الله تعالى تكذيبا لهم وردا عليهم " بل جاء بالحق " يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق في جميع شرعة الله تعالى له من الأخبار والطلب " وصدق المرسلين " أي صدقهم فيما أخبروا عنه من الصفات الحميدة والمناهج السديدة وأخبر عن الله تعالى في شرعه وأمره كما أخبروا " ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك" الآية .

إنكم لذائقو العذاب الأليم (٣٨)

إنكم لذائقو العذاب الأليم

يقول تعالى مخاطبا للناس " إنكم لذائقو العذاب الأليم وما تجزون إلا ما كنتم تعملون " ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين كما قال تعالى " والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات " وقال عز وجل " لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات " وقال تعالى " وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا " وقال تعالى "كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين " ولهذا قال جل وعلا ههنا " إلا عباد الله المخلصين " أي ليسوا يذوقون العذاب الأليم ولا يناقشون في الحساب بل يتجاوز عن سيئاتهم إن كان لهم سيئات ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة إلى ما يشاء الله تعالى من التضعيف.

وما تجزون إلا ما كنتم تعملون (٣٩)

وما تجزون إلا ما كنتم تعملون

يقول تعالى مخاطبا للناس " إنكم لذائقو العذاب الأليم وما تجزون إلا ما كنتم تعملون " ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين كما قال تعالى " والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات " وقال عز وجل " لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات " وقال تعالى " وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا " وقال تعالى "كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين " ولهذا قال جل وعلا ههنا " إلا عباد الله المخلصين " أي ليسوا يذوقون العذاب الأليم ولا يناقشون في الحساب بل

١٦@@@." [1]

"يتجاوز عن سيئاتهم إن كان لهم سيئات ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة إلى ما يشاء الله تعالى من التضعيف .

إلا عباد الله المخلصين (٤٠)

---

(١) تفسير ابن كثير – ط قرطبة، ١٢/٣٧٩

إلا عباد الله المخلصين

يقول تعالى مخاطبا للناس " إنكم لذائقو العذاب الأليم وما تجزون إلا ما كنتم تعملون " ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين كما قال تعالى " والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات " وقال عز وجل " لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات " وقال تعالى " وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا " وقال تعالى "كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين " ولهذا قال جل وعلا ههنا " إلا عباد الله المخلصين " أي ليسوا يذوقون العذاب الأليم ولا يناقشون في الحساب بل يتجاوز عن سيئاتهم إن كان لهم سيئات ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة إلى ما يشاء الله تعالى من التضعيف .

أولئك لهم رزق معلوم (٤١)

أولئك لهم رزق معلوم

قوله جل وعلا " أولئك لهم رزق معلوم " قال قتادة والسدي يعني الجنة ثم فسره بقوله تعالى " فواكه " أي متنوعة " وهم مكرمون " أي يخدمون ويرفهون وينعمون .

فواكه وهم مكرمون (٤٢)

فواكه وهم مكرمون

قوله جل وعلا " أولئك لهم رزق معلوم " قال قتادة والسدي يعني الجنة ثم فسره بقوله تعالى " فواكه " أي متنوعة " وهم مكرمون " أي يخدمون ويرفهون وينعمون.

في جنات النعيم (٤٣)

في جنات النعيم

قال مجاهد لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض وقال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن عبدك القزويني حدثنا حسان بن حسان حدثنا إبراهيم بن بشر حدثنا يحيى بن معين حدثنا إبراهيم القرشي عن سعيد بن شرحبيل عن زيد بن أبي أوفى رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية " على سرر متقابلين " ينظر بعضهم إلى بعض " حديث غريب .

على سرر متقابلين (٤٤)

على سرر متقابلين

قال مجاهد لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض وقال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن عبدك القزويني حدثنا حسان بن حسان حدثنا

إبراهيم بن بشر حدثنا يحيى بن معين حدثنا إبراهيم القرشي عن سعيد بن شرحبيل عن زيد بن أبي أوفى رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية " على سرر متقابلين " ينظر بعضهم إلى بعض " حديث غريب .

يطاف عليهم بكأس من معين (٤٥)

يطاف عليهم بكأس من معين

قوله تعالى " يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون "كما قال عز وجل في الآية الأخرى " يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون " نزه الله سبحانه وتعالى خمر الجنة عن الآفات التي في خمر الدنيا من صداع الرأس ووجع البطن وهو الغول وذهابها بالعقل جملة فقال تعالى ههنا " يطاف عليهم بكأس من معين " أي بخمر من أنهار جارية لا يخافون انقطاعها ولا فراغه

١٧@@@." [1]

"تعبدون ؟ فيقولون نعبد الله وعزيرا فيقال لهم خذوا ذات الشمال ثم يؤتى بالنصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون نعبد الله والمسيح فيقال لهم خذوا ذات الشمال ثم يؤتى بالمشركين فيقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون ثم يقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون ثم يقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون فيقال لهم خذوا ذات الشمال .

قال أبو نضرة فينطلقون أسرع من الطير قال أبو العلاء ثم يؤتى بالمسلمين فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون كنا نعبد الله تعالى فيقال لهم هل تعرفونه إذا رأيتموه ؟ فيقولون نعم فيقال لهم فكيف تعرفونه ولم تروه ؟ فيقولون نعلم أنه لا عدل له قال فيتعرف لهم تبارك وتعالى وتقدس وينجي الله المؤمنين.

إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون (٣٥)

إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون

" إنا كذلك نفعل بالمجرمين إنهم كانوا " أي في الدار الدنيا " إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون " أي يستكبرون أن يقولوها كما يقولها المؤمنون .

قال ابن أبي حاتم حدثنا عبيد الله ابن أخي بن وهب حدثنا عمي حدثنا الليث عن ابن مسافر يعني عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل " وأنزل الله تعالى في كتابه العزيز وذكر قوما استكبروا فقال تعالى " إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون " .

وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن سعيد الجريري عن أبي العلاء قال

---

(١) تفسير ابن كثير – ط قرطبة، ١٢/٣٨٠

: يؤتى باليهود يوم القيامة فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون نعبد الله وعزيرا فيقال لهم خذوا ذات الشمال ثم يؤتى بالنصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون نعبد الله والمسيح فيقال لهم خذوا ذات الشمال ثم يؤتى بالمشركين فيقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون ثم يقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون ثم يقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون فيقال لهم خذوا ذات الشمال .

قال أبو نضرة فينطلقون أسرع من الطير قال أبو العلاء ثم يؤتى بالمسلمين فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون كنا نعبد الله تعالى فيقال لهم هل تعرفونه إذا رأيتموه ؟ فيقولون نعم فيقال لهم فكيف تعرفونه ولم تروه ؟ فيقولون نعلم أنه لا عدل له قال فيتعرف لهم تبارك وتعالى وتقدس وينجي الله المؤمنين.

ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون (٣٦)

ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون

أي أنحن نترك عبادة آلهتنا وآلهة آبائنا عن قول هذا الشاعر المجنون يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بل جاء بالحق وصدق المرسلين (٣٧)

بل جاء بالحق وصدق المرسلين

قال الله تعالى تكذيبا لهم وردا عليهم " بل جاء بالحق " يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق في جميع شرعة الله تعالى له من الأخبار والطلب " وصدق المرسلين " أي صدقهم فيما أخبروا عنه من الصفات الحميدة والمناهج السديدة وأخبر عن الله تعالى في شرعه وأمره كما أخبروا " ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك" الآية .

إنكم لذائقو العذاب الأليم (٣٨)

إنكم لذائقو العذاب الأليم

يقول تعالى مخاطبا للناس " إنكم لذائقو العذاب الأليم وما تجزون إلا ما كنتم تعملون " ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين كما قال تعالى " والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات " وقال عز وجل " لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات " وقال تعالى " وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا " وقال تعالى "كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين " ولهذا قال جل وعلا ههنا " إلا عباد الله المخلصين " أي ليسوا يذوقون العذاب الأليم ولا يناقشون في الحساب بل يتجاوز عن سيئاتهم إن كان لهم سيئات ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة إلى ما يشاء الله تعالى من التضعيف.

وما تجزون إلا ما كنتم تعملون (٣٩)

وما تجزون إلا ما كنتم تعملون

يقول تعالى مخاطبا للناس " إنكم لذائقو العذاب الأليم وما تجزون إلا ما كنتم تعملون " ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين كما قال تعالى " والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات " وقال عز وجل " لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات " وقال تعالى " وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا " وقال تعالى "كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين " ولهذا قال جل وعلا ههنا " إلا عباد الله المخلصين " أي ليسوا يذوقون العذاب الأليم ولا يناقشون في الحساب بل

١٦@@@." (١)

"يتجاوز عن سيئاتهم إن كان لهم سيئات ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة إلى ما يشاء الله تعالى من التضعيف .

إلا عباد الله المخلصين (٤٠)

إلا عباد الله المخلصين

يقول تعالى مخاطبا للناس " إنكم لذائقو العذاب الأليم وما تجزون إلا ما كنتم تعملون " ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين كما قال تعالى " والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات " وقال عز وجل " لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات " وقال تعالى " وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا " وقال تعالى "كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين " ولهذا قال جل وعلا ههنا " إلا عباد الله المخلصين " أي ليسوا يذوقون العذاب الأليم ولا يناقشون في الحساب بل يتجاوز عن سيئاتهم إن كان لهم سيئات ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة إلى ما يشاء الله تعالى من التضعيف .

أولئك لهم رزق معلوم (٤١)

أولئك لهم رزق معلوم

قوله جل وعلا " أولئك لهم رزق معلوم " قال قتادة والسدي يعني الجنة ثم فسره بقوله تعالى " فواكه " أي متنوعة " وهم مكرمون " أي يخدمون ويرفهون وينعمون .

فواكه وهم مكرمون (٤٢)

فواكه وهم مكرمون

---

(١) تفسير ابن كثير – ط قرطبة، ٧٤٨/١٢

قوله جل وعلا " أولئك لهم رزق معلوم " قال قتادة والسدي يعني الجنة ثم فسره بقوله تعالى " فواكه " أي متنوعة " وهم مكرمون " أي يخدمون ويرفهون وينعمون.

في جنات النعيم (٤٣)

في جنات النعيم

قال مجاهد لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض وقال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن عبدك القزويني حدثنا حسان بن حسان حدثنا إبراهيم بن بشر حدثنا يحيى بن معين حدثنا إبراهيم القرشي عن سعيد بن شرحبيل عن زيد بن أبي أوفى رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية " على سرر متقابلين " ينظر بعضهم إلى بعض " حديث غريب .

على سرر متقابلين (٤٤)

على سرر متقابلين

قال مجاهد لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض وقال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن عبدك القزويني حدثنا حسان بن حسان حدثنا إبراهيم بن بشر حدثنا يحيى بن معين حدثنا إبراهيم القرشي عن سعيد بن شرحبيل عن زيد بن أبي أوفى رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية " على سرر متقابلين " ينظر بعضهم إلى بعض " حديث غريب .

يطاف عليهم بكأس من معين (٤٥)

يطاف عليهم بكأس من معين

قوله تعالى " يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون "كما قال عز وجل في الآية الأخرى " يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون " نزه الله سبحانه وتعالى خمر الجنة عن الآفات التي في خمر الدنيا من صداع الرأس ووجع البطن وهو الغول وذهابها بالعقل جملة فقال تعالى ههنا " يطاف عليهم بكأس من معين " أي بخمر من أنهار جارية لا يخافون انقطاعها ولا فراغه

١٧@@@." (١)

"الروايتين : عن أبي علي البجيني.

" حديث آخر " قال الترمذي : حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا بشر بن عمار وحدثنا شعيب بن زريق أبو شيبة عن عطاء الخراساني عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله " .

---

(١) تفسير ابن كثير – ط قرطبة، ٧٤٩/١٢

ثم قال : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شعيب بن زريق قال : وفي الباب عن عثمان وأبي ريحانة " قلت " وقد تقدما ولله الحمد والمنة .

" حديث آخر " قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن غيلان حدثنا رشدين عن زياد عن سهل بن معاذ عن أبيه معاذ بن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من حرس من وراء المسلمين متطوعا لا بأجرة سلطان لم ير النار بعينه إلا تحلة القسم فإن الله يقول : وإن **منكم إلا واردها** " .

تفرد به أحمد رحمه الله .

٣٢٨@@@. " (١)

"الخبر والمراد أنه تعالى أعلم بمن يستحق من العباد أن يصلى بنار جهنم ويخلد فيها وبمن يستحق تضعيف العذاب كما قال في الآية المتقدمة " قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون " .

وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا (٧١)

وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا

قال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن حرب حدثنا خالد بن سليمان عن كثير بن زياد البرساني عن أبي سمية قال اختلفنا في الورود فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن وقال بعضهم يدخلونها جميعا ثم ينجي الله الذين اتقوا فلقيت جابر بن عبد الله فقلت له إنا اختلفنا في الورود فقال يردونها جميعا وقال سليمان بن مرة يدخلونها جميعا وأهوى بأصبعيه إلى أذنيه وقال صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار ضجيجا من بردهم ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا " غريب ولم يخرجوه وقال الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن معاوية عن بكار بن أبي مروان عن خالد بن معدان قال : قال أهل الجنة بعدما دخلوا الجنة ألم يعدنا ربنا الورود على النار ؟ قال قد مررتم عليها وهي خامدة وقال عبد الرزاق عن ابن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال كان عبد الله بن رواحة واضعا رأسه في حجر امرأته فبكى فبكت امرأته قال ما يبكيك ؟ قالت رأيتك تبكي فبكيت قال إني ذكرت قول الله عز وجل " وإن **منكم إلا واردها** " فلا أدري أنجو منها أم لا – وفي رواية – وكان مريضا

٢٨٠@@@. " (٢)

"وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن يمان عن مالك بن مغول عن أبي إسحاق كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه قال يا ليت أمي لم تلدني ثم يبكي فقيل له ما يبكيك يا أبا ميسرة ؟ فقال أخبرنا أنا واردوها ولم نخبر أنا صادرون عنها وقال عبد الله بن المبارك عن الحسن البصري قال : قال رجل لأخيه هل أتاك أنك وارد النار قال نعم قال فهل أتاك

---

(١) تفسير ابن كثير – ط قرطبة، ٣٢٧/٣

(٢) تفسير ابن كثير – ط قرطبة، ٢٧٩/٩

أنك صادر عنها ؟ قال لا قال ففيم الضحك ؟ قال فما رئي ضاحكا حتى لحق بالله وقال عبد الرزاق أيضا أخبرنا ابن عيينة عن عمرو أخبرني من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الأزرق فقال ابن عباس الورود الدخول فقال نافع لا فقرأ ابن عباس " إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون " وردوا أم لا وقال " يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار " أوردها أم لا أما أنا وأنت فسندخلها فانظر هل نخرج منها أو لا وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك فضحك نافع .

وروى ابن جريج عن عطاء قال قال أبو راشد الحروري وهو نافع بن الأزرق " لا يسمعون حسيسها " فقال ابن عباس ويلك أمجنون أنت أين قوله : " يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار " " ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا " " وإن منكم إلا واردها " والله إن كان دعاء من مضى : اللهم أخرجني من النار سالما وأدخلني الجنة غانما وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد المحاربي حدثنا أسباط عن عبد الملك عن عبيد الله عن مجاهد قال كنت عند ابن عباس فأتاه رجل يقال له

٢٨١@@@." (١)

"أبو راشد وهو نافع بن الأزرق فقال له يا ابن عباس أرأيت قول الله " وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا " قال أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها فانظر هل نصدر عنها أم لا .

وقال أبو داود الطيالسي قال شعبة أخبرني عبد الله بن السائب عمن سمع ابن عباس يقرؤها " وإن منهم إلا واردها " يعني الكفار وهكذا روى عمرو بن الوليد البستي أنه سمع عكرمة يقرؤها كذلك " وإن منهم إلا واردها " قال وهم الظلمة كذلك كنا نقرؤها رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقال العوفي عن ابن عباس قوله " وإن منكم إلا واردها " يعني البر والفاجر ألا تسمع إلى قول الله لفرعون " يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار " الآية " ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا " فسمى الورود على النار دخولا وليس بصادر .

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن إسرائيل عن السدي عن مرة عن عبد الله هو ابن مسعود " وإن منكم إلا واردها " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يرد الناس كلهم ثم يصدرون عنها بأعمالهم " ورواه الترمذي عن عبد بن حميد عن عبيد الله عن إسرائيل عن السدي به ورواه من طريق شعبة عن السدي عن مرة عن ابن مسعود مرفوعا هكذا وقع هذا الحديث هاهنا مرفوعا وقد رواه أسباط عن السدي عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال : يرد الناس جميعا الصراط وورودهم قيامهم حول النار ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم فمنهم من يمر مثل البرق ومنهم من يمر مثل الريح

٢٨٣@@@." (٢)

"ومنهم من يمر مثل الطير ومنهم من يمر كأجود الخيل ومنهم من يمر كأجود الإبل ومنهم من يمر كعدو الرجل حتى إن آخرهم مرا رجل نوره على موضع إبهامي قدميه يمر فيتكفأ به الصراط والصراط دحض مزلة عليه حسك كحسك القتاد حافتاه ملائكة معهم كلاليب من النار يختطفون بها الناس وذكر تمام الحديث رواه ابن أبي حاتم .

---

(١) تفسير ابن كثير - ط قرطبة، ٩/٢٨٠

(٢) تفسير ابن كثير - ط قرطبة، ٩/٢٨١

وقال ابن جرير حدثنا خلاد بن أسلم حدثنا النضر حدثنا إسرائيل أخبرنا أبو إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قوله " وإن **منكم إلا واردها** " قال الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطبقة الأولى كالبرق والثانية كالريح والثالثة كأجود الخيل والرابعة كأجود البهائم ثم يمرون والملائكة يقولون اللهم سلم سلم ولهذا شواهد في الصحيحين وغيرهما من رواية أنس وأبي سعيد وأبي هريرة وجابر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم .

٢٨٣@@@." (١)

"وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن الجريري عن أبي السليك عن غنيم بن قيس قال ذكروا ورود النار فقال كعب : تمسك النار الناس كأنها متن إهالة حتى يستوي عليها أقدام الخلائق برهم وفاجرهم ثم يناديها مناد أن أمسكي أصحابك ودعي أصحابي قال فتخسف بكل ولي لها هي أعلم بهم من الرجل بولده ويخرج المؤمنون ندية ثيابهم قال كعب ما بين منكبي الخازن من خزنتها مسيرة سنة مع كل واحد منهم عمود ذو شعبتين يدفع به الدفع فيصرع به في النار سبعمائة ألف وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر عن حفصة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إني لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد شهد بدرا والحديبية " قالت فقلت أليس الله يقول " وإن **منكم إلا واردها** " قالت : فسمعته يقول " ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا " وقال أحمد أيضا حدثنا ابن إدريس حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر امرأة زيد بن حارثة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة فقال : " لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية " قالت حفصة أليس الله يقول " وإن **منكم إلا واردها** " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ثم ننجي الذين اتقوا " الآية وفي الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه

٢٨٤@@@." (٢)

"قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد تمسه النار إلا تحلة القسم " .

وقال عبد الرزاق قال معمر أخبرني الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من مات له ثلاثة لم تمسه النار إلا تحلة القسم " يعني الورود وقال أبو داود الطيالسي حدثنا زمعة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم " قال الزهري كأنه يريد هذه الآية " وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا " وقال ابن جرير حدثني عمران بن بكار الكلاعي حدثنا أبو المغيرة حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن تميم حدثنا إسماعيل بن عبيد الله عن أبي صالح عن أبي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود رجلا من أصحابه وعك وأنا معه ثم قال " إن الله تعالى يقول هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من النار في الآخرة " غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه وحدثنا أبو كريب

---

(١) تفسير ابن كثير – ط قرطبة، ٢٨٢/٩

(٢) تفسير ابن كثير – ط قرطبة، ٢٨٣/٩

حدثنا أبو اليمان عن عثمان بن الأسود عن مجاهد قال الحمى حظ كل مؤمن من النار ثم قرأ " وإن **منكم إلا واردها** " وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان بن فائد

@@@٢٨٥." (١)

"عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من قرأ قل هو الله أحد حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصرا في الجنة " فقال عمر إذا نستكثر يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الله أكثر وأطيب " وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من قرأ ألف آية في سبيل الله كتب يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا إن شاء الله ومن حرس من وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا لا بأجر سلطان لم ير النار بعينيه إلا تحلة القسم " قال الله تعالى : " وإن **منكم إلا واردها** " وإن الذكر في سبيل الله يضاعف فوق النفقة بسبعمائة ضعف وفي رواية بسبعمائة ألف ضعف

@@@٢٨٦." (٢)

"وروى أبو داود عن أبي الطاهر عن ابن وهب وعن يحيي بن أيوب كلاهما عن زبان عن سهل عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الصلاة علي والصيام والذكر يضاعف على النفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف " وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قوله " وإن **منكم إلا واردها** " قال هو الممر عليها .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله " وإن **منكم إلا واردها** " قال ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرانيها وورود المشركين أن يدخلوها وقال النبي صلى الله عليه وسلم " الزالون والزالات يومئذ كثير وقد أحاط بالجسر يومئذ سماطان من الملائكة دعاؤهم يا الله سلم سلم " وقال السدي عن مرة عن ابن مسعود في قوله "كان على ربك حتما

@@@٢٨٧." (٣)

"(حديث آخر) - قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن غيلان، حدثنا رشدين عن زبان، عن سهل بن معاذ، عن أبيه معاذ بن رضي الله عنه أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من حرس من وراء المسلمين متطوعا لا بأجرة سلطان، لم ير النار بعينيه إلا تحلة القسم، فإن الله يقول ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ " تفرد به أحمد رحمه الله.

(حديث آخر) - روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة، أن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه، مغبرة قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع" . فهذا آخر ما تيسر إيراده من الأحاديث المتعلقة بهذا المقام، ولله الحمد على جزيل الإنعام، على تعاقب الأعوام والأيام. وقال ابن جرير: حدثني المثنى، حدثنا مطرف بن عبد الله المدني،

---

(١) تفسير ابن كثير - ط قرطبة، ٢٨٤/٩

(٢) تفسير ابن كثير - ط قرطبة، ٢٨٥/٩

(٣) تفسير ابن كثير - ط قرطبة، ٢٨٦/٩

حدثنا مالك عن زيد بن أسلم قال: كتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب يذكر له جموعا من الروم وما يتخوف منهم، فكتب إليه عمر: أما بعد، فإنه مهما ينزل بعبد مؤمن من منزلة شدة يجعل الله بعدها فرجا، وإنه لن يغلب عسر يسرين، وإن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ وهكذا روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن المبارك من طريق محمد بن إبراهيم بن أبي سكينة، قال: أملى علي عبد الله بن المبارك هذه الأبيات بطرسوس، وودعته للخروج، وأنشدها معي إلى الفضيل بن عياض في سنة سبعين ومائة، وفي رواية سنة سبع وسبعين ومائة.

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنك في العبادة تلعب

من كان يخضب خده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضب

أو كان يتعب خيله في باطل ... فخيولنا يوم الصبيحة تتعب

ريح العبير لكم ونحن عبيرنا ... وهج السنابك والغبار الأطيب

ولقد أتانا من مقال نبينا ... قول صحيح صادق لا يكذب

لا يستوي وغبار خيل الله في ... أنف امريء ودخان نار تلهب

هذا كتاب الله ينطق بيننا ... ليس الشهيد بميت لا يكذب

قال: فلقيت الفضيل بن عياض بكتابه في المسجد الحرام، فلما قرأه ذرفت عيناه وقال: صدق أبو عبد الرحمن ونصحني، ثم قال: أنت ممن يكتب الحديث ؟ قال: قلت: نعم، قال فاكتب هذا الحديث كراء حملك كتاب أبي عبد الرحمن إلينا وأملى علي الفضيل بن عياض: حدثنا منصور بن المعتمر عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رجلا قال: يا رسول الله، علمني عملا أنال به ثواب المجاهدين في سبيل الله، فقال "هل تستطيع أن تصلي فلا تفتر، وتصوم فلا تفطر ؟" فقال: يا رسول الله، أنا أضعف من أن أستطيع ذلك، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: "فو الذي نفسي بيده لو طوقت ذلك ما بلغت المجاهدين في سبيل الله، أو ما علمت أن الفرس المجاهد ليستن في طوله، فيكتب له بذلك الحسنات" وقوله تعالى: ﴿واتقوا الله﴾ أي في جميع أموركم وأحوالكم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: "اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن " ﴿لعلكم تفلحون﴾ أي في الدنيا والآخرة – وقال ابن جرير: حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أنبأنا أبو صخر عن محمد بن كعب القرظي." (١)

"﴿ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا أولا يذكر إلإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا﴾

يخبر تعالى عن الإنسان أنه يتعجب ويستبعد إعادته بعد موته، كما قال تعالى: ﴿وإن تعجب فعجب قولهم أإذا كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد﴾ وقال: ﴿أولم ير الأنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال

---

(١) تفسير ابن كثير / دار الفكر، ١/٥٥١

من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾ وقال ههنا: ﴿ويقول الأنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا أولا يذكر الأنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا﴾ يستدل تعالى بالبداءة على الإعادة، يعني أنه تعالى قد خلق الإنسان ولم يك شيئا، أفلا يعيده وقد صار شيئا، كما قال تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ وفي الصحيح "يقول الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له أن يكذبني، وآذاني ابن آدم ولم يكن له أن يؤذيني، أما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من آخره، وأما أذاه إياي فقوله إن لي ولدا وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد".

وقوله: ﴿فوربك لنحشرنهم والشياطين﴾ أقسم الرب تبارك وتعالى بنفسه الكريمة أنه لا بد أن يحشرهم جميعا وشياطينهم الذين كانوا يعبدون من دون الله ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا﴾ قال العوفي عن ابن عباس: يعني قعودا كقوله: ﴿وترى كل أمة جاثية﴾ وقال السدي في قوله جثيا: يعني قياما، وروي عن مرة عن ابن مسعود مثله. وقوله: ﴿ثم لننزعن من كل شيعة﴾ يعني من كل أمة، قال مجاهد ﴿أيهم أشد على الرحمن عتيا﴾ قال الثوري عن علي بن الأقمر عن أبي الأحوص عن ابن مسعود قال: يحبس الأول على الآخر حتى إذا تكاملت العدة أتاهم جميعا، ثم بدأ بالأكابر فالأكابر جرما، وهو قوله: ﴿ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا﴾.

وقال قتادة: ﴿ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا﴾ قال: ثم لننزعن من أهل كل دين قادتهم ورؤساءهم في الشر، وكذا قال ابن جريج وغير واحد من السلف، وهذا كقوله تعالى: ﴿حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار – إلى قوله – بما كنتم تكسبون﴾ وقوله: ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا﴾ ثم ههنا لعطف الخبر على الخبر، والمراد أنه تعالى أعلم بمن يستحق من العباد أن يصلى بنار جهنم ويخلد فيها، وبمن يستحق تضعيف العذاب، كما قال في الآية المتقدمة ﴿قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون﴾.

﴿وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾

قال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا غالب بن سليمان عن كثير بن زياد البرساني عن أبي سمية قال: اختلفنا في الورود فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضهم: يدخلونها جميعا، ثم ينجي الله الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبد الله فقلت له: إنا اختلفنا في الورود، فقال: يردونها جميعا، وقال سليمان بن مرة: يدخلونها جميعا، وأهوى بأصبعيه إلى أذنيه، وقال: صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت النار على إبراهيم حتى إن للنار ضجيجا من بردهم،." (١)

"ثم ﴿ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا﴾" غريب ولم يخرجوه.

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا مروان بن معاوية عن بكار بن أبي مروان عن خالد بن معدان قال: قال أهل الجنة بعد ما دخلوا الجنة: ألم يعدنا ربنا الورود على النار ؟ قال: قد مررتم عليها وهي خامدة، وقال عبد الرزاق عن ابن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: كان عبد الله بن رواحة واضعا رأسه في حجر امرأته، فبكى فبكت امرأته، فقال:

---

(١) تفسير ابن كثير / دار الفكر، ١٦١/٣

ما يبكيك ؟ قالت رأيتك تبكي فبكيت، قال: إني ذكرت قول الله عز وجل ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ فلا أدري أأنجو منها أم لا – وفي رواية، وكان مريضا.

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن يمان عن مالك بن مغول عن أبي إسحاق كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه قال: ياليت أمي لم تلدني، ثم يبكي، فقيل له: ما يبكيك يا أبا ميسرة ؟ قال: أخبرنا أنا واردوها ولم نخبر أنا صادرون عنها، وقال عبد الله بن المبارك عن الحسن البصري قال: قال رجل لأخيه: هل أتاك أنك وارد النار ؟ قال: نعم، قال: فهل أتاك أنك صادر عنها ؟ قال: لا، قال: ففيم الضحك ؟ قال: فما رئي ضاحكا حتى لحق بالله. وقال عبد الرزاق أيضا: أخبرنا ابن عيينة عن عمرو، أخبرني من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الأزرق فقال ابن عباس: الورود الدخول، فقال نافع: لا، فقرأ ابن عباس ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾ وردوا أم لا، وقال: ﴿يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار﴾ أوردها أم لا، أما أنا وأنت فسندخلها. فانظر هل نخرج منها أم لا ؟ وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك، فضحك نافع.

وروى ابن جريج عن عطاء قال: قال أبو راشد الحروري وهو نافع بن الأزرق ﴿لا يسمعون حسيسها﴾ فقال ابن عباس: ويلك، أمجنون أنت ؟ أين قوله: ﴿يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار﴾ ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا﴾ ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ والله إن كان دعاء من مضى: اللهم أخرجني من النار سالما، وأدخلني الجنة غانما. وقال ابن جرير: حدثني محمد بن عبيد المحاربي، حدثنا أسباط عن عبد الملك عن عبيد الله عن مجاهد قال: كنت عند ابن عباس فأتاه رجل يقال له أبو راشد وهو نافع بن الأزرق، فقال له: يا ابن عباس أرأيت قول الله: ﴿وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا﴾ ؟ قال: أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها، فانظر هل نصدر عنها أم لا ؟

وقال أبو داود الطيالسي: قال شعبة: أخبرني عبد الله بن السائب عمن سمع ابن عباس يقرؤها ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ يعني الكفار، وهكذا روى عمر بن الوليد الشني أنه سمع عكرمة يقرؤها كذلك ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قال وهم الظلمة كذلك كنا نقرؤها، رواه ابن أبي حاتم وابن جرير، وقال العوفي عن ابن عباس: قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ يعني البر والفاجر، ألا تسمع إلى قول الله لفرعون: ﴿يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار﴾ الآية، ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا﴾ فسمى الورود على النار دخولا وليس بصادر.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن عن إسرائيل عن السدي، عن مرة عن عبد الله هو ابن مسعود ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يرد الناس كلهم ثم يصدرون عنها بأعمالهم" ورواه الترمذي عن عبد بن حميد عن عبيد الله عن إسرائيل عن السدي به. ورواه من طريق شعبة عن السدي عن مرة عن ابن مسعود موقوفا، هكذا وقع هذا الحديث ههنا مرفوعا. وقد رواه أسباط عن السدي عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال: يرد الناس جميعا الصراط، وورودهم قيامهم حول النار، ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم، فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل الريح، ومنهم

من يمر مثل الطير، ومنهم من يمر كأجود الخيل، ومنهم من يمر كأجود الإبل، ومنهم من يمر كعدو الرجل حتى إن آخرهم مرا رجل نوره على موضع إبهامي قدميه، يمر." (١)

"فيتكفأ به الصراط، والصراط دحض مزلة عليه حسك كحسك القتاد، حافتاه ملائكة معهم كلاليب من نار يختطفون بها الناس. وذكر تمام الحديث رواه ابن أبي حاتم.

وقال ابن جرير: حدثنا خلاد بن أسلم، حدثنا النضر، حدثنا إسرائيل، أخبرنا أبو إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قال: الصراط على جهنم مثل حد السيف، فتمر الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم. ثم يمرون والملائكة يقولون: اللهم سلم سلم، ولهذا شواهد في الصحيحين وغيرهما من رواية أنس وأبي سعيد وأبي هريرة وجابر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم. وقال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا ابن علية عن الجريري عن أبي السليل عن غنيم بن قيس قال: ذكروا ورود النار، فقال كعب: تمسك النار الناس كأنها متن إهالة حتى يستوي عليها أقدام الخلائق: برهم وفاجرهم، ثم يناديها مناد: أن أمسكي أصحابك ودعي أصحابي، قال فتخسف بكل ولي لها، وهي أعلم بهم من الرجل بولده، ويخرج المؤمنون ندية ثيابهم. قال كعب: ما بين منكبي الخازن من خزنتها مسيرة سنة، مع كل واحد منهم عمود ذو شعبتين، يدفع به الدفع فيصرع به في النار سبعمائة ألف.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر، عن أم مبشر عن حفصة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد شهد بدرا والحديبية" قالت: فقلت أليس الله يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قالت: فسمعته يقول ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾. وقال أحمد أيضا: حدثنا ابن إدريس، حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر، عن أم مبشر امرأة زيد بن حارثة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة فقال: "لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية" قالت حفصة: أليس الله يقول ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ الآية، وفي الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد تمسه النار إلا تحلة القسم".

وقال عبد الرزاق قال معمر أخبرني الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من مات له ثلاثة لم تمسه النار إلا تحلة القسم" يعني الورود، وقال أبو داود الطيالسي حدثنا زمعة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم" قال الزهري كأنه يريد هذه الآية ﴿وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا﴾. وقال ابن جرير حدثني عمران بن بكار الكلاعي حدثنا أبو المغيرة حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن تميم حدثنا إسماعيل بن عبيد الله عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود رجلا من أصحابه وعك وأنا معه ثم قال: "إن الله تعالى يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من النار في الآخرة" غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه.

---

(١) تفسير ابن كثير / دار الفكر، ١٦٢/٣

وحدثنا أبو كريب، حدثنا ابن يمان عن عثمان بن الأسود عن مجاهد قال: الحمى حظ كل مؤمن من النار ثم قرأ ﴿وإن منكم إلا واردها﴾. وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا زبان بن فائد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قرأ قل هو الله أحد حتى يختمها عشر مرات، بنى الله له قصرا في الجنة" فقال عمر: إذا نستكثر يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الله أكثر وأطيب" وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ ألف آية في سبيل الله كتب يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا إن شاء الله، ومن حرس من وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا لا بأجر سلطان لم ير النار." (١)

"بعينيه إلا تحلة القسم". قال تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ وإن الذكر في سبيل الله يضاعف فوق النفقة بسبعمائة ضعف. وفي رواية بسبعمائة ألف ضعف.

وروى أبو داود عن أبي الطاهر عن ابن وهب عن يحيى بن أيوب، كلاهما عن زبان عن سهل عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الصلاة والصيام والذكر يضاعف على النفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف" وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قال: هو الممر عليها. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قال: ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرانيها وورود المشركين أن يدخلوها، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الزالون والزالات يومئذ كثير وقد أحاط بالجسر يومئذ سماطان من الملائكة دعاؤهم يا ألله سلم سلم" وقال السدي عن مرة عن ابن مسعود في قوله ﴿كان على ربك حتما مقضيا﴾ قال: قسما واجبا. وقال مجاهد: حتما، قال قضاء، وكذا قال ابن جريج.

وقوله: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ أي إذا مر الخلائق كلهم على النار وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة ذوي المعاصي بحسبهم، نجى الله تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم، فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا، ثم يشفعون في أصحاب الكبائر من المؤمنين، فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون فيخرجون خلقا كثيرا قد أكلتهم النار إلا دارات وجوههم وهي مواضع السجود، وإخراجهم إياهم من النار بحسب ما في قلوبهم من الإيمان، فيخرجون أولا من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، حتى يخرجون من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان، ثم يخرج الله من النار من قال يوما من الدهر: لا إله إلا الله وإن لم يعمل خيرا قط، ولا يبقى في النار إلا من وجب عليه الخلود كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال تعالى: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾.

﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورءيا﴾

يخبر تعالى عن الكفار حين تتلى عليهم آيات الله ظاهرة الدلالة بينة الحجة واضحة البرهان أنهم يصدون ويعرضون عن ذلك ويقولون عن الذين آمنوا مفتخرين عليهم ومحتجين على صحة ما هم عليه من الدين الباطل بأنهم ﴿خير مقاما وأحسن

(١) تفسير ابن كثير / دار الفكر، ١٦٣/٣

ندياﱠ أي أحسن منازل وأرفع دورا وأحسن نديا وهو مجتمع الرجال للحديث أي ناديهم أعمر وأكثر واردا وطارقا يعنون فكيف نكون ونحن بهذه المثابة على باطل وأولئك الذين هم مختفون مستترون في دار الأرقم بن أبي الأرقم ونحوها من الدور على الحق كما قال تعالى مخبرا عنهم: ﱡوقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليهﱠ وقال قوم نوح: ﱡأنؤمن لك واتبعك الأرذلونﱠ وقال تعالى: ﱡوكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرينﱠ ولهذا قال تعالى رادا على شبهتهم ﱡوكم أهلكنا قبلهم من قرنﱠ أي وكم من أمة وقرن من المكذبين قد أهلكناهم بكفرهم ﱡهم أحسن أثاثا ورءياﱠ أي كانوا أحسن من هؤلاء أموالا ومناظر وأشكالا وأمتعة قال الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس ﱡخير مقاما وأحسن ندياﱠ قال المقام المنزل والندي المجلس والأثاث المتاع والرئي المنظر، وقال العوفي عن ابن عباس المقام المسكن والندي المجلس والنعمة والبهجة التي كانوا فيها وهو كما قال الله لقوم فرعون حين أهلكهم وقص شأنهم في القرآن: ﱡكم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريمﱠ فالمقام المسكن والنعيم، والندي المجلس والمجمع." (١)

"يقول تعالى مخاطبا للناس: ﱡ إنكم لذآئقو العذاب الأليم وما تجزون إلا ما كنتم تعملون ﱠ ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين كما قال تعالى: ﱡ والعصر إن الأنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﱠ وقال عز وجل: ﱡ لقد خلقنا الأنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﱠ وقال تعالى: ﱡ وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﱠ وقال تعالى: ﱡكل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين ﱠ ولهذا قال جل وعلا ههنا ﱡ إلا عباد الله المخلصين ﱠ أي ليسوا يذوقون العذاب الأليم ولا يناقشون في الحساب بل يتجاوز عن سيئاتهم إن كان لهم سيئات ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة إلى ما شاء الله تعالى من التضعيف. وقوله جل وعلا: ﱡ أولئك لهم رزق معلوم ﱠ قال قتادة والسدي يعني الجنة ثم فسره بقوله تعالى: ﱡ فواكه ﱠ أي متنوعة ﱡ وهم مكرمون ﱠ أي يخدمون ويرفهون وينعمون ﱡ في جنات النعيم على سرر متقابلين ﱠ قال مجاهد لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض. وقال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن عبدك القزويني حدثنا حسان بن حسان حدثنا إبراهيم بن بشر حدثنا يحيى بن معين حدثنا إبراهيم القرشي عن سعيد بن شرحبيل عن زيد بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية ﱡ على سرر متقابلين ﱠ ينظر بعضهم إلى بعض حديث غريب. وقوله تعالى: ﱡ يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون ﱠ كما قال عز وجل في الآية الأخرى ﱡ يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون ﱠ نزه الله سبحانه وتعالى خمر الجنة عن الآفات التي في خمر الدنيا من صداع الرأس ووجع البطن وهو الغول وذهابها بالعقل جملة فقال تعالى ههنا: ﱡ يطاف عليهم بكأس من معينﱠ أي بخمر من أنهار جارية لا يخافون انقطاعها ولا فراغها قال مالك عن زيد بن أسلم: خمر جارية بيضاء أي لونها مشرق حسن بهي لا كخمر الدنيا في منظرها البشع الرديء من حمرة أو سواد أو اصفرار أو كدورة إلى غير ذلك مما ينفر الطبع السليم. وقوله عز وجل: ﱡ لذة للشاربين

(١) تفسير ابن كثير / دار الفكر، ١٦٤/٣

﴾ أي طعمها طيب كلونها وطيب الطعم دليل على طيب الريح بخلاف خمر الدنيا في جميع ذلك وقوله تعالى: ﴿ لا فيها غول ﴾ يعني لا تؤثر فيها غولا وهو وجع البطن قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة وابن زيد كما تفعله خمر الدنيا من القولنج ونحوه لكثرة مائيتها، وقيل المراد بالغول ههنا صداع الرأس وروي هكذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال قتادة هو صداع الرأس ووجع البطن وعنه وعن السدي لا تغتال عقولهم كما قال الشاعر:

فما زالت الكأس تغتالنا ... وتذهب بالأول الأول

وقال سعيد بن جبير لا مكروه فيها ولا أذى، والصحيح قول مجاهد أنه وجع البطن، وقوله تعالى: ﴿ ولا هم عنها ينزفون ﴾ قال مجاهد لا تذهب عقولهم وكذا قال ابن عباس ومحمد بن كعب والحسن وعطاء بن أبي مسلم الخراساني والسدي وغيرهم وقال الضحاك عن ابن عباس في الخمر أربع خصال السكر والصداع والقيء والبول فذكر الله خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال كما ذكر في سورة الصافات وقوله تعالى: ﴿ وعندهم قاصرات الطرف ﴾ أي عفيفات لا ينظرن إلى غير أزواجهن كذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وزيد بن أسلم وقتادة والسدي وغيرهم. وقوله تبارك وتعالى: ﴿ عين ﴾ أي حسان الأعين وقيل ضخام الأعين وهو يرجع إلى الأول وهي النجلاء العيناء فوصف عيونهن بالحسن." (١)

"الله عنه قال: كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنتم خير أهل الأرض اليوم" قال جابر رضي الله عنه: لو كنت أبصر لأريتكم موضع الشجرة، قال سفيان إنهم اختلفوا في موضعها أخرجاه من حديث سفيان، وقال الإمام أحمد: حدثنا يونس حدثنا الليث عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة".

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن هارون الفلاس المخرمي، حدثنا سعيد بن عمرو الأشعثي حدثنا محمد بن ثابت العبدي عن خداش بن عياش عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يدخل من بايع تحت الشجرة كلهم الجنة إلا صاحب الجمل الأحمر" قال: فانطلقنا نبتدره فإذا رجل قد أضل بعيره فقلنا تعال فبايع. فقال: أصيب بعيري أحب إلي من أن أبايع وقال عبد الله بن أحمد: حدثنا عبيد الله بن معاذ، حدثنا أبي، حدثنا قرة عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من يصعد الثنية ثنية المرار فإنه يحط عنه ما حط عن بني إسرائيل" فكان أول من صعد خيل بني الخزرج ثم تبادر الناس بعد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "كلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر" فقلنا: تعال يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: والله لأن أجد ضالتي أحب إلي من أن يستغفر لي صاحبكم، فإذا هو رجل ينشد ضالة، رواه مسلم عن عبيد الله به. وقال ابن جريج: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرا رضي الله عنه يقول: أخبرتني أم مبشر أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة رضي الله عنها: "لا يدخل النار إن شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها أحد" قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها فقالت حفصة رضي الله عنها ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قد قال الله تعالى: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ رواه مسلم، وفيه أيضا عن قتيبة عن الليث عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه

(١) تفسير ابن كثير / دار الفكر، ٤/١٠

قال: إن عبدا لحاطب بن أبي بلتعة جاء يشكو حاطبا فقال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كذبت لا يدخلها فإنه قد شهد بدرا والحديبية" ولهذا قال تعالى في الثناء عليهم: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما﴾ كما قال عز وجل في الآية الأخرى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا﴾.

﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنآ أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنآ أعتدنا للكافرين سعيرا ولله ملك السماوت والأرض يغفر لمن يشآء ويعذب من يشآء وكان الله غفورا رحيما﴾

يقول تعالى مخبرا رسوله صلى الله عليه وسلم بما يعتذر به المخلفون من الأعراب الذين اختاروا المقام في أهليهم وشغلهم وتركوا المسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذروا بشغلهم لذلك وسألوا أن يستغفر لهم الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك قول." (١)

"ثم قال : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شعيب بن رزيق (١) قال : وفي الباب عن عثمان وأبي ريحانة (٢)

قلت: وقد تقدما، ولله الحمد.

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن غيلان، حدثنا رشدين، عن زبان (٣) عن سهل بن معاذ عن أبيه معاذ بن أنس، رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من حرس من وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا لا بأجرة سلطان، لم ير النار بعينيه إلا تحلة القسم، فإن الله يقول : ﴿ وإن **منكم إلا واردها** ﴾ [مريم:٧١].

تفرد به أحمد (٤) رحمه الله [تعالى] (٥) .

حديث آخر: روى البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم: " تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش (٦) طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع" (٧) .

فهذا ما تيسر إيراده من الأحاديث المتعلقة بهذا المقام، ولله الحمد على جزيل الإنعام، على تعاقب الأعوام والأيام.

وقال ابن جرير : حدثني المثنى، حدثنا مطرف بن عبد الله المدني (٨) حدثنا مالك، عن زيد بن أسلم قال : كتب أبو عبيدة، رضي الله عنه، إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يذكر له جموعا من الروم وما يتخوف منهم، فكتب إليه عمر: أما بعد فإنه مهما ينزل بعبد مؤمن من منزلة شدة يجعل الله بعدها فرجا، وإنه لن يغلب عسر يسرين، وإن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ (٩) .

---

(١) تفسير ابن كثير / دار الفكر، ٤/٢٢٩

وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن المبارك (١٠) من طريق محمد بن إبراهيم بن أبي سكينة قال : أملى علي عبد الله بن المبارك هذه الأبيات بطرسوس، وودعته للخروج، وأنشدها

---

(١) في أ: "زريق".

(٢) سنن الترمذي برقم (١٦٣٩).

(٣) في ر: "رثان".

(٤) المسند (٤٣٧/٣).

(٥) زيادة من ر.

(٦) في ر: "انتفش".

(٧) صحيح البخاري برقم (٢٨٨٦).

(٨) في ر: "المديني".

(٩) تفسير الطبري (٥٠٣/٧) ورواه الحاكم في المستدرك (٣٠٠/٢) من طريق زيد بن أسلم به وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(١٠) انظر: مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٢٢/١٤).." [1]

"العذاب، كما قال في الآية المتقدمة: ﴿ قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ﴾

﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) ﴾ .

قال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا خالد بن سليمان، عن كثير بن زياد البرساني، عن أبي سمية قال: اختلفنا في الورود، فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن. وقال بعضهم: يدخلونها جميعا، ثم ينجي الله الذين اتقوا. فلقيت جابر بن عبد الله فقلت له: إنا اختلفنا في الورود، فقال: يردونها جميعا -وقال سليمان مرة (١) يدخلونها جميعا-وأهوى بأصبعيه إلى أذنيه، وقال: صمتا، إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن (٢) بردا وسلاما، كما كانت على إبراهيم، حتى إن للنار ضجيجا من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا، ويذر الظالمين فيها جثيا" (٣) غريب ولم يخرجوه.

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا مروان بن معاوية، عن بكار بن (٤) أبي مروان، عن خالد بن معدان قال: قال أهل الجنة بعدما دخلوا الجنة: ألم يعدنا ربنا الورود على النار؟ قال: قد مررتم عليها وهي خامدة.

وقال عبد الرزاق، عن ابن عيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم قال: كان عبد الله بن رواحة واضعا رأسه في حجر امرأته، فبكى، فبكت امرأته فقال (٥) ما يبكيك؟ فقالت: (٦) رأيتك تبكي فبكيت. قال: إني ذكرت قول الله عز وجل: ﴿ وإن منكم (٧) إلا واردها ﴾ ، فلا أدري أنجو منها أم لا؟ (٨) وفي رواية: وكان مريضا.

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٢٠٢/٢

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن يمان، عن مالك بن مغول، عن أبي إسحاق: كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه قال: يا ليت أمي لم تلدني ثم يبكي، فقيل: ما يبكيك يا أبا ميسرة؟ فقال: أخبرنا أنا واردوها، ولم نخبر أنا صادرون عنها (٩) .

وقال عبد الله بن المبارك، عن الحسن البصري قال: قال رجل لأخيه: هل أتاك أنك وارد النار؟ قال: نعم. قال: فهل أتاك أنك صادر عنها؟ قال: لا. قال: ففيم الضحك؟ [قال فما رئي ضاحكا حتى لحق بالله] (١٠) .

---

(١) في أ: "سليمان بن مرة".

(٢) في ف: "المؤمنين".

(٣) المسند (٣/٣٢٨) وقال المنذري في الترغيب (٢/٣٠٦): "رجاله ثقات".

(٤) في ف: "عن".

(٥) في ف: "قال".

(٦) في أ: قالت".

(٧) في ت: "وما منكم".

(٨) تفسير عبد الرزاق (٢/١١).

(٩) تفسير الطبري (٨٢/١٦).

(١٠) زيادة من ف، أ، والطبري.." [1]

"وقال عبد الرزاق أيضا: أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو، أخبرني من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الأزرق، فقال ابن عباس: الورود (١) الدخول؟ فقال نافع: لا فقرأ ابن عباس: ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ﴾ [الأنبياء : ٩٨] وردوا أم لا؟ وقال: ﴿ يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار ﴾ [هود : ٩٨] أورد هو (٢) أم لا؟ أما أنا وأنت فسندخلها، فانظر هل نخرج منها أم لا؟ وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك فضحك نافع (٣) .

وروى ابن جريج، عن عطاء قال: قال أبو راشد الحروري -وهو نافع بن الأزرق-: ﴿ لا يسمعون حسيسها ﴾ [الأنبياء : ١٠٢] فقال ابن عباس: ويلك: أمجنون أنت؟ أين قوله: ﴿ يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار ﴾ [هود : ٩٨]، ﴿ ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا ﴾ [مريم : ٨٦]، ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ ؟ والله إن كان دعاء من مضى: اللهم أخرجني من النار سالما، وأدخلني الجنة غانما (٤) .

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن عبيد المحاربي، حدثنا أسباط، عن عبد الملك، عن عبيد الله، عن مجاهد قال: كنت عند ابن عباس، فأتاه رجل يقال له: أبو راشد، وهو نافع بن الأزرق، فقال له: يا ابن عباس، أرأيت قول الله: ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ﴾ ؟ قال: أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها، فانظر: هل نصدر عنها أم لا (٥) .

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٥/٢٥٢

وقال أبو داود الطيالسي: قال شعبة، أخبرني عبد الله بن السائب، عمن سمع ابن عباس يقرؤها [كذلك] (٦) : "وإن منهم إلا واردها" يعني: الكفار (٧)

وهكذا روى عمرو بن الوليد الشني (٨) ، أنه سمع عكرمة يقرؤها كذلك: "وإن منهم إلا واردها"، قال: وهم الظلمة. كذلك كنا نقرؤها. رواه ابن أبي حاتم وابن جرير.

وقال العوفي، عن ابن عباس قوله: ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ﴾ يعني: البر والفاجر، ألا تسمع إلى قول الله لفرعون: ﴿ يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود ﴾ ﴿ ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا ﴾ ، فسمى الورود في النار دخولا وليس بصادر.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، عن إسرائيل، عن السدي، عن مرة، عن عبد الله -هو ابن مسعود-﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يرد الناس [النار] (٩) كلهم، ثم يصدرون عنها بأعمالهم".

---

(١) في ت: "المورود".

(٢) في ت: "أوردهم"، وفي أ: "أوردوها".

(٣) تفسير عبد الرزاق (٢/١١).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٦/٨٢).

(٥) تفسير الطبري (١٦/٨٤).

(٦) زيادة من ت، ف، أ

(٧) رواه الطبري في تفسيره (١٦/٨٣).

(٨) في أ: "السني".

(٩) زيادة من ت، ف، أ، والمسند.." [1]

"ورواه الترمذي عن عبد بن حميد، عن عبيد الله، عن إسرائيل، عن السدي به (١) . ورواه من طريق شعبة، عن السدي، عن مرة، عن ابن مسعود موقوفا (٢) (٣) .

هكذا وقع هذا الحديث هاهنا مرفوعا. وقد رواه أسباط، عن السدي، عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال: يرد الناس جميعا الصراط، وورودهم قيامهم حول النار، ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم، فمنهم من يمر مثل البرق (٤) ، ومنهم من يمر مثل الريح، ومنهم من يمر مثل الطير، ومنهم من يمر كأجود الخيل، ومنهم من يمر كأجود الإبل، ومنهم من يمر كعدو الرجل، حتى إن آخرهم مرا رجل نوره على موضعي (٥) إبهامي قدميه، يمر يتكفأ (٦) به الصراط، والصراط دحض مزلة، عليه حسك كحسك القتاد، حافتاه ملائكة، معهم كلاليب من نار، يختطفون بها الناس. وذكر تمام الحديث. رواه (٧) ابن أبي حاتم.

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٥/٢٥٣

وقال ابن جرير: حدثنا خلاد بن أسلم، حدثنا النضر، حدثنا إسرائيل، أخبرنا أبو إسحاق، عن أبي الأحوص (٨) عن عبد الله: قوله: ﴿ وإن **منكم إلا واردها** ﴾ قال: الصراط على جهنم مثل حد السيف، فتمر الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم، ثم يمرون والملائكة يقولون: اللهم سلم سلم.

ولهذا شواهد في الصحيحين وغيرهما، من رواية أنس، وأبي سعيد، وأبي هريرة، وجابر، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم (٩) .

وقال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا ابن علية عن الجريري، عن [أبي السليل] (١٠) عن غنيم بن قيس قال: ذكروا ورود النار، فقال كعب: تمسك النار للناس (١١) كأنها متن (١٢) إهالة حتى يستوي عليها أقدام الخلائق، برهم وفاجرهم، ثم يناديها مناد: أن امسكي أصحابك، ودعي أصحابي، قال: فتخسف بكل ولي لها، ولهي أعلم بهم (١٣) من الرجل بولده، ويخرج المؤمنون ندية ثيابهم. قال كعب: ما بين منكبي الخازن من خزنتها مسيرة سنة، مع كل واحد منهم عمود ذو شعبتين (١٤) ، يدفع به الدفع فيصرع به في النار سبعمائة ألف (١٥) .

---

(١) المسند (٤٣٤/١) وسنن الترمذي برقم (٣١٥٩) وقال: "حديث حسن، ورواه شعبة عن السدي فلم يرفعه".

(٢) في ت، ف: "مرفوعا".

(٣) سنن الترمذي برقم (٣١٦٠).

(٤) في ف، أ: "البرق الخاطف".

(٥) في أ: "موضع".

(٦) في أ: "فيمر فيكفأ".

(٧) في ت، ف: "ورواه".

(٨) في ت: "مولى الأحوص".

(٩) أما حديث أنس فرواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٣٦٧) وضعف إسناده.

وأما حديث أبي هريرة فهو في صحيح البخاري برقم (٦٥٧٣) وصحيح مسلم برقم (١٨٢).

وأما حديث أبي سعيد فهو في صحيح البخاري برقم (٦٥٧٤) وصحيح مسلم برقم (١٨٣).

(١٠) في هـ: "ابن أبي ليلى" والمثبت من ت، ف، أ، والطبري.

(١١) في ف، أ: "الناس".

(١٢) في أ "بين".

(١٣) في أ: "فتخسف بكل وليها وهي أعلم بهم".

(١٤) في ت، ف، أ: "عمود وشعبتين".

(١٥) تفسير الطبري (٨٢/١٦).." [1]

"وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن أبي سفيان (١) ، عن جابر، عن أم مبشر، عن حفصة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني لأرجو ألا يدخل النار -إن شاء الله-أحد شهد بدرا والحديبية" قالت (٢) فقلت: أليس الله يقول ﴿ وإن **منكم إلا واردها** ﴾ ؟ قالت (٣) : فسمعته يقول: ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ (٤) .

وقال [الإمام] (٥) أحمد أيضا: حدثنا ابن إدريس، حدثنا الأعمش، عن أبي سفيان (٦) ، عن جابر، عن أم مبشر -امرأة زيد بن حارثة-قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة، فقال: "لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية" قالت حفصة: أليس الله يقول: ﴿ وإن **منكم إلا واردها** ﴾ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ﴾ (٧) .

وفي الصحيحين، من حديث الزهري، عن سعيد، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد تمسه النار، إلا تحلة القسم". (٨)

وقال عبد الرزاق: قال معمر: أخبرني الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من مات له ثلاثة لم تمسه النار إلا تحلة القسم" يعني الورود (٩) .

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا زمعة، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد، تمسه النار إلا تحلة القسم". قال الزهري: كأنه يريد هذه الآية: ﴿ وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا ﴾ (١٠) .

وقال ابن جرير: حدثني عمران بن بكار الكلاعي (١١) ، حدثنا أبو المغيرة (١٢) ، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن تميم، حدثنا إسماعيل بن عبيد الله، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود رجلا من أصحابه وعكا، وأنا معه، ثم قال: "إن الله تعالى يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن؛ لتكون حظه من النار في الآخرة" غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه (١٣) .

وحدثنا أبو كريب، حدثنا ابن يمان، عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد قال: الحمى حظ كل مؤمن من النار، ثم قرأ: "وإن منكم إلا واردها".

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا زبان بن فائد، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني، عن أبيه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قرأ: ﴿ قل هو الله أحد ﴾ حتى يختمها عشر

---

(١) في ت : "شقيق".

---

[1] تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٢٥٤/٥

(٢) في ت: "قال".

(٣) في أ: "قال".

(٤) المسند (٦/٢٨٥).

(٥) زيادة من ت.

(٦) في ت : "شقيق".

(٧) المسند (٦/٣٦٢).

(٨) صحيح البخاري برقم (٦٦٥٦) وصحيح مسلم برقم (٢٦٣٢).

(٩) تفسير عبد الرزاق (٢/١١).

(١٠) مسند الطيالسي برقم (٢٣٠٤).

(١١) في ت: "الخلاعي".

(١٢) في ت: "أبو شعبة".

(١٣) تفسير الطبري (٦/٨٣١) ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٣/٣٨٢) من طريق محمد بن يحيى عن أبي المغيرة به.."

(١)

"مرات، بنى الله له قصرا في الجنة". فقال عمر: إذا نستكثر يا رسول الله، فقال رسول الله [صلى الله عليه وسلم: "الله] (١) أكثر وأطيب" (٢) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ ألف آية في سبيل الله، كتب يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا، إن شاء الله. ومن حرس من وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا لا بأجرة (٣) سلطان، لم ير النار بعينيه إلا تحلة القسم، قال الله تعالى: ﴿ وإن **منكم إلا واردها** ﴾ وإن الذكر في سبيل [الله] (٤) يضعف فوق النفقة بسبعمائة ضعف". وفي رواية: "بسبعمائة ألف ضعف" (٥)

وروى أبو داود، عن أبي الطاهر، عن ابن وهب، عن يحيى بن أيوب [وسعيد بن أبي أيوب] (٦) كلاهما عن زبان (٧) ، عن سهل، عن أبيه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الصلاة والصيام والذكر تضاعف على النفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف" (٨) .

وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة قوله: ﴿ وإن **منكم إلا واردها** ﴾ قال: هو الممر عليها (٩)

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿ وإن **منكم إلا واردها** ﴾ ، قال: ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهريها، وورود المشركين: أن يدخلوها، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الزالون والزالات يومئذ كثير، وقد أحاط بالجسر يومئذ سماطان من الملائكة، دعاؤهم: يا ألله سلم سلم" (١٠) .

وقال السدي، عن مرة، عن ابن مسعود في قوله: ﴿كان على ربك حتما مقضيا ﴾ قال: قسما واجبا. وقال مجاهد:

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٥/٢٥٥

[حتما] (١١) ، قال: قضاء. وكذا قال ابن جريج (١٢)

وقوله: ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ﴾ أي: إذا مر الخلائق كلهم على النار، وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة ذوي المعاصي، بحسبهم، نجى الله تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم. فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا، ثم يشفعون في أصحاب الكبائر من المؤمنين، فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون (١٣) ، فيخرجون خلقا كثيرا قد أكلتهم النار، إلا دارات وجوههم -وهي مواضع السجود-وإخراجهم إياهم من النار بحسب ما في قلوبهم من الإيمان، فيخرجون أولا من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، [ثم الذي يليه] (١٤) حتى يخرجوا من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان ثم يخرج الله من النار

---

(١) زيادة من ف، أ، والمسند.

(٢) المسند (٤٣٧/٣).

(٣) في ت، ف، : "بأجر".

(٤) زيادة من ف، أ.

(٥) رواه أحمد في مسنده (٤٣٧/٣) من حديث معاذ بن أنس رضي الله عنه.

(٦) زيادة من ف، أ.

(٧) في أ: "ريان".

(٨) سنن أبي داود برقم (٢٤٩٨).

(٩) تفسير عبد الرزاق (١١/٢).

(١٠) تفسير الطبري (٨٣/١٦)

(١١) زيادة من ف، أ.

(١٢) في ت: "ابن جرير".

(١٣) في ت: "فيشفع الله الملائكة والنبيين والمؤمنين

(١٤) زيادة من ف، أ.." (١)

"﴿ ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ أي: أنحن (١) نترك عبادة آلهتنا وآلهة آبائنا عن قول [هذا] (٢) الشاعر المجنون، يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! قال الله تعالى تكذيبا لهم، وردا عليهم: ﴿ بل جاء بالحق ﴾ يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق في جميع شرعة (٣) الله له من الإخبار والطلب، ﴿ وصدق المرسلين ﴾ أي: صدقهم فيما أخبروه (٤) عنه من الصفات الحميدة، والمناهج السديدة، وأخبر عن الله في شرعه [وقدره] وأمره كما أخبروا، ﴿ ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ﴾ الآية [فصلت:٤٣] .

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٢٥٦/٥

﴿ إنكم لذائقو العذاب الأليم (٣٨) وما تجزون إلا ما كنتم تعملون (٣٩) إلا عباد الله المخلصين (٤٠) أولئك لهم رزق معلوم (٤١) فواكه وهم مكرمون (٤٢) في جنات النعيم (٤٣) على سرر متقابلين (٤٤) يطاف عليهم بكأس من معين (٤٥) بيضاء لذة للشاربين (٤٦) لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون (٤٧) وعندهم قاصرات الطرف عين (٤٨) كأنهن بيض مكنون (٤٩) ﴾

يقول تعالى مخاطبا للناس: ﴿ إنكم لذائقو العذاب الأليم . وما تجزون إلا ما كنتم تعملون ﴾ ، ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين، كما قال تعالى ﴿ والعصر . إن الإنسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ [العصر:١-٣].

وقال: ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم . ثم رددناه أسفل سافلين . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ [التين:٤-٦]، وقال: ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا . ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ [مريم:٧١، ٧٢]، وقال: ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة . إلا أصحاب اليمين ﴾ [المدثر:٣٨، ٣٩] ولهذا قال هاهنا: ﴿ إلا عباد الله المخلصين ﴾ أي: ليسوا يذوقون العذاب الأليم، ولا يناقشون في الحساب، بل يتجاوز عن سيئاتهم، إن كان لهم سيئات، ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، إلى ما يشاء الله تعالى من التضعيف.

وقوله: ﴿ أولئك لهم رزق معلوم ﴾ قال قتادة، والسدي: يعني الجنة. ثم فسره بقوله تعالى ﴿ فواكه ﴾ أي: متنوعة ﴿ وهم مكرمون ﴾ أي: يخدمون [ويرزقون] (٥) ويرفهون وينعمون، ﴿ في جنات النعيم . على سرر متقابلين ﴾ قال مجاهد: لا ينظر بعضهم في قفا بعض.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا يحيى بن عبدك (٦) القزويني، حدثنا حسان بن (٧) حسان، حدثنا إبراهيم بن بشر، (٨) حدثنا يحيى بن معين، حدثنا إبراهيم القرشي، عن سعيد بن شرحبيل، عن زيد بن أبي أوفى قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية ﴿ على سرر متقابلين ﴾ ينظر بعضهم إلى بعض.

---

(١) في ت: :نحن".

(٢) زيادة من ت، س.

(٣) في أ: "ما شرعه".

(٤) في ت، س: "أخبروا"

(٥) زيادة من أ.

(٦) في أ: "عبد الله".

(٧) في أ: "حبان".

(٨) في أ: "بشير".." (١)

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ١٢/٧

"وقال عبد الله بن أحمد: حدثنا عبيد الله بن معاذ، حدثنا أبي حدثنا قرة، عن أبي الزبير (١) ، عن جابر، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من يصعد الثنية، ثنية المرار، فإنه يحط عنه ما حط عن بني إسرائيل". فكان أول من صعد خيل بني (٢) الخزرج، ثم تبادر الناس بعد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر". فقلنا: تعال يستغفر لك رسول الله [صلى الله عليه وسلم] (٣) . فقال: والله لأن أجد ضالتي أحب إلي من أن يستغفر لي صاحبكم. فإذا هو رجل ينشد ضالة (٤) . رواه مسلم عن عبيد الله، به (٥) .

وقال ابن جريج: أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابرا يقول: أخبرتني أم مبشر أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة: "لا يدخل النار -إن شاء الله- من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها أحد". قالت: بلى يا رسول الله. فانتهرها، فقالت لحفصة: ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ [مريم : ٧١]، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "قد قال الله: ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ [مريم : ٧٢]، رواه مسلم (٦) .

وفيه أيضا عن قتيبة، عن الليث، عن أبي الزبير، عن جابر؛ أن عبدا لحاطب بن أبي بلتعة جاء يشكو حاطبا، فقال: يا رسول الله، ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كذبت، لا يدخلها؛ فإنه قد شهد بدرا والحديبية" (٧) .

ولهذا قال تعالى في الثناء عليهم: ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما ﴾ [الفتح : ١٠] ، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ﴾ [الفتح : ١٨] .

﴿ سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا (١١) بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا (١٢) ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا (١٣) ولله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما (١٤) ﴾

---

(١) في ت: "وقال عبد الله بن أحمد بسنده".

(٢) في أ: "من".

(٣) زيادة من ت.

(٤) في أ: "ضالته".

(٥) صحيح مسلم برقم (٢٧٨٠).

(٦) صحيح مسلم برقم (٢٤٩٦).

(٧) صحيح مسلم برقم (٢٤٩٤).." (١)

"" صفحة رقم ٤٠٧ "

انتهى . والظاهر قول الجمهور : إن الضمير يعود على عيسى بجعل الضمائر كلها كشيء واحد ، فلا تختلف . والمعنى صحيح بليغ ، وانتصاب يقينا على أنه مصدر في موضع الحال من فاعل قتلوه أي : متيقنين أنه عيسى كما ادعوا ذلك في قولهم : إنا قتلنا المسيح قاله : السدي . أو نعت لمصدر محذوف أي : قتلا يقينا جوزه الزمخشري . وقال الحسن : وم قتلوه حقا انتهى . فانتصابه على أنه مؤكد لمضمون الجملة المنفية كقولك : وما قتلوه حقا أي : حق انتفاء قتله حقا . وما حكي عن ابن الأنباري أنه في الكلام تقديما وتأخيرا ، وإن يقينا منصوب برفعه الله أيه ، والمعنى : بل رفعه الله إليه يقينا ، فلعله لا يصح عنه . وقد نص الخليل على أن ذلك خطأ ، لأنه لا يعمل ما بعد بل في ما قبلها .

النساء : (١٥٨) بل رفعه الله . . . . .

(بل رفعه الله إليه (هذا إبطال لما ادعوه من قتله وصلبه ، وهو حي في السماء الثانية على ما صح عن الرسول (صلى الله عليه وسلم)) في حديث المعراج . وهو هنالك مقيم حتى ينزله الله إلى الأرض لقتل الدجال ، وليملأها عدلا كما ملئت جورا ، ويحيا فيها أربعين سنة ثم يموت كما تموت البشر . وقال قتادة : رفع الله عيسى إليه فكساه الريش وألبسه النور ، وقطع عنه الطعام والشراب ، فصار مع الملائكة ، فهو معهم حول العرش ، فصار إنسيا ملكيا سماويا أرضيا .

والضمير في إليه عائد إلى الله تعالى على حذف التقدير إلى سمائه ، وقد جاء) ورافعك إلى). وقيل : إلى حيث لا حكم فيه إلا له . ولا يوجه الدعاء إلا نحوه ، وهو راجع إلى الأول . وقال أبو عبد الله الرازي : أعلم الله تعالى عقيب ذكره أنه وصل إلى عيسى أنواع من البلايا ، أنه رفعه إليه فدل أن رفعه إليه أعظم في إيصال الثواب من الجنة ومن كل ما فيها من اللذات الجسمانية ، وهذه الآية تفتح عليك باب معرفة السعادات الروحانية انتهى . وفيه نحو من كلام المتفلسفة .

(وكان الله عزيزا حكيما (قال أبو عبد الله الرازي : المراد من المعزة كمال القدرة ، ومن الحكمة كمال العلم ، فنبه بهذا على أن رفع عيسى عليه السلام من الدنيا إلى السموات وإن كان كالمتعذر على البشر ، لكن لا تعذر فيه بالنسبة إلى قدرتي وحكمتي انتهى . وقال غيره : عزيزا أي قويا بالنقمة من اليهود ، فسلط عليهم بطرس الرومي فقتل منهم مقتلة عظيمة . حكيما حكم عليهم باللعنة والغضب . وقيل : عزيزا أي : لا يغالب ، لأن اليهود حاولت بعيسى عليه السلام أمرا وأراد الله خلافه . حكيما أي : واضع الأشياء مواضعها . فمن حكمته تخليصه من اليهود ، ورفعه إلى السماء لما يريد وتقتضيه حكمته تعالى . وقال وهب بن منبه : أوحى الله تعالى إلى عيسى على رأس ثلاثين سنة ، ثم رفعه وهو ا بن ثلاث وثلاثين سنة ، فكانت نبوته ثلاث سنين . وقيل : بعث الله جبريل عليه السلام فأدخله خوخة فيها روزنة في سقفها ، فرفعه الله تعالى إلى السماء من تلك الروزنة .

النساء : (١٥٩) وإن من أهل . . . . .

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٣٣٦/٧

(وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته (إن هنا نافية ، والمخبر عنه محذوف قامت صفته مقامه ، التقدير : وما أحد من أهل الكتاب . كما حذف في قوله :) وإن منكم إلا واردها (والمعنى : وما من اليهود . وقوله :) وما منا إلا له مقام معلوم (أي : وما أحد منا إلا له مقام ، وما أحد منكم إلا واردها . قال الزجاج : وحذف أحد لأنه." [1]

"" صفحة رقم ٤٠٨ "

مطلوب في كل نفي يدخله الاستثناء نحو : ما قام إلا زيد ، معناه ما قام أحد إلا زيد . وقال الزمخشري : ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره : وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به ونحوه : وما منا إلا له مقام معلوم ، وإن منكم إلا واردها . والمعنى : وما من اليهود أحد إلا ليؤمنن به انتهى .

وهو غلط فاحش إذ زعم أن ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف إلى آخره ، وصفة أحد المحذوف إنما هو الجار والمجرور وهو من أهل الكتاب ، والتقدير كما ذكرناه : وإن أحد من أهل الكتاب . وأما قوله : ليؤمنن به ، فليست صفة لموصوف ، ولا هي جملة قسمية كما زعم ، إنما هي جملة جواب القسم ، والقسم محذوف ، والقسم وجوابه في موضع رفع خبر المبتدأ الذي هو أحد المحذوف ، إذ لا ينتظم من أحد . والمجرور إسناد لأنه لا يفيد ، وإنما ينتظم الإسناد بالجملة القسمية وجوابها ، فذلك هو محط الفائدة وكذلك أيضا الخبر هو إلا له مقام ، **وكذلك إلا واردها** ، إذ لا ينتظم مما قبل إلا تركيب إسنادي . والظاهر أن الضميرين في : به ، وموته ، عائدان أن على عيسى وهو سياق الكلام ، والمعنى : من أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله .

روي أنه ينزل من السماء في آخر الزمان ، فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به ، حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام قاله : ابن عباس ، والحسن ، وأبو مالك . وقال ابن عباس أيضا وعكرمة ، والضحاك ، والحسن ، أيضا ومجاهد ، وغيرهم : الضمير في به لعيسى ، وفي موته لكتابي وقالوا : وليس يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى ويعلم أنه نبي ، ولكن عند المعاينة للموت فهو إيمان لا ينفعه كما لم ينفع فرعون إيمانه وقت المعاينة . وبدأ بما يشبه هذا لقول الزمخشري . قال : والمعنى ما من اليهود والنصارى أحد إلا ليؤمنن قبل موته بعيسى ، وبأنه عبد الله ورسوله ؟ يعني : إذا عاين قبل أن تزهق روحه حين لا ينفعه إيمانه لانقطاع وقت التكليف . ثم حكى عن شهر بن حوشب والحجاج حكاية فيها طول يمس بالتفسير منها : إن اليهودي إذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا : يا عدو الله أتاك عيسى نبيا فكذبت به ، فيقول : آمنت أنه نبي . وتقول للنصراني : أتاك عيسى نبيا فزعمت أنه الله أو ابن الله ، فيقول : أمنت أنه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه إيمانه . وعن ابن عباس أنه فسره كذلك فقال له عكرمة : فإن أتاه رجل فضرب عنقه ؟ قال : لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه . قال : وإن خرجت فوق بيت ، أو احترق ، أو أكله سبع ؟ قال : يتكلم بها في الهوى ، ولا تخرج روحه حتى يؤمن به . ويدل عليه قراءة أبي : إلا ليؤمنن به قبل موتهم ، بضم النون على معنى : وإن منهم أحد إلا سيؤمنون به قبل موتهم ، لأن أحدا يصلح للجمع . فإن قلت : فما فائدة الإخبار بإيمانهم بعيسى قبل موتهم ؟ قلت : فائدته الوعيد ، وليكن علمهم بأنهم لا بد لهم من الإيمان به عن قريب عند المعاينة ، وأن ذلك لا ينفعهم بعثا لهم وتنبيها

(١) تفسير البحر المحيط .   (الكتب العلمية)،   ٤٠٧/٣

على معالجة الإيمان به في أوان الانتفاع به ، وليكون إلزاما للحجة لهم . وكذلك قوله .
(ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا (يشهد على اليهود بأنهم كذبوه ، وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله انتهى كلامه .
وقال أيضا : ويجوز أن يريد أنه لا يبقى أحد من جميع أهل الكتاب إلا ليؤمنن به ، على أن الله يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما نزل له ، ويؤمنون به حين لا ينفعهم إيمانهم انتهى . وقال عكرمة : الضمير في به لمحمد عليه الصلاة والسلام ، وفي موته للكتابي . قال : وليس يخرج يهودي ولا نصراني من الدنيا حتى يؤمن بمحمد ، ولو غرق أو سقط عليه." (١)

"" صفحة رقم ١٩٧ "

موضعين هذا أحدهما . قال : وقد أعرب سيبويه أيا وهي مفردة لأنها تضاف فكيف يبنيها وهي مضافة ؟ .
و) على الرحمن (متعلق بأشد . و) عتيا (تمييز محول من المبتدأ تقديره) أيهم (هو عتوه) أشد على الرحمن (وفي الكلام حذف تقديره فيلقيه في أشد العذاب ، أو فيبدأ بعذابه ثم بمن دونه إلى آخرهم عذابا . وفي الحديث : (إنه تبدو عنق من النار فتقول : إني أمرت بكل جبار عنيد فتلتقطهم) . وفي بعض الآثار : (يحضرون جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم الأكفر فالأكفر) . قال ابن عباس :) عتيا (جراءة . وقال مجاهد : فجرا . وقيل : افتراء بلغة تميم .
وقيل :) عتيا (جمع عات فانتصابه على الحال .
(ثم لنحن أعلم (أي نحن في ذلك النزع لا نضع شيئا غير موضعه ، لأنا قد أحطنا علما بكل واحد فأولى بصلى النار نعلمه . قال ابن جريج : أولى بالخلود . وقال الكلبي) صليا (دخولا . وقيل : لزوما . وقيل : جمع صال فانتصب على الحال وبها متعلق بأولى .
مريم : (٧١) وإن منكم إلا . . . . . .
والواو في قوله) وإن منكم (للعطف . وقال ابن عطية :) وإن **منكم إلا واردها** (قسم والواو تقتضيه ، ويفسره قول النبي (صلى الله عليه وسلم)) : (من مات له ثلاث من الولد لم تمسه النار إلا تحلة القسم) . انتهى . وذهل عن قول النحويين أنه لا يستغنى عن القسم بالجواب لدلالة المعنى إلا إذا كان الجواب باللام أو بأن ، والجواب هنا جاء على زعمه بأن النافية فلا يجوز حذف القسم على ما نصوا . وقوله والواو تقتضيه يدل على أنها عنده واو القسم ، ولا يذهب نحوي إلى أن مثل هذه الواو واو قسم لأنه يلزم من ذلك حذف المجرور وإبقاء الجار ، ولا يجوز ذلك إلا إن وقع في شعر أو نادر كلام بشرط أن تقوم صفة المحذوف مقامه كما أولوا في قولهم : نعم السير على بئس العير ، أي على عير بئس العير . وقول الشاعر :
والله ما زيد بنام صاحبه
أي برجل نام صاحبه . وهذه الآية ليست من هذا الضرب إذ لم يحذف المقسم به وقامت صفته مقامه .
وقرأ الجمهور) منكم (بكاف الخطاب ، والظاهر أنه عام للخلق وأنه ليس الورود الدخول لجميعهم ، فعن ابن مسعود

(١) تفسير البحر المحيط . (الكتب العلمية)، ٤٠٨/٣

والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لأن الصراط ممدود عليها . وعن ابن عباس : قد يرد الشيء ولم يدخله كقوله) ولما ورد ماء مدين (ووردت القافلة البلد ولم تدخله ، ولكن قربت منه أو وصلت إليه . قال الشاعر : فلما وردن الماء زرقا جمامة

وضعن عصى الحاضر المتخيم

وتقول العرب : وردنا ماء بني تميم وبني كلب إذا حضروهم ودخلوا بلادهم ، وليس يراد به الماء بعينه . وقيل : الخطاب للكفار أي قل لهم يا محمد فيكون الورود في حقهم الدخول ، وعلى قول من قال الخطاب عام وأن المؤمنين والكافرين يدخلون النار ولكن لا تضر المؤمنين ، وذكروا كيفية دخول المؤمنين النار بما لا يعجبني نقله في كتابي هذا الشناعة قولهم أن المؤمنين يدخلون النار وإن لم تضرهم .

وقرأ ابن عباس وعكرمة وجماعة وإن منهم : بالهاء للغيبة على ما تقدم من الضمائر . وقال الزمخشري : ويجوز أن يراد بالورود جثوهم حولها وإن أريد الكفار خاصة فالمعنى بين ، واسم) كان (مضمر يعود على الورود أي كان ورودهم حتما أي واجبا قضي به .

مريم : (٧٢) ثم ننجي الذين . . . . .

وقرأ الجمهور) ثم (بحرف العطف وهذا يدل." (١)

"" صفحة رقم ٥٠٦ "

هذا من العلم اللدني علم الخضر ، حتى أن من ينتمي إلى العلم لما رأى رواج هذه الطائفة سلك مسلكهم ونقل كثيرا من حكاياتهم ومزج ذلك بيسير من العلم طلبا للمال والجاه وتقبيل اليد ؛ ونحن نسأل الله عز وجل أن يوفقنا لطاعته .

وقرأ الجمهور : ألهاكم على الخبر ؛ وابن عباس وعائشة ومعاية وأبو عمروان الجوني وأبو صالح ومالك بن دينار وأبو الجوزاء وجماعة : بالمد على الاستفهام ، وقد روي كذلك عن الكلبي ويعقوب ، وعن أبي بكر الصديق وابن عباس أيضا والشعبي وأبي العالية وابن أبي عبلة والكسائي في رواية : أألهاكم بهمزتين ، ومعنى الاستفهام : التوبيخ والتقرير على قبح فعلهم ؛

التكاثر : (٣ - ٤) كلا سوف تعلمون

والجمهور : على أن التكرير توكيد . قال الزمخشري : والتكرير تأكيد للرع والإنذار ؛ وثم دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول وأشد ، كما تقول للمنصوح : أقول لك ثم أقول لك لا تفعل ، والمعنى : سوف تعلمون الخطاب فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله تعالى .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه :) كلا سوف تعلمون فى القبور ثم كلا سوف تعلمون (في البعث : غاير بينهما بحسب التعلق ، وتبقى ثم على بابها من المهلة في الزمان . وقال الضحاك : الزجر الأول ووعيده للكافرين ، والثاني للمؤمنين .

التكاثر : (٥) كلا لو تعلمون . . . . .

---

(١) تفسير البحر المحيط . (الكتب العلمية)، ١٩٧/٦

(كلا لو تعلمون (: أي ما بين أيديكم مما تقدمون عليه ، (علم اليقين (: أي كعلم ما تستيقنونه من الأمور لما ألهاكم التكاثر أو العلم اليقين ، فأضاف الموصوف إلى صفته وحذف الجواب لدلالة ما قبله عليه وهو) ألهاكم التكاثر). وقيل : اليقين هنا الموت . وقال قتادة : البعث ، لأنه إذا جاء زال الشك .

التكاثر : (٦) لترون الجحيم

ثم قال :) لترون الجحيم (: والظاهر أن هذه الرؤية هي رؤية الورود ، كما قال تعالى :) وإن **منكم إلا واردها** (، ولا تكون رؤية عند الدخول ، فيكون الخطاب للكفار لأنه قال بعد ذلك :) ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم).

التكاثر : (٧) ثم لترونها عين . . . . .

(ثم لترونها عين اليقين (: تأكيد للجملة التي قبلها ، وزاد التوكيد بقوله :) عين اليقين (نفيا لتوهم المجاز في الرؤية الأولى . وعن ابن عباس : هو خطاب للمشركين ، فالرؤية رؤية دخول . وقرأ ابن عامر والكسائي : لترون بضم التاء ؛ وباقي السبعة : بالفتح ، وعلي وابن كثير في رواية ، وعاصم في رواية : بفتحها في) لترون (، وضمها في) لترونها (، ومجاهد والأشهب وابن أبي عبلة : بضمها . وروي عن الحسن وأبي عمرو بخلاف عنهما أنهما همز الواوين ، استثقلوا الضمة على الواو فهمزوا كما همزوا في وقتت ، وكان القياس أن لا تهمز ، لأنها حركة عارضة لالتقاء الساكنين فلا يعتد بها . لكنها لما تمكنت من الكلمة بحيث لا تزول أشبهت الحركة الأصلية فهمزوا ، وقد همزوا من الحركة العارضة ما يزول في الوقف نحو استرؤا الصلاة ، فهمز هذه أولى .

التكاثر : (٨) ثم لتسألن يومئذ . . . . .

(ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم (: الظاهر العموم في النعيم ، وهو كل ما يتلذذ به من مطعم ومشرب ومفرش ومركب ، فالمؤمن يسأل سؤال إكرام وتشريف ، والكافر سؤال توبيخ وتقريع . وعن ابن مسعود والشعبي وسفيان ومجاهد : هو الأمن والصحة . وعن ابن عباس : البدن والحواس فيم استعملها . وعن ابن جبير : كل ما يتلذذ به . وفي الحديث : (بيت يكنك وخرقة تواريك وكسرة تشد قلبك وما سوى ذلك فهو نعيم) .." (١)

"﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ إن هنا نافية ، والمخبر عنه محذوف قامت صفته مقامه ، التقدير : وما أحد من أهل الكتاب. كما حذف في قوله : ﴿وإن **منكم إلا واردها** ﴾ والمعنى : وما من اليهود. وقوله : ﴿وما منآ إلا له مقام معلوم﴾ أي : وما أحد منا إلا له مقام ، وما أحد منكم إلا واردها. قال الزجاج : وحذف أحد لأنه مطلوب في كل نفي يدخله الاستثناء نحو : ما قام إلا زيد ، معناه ما قام أحد إلا زيد. وقال الزمخشري : ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره : وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به ونحوه : وما منا إلا له مقام معلوم ، وإن منكم إلا واردها. والمعنى : وما من اليهود أحد إلا ليؤمنن به انتهى.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٧٦

وهو غلط فاحش إذ زعم أن ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف إلى آخره ، وصفة أحد المحذوف إنما هو

(١) تفسير البحر المحيط . (الكتب العلمية)، ٥٠٦/٨

الجار والمجرور وهو من أهل الكتاب ، والتقدير كما ذكرناه : وإن أحد من أهل الكتاب. وأما قوله : ليؤمنن به ، فليست صفة لموصوف ، ولا هي جملة قسمية كما زعم ، إنما هي جملة جواب القسم ، والقسم محذوف ، والقسم وجوابه في موضع رفع خبر المبتدأ الذي هو أحد المحذوف ، إذ لا ينتظم من أحد. والمجرور إسناد لأنه لا يفيد ، وإنما ينتظم الإسناد بالجملة القسمية وجوابها ، فذلك هو محط الفائدة وكذلك أيضا الخبر هو إلا له مقام ، **وكذلك إلا واردها** ، إذ لا ينتظم مما قبل إلا تركيب إسنادي. والظاهر أن الضميرين في : به ، وموته ، عائدان أن على عيسى وهو سياق الكلام ، والمعنى : من أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله.

روي أنه ينزل من السماء في آخر الزمان ، فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به ، حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام قاله : ابن عباس ، والحسن ، وأبو مالك. وقال ابن عباس أيضا وعكرمة ، والضحاك ، والحسن ، أيضا ومجاهد ، وغيرهم : الضمير في به لعيسى ، وفي موته لكتابي وقالوا : وليس يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى ويعلم أنه نبي ، ولكن عند المعاينة للموت فهو إيمان لا

٣٩٢

ينفعه كما لم ينفع فرعون إيمانه وقت المعاينة. وبدأ بما يشبه هذا لقول الزمخشري. قال : والمعنى ما من اليهود والنصارى أحد إلا ليؤمنن قبل موته بعيسى ، وبأنه عبد الله ورسوله ؟ يعني : إذا عاين قبل أن تزهق روحه حين لا ينفعه إيمانه لانقطاع وقت التكليف. ثم حكى عن شهر بن حوشب والحجاج حكاية فيها طول يمس بالتفسير منها : إن اليهودي إذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا : يا عدو الله أتاك عيسى نبيا فكذبت به ، فيقول : آمنت أنه نبي. وتقول للنصراني : أتاك عيسى نبيا فزعمت أنه الله أو ابن الله ، فيقول : أمنت أنه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه إيمانه. وعن ابن عباس أنه فسره كذلك فقال له عكرمة : فإن أتاه رجل فضرب عنقه ؟ قال : لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه. قال : وإن خرجت فوق بيت ، أو احترق ، أو أكله سبع ؟ قال : يتكلم بها في الهوى ، ولا تخرج روحه حتى يؤمن به. ويدل عليه قراءة أبي : إلا ليؤمنن به قبل موتهم ، بضم النون على معنى : وإن منهم أحد إلا سيؤمنون به قبل موتهم ، لأن أحدا يصلح للجمع. فإن قلت : فما فائدة الإخبار بإيمانهم بعيسى قبل موتهم ؟ قلت : فائدته الوعيد ، وليكن علمهم بأنهم لا بد لهم من الإيمان به عن قريب عند المعاينة ، وأن ذلك لا ينفعهم بعثا لهم وتنبيها على معالجة الإيمان به في أوان الانتفاع به ، وليكون إلزاما للحجة لهم. وكذلك قوله.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٧٦

﴿ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا﴾ يشهد على اليهود بأنهم كذبوه ، وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله انتهى كلامه. وقال أيضا : ويجوز أن يريد أنه لا يبقى أحد من جميع أهل الكتاب إلا ليؤمنن به ، على أن الله يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما نزل له ، ويؤمنون به حين لا ينفعهم إيمانهم انتهى. وقال عكرمة : الضمير في به لمحمد عليه الصلاة والسلام ، وفي موته للكتابي. قال : وليس يخرج يهودي ولا نصراني من الدنيا حتى يؤمن بمحمد ، ولو غرق أو سقط عليه جدار فإنه يؤمن في ذلك الوقت. وقيل : يعود في به على الله ، وفي موته على أحد المقدر. قال ابن زيد : إذا نزل عيسى

عليه السلام لقتل الدجال ، لم يبق يهودي ولا نصراني إلا آمن بالله حين يرون قتل الدجال ، وتصير الأمم كلها واحدة على ملة الإسلام ، ويعزى هذا القول أيضا إلى ابن عباس ، والحسن ، وقتادة.

وقال العباس بن غزوان : وإن من أهل الكتاب بتشديد النون ، وهي قراءة عسرة التخريج ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا أي : شهيدا على أهل الكتاب على اليهود بتكذيبهم إياه وطعنهم فيه ، وعلى النصارى بجعلهم إياه آلها مع الله أو ابنا له ، والضمير في يكون لعيسى. وقال عكرمة : لمحمد صلى الله عليه وسلم.

". (١)

"﴿ثم لنحن أعلم﴾ أي نحن في ذلك النزع لا نضع شيئا غير موضعه ، لأنا قد أحطنا علما بكل واحد فأولى بصلى النار نعلمه. قال ابن جريج : أولى بالخلود. وقال الكلبي ﴿صليا﴾ دخولا. وقيل : لزوما. وقيل : جمع صال فانتصب على الحال وبها متعلق بأولى. والواو في قوله ﴿وإن منكم﴾ للعطف. وقال ابن عطية : ﴿وإن منكم إلا واردها ﴾ قسم والواو تقتضيه ، ويفسره قول النبي صلى الله عليه وسلم : "من مات له ثلاث من الولد لم تمسه النار إلا تحلة القسم". انتهى. وذهل عن قول النحويين أنه لا يستغنى عن القسم بالجواب لدلالة المعنى إلا إذا كان الجواب باللام أو بأن ، والجواب هنا جاء على زعمه بأن النافية فلا يجوز حذف القسم على ما نصوا. وقوله والواو تقتضيه يدل على أنها عنده واو القسم ، ولا يذهب نحوي إلى أن مثل هذه الواو واو قسم لأنه يلزم من ذلك حذف المجرور وإبقاء الجار ، ولا يجوز ذلك إلا إن وقع في شعر أو نادر كلام بشرط أن تقوم صفة المحذوف مقامه كما أولوا في قولهم : نعم السير على بئس العير ، أي على عير بئس العير. وقول الشاعر :

جزء : ٦ رقم الصفحة : ١٩٢

والله ما زيد بنام صاحبه

أي برجل نام صاحبه. وهذه الآية ليست من هذا الضرب إذ لم يحذف المقسم به وقامت صفته مقامه.

وقرأ الجمهور ﴿منكم﴾ بكاف الخطاب ، والظاهر أنه عام للخلق وأنه ليس الورود الدخول لجميعهم ، فعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لأن الصراط ممدود عليها. وعن ابن عباس : قد يرد الشيء ولم يدخله كقوله ﴿ولما ورد مآء مدين﴾ ووردت القافلة البلد ولم تدخله ، ولكن قربت منه أو وصلت إليه. قال الشاعر :

فلما وردن الماء زرقا جمامةوضعن عصى الحاضر المتخيم

وتقول العرب : وردنا ماء بني تميم وبني كلب إذا حضروهم ودخلوا بلادهم ، وليس يراد به الماء بعينه. وقيل : الخطاب للكفار أي قل لهم يا محمد فيكون الورود في حقهم الدخول ، وعلى قول من قال الخطاب عام وأن المؤمنين والكافرين يدخلون النار ولكن لا تضر المؤمنين ، وذكروا كيفية دخول المؤمنين النار بما لا يعجبني نقله في كتابي هذا الشناعة قولهم أن المؤمنين يدخلون النار

٢٠٩

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٣١٨/٣

وإن لم تضرهم.
وقرأ ابن عباس وعكرمة وجماعة وإن منهم : بالهاء للغيبة على ما تقدم من الضمائر. وقال الزمخشري : ويجوز أن يراد بالورود جثوهم حولها وإن أريد الكفار خاصة فالمعنى بين ، واسم ﴿كان﴾ مضمر يعود على الورود أي كان ورودهم حتما أي واجبا قضي به. وقرأ الجمهور ﴿ثم﴾ بحرف العطف وهذا يدل على أن الورود عام. وقرأ عبد الله وابن عباس وأبي وعلي والجحدري وابن أبي ليلى ومعاوية بن قرة ويعقوب ثم بفتح الثاء أي هناك ، ووقف ابن أبي ليلى ثمه بهاء السكت. وقرأ الجمهور : ﴿ننجى﴾ بفتح النون وتشديد الجيم. وقرأ يحيى والأعمش والكسائي وابن محيصن بإسكان النون وتخفيف الجيم. وقرأت فرقة نجي بنون واحدة مضمومة وجيم مشددة. وقرأ علي : ننحي بحاء مهملة مضارع نحى ، ومفعول ﴿اتقوا ﴾ محذوف أي الشرك والظلم هنا ظلم الكفر.
﴿وإذا تتلى عليهم ءاياتنا بينات﴾ نزلت في النضر بن الحارث وأصحابه ، كان فقراء الصحابة في خشونة عيش ورثاثة سربال والمشركون يدهنون رؤوسهم ويرجلون شعورهم ويلبسون الحرير وفاخر الملابس ، فقالوا للمؤمنين : ﴿أى الفريقين خير مقاما﴾ أي منزلا وسكنا ﴿وأحسن نديا﴾ ولما أقام الحجة على منكري البعث وأتبعه بما يكون يوم القيامة أخبر عنهم أنهم عارضوا تلك الحجة الدامغة بحسن شارتهم في الدنيا ، وذلك عندهم يدل على كرامتهم على الله. وقرأ أبو حيوة والأعرج وابن محيصن يتلي بالياء والجمهور بالتاء من فوق كان المؤمن يتلو على الكافر القرآن وينوه بآيات النبي صلى الله عليه وسلم فيقول الكافر : إنما يحسن الله لأحب الخلق إليه وينعم على أهل الحق ، ونحن قد أنعم علينا دونكم فنحن أغنياء وأنتم فقراء ، ونحن أحسن مجلسا وأجمل شارة.
جزء : ٦ رقم الصفحة : ١٩٢
ومعنى ﴿بينات﴾ مرتلات الألفاظ ملخصات المعاني أو ظاهرات الإعجاز أو حججا وبراهين. و﴿بينات﴾ حال مؤكدة لأن آياته تعالى لا تكون إلا بهذا الوصف دائما. وقرأ الجمهور ﴿مقاما﴾ بفتح الميم. وقرأ ابن كثير وابن محيصن وحميد والجعفي وأبو حاتم عن أبي عمر وبضم الميم واحتمل الفتح والضم أن يكون مصدرا أو موضع قيام أو إقامة ، وانتصابه على التمييز. ثم ذكر تعالى كثرة ما أهلك من القرون ممن كان أحسن حالا منهم في الدنيا تنبيها على أنه تعالى يهلكهم ويستأصل شأفتهم كما فعل بغيرهم واتعاظا لهم إن كانوا ممن يتعظ ، ولم يغن عنهم ما كانوا فيه من حسن الأثاث والري ، ويعني إهلاك تكذيب لما جاءت به الرسل. و﴿من قرن﴾ تبيين لكم و﴿كم﴾ مفعول بأهلكنا.
" (١).

"وقرأ الجمهور : ألهاكم على الخبر ؛ وابن عباس وعائشة ومعاية وأبو عمروان الجوني وأبو صالح ومالك بن دينار وأبو الجوزاء وجماعة : بالمد على الاستفهام ، وقد روي كذلك عن الكلبي ويعقوب ، وعن أبي بكر الصديق وابن عباس أيضا والشعبي وأبي العالية وابن أبي عبلة والكسائي في رواية : أألهاكم بهمزتين ، ومعنى الاستفهام : التوبيخ والتقرير على قبح فعلهم ؛ والجمهور : على أن التكرير توكيد. قال الزمخشري : والتكرير تأكيد للرع والإنذار ؛ وثم دلالة على أن الإنذار الثاني

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ١٥٤/٦

أبلغ من الأول وأشد ، كما تقول للمنصوح : أقول لك ثم أقول لك لا تفعل ، والمعنى : سوف تعلمون الخطاب فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله تعالى.
وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : ﴿كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون﴾ في البعث : غاير بينهما بحسب التعلق ، وتبقى ثم على بابها من المهلة في الزمان. وقال الضحاك : الزجر الأول ووعيده للكافرين ، والثاني للمؤمنين.
﴿كلا لو تعلمون﴾ : أي ما بين أيديكم مما تقدمون عليه ، ﴿علم اليقين﴾ : أي كعلم ما تستيقنونه من الأمور لما ألهاكم التكاثر أو العلم اليقين ، فأضاف الموصوف إلى صفته وحذف الجواب لدلالة ما قبله عليه وهو ﴿ألهاكم التكاثر﴾ . وقيل : اليقين هنا الموت. وقال قتادة : البعث ، لأنه إذا جاء زال الشك. ثم قال : ﴿لترون الجحيم﴾ : والظاهر أن هذه الرؤية هي رؤية الورود ، كما قال تعالى : ﴿وإن **منكم إلا واردها** ﴾ ، ولا تكون رؤية عند الدخول ، فيكون الخطاب للكفار لأنه قال بعد ذلك : ﴿ثم لتسالن يومئذ عن النعيم﴾ .
جزء : ٨ رقم الصفحة : ٥٠٧
﴿ثم لترونها عين اليقين﴾ : تأكيد للجملة التي قبلها ، وزاد التوكيد بقوله : ﴿عين اليقين﴾ نفيا لتوهم المجاز في الرؤية الأولى. وعن ابن عباس : هو خطاب للمشركين ، فالرؤية رؤية دخول. وقرأ ابن عامر والكسائي : لترون بضم التاء ؛ وباقي السبعة : بالفتح ، وعلي وابن كثير في رواية ، وعاصم في رواية : بفتحها في ﴿لترون﴾ ، وضمها في ﴿لترونها﴾ ، ومجاهد والأشهب وابن أبي عبلة : بضمها. وروي عن الحسن وأبي عمرو بخلاف عنهما أنهما همز الواوين ، استثقلوا الضمة على الواو فهمزوا كما همزوا في وقتت ، وكان القياس أن لا تهمز ، لأنها حركة عارضة لالتقاء الساكنين فلا يعتد بها. لكنها لما تمكنت من الكلمة بحيث لا تزول أشبهت الحركة الأصلية فهمزوا ، وقد همزوا من الحركة العارضة ما يزول في الوقف نحو استرؤا الصلاة ، فهمز هذه أولى.
﴿ثم لتسالن يومئذ عن النعيم﴾ : الظاهر العموم في النعيم ، وهو كل ما يتلذذ به من مطعم ومشرب ومفرش ومركب ، فالمؤمن يسأل سؤال إكرام وتشريف ، والكافر سؤال توبيخ وتقريع. وعن ابن مسعود والشعبي وسفيان ومجاهد : هو الأمن والصحة. وعن ابن عباس : البدن والحواس فيم استعملها. وعن ابن جبير : كل ما يتلذذ به. وفي الحديث : "بيت يكنك وخرقة تواريك وكسرة تشد قلبك وما سوى ذلك فهو نعيم".
٥٠٨
جزء : ٨ رقم الصفحة : ٥٠٧." (١)
"

وبعد أن بين الله سبحانه وتعالى لنا مصير الكافرين الذين يشككون في القرآن ليتخذوا من ذلك عذراً لعدم الإيمان. قال: إذا كنتم قد اخترتم عدم الإيمان، بما أعطيتكم من اختيار في الدنيا، فإنكم في الآخرة لن تستطيعوا أن تتقوا النار. ولن تكون لكم إرادة.

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٣٨٢/٨

ثم يأتي الحق تبارك وتعالى بالصورة المقابلة. والقرآن الكريم إذا ذكرت الجنة يأتي الله بعدها بالصورة المقابلة وهي العذاب بالنار. وإذا ذكرت النار بعذابها ولهيبها ذكرت بعدها الجنة. وهذه الصورة المتقابلة لها تأثير على دفع الإيمان في النفوس. فإذا قرأ الإنسان سورة للعذاب ثم جاء بعدها النعيم فإنه يعرف أنه قد فاز مرتين. فالذي يزحزح عن النار ولا يدخلها يكون ذلك فوزاً ونعمة، فإذا دخل الجنة تكون نعمة أخرى، ولذلك فإن الله تعالى يقول:﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾[آل عمران: ١٨٥]

ولم يقل سبحانه ومن أدخل الجنة فقد فاز. لأن مجرد أن تزحزح عن النار فوز عظيم.. وفي الآخرة. وبعد الحساب يضرب الصراط فوق جهنم، ويعبر من فوقه المؤمنون والكافرون. فالمؤمنون يجتازون الصراط المستقيم كل حسب عمله منهم من يمر بسرعة البرق. ومنهم من يمر أكثر بطأً وهكذا، والكافرون يسقطون في النار. ولكن لماذا يمر المؤمنون فوق الصراط. والله سبحانه وتعالى قال:﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىا رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً ﴾[مريم: ٧١-٧٢]

لأن مجرد رؤية المؤمنين لجهنم نعمة كبرى، فحين يرون العذاب الرهيب الذي أنجاهم الإيمان منه يحس كل منهم بنعمة الله عليه. أنه أنجاه من هذا العذاب. وأهل النار وأهل الجنة يرى بعضهم بعضاً. فأهل الجنة حينما يرون أهل النار يحسون بعظيم نعمة الله عليهم. إذ أنجاهم منها، وأهل النار حين يرون أهل الجنة يحسون بعظيم غضب الله عليهم أن حرمهم من نعيمه، فكأن هذه الرؤية نعيم لأهل الجنة وزيادة في العذاب لأهل النار.. والله سبحانه وتعالى يقول:

" وبشر " والبشارة هي الأخبار بشيء سار قادم لم يأت وقته بعد. فأنت إذا بشرت إنساناً بشيء أعلنته بشيء سار قادم. والبشارة هنا جاءت بعد الوعيد للكافرين.

والإنذار هو اخبار بأمر مخيف. لم يأت وقته بعد.

ولكن البشارة تأتي أحيانا في القرآن الكريم ويقصد بها الكفار. واقرأ قوله تعالى:﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىا عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[الجاثية: ٧-٨]

البشارة هنا تهكمية من الله سبحانه وتعالى. فالحق تبارك وتعالى يريد أن يزيد عذاب الكفار، فعندما يسمعون كلمة " فبشرهم " يعتقدون أنهم سيسمعون خبراً ساراً، فيأتي بعدها العذاب الأليم ليزيدهم غما على غم.

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ﴾.

البشرى هنا إعلام بخير قادم للمؤمنين، والإيمان هو الرصيد القلبي للسلوك. لأن من يؤمن بقضية يعمل من أجلها، التلميذ يذاكر لأنه مؤمن أنه سينجح، وكل عمل سلوكي لابد أن يوجد من ينبوع عقيدي. والإيمان أن تنسجم حركة الحياة مع ما في القلب وفق مراد الله سبحانه وتعالى: ونظام الحياة لا يقوم إلا على إيمان.. فكأن العمل الصالح ينبوعه الإيمان. ولذلك يقول القرآن الكريم:﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ﴾[العصر: ١-٣]

وفي آية أخرى:﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[فصلت: ٣٣]

ولكن هل يكفي الإعلان عن كوني من المسلمين؟ لا بل لابد أن يقترن هذا الإعلان بالعمل بمرادات الله سبحانه وتعالى.

الحق سبحانه وتعالى يُريدُ أن يلفتنا.. إلى أن قولنا " لا إله إلا الله محمد رسول الله ".. لابد أن يصاحبه عمل بمنهج الإسلام.. ذلك أن نطقنا بالشهادة لا يزيد في ملك الله شيئا.. فالله تبارك وتعالى شهد بوحدانية ألوهيته لنفسه، وهذه شهادة الذات للذات.. ثم شهد الملائكة شهادة مشهد لأنهم يرونه سبحانه وتعالى.. ثم شهد أولو العلم شهادة دليل بما فتح عليهم الله جل جلاله من علم.. وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى:﴿ شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[آل عمران: ١٨]

ولكن الحق سبحانه وتعالى يريد من المؤمنين أن يعملوا بالمنهج.. لماذا؟.. حتى لا تتعاند حركة الحياة بل تتساند.. ومادامت حركة الحياة مستقيمة.. فإنها تصبح حياة متساندة وقوية.. وعندما انتشر الإسلام في بقاع الأرض لم يكن الهدف أن يؤمن الناس فقط لمجرد الإيمان.. ولكن لابد أن تنسجم حركة الحياة مع منهج الإسلام.. فإذا ابتعدت حركة الحياة عن المنهج.. حينئذ لا يخدم قضية الدين أن يؤمن الناس أو لا يؤمنوا.. ولذلك لابد أن ينص على الإيمان والعمل الصالح.. ﴾ والَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ﴿.. والصالحات هي جمع صالحة.. والصالحة هي الأمر المستقيم مع المنهج، وضدها الفساد.. وحين يستقبل الإنسان الوجود.. فإن أقل الصالحات هو أن يترك الصالح على صلاحه أو يزيده صلاحا.

الحق تبارك وتعالى يبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات بجنات تجري من تحتها الأنهار.. والجنات جمع جنة، وهي جمع لأنها كثيرة ومتنوعة.. وهناك درجات في كل جنة أكثر من الدنيا.. واقرأ قوله تبارك وتعالى:﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىا بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴾[الإسراء: ٢١]

الجنات نفسها متنوعة.. فهناك جنات الفردوس، وجنات عدن، وجنات نعيم.

. وهناك دار الخلد، ودار السلام، وجنة المأوى.. وهناك عِلِّيُون الذي هو أعلى وأفضل الجنات.. وأعلى ما فيها التمتع برؤية الحق تبارك وتعالى.. وهو نعيم يعلو كثيرا عن أي نعيم في الطعام والشراب في الدنيا..

والطعام والشراب بالنسبة لأهل الجنة لا يكون عن جوع أو ظمأ.. وإنما عن مجرد الرغبة والتمتع. والله جل جلاله في هذه الآية يَعدُ بأمرٍ غيبي.. ولذلك فإنه لكي يقرب المعنى إلى ذهن البشر.. لابد من استخدام ألفاظ مشهودة وموجودة.. أي عن واقع نشهده. واقرأ، قوله تبارك وتعالى:﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[السجدة: ١٧]

إذن ما هو موجود في الجنة لا تعلمه نفس في الدنيا.. ولا يوجد لفظ في اللغة يعبر عنه.. ولا ملكة من ملكات المعرفة كالسمع والنظر قد رأته.. ولذلك استخدم الحق تبارك وتعالى الألفاظ التي تتناسب مع عقولنا وإدراكنا.. فقال تعالى: ﴾ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴿..

على أن هناك آيات أخرى تقول: ﴾ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴿ ما الفرق بين الاثنين.. تجري تحتها الأنهار.. أي أن نبع الماء من مكان بعيد وهو يمر من تحتها.. أما قوله تعالى: ﴾ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴿ فكأن الأنهار تنبع تحتها.. حتى

لا يخاف إنسان من أن الماء الذي يأتي من بعيد يقطع عنه أو يجف.. وهذه زيادة لاطمئنان المؤمنين أن نعيم الجنة باق وخالد..

ومادام هناك ماء فهناك خضرة ومنظر جميل ولابُدّ أَنْ يكون هناك ثمر.. وفي قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـاذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً ﴾.. حديث عن ثمر الجنة.. وثمر الجنة يختلف عن ثمر الدنيا.. إنك في الدنيا لابد أن تذهب إلى الثمرة وتأتي بها أو يأتيك غيرك بها.. ولكن في الجنة الثمر هو الذي يأتي إليك.. بمجرد أن تشتهيه تجده في يدك.. وتعتقد أن هناك تشابها بين ثمر الدنيا وثمر الجنة.. ولكن الثمر في الجنة ليس كثمر الدنيا لا في طعمه ولا في رائحته.. وإنما يرى أهل الجنة ثمرها ويتحدثون يقولون ربما تكون هذه الثمرة هي ثمرة المانجو أو التين الذي أكلناه في الدنيا.. ولكنها في الحقيقة تختلف تماما.. قد يكون الشكل متشابها ولكن الطعم وكل شيء مختلف..

في الدنيا كل طعام له فضلات يخرجها الإنسان.. ولكن في الآخرة لا يوجد لطعام فضلات بل أن الإنسان يأكل كما يشاء دون أن يحتاج إلى إخراج فضلات، وذلك لاختلاف ثمار الدنيا عن الآخرة في التكوين..

إذن ففي الجنة الأنهار مختلفة والثمار مختلفة.

. والجنة يكون الرزق فيها من الله سبحانه وتعالى الذي يقول " للشيء كن فيكون ".. ولا أحد يقوم بعمل. ثم يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

الزوجة هي متعة الإنسان في الدنيا إن كانت صالحة.. والمنغصة عليه إن كانت غير صالحة.. وهناك منغصات تستطيع أن تضعها المرأة في حياة زوجها تجعله شقيا في حياته.. كأن تكون سليطة اللسان أو دائمة الشجار.. أولا تعطي اهتماما لزوجها أو تحاول إثارته بأن تجعله يشك فيها.. أما في الآخرة فتزول كل هذه المنغصات وتزول بأمر الله. فالزوجة في الآخرة مطهرة من كل ما يكرهه الزوج فيها، وما لم يحبه في الدنيا يختفي. فالمؤمنون في الآخرة مطهرون من كل نقائص الدنيا ومتاعبها وأولها الغل والحقد.. واقرأ قوله جل جلاله:﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾[الحجر: ٤٧]

فمقاييس الدنيا ستختفي وكل شيء تكرهه في الدنيا لن تجده في الآخرة.. فإذا كان أي شيء قد نغص حياتك في الدنيا فإنه سيختفي في الآخرة.. والحق تبارك وتعالى ضرب المثل بالزوجات لأن الزوجة هي متعة زوجها في الدنيا.. وهي التي تستطيع أن تحيل حياته إلى نعيم أو جحيم..

وقوله تعالى: ﴿ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾.. أي لا موت في الآخرة ولن يكون في الآخرة وجود للموت أبدا، وإنما فيها الخلود الدائم إما في الجنة وإما في النار.

". (١)

(١) تفسير الشعراوي، ص/٢٩

"

ولماذا لم ننس الدنيا هنا؟ لأنها هي المزرعة للآخرة. وقوله سبحانه: ﴿ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ اختلف فيها العلماء؛ بعضهم ضيقها وقال: إن حسنة الدنيا هي المرأة الصالحة. وقال عن حسنة الآخرة إنها الجنة. ومنهم من قال: إن حسنة الدنيا هي العلم؛ لأن عليه يُبْنَي العمل، وفي حسنة الآخرة قال: إنها المغفرة؛ لأنها أم المطالب.

ومن استعراض أقوال العلماء نجدهم يتفقون على أن حسنة الآخرة هي ما يؤدي إلى الجنة مغفرة ورحمة، لكنهم اختلفوا في حسنة الدنيا. أقول: لماذا لا نجعل حسنة الدنيا أعم وأشمل فنقول: يا رب أعطنا كل ما يُحَسِّنُ الدنيا عندك لعبدك.

ويذيل الحق هذه الآية بقول: ﴿ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ وسبحانه وتعالى حين يَمْتَنُّ على عباده يمتن عليهم بأن زحزحهم عن النار وأدخلهم الجنة، كأن مجرد الزحزحة عن النار نعيم، فإذا ما أدخل الجنة بعد الزحزحة عن النار فكأنه أنعم على الإنسان بنعمتين؛ لأنه سبحانه قال:﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾[مريم: ٧١]

ومعناها أن كل إنسان سيرى النار إما وهو في طريقه للجنة، فيقول: الحمد لله، الإيمان أنجاني من هذه النار وعذابها. فهو عندما يرى النار وبشاعة منظرها يحمد الله على نعمة الإسلام. التي أنجته من النار. فإذا ما دخل الجنة ورأى نعيمها يحمد الله مرة ثانية. وكذلك يرى النار من هو من أهل الأعراف أي لا في النار ولا في الجنة، يقول الحق:﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾[آل عمران: ١٨٥]

ويقول الحق من بعد ذلك: ﴿ أُولَـٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

(١) ".

"

والجاهلية هي نسبة إلى جاهل. ولو كانت نسبة مأخوذة من الجهل لجاء القول " جهلية " ، لكن الحق يقول هنا: " جاهلية " نسبة إلى جاهل. وحتى نعرف معنى الجاهل بالتحديد لا بد لنا أن نتذكر ونستعيد تقسيم النسب الذي قلناه قديماً، ونعرف أن كل لفظ نتكلم به له معنى، وساعة نسمع اللفظ فالمعنى يأتي إلى الذهن إفرادياً. مثلما نسمع كلمة " جبل " فيقفز إلى الذهن صورة الجبل، لكن لا توجد حالة واضحة للجبل؛ لأن الكلمة لم تكن مصحوبة بحكم.

إذن فهناك معنى للفظ، ولكن هذا المعنى لا يستقل بفائدة. ولكن إن قلنا إن القاهرة مكتظة بالسكان، أو أن مرافقها متعبة، هناك نكون قد أتينا بحكم يوضح لنا ماذا نقصد بقولنا القاهرة.

إن هناك فرقا بين اللفظ حين يؤدي إلى معنى مفرد لا حكم له، وبين لفظ له حكم، ولذلك نجد العربي القديم حين يأتيه لفظ بلا حكم لم يكن لقبله. وها هوذا رجل عربي قال: أشهد أن محمداً رسولَ الله – بفتح اللام في كلمة " رسول " – وبهذا القول تكون " رسول الله " صفة لمحمد وليس فيها الخبر المطلوب. لذلك قال عربي آخر: وماذا يصنع محمدا؟ ليفلت القائل إلى أنه لم يتلق الخبر. إذن كل لفظ له معنى، وهذا المعنى مفرد ولا بد له من نسبة.

---

(١) تفسير الشعراوي، ص/٢٠٥

مثلما نقول لصديق: " محمد " ، ويعرف هذا الصديق محمدا، فيسألك: " وما لمحمد "؟ وبقوله هذا إنما يطلب الخبر ليعرف ماذا حدث له أو منه، فتقول: " محمد زارني أمس ". وهكذا تكتمل الفائدة.

إذن فكل لفظ من الألفاظ المفردة له معنى حين يفرد. فإذا ما جاء الحكم تنشأ عنه النسبة. وإن كانت النسبة واقعة وبعتقدها قائلها؛ ويستطيع إقامة الدليل عليها فهذه نسبة علم؛ لأن العلم نسبة مجزوم بها وواقعة ونستطيع إقامة الدليل عليها تماما مثلما نقول: (الأرض كروية) حيث توحي الكلمة أولاً بصورة الأرض وأضفنا إليها نسبة هي "كروية " لأننا نعتقد أنها كروية والواقع يؤكد ذلك، فإذا ما جئنا بالدليل عليها فهذه نسبة علم. إذن فالعلم نسبة مُعتقَدة وواقعة وعليها دليل.

أما إذا كانت النسبة واقعة ومعتقدة ولا نستطيع التدليل عليها فذلك هو التقليد مثلما يكرر الطفل عن والده بعضاً من الحقائق ولكنه لا يستطيع إقامة الدليل عليها، إنه يقلد من يثق به، إذن فالمرحلة الأقل من العلم هي التقليد. أما إذا كان الإنسان يعتقد أن النسبة قد حدثت ولكن الواقع غير ذلك، فهذا هو الجهل، فالجهل ليس معناه أنك لا تعرف، ولكن أن تعرف قضية مناقضة للواقع.

والجاهل يختلف عن الأمي، فالأمي هو الذي لا يعرف، أما الجاهل فهو الذي يعرف قضية مخالفة للواقع ومتشبث بها.

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ والحق هنا يتساءل: هل يرغبون في الاستمرار بالاعتقاد الخاطئ الجاهل؟ والأمر مع الأمي – كما عرفنا – يختلف عن الأمر مع الجاهل؛ لأنه يكفيك أن تقول للأمي العلم الذي تريد تعليمه إياه ويقبله منك، أما الجاهل فلا بد للتعامل معه من عملين.. الأول أن تجعله يحذف ويستبعد من باله القضية الخاطئة، والثاني أن تجعله يقتنع بالقضية الصحيحة. والذي يرهق الدعاة إلى الدين هم الجهلة هؤلاء الذين يعتقدون اعتقاداً خاطئاً يتضمن قضايا باطلة.

لكن ماذا إن كانت النسبة مجالاً للنفي ومجالاً للإثبات؟ إن كان النفي مساوياً للإثبات فهي نسبة شك. وإن غلب الإثبات فهذا ظن. وإن كان النفي راجحاً فذلك هو الوهم. وهكذا يتضح لنا أن قضية الجهل قضية صعبة، والذي يسبب التعب في هذه الدنيا هم الجهلة؛ لأنهم يعتقدون في قضايا خاطئة. فإذا كان هناك حكم من الله. فلماذا لا يرتضون إذن؟ أيريدون حكم الجاهلية؟ وكان أهل الكتاب أنفسهم يسفهون حكم الجاهلية.

ولنلحظ أن هذا التسفيه كان في زمن المواجهة بين الجاهلية وبين أهل الكتاب. وكانوا يستفتحون عن أهل المدينة ومكة. وكثيراً ما قالوا: لقد أظلّنا عهد نبي سنتبعه ونقتلكم به قتل عاد وإرم. ولكن ما إن جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قالوا العكس، ماذا قالوا للجاهلين؟ هاهوذا الحق يخبرنا بما قالوا:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً ﴾[النساء: ٥١]

وقد ذهب بعض من أحبار اليهود إلى قريش، وسألهم بعض من سادة قريش: أنتم أهل الكتاب وأهل العلم القديم فأخبرونا عنا وعن محمد. فقال الأحبار: ما أنتم وما محمد؟ فقال سادة قريش: نحن ننحر الكوماء ونسقي اللبن على الماء ونفك العاني ونصل الأرحام ونسقي الحجيج وديننا القديم ودين محمد الحديث. فقال الأحبار: أنتم خير منه وأهدى سبيلا. وبذلك زوروا القول.

وينقل الرواة قصة أخرى في هذا الموضع، أن واحداً من أحبار اليهود قال لأبي سفيان: أنتم والله أهدى سبيلاً مما هو عليه. وقال الأحبار ذلك حسداً لرسول الله.

إذن فهل يرتضي أهل الكتاب حكم الجاهلية؟ لا. ولكنه التناقض والتضارب. وماداموا قد تناقضوا مع أنفسهم صار من السهل أن يتناقضوا مع الكتاب الذي نزل إليهم. ولذلك يتساءل الحق:

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ ثم يأتي من بعد ذلك بالمقابل وهو قوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً ﴾. وسبحانه لم يقل: إن الأحسن في الحكم هم المسلمون لجواز أن يكون من المسلمين من ينحرف، لذلك رد الأمر إلى ما لا يتغير أبداً وهو حكم الله.

وحين يقرر سبحانه ذلك فإنه – اولا – يعلم أنه سيأتي قوم مسلمون وينحرفون عن المنهج.

ونحن نرى في بعض الأحيان سلوكاً منحرفاً من مسلم، فهل نلصق هذا السلوك بالإسلام؟ لا. بل ننظر إلى حكم الله في كتابه. وعندما نرى أن حكم الله يجرم فعلاً وله عقوبة، فالعقوبة تقع على المسلم المنحرف أيضاً. والمثال قوله الحق:﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا ﴾[المائدة: ٣٨]

وهذا الحكم يطبق على المسلم وغير المسلم، إذن فلا نقول هذا حكم المسلمين وذلك حكم الجاهلية. ولكننا نقول: إنه حكم صاحب المنهج وهو الله.

ونلحظ أن هناك استفهاماً في قوله الحق: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً ﴾. والاستفهام هو نقل صورة الشيء في الذهن، لا نقل حقيقة الشيء. وساعة يطلب المتكلم من المخاطب أن ينقل إليه الفهم، هنا نقول: هل كان المتكلم لا يعلم الحكم؟ قد يصح ذلك في الحياة العادية. وقد نراه حين يقول إنسان لآخر:

من زارك أمس؟ فنكون أمام حالة استفهام عن الذي زاره، تلك هي حقيقة الاستفهام، لكن ما بالنا إذا كان الذي يتكلم ويستفسر لا تخفى عليه خافية، إنه – سبحانه – يطلب – منا أن نجيب على سؤاله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً ﴾. وتلك عظمة الأداء.

وأضرب مثالاً آخر – ولله المثل الأعلى – عندما يأتيك إنسان ويدعي أنك لم تحسن إليه لأنه كان سجيناً مثلاً وأنت الذي أخرجته من السجن. فتقول له: من الذي ذهب ودفع عنك الكفالة وأخرجك من الحبس؟

إنك أنت الذي فعلت ولا تريد أن تقول له: لقد فعلت من أجلك كذا وكذا، ولكنك تريده هو أن ينطق بما فعلته له، ولا تقول ذلك إلا وأنت واثق أنه لن يجد جواباً إلا الاعتراف بأنك أنت الذي صنعت له كذا وكذا، وبذلك تصبح المسألة إقراراً وليس إخباراً.

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ فالحق عالم أنهم حين يديرون رءوسهم في الجواب، لن يجدوا إلا أن يقولوا: يارب أنت أحسن حكماً. وهذا إقرار منهم وإخبار أيضاً. أما عند المؤمن فالأمر يختلف تماماً؛ لأن المؤمن بعترف ويقر بفضل الله عليه.

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ فالذي يفهم أن حكم الله هو الأفضل هم القوم الذين دخلوا إلى مرحلة اليقين. ونعلم أن مراحل اليقين تتفاوت فيما بينها، فعندما يخبرك إنسان صادق في قضية ما فأنت تعلم هذه القضية.

كأن يقول لك: لقد ذهبت إلى نيويورك. وهذه المدينة تقع على عدد من الجزر وبها عمارات شاهقة والعنف منتشر فيها. والناس تبدو وكأنها ممسوسة من فرط الهوس على الثروة. وحين تسمع هذا الصادق فأنت تأخذه على محمل الجد وتعتبر كلامه يقيناً وهذا هو علم اليقين، أي أنه إخبار من إنسان تثق فيه لأنه صادق.

وبعد ذلك يأتي هذا الإنسان ليوجه لك الدعوة، فتركب معه الطائرة، وتطير الطائرة على ارتفاع يساوي أربعين ألف قدم، وبعد إحدى عشرة ساعة تهبط الطائرة قليلاً؛ لترى أضواء مدينة صاخبة، ويقول لك صاحبك: هذه هي نيويورك، وتلك هي ناطحات السحاب.

هكذا صار علم اليقين عين يقين.

وعندما تنزلان معاً إلى شوارع نيويورك فأنتما تسيران إلى جزيرة مانهاتن. وتصعد إلى برج التجارة أعلى ناطحات السحاب في نيويورك، وهذا هو حق اليقين.

إذن: فمراحل اليقين ثلاث: علم يقين: إذا أخبرك صادق بخبر ما، وعين يقين: إذا رأيت أنت هذا الخبر، وحق يقين: إذا دخلت وانغمست في مضمون وتفاصيل هذاالخبر. وقديماً قلت لتلاميذي مثالاً محدداً لأوضح الفارق بين ألوان اليقين، قلت لهم: لقد رأيت في أندونيسيا ثمرة من ثمار الموز يبلغ طول الثمرة الواحدة نصف المتر. وبالطبع صدقني التلاميذ؛ لأنهم يصدقون قولي. وقد نقلت لهم صورة علمية. وصار لديهم علم يقين. وبعد ذلك أدخل إلى غرفة وأفتح حقيبة وأخرج منها ثمرة الموز التي يبلغ طولها نصف المتر. وبذلك يصير علم اليقين عين يقين. وبعد ذلك أمسكت بسكين وقمت بتقشير ثمرة الموز ووزعت على كل واحد منهم قطعة. وهكذا صار لديهم حق يقين. وحين يطلق الحق " اليقين " فهو يشمل الذي علم والذي تحقق.

فأهل الأدلة، علموا علم اليقين، وأهل المرائي والمشاهدات علموا عين اليقين، وأهل الفيوضات والتجليات وصلوا إلى حق اليقين. والمؤمنون بالله يقول الواحد منهم: أنا بمجرد علم اليقين موقن تماماً ولا انتظر حق اليقين لأني لا أجرؤ على التكذيب؛ لذلك نجد أن سيدنا الإمام عليا - كرم الله وجهه - يقول: لو انكشف عني الحجاب ما ازددت يقيناً.﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَّاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ *كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ *كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾[التكاثر: ١-٧]

والبداية تكون علم اليقين، ثم نرى الجحيم ونحن نسير على الصراط فتصير عين اليقين، ومن لطف الله أنه جعلنا - نحن المسلمين - لا نراها حق اليقين. وهو القائل:﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾[مريم: ٧١]

هو يعطينا صورة الجحيم. لكن حينما أراد الحق أن يعطينا صورة حق اليقين، فقد جاء بها في قوله الحق:﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أَفَبِهَـٰذَا الْحَدِيثِ أَنتُمْ مُّدْهِنُونَ * وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾[الواقعة: ٧٥-٨٢]

كل ذلك مقدمة ليقول الحق:﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴾[الواقعة: ٩٥]

وما يذكره الحق هنا عن منزلة المصدق المؤمن إن هذه المنزلة هي الجنة ويرى ذلك عين اليقين. أما منزلة المكذب الكافر، فله مكانه في النار؛ لذلك سيرى كل الناس النار كعين اليقين. أما من يدخله الحق النار – والعياذ بالله – فسيعاني منها حق اليقين، وسينعم المؤمنون بالجنة حق اليقين.

ومن بعد ذلك يقول الحق: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ... ﴾

(١) ".

"﴿ ٧١ – ٧٢ ﴾ ﴿ وَإِنْ **مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا كَانَ** عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ .

وهذا خطاب لسائر الخلائق، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، أنه ما منهم من أحد، إلا سيرد النار، حكما حتمه الله على نفسه، وأوعد به عباده، فلا بد من نفوذه، ولا محيد عن وقوعه.

واختلف في معنى الورود، فقيل: ورودها، حضورها للخلائق كلهم، حتى يحصل الانزعاج من كل أحد، ثم بعد، ينجي الله المتقين. وقيل: ورودها، دخولها، فتكون على المؤمنين [ص ٤٩٩] بردا وسلاما. وقيل: الورود، هو المرور على الصراط، الذي هو على متن جهنم، فيمر الناس على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كلمح البصر، وكالريح، وكأجاويد الخيل، وكأجاويد الركاب، ومنهم من يسعى، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يزحف زحفا، ومنهم من يخطف فيلقى في النار، كل بحسب تقواه، ولهذا قال: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ الله تعالى بفعل المأمور، واجتناب المحظور ﴿ وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ ﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي ﴿ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ وهذا بسبب ظلمهم وكفرهم، وجب لهم (١) الخلود، وحق عليهم العذاب، وتقطعت بهم الأسباب.

---

(١) كذا في ب، وفي أ: له.." (٢)

" صفحة رقم ٢٢٠

(صلى الله عليه وسلم) : (لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان ، وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبدا) وقيل : أراد به تقديم الإفراط

(ق) عن أبي هريرة قال : رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم) قوله إلا تحلة القسم يعني قدر ما يبر الله قسمه فيه وهو قوله تعالى : (وإن **منكم إلا واردها** (" فإذا وردها جاوزها فقد أبر الله قسمه ، وقيل : قدموا لأنفسكم يعني من الخير والعمل الصالح بدليل سياق الآية) واتقوا الله (أي احذروا أن تأتوا شيئا مما نهاكم الله عنه) واعلموا أنكم ملاقوه (أي صائرون إليه في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم) وبشر المؤمنين (يعني بالكرامة من الله تعالى.

---

(١) تفسير الشعراوي، ص/٧١٢

(٢) تفسير السعدي، ص/٤٩٨

(

البقرة : (٢٢٤) ولا تجعلوا الله...

" ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم " (قوله عز وجل : (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم (نزلت في عبدالله بن رواحة كان بينه وبين ختنه بشير بن النعمان شيء ، فحلف عبدالله لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصم له فكان إذا قيل له : فيه يقول : قد حلفت بالله أن لا أفعل فلا يحل لي إلا أن تبر يميني فأنزل الله هذه الآية ، وقيل : نزلت في أبي بكر الصديق حين حلف ألا ينفق على مسطح حين خاض في حديث الإفك والعرضة ما يجعل معرضا للشيء ، وقيل : العرضة الشدة والقوة وكل ما يعترض فيمنع عن الشيء ، فهو عرضة ، والمعنى : ولا تجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى يدعى أحدكم إلى بر وصلة رحم فيقول قد حلفت بالله لا أفعله فيعتل بيمينه في ترك البر والإصلاح) أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس (قبل معناه لا تحلفوا بالله أن لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس.

(م) عن أبي هريرة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأتها وليكفر عن يمينه) وقيل : معناه لا تكثروا الحلف بالله وإن كنتم بارين متقين مصلحين فإن كثرة الحلف بالله ضرب من الجراءة عليه) والله سميع (أي لحلفكم) عليم (يعني بنياتكم.

قوله عز وجل :." (١)

" صفحة رقم ٢٥١

وغمه فأكون أشد استعدادا له.

ثم قال له إدريس لي إليك حاجة أخرى.

قال وما هي قال ترفعني إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة والنار فأذن الله له فرفعه فلما قرب من النار قال لي إليك حاجة قال وما هي قال أريد أن أسأل مالكا أن يرفع أبوابها فأراها.

ففعل قال فكما أريتني النار فأرني الجنة.

فذهب به إلى الجنة فاستفتح ففتحت أبوابها فأدخله الجنة ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود إلى مقرك فتعلق بشجرة ، وقال ما أخرج منها فبعث الله إليه ملكا حكما بينهما قال له الملك ما لك لا تخرج ؟ قال لأن الله تعالى قال) كل نفس ذائقة الموت (" وقد ذقته ثم قال) وإن **منكم إلا واردها** (" فأنا وردتها وقال) وما هم منها بمخرجين (" فلست أخرج فأوحى الله تعالى إلى ملك الموت بإذني دخل الجنة وبأمري لا يخرج فهو حي هناك فذلك قوله تعالى) ورفعناه مكانا عليا (واختلفوا في أنه حي في السماء أم ميت.

فقال قوم هو ميت واستدل بالأول.

وقال قوم هو حي واستدل بهذا.

---

(١) تفسير الخازن .   ،   ٢٢٠/١

وقالوا أربعة من الأنبياء أحياء أثنان في الأرض وهما الخضر وإلياس.
وإثنان في السماء وهما إدريس وعيسى.
)
مريم : (٥٨ - ٦٢) أولئك الذين أنعم...
" أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتيا لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا " (قوله عز وجل : (أولئك الذي أنعم الله عليهم من النبيين (أولئك إشارة إلى المذكورين في هذه السورة أنعم الله عليهم بالنبوة وغيرها ما تقدم وصفه) من ذرية آدم (يعني إدريس ونوحا) وممن حملنا مع نوح (أي ومن ذرية من حملنا مع نوح في السفينة يريد إبراهيم لأنه ولد سام بن نوح) ومن ذرية إبراهيم (يعني إسحاق وإسماعيل ويعقوب) وإسرائيل (أي ومن ذرية إسرائيل وهو يعقوب وهم موسى ويحيى وهارون وزكريا وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم فرتب الله تعالى أحوال الأنبياء الذين ذكرهم على هذا الترتيب منها بذلك على أنهم كما شرفوا بالنسب ثم قال تعالى) ومن هدينا واجتبينا (أي هؤلاء من أرشدنا واصطفينا وقيل من هدينا إلى الإسلام واجتبينا على الأنام) إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا (جمع ساجد) وبكيا (جمع باك ، أخبر الله تعالى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا إذا سمعوا آيات الله سجدوا وبكوا خضوعا وخشوعا وخوفا حذرا.
والمراد من الآيات ما خصهم به من الكتب المنزلة عليهم ، وقيل المراد من الآيات ذكر الجنة والنار والوعد والوعيد ففيه استحباب البكاء خشوع القلب عند سماع القرآن.
(فصل)
وسجدة سورة مريم من عزائم سجود القرآن ، فيسن للقارىء والمستمع أن يسجد عند تلاوة هذه السجدة ، وقيل يستحب لمن قرأ آية سجدة فسجد أن يدعو بما يناسب تلك السجدة ، فإن قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين إليك والخاشعين لك.
وإن قرأ سجدة مريم قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك.
وإن سجد سجدة ألم السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك.
قوله تعالى) فخلف من بعدهم (أي من بعد النبيين المذكورين) خلف (أي قوم سواء أراد بهم اليهود ومن لحق بهم وتابعهم وقيل هم في هذه الأمة." (١)

(١) تفسير الخازن . ، ٢٥١/٤

" صفحة رقم ٢٥٣

من غير تضييق ولا تقتير ، وقيل : كانت العرب لا تعرف أفضل من الرزق الذي يؤتى به البكرة والعشي ، فوصف الله تعالى الجنة بذلك.

(

مريم : (٦٣ – ٧١) تلك الجنة التي...

" تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا " (وقوله تعالى : (تلك الجنة التي نورث من عبادنا (أي نعطي وننزل وقيل يورث عباده المؤمنين المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا) من كان تقيا (أي المتقين من عباده عز وجل) وما نتنزل إلا بأمر ربك ((خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : (يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر ما تزورونا فنزلت وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا) الآية قال فكان هذا جواب جبريل لمحمد (صلى الله عليه وسلم) (وقيل احتبس جبريل عن النبي (صلى الله عليه وسلم) حين سأله اليهود عن أمر الروح وأصحاب الكهف ، ثم نزل بعد أيام فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم)) أبطأت علي حتى ساء ظني واشتقت إليك ، فقال له جبريل وإني كنت أشوق إليك ولكني عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا احبست احتبست (فأنزل الله تعالى وما نتنزل إلا بأمر ربك وأنزل الله تعالى) والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى (" وقوله) له ما بين أيدنا وما خلفنا (أي له علم ما بين أيدينا وما خلفنا ، وقيل أكد ذلك بقوله ما بين أيدينا وما خلفنا أي هو المدبر لنا في كل الأوقات الماضي والمستقبل ، وقيل معناه له ما بين أيدينا من أمر الآخرة والثواب والعقاب وما خلفنا أي ما مضى من الدنيا) وما بين ذلك (أي من هذا الوقت إلى أن تقوم الساعة ، وقيل ما بين ذلك أي ما بين النفختين وهو مقدار أربعين سنة ، وقيل ما بين أيدينا ما بقي من الدنيا وما خلفنا ما بقي منها وما بين ذلك مدة حياتنا) وما كان ربك نسيا (أي ناسيا أي ما نسيك ربك وما تركك) رب السموات والأرض وما بينهما (اي من يكون كذلك لا يجوز عليه النيسان لأنه لا بد أن يدبر أحوالها كلها ، وفيه دليل على أن فعل العبد خلق الله لأنه حاصل بين السموات والأرض فكان لله تعالى) فاعبده واصطبر لعبادته (أي اصبر على أمره ونهيه) هل تعلم له سميا (قال." (١)

" صفحة رقم ٢٥٤

ابن عباس : مثلا وقيل هل تعلم أحدا يسمى الله غير الله.

قوله تعالى) ويقول الإنسان (أي جنس الإنسان والمراد به الكفار الذين أنكروا البعث ، وقيل هو أبي بن خلف الجمحي

---

(١) تفسير الخازن .   ،   ٢٥٣/٤

وكان منكرا للبعث) أئذا ما مت لسوف أخرج حيا (قاله استهزاء وتكذيبا للبعث قال الله تعالى) أولا يذكر الإنسان (أي يتذكر ويتفكر يعني منكر البعث) أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (والمعنى أولا يتفكر هذا الجاحد في بدء خلقه فيستدل به على الإعادة.

قال بعض العلماء : لو اجتمع كل الخلائق على إيراد حجة في البعث على هذا الاختصار ما قدروا عليه ، إذ لا شك أن الإعادة ثانيا أهون من الإيجاد أولا ثم أقسم بنفسه فقال تعالى) فو ربك (وفيه تشريف للنبي (صلى الله عليه وسلم)) لنحشرنهم (أي لنجمعنهم في المعاد يعني المشركين المنكرين للبعث) والشياطين (أي مع الشياطين ، وذلك أنه يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة) ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (قال ابن عباس : جماعات وقيل جاثين على الركب لضيق المكان ، وقيل إن البارك على ركبتيه صورته كصورة الذليل.

فإن قلت هذا المعنى حاصل للكل بدليل قوله تعالى) وترى كل أمة جاثية (" قلت وصفوا بالجثو على العادة المعهودة في مواقف المقالات والمناقلات ، وذلك لما فيه من القلق مما يدهمهم من شدة الأمور التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيجثون على ركبهم جثوا) ثم لننزعن (أي لنخرجن) من كل شيعة (أي من كل أمة وأهل دين من الكفار) أيهم أشد على الرحمن عتيا (قال ابن عباس : يعني جرأة وقيل فجورا وتمردا ، وقيل قائدهم رئيسهم في الشرك ، والمعنى أنه يقدم في إدخال النار الأعتى ممن هو أكبر جرما وأشد كفرا.

وفي بعض الأخبار أنهم يحضرون جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ، ثم يقدم الأكفر فالأكفر فمن كان أشد منهم تمردا في كفره خص بعذاب أعظم وأشد لأن عذاب الضال المضل واجب أن يكون فوق عذاب الضال التابع لغيره في الضلال. وفائدة هذا التمييز التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص بأصل العذاب فلذلك قال في جميعهم) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (ولا يقال أولى إلا مع اشتراك القوم في العذاب وقيل معنى الآية أنهم أحق بدخول النار.

قوله عز وجل) وإن منكم إلا واردها (أي وما منكم إلا واردها وقيل القسم فيه مضمر أي والله ما منكم من أحد إلا واردها والورود هو موافاة المكان ، واختلفوا في معنى الورود ها هنا وفيما تنصرف." (١)

" صفحة رقم ٢٥٥

إليه الكناية في قوله واردها فقال ابن عباس الأكثرون : معنى الورود هنا الدخول ، والكناية راجعة إلى النار ، فيدخلها البر والفاجر ثم ينجي الله الذين اتقوا منها ، يدل عليه ما روي أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس في الورود فقال ابن عباس : هو الدخول فقال نافع : ليس الورود الدخول فقرأ ابن عباس) إنك وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون (" أدخلها هؤلاء أم لا ثم قال يا نافع والله أنا وأنت سنردها وأنا أرجو أن يخرجني الله منها وما أرى الله أن يخرجك منها بتكذيبك فمن قال بدخول المؤمنين النار يقول من غير خوف ولا ضرر ولا عذاب البتة بل مع الغبطة والسرور لأن الله تعالى أخبر عنهم لا يحزنهم الفزع الأكبر.

فإن قلت كيف يدفع عن المؤمنين حر النار وعذابها ، قلت يحتمل أن الله تعالى يخمد النار فتعبرها المؤمنون ، ويحتمل أن

(١) تفسير الخازن. ، ٢٥٤/٤

الله تعالى يجعل الأجزاء الملاصقة لأبدان الكفار من النار محرقة والأجزاء الملاصقة لأبدان المؤمنين تكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت في حق إبراهيم عليه السلام ، وكما أن الملائكة الموكلين بها لا يجدون ألمها فإن قلت إذا لم يكن على المؤمنين عذاب فما فائدة دخولهم النار.

قلت فيه وجوه ، أحدها : أن ذلك مما يزيدهم سرورا إذا علموا الخلاص منه ، وثانيها : أن فيه مزيد غم على أهل النار ، حيث يرون المؤمنين يتخلصون منها وهم باقون فيها ، وثالثها : أنهم إذا شاهدوا ذلك العذاب الذي على الكفار صار ذلك سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة.

وقال قوم ليس المراد من الورود الدخول ، وقالوا لا يدخل النار مؤمن أبدا لقوله تعالى) إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها (" فعلى هذا يكون المراد من الورود الحضور والرؤية ، لا الدخول كما قال تعالى) ولما ورد ماء مدين (" أراد به الحضور ، وقال عكرمة الآية في الكفار فإنهم يدخلونها ولا يخرجون منها وروي عن ابن مسعود أنه قال وإن **منكم إلا واردها ،** يعني القيامة والكناية راجعة إليها ، والقول الأول أصح وعليه أهل السنة فإنهم جميعا يدخلون النار ثم يخرج الله منها أهل الإيمان بدليل قوله تعالى) ثم ننجي الذين اتقوا (" أي الشرك وهم المؤمنون والنجاة إنما تكون مما دخلت فيه ، يدل ما روي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (لا يموت لأحد من المؤمنين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم) وفي رواية (فيلج النار إلا تحلة القسم) أخرجاه في الصحيحين ، اراد بالقسم قوله تعالى) وإن **منكم إلا واردها (** (م) عن أم مبشر الأنصارية." (١)

" صفحة رقم ٢٥٦

أنها سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول عند حفصة (لا يدخل النار إن شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها قالت بلى يا رسول الله فانتهزها فقالت حفصة وإن **منكم إلا واردها فقال** النبي (صلى الله عليه وسلم) قد قال الله تعالى) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ( ).

وقال خالد بن معدان يقول أهل الجنة ألم يعدنا ربنا أن نرد النار ، فيقال بلى ولكنكم مررتم بها وهي خامدة وفي الحديث (تقول النار للمؤمنين جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي) وروي عن مجاهد في قوله تعالى) وإن **منكم إلا واردها (** قال من حم المسلمين فقد وردها (وفي الخبر) الحمى كير من جهنم وهي حظ المؤمن من النار (

(ق) عن عائشة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال) الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء (قوله جهنم وهجها وحرها.

وقوله تعالى) كان على بك حتما مقضيا (أي كان ورود جهنم قضاء لازما قضاء الله تعالى عليكم وأوجبه.

(

مريم : (٧٢) ثم ننجي الذين...

" ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا " ( ) ثم ننجي الذين اتقوا (أي الشرك) ونذر الظالمين فيها جثيا (اي

---

(١) تفسير الخازن.   ،   ٢٥٥/٤

جميعا ، وقيل جاثين على الركب قالت المعتزلة في الآية دليل على صحة مذهبهم ، وفي أن صاحب الكبيرة والفاسق يخلد في النار بدليل أن الله بين أن الكل يردونها ثم بين صفة من ينجو منها ، وهم المتقون والفاسق لا يكون متقيا فبقي في النار أبدا.

وأجيب عنه بأن المتقي هو الذي يتقي الشرك بقول لا إله إلا الله ويشهد لصحة ذلك أن من آمن بالله ورسوله ، صح أن يقول إنه متق من الشرك ومن صدق عليه أنه متق من الشرك صح أنه متق ، لأن المتقي جزء من المتقي من الشرك ومن صدق عليه المركب صدق عليه المفرد ، فثبت أن صاحب الكبيرة متق وإذا ثبت ذلك وجب أن يخرج من النار بعموم قوله تعالى) ثم ننجي الذين اتقوا (فصارت الآية التي توهمها دليلا لهم من أقوى الدلائل على الفساد قولهم ، وهذا من حيث البحث وأما من حيث النص فقد وردت أحاديث تدل على إخراج المؤمن الموحد من النار

(خ) عن أنس بن مالك عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير) وفي رواية (من إيمان)

(ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : (هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا لا.

يا رسول الله.

قال هل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا لا يا رسول الله.

قال فإنكم ترونه كذلك." (١)

"المسألة الرابعة : احتجت المرجئة بهذه الآية في القطع على أن صاحب الكبيرة لا يخزي. وكل من دخل النار فانه يخزي ، فيلزم القطع بأن صاحب الكبيرة لا يدخل النار ، إنما قلنا صاحب الكبيرة لا يخزى. لأن صاحب الكبيرة مؤمن ، والمؤمن لا يخزى. إنما قلنا إنه مؤمن لقوله تعالى : ﴿وَإِن طَآاِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنا بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الاخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِى تَبْغِى حَتَّى تَفِى ءَ إِلَى ا أَمْرِ اللَّهِ ﴾ (الحجرات : ٩) سمي الباغي حال كونه باغياً مؤمناً ، والبغي من الكبائر بالاجماع ، وأيضا / قال تعالى : ﴿الْمُتَّقُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ﴾ (البقرة : ١٧٨) سمي القاتل بالعمد العدوان مؤمناً ، فثبت أن صاحب الكبيرة مؤمن ، وإنما قلنا إن المؤمن لا يخزى لقوله : ﴿إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّاَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِى اللَّهُ النَّبِىَّ﴾ (التحريم : ٨) ولقوله : ﴿وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (آل عمران : ١٩٤).

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٤٥٦

ثم قال تعالى : ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ (آل عمران : ١٩٥) وهذه الاستجابة تدل على أنه تعالى لا يخزي المؤمنين ، فثبت بما ذكرنا أن صاحب الكبيرة لا يخزى بالنار ، وإنما قلنا إن كل من دخل النار فانه يخزى لقوله تعالى : ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ

---

(١) تفسير الخازن . ، ٢٥٦/٤

النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَه ﴾ وحينئذ يتولد من هاتين المقدمتين القطع بأن صاحب الكبيرة لا يدخل النار.

والجواب عنه ما تقدم : أن قوله : ﴿إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّاَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِى اللَّهُ النَّبِىَّ﴾ (التحريم : ٨) لا يدل على نفي الاخزاء مطلقاً ، بل يدل على نفي الاخزاء حال كونهم مع النبي ، وذلك لا ينافي حصول الاخزاء في وقت آخر.

المسألة الخامسة : قوله : ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَه ﴾ عام دخله الخصوص في مواضع منها : أن قوله تعالى : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوا ﴾ (مريم : ٧١ ـ ٧٢) يدل على أن كل المؤمنين يدخلون النار ، وأهل الثواب يصانون عن الخزي. وثانيها : أن الملائكة الذين هم خزنة جهنم يكونون في النار ، وهم أيضا يصانون عن الخزي. قال تعالى : ﴿عَلَيْهَا مَلَا اِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ﴾ (التحريم : ٦).

المسألة السادسة : احتج حكماء الاسلام بهذه الآية على أن العذاب الروحاني أشد وأقوى من العذاب الجسماني ، قالوا : لأن الآية دالة على التهديد بعد عذاب النار بالخزي ، والخزي عبارة عن التخجيل وهو عذاب روحاني ، فلولا أن العذاب الروحاني أقوى من العذاب الجسماني وإلا لما حسن تهديد من عذب بالنار بعذاب الخزي والخجالة.

المسألة السابعة : احتجت المعتزلة بهذه الآية على أن الفساق الذين دخلوا النار لا يخرجون منها بل يبقون هناك مخلدين ، وقالوا : الخزي هو الهلاك/ فقوله : ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَه ﴾ معناه فقد أهلكته ، ولو كانوا يخرجون من النار الى الجنة لما صح أن كل من دخل النار فقد هلك. والجواب : أنا لا نفسر الخزي بالاهلاك بل نفسره بالاهانة والتخجيل ، وعند هذا يزول كلامكم.

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٤٥٦

أما قوله تعالى : ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ وفيه مسألتان :

المسألة الأولى : المعتزلة تمسكوا به في نفي الشفاعة للفساق ، وذلك لأن الشفاعة نوع نصرة ، ونفي الجنس يقتضي نفي النوع.

". (١)

"ثم قال تعالى : ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَاكِن شُبِّهَ لَهُم وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْه مَا لَهُم بِه مِنْ عِلْمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّا وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَا ﴾ .

واعلم أن هذا اللفظ يحتمل وجهين : أحدهما : يقين عدم القتل ، والآخر يقين عدم الفعل ، فعلى التقدير الأول يكون المعنى : أنه تعالى أخبر أنهم شاكون في أنه هل قتلوه أم لا ، ثم أخبر محمداً بأن اليقين حاصل بأنهم ما قتلوه ، وعلى التقدير الثاني يكون المعنى أنهم شاكون في أنه هل قتلوه أم لا ، ثم أخبر محمداً بأن اليقين حاصل بأنهم ما قتلوه ، وعلى التقدير الثاني يكون المعنى أنهم شاكون في أنه هل قتلوه ؟

ثم أكد ذلك بأنهم قتلوا ذلك الشخص الذي قتلوه لا على يقين أنه عيسى عليه السلام ، بلحين ما قتلوه كانوا شاكين في

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- ، ص/١٣٣٥

أنه هل هو عيسى أم لا ، والاحتمال الأول أولى لأنه تعالى قال بعده ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْه ﴾ وهذا الكلام إنما يصح إذا تقدم القطع واليقين بعدم القتل.

أما قوله : ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْه ﴾ ففيه مسائل :

المسألة الأولى : قرأ أبو عمرو والكسائي ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْه ﴾ بإدغام اللام في الراء والباقون بترك الإدغام ، حجتهما قرب مخرج اللام من الراء والراء أقوى من اللام بحصول التكرير فيها ، ولهذا لم يجز إدغام الراء في اللام لأن الأنقص يدغم في الأفضل ، وحجة الباقين أن الراء واللام حرفان من كلمتين فالأولى ترك الإدغام.

المسألة الثانية : المشبهة احتجوا بقوله تعالى : ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْه ﴾ في إثبات الجهة.

والجواب : المراد الرفع إلى موضع لا يجرى فيه حكم غير الله تعالى كقوله ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الامُورُ﴾ (البقرة : ٢١٠) وقال تعالى : ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنا بَيْتِه مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِه ﴾ (النساء : ١٠٠) وكانت الهجرة في ذلك الوقت إلى المدينة ، وقال إبراهيم ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّى﴾ (الصافات : ٩٩).

جزء : ١١ رقم الصفحة : ٢٥٩

المسألة الثالثة : رفع عيسى عليه السلام إلى السماء ثابت بهذه الآية ، ونظير هذه الآية قوله في آل عمران ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (آل عمران : ٥٥) واعلم أنه تعالى لما ذكر عقيب ما شرح أنه وصل إلى عيسى أنواع كثيرة من البلاء والمحنة أنه رفعه إليه دل ذلك على أن رفعه إليه أعظم في باب الثواب من الجنة ومن كل ما فيها من اللذات الجسمانية ، وهذه الآية تفتح عليك باب معرفة السعادات الروحانية.

ثم قال تعالى : ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ .

والمراد من العزة كمال القدرة ، ومن الحكمة كمال العلم ، فنبجه بهذا على أن رفع عيسى من الدنيا إلى السموات وإن كان كالمعتذر على البشر لكنه لا تعذر فيه بالنسبة إلى قدرتي وإلى حكمتي ، وهو نظير قوله تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِه لَيْلا﴾ (الإسراء : ١) فإن الإسراء وإن كان متعذراً بالنسبة إلى قدرة محمد إلا أنه سهل بالنسبة إلى قدرة الحق سبحانه ثم قال تعالى :

جزء : ١١ رقم الصفحة : ٢٥٩

٢٦٣

واعلم أنه تعالى لما ذكر فضائح اليهود وقبائح أفعالهم وشرح أنهم قصدوا قتل عيسى عليه السلام وبيّن أنه ما حصل لهم ذلك المقصود ، وأنه حصل لعيسى أعظم المناصب وأجل المراتب بيّن تعالى أن هؤلاء اليهود الذين كانوا مبالغين في عداواته لا يخرج أحد منهم من الدنيا إلا بعد أن يؤمن به فقال : ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِه قَبْلَ مَوْتِه ﴾ .

واعلم أن كلمة ﴿ءَانٍ﴾ بمعنى (ما) النافية كقوله ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلا وَارِدُهَا ﴾ (مريم : ٧١) فصار التقدير : وما أحد من

أهل الكتاب إلا ليؤمنن به. ثم إنا نرى أكثر اليهود يموتون ولا يؤمنون بعيسى عليه السلام.
" (١).

"﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ والمراد بالشيعة وهي فعلة كفرقة وفئة الطائفة التي شاعت أي تبعت غاوياً من الغواة قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ (الأنعام : ١٥٩) والمراد أنه تعالى يحضرهم أولا حول جهنم جثياً ثم يميز البعض من البعض فمن كان أشدهم تمرداً في كفره خص بعذاب أعظم لأن عذاب الضال المضل يجب أن يكون فوق عذاب من يضل تبعاً لغيره ، وليس عذاب من يتمرد ويتجبر كعذاب المقلد وليس عذاب من يورد الشبه في الباطل كعذاب من يقتدي به مع الغفلة قال تعالى : ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ (النحل : ٨٨). وقال : ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ (العنكبوت : ١٣) فبين تعالى أنه ينزع من كل فرقة من كان أشد عتواً وأشد تمرداً ليعلم أن عذابه أشد ، ففائدة هذه التمييز التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص بأصل العذاب ، فلذلك قال في جميعهم : ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا﴾ ولا يقال أولى إلا مع اشتراك القوم في العذاب ، واختلفوا في إعراب أيهم فعن الخليل أنه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد وسيبويه على أنه مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلة حتى لو جيء به لأعرب وقيل أيهم هو أشد.

جزء : ٢١ رقم الصفحة : ٥٥٧

٥٦٠

واعلم أنه تعالى لما قال من قبل : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ ثم قال : ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ (مريم : ٦٨) أردفه بقوله : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلا وَارِدُهَا ﴾ يعني جهنم واختلفوا فقال بعضهم المراد من تقدم ذكره من الكفار فكنى عنهم أولاً كناية الغيبة ثم خاطب خطاب المشافهة ، قالوا : إنه لا يجوز للمؤمنين أن يردوا النار ويدل عليه أمور : أحدها : قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىا أولئك عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (الأنبياء : ١٠١) والمبعد عنها لا يوصف بأنه واردها. والثاني : قوله : ﴿لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ (الأنبياء : ١٠٢) ولو وردوا جهنم لسمعوا حسيسها. وثالثها : قوله : ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَاـاِذٍ ءَامِنُونَ﴾ (النحل : ٨٩) وقال الأكثرون : إنه عام في كل مؤمن وكافر لقوله تعالى : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلا وَارِدُهَا ﴾ فلم يخص. وهذا الخطاب مبتدأ / مخالف للخطاب الأول ، ويدل عليه قوله : ﴿ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوا ﴾ أي من الواردين من اتقى ولا يجوز أن يقال : ﴿ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ إلا والكل واردون والأخبار المروية دالة على هذا القول ، ثم هؤلاء اختلفوا في تفسير الورود فقال بعضهم : الورود الدنو من جهنم وأن يصيروا حولها وهو موضع المحاسبة ، واحتجوا على أن الورود قد يراد به القرب بقوله تعالى : ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ (يوسف : ١٩) ومعلوم أن ذلك الوارد ما دخل الماء وقال تعالى : ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ (القصص : ٢٣) وأراد به القرب. ويقال : وردت القافلة البلدة وإن لم تدخلها فعلى هذا معنى الآية أن الجن والإنس يحضرون حول جهنم :

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- ، ص/١٥٨٨

جزء : ٢١ رقم الصفحة : ٥٦٠

". (١)

"﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ (مريم : ٧١) أي واجباً مفروغاً منه بحكم الوعيد ثم ننجي أي نبعد الذين اتقوا عن جهنم وهو المراد من قوله تعالى : ﴿ أولئك عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (الأنبياء : ١٠١) ومما يؤكد هذا القول ما روي أنه صلى الله عليه وسلّم قال : "لا يدخل النار أحد شهد بدراً والحديبية فقالت حفصة : أليس الله يقول : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلا وَارِدُهَا ﴾ فقال عليه السلام فمه ثم ننجي الذين اتقوا" ، ولو كان الورود عبارة عن الدخول لكان سؤال حفصة لازماً. القول الثاني : أن الورود هو الدخول ويدل عليه الآية والخبر ، أما الآية فقوله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ (الأنبياء : ٩٨) وقال : ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَا وَبِئْسَ الْوِرْدُ﴾ (هود : ٩٨) ويدل عليه قوله تعالى : ﴿الْحُسْنَىٰ ا أولئك عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ والمبعد هو الذي لولا التبعيد لكان قريباً فهذا إنما يحصل لو كانوا في النار ، ثم إنه تعالى يبعدهم عنها ويدل عليه قوله تعالى : ﴿وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ وهذا يدل على أنهم يبقون في ذلك الموضع الذي وردوه وهم إنما يبقون في النار فلا بد وأن يكونوا قد دخلوا النار ، وأما الخبر فهو أن عبد الله بن رواحة قال : "أخبر الله عن الورود ولم يخبر بالصدور ، فقال عليه السلام : يا ابن رواحة اقرأ ما بعدها ثم ننجي الذين اتقوا" ، وذلك يدل على أن ابن رواحة فهم من الورود الدخول والنبي صلى الله عليه وسلّم ما أنكر عليه في ذلك وعن جابر : "أنه سئل عن هذه الآية فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول : الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً حتى أن للناس ضجيجاً من بردها". والقائلون بهذا القول يقولون : المؤمنون يدخلون النار من غير خوف وضرر ألبتة بل مع الغبطة والسرور وذلك لأن الله تعالى أخبر عنهم أنهم : ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الاكْبَرُ﴾ (الأنبياء : ١٠٣) ولأن الآخرة دار الجزاء لا دار التكليف ، وإيصال الغم والحزن إنما يجوز في دار التكليف ، ولأنه صحت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم : "إن الملائكة تبشر في القبر من كان من أهل الثواب بالجنة حتى يرى مكانه في الجنة ويعلمه". وكذلك القول في حال المعاينة فكيف يجوز أن يردوا القيامة وهم شاكون في أمرهم ، وإنما تؤثر هذه الأحوال في أهل النار لأنهم لا يعلمون كونهم من أهل النار والعقاب ، ثم اختلفوا في أنه كيف يندفع عنهم ضرر النار ، فقال بعضهم : البقعة المسماة بجهنم لا يمتنع أن يكون في خلالها ما لا نار فيه ، ويكون من المواضع التي يسلك فيها إلى دركات جهنم ، وإذا كان كذلك لم يمتنع أن يدخل الكل في جهنم فالمؤمنون يكونون في تلك المواضع الخالية عن النار ، والكفار يكونون في وسط / النار. وثانيها : أن الله تعالى يخمد النار فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : "يردونها كأنها إهالة" وعن جابر بن عبد الله : "أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس وعدنا ربنا بأن نرد النار فيقال لهم : قد وردتموها وهي خامدة". وثالثها : أن حرارة النار ليست بطبعها فالأجزاء الملاصقة لأبدان الكفار يجعلها الله عليهم محرقة مؤذية والأجزاء الملاصقة لأبدان المؤمنين يجعلها الله برداً وسلاماً عليهم ، كما في حق إبراهيم عليه السلام. وكما أن الكوز الواحد من الماء يشربه القبطي فكان يصير دماً ويشربه الإسرائيلي فكان يصير ماء عذباً. واعلم

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- ، ص/٣٠٠١

أنه لا بد من أحد هذه الوجوه في الملائكة الموكلين بالعذاب حتى يكونوا في النار مع المعاقبين ، فإن قيل : إذا لم يكن على المؤمنين عذاب في دخولهم النار فما الفائدة في ذلك الدخول ؟

قلنا فيه وجوه : أحدها : أن ذلك مما يزيدهم سروراً إذا علموا الخلاص منه. وثانيها : أن فيه مزيد غم على أهل النار حيث يرون المؤمنين الذين هم أعداؤهم يتخلصون منها وهم يبقون فيها. وثالثها : أن فيه مزيد غم على أهل النار من حيث تظهر فضيحتهم عند المؤمنين بل وعند الأولياء وعند من كان يخوفهم من النار فما كانوا يلتفتون إليه. ورابعها : أن المؤمنين إذا كانوا معهم في النار يبكتونهم فزاد ذلك غماً للكفار وسروراً للمؤمنين. وخامسها : أن المؤمنين كانوا يخوفونهم بالحشر والنشر ويقيمون عليهم صحة الدلائل فما كانوا يقبلون تلك الدلائل ، فإذا دخلوا جهنم معهم أظهروا لهم أنهم كانوا صادقين فيما قالوا ، وأن المكذبين بالحشر والنشر كانوا كاذبين. وسادسها : أنهم إذا شاهدوا ذلك العذاب صار ذلك سبباً لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة كما قال الشاعر :

جزء : ٢١ رقم الصفحة : ٥٦٠

وبضدها تتبين الأشياء

(١) ".

"أما قوله تعالى : ﴿سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى ﴾ فقال صاحب "الكشاف" : الحسنى الخصلة المفضلة والحسنى تأنيث الأحسن ، وهي إما السعادة وإما البشرى بالثواب ، وإما التوفيق للطاعة. والحاصل أن مثبتي العفو حملوا الحسنى على وعد العفو ومنكري العفو حملوه على وعد الثواب ، ثم إنه سبحانه وتعالى شرح من أحوال ثوابهم أمور خمسة : أحدها : قوله : ﴿ أولئك عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ فقال أهل العفو معناه أولئك عنها مخرجون ، واحتجوا عليه بوجهين : الأول : قوله : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلا وَارِدُهَا ﴾ (مرمي : ٧١) أثبت الورود وهو الدخول ، فدل على أن هذا الإبعاد هو الإخراج. الثاني : أن أبعاد الشيء عن الشيء لا يصح إلا إذا كانا متقاربين لأنهما لو كانا متباعدين استحال إبعاد أحدهما عن اخر ، لأن تحصيل الحاصل محال ، واحتج القاضي عبد الجبار على فساد هذا القول الأول بأمور : أحدها : أن قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى ﴾ يقتضي أن الوعد بثوابهم قد تقدم في الدنيا وليس هذا حال من يخرج من النار لو صح ذلك. وثانيها : أنه تعالى قال : ﴿ أولئك عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ وكيف يدخل في ذلك من وقع فيها. وثالثها : قوله تعالى : ﴿لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ وقوله : ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الاكْبَرُ﴾ يمنع من ذلك. والجواب عن الأول : لا نسلم أن (يقال) المراد من قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى ﴾ هو أن الوعد بثوابهم قد تقدم ، ولم لا يجوز أن المراد من الحسنى تقدم الوعد بالعفو ، سلمنا أن المراد من الحسنى تقدم الوعد بالثواب ، لكن لم قلتم إن الوعد بالثواب لا يليق بحال من يخرج من النار فإن عندنا المحابطة باطلة ويجوز الجمع بين استحقاق الثواب والعقاب. وعن الثاني : أنا بينا أن قوله : ﴿ أولئك عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ لا يمكن إجراؤه على ظاهره إلا في حق من كان في النار. وعن الثالث : أن قوله : ﴿لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ مخصوص بما بعد الخروج.

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- ، ص/٣٠٠٢

/

جزء : ٢٢ رقم الصفحة : ١٩٤

أما قوله : ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الاكْبَرُ﴾ فالفزع الأكبر هو عذاب الكفار ، وهذا بطريق المفهوم يقتضي أنهم يحزنهم الفزع الأصغر ، فإن لم يدل عليه فلا أقل من أن لا يدل على ثبوته ولا على عدمه. الوجه الثاني : في تفسير قوله : ﴿ أولئك عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ أن المراد الذين سبقت لهم منا الحسنى لا يدخلون النار ولا يقربونها ألبتة ، وعلى هذا القول بطل قول من يقول : إن جميع الناس يردون النار ثم يخرجون إلى الجنة ، لأن هذه الآية مانعة منه وحينئذ يجب التوفيق بينه وبين قوله : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلا وَارِدُهَا ﴾ (مريم : ٧١) وقد تقدم. الصفة الثانية : قوله تعالى : ﴿لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ والحسيس الصوت الذي يحس ، وفيه سؤالان : الأول : أي وجه في أن لا يسمعوا حسيسها من البشارة ولو سمعوه لم يتغير حالهم. قلنا : المراد تأكيد بعدهم عنها لأن من لم يدخلها وقرب منها قد يسمع حسيسها. السؤال الثاني : أليس أن أهل الجنة يرون أهل النار فكيف لا يسمعون حسيس النار ؟

الجواب : إذا حملناه على التأكيد زال هذا السؤال. الصفة الثالثة : قوله : ﴿وَهُمْ فِى مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ والشهوة طلب النفس للذة يعني نعيمها مؤبد ، قال العارفون : للنفوس شهوة وللقلوب شهوة وللأرواح شهوة ، وقال الجنيد : سبقت العناية في البداية ، فظهرت الولاية في النهاية. الصفة الرابعة : قوله : ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الاكْبَرُ﴾ وفيه وجوه : أحدها : أنها النفخة الأخيرة لقوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى السَّمَاوَاتِ وَمَن فِى الارْضِ﴾ (النمل : ٨٧). وثانيها : أنه الموت قالوا : إذا استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بعث الله تعالى جبريل عليه السلام ومعه الموت في صورة كبش أملح فيقول لأهل الدارين أتعرفون هذا فيقولون : لا فيقول هذا الموت ثم يذبحه ثم ينادي يا أهل الجنة خلود ولا موت أبداً ، وكذلك لأهل النار ، واحتج هذا القائل بأن قوله : ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الاكْبَرُ﴾ إنما ذكر بعد قوله : ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة : ٢٥) فلا بد وأن يكون لأحدهما تعلق بالآخر ، والفزع الأكبر الذي هو ينافي الخلود هو الموت. وثالثها : قال سعيد بن جبير هو إطباق النارعلى أهلها فيفزعون لذلك فزعة عظيمة ، قال القاضي عبد الجبار : الأولى في ذلك إنه الفزع من النار عند مشاهدتها لأنه لا فزع أكبر من ذلك ، فإذا بين تعالى أن ذلك لا يحزنهم فقد صح أن المؤمن آمن من أهوال يوم القيامة ، وهذا ضعيف لأن عذاب النار على مراتب فعذاب الكفار أشد من عذاب الفساق ، وإذا كانت مراتب التعذيب بالنار متفاوتة كانت مراتب الفزع منها متفاوتة ، فلا يلزم من نفي الفزع الأكبر نفي الفزع من النار.

جزء : ٢٢ رقم الصفحة : ١٩٤

". (١)

"أما قوله تعالى : ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾ فاعلم أنه قرىء ﴿يَقُولُونَ﴾ بالياء والتاء ، فمعنى من قرأ بالتاء فقد كذبوكم بقولكم إنهم آلهة ، أي كذبوكم في قولكم إنهم آلهة ، ومن قرأ بالياء المنقوطة من تحت ، فالمعنى أنهم كذبوكم (بقولكم) ﴿سُبْحَانَكَ﴾ ، ومثاله قولك كتبت بالقلم.

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- ، ص/٣١٧٧

أما قوله : ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلا نَصْرًا ﴾ فاعلم أنه قرىء ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ بالياء والتاء أيضاً ، يعني فما تستطيعون أنتم يا أيها الكفار صرف العذاب عنكم ، وقيل الصرف التوبة/ وقيل الحيلة من قولهم إنه ليتصرف ، أي يحتال أو فما يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب (و)أن يحتالوا لكم.

أما قوله تعالى : ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ ففيه مسألتان :

المسألة الأولى : قرىء بالياء وفيه ضمير الله تعالى أو ضمير (الظلم).

المسألة الثانية : أن المعتزلة تمسكوا بهذه الآية في القطع بوعيد أهل الكبائر ، فقالوا ثبت أن (من) للعموم في معرض الشرط ، وثبت أن الكافر ظالم لقوله : ﴿بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان : ١٣) والفاسق ظالم لقوله : ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَ أولئك هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات : ١١) فثبت بهذه الآية أن الفاسق لا يعفى عنه ، بل يعذب لا محالة والجواب : أنا لا نسلم أن كلمة (من) في معرض الشرط للعموم ، والكلام فيه مذكور في أصول الفقه ، سلمنا أنه للعموم ولكن قطعاً أم ظاهراً ؟

ودعوى القطع ممنوعة ، فإنا نرى في العرف العام المشهور استعمال صيغ العموم ، مع أن المراد هو الأكثر ، أو لأن المراد أقوام معينون ، والدليل عليه قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَا ءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة : ٦) ثم إن كثيراً من الذين كفروا قد آمنوا فلا دافع له إلا أن يقال قوله : ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ وإن كان يفيد العموم ، لكن المراد منه الغالب أو المراد منه أقوام مخصوصون ، وعلى التقديرين ثبت أن استعمال ألفاظ العموم في الأغلب عرف ظاهر ، وإذا كان كذلك كانت دلالة هذه الصيغ على العموم دلالة ظاهرة لا قاطعة ، وذلك لا ينفي تجويز العفو. سلمنا دلالته قطعاً ، ولكنا أجمعنا على أن قوله :

جزء : ٢٤ رقم الصفحة : ٤٥٢

﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾ مشروط بأن لا يوجد ما يزيله ، وعند هذا نقول هذا مسلم ، لكن لم قلت بأن لم يوجد ما يزيله ؟ فإن العفو عندنا أحد الأمور التي تزيله ، وذلك هو أحد الثلاثة أول المسألة سلمنا / دلالته على ما قال ، ولكنه معارض بآيات الوعد كقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلا﴾ (الكهف : ١٠٧) فإن قيل آيات الوعيد أولى لأن السارق يقطع على سبيل التنكيل ومن لم يكن مستحقاً للعقاب لا يجوز قطع يده على سبيل التنكيل ، فإذا ثبت أنه مستحق للعقاب ثبت أن استحقاق الثواب أحبط لما بينا أن الجمع بين الاستحقاقين محال. قلنا لا نسلم أن السارق يقطع على سبيل التنكيل ، ألا ترى أنه لو تاب فإنه يقطع لا على سبيل التنكيل بل على سبيل المحنة ، نزلنا عن هذه المقامات ، ولكن قوله تعالى : ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾ إنه خطاب مع قوم مخصوصين معينين فهب أنه لا يعفو عنهم فلم قلت إنه لا يعفو عن غيرهم ؟

أما قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى الاسْوَاقِ ﴾ ففيه مسائل :

المسألة الأولى : هذا جواب عن قولهم : ﴿مَالِ هَاذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى الاسْوَاقِ ﴾ (الفرقان : ٧) بين الله تعالى أن هذه عادة مستمرة من الله في كل رسله فلا وجه لهذا الطعن.

المسألة الثانية : حق الكلام أن يقال : ﴿إِلا إِنَّهُمْ﴾ بفتح الألف لأنه متوسط والمكسورة لا تليق إلا بالابتداء ، فلأجل هذا

ذكروا وجوهاً : أحدها : قال الزجاج : الجملة بعد (إلا) صفة لموصوف محذوف ، والمعنى وما أرسلنا قبلك أحداً من المرسلين إلا آكلين وماشين ، وإنما حذف لأن في قوله : ﴿مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ دليلاً عليه ، ونظيره قوله تعالى : ﴿وَمَا مِنَّآ إِلا لَه مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (الصافات : ١٦٤) على معنى وما منا أحد وثانيها : قال الفراء إنه صلة لاسم متروك اكتفى بقوله : ﴿مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ عنه ، والمعنى إلا من أنهم كقوله : ﴿وَمَا مِنَّآ إِلا لَه مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ أي من له مقام معلوم ، وكذلك قوله : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلا وَارِدُهَا ﴾ (مريم : ٧١) أي إلا من يردها فعلى قول الزجاج : الموصوف محذوف ، وعلى قول الفراء : الموصول هو المحذوف ، ولا يجوز حذف الموصول وتبقية الصلة عند البصريين ، وثالثها : قال ابن الأنباري : تكسر إن بعد الاستثناء بإضمار واو على تقدير إلا وإنهم ورابعها : قال بعضهم المعنى إلا قيل إنهم.

جزء : ٢٤ رقم الصفحة : ٤٥٢

". (١)

"قرأ عاصم وحمزة والكسائي فتحت خفيفة والباقون بالتثقيل والمعنى كثرت أبوابها المفتحة لنزول الملائكة قال القاضي : وهذا الفتح هو معنى قوله : ﴿إِذَا السَّمَآءُ انشَقَّتْ﴾ (الإنشقاق : ١) ﴿إِذَا السَّمَآءُ انفَطَرَتْ﴾ (الإنفطار : ١) إذ الفتح والتشقق والتفطر ، تتقارب ، وأقول : هذا ليس بقوي لأن المفهوم من فتح الباب غير المفهوم من التشقق والتفطر ، فربما كانت السماء أبواباً ، ثم تفتح تلك الأبواب مع أنه لا يحصل في جرم السماء تشقق ولا تفطر ، بل الدلائل السمعية دلت على أن عند حصول فتح هذه الأبواب يحصل التشقق والتفطر والفناء بالكلية ، فإن قيل قوله : ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ يفيد أن السماء بكليتها تصير أبواباً ، فكيف يعقل ذلك ؟

قلنا فيه وجوه : أحدها : أن تلك الأبواب لما كثرت جداف صارت كأنها ليست إلا أبواباً مفتحة كقوله : ﴿وَفَجَّرْنَا الارْضَ عُيُونًا﴾ (القمر : ١٢) أي كأن كلها صارت عيوناً تتفجر وثانيها : قال الواحدي هذا من باب تقدير حذف المضاف ، والتقدير فكانت ذات أبواب وثالثها : أن الضمير في قوله : ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ عائد إلى مضمر والتقدير فكانت تلك المواضع المفتوحة أبواباً لنزول الملائكة ، كما قال تعالى : ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (الفجر : ٢٢).

جزء : ٣١ رقم الصفحة : ١٩

ورابعها : قوله تعالى :

اعلم أن الله تعالى ذكر في مواضع من كتابه أحوال هذه الجبال على وجوه مختلفة ، ويمكن الجمع بينها على الوجه الذي نقوله : وهو أن أول أحوالها الاندكاك وهو قوله : ﴿وَحُمِلَتِ الارْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ (الحاقة : ١٤).

والحالة الثانية لها : أن تصير ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ (القارعة : ٥) وذكر الله تعالى ذلك في قوله : ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ (القارعة : ٥.٤) وقوله : ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَآءُ كَالْمُهْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ (المعارج : ٩.٨).

والحالة الثالثة : أن تصير كالهباء وذلك أن تتقطع وتتبدد بعد أن كانت كالعهن وهو قوله : / ﴿إِذَا رُجَّتِ الارْضُ رَجًّا *

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- ، ص/٣٣٨٣

وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنبَثًّا * وَكُنتُمْ﴾ (الواقعة : ٦.٤).

والحالة الرابعة : أن تنسف لأنها مع الأحوال المتقدمة قارة في مواضعها والأرض تحتها غير بارزة فتنسف عنها بإرسال الرياح عليها وهو المراد من قوله : ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ (طه : ١٠٥).

والحالة الخامسة : أن الرياح ترفعها عن وجه الأرض فتطيرها شعاعاً في الهواء كأنها غبار فمن نظر إليها من بعد حسبها لتكاثفها أجساماً جامدة وهي الحقيقة مارة إلى أن مرورها بسبب مرور الرياح بها (صيرها) مندكة متفتتة ، وهي قوله : ﴿تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ (النحل : ٨٨) ثم بين أن تلك الحركة حصلت بقهره وتسخيره ، فقال : ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ (الطور : ١٠) ﴿وَتَرَى الارْضَ بَارِزَةً﴾ (الكهف : ٤٧).

الحالة السادسة : أن تصير سراباً ، بمعنى لا شيء ، فمن نظر إلى مواضعها لم يجد فيها شيئاً ، كما أن من يرى السراب من بعد إذا جاء الموضع الذي كان يراه فيه لم يجده شيئاً والله أعلم.

واعلم أن الأحوال المذكورة إلى ههنا هي : أحوال عامة ، ومن ههنا يصف أهوال جهنم وأحوالها.

المسألة الأولى : قرأ ابن يعمر : أن جهنم بفتح الهمزة على تعليل قيام الساعة ، بأن جهنم كانت مرصاداً للطاغين ، كأنه قيل كان كذلك لإقامة الجزاء.

جزء : ٣١ رقم الصفحة : ١٩

المسألة الثانية : كانت مرصاداً ، أي في علم الله تعالى ، وقيل صارت ، وهذان القولان نقلهما القفال رحمه الله تعالى ، وفيه وجه ثالث ذكره القاضي ، فإنا إذا فسرنا المرصاد بالمرتقب ، أفاد ذلك أن جهنم كانت كالمنتظرة لمقدومهم من قديم الزمان ، وكالمستدعية والطالبة لهم.

المسألة الثانية : في المرصات قولان : أحدهما : أن المرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه ، كالمضمار اسم للمكان الذي يضمر فيه الخيل ، والمنهاج اسم للمكان الذي ينهج فيه ، وعلى هذا الوجه فيه احتمالان : أحدهما : أن خزنة جهنم يرصدون الكفار والثاني : أن مجاز المؤمنين وممرهم كان على جهنم ، لقوله : ﴿مِّنكُمْ إلا وَارِدُهَا ﴾ (مريم : ٧١) فخزنة الجنة يستقبلون المؤمنين عند جهنم ، ويرصدونهم عندها.

القول الثاني : أن المرصاد مفعال من الرصد ، وهو الترقب ، بمعنى أن ذلك يكثر منه ، والمفعال من أبنية المبالغة كالمعطار والمعمار والمطعان ، قيل إنها ترصد أعداء الله وتشق عليهم ، كما قال تعالى : ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ (الملك : ٨) قيل ترصد كل كافرة ومنافق ، والقائلون بالقول الأول. استدلوا على صحة قولهم بقوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ (الفجر : ١٤) ولو كان المرصاد نعتاً لوجب أن يقال : إن ربك لمرصاد ،

". (١)

"وعلى هذا التأويل لا يجب أن يراه كل أحد والثاني : أن يكون المراد أنها برزت ليراها كل من له عين وبصر ، وهذا يفيد أن كل الناس يرونها من المؤمنين والكفار ، إلا أنها مكان الكفار ومأواهم والمؤمنون يمرون عليها ، وهذا التأويل متأكد

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- ، ص/٤٦٤٤

بقوله تعالى : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلا وَارِدُهَا ﴾ إلى قوله : ﴿ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوا ﴾ (مريم : ٧٢،٧١) فإن قيل : إنه تعالى قال في سورة الشعراء : ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ * وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ (الشعراء : ٩١،٩٠) فخص الغاوين بتبريزها لهم ، قلنا : إنها برزت للغاوين ، والمؤمنون يرونها أيضاً في الممر ، ولا منافاة بين الأمرين.

جزء : ٣١ رقم الصفحة : ٥٠

المسألة الثانية : قرأ أبو نهيك ﴿وَبُرِّزَتِ﴾ وقرأ ابن مسعود : لمن رأى ، وقرأ عكرمة : لمن ترى ، والضمير للجحيم ، كقوله : ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانِ بَعِيدٍ﴾ (الفرقان : ١٢) وقيل : لمن ترى يا محمد من الكفار الذين يؤذونك.

واعلم أنه تعالى لما وصف حال القيامة في الجملة قسم المكلفين قسمين : الأشقياء والسعداء ، فذكر حال الأشقياء.

جزء : ٣١ رقم الصفحة : ٥٠

٥١

وفيه مسائل :

/ المسألة الأولى : في جواب قوله : ﴿فَإِذَا جَآءَتِ الطَّآمَّةُ الْكُبْرَى ﴾ (النازعات : ٣٤) وجهان الأول : قال الواحدي : إنه محذوف على تقدير إذا جاءت الطامة دخل أهل النار النار ، وأهل الجنة الجنة ، ودلى على هذا المحذوف ، ما ذكر في بيان مأوى الفريقين ، ولهذا كان يقول مالك بن معول في تفسير الطامة الكبرى ، قال : إنها إذا سبق أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار والثاني : أن جوابه قوله : ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِىَ الْمَأْوَى ﴾ وكأنه جزاء مركب على شرطين نظيره إذا جاء الغد ، فمن جاءني سائلاً أعطيته ، كذا ههنا أي إذا جاءت الطامة الكبرى فمن جاء طاغياً فإن الجحيم مأواه.

المسألة الثانية : منهم من قال : المراد بقوله : ﴿وَءَاثَرَ الْحَيَواةَ الدُّنْيَا﴾ النضر وأبوه الحارث فإن كان المراد أن هذه الآية نزلت عند صدور بعض المنكرات منه فجيد وإن كان المراد تخصيصها به ، فبعيد لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، لا سيما إذا عرف بضرورة العقل أن الموجب لذلك الحكم هو الوصف المذكور.

المسألة الثالثة : قوله صغى ، إشارة إلى فساد حال القوة النظرية ، لأن كل من عرف الله عرف حقارة نفسه ، وعرف استيلاء قدرة الله عليه ، فلا يكون له طغيان وتكبر ، وقوله : ﴿وَءَاثَرَ الْحَيَواةَ الدُّنْيَا﴾ إشارة إلى فساد حال القوة العملية ، وإنما ذكر ذلك لما روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : "حب الدنيا رأس كل خطيئة" ومتى كان الإنسان والعياذ بالله موصوفاً بهذين الأمرين ، كان بالغاً في الفساد إلى أقصى الغايات ، وهو الكافر الذي يكون عقابه مخلداً ، وتخصيصه بهذه الحالة يدل على أن الفاسق الذي لا يكون كذلك ، لا تكون الجحيم مأوى له.

المسألة الرابعة : تقدير الآية : فإن الجحيم هي المأوى له ، ثم حذفت الصلة لوضوح المعنى كقولك للرجل غض الطرف أي غض طرفك ، وعندي فيه وجه آخر ، وهو أن يكون التقدير : فأن الجحيم هي المأوى ، اللائق بمن كان موصوفاً بهذه الصفات والأخلاق.

جزء : ٣١ رقم الصفحة : ٥١

٥١

ثم ذكر تعالى حال السعداء فقال تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ واعلم أن هذين الوصفين مضادات للوصفين اللذين وصف الله أهل النار بهما فقوله : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ﴾ ضد قوله : ﴿فَأَمَّا مَن طَغَى ﴾ (النازعات : ١٧) وقوله : ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾ ضد قوله : ﴿وَءَاثَرَ الْحَيَواةَ الدُّنْيَا﴾ (النازعات : ٣٨) واعلم أن الخوف من الله ، لا بد وأن يكون مسبوقاً بالعلم بالله على ما قال : ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَآبِّ وَالانْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُه ﴾ (فاطر : ٢٨) ولما كان الخوف من الله هو السبب المعين لدفع الهوى ، لا جرم قدم العلة على المعلول ، وكما دخل في ذينك الصفتين جميع القبائح دخل / في هذين الوصفين جميع الطاعات والحسنات ، وقيل : الآيتان نزلتا في أبي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير ، وقد قتل مصعب أخاه أبا عزيز يوم أحد ، ووقى رسول الله بنفسه حتى نفذت المشاقص في جوفه.

جزء : ٣١ رقم الصفحة : ٥١

٥٢

واعلم أنه تعالى لما بين بالبرهان العقلي إمكان القيامة ، ثم أخبر عن وقوعها ، ثم ذكر أحوالها العامة ، ثم ذكر أحوال الأشقياء والسعداء فيها ، قال تعالى : ﴿يَسْاَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ .

" (١).

"المسألة الثانية : أنه تعالى أعاد لفظ كلا وهو للزجر ، وإنما حسنت الإعادة لأنه عقبه في كل موضع بغير ما عقب به الموضع الآخر ، كأنه تعالى قال : لا تفعلوا هذا فإنكم تستحقون به من العذاب كذا لا تفعلوا هذا فإنكم تستوجبون به ضرراً آخر ، وهذا التكرير ليس بالمكروه بل هو مرضي عندهم ، وكان الحسن رحمه الله يجعل معنى ﴿كَلا﴾ في هذا الموضع بمعنى حقاً كأنه قيل حقاً : ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ .

جزء : ٣٢ رقم الصفحة : ٢٧٩

المسألة الثالثة : في قوله : ﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ وجهان أحدهما : أن معناه علماً يقيناً فأضيف الموصوف إلى الصفة ، كقوله تعالى : ﴿وَلَدَارُ الاخِرَةِ﴾ وكما يقال : مسجد الجامع وعام الأول والثاني : أن اليقين ههنا هو الموت والبعث والقيامة ، وقد سمي الموت يقيناً في قوله : ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ ولأنهما إذا وقعا جاء اليقين ، وزال الشك فالمعنى لو تعلمون علم الموت وما يلقى الإنسان معه وبعده في القبر وفي الآخرة لم يلهكم التكاثر والتفاخر عن ذكر الله ، وقد يقول الإنسان : أنا أعلم علم كذا أي أتحققه ، وفلان يعلم علم الطب وعلم الحساب ، لأن العلوم أنواع فيصلح لذلك أن يقال : علمت علم كذا.

المسألة الرابعة : العلم من أشد البواعث على العمل ، فإذا كان وقت العمل أمامه كان وعداً وعظة ، وإن كان بعد وفاة وقت العمل فحينئذ يكون حسرة وندامة ، كما ذكر أن ذا القرنين لما دخل الظلمات (وجد خرزاً) ، فالذين كانوا معه أخذوا من تلك الخرز فلما خرجوا من الظلمات وجدوها جواهر ، ثم الأخذون كانوا في الغم أي لما لم يأخذوا أكثر مما أخذوا/

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- ، ص/٤٦٧٠

والذين لم يأخذوا كانوا أيضاً في الغم ، فهكذا يكون أحوال أهل القيامة.

المسألة الخامسة : في الآية تهديد عظيم للعلماء فإنها دلت على أنه لو حصل اليقين بما في التكاثر والتفاخر من الآفة لتركوا التكاثر والتفاخر ، وهذا يقتضي أن من لم يترك التكاثر والتفاخر لا يكون اليقين حاصلاً له فالويل للعالم الذي لا يكون عاملاً ثم الويل له.

المسألة السادسة : في تكرار الرؤية وجوه أحدها : أنه لتأكيد الوعيد أيضاً لعل القوم / كانوا يكرهون سماع الوعيد فكرر لذلك ونون للتأكيد تقتضي كون تلك الرؤية اضطرارية ، يعني لو خليتم ورأيكم ما رأيتموها لكنكم تحملون على رؤيتها شئتم أم أبيتم وثانيها : أن أولهما الرؤية من البعيد : ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا﴾ وقوله : ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى ﴾ والرؤية الثانية إذا صاروا إلى شفير النار وثالثها : أن الرؤية الأولى عند الورود والثانية عند الدخول فيها ، قيل : هذا التفسير ليس بحسن لأنه قال : ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ﴾ والسؤال يكون قبل الدخول ورابعها : الرؤية الأولى للوعد والثانية المشاهدة وخامسها : أن يكون المراد لترون الجحيم غير مرة فيكون ذكر الرؤية مرتين عبارة عن تتابع الرؤية واتصالها لأنهم مخلدون في الجحيم فكأنه قيل لهم : على جهة الوعيد ، لئن كنتم اليوم شاكين فيها غير مصدقين بها فسترونها رؤية دائمة متصلة فتزول عنكم الشكوك وهو كقوله : ﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ﴾ بمعنى لو أعدت النظر فيها ما شئت لم تجد فطوراً ولم يرد مرتين فقط ، فكذا ههنا ، إن قيل : ما فائدة تخصيص الرؤية الثانية باليقين ؟

قلنا : لأنهم في المرة الأولى رأوا لهباً لا غير ، وفي المرة الثانية رأوا نفس الحفرة وكيفية السقوط فيها وما فيها من الحيوانات المؤذية ، ولا شك أن هذه الرؤية أجلى ، والحكمة في النقل من العلم الأخفى إلى الأجلى التفريع على ترك النظر لأنهم كانوا يقتصرون على الظن ولا يطلبون الزيادة.

جزء : ٣٢ رقم الصفحة : ٢٧٩

المسألة السابعة : قراءة العامة لترون بفتح التاء ، وقرىء بضمها من رأيته الشيء ، والمعنى أنهم يحشرون إليها فيرونها ، وهذه القراءة تروي عن ابن عامر والكسائي كأنهما أرادا لترونها فترونها ، ولذلك قرأ الثانية : ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ بالفتح ، وفي هذه الثانية دليل على أنهم إذا أروها رأوها وفي قراءة العامة الثانية تكرير للتأكيد ولسائر الفوائد التي عددناها ، واعلم أن قراءة العامة أولى لوجهين الأول : قال الفراء : قراءة العامة أشبه بكلام العرب لأنه تغليظ ، فلا ينبغي أن الجحيم لفظه الثاني : قال أبو علي المعنى في : ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ لترون عذاب الجحيم ، ألا ترى أن الجحيم يراها المؤمنون أيضاً بدلالة قوله : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلا وَارِدُهَا ﴾ وإذا كان كذلك كان الوعيد في رؤية عذابها لا في رؤية نفسها يدل على هذا قوله : ﴿إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ وقوله : ﴿وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ﴾ وهذا يدل على أن لترون أرجح من لترون.

جزء : ٣٢ رقم الصفحة : ٢٧٩

٢٨٠

". (١)

"واعلم أن حاصل هذا الجواب أن لفظ الاخزاء لفظ مشترك بين التخجيل وبين الاهلاك واللفظ المشترك لا يمكن حمله في طرفي النفي والاثبات على معنييه جميعا واذا كان كذلك جاز أن يكون المنفى بقوله يوم لا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم غير المثبت في قوله إنك من تدخل النار فقد أخزيته وعلى هذا يسقط الاستدلال إلا أن هذا الجواب إنما يتمشى إذا كان لفظ الاخزاء مشتركا بين هذين المفهومين أما إذا كان لفظا متواطئا مفيدا لمعنى واحد وكان المعنيان اللذان ذكرهما الواحدي نوعين تحت جنس واحد سقط هذا الجواب لأن قوله لا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم لنفي الجنس وقوله فقد أخزيته لاثبات النوع وحينئذ يحصل بينهما منافاة

المسألة الرابعة احتجت المرجئة بهذه الآية في القطع على أن صاحب الكبيرة لا يخزي وكل من دخل النار فانه يخزي فيلزم القطع بأن صاحب الكبيرة لا يدخل النار إنما قلنا صاحب الكبيرة لا يخزى لأن صاحب الكبيرة مؤمن والمؤمن لا يخزى إنما قلنا إنه مؤمن لقوله تعالى وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء إلى أمر (الحجرات ٩) سمي الباغي حال كونه باغيا مؤمنا والبغي من الكبائر بالاجماع وأيضا قال تعالى المتقون يأيها الذين ءامنوا كتب عليكم القصاص في القتلى (البقرة ١٧٨) سمي القاتل بالعمد العدوان مؤمنا فثبت أن صاحب الكبيرة مؤمن وإنما قلنا إن المؤمن لا يخزى لقوله يوم لا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم (التحريم ٨) ولقوله ولا تخزنا يوم القيامة (آل عمران ١٩٤)

ثم قال تعالى فاستجاب لهم ربهم (آل عمران ١٩٥) وهذه الاستجابة تدل على أنه تعالى لا يخزي المؤمنين فثبت بما ذكرنا أن صاحب الكبيرة لا يخزى بالنار وإنما قلنا إن كل من دخل النار فانه يخزى لقوله تعالى إنك من تدخل النار فقد أخزيته وحينئذ يتولد من هاتين المقدمتين القطع بأن صاحب الكبيرة لا يدخل النار

والجواب عنه ما تقدم أن قوله يوم لا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم (التحريم ٨) لا يدل على نفي الاخزاء مطلقا بل يدل على نفي الاخزاء حال كونهم مع النبي وذلك لا ينافي حصول الاخزاء في وقت آخر

المسألة الخامسة قوله إنك من تدخل النار فقد أخزيته عام دخله الخصوص في مواضع منها أن قوله تعالى وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا (مريم ٧١ ٧٢) يدل على أن كل المؤمنين يدخلون النار وأهل الثواب يصانون عن الخزي وثانيها أن الملائكة الذين هم خزنة جهنم يكونون في النار وهم أيضا يصانون عن الخزي قال تعالى عليها ملئكة غلاظ شداد (التحريم ٦)

المسألة السادسة احتج حكماء الإسلام بهذه الآية على أن العذاب الروحاني أشد وأقوى من العذاب الجسماني قالوا لأن

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- ، ص/٤٨٢٨

الآية دالة على التهديد بعد عذاب النار بالخزي والخزي عبارة عن التخجيل وهو عذاب روحاني فلولا أن العذاب الروحاني أقوى من العذاب الجسماني وإلا لما حسن تهديد من عذب بالنار بعذاب الخزي والخجالة." (١)

"ما شرح أنه وصل إلى عيسى أنواع كثيرة من البلاء والمحنة أنه رفعه إليه دل ذلك على أن رفعه إليه أعظم في باب الثواب من الجنة ومن كل ما فيها من اللذات الجسمانية وهذه الآية تفتح عليك باب معرفة السعادات الروحانية

ثم قال تعالى وكان الله عزيزا حكيما

والمراد من العزة كمال القدرة ومن الحكمة كمال العلم فنبجه بهذا على أن رفع عيسى من الدنيا إلى السموات وإن كان كالمعتذر على البشر لكنه لا تعذر فيه بالنسبة إلى قدرتي وإلى حكمتي وهو نظير قوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا (الإسراء ١) فإن الإسراء وإن كان متعذرا بالنسبة إلى قدرة محمد إلا أنه سهل بالنسبة إلى قدرة الحق سبحانه ثم قال تعالى وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا

واعلم أنه تعالى لما ذكر فضائح اليهود وقبائح أفعالهم وشرح أنهم قصدوا قتل عيسى عليه السلام وبين أنه ما حصل لهم ذلك المقصود وأنه حصل لعيسى أعظم المناصب وأجل المراتب بين تعالى أن هؤلاء اليهود الذين كانوا مبالغين في عداواته لا يخرج أحد منهم من الدنيا إلا بعد أن يؤمن به فقال وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته

واعلم أن كلمة ءان بمعنى (ما) النافية كقوله وإن **منكم إلا واردها** (مريم ٧١) فصار التقدير وما أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به ثم إنا نرى أكثر اليهود يموتون ولا يؤمنون بعيسى عليه السلام

والجواب من وجهين الأول ما روي عن شهر بن حوشب قال قال الحجاج إني ما قرأتها إلا وفي نفسي منها شيء يعني هذه الآية فإني أضرب عنق اليهودي ولا أسمع منه ذلك فقلت إن اليهودي إذا حضره الموت ضربت الملائكة وجهه ودبره وقالوا يا عدو الله أتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت أنه عبدالله وتقول للنصراني أتاك عيسى نبيا فزعمت أنه هو الله وابن الله فيقول آمنت أنه عبدالله فأهل الكتاب يؤمنون به ولكن حيث لا ينفعهم ذلك الإيمان فاستوى الحجاج جالسا وقال عمن نقلت هذا فقلت حدثني به محمد بن علي بن الحنفية فأخذ ينكت في الأرض بقضيب ثم قال لقد أخذتها من عين صافية وعن ابن عباس أنه فسره كذلك فقال له عكرمة فإن خر من سفق بيت أو احترق أو أكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به ويدل عليه قراءة أبي إلا ليؤمنن به قبل موته بضم النون على معنى وإن منهم أحد إلا سيؤمنون به قبل موتهم لأن أحدا يصلح للجميع قال صاحب (الكشاف) والفائدة في أخبار الله تعالى بإيمانهم بعيسى قبل موتهم أنهم متى علموا أنه لا بد من الإيمان به لا محالة فلأن يؤمنوا به حال ما ينفعهم ذلك الإيمان أولى من أن يؤمنوا به حال ما لا ينفعهم ذلك الإيمان

والوجه الثاني في الجواب عن أصل السؤال أن قوله قبل موته أي قبل موت عيسى والمراد أن." (٢)

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . ، ١١٦/٩

(٢) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . ، ٨٣/١١

"يوجب مزيد الذل في حقهم وثالثها قوله ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا والمراد بالشيعة وهي فعلة كفرقة وفئة الطائفة التي شاعت أي تبعت غاويا من الغواة قال تعالى إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا (الأنعام ١٥٩) والمراد أنه تعالى يحضرهم أولا حول جهنم جثيا ثم يميز البعض من البعض فمن كان أشدهم تمردا في كفره خص بعذاب أعظم لأن عذاب الضال المضل يجب أن يكون فوق عذاب من يضل تبعا لغيره وليس عذاب من يتمرد ويتجبر كعذاب المقلد وليس عذاب من يورد الشبه في الباطل كعذاب من يقتدي به مع الغفلة قال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون (النحل ٨٨) وقال وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم (العنكبوت ١٣) فبين تعالى أنه ينزع من كل فرقة من كان أشد عتوا وأشد تمردا ليعلم أن عذابه أشد ففائدة هذه التمييز التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص بأصل العذاب فلذلك قال في جميعهم ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا ولا يقال أولى إلا مع اشتراك القوم في العذاب واختلفوا في إعراب أيهم فعن الخليل أنه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد وسيبويه على أنه مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلة حتى لو جيء به لأعرب وقيل أيهم هو أشد وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا

واعلم أنه تعالى لما قال من قبل فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم قال ثم لنحضرنهم حول جهنم (مريم ٦٨) أردفه بقوله وإن **منكم إلا واردها يعني** جهنم واختلفوا فقال بعضهم المراد من تقدم ذكره من الكفار فكنى عنهم أولا كناية الغيبة ثم خاطب خطاب المشافهة قالوا إنه لا يجوز للمؤمنين أن يردوا النار ويدل عليه أمور أحدها قوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون (الأنبياء ١٠١) والمبعد عنها لا يوصف بأنه واردها والثاني قوله لا يسمعون حسيسها (الأنبياء ١٠٢) ولو وردوا جهنم لسمعوا حسيسها وثالثها قوله وهم من فزع يومئذ ءامنون (النحل ٨٩) وقال الأكثرون إنه عام في كل مؤمن وكافر لقوله تعالى وإن **منكم إلا واردها فلم** يخص وهذا الخطاب مبتدأ مخالف للخطاب الأول ويدل عليه قوله ثم ننجي الذين اتقوا أي من الواردين من اتقى ولا يجوز أن يقال ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا إلا والكل واردون والأخبار المروية دالة على هذا القول ثم هؤلاء اختلفوا في تفسير الورود فقال بعضهم الورود الدنو من جهنم وأن يصيروا حولها وهو موضع المحاسبة واحتجوا على أن الورود قد يراد به القرب بقوله تعالى فأرسلوا واردهم (يوسف ١٩) ومعلوم أن ذلك الوارد ما دخل الماء وقال تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون (القصص ٢٣) وأراد به القرب ويقال وردت القافلة البلدة وإن لم تدخلها فعلى هذا معنى الآية أن الجن والإنس يحضرون حول." (١)

"جهنم كان على ربك حتما مقضيا (مريم ٧١) أي واجبا مفروغا منه بحكم الوعيد ثم ننجي أي نبعد الذين اتقوا عن جهنم وهو المراد من قوله تعالى أولئك عنها مبعدون (الأنبياء ١٠١) ومما يؤكد هذا القول ما روي أنه (صلى الله عليه وسلم) قال (لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية فقالت حفصة أليس الله يقول وإن **منكم إلا واردها فقال** عليه السلام فمه ثم ننجي الذين اتقوا) ولو كان الورود عبارة عن الدخول لكان سؤال حفصة لازما القول الثاني أن الورود هو الدخول ويدل عليه الآية والخبر أما الآية فقوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون (

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب .   ،   ٢٠٧/٢١

الأنبياء ٩٨) وقال فأوردهم النار وبئس الورد (هود ٩٨) ويدل عليه قوله تعالى الحسنى أولئك عنها مبعدون والمبعد هو الذي لولا التبعيد لكان قريبا فهذا إنما يحصل لو كانوا في النار ثم إنه تعالى يبعدهم عنها ويدل عليه قوله تعالى ونذر الظالمين فيها جثيا وهذا يدل على أنهم يبقون في ذلك الموضع الذي وردوه وهم إنما يبقون في النار فلا بد وأن يكونوا قد دخلوا النار وأما الخبر فهو أن عبد الله بن رواحة قال (أخبر الله عن الورود ولم يخبر بالصدور فقال عليه السلام يا ابن رواحة اقرأ ما بعدها ثم ننجي الذين اتقوا) وذلك يدل على أن ابن رواحة فهم من الورود الدخول والنبي (صلى الله عليه وسلم) ما أنكر عليه في ذلك وعن جابر (أنه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما حتى أن للناس ضجيجا من بردها) والقائلون بهذا القول يقولون المؤمنون يدخلون النار من غير خوف وضرر ألبتة بل مع الغبطة والسرور وذلك لأن الله تعالى أخبر عنهم أنهم لا يحزنهم الفزع الاكبر (الأنبياء ١٠٣) ولأن الآخرة دار الجزاء لا دار التكليف وإيصال الغم والحزن إنما يجوز في دار التكليف ولأنه صحت الرواية عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (إن الملائكة تبشر في القبر من كان من أهل الثواب بالجنة حتى يرى مكانه في الجنة ويعلمه) وكذلك القول في حال المعاينة فكيف يجوز أن يردوا القيامة وهم شاكون في أمرهم وإنما تؤثر هذه الأحوال في أهل النار لأنهم لا يعلمون كونهم من أهل النار والعقاب ثم اختلفوا في أنه كيف يندفع عنهم ضرر النار فقال بعضهم البقعة المسماة بجهنم لا يمتنع أن يكون في خلالها ما لا نار فيه ويكون من المواضع التي يسلك فيها إلى دركات جهنم وإذا كان كذلك لم يمتنع أن يدخل الكل في جهنم فالمؤمنون يكونون في تلك المواضع الخالية عن النار والكفار يكونون في وسط النار وثانيها أن الله تعالى يخمد النار فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم قال ابن عباس رضي الله عنهما (يردونها كأنها إهالة) وعن جابر بن عبد الله (أنه سأل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس وعدنا ربنا بأن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة) وثالثها أن حرارة النار ليست بطبعها فالأجزاء الملاصقة لأبدان الكفار يجعلها الله عليهم محرقة مؤذية والأجزاء الملاصقة لأبدان المؤمنين يجعلها الله بردا وسلاما عليهم كما في حق إبراهيم عليه السلام وكما أن الكوز الواحد من الماء يشربه القبطي فكان يصير دما ويشربه الإسرائيلي فكان يصير ماء عذبا واعلم أنه لا بد من أحد هذه الوجوه في الملائكة الموكلين بالعذاب حتى يكونوا في النار مع المعاقبين فإن قيل إذا لم يكن على المؤمنين عذاب في دخولهم النار فما الفائدة في ذلك الدخول قلنا فيه وجوه." (١)

"الآية مختصة بهم ومن قال العبرة بخصوص السبب خصص قوله إن الذين بهؤلاء فقط

أما قوله تعالى سبقت لهم منا الحسنى فقال صاحب (الكشاف) الحسنى الخصلة المفضلة والحسنى تأنيث الأحسن وهي إما السعادة وإما البشرى بالثواب وإما التوفيق للطاعة والحاصل أن مثبتي العفو حملوا الحسنى على وعد العفو ومنكري العفو حملوه على وعد الثواب ثم إنه سبحانه وتعالى شرح من أحوال ثوابهم أمور خمسة أحدها قوله أولئك عنها مبعدون فقال أهل العفو معناه أولئك عنها مخرجون واحتجوا عليه بوجهين الأول قوله وإن **منكم إلا واردها (** مرمي ٧١) أثبت الورود وهو الدخول فدل على أن هذا الإبعاد هو الإخراج الثاني أن أبعاد الشيء عن الشيء لا يصح إلا إذا كانا متقاربين لأنهما

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . ، ٢٠٨/٢١

لو كانا متباعدين استحال إبعاد أحدهما عن اخر لأن تحصيل الحاصل محال واحتج القاضي عبد الجبار على فساد هذا القول الأول بأمور أحدها أن قوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى يقتضي أن الوعد بثوابهم قد تقدم في الدنيا وليس هذا حال من يخرج من النار لو صح ذلك وثانيها أنه تعالى قال أولئك عنها مبعدون وكيف يدخل في ذلك من وقع فيها وثالثها قوله تعالى لا يسمعون حسيسها وقوله لا يحزنهم الفزع الاكبر يمنع من ذلك والجواب عن الأول لا نسلم أن (يقال) المراد من قوله إن الذين سبقت لهم منا الحسنى هو أن الوعد بثوابهم قد تقدم ولم لا يجوز أن المراد من الحسنى تقدم الوعد بالعفو سلمنا أن المراد من الحسنى تقدم الوعد بالثواب لكن لم قلتم إن الوعد بالثواب لا يليق بحال من يخرج من النار فإن عندنا المحابطة باطلة ويجوز الجمع بين استحقاق الثواب والعقاب وعن الثاني أنا بينا أن قوله أولئك عنها مبعدون لا يمكن إجراؤه على ظاهره إلا في حق من كان في النار وعن الثالث أن قوله لا يسمعون حسيسها مخصوص بما بعد الخروج

أما قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر فالفزع الأكبر هو عذاب الكفار وهذا بطريق المفهوم يقتضي أنهم يحزنهم الفزع الأصغر فإن لم يدل عليه فلا أقل من أن لا يدل على ثبوته ولا على عدمه الوجه الثاني في تفسير قوله أولئك عنها مبعدون أن المراد الذين سبقت لهم منا الحسنى لا يدخلون النار ولا يقربونها ألبتة وعلى هذا القول بطل قول من يقول إن جميع الناس يردون النار ثم يخرجون إلى الجنة لأن هذه الآية مانعة منه وحينئذ يجب التوفيق بينه وبين قوله وإن **منكم إلا واردها (** مريم ٧١) وقد تقدم الصفة الثانية قوله تعالى لا يسمعون حسيسها والحسيس الصوت الذي يحس وفيه سؤالان الأول أي وجه في أن لا يسمعوا حسيسها من البشارة ولو سمعوه لم يتغير حالهم قلنا المراد تأكيد بعدهم عنها لأن من لم يدخلها وقرب منها قد يسمع حسيسها السؤال الثاني أليس أن أهل الجنة يرون أهل النار فكيف لا يسمعون حسيس النار الجواب إذا حملناه على التأكيد زال هذا السؤال الصفة الثالثة قوله وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون والشهوة طلب النفس للذة يعني نعيمها مؤبد قال العارفون للنفوس شهوة وللقلوب شهوة وللأرواح شهوة وقال الجنيد سبقت العناية في البداية فظهرت الولاية في النهاية الصفة الرابعة قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر وفيه وجوه أحدها أنها النفخة الأخيرة لقوله تعالى ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السماوات ومن فى الارض (النمل ٨٧) وثانيها أنه الموت قالوا إذا استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بعث الله تعالى جبريل عليه السلام ومعه الموت في صورة كبش أملح فيقول لأهل الدارين أتعرفون هذا فيقولون لا فيقول هذا الموت ثم يذبحه ثم ينادي يا أهل الجنة خلود ولا موت أبدا وكذلك لأهل النار." (١)

"والجواب أنا لا نسلم أن كلمة (من) في معرض الشرط للعموم والكلام فيه مذكور في أصول الفقه سلمنا أنه للعموم ولكن قطعا أم ظاهرا ودعوى القطع ممنوعة فإنا نرى في العرف العام المشهور استعمال صيغ العموم مع أن المراد هو الأكثر أو لأن المراد أقوام معينون والدليل عليه قوله تعالى إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (البقرة ٦) ثم إن كثيرا من الذين كفروا قد آمنوا فلا دافع له إلا أن يقال قوله الذين كفروا وإن كان يفيد العموم لكن المراد منه الغالب أو المراد منه أقوام مخصوصون وعلى التقديرين ثبت أن استعمال ألفاظ العموم في الأغلب عرف ظاهر وإذا كان كذلك كانت دلالة هذه الصيغ على العموم دلالة ظاهرة لا قاطعة وذلك لا ينفي تجويز العفو سلمنا دلالته قطعا ولكنا

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . ، ١٩٦/٢٢

أجمعنا على أن قوله ومن يظلم منكم مشروط بأن لا يوجد ما يزيله وعند هذا نقول هذا مسلم لكن لم قلت بأن لم يوجد ما يزيله فإن العفو عندنا أحد الأمور التي تزيله وذلك هو أحد الثلاثة أول المسألة سلمنا دلالته على ما قال ولكنه معارض بآيات الوعد كقوله إن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا (الكهف ١٠٧) فإن قيل آيات الوعيد أولى لأن السارق يقطع على سبيل التنكيل ومن لم يكن مستحقا للعقاب لا يجوز قطع يده على سبيل التنكيل فإذا ثبت أنه مستحق للعقاب ثبت أن استحقاق الثواب أحبط لما بينا أن الجمع بين الاستحقاقين محال قلنا لا نسلم أن السارق يقطع على سبيل التنكيل ألا ترى أنه لو تاب فإنه يقطع لا على سبيل التنكيل بل على سبيل المحنة نزلنا عن هذه المقامات ولكن قوله تعالى ومن يظلم منكم إنه خطاب مع قوم مخصوصين معينين فهب أنه لا يعفو عنهم فلم قلت إنه لا يعفو عن غيرهم

أما قوله تعالى وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق ففيه مسائل

المسألة الأولى هذا جواب عن قولهم ما لهاذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق (الفرقان ٧) بين الله تعالى أن هذه عادة مستمرة من الله في كل رسله فلا وجه لهذا الطعن

المسألة الثانية حق الكلام أن يقال ألا إنهم بفتح الألف لأنه متوسط والمكسورة لا تليق إلا بالابتداء فلأجل هذا ذكروا وجوها أحدها قال الزجاج الجملة بعد (إلا) صفة لموصوف محذوف والمعنى وما أرسلنا قبلك أحدا من المرسلين إلا آكلين وماشين وإنما حذف لأن في قوله من المرسلين دليلا عليه ونظيره قوله تعالى وما منا إلا له مقام معلوم (الصافات ١٦٤) على معنى وما منا أحد وثانيها قال الفراء إنه صلة لاسم متروك اكتفى بقوله من المرسلين عنه والمعنى إلا من أنهم كقوله وما منا إلا له مقام معلوم أي من له مقام معلوم وكذلك قوله وإن **منكم إلا واردها** (مريم ٧١) أي إلا من يردها فعلى قول الزجاج الموصوف محذوف وعلى قول الفراء الموصول هو المحذوف ولا يجوز حذف الموصول وتبقية الصلة عند البصريين وثالثها قال ابن الأنباري تكسر إن بعد الاستثناء بإضمار واو على تقدير إلا وإنهم ورابعها قال بعضهم المعنى إلا قيل إنهم المسألة الثالثة قرىء يمشون على البناء للمفعول أي تمشيهم حوائجهم أو الناس ولو قرىء يمشون لكان أوجه لولا الرواية." (١)

"الحالة الرابعة أن تنسف لأنها مع الأحوال المتقدمة قارة في مواضعها والأرض تحتها غير بارزة فتنسف عنها بإرسال الرياح عليها وهو المراد من قوله فقل ينسفها ربي نسفا طه ١٠٥

والحالة الخامسة أن الرياح ترفعها عن وجه الأرض فتطيرها شعاعا في الهواء كأنها غبار فمن نظر إليها من بعد حسبها لتكاثفها أجساما جامدة وهي في الحقيقة مارة إلا أن مرورها بسبب مرور الرياح بها صيرها منكدة متفتتة وهي قوله تمر مر السحاب النمل ٨٨ ثم بين أن تلك الحركة حصلت بقهره وتسخيره فقال ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة الكهف ٤٧ الحالة السادسة أن تصير سرابا بمعنى لا شيء فمن نظر إلى مواضعها لم يجد فيها شيئا كما أن من يرى السراب من بعد إذا جاء الموضع الذي كان يراه فيه لم يجده شيئا والله أعلم

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . ، ٢٤/٥٧

واعلم أن الأحوال المذكورة إلى ههنا هي أحوال عامة ومن ههنا يصف أهوال جهنم وأحوالها

فأولها قوله تعالى إن جهنم كانت مرصادا وفيه مسائل

المسألة الأولى قرأ ابن يعمر أن جهنم بفتح الهمزة على تعليل قيام الساعة بأن جهنم كانت مرصادا للطاغين كأنه قيل كان كذلك لإقامة الجزاء

المسألة الثانية كانت مرصادا أي في علم الله تعالى وقيل صارت وهذان القولان نقلهما القفال رحمه الله تعالى وفيه وجه ثالث ذكره القاضي فإنا إذا فسرنا المرصاد بالمرتقب أفاد ذلك أن جهنم كانت كالمنتظرة لقدومهم من قديم الزمان وكالمستدعية والطالبة لهم

المسألة الثالثة في المرصاد قولان أحدهما أن المرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه كالمضمار اسم للمكان الذي يضمر فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذي ينهج فيه وعلى هذا الوجه فيه احتمالان أحدهما أن خزنة جهنم يرصدون الكفار والثاني أن مجاز المؤمنين وممرهم كان على جهنم لقوله وإن **منكم إلا واردها مريم** ٧١ فخزنة الجنة يستقبلون المؤمنين عند جهنم ويرصدونهم عندها

القول الثاني أن المرصاد مفعال من الرصد وهو الترقب بمعنى أن ذلك يكثر منه والمفعال من أبنية المبالغة كالمنظار والمعمار والمطعان قيل إنها ترصد أعداء الله وتشق عليهم كما قال تعالى تكاد تميز من الغيظ الملك ٨ قيل ترصد كل كافر ومنافق والقائلون بالقول الأول استدلوا على صحة قولهم بقوله تعالى إن ربك لبالمرصاد الفجر ١٤ ولو كان المرصاد نعتا لوجب أن يقال إن ربك لمرصاد

المسالة الرابعة دلت الاية على أن جهنم كانت مخلوقة لقوله تعالى إن جهنم كانت مرصادا أي معدة وإذا كان كذلك كانت الجنة أيضا كذلك لأنه لا قائل بالفرق." (١)

"فإذا جآءت الطآمة الكبرى

وفيه مسألتان

المسألة الأولى الطامة عند العرب الداهية التي لا تستطاع وفي اشتقاقها وجوه قال المبرد أخذت فيما أحسب من قولهم طم الفرس طميما إذا استفرغ جهده في الجري وطم الماء إذا ملأ النهر كله وقال الليث الطم طم البئر بالتراب وهو الكبس ويقال طم السيل الركية إذا دفنها حتى يسويها ويقال للشيء الذي يكبر حتى يعلو قد طم والطامة الحادثة التي تطم على ما سواها ومن ثم قيل فوق كل طامة طامة قال القفال أصل الطم الدفن والعلو وكل ما غلب شيئا وقهره وأخفاه فقد طمه ومنه الماء الطامي وهو الكثير الزائد والطاغي والعاتي والعادي سواء وهو الخارج عن أمر الله تعالى المتكبر فالطامة اسم لكل داهية عظيمة ينسى ما قبلها في جنبها

يوم يتذكر الإنسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى

المسألة الثانية قد ظهر بما ذكرنا أن معنى الطامة الكبرى الداهية الكبرى ثم اختلفوا في أنها أي شيء هي فقال قوم إنها يوم

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب ، ١٢/٣١

القيامة لأنه يشاهد فيه من النار ومن الموقف الهائل ومن الآيات الباهرة الخارجة عن العادة ما ينسى معه كل هائل وقال الحسن إنها هي النفخة الثانية التي عندها تحشر الخلائق إلى موقف القيامة وقال آخرون إنه تعالى فسر الطامة الكبرى بقوله تعالى يوم يتذكر الإنسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى فالطامة تكون اسما لذلك الوقت فيحتمل أن يكون ذلك الوقت وقت قراءة الكتاب على ما قال تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا (الإسراء ١٣) ويحتمل أن تكون تلك الساعة هي الساعة التي يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار ثم إنه تعالى وصف ذلك اليوم بوصفين

الأول قوله تعالى يوم يتذكر الإنسان ما سعى يعني إذا رأى أعماله مدونة في كتابه تذكرها وكان قد نسيها كقوله أحصاه الله ونسوه (المجادلة ٦)

الصفة الثانية قوله تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى وفيه مسألتان

المسألة الأولى قوله تعالى لمن يرى أي أنها تظهر إظهارا مكشوفا لكل ناظر ذي بصر ثم فيه وجهان أحدهما أنه استعارة في كونه منكشفا ظاهرا كقولهم تبين الصبح لذي عينين

وعلى هذا التأويل لا يجب أن يراه كل أحد والثاني أن يكون المراد أنها برزت ليراها كل من له عين وبصر وهذا يفيد أن كل الناس يرونها من المؤمنين والكفار إلا أنها مكان الكفار ومأواهم والمؤمنون يمرون عليها وهذا التأويل متأكد بقوله تعالى وإن **منكم إلا واردها إلى** قوله ثم ننجى الذين اتقوا (مريم ٧٢ ٧١) فإن قيل إنه تعالى قال في سورة الشعراء وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين." (١)

"أن هذه الرؤية أجلى والحكمة في النقل من العلم الأخفى إلى الأجلى التفريع على ترك النظر لأنهم كانوا يقتصرون على الظن ولا يطلبون الزيادة

المسألة السابعة قراءة العامة لترون بفتح التاء وقرىء بضمها من رأيته الشيء والمعنى أنهم يحشرون إليها فيرونها وهذه القراءة تروي عن ابن عامر والكسائي كأنهما أرادا لترونها فترونها ولذلك قرأ الثانية ثم لترونها بالفتح وفي هذه الثانية دليل على أنهم إذا أروها رأوها وفي قراءة العامة الثانية تكرير للتأكيد ولسائر الفوائد التي عددناها واعلم أن قراءة العامة أولى لوجهين الأول قال الفراء قراءة العامة أشبه بكلام العرب لأنه تغليظ فلا ينبغي أن الجحيم لفظه الثاني قال أبو علي المعنى في لترون الجحيم لترون عذاب الجحيم ألا ترى أن الجحيم يراها المؤمنون أيضا بدلالة قوله وإن **منكم إلا واردها وإذا** كان كذلك كان الوعيد في رؤية عذابها لا في رؤية نفسها يدل على هذا قوله إذ يرون العذاب وقوله وإذا رأى الذين ظلموا العذاب وهذا يدل على أن لترون أرجح من لترون

ثم لتسألن يومئذ عن النعيم

قوله تعالى اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن فيه قولان

المسألة الأولى في أن الذي يسأل عن النعيم من هو فيه قولان

أحدهما وهو الأظهر أنهم الكفار قال الحسن لا يسأل عن النعيم إلا أهل النار ويدل عليه وجهان الأول ما روى أن أبا بكر

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب ، ٤٦/٣١

لما نزلت هذه الآية قال يا رسول الله أرأيت أكلة أكلتها معك في بيت أبي الهيثم بن التيهان من خبز شعير ولحم وبسر وماء عذب أن تكون من النعيم الذي نسأل عنه فقال عليه الصلاة والسلام إنما ذلك للكفار ثم قرأ وهل نجزى إلا الكفور والثاني وهو أن ظاهر الآية يدل على ما ذكرناه وذلك لأن الكفار ألهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله تعالى والاشتغال بشكره فالله تعالى يسألهم عنها يوم القيامة حتى يظهر لهم أن الذي ظنوه سببا لسعادتهم هو كان من أعظم أسباب الشقاء لهم في الآخرة

والقول الثاني أنه عام في حق المؤمن والكافر واحتجوا بأحاديث روى أبو هريرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال (أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة عن النعيم فيقال له ألم نصحح لك جسمك ونروك من الماء البارد) وقال محمود بن لبيد لما نزلت هذه السورة قالوا يا رسول الله عن أبي نعيم نسأل إنما هما الماء والتمر وسيوفنا على عواتقنا والعدو حاضر فعن أي نعيم نسأل قال (إن ذلك سيكون) وروى عن عمر أنه قال أي نعيم نسأل عنه يا رسول الله وقد أخرجنا من ديارنا وأموالنا فقال (صلى الله عليه وسلم) (ظلال المساكن والأشجار والأخبية التي تقيكم من الحر والبرد والماء البارد في اليوم الحار) وقريب منه (من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه وعنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها) وروى أن شابا أسلم في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فعلمه رسول الله سورة ألهاكم ثم زوجه رسول الله امرأة فلما دخل عليها ورآى الجهاز العظيم والنعيم الكثير خرج وقال لا أريد ذلك فسأله النبي عليه الصلاة والسلام عنه فقال ألست علمتني ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم." (١)

"عموم هذه الآية مخصوصٌ في مواضع ، منها قوله تعالى : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ [مريم : ٧١] ثم قال : ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَواْ﴾ [مريم : ٧٢] وأهل الثَّوابِ مصونونَ عن الخِزْيِ.

ومنها : أنَّ الملائكةَ - الذين هم خَزَنَة جَهَنَّم يكونون في النَّارِ ، وهُمْ - أيضاً - مصونونَ عَنِ الخزي ، قال تعالى : ﴿عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم : ٦].

قوله : ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ " مِنْ " زائدة ، لوجودِ الشَّرْطَيْنِ ، وفي مجرورها وجهانِ : أحدهما : أنه مبتدأ ، وخبره في الجارّ قبله ، وتقديمه - هنا - جائزٌ لا واجبٌ ؛ لأنَّ النفي مسوِّغٌ وحَسَّن تقديمه كونُ مبتدئه فاصلةً.

الثاني : أنه فاعل بالجارِّ قبله ، لاعتماده على النفي ، وهذا جائزٌ عند الجميعِ.

فصل تمسَّك المعتزلةُ بهذه الآيةِ في نَفْي الشفاعةِ للفسَّاق ؛ وذلك لأن الشفاعة ، نوع نُصْرَةٍ ، ونَفْي الجنس يقتضي نَفْيَ النَّوعِ ، والجوابُ من وجوهٍ : أحدها : أن القرآنَ دلَّ على أنّ الظالمينَ - بالإطلاقِ - هم الكفَّارُ ، قال تعالى : ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة : ٢٥٤] ويؤَكّده ما حكى عن الكفار من نفيهم الشفعاء والأنصار في قولهم : ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ وَلاَ صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء : ١٠٠ - ١٠١].

ثانيها : أنَّ الشفيع لا يمكنه أن يشفع إلا بإذن اللهِ تَعَالَى ، قال تعالى : ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة : ٢٥٥] وإذا كان كذلك لم يكن الشفيعُ قادراً على النُّصرَةِ إلا بعد الإذن ، وإذا حصل الإذن ففي الحقيقة إنما ظهر العفو

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب .   ،   ٧٧/٣٢

من اللهِ تَعَالَى ، فقوله : ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ يُفيد أنه لا حكمَ إلا لله ، كما قال : ﴿أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ﴾ [الأنعام : ٦٢] وقال : ﴿وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار : ١٩].

فإن قيل : فعلى هذا التقديرِ لا يبقى لتخصيص الظالمينَ – بهذا الحكمِ – فائدةٌ.

فالجوابُ : بل فيه فائدةٌ ، لأنه وعد المؤمنينَ المتقينَ في الدُّنْيَا بالفوزِ بالثَّوابِ ، والنجاةِ من العقابِ ، فلهم يومَ القيامةِ هذه المنزلةُ ، وأما الفُسَّاقُ فليس لهم ذلك ، فصَحَّ تخصيصهم بنَفْي الأنصارِ على الإطلاقِ.

ثالثها : أن هذه الآيةَ عامةٌ ، والأحاديثُ الواردةُ بثبوتِ الشفاعةِ خاصةٌ ، والخاصُّ مقَدَّم على العامّ.

١١٨

جزء : ٦ رقم الصفحة : ١١٠

" سمع " إن دخلت على ما يصح أن يُسْمَعَ – نحو : سمعتُ كلامكَ وقراءتك – تَعَدَّتْ لواحدٍ ، فإن دخلت على ما يصح سماعهُ – بأن كان ذاتاً – فلا يصحُّ الاقتصارُ عليه وَحْدَه ، بل لا بد من الدلالة على شيء يُسْمَع ، نحو سمعتُ رجلاً يقول كذا ، وسمعت زيداً يتكلم ، وللنحويين – في هذه المسألة – قولانِ : أحدهما : أنها تتعدى فيه – أيضاً – إلى مفعولٍ واحدٍ ، والجملة الواقعة بعد المنصوب صفة إن كان قبلها نكرة ، أو حالاً ، إن كان معرفة.

والثاني : – قول الفارسيُّ وجماعة – : أنها تتعدى لاثنين ، والجملة في محلِّ الثاني منهما ، فعلى قول الجمهورِ يكون " يُنَادِي " في محل نَصْبٍ ، لأنهُ صفةٌ لمنصوبٍ قبلهُ ، وعلى قول الفارسيّ يكون في محل نصْبٍ على أنه مفعولٌ ثانٍ.

وقال الزمخشريُّ : " تقول : سمعت رجلاً يقولُ كذا ، وسمعت زيداً يتكلمُ ، فتوقع الفعل على الرجل ، وتحذف المسموع ؛ لأنك وصفته بما يسمع ، أو جعلته حالاً منه ، فأغناك عن ذِكْره ، ولولا الوصف أو الحالُ لم يكن منه بُدٌّ ، وأن تقول : سمعتُ كلامَ فلانٍ أو قَوْلَهُ ".

وهذا قولُ الجمهورِ المتقدم ذِكره.

إلا أن أبا حيّان اعترض عليه ، فقال " وقوله : ولولا الوصفُ أو الحالُ...

إلى آخره ، ليس كذلك ، بل لا يكونُ وَصْفٌ ولا حالٌ ، ويدخل " سَمِعَ " على ذات على مسموع ، وذلك إذا كان في الكلام ما يُشْعِر بالمسموع – وإن لم يكن وَصْفاً ولا حالاً – ومنه قوله تعالى : ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ [الشعراء : ٧٢] فأغنى ذكر طرف الدعاء عن ذكر المسموع ".

وأجاز أبو البقاء في " يُنَادِي " أن تكون في محل نَصْبٍ على الحال من الضمير المستكن في " مُنَادِياً ".

فإن قيل : ما الفائدة في الجمع بين " مُنَادِياً " و " يُنَادِي " ؟ فأجاب الزمخشريُّ بأنه ذَكَر النداء مطلقاً ، ثم مقيَّداً بالإيمانِ ، تفخيماً لشأن المُنَادِي ؛ لأنه لا مناديَ أعظمُ من منادٍ ينادي للإيمان ، ونحوه قولك : مررت بهادٍ يهدي للإسلام ، وذلك أن المناديَ إذا أطلق ذهب الوَهم إلى منادٍ للحرب ، أو لإطفاء الثائرة ، أو لإغاثة المكروبِ ، أو لكفاية بعض النوازلِ ، أو لبعض المنافعِ وكذلكَ الهادي يُطلق على مَنْ يهدي للطريق ، ويهدي لسدادِ الرأي ، وغير ذلك فإذا قُلْتَ : ينادي للإيمان ، ويهدي للإسلام فقد رَفَعْتَ من شأن المنادِي والهادي وفخّمته.

١١٩

" .(١)

"لما ذكر فَضَائح اليَهُود وقبحَ أفْعَالِهِم ، وأنَّهم قَصَدُوا قَتْل عِيسَى عليه الصلاة والسلام ، وأنَّه لم يَحْصُل لهم ذَلِكَ المَقْصُود ، وأنَّ عيسى – عليه السلام – حَصَل له أعْظَمُ المَنَاصِبِ ، بَيَّن أن هؤلاء اليهُود الذين بَالَغُوا في عَدَاوَتِهِ ، لا يَخْرُجُ أحَدٌ مِنْهُم من الدُّنْيَا إلا بَعْدَ أن يُؤمِنَ به ، فقال : ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ ، " إنْ " هنا نافيةٌ بمعنى " مَا " ، و " مِنْ أهْلِ " يجوز فيه وجهان : أحدهما : أنه صفة لمبتدأ محذوف ، والخبرُ الجملةُ القسمية المحذوفة وجوابها ، والتقدير : وما أحدٌ من أهل الكتاب إلاَّ واللَّهِ ليُؤمِنَنَّ به ، فهو كقوله : ﴿وَمَا مِنَّآ إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات : ١٦٤] ، أي : ما أحدٌ مِنَّا ، وكقوله : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ [مريم : ٧١] أي : مَا أحَدٌ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها ، هذا هو الظاهر.

والثاني – وبه قال الزمخشري وأبو البقاء – : أنه في محلِّ الخبر ، قال الزمخشري : " وجملة " لَيُؤْمِنَنَّ به " جملةٌ قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف ، تقديره : وَإِنْ مِنْ أهْلِ الكِتَاب أحَدٌ إلاَّ لَيُؤمِنَنَّ بِهِ ، ونحوه : ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ ، والمعنى : " وما من اليهود أحَدٌ إلاَّ لَيُؤمنَنَّ " ، قال أبو حيان : " وهو غلطٌ فاحشٌ ؛ إذ زعم أن " لَيُؤْمِنَنَّ بِه " جملة قسمية واقعةٌ صفةً لموصوف محذوف إلى آخره ، وصفة " أحَد " المحذوف إنما الجار والمجرور ؛ كما قدَّرناه ، وأمَّا قوله : " لَيُؤْمِنَنَّ به " ، فليستْ صفةً لموصوف ، ولا هي جملة قسمية ، إنما هي جملة جواب القَسَم ، والقسم محذوفٌ ، والقسمُ وجوابُه خبر للمبتدأ ، إذ لا ينتظم من " أحَد " ، والمجرور إسناد ؛ لأنه لا يفيد ، وإنما ينتظم الإسنادُ بالجملة القسمية وجوابها ، فذلك هو مَحَطُّ الفائدةِ ، وكذلك أيضاً الخبرُ هو ﴿إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ﴾ ، وكذلك " إِلاَّ وَارِدُهَا " ؛ إذ لا ينتظم مما قبل " إلاَّ " تركيب

١١٧

إسناديٌّ " .

[قال شهاب الدين] وهذا – كما تَرَى – قد أساء العبارة في حق الزمخشريّ ؛ بما زعم أنه غلط ، وهو صحيح مستقيم ، وليت شعري كيف لا ينتظم الإسنادُ من " أحَد " الموصوفِ بالجملة التي بعده ، ومن الجارِّ قبله ؟ ونظيرُه أن تقول : " مَا فِي الدَّارِ رَجُلٌ إلاَّ صَالِحٌ " فكما أن " فِي الدَّار " خبر مقدَّم ، و " رَجُلٌ " مبتدأ مؤخر ، و " إلاَّ صَالِحٌ " صفته ، وهو كلامٌ مفيد مستقيمٌ ، فكذلك هذا ، غايةُ ما في الباب أنَّ " إلاَّ " دخلت على الصفة ؛ لتفيدَ الحصْر ، وأما ردُّه عليه حيث قال : جملةٌ قسميَّة ، وإنما هي جوابُ القسَم ، فلا يَحْتاجُ إلى الاعتذار عنه ، ويكفيه مثلُ هذه الاعتراضاتِ.

واللام في " لَيُؤمِنَنَّ " جوابُ قسمٍ محذوف ، كما تقدَّم.

وقال أبو البقاء : " لَيُؤمِنَنَّ جواب قسم محذوفٍ ، وقيل : أكَّدَ بها في غير القسَم ؛ كما جاء في النفي والاستفهام " ، فقوله : " وقيل...

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٣٤٥

إلى آخره " إنما يستقيم ذلك ، إذا أعَدْنا الخلاف إلى نونِ التوكيد ؛ لأنَّ نون التوكيد قد عُهِد التأكيدُ بها في الاستفهام باطِّرادٍ ، وفي النفي على خلاف فيه ، وأما التأكيدُ بلام الابتداء في النفي والاستفهام ، فلم يُعْهَد ألبتة ، وقال أيضاً قبل ذلك : وما مِنْ أَهْلِ الكتاب أحدٌ ، وقيل : المحذوفُ " مَنْ " وقد مرَّ نظيره ، إلا أنَّ تقديرَ " مَنْ " هنا بعيدٌ ، لأن الاستثناء يكون بعد تمام الاسْمِ ، و " مَنْ " الموصولة والموصوفةُ غيرُ تامَّة " ، يعني أن بعضهم جعل ذلك المحذوفَ لفظَ " مَنْ " ، فيقدِّر : وإنْ مِنْ أهْلِ مَنْ إلاَّ ليُؤمِنَنَّ ، فجعلَ موضع " أحَد " لفظ " مَنْ " ، وقوله : " وقَدْ مرَّ نظيره " ، يعني قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران : ١٩٩] ومعنى التنظير فيه أنه قد صرَّح بلفظ " من " المقدَّرةِ ههنا.

وقرأ أبَيٌّ : " ليُؤمِنُنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِمْ " بضم النون الأولى مراعاة لمعنى " أحَد " المحذوف ، وهو وإن كان لفظه مفرداً ، فمعناه جمع ، والضمير في " به " لعيسى – عليه السلام – ، وقيل : لله تعالى ، وقيل : لمحمَّد – عليه السلام – ، وفي " مَوْته " لعيسى ، ويُروى في التفسير ؛ أنه حين ينزل إلى الأرض يُؤمِنُ به كلُّ أحدٍ ، حتى تصيرَ المِلّةُ كلُّها إسلامية وهو قَوْلُ قَتادَة ، وابن زَيْدٍ وغيرِهما ، وهو اخْتِيَارُ الطَّبَرِيِّ.

وقيل : يَعُود على " أحَد " المُقدَّر ، أي : لا يَمُوت كِتَابِيٌّ حتى يُؤمن بعيسى قبل مَوْتِهِ عند المُعَايَنَةِ حين لا يَنْفَعُهُ.

ونُقِل عن ابن عَبَّاسٍ ذلك ، فقال له عِكْرِمة ، أفَرأيْتَ إن خَرَّ بَيْتٌ أو احْتَرَق أو أكَلَهُ سَبُعٌ ؟ قال : لا يمُوتُ حَتَّى يُحَرِّكَ بها شَفَتَيْهِ ، أي : بالإيمَانِ بعيسى.

١١٨

" (١).

"وجعل ما ظاهره أنه جملة واحدة جملتين.

وحكى أبو البقاء عن الأخفش والكسائي أن مفعول " نَنْزعنَّ " : " مِنْ كُلِّ شيعةٍ " و " مِنْ " مزيدة ، قال : وهما يجيزان زيادة " مِنْ " " في الواجب " ، و " أيُّهُم " استفهام أي : لنَنْزِعَنَّ كُلَّ شيعةٍ.

وهذا مخالف في المعنى تخريج الجمهور ، فإنَّ تخريجهم يؤدي إلى التبعيض ، وهذا يؤدي إلى العموم ، إلاَّ أن يجعل " مِنْ " لابتداء الغاية لا للتبعيض فيتفق التخريجان ، وذهب الكسائي إلى أنَّ معنى " لنَنْزِعَنَّ " لنُنَادِينَّ ، فعومل معاملته ، فلم يعمل في " أيّ ".

قال المهدوي : " ونادى " يعلق إذا كان بعده جملة نصب ، فيعمل في المعنى ولا يعمل في اللفظ.

وقال المبرد : " أيُّهُمْ " متعلق بـ " شيعةٍ " فلذلك ارتفع ، والمعنى من الذين تسايعوا أيهم أشد ، كأنهم يتبادرون إلى هذا.

" ويلزمه على هذا " أن يقدر مفعولاً لـ " ننزعنَّ " محذوفاً وقدر بعضهم في قول المبرد : من الذين تعاونوا فنظروا أيهم.

قال النحاس وهذا قول حسن.

وقد حكى الكسائي تشايعوا بمعنى

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٦٦٤

١١٣
تعاونوا قال شهاب الدين : وفي هذه العبارة المنسوبة للمبرد قلق ، ولا بيَّن الناقل عنه وجه الرفع عن ماذا يكون ، وبيَّنه أبو البقاء ، لكن جعل " أيهم " فاعلاً لما تضمنه " شِيعَةٍ " " من معنى الفعل ، قال : التقدير : لننزعن من كل " فريق يشيع أيهم.

وهي على هذا بمعنى " الذي " ، ونقل الكوفيون أنَّ " أيُّهُم " في الآية بمعنى الشرط ، والتقدير : إن اشتدَّ عتوهم أو لم يشتد ، كما تقول : ضرب القوم أيهم غضب.

المعنى : إن غضبوا أو لم يغضبوا.

وقرأ طلحة بن مصرِّف " ومعاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء ، وزائدة " عن الأعمش " أيُّهُمْ " نصباً.

فعلى هذه القراءة والتي قبلها ينبغي أن يكون مذهب سيبويه جواز إعرابها وبنائها ، وهو المشهور عند النقلة عنه ، " وقد نقل عنه " أنَّه يحتم بناءها.

قال النحاس : ما علمتُ أحداً من النحويين إلاَّ وقد خطَّأ سيبويه ، " قال : وسمعت أبا إسحاق الزجاج يقول : ما يبين لي أنَّ سيبويه " غلط في كتابه إلاَّ في موضعين هذا أحدهما.

قال : وقد أعرب سيبويه " أيًّا " وهي مفردة ، لأنَّها تضاف فكيف يبينها مضافة.

وقال الجرميّ : خرجت من البصرة فلم أسمع منذ فارقت الخندق إلى مكة أحداً يقول : لأضربن أيهم قائم ، بالضم بل ينصب.

١١٤
قوله : " على الرَّحمنِ " متعلق بـ " أشَدُّ " ، و " عِتِيًّا " منصوب على التمييز وهو محول عن المبتدأ ، " إذ التقدير " : أيُّهُم هو عتوه أشد.

ولا بدَّ من محذوف يتم به الكلام ، التقدير : فيلقيه في العذاب ، أو فنبدأ بعذابه.

قال الزمخشري : فإن قلت : بم يتعلق " عَلَى " ، و " البَاء " ، فإن تعلقهما بالمصدرين لا سبيل إليه.

قلتُ : هما للبيان لا للصلة ، أو يتعلقان بأفعل ، أي : عتوهم أشد على الرحمن ، وصليهم أولى بالنار ، كقولهم : هو أشد على خصمه ، وهو أولى بكذا.

يعني بـ " عَلَى " قوله : : على الرَّحمنِ " ، وبـ " الباء " قوله : " بالَّذِينَ هُمْ " وقوله : بالمصدرين.

يعني بهما " عتيًّا " و " صِلِيًّا ".

" وأما كونه لا سبيل إليه " ، فلأن المصدر في نية الموصول ، ولا يتقدم معمول الموصول عليه " وجوَّز بعضهم " أن يكون " عِتِيًّا " ، و " صليًّا " في هذه الآية مصدرين كما تقدم وجوَّز أن يكون جمع عاتٍ وصالٍ فانتصابهما على هذا الحال.

وعلى هذا يجوز أن يتعلق " عَلَى " و " الباء " بهما لزوال المحذوف المذكور.

قال المفسرون : معنى قوله : ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيّاً﴾ أي أحق بدخول النار.

يقال : صَلِيَ يَصْلَى صُلِيًّا مثل لَقِيَ يَلْقَى لُقِيًّا ، وصَلَى يَصْلِي صُلِيًّا مثل مَضَى يَمْضِي مُضِيًّا ، إذا دخل النار ، وقَاسَى

حرَّها.
قوله تعالى : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ الآية.
الواو في " وإنْ " فيها وجهان : أحدهما : أنها عاطفة لهذه الجملة على ما قبلها.
وقال ابن عطية : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ قسم ، والواو تقتضيه ، ويفسره قول النبي صلى الله عليه وسلم " من مات له ثلاث من
١١٥
الولد لم تمسه النار إلا تحله القسم " وأراد بالقسم قوله تعالى : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾.
قال أبو حيان : " وذهل عن " قول النحويين : إنه لا يستغنى عن القسم بالجواب لدلالة المعنى إلا إذا كان الجواب باللام أو بـ " إنَّ " ، والجواب هنا على زعمه بـ " إنْ " النافية ، فلا يجوز حذف القسم على ما نصوا.
وقوله : والواو تقتضيه.
يدلُّ على أنها عنده واو القسم ، ولا يذهب نَحْوِي إلى أنَّ مثل هذه الواو واو القسم ، لأنَّهُ يلزم عن ذلك حذف المجرور وإبقاء الجاء ، ولا يجوز بذلك إلا أن وقع في شعر أو نادر كلام بشرط أن تقوم صفة المحذوف مقامه ، كما أولوا في قولهم : نِعْمَ السَّيْرُ على بِئْسَ العيرُ.
أي : على عير بئس العير ، وقول الشاعر :
٣٦١٨ - واللهِ مَا لَيْلِي بِنَامَ صَاحِبُهْ
جزء : ١٣ رقم الصفحة : ٩٧
." (١)

"أي : بِلَيْل نام صاحبه ، وهذه الآية ليست من هذا الضرب ، إذ لم يحذف المقسم " به " وقامت صفته مقامه.
و " إنْ " حرف نفي ، " و " مِنْكُم " صفة لمحذوف تقديره : وإن أحد منكم " ويجوز أن يكون التقدير : وإن منكم إلاَّ من هو واردها وقد تقدم لذلك نظائر.
والخطاب في قوله : : مِنْكُمْ " يحتمل الالتفات وعدمه.
١١٦
قال الزمخشري : التفات إلى الإنسان ، ويعضده قراءة ابن مسعود وعكرمة ، " وإنْ مِنْهُمْ " أو خطاب للناس من غير التفات إلى المذكور.
والحَتْمُ : القضاءُ ، والوجوب حَتْم ، أي : أوجبه حتماص ، ثم يطلق الحتم على الأمر المحتوم كقوله تعالى : ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ [لقمان : ١١] ، وهذا درهمٌ ضرب الأمير.
و " على ربِّك " متعلق بـ " حَتْم " ، لأنَّه في معنى اسم المفعول ولذلك وصفه بـ " مَقْضِيًّا " .

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل .   ،   ص/٣٥٢٥

فصل المعنى : وما منكم إلا واردها ، والورود هو موافاة المكان.

وقيل القسم فيه مضمر ، أي : والله ما منكم من أحد إلا واردها.

واختلفوا في معنى الورود هنا فقال ابن عباس والأكثرون : الورود ههنا هو الدخول ، والكناية راجعة إلى النار ، وقالوا : يدخلها البر والفاجر ، ثم ينجي الله المتقين فيخرجهم منها ، ويدلُّ على أنَّ الورود هو الدخول قوله تعالى : ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود : ٩٨].

روى ابن عيينة عن عمرو بن دينار أنَّ نافع بن الأزرق مارى ابن عباس في الورود فقال ابن عباس : هو الدخول.

وقال نافع : ليس الورود الدخول ، فتلى ابن عباس ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ أدخلها هؤلاء أم لا ؟ ثم قال : يا نافع أما والله أنا وأنت سنردها ، وأنا أرجو أن يخرجني الله ، وما أرى أن يخرجك منها بتكذيبك.

ويدلُّ عليه أيضاً قوله تعالى " ثُمَّ نُنَجِّي الذينَ اتَّقَوْا " ، أي : ننجي من الواردين من اتقى ، ولا يجوز أن يقول " ثُمَّ نُنجي الذين اتقول ونذر الظالمين فيها جثياً " إلاَّ

١١٧

والكل واردون.

والأخبار المروية دل على هذا القول ، وهو ما " روي عن عبد الله بن رواحة قال : أخبر الله تعالى عن الورود ولم يخبر بالصد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم " يا ابن رواحة " اقرأ ما بعدها " ثُمَّ نُنَجِّي الذين اتقوا " فدلَّ على أنَّ ابن رواحة فهم من الورود الدخول ، ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وعن جابر أنَّه سُئِلَ عن هذه الآية ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " الورودُ الدخولُ ، ولا يبقى بردٌّ ولا فاجرٌ إلا دخلها ، فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً ، حتى إن للنار ضجيجاً من بردها ".

وقيل : المراد من تقدم ذكره من الكفار ، فكنى عنهم أولاً كناية الغيبة ثم خاطب خطاب المشافهة.

قالوا : ولا يجوز أن يدخل الناء مؤمن أبداً لقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَـائِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيَسَهَا﴾ والمبعد عنها لا يوصف بأنه واردها ، ولو وردوا جهنم لسمعوا حسيسها.

وقوله : ﴿وَهُمْ مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل : ٨٩].

والمراد في قوله : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ الحضور والرؤية لا الدخول ، كقوله : ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص : ٢٣] أراد به الحضور.

وقال عكرمة : الآية في الكفار يدخلونها ولا يخرجون منها.

وقال ابن مسعود : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ يعني القيامة والكناية راجعة إليها.

١١٨

وقال البغوي : والأول أصح ، وعليه أهل السنة أنهم جميعاً يدخلون النار ، ثم يخرج الله منها أهل الإيمان ، لقوله تعالى :

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَواْ﴾ أي : الشرك ، وهم المؤمنون ، والنجاة إنما تكون مما دخلت فيه.
قوله : ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً﴾ أي : كان ورودكم جهنم حتماً لازماً مقضياً قضاه الله عليكم.
قوله : " ثُمَّ نُنَجِّي ".
قرأ العامة : ثُمَّ نُنَجِّي " بضم " ثُمَّ " على أنَّها العاطفة.
وقرأ علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – وابن مسعود ، وابن عباس ، وأبي ، والجحدري ويعقوب " ثَمَّ " بفتحها على أنَّها الظرفية ، ويكون منصوباً بما بعده ، أي : هُناك نُنَجِّي الذين اتَ◌َ◌ّقَوا.
وقرأ الجمهور " نُنَجِّي " بضم النون الأولى وفتح الثانية وتشديد الجيم من نجَّى مضعفاً.
وقرأ الكسائي والأعمش وابن محيصن " نُنَجِي " من أنْجَى.
والفعل على هاتين القراءتين مضارع.
وقرأت فرقة " نُجِّي " بنون واحدة مضمومة وجيم مشددة ، وهو على هذه
١١٩
" (١).
"القراءة ماض مبني للمفعول ، وكان من حق قارئها أن يفتح الياء ، ولكنه سكنه تخفيفاً.
وتحتمل هذه القراءة توجيهاً آخر سيأتي في قراءة متواترة في آخر سورة الأنبياء.
وقرأ علي بن أبي طالب – أيضاً – " نُنَحِّي " بحاء مهملة من التنحية.
ومفعول " اتَّقَوْا " محذوف مراد للعلم به ، أي : اتقوا الشرك والظلم.
قوله : " جِثِيًّا " إمَّا مفعول ثان إن كان " نَذَرُ " يتعدى لاثنين بمعنى أن " نترك ونصير ".
وإمَّا حال إن جعلت " نَذَرُ " بمعنى نخليهم.
و " جَثِيًّا " على ما تقدم.
و " فيها " يجوز أن يتعلق بـ " نَذَرُ " ، وأن يتعلق بـ " جِثِيًّا " إن كان حالاً ولا يجوز ذلك فيه إن كان مصدراً ، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من " جِثِيًّا " ، لأنه في الأصل صفة لنكرة قدم عليها فنصب حالاً.
فصل اختلفوا في أنَّه كيف يندفع عن المتقين ضرر النار إذا ورودها بأنَّ القول هو الدخول.
فقيل : " البقعة بجهنم لا يمتنع أن يكون في خلالها ما لا نار فيه ، وإذا كان كذلك لا يمتنع " أن يدخل الكل في جهنم ، ويكون المؤمنون في تلك المواضع الخالية عن النار والكفار في وسط النار ، وعن جابر أنَ◌ِ◌ّ رسول الله صلى الله عيله وسلم قال " إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول بعضهم لبعض : أليس ربنا أن نرد النار ؟ فيقال لهم : قد دخلتموها وهي خامدة ".
وقيل : إنَّ الله – تعالى – يخمد النار فيعبرها المؤمنون ، وتنهار بالكافرين.
قال ابن

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٥٢٦

١٢٠

عباس : يردونها كأنَّها إهالة.

وقيل : إنَّ الله – تعالى – يجعل النار الملاصقة لأبدان المؤمنين برداً وسلاماً كما جاء في الحديث المتقدم ، وكما في حق إبراهيم – عليه السلام – ، وكما في حق الكوز الواحد من الماء يشربه القبطي فيكون دماً ، ويشربه الإسرائيلي فيكون ماء عذباً ، وفي الحديث : " تقول النار للمؤمن جُزْ يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي " وعن مجاهد في قوله تعالى " ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ قال : من حُمَّ من المسلمين فقد وردها.

وفي الخبر " الحمى كنز من جهنم ، وهي حظ المؤمن من النار " واعلم أنه لا بُدَّ من أحد هذه الوجوه في الملائكة الموكلين بالعذاب حتى يكونوا في النار مع المعاقبين.

فإن قيل : إذا لم يكن على المؤمنين عذاب في دخولهم فما الفائدة في ذلك الدخول ؟ فالجواب : أنَّ ذلك مما يزيدهم سروراً إذا علموا الخلاص منه.

وأيضاً : فيه مزيد غم على أهل النار حيث تظهر فضيحتهم عند من كان يخوفهم من النار فما كانوا يلتفتون إيله وأيضاً : إن المؤمنين إذا كانوا معهم في النار يبكتونهم فيزداد غم الكفار وسرور المؤمنين.

وأيضاً : فإن المؤمنين كانوا يخوفونهم بالحشر والنشر ، ويستدلون على ذلك ، فما كانوا يقبلون تلك الدلائل ، فإذا دخلوا جهنم معهم أظهروا لهم أنهم كانوا صادقين فيما قالوه ، وأنَّ المكذِّبين بالحشر والنشر كانوا كاذبين.

وأيضاً : إنهم إذا شاهدوا ذلك العذاب صار سبباً لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة على ما قيل : وبضدها تتبين الأشياء.

جزء : ١٣ رقم الصفحة : ٩٧

قوله تعالى : ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بِيِّنَاتٍ﴾ الآية.

١٢١

لما أقام الحجة ، على مشركي قريش المنكرين للبعض ، وأتبعه بالوعيد حكى عنهم أنهم عارضوا حجة الله بكلام ، فقالوا : لو كنتم انتم على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم في الدنيا أحسن من حالنا ، لأنَّ الحكيمَ لا يليق به أن يوقع أولياءه المخلصين في الذل وأعداءه المعرضين عن خدمته في العز والراحة ، وإنما كان الأمر بالعكس ، فإنَّ الكفار في النعمة والراحة والاستعلاء ، والمؤمنين كانوا في ذلك الوقت في الخوف والقلة ، فدل على أنَّ الحق ليس من المؤمنين ، هذا حاصل شبهتهم.

وقوله : ﴿آيَاتُنَا بِيِّنَاتٍ﴾ أي : واضحات ، وقيل : مرتلات ، وقيل : ظاهرات الإعجاز.

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني النضر بن الحارث وذويه من قريش ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا اْ﴾ يعني فقراء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت فيهم قشافة ، وفي عيشهم خشونةٌ ، وفي ثيابهم رثاثةٌ ، وكان المشركون يرجلون شعورهم ، ويلبسون خير ثيابهم ، فقالوا للمؤمنين ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَاماً﴾ منزلاً ومسكناً ، وهو موضع الإقامة ، " وأحْسَنُ نديًّا " أي : مجلساً ، ومثله النادي.

قوله : " مَقَاماً ".

قرأ ابن كثير " مُقَاماً " بالضم.

ورُوِيَتْ عن أبي عمرو ، وهي قراءة ابن محيصن وهو موضع الإقامة والمنزل.

١٢٢

." (١)

"الأول : أن يقال : إنَّ عادة الله تعالى أنه متى شرح عقاب الكفار أردفه بشرح ثواب الأبرار ، فلهذا ذكر هذه الآية عقيب تلك الآية فهي عامة في حق كل المؤمنين.

الثاني : أن هذه الآية نزلت في تلك الواقعة لتكون كالتأكيد في دفع سؤال ابن الزبعرى ثم قال : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وهذا هو الحق ، أجراها على عمومها ، فتكون الملائكة والمسيح وعزير – عليهم السلام – داخلين فيها ، لا أنّ الآية مختصة بهم.

ومَنْ قال العبرة بخصوص السبب خصص قوله : " إنَّ الَّذِينَ " بهؤلاء فقط.

قوله : " مِنَّا " يجوز أن يتعلق بـ " سَبَقَتْ " ، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من " الحُسْنَى " قال الزمخشري : " الحُسْنَى " الخصلة المفضلة في الحسن تأنيث الأحسن وهي إما السعادة ، وإما البشرى بالثواب ، وإما التوفيق للطاعة ثم شرح أحوال ثوابهم فقال : ﴿أُوْلَـائِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.

قال أهل العفو معناه : أولئك عنها مخرجون ، واحتجوا بوجهين : الأول : قوله ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ [مريم : ٧١] أثبت الورود ، والورود الدخول ، فدل على أن هذا الإبعاد هو الإخراج.

والثاني : أن إبعاد الشيء لا يصح إلا إذا كانا متقاربين لأنهما لو كانا متباعدين استحال إبعاد أحدهما عن الآخر ، لأنّ تحصيل الحاصل محال.

وقال المعتزلة : ﴿أُوْلَـائِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ لا يدخلون النار ولا يقربونها ألبتة.

واحتج القاضي عبد الجبار على فساد الأول بأمور : أحدها : أنَّ قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَى ﴾ يقتضي أنّ الوعد بثوابهم قد تقدم في الدنيا ، وليس هذا حال من يخرج من النار.

وثانيها : أنه تعالى قال : ﴿أُوْلَـائِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ فكيف يدخل في لك من وقع فيها.

وثالثها : قوله : ﴿لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيَسَهَا﴾ وقوله : ﴿لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ﴾ يمنع من ذلك.

والجواب عن الأول لا نسلم أنّ المراد من قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَى ﴾ هو أن الوعد بثوابهم قد تقدم ، ولم لم يجوز أن يكون المراد من " الحُسْنَى " تقدم الوعد بالثواب ، (لكن لم قلتم إن الوعد بالثواب لا) يليق بحال من يخرج من النار فإن عنده المحابطة باطلة ، ويجوز الجميع بين استحقاق الثواب والعقاب.

وعن الثاني : أنا

٦١٠

بينا أنّ قوله : ﴿أُوْلَـائِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ لا يمكن إجراؤه على ظاهره إلا في حق من كان في النار.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل .   ،   ص/٣٥٢٧

وعن الثالث : أن قوله : ﴿لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيَسَهَا﴾ مخصوص بما بعد الخروج.

وعلى قول المعتزلة بأن المراد بقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَـائِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ أنهم لا يدخلون النار ولا يقربونها ، يبطل القول بأن جميع الناس يردون النار ، ثم يخرجون إلى الجنة ، فيجب التوفيق بينه وبين قوله : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ [مريم : ٧١] وقد تقدم.

قوله : ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ﴾ إلى قوله : وَيَتَلَقَاهُكَ "كل جملة من هذه الجمل يحتمل أن تكون حالاً مما قبلها ، وأن تكون مستأنفة ، وكذلك الجملة المضمرة من القول العامل في جملة قوله : " هَـذَا يَوْمُكُمُ " إذ التقدير : وتتلقاهم الملائكة يقولون هذا يومكم.

فصل معنى ﴿لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيَسَهَا﴾ أي : صوتها وحركة تلهبها إذا نزلوا منازل لهم في الجنة.

والحس والحسيس : الصوت الخفي.

﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ مقيمون كقوله : ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ﴾ [الزخرف : ٧١] ﴿لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ﴾ النفخة الأخيرة لقوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ﴾ [النمل : ٨٧].

وقال الحسن : حين يؤمر بالعبد إلى النار.

وقال ابن جريج : حين يذبح الموت وينادي يا أهل الجنة خلود فلا موت.

وقال سعيد بن جبير والضحاك : هو أن تطبق جهنم ، وذلك بعد أن يخرج الله منها من يريد أن يخرجه.

﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ﴾.

أي : تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة يقولون ﴿هَـذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

فإن قيل : أي : بشارة في أنهم لا يسمعون حسيسها ؟ فالجواب : المراد منه تأكيد بعدهم عنها ، لأن من قرب منها قد يسمع حسيسها فإن قيل : أليس أهل الجنة يرون أهل النار ، فكيف لا يسمعون حسيس النار ؟ فالجواب : إذا حملناه على التأكيد زال هذا السؤال.

٥١١

جزء : ١٣ رقم الصفحة : ٦٠٩

" (١).

"سلمنا دلالته ، لكن أجمعنا على أن قوله : ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾ مشروط بأن لا يزيل ذلك الظلم بتوبة أو بطاعة هي أعظم من ذلك الظلم ، فيرجع حاصل الأمر إلى أن قوله : " يَظْلِمْ مِنْكُمْ " مشروط بأن لا يعاجل ما يزيله وعند هذا فنقول : هذا مسلم ، لكن لم قلتم : إنه لم يوجد ما يزيله ؟ فإن العفو عندنا أحد الأمور الثلاثة التي تزيله ، وذلك هو أول المسألة سلمنا دلالته على ما قال ولكنه معارض بآيات الوعد كقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل .   ،   ص/٣٦٨٢

الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ [الكهف : ١٠٧].

فإن قيل : آيات الوعيد أولى ، لأن السارق يُقْطع على سبيل التنكيل ، وإذا ثبت أنه مستحق للعقاب ثبت أن استحقاق الثواب محبط لما بينا أن الجمع بين الاستحقاقين محال.

قلنا : لا نسلم أنَّ السارق يقطع على سبيل التنكيل ، ألا ترى أنه لو تاب فإنه (لا) يقطع على سبيل التنكيل (بل على سبيل المحنة).

نزلنا عن هذه المقامات ، ولكن قوله تعالى : ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾ خطاب مع قوم مخصوصين معينين ، فهب أنه لا يعفو عن غيرهم.

قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الآية هذا جواب عن قولهم : ﴿مَالِ هَـذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان : ٧] أي : هذه عادة مستمرة من الله تعالى في كل رسله فلا وجه لهذا الطعن.

قوله : ﴿إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ﴾ حق الكلام أن يقال : إلاَّ أنَّهُمْ.

بفتح الألف ، لأنه متوسط ، والمكسورة لا تليق إلاَّ بالابتداء ، فلهذا ذكروا في هذه الجملة ثلاثة أوجه : أحدها : أنها في محل نصب صفة لمفعول محذوف ، فقدره الزجاج والزمخشري : " وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ أحَداً مِن الْمُرْسَلِين إلا آكِلِين وَمَاشِينَ ".

وإنما حذف ، لأن في قوله : " مِنَ الْمُرسَلِينَ " دليلاً عليه ، نظيره قوله تعالى : ﴿وَمَا مِنَّآ إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات : ١٦٤] بمعنى : مَا مِنَّا أحدٌ.

وقدره ابن عطية : رجالاً أو رسلاً.

والضمير في " إنَّهم " وما بعده عائد على هذا الموصوف المحذوف.

والثاني : قال الفراء : إنها لا محل لها من الإعراب ، وإنما هي صلة لموصول

٥٠٢

محذوف هو المفعول (لـ " أَرْسَلْنَا ") ، تقديره : إلا من أنهم.

فالضمير في " إنَّهُمْ " وما بعده عائد على معنى " مَنْ " المقدرة ، واكتفي بقوله : " مِنَ الْمُرْسَلِينَ " عنه كقوله : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا (كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً)﴾ [مريم : ٧١] ، أي : إلاَّ من يردها.

فعلى قول الزجاج الموصوف محذوف ، وعلى قول الفراء الموصول هو المحذوف ، ولا يجوز حذف الموصول وتبقية الصلة عند البصريين إلاَّ في مواضع ، تقدَّم التنبيه عليها في البقرة.

الثالث : أن الجملة محلها النصب على الحال ، وإليه ذهاب ابن الأنباري قال : التقدير : إلاَّ وإنهم ، يعني أنها حالية ، فقدَّر معها الواو بياناً للحالية ، فكسر بعد استئناف.

وردَّ بكون ما بعد " إلاَّ " صفة لما قبلها ، وقدره أبو البقاء أيضاً.

والعامة على كسر " إنَّ " ، لوجود اللام في خبرها ، ولكون الجملة حالاً على الراجح.

قال أبو البقاء : وقيل : لَوْ لَمْ تكن اللام لكسرت أيضاً لأن الجملة حالية ، إذ المعنى : إلاَّ وَهُمْ.

وقيل : المعنى : إلا قيل أنهم.

وقرئ " أَنَّهُمْ " بالفتح على زيادة اللام وأن مصدرية ، والتقدير : إلاَّ لأَنَّهُمْ أي : ما جعلنا رسلاً إلى الناس إلا لكونهم مثلهم.

وقرأ العامة " يَمْشُونَ " خفيفة ، وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وعبد الله " يُمَشُّونَ " مشدداً مبنيًّا للمفعول ، أي : تُمَشِّيهِمْ حَوَائِجُهُمْ أو الناس.

وقرأ عبد الرحمن : " يَمشُّونَ " بالتشديد مبنيًّا للفاعل ، وهي بمعنى " يَمْشُونَ " قال الشاعر : ٣٨٦٩ - وَمَشَّى بِأَعْطَانِ المِيَاهِ وابْتَغَى

قَلاَئِصَ مِنْهَا صَعْبَةٌ وَرَكُوبُ

جزء : ١٤ رقم الصفحة : ٤٩٣

٥٠٣

." (١)

"والحالة الرابعة : أن تنسف ؛ لأنها مع الأحوال المتقدمة تارة في مواضعها في الأرض ، فترسل الرياح ، فتنسفها عن وجه الأرض ، فتطيِّرها في الهواء كأنها مارة ، فمن نظر إليها يحسبها لتكاثفها أجساماً جامدة ، وهي في الحقيقة مارة ، إلا أن مرورها بسبب مرور الرياح بها مندكة منتسفة.

والحالة الخامسة : أن تصير سراباً ، أي : لأي شيء كما رؤي السراب من بعد.

جزء : ٢٠ رقم الصفحة : ١٠٠

قوله تعالى : ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً﴾ " مَفْعَالاً " من الرصد ، والرصد : كل شيء كان أمامك.

قرأ ابن يعمر وابن عمر والمنقري : " أَنَّ جَهنَّمَ " بفتح " أن ".

قال الزمخشريُّ : على تعليل قيام الساعة ، بأن جهنم كانت مرصاداً للطَّاغين ، كأنَّه قيل : كان ذلكٌ قامة الجزاء ، يعني : أنه علَّة لقوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ إلى آخره.

قال القفال : في المرصاد قولان : أحدهما : أنَّ المرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه ، كالمضمارِ اسم للمكان الذي يضمر فيه الخيل ، والمِنْهَاج : اسم للمكان الذي ينهج فيه ، أي : جهنم معدَّة لهم فالمرصاد بمعنى المحل ، وعلى هذا فيه احتمالان : الأول : أنَّ خزنة جهنم يرصدون الكفَّار.

والثاني : أن مجاز المؤمنين ، وممرهم على جهنم ، لقوله تعالى : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ [مريم : ٧١] ، فخزنة الجنة يَسْتقبلُونَ المؤمنين عند جهنم ، ويرصدونهم عندها.

القول الثاني : أنَّ " المِرصَاد " " مِفْعَال " من الرصد ، وهو " الترقب " بمعنى أنَّ ذلك يكثر منه ، و " المِفْعَالُ " من أبنية المبالغة كـ " المِعطَاء ، والمِعْمَار ، والمِطْعَان ".

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل .   ،   ص/٣٨٧٨

قيل : إنَّها ترصد أعداءَ اللهِ ، وتشتد عليهم لقوله تعالى : تكاد تميَّزُ من الغيظ.

١٠٣

وقيل : ترصدُ كُلَّ منافقٍ وكافرٍ.

فصل دلت الآية على أنَّ جهنم كانت مخلوقة لقوله تعالى أن جهنم كانت مرصاداً وإذا كانت كذلك كانت الجنة لعدم الفارق.

قوله : ﴿لِّلطَّاغِينَ﴾ يجوز أن يكون صفة لـ " مِرْصَاداً " ، وأن يكون حالاً من " مآباً " كان صفته فلما تقدَّم نصبَ على الحال ، وعلى هذين الوجهين يتعلق بمحذوف ، ويجوز أن يكون متعلقاً بنفس " مِرْصَاداً " ، أو بنفس " مآباً " ؛ لنه بمعنى مرجع.

قال ابن الخطيب : إن قيل بأن : " مِرصَاداً " للكافرين فقط ، كان قوله : " للطَّاغين " من تمام ما قبله ، والتقدير : كانت مرصاداً للطَّاغين ، ثم قوله : " مآباً " بدل قوله : " مرصاداً " ، وإن قيل : إنَّ مرصاداً مطلقاً للكفَّار والمؤمنين كان قوله تعالى : ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً﴾ كلاماً تاماً وقوله تعالى : ﴿لِّلطَّاغِينَ مَآباً﴾ كلاماً مبتدأ ، كأنه قيل : إنَّ جهنَّم كانت مرصاداً للكل ، و " مآباً " للطَّاغين خاصَّة ، فمن ذهب إلى القول الأول لم يقف على قوله : " مرصاداً " ومن ذهب إلى القول الثاني وقف عليه.

قال القرطبيُّ : " للطَّاغِينَ مآباً " بدلٌ من قوله : " مِرصَاداً " ، والمَآبُ " المرجع ، أي : مرجعاً يرجعون إيله ، يقال : آب يثوب أوْبَة : إذا رجع.

وقال قتادة : مأوى ومنزلاً ، والمراد بالطاغين من طغى في دينه بالكفر ودنياه بالظلم.

قوله : ﴿لاَّبِثِينَ﴾.

منصوب على الحال من الضمير المستتر في " للطاغين " ، وفي حال مقدرة.

وقرأ حمزة : " لبثين " دون ألف.

والباقون : " لابثين " بألف.

وضعف مكي قراءة حمزة ، قال : ومن قرأ : " لبثين " شبهه بما هو خلقة في الإنسان نحو حِذْر وفِرْق ، وهو بعيد ؛ لأن اللبث ليس مما يكون خلقة في الإنسان وباب فعل إنما يكون لما هو خلقة في الإنسان.

وليس اللبس بخلقة.

ورجَّح الزمخشري قراءة حمزة ، فقال : " قرأ : لابثين " ولبثين " واللبث أقوى ؛ لأن

١٠٤

اللاَّبث يقال لمن وجد منه اللبث ، ولا يقال : لبث إلا لمن شأنه اللبث ، كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفكّ منه ".

وما قاله الزمخشري أصوب.

وأمَّا قولُ مكيٍّ : اللبث ليس بخلقة ، فمسلم لكنه بولغ في ذلك ، فجعلَ بمنزلة الأشياء المختلفة.

و " لابثين " اسم فاعل من " لبث " ، ويقويه أنَّ المصدر منه " اللّبث " - بالإسكان - كـ " الشرب ".

قوله : " أحْقَاباً " منصوب على الظرف ، وناصبه " لاَبِثِيْنَ " ، هذا هو المشهور ، وقيل : منصوب بقوله : " لا يذوقون " ، وهذا عند من يرى تقدم معمول ما بعد " لا " عليها وهو أحد الأوجه ، وقد مر هذا مستوفىً في أواخر الفاتحة وجوَّز الزمخشري أن ينتصب على الحال.

قال : " وفيه وجه آخر : وهو أن يكون من : حَقِبَ عامنا إذا قلَّ مطرهُ وخيرهُ ، وحقب فلان إذا أخطأه الرزق ، فهو حقبٌ وجمعه : " أحْقَاب " ، فينتصب حالاً عنهم ، بمعنى : لابثين فيها بحقبين جحدين ".

وتقدم الكلام على الحقب في سورة " الكهف ".

قال القرطبي : و " الحِقْبَةُ " - بالكسر - : السَّنة ، والجمع حِقَب ؛ قال متممُ بنُ نويرةَ : [الطويل] ٥٠٧٥ - زَكُنَّا كَنَدْمَانِيَ جَذِيمَةَ حِقْبَةً

مِنَ الدَّهْرِ حتَّى قِيلَ : لَنْ يتصدَّعا

جزء : ٢٠ رقم الصفحة : ١٠٣

." (١)

"جزء : ٢٠ رقم الصفحة : ١٤١

قوله تعالى : ﴿فَإِذَا جَآءَتِ الطَّآمَّةُ الْكُبْرَى ﴾ في جواب " إذا " أوجه : أحدها : قوله : ﴿فَأَمَّا مَن طَغَى ﴾ ، نحو : " إذا جاءك بنو تميمٍ ، فأما العاصي فأهنه ، وأمَّا الطائع فأكرمه ".

وقيل : محذوف.

فقدِّرهُ الزمخشريُّ : فإن الأمر كذلك ، أي : فإنَّ الجحيمَ مأواهُ.

وقدَّره غيرهُ : انقسم الرَّاءون قسمين.

وقيل : عاينُوا او علموا.

وقيل : جوابها أدخل أهل النار النار ، وأهل الجنة الجنة.

وقال أبو البقاء : العامل فيها جوابها ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ﴾.

والطَّامةُ الكبرى : الدَّاهيَة العُظمَى التي تطمّ على غيرها من الدَّواهي لعظمها ، و " الطَّمُّ " : " الدفن " ، ومنه : طمَّ السَّيلُ الرَّكية ، وفي المثل : جَرَى الوادِي فطمَّ على القُرَى.

وقيل : مأخوذٌ من قولهم : طمَّ الفرس طميماً ، إذا استفرغ جهده في الجري ، والمراد بها في القرآن : النَّفخة الثانية ؛ لأن بها يحصل ذلك.

قال ابن عباس : هي النَّخةُ الثانية التي يكون معها البعث.

وعن ابن عباس - رضي الله عنه - أيضاً ، والضحاك : أنَّها القيامة ، سميت بذلك ؛ لأنَّها تطمُّ على كل شيء فتغمره.

وقال القاسمُ بنُ الوليد الهمداني : الطامةُ الكبرى حين يساق أهل الجنَّة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٥١٨٢

قوله : ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ﴾ بدل من " إذا " ، أو : منصوباًَ بإضمار فعلٍ ، أي : أعني : يوم أو يوم يتذكر كيت وكيت.
قوله : ﴿مَا سَعَى ﴾ أي : ما عمل من خير أو شر يراه مكتوباً في كتابه فيتذكرهُ ، وكان قد نسيه ، لقوله تعالى : ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة : ٦].
قوله تعالى : ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ﴾ العامة على بنائه للمفعول مشدداً ، و ﴿لِمَن يَرَى ﴾ بياء الغيبة.
وزيدُ بن علي وعائشة وعكرمة : مبنيًّا للفاعل مخففاً ، و " ترى " بتاء من فوق ، فجوزوا في تاء " ترى " أن تكون للتأنيث ، وفي " ترى " ضمير الجحيم ، كقوله تعالى : ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [الفرقان : ١٢] ، وأن تكون للخطاب ، أي : ترى أنت يا محمد ، والمراد : ترى الناس.
وقرأ عبد الله : " لمن رأى " فعلاً ماضياً.
قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : " بُرِّزَتْ "كشفت عنها تتلظّى ، فيراه كل ذي بصرٍ ، فالمؤمنون يمرُّون عليها ، ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ [مريم : ٧١] ، وأمَّا الكفار فهي مأواهُم.
وقيل : الرؤية هنا : استعارة ، كقولهم : قد تبين الصبح لذي عينين.
وقيل : المراد : الكافر ؛ لأنه الذي يرى النار بما فيها من أصناف العذاب.
وقيل : يراها المؤمن ليعرف قدر النِّعمةِ.
قوله : ﴿فَأَمَّا مَن طَغَى ﴾ أي : تجاوز الحدِّ في العصيان.
قيل : نزلت في النَّضْرِ وأبيه الحارث ، وهي عامة في كل كافرٍ آثر الحياة الدنيا على الآخرة.
قوله : ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ إمَّا هي المأوى له ، أو هي مأواه ، وقامت " أل " مقام الضمير ، وهو رأي الكوفيين وقد تقدم تحقيق هذا والرد على قائله ، خلافاً للبصريين ؛ قال الشاعر : [الطويل] ٥١٠٦ - رَحيبٌ قِطَاب الجَيْبِ مِنْهَا رَقِيقَةٌ
بِجَسِّ النَّدامَى بَضَّةُ المُتَجَرَّدِ
جزء : ٢٠ رقم الصفحة : ١٤٧
" (١).

"وقيل : لو تعلمون لماذا خلفتم لاشتغلتم وحذفُ الجواب أفخر ، لأنه يذهب الوهم معه كل مذهب ، قال تعالى : ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لاَ يَكُفُّونَ﴾ [الأنبياء : ٣٩] ، وقال تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام : ٣٠] وأعاد "كلاَّ " وهو زجر وتنبيه ؛ لأنه عقب كل واحد بشيء آخر ، كأنه قال : لا تفعلُوا ، فإنكم تندمون ، لا تفعلوا ، فإنكم تستوجبون العقاب.
و ﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ مصدر.

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٥٢٠٠

قيل : وأصله العلم اليقين ، فأضيف الموصوف إلى صفته.
وقيل : لا حاجة إلى ذلك ؛ لأن العلم يكون يقيناً وغير يقين ، فأضيف إليه إضافة العام للخاص ، وهذا يدل على أنَّ اليقينَ أخصُّ.
فصل في المراد باليقين قال المفسّرون : أضاف العلم إلى اليقين ، كقوله تعالى : ﴿لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة : ٩٥] ، قال قتادة : اليقين هنا : الموت.
وعنه أيضاً : البعث ، لأنه إذا جاء زال الشكُّ ، أي : لو تعلمون علم البعث أو الموت ، فعبر عن الموت باليقين ، كقولك : علم الطب ، وعلم الحساب ، والعلم من أشد البواعث على الفعل ، فإذا كان بحيث يمكن العمل ، كان تذكرة ، وموعظة ، وإن كان بعد فوات العمل كان حسرة ، وندامة ، وفيها تهديد عظيم للعلماء ، الذين لا يعمبون بعلمهم.
قوله : ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾.
جواب قسم مقدر ، أي : لترون الجحيم في الآخرة.
والخطاب للكفار الذين وجبت لهم النار.
وقيل : عام [كقوله تعالى : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ [مريم : ٧١] فهي للكفار دار ، وللمؤمنين مَمَرّ].
وقرأ ابن عامر ، والكسائي : " لتُرَوُنَّ " مبنياً للمفعول ، وهي مفعولة من " رأى " الثلاث أي : أرأيته الشيء ، فاكتسب مفعولاً آخر ، فقام الأول مقام الفاعل ، وبقي الثاني منصوباً.
٤٨٠
والباقون مبنياً للفاعل ، جعلوه غير منقول ، فتعدى لواحد فقط ، فإن الرية بصرية.
وأمير المؤمنين ، وعاصم ، وابن كثير في رواية عنهم : بالفتح في الأول ، والضم في الثاني ، يعني : لترونها.
ومجاهد ، وابن أبي عبلة ، وأشهب : بضمها فيهما.
والعامة على أن الواوين لا يهمزان ؛ لأن جرمتهما عارضة.
وقد نصّ مكي ، وأبو البقاء على عدم جوازه ، وعللا بعروض الحركة.
وقرأ الحسن وأبو عمرو بخلاف عنهما : بهمز الواوين استثقالاً لضمة الواو.
قال الزمخشري : " هِيَ مُسْتكرَهة " ، يعني لعروض الحركة عليها ، إلا أنهم قد همزوا ما هو أولى لعدم الهمز من هذه الواو ، نحو : ﴿اشْتَرُواْ الضَّلاَلَةَ﴾ [البقرة : ١٦] همزوا واو " اشترؤا " مع أنها حركة عارضة ، وتزول في الوقف ، وحركة هذه الواو ، وإن كانت عارضة ، إلا أنَّها غير زائلة في الوقف ، فهو أولى بهمزها.
قوله : ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ هذا مصدر مؤكد ، كأنه قل : رؤية اليقين نفياً لتوهم المجاز في الرؤية الأولى.
وقال أبو البقاء : لأن " رأى " ، و " عان " بمعنى.
فصل في معنى الآية معنى الكلام : " لَتَوُنَّ الجَحِيمَ " بأبصاركم على البعد " ثُمَّ لتَرَوُنَّهَا عَيْنَ اليَقِينِ " أي : مشاهدة.
وقيل : " لَوْ تَعْلَمُونَ عِلمَ اليَقِينَ " ، معناه : " لَوْ تَعْلَمُونَ " اليوم في الدنيا " عِلمَ اليَقِينِ " بما أمامكم مما وصفت " لَتَرَوُنَّ الجَحِيم " بعيون قلوبكم ، فإن علم اليقين يريك الجحيم بعين فؤادك ، وهو أن يصور لك نار القيامة " ثُمَّ لتَروُنَّها عَيْنَ اليَقِينِ

" ، أي : عند المعاينة بعين الرأس ، فتراها يقيناً ، لا تغيب عن عينك ، ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ في موقف السؤال والعرض.

قال الحسن : لا يسأل عن النعيم إلا أهل النار ، لأن أبا بكر – رضي الله عنه – لما نزلت هذه الآية ، قال : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيت أكلة أكلتها معك في بيت أبي الهيثم بن

٤٨١

التيهان من خبز شعيرٍ ، ولحم ، وبسر ، وماء عذب ، أتخاف علينا أن يكون هذا من النعيم الذي يسأل عنه ؟ قال – عليه الصلاة والسلام – " إنما ذلِكَ للكُفَّارِ " ثم قرأ : ﴿وَهَلْ نُجْزِي إِلاَّ الْكَفُورَ﴾ [سبأ : ١٧] ؛ ولأن ظاهر الآية يدل على ذلك لأن الكفار ألهاهم التكاثر بالدنيا ، والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله ، والاشتغال بذكر الله تعالى ، يسألهم عنها يوم القيامة ، حتى يظهر لهم أن الذي ظنوه لسعادتهم كان من أعظم الأسباب لشقاوتهم.

وقيل : السؤال عام في حق المؤمن ، والكافر لقوله صلى الله عليه وسلم : " أَوَّلُ ما يُسْأَلُ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ عن النَّعِيمِ ، فيقالُ لَهُ : ألَمْ نُصْحِحْ جِسْمَكَ ؟ ألَمْ نَرْوِكَ مِنْ المَاءِ البَارِدِ " ؟ وقيل : الزائد عما لا بد منه.

وقيل غير ذلك.

قال ابن الخطيب : والأولى على جميع النعيم ، لأن الألف واللام تفيد الاستغراق ، وليس صرف اللفظ إلى بعض أولى من غيرها إلى الباقي ، فيسأل عنها ، هل شكرها أم كفرها ؟ وإذا قيل : هذا السؤال للكفار.

فقيل : السؤال في موقف الحساب.

وقيل : بعد دخول النار ، يقال لهم : إنَّما حل بكم هذا العذاب لاشتغالكم في الدنيا بالنعيم عن العمل الذي ينجيكم ، ولو صرفتم عمركم إلى طاعة ربكم لكنتم اليوم من أهل النجاة.

والله أعلم.

٤٨٢

جزء : ٢٠ رقم الصفحة : ٤٧٥." (١)

"" صفحة رقم ٢٩ "

الشيع فإن عذابهم مضاعف لضلالهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص) صليا (بكسر الصاد

مريم : (٧١) وإن منكم إلا . . . . .

) وإن منكم (وما منكم التفات إلى الإنسان ويؤيده أنه قرىء وإن منهم) **إلا واردها** (إلا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر رضي الله عنه أنه عليه السلام سئل عنه فقال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد رودتموها وهي خامدة وأما قوله تعالى) أولئك عنها مبعدون

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل .　　،　　ص/٥٣٣٩

(فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط فإنه ممدود عليها)كان على ربك حتما مقضيا (كان ورودهم وادبا واجبا الله على نفسه وقضى به بأن وعد به وعدا لا يمكن خلفه وقيل أقسم عليه

مريم : (٧٢) ثم ننجي الذين . . . . .

) ثم ننجي الذين اتقوا (فيساقون إلى الجنة وقرأ الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرىء ثم بفتح الثاء أي هناك و) ونذر الظالمين فيها جثيا (منهارا بهم كما كانوا وهو دليل على أن المراد بالورود الجثو حواليها وأن المؤمنين يفارقون الفجرة إلى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منهارا بهم على هيئاتهم." (١)

"﴿ما كان الله﴾ مريدا ﴿ليذر﴾ لأن يترك ﴿المؤمنين﴾ المخلصين ﴿على مآ أنتم عليه﴾ الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره ﴿حتى يميز الخبيث من الطيب﴾ ماز الشيء يميزه ميزا عزله وافرزه والمعنى ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وأنه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي إلى نبيه بأحوالكم أو بالجهاد أو بالهجرة ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾ أي وما كان الله ليؤتى أحدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر وإيمان ﴿ولاكن الله يجتبى﴾ يصطفي ﴿من رسله من يشآء﴾ فيوحي إليه ويخبره ببعض المغيبات أو ينصب له ما يدل عليها ﴿ما كان الله﴾ بصفة الإخلاص أو بأن تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون إلا ما علمهم الله ولا يعلمون إلا ما أوحى إليهم ﴿وإن تؤمنوا﴾ حق الإيمان ﴿وتتقوا﴾ النفاق ﴿فلكم﴾ بمقابلة ذلك الإيمان والتقوى ﴿أجر عظيم﴾ لا يبلغ كنهه وهذا الأجر على قدر عظم التقوى فإن السير إلى المقصد الأعلى والوصول إلى منازل الاجتباء لا يتهيأ إلا بقدمي التقى :

جزء : ٢ رقم الصفحة : ١٢٩

قدم بايد اندر طريقت نه دم

كه أصلي ندارد دم بي قدم

قال إبراهيم بن أدهم : بت ليلة تحت صخرة بيت المقدس فلما كان بعض الليل نزل ملكان فقال أحدهما لصاحبه : من ههنا؟ فقال الآخر : إبراهيم بن أدهم فقال ذلك الذي حط الله درجة من درجاته فقال : لم؟ قال : لأنه اشترى بالبصرة التمر فوقعت تمرة على تمره من تمر البقال قال إبراهيم : فمضيت إلى البصرة واشتريت التمر من ذلك الرجل وأوقعت تمرة على تمره ورجعت إلى بيت المقدس وبت في الصخرة فلما كان بعض الليل إذا أنا بملكين قد نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه : من ههنا؟ فقال أحدهما : ذلك الذي رد التمرة إلى مكانه فرفعت درجته فهذا هو التقوى على

١٣١

الحقيقة ومراعاة الحقوق على الوجه اللائق ولا يتيسر ذلك إلا بالتوسل إلى جناب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فإن غيب الحقائق والأحوال لا ينكشف بلا واسطة الرسول وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولاكن﴾ الخ وكيف يترقى إلى حقيقة التقوى وعالم الاطلاق من تقيد برأيه واختياره قال الله تعالى : ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾

---

(١) تفسير البيضاوي. ، ٢٩/٤

(المائدة : ٣٥) فلا بد من متابعة النبي عليه السلام.

حقاكه بي متابعت سيد رسل

هر كز كسى بمنزل مقصود ره نيافت

ازهي أو بهي درى ره نمى دهند

انراكه زآستانه او روى دل بتافت

فالإيمان بالله وبرسوله هو التصديق القلبي والإرادة والتمسك بالشريعة والنجاة فيه لا في غيره

. روي . أن المؤمن إذا ورد النار بمقتضى قوله تعالى : ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ (مريم : ٧١) يصير الله ثواب التوحيد سفينة والقرآن حبلها والصلاة شراعها ويكون المصطفى عليه السلام ملاحها والمؤمنون يجلسون عليها ويكبرون الله وتجري السفينة على بحر نار جهنم بريح طيبة فيعبرون عنها سالمين.

فيا أخي لا تضيع أيامك فإن أيامك رأس مالك وإنك ما دمت قابضا على رأس مالك فإنك قادر على طلب الربح فاجتهد في تحصيله بالتوغل في الطاعات والعبادات وإحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة عليه قبل الموت والفوت فإن الموتى يتمنون أن يؤذن لهم بأن يصلوا ركعتين أو يقولوا مرة لا إله إلا الله أو يسبحوا مرة فلا يؤذن لهم ويتعجبون من الأحياء كيف يضيعون أيامهم في الغفلة.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ١٢٩

اكر مرده مسكين زبان داشتى

بفرياد وزارى فغان داشتى

كه أي زنده هست إمكان كفت

لب ازذكرون مرده برهم مخفت

ومارا بغفلت بشد روزكار

توباري دمي ند فرصت شمار

قال عليه السلام : "الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا" فتميز المنافق من المخلص كما يكون في الدنيا بالأقوال والأفعال وغيرهما كذلك يكون في الآخرة ببياض وجه هذا وسواد وجه ذلك كما قال تعالى : ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾ (آل عمران : ١٠٦) فعلى العاقل أن يتحمل مشاق الطاعات والتكاليف والامتحانات الإلهية لعله يفوز بالمرام ويظفر بالبغية يوم يخيب المعرضون والمنافقون ويخسرون.

خوش بودكر محك تجربه آيدبميان

باسيه روى شود هركه دروغش باشد

قال بعض الكبار : وعند الامتحان يكرم الرجل أو يهان عصمنا الله وإياكم من المخالفة.
". (١)

"كما لا يخفى .. حكي .. أن بعض الصالحين كان يتكلم على الناس ويعظهم فمر عليه في بعض الأيام يهودي وهو يخوفهم ويقرأ قوله تعالى : ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ (مريم : ٧١) فقال اليهودي : إن كان هذا الكلام حقا فنحن وأنتم سواء فقال له الشيخ لا ما نحن سواء بل نحن نرد ونصدر وأنتم تردون ولا تصدرون ننجو نحن منها بالتقوى وتبقون أنتم فيها جثيا بالظلم ثم قرأ الآية الثانية ﴿ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ (مريم : ٧٢) فقال اليهودي : نحن المتقون ، فقال له الشيخ كلا بل نحن وتلا قوله تعالى : ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكواة﴾ (الأعراف : ١٥٦) إلى قوله تعالى : ﴿الذين يتبعون الرسول النبى الامى﴾ (الأعراف : ١٥٧) فقال اليهودي : هات برهانا على صدق هذا فقال له الشيخ البرهان حاضر يراه كل ناظر وهو أن تطرح ثيابي وثيابك في النار فمن سلمت ثيابه فهو الناجي منها ، ومن أحرقت ثيابه فهو الباقي فيها فنزعا ثيابهما فأخذ الشيخ ثياب اليهودي ولفها ولف عليها ثيابه ورمى الجميع في النار ثم دخل النار فأخذ الثياب ثم خرج من الجانب الآخر ثم فتحت الثياب فإذا ثياب الشيخ المسلم سالمة بيضاء قد نظفتها النار وأزالت عنها الوسخ ، وثياب اليهودي قد صارت حراقة مع أنها مستورة وثياب الشيخ المسلم ظاهرة للنار فلما رأى ذلك أسلم والحمدفهذه الحكاية مناسبة لما ذكر من الآيات إذ كفار قريش كانوا من أهل الظلم والهوى فلم ينفعهم دعواهم فصاروا إلى العذاب والمؤمنون كانوا من أهل العدل والبينة والهدى فأنتج تقواهم ووصلوا إلى جنات مفتحة لهم الأبواب ومن سلم لباسه من النار سلم وجوده بالطريق الأولى بل الثوب في الحقيقة هو الوجود الظاهري الذي استتر به الروح الباطني فلا بد من تطهيره المؤدي إلى تطهير الباطن يسره الله.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٨

﴿وعنده﴾ أي الله تعالى خاصة.

﴿مفاتح الغيب﴾ أي : خزائن غيوبه ، جمع مفتح بفتح الميم هو المخزن والكنز والإضافة من قبيل لجين الماء وهو المناسب للمقام كما في "حواشي سعدي لبي" المفتي ويجوز أن يكون جمع مفتح بكسر الميم وهو المفتاح أي آلة الفتح فالمعنى ما يتوصل به إلى الغيب شبه الغيب بالخزائن المستوثق بها بالأقفال وأثبت لها مفاتح على سبيل التخييل ولما كان عنده تلك المفاتح كان المتوصل إلى ما في الخزائن من المغيبات هو لا غير كما في "حواشي ابن الشيخ" ﴿لا يعلمهآ إلا هو﴾ تأكيد لمضمون ما قبله.

قال في "تفسير الجلالين" : وهي الخمسة التي في قوله تعالى : ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ (لقمان : ٣٤) الآية رواه البخاري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم ما في الأرحام إلا الله ، ولا يعلم ما في غد إلا الله ، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله ، ولا يدري بأي أرض تموت النفس إلا الله ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله".

---

(١) تفسير روح البيان . ، ١٠٧/٢

﴿ويعلم ما فى البر والبحر﴾ من الموجودات مفصلة على اختلاف أجناسها وأنواعها وتكثير أفرادها وهو بيان لتعلق علمه تعالى بالمشاهدات إثر بيان تعلقه بالمغيبات تكملة له وتنبيها عن أن الكل بالنسبة إلى علمه المحيط سواء في الجلاء ﴿وما تسقط من﴾ زائدة ﴿ورقة إلا يعلمها﴾ يريد ساقطة وثابتة ، يعني : يعلم عدد ما يسقط من ورق الشجر وما يبقى عليه وهي مبالغة في إحاطة علمه بالجزئيات.

﴿ولا حبة﴾ عطف على ورقة وهي بالفارسية (دانه).

﴿فى ظلمات الأرض﴾ أي : كائنة في بطونها لا يعلمها.

قال الكاشفي : (مراد تخميست كه

٤٢

در زمين افتد).

﴿ولا رطب﴾ عطف على ورقة أيضا وهو بالفارسية (تر).

﴿ولا يابس﴾ بالفارسية (خشك) ، أي : ما يسقط من شيء من هذه الأشياء إلا يعلمه.

قال الحدادي : الرطب واليابس عبارة عن جميع الأشياء التي تكون في السموات وفي الأرض لأنها لا تخلو من إحدى هاتين الصفتين انتهى فيختصان بالجسمانيات إذ الرطوبة واليبوسة من أوصاف الجسمانيات.

﴿إلا فى كتاب مبين﴾ هو اللوح المحفوظ فهو بدل اشتمال من الاستثناء الأول أو هو علمه تعالى فهو بدل منه بدل الكل.

وقرىء ولا رطب ولا يابس بالرفع على الابتداء والخبر إلا في كتاب وهو الأنسب بالمقام لشمول الرطب واليابس حينئذ لما ليس من شأنه السقوط.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٨

قال الحدادي : فإن قيل ما الفائدة في كون ذلك في اللوح مع أن الله تعالى لا يخفى عليه شيء وإن كان عالما بذلك قبل أن يخلقه وقبل أن يكتبه لم يكتبها ليحفظها ويدرسها؟ قيل : فائدته إن الحوادث إذا حدثت موافقة للمكتوب ازدادت الملائكة بذلك علما ويقينا بعظيم صفات الله تعالى.

." (١)

"﴿وإن منكم﴾ أي : وما منكم أيها الناس ﴿إلا واردها﴾ أي : واصل جهنم وداخلها ﴿كان﴾ أي : ورودهم إياها ﴿على ربك حتما﴾ مصدر حتم الأمر إذا أوجبه فسمي به الموجب كقولهم خلق الله وضرب الأمير أي : أمرا محتوما أوجبه الله على ذاته

٣٤٩

﴿مقضيا﴾ حتى أنه لا بد من وقوعه ألبتة.

---

(١) تفسير روح البيان .   ،   ٣٣/٣

﴿ثم ننجى الذين اتقوا﴾ (س نجات دهيم آنانرا كه رهيز كردند از شرك يعنى بيرون آريم ازدوزخ) أحال الورود إلى الوارد وأحال النجاة إلى نفسه تعالى.

ففيه إشارة إلى أن كل وارد يرد بقدم الطبيعة في هاوية الهوى إن شاء وإن أبى ولو خلى إلى طبيعته لا ينجو منها أبدا ولكن ما نجا من نجا إلا بإنجاء الله تعالى إياه ﴿ونذر﴾ تترك ﴿الظالمين﴾ لأنفسهم بالكفر والمعاصي ﴿فيها﴾ في جهنم ﴿جثيا﴾ (بزانو در آمد كان) وهو إشارة إلى هوانهم وتقاعدهم عن الحركة إلى الجنة مع الناجين.

وفي تفسير "الجلالين" جثيا أي : جميعا انتهى.

اعلم أن الوعيدية وهم المعتزلة قالوا : إن من دخلها لا يخرج منها وقالت المرجئة لا يدخلها مؤمن قط وقالوا أن الورود ههنا هو الحضور لا الدخول فأما أهل السنة فقالوا يجوز أن يعاقب الله العصاة من المؤمنين بالنار ثم يخرجهم منها.

وقالوا معنى الورود الدخول كقوله تعالى : ﴿فأوردهم النار﴾ (هود : ٩٨) وقال تعالى ﴿حصب جهنم أنتم لها واردون﴾ (الأنبياء : ٩٨) وبدليل قوله تعالى : ﴿ثم ننجى الذين اتقوا﴾ والنجاة إنما تكون بعد الدخول فيها كقوله تعالى : ﴿ونجيناه من الغما وكذالك ناجى المؤمنين﴾ فإن قلت كيف يدخلونها والله تعالى يقول : ﴿أولئك عنها مبعدون * لا يسمعون حسيسها﴾ .

قلت : المراد به الإبعاد عن عذابها.

قال في "الأسئلة المقحمة" يجوز أن يدخلوها ولا يسمعوا حسيسها لأن الله تعالى يجعلها عليهم بردا وسلاما كما جعلها على إبراهيم عليه السلام فالمؤمنون يمرون بجهنم وهي برد وسلام والكافرون وهي نار كما أن الكوز الواحد كان يشربه القبطي فيصير دما والإسرائيلي فيكون ماء عذبا :

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٤٩

مؤمن فسون هـ داند بر آتشش بخواند

سوزش درو نماند كردد ونور روشن

وفي الحديث : "جز يا مؤمن فإن نورك قد أطفأ لهبي" ، وفي "المثنوي" :

كويدش بكذر سبك اى محتشم

ورنه آتشهاى تومرد آتشم

فإن قلت إذا لم يكن في دخول المؤمنين عذاب فما الفائدة فيه؟ قلت وجوه :

الأول : أن يزيدهم سرورا إذا علموا الخلاص منه.

والثاني : يزيد غم أهل النار لظهور فضيحتهم عند المؤمنين والأولياء الذين كانوا يخوفونهم بالنار.

والثالث : يرون أعداءهم المؤمنين قد تخلصوا منها وهم يبقون فيها.

والرابع : أن المؤمنين إذا كانوا معهم فيها بكتوهم فيزداد غمهم.

والخامس : أن مشاهدة عذابهم توجب مزيد التذاذهم بنعيم الجنة.

يقول الفقير : لا شك عند أهل المعرفة أن جهنم صورة النفس الأمارة ففي الدنيا يرد كل من الأنبياء والأولياء والمؤمنين

والكافرين هاوية الهوى بقدم الطبيعة لكن الأنبياء لكون نفوسهم من المطمئنة يجدونها خامدة وأما الأولياء فيردون عليها وهي ملتهبة ثم يجهدون إلى أن يطفئوها بنور الهدى ويلتحق بهم بعض المؤمنين وهم المعفو عنهم ولا يمر هؤلاء الطوائف الجليلة بالنار في الآخرة فلا يحترقون بها أصلا وأما الكفار فلما كان كفرهم كبريت الهوى في الدنيا فلا جرم يدخلون النار في الآخرة وهي ملتهبة فيبقون هناك محترقين مخلدين ويلتحق بهم بعض العصاة وهم المعذبون لكنهم يخرجون منها بسبب نور تقواهم عن الشرك.

وقال ابن مسعود والحسن وقتادة ورودها الجواز على الصراط الممدود عليها وذلك لأنه لا طريق إلى الجنة سوى

٣٥٠

" (١).

"الصراط فالمرور في حكم الورود وفي الحديث : "لا يموت لمسلم ثلاث من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم" وهي قوله تعالى : ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ والتحلة مصدر حللت اليمين أي : أبررتها وتحلة القسم ما يفعله الحالف مما أقسم عليه مقدار ما يكون بارا في قسمه فهو مثل في القليل المفرط القلة.

وقال مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه السلام : "الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء" وفي الحديث : "الحمى حظ كل مؤمن من النار" وقد جاء "إن حمى ليلة كفارة سنة ومن حم يوما كان له براءة من النار وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه" وعن جابر رضي الله عنه استأذنت الحمى على رسول الله عليه السلام فقال : "من هذه" قالت أم ملدم فأمر بها عليه السلام إلى أهل قبا فلقوا منها ما لا يعلمه إلا الله فشكوا إليه عليه السلام فقال : "إن شئتم دعوت الله ليكشفها عنكم وإن شئتم تكون لكم طهورا" قالوا : أويفعل ذلك قال : "نعم" قالوا فدعها قالت عائشة رضي الله عنها قدمنا المدينة وهي أوبى أرض الله ولما حصلت لها الحمى قال لها عليه السلام : "مالي أراك هكذا" قالت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله هذه الحمى وسبتها فقال : "لا تسبيها فإنها مأمورة ولكن إن شئت علمتك كلمات إذا قلتهن أذهب الله عنك" قالت : فعلمني قال : "قولي اللهم ارحم جلدي الرقيق وعظمي الدقيق من شدة الحريق يا أم ملدم إن كنت آمنت بالله العظيم فلا تصدعي الرأس ولا تنتني الفم ولا تأكلي اللحم ولا تشربي الدم وتحولي عني إلى من اتخذ مع الله إلها آخر" فقالتها فذهبت عنها كذا في إنسان العيون.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٤٩

﴿وإذا تتلى﴾ (وون خوانده شود) ﴿عليهم﴾ أي : على المشركين ﴿ءاياتنا﴾ القرآنية ﴿بينات﴾ واضحات الاعجاز والمعاني وهي حال مؤكدة فإن آيات الله لا ينفك عنها الوضوح ﴿قال﴾ (كويند) ﴿الذين كفروا﴾ كنضر بن الحارث وأصحابه ﴿للذين ءامنوا﴾ أي : لفقراء المؤمنين واللام للتبليغ كما في مثل قوله تعالى : ﴿وقال لهم نبيهم﴾ (البقرة : ٢٤٧) أولام الأجل أي : لأجلهم في حقهم ﴿أى الفريقين﴾ أي : المؤمنين والكافرين كأنهم قالوا أينا ﴿خير﴾ نحن أو أنتم ﴿مقاما﴾ مكانا ومسكنا يعني (مارا منازل نزه است وهمه اسباب معيشت) ﴿وأحسن نديا﴾ أي : مجلسا ومجتمعا.

---

(١) تفسير روح البيان . ، ٥/٢٦٩

قال بعض المفسرين الندى المجلس الجامع لوجوه قومهم وأعوانهم وأنصارهم يعنى (در مجمع ما همه صناديد قريش وأشراف عرب اند ودر مجلس او همه موالى وضعفا).

. يروى . أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة فإذا سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها قالوا مفتخرين بالحظوظ الدنيوية على فقراء المؤمنين لو كنتم على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم في الدنيا أحسن لأن الحكيم لا يليق به أن يوقع أولياءه في العذاب والذل وأعداءه في العز والراحة لكن الأمر بالعكس وقصدهم بهذا الكلام صرفهم عن دينهم فرد الله عليهم بقوله :

﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ كم فعول أهلكنا ومن قرن بيان لإبهامها وأهل كل عصر قرن لمن بعدهم لأنهم يتقدمونهم مأخوذ من قرن الدابة وهو مقدمها.

وقال الكاشفي : (من قرن : كروهى را مجتمع بودند در زمان واحد) انتهى كأنه أخذه من الاقتران ﴿هم أحسن﴾ في محل النصب على أنه صفة لكم ﴿أثاثا﴾ تمييز عن النسبة وهو متاع البيت يعني (نيكوثر ازجهت امتعه بيت كه آرايش منازل بدان باشد) هو المنظر والهيئة

٣٥١

فعل من الرؤية لما يرى كالطحن لما يطحن والمعنى كثيرا من القرون التي كانوا أفضل منهم فيما يفتخرون به من الحظوظ الدنيوية كعاد وثمود وأضرابهم من الأمم العاتية قبل هؤلاء أي : كفار قريش أهلكناهم بفنون العذاب لو كان ما آتيناهم لكرامتهم علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٤٩

وفيه من التهديد والوعيد ما لا يخفى كأنه قيل فلينظر هؤلاء أيضا مثل ذلك.

قال الكاشفي : (نه آن مال هلاك از ايشان دفع كرد ونه آن جمال عذاب از ايشان باز داشت) :

برمال وجمال خويشتن تكيه مكن

كانرا بشبى برند وآنرا بتبى

" (١).

"والمرضاة مصدر كالرضى وفي بعض التفاسير اسم مصدرم ن الرضوان قلبت واوها ألفا والأزواج جمع زوج فإنه يطلق على المرأة أيضا بل هو الفصيح كما قال في المفردات وزوجة لغة رديئة وجمع الأزواج مع أن من أرضاها النبي عليه السلام في هذه القصة عائشة وحفصة رضي الله عنهما أما لأن إرضاءها في الأمر المذكور إرضاء لكهن أو لأن النساء في طبقة واحدة في مثل تلك الغيرة لأنهن جبلن عليها على أنه مضى ما مضى من قول السهيلي أو لأن الجمع قد يطلق على الاثنين أو للتحذير عن إرضاء من تطلب منه عليه السلام ما لا يحسن وتلح عليه أيتهن كان لأنه عليه السلام كان حييا كريما والجملة حال من ضمير تحرم أي حال كونك مبتغيا وطالبا لرضى أزواجك والحال إنهن أحق بابتغاء رضاك منك فإنما

---

(١) تفسير روح البيان .   ،   ٥/٢٧٠

فضيلتهن بك فالإنكار وارد على مجموع القيد والمقيد دفعة واحدة فمجموع الابتغاء والتحريم منكر نظيره قوله تعالى : ﴿لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة﴾ وفيه إشارة إلى فضل مارية والعسل وفي الحديث : (أول نعمة ترفع من الأرض العسل) وقد بين في سورة النحل والله غفور﴾ مبالغ في الغفران قد غفر لك وستر ما فعلت من التحريم وقصدت من الرضى لأن الامتناع من الانتفاع بإحسان المولى الكريم يشبه عدم قبول إحسانه ﴿رحيم﴾ قد رحمك ولم يؤاخذك به وإنما عاتبك محافظة على عصمتك.

(وقال الكاشفي) : مهربان كه كفارت سوكند توفرمود قال في كشف الأسرار هذا أشد ما عوتب به رسول الله في القرآن وقال البقلي : أدب الله نبيه أن لا يستبد برأيه ويتبع ما يوحى إليه كما قال بعض المشايخ في قوله لتحكم بين الناس بما أراك الله أن المرادبه الوحي الذي يوحي به إليه لا ما يراه في رأيه فإالله قد عاتبه لما حرم على نفسه ما حرم في قصة عائشة وحفصة فلو كان الدين بالرأي لكان رأى رسول الله أولى من كل رأي انتهى كلام ذلك البعض وفيه بيان إن من شغله شيء من دون الله وصل إليه منه ضرب لا تبرأن جراحته إلا بالله لذلك قال عقيب الآية والله غفور رحيم قال ابن عطاء لما نزلت هذه الآية على النبي عليه السلام كان يدعو دائما ويقول اللهم إني أعوذ بك من كل قاطع يقطعني عنك.

آزرده است كوشه نشين از وداع خلق

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٤٧

غافل كه اتصال حقست انقطاع خلق

٤٩

﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾ الفرض هنا بمعنى الشرع والتبيين كما دل عليه لكم فإن فرض بمعنى أوجب إنما يتعدى بعلى والتحلة مصدر حلل بتضعيف العين بمعنى التحليل أصله تحللة كتكرمة وتعلة تبصرة وتذكرة من كرم وعلل وبصر وذكر بمعنى التكريم التعليل والتبصير والتذكير إلا أن هذا المصدر من الصحيح خارج عن القياس فإنه من المعتل اللام نحو سمى تسمية أو مهموز اللام مثل جزأ تجزئة والمراد تحليل اليمين كان اليمين عقد والكفارة حل يقال : حلل اليمين تحليلا ، كفرها أي فعل ما يوجب الحنث وتحلل في يمينه استثنى وقال إن شاء الله وقوله عليه السلام : "لا يموت لرجل ثلاثة أولاد فتمسه النار إلا تحلة القسم أي قدر ما يقول إن شاء الله" كما في المفردات أو قدر ما يبرأ الله قسمه فيه بقوله وإن **منكم إلا واردها قال** في تاج المصادر قوله فعلته تحلة القسم أي لم عله إلا بقدر ما حللت به يميني أن لا أفعله ولم أبالغ ثم قيل لكل شيء لم يبالغ فيه تحليل يقال ضربته تحليلا والباب يدل على فتح الشيء ومعنى الكفارة الإطعام أو الكسوة أو العتق أو الصوم على ما مر تفصيله في سورة المائدة ومعنى الآية شرع الله لكم تحليل إيمانكم وبين لكم ما تنحل به عقدتها من الكفارة وهي المرادة ههنا لا الاستثناء أي أن يقول إن شاء الله متصلا حتى لا يحنث فإن الاستثناء المتصل ما كان مانعا من انعقاد اليمين جعل كالحل فالتحليل لما عقدته الإيمان بالكفارة أو بالاستثناء وبالفارسية بدرستى كه بيان كرد خداي تعالى براى شما فرو كشادن سوكند هاي شمرا بكفارت يعني آنه بسو كند ببنديد بكفارت توان كشاد.

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٤٧
." (١)

"قال عضهم دعاء عليهم من الله إشعرا بأن المدعو عليهم مستحقون لهذا الدعاء وسيقع عليهم المدعو به من البعد والهلاك ﴿لأصحاب السعير﴾ اللام للبيان كما في هيت لك والمراد الشياطين والداخلون من الكفرة وفيه إشارة إلى أن الله تعالى بعد أهل الحجاب من جنة القرب وقربهم من جهنم البعد ﴿إن الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ أي يخافون عذابه وهو عذاب يوم القيامة ويوم الموت ويوم القبر خوفا وراء عيونهم حال كون ذلك العذاب غائبا عنهم ولم يعايتوه بعد على أن بالغيب حال من المضاف المقدر أو غائبين عنه تعالى أي عن معاينة عذابه وأحكام الآخرة أو عن أعين الناس لأنهم ليسوا كالمنافقين الذين إذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤون على أنه حال من الفاعل وهو ضمير يخشون أو بما خفي منهم وهو قلوبهم فالباء للاستعانة متعلقة يخيشون والألف واللام اسم موصول وكانوا يشمون من كبد أبي بكر الصديق رضي الله عنه رائحة الكبد امشوي من شد الخوف من الله تعالى وكان عليه السلام يصلي ولصدره ازيز كازيز المرجل من البكاء والأزيز الغليان وقيل صوته والمرجل قدر من نحاس ﴿لهم مغفرة﴾ عظيمة تأتي على جميع ذنوبهم ولما كان السرور إنما يتم بالإعطاء قال ﴿وأجر كبير﴾ أي ثواب
٨٥
عظيم في الآخرة فضلا منه تعالى كيون لهم به من الإكرام ما ينسيهم ما قاسوه في الدنيا من شدائد الآلام وتصغر في جنبه لذائذ الدنيا وهو الجنة ونعميها.

كفته انديمنى از وشاديد ومكاره يعني مزد ثرسندكان امان باشد ازهر هـ مى ترسند :

لا تخافوا مده ترسنده است

هركه مى ترسد مبارك بنده است

خوف وخشيت خاص دانيان بود

هركه دانانيست كي ترسان بود

ترسكارى رستكارى آورد

هركه درد آرد عوض درمان بود

فلا بد من العقل أو لا حتى يحصل الخوف ثانيا وكان بعض الأكاسرة وكانوا اعقل الملوك يرتب واحدا يكون وراءه بالقرب منه يقول إذا اجتمعت جنوده أنت عبد لا يزال يكرر ذلك والملك يقلو له كلما قاله نعم وهكذا حال من يعرف مكر النفس ويخاف الله بقلبه قال مسروق إن المخافة قبل الرجاء فإن الله تعالى خلق جنة ونارا فلن تخلصوا إلى الجنة حتى تمروا بالنار قال تعالى : ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قال فضيل قدس سره إذا قيللك أتخاف الله فاسكت فإنك إذا قلت لا فقد جئت بأمر عظيم وإذا قلت نعم فالخائف لا يكون على ما أنت عليه ألا ترى إن الله تعالى لما اتخذ إبراهيم عليه السلام ،

(١) تفسير روح البيان . ، ٣٧/١٠

خليلا ألقى في قلبه الوجل حتى إن خفقان قلبه يسمع من بعيد كما يسمع خفقان الطير في الهواء وقيل لفضيل بم بلغ بك الخوف الذي بلغ قال بقلة الذنوب فللخوف أسباب وأول الأمر العقل السليم ثم يصحل كما له بترك العصيان وذلك إن ترك المعصية وإن كان نتيجة الخوف لكن القلب يترقى في الرقة بترك المعصية فشيتد خوفه فقاسى القلب لا يعرف الخوف لأن عقله ضعيف مغلوب يقال العقل كالبعل والنفس كالزوجة والجسم كالبيت فإذا سلط العقل على النفس اشغلت النفس بمصالح الجسم كما تشتغل المرأة المقهورة مصالح البيت فصلحت الجملة وإن غلبت النفس كان سعيها فاسدا كالمرأة التي قهرت زوجها ففسدت الجملة.

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٧٢

مبر طاعت نفس شهوت رست

كه هرستاعتش قبله ديكرست

كرا جامه اكست وسيرت ليد

در دوزخش رانبايد كليد

وأسروا قولكم أو أجهروا به﴾ ونهان سازيد سخن خودرا درشان يغمبر عليه السلام ، يا آشكارا كنيذد مرانرا.

قال ابن عباس رضي الله عنهما ، نزلت في المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشيا يعني درباب حضرت يغمبر سخنان ناشايسته كفتنى.

فيظهرالله رسوله عليها ، فقال بعضهم لبعض أسر وأقولكم كيلا يسمع رب محمد فيخبره بما لو تقون فقيل لهم أسر وا ذلك او اجهروا به فإن الله يعلمه وأسرار الأقوال وأعلانها مستويان عنده تعالى في تعلق علمه والأمر للتهديد لا للتكليف وتقديم السر على الجهر للإيذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرون من أول الأمر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط بجميع المعلومات كأن علمه تعالى بما يسر ونه اقدم منه بما يجهرون به مع كونهما في الحقيقة على السوية فإن علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة إليه تعالى أو لأن مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر إذ ما من شيء يجهر به إلا وهو اومباديه مضمر في القلب

٨٦." (١)

"يذكر : يتذكر . لنحشرنهم : لنجمعنهم . جثيا : جمع جاث ، وهو البارك على ركبتيه . شيعة : جماعة تعاونت على أمر واحد . عتيا : تكبرا ، ويقال عتوا ايضا . صليا : دخولا . صلي النار دخلها وقاسى حرها . واردها : مار عليها . حتما : واجبا . مقضيا : جرى به قضاء الله .

بعد أن ارود الله قصص الأنبياء الكرام وغرابة مولد يحيى ، وعيسى بن مريمن وذكر إبراهيم واعتزاله أباه ، وهجره لقومه ووطنه ، وذكر من خلف بعدهم من المهتدين والضالين ، ثم جاء اعلان الربوبية الواحدة ، التي تستحق العبادة بلا شريك ، وهي الحقيقة الكبيرة التي يبرزها ذلك القصص بأحداثه ومشاهده وتعقيباته – يذكر هنا ما يدور من الجدل حول عقائد الشرك

---

(١) تفسير روح البيان . ، ٦٦/١٠

وإنكار البعث ، ويعرض مشاهد القيامة ، ومصير البشر في مواقف حية . ثم ينتقل السياق إلى ما بين الدنيا والآخرة .

﴿ ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا . . . . ﴾ .

ويقول الجاحد الذي لا يصدق بالبعث بعد الموت متعجبا ومستبعدا : كيف أبعث حيا بعد الموت والفناء!! .

كيف يستغرب هذا الانسان قدرة الله على البعث في الآخرة ، ولا يتذكر أنه تعالى خلقه في الدنيا من عدم ، ولم يك شيئا!

قراءات :

قرأ نافع وابن عامر وعاصم « اولا يذكر » باسكان الذال وضم الكاف . وقرأ الباقون : « أولا يذكر » بتشديد الذال المفتوحة وفتح الكاف .

ثم يعقب الله على هذا الانكار بقسم فيه تهديد كبير ، اذ يقسم بنفسه أنهم سيحشرون بعد البعث .

﴿ فوربك لنحشرنهم والشياطين . . . ﴾ .

فوربك الذي خلقك يا محمد لنجمعن الكافرين يوم القيامة مع الشياطين ، الذين زينوا لهم الكفر ، وسنحضرهم حول جهنم جاثين على ركبهم في ذلة وفزع .

ثم لنأخذن من كل جماعة أشدهم كفرا بالله ، وتمردا عليه ، فيدفع بهم قبل غيرهم الى أشد العذاب .

﴿ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا ﴾ .

ونحن أعلم بالذين هم أحق بسبقهم الى دخول جهنم والاصطلاء بنارها . وأنهم جميعا يستحقون العذاب ، لكنا ندخلهم في جهنم بحسب عتيهم وتجبرهم في كفرهم .

ثم خاطب الناس جميعا ليذكروا ويعتبروا :

﴿ وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا ﴾ .

وما أحد منكم أيها الناس إلا يدنو من جهنم ، يراها المؤمن ويمر بها ، والكافر يدخلها . . هكذا قضى ربك ، وجعله أمرا محتوما .

ثم إننا نشمل المتقين برحمتنا ، فننجيهم من شر جهنم ، ونترك بها الذين ظلموا أنفسهم جاثين على ركبهم ، ، تعذيبا لهم ، وجزاء ما اقترفوا وكذبوا .

قراءات :

قرأ الكسائي ويعقوب : ثم ننجي بضم النون الاولى واسكان الثانية ، والباقون بضم النون الاولى ، وفتح الثانية وتشديد الجيم . وقرأ ابن كثير : مقاما : بضم الميم الأولى والباقون : مقاما بفتح الميم .." (١)

" إلا بأمر ربك قال هذا قول الملائكة حين استزارهم رسول الله صلى الله عليه و سلم كقوله وما ودعك ربك وما قلى

---

(١) تفسير القطان، ٢/٤٠٠

أنا عبد الرحمن قال نا ابراهيم قال نا آدم قال نا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ثم لننزعن من كل شيعة يعني من كل أمة

أنا عبد الرحمن قال نا إبراهيم قال نا آدم قال نا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أيهم أشد على الرحمن عتيا يعني كفرا

نا عبد الرحمن قال نا إبراهيم قال نا آدم قال نا إسرائيل عن جابر عن عكرمة عن ابن عباس في قوله وإن منكم إلا واردها قال لا يبقى أحد إلا دخلها ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ." (١)

" صفحة رقم ٣١٨

مريم : (٦٥) رب السماوات والأرض . . . . .

يقول : لم ينسك ربك يا محمد ،) رب السماوات والأرض (، يعني والأرضين ،) وما بينهما (من الخلق ،) فأعبده (، يعني فوحده ،) واصطبر لعبادته (، يقول : واصبر على

توحيد الله عز وجل ولا تعجل حتى يأتيك أمري ، ثم قال للنبي (صلى الله عليه وسلم) : (هل تعلم له سميا) [آية : ٦٥] ، يقول جل جلاله : هل تعلم من الآلهة من شيء اسمه الله عز وجل ؛

لأن الله تعالى ذكره يمنعهم من ذلك .

مريم : (٦٦) ويقول الإنسان أئذا . . . . .

) ويقول الإنسان (، وهو أبي بن خلف الجمحي : (أءذا ما مت لسوف أخرج حيا (

[آية : ٦٦] من الأرض بعد الموت ، يقول ذلك تكذيبا بالبعث .

تفسير سورة مريم من الآية : [٦٧ - ٧٢] .

مريم : (٦٧) أولا يذكر الإنسان . . . . .

يقول الله عز وجل يعظه ليعتبر) أولا يذكر الإنسان (، يقول : أولا يتذكر

الإنسان في خلق نفسه ،) أنا خلقناه (أول مرة ، يعنى أول خلق خلقناه ،) من قبل ولم يك شيئا) [آية : ٦٧] .

مريم : (٦٨) فوربك لنحشرنهم والشياطين . . . . .

فأقسم الرب عز وجل ليبعثهم في الآخرة ، فقال : (فوربك (يا محمد ،

)(لنحشرنهم (، يعنى لنجمعنهم) والشياطين (معهم الذين أضلوهم في الآخرة ،

)(ثم لنحضرنهم حول جهنم (، يعنى في جهنم ،) جثيا) [آية : ٦٨] ، يعنى جميعا على الركب .

مريم : (٦٩) ثم لننزعن من . . . . .

) ثم لننزعن من كل شيعة (، يقول : لنخرجن ، ثم نبدأ بهم من كل ملة ،) أيهم أشد على الرحمن عتيا) [آية : ٦٩]

---

(١) تفسير مجاهد، ٣٨٨/١

، يعني عتوا في الكفر ، يعني القادة ، فيعذبهم في النار .

مريم : (٧٠) ثم لنحن أعلم . . . . .

) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) [آية : ٧٠] ، يعني من هو أولى بها ، يعني القادة في الكفر .

مريم : (٧١) وإن منكم إلا . . . . .

) وإن منكم إلا واردها (، يعني وما منكم أحدا إلا داخلها ، يعني جهنم ، البر والفاجر .." (١)

" صفحة رقم ٣١٩

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا الهذيل ، عن مقاتل ، عن علقمة بن مرثد ، عن نافع بن الأزرق ، أنه سأل ابن عباس عن الورود ، فقال : يا نافع ، أما أنا وأنت ، فندخلها ، فانظر هل نخرج منها أم لا ؟ .

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا الهذيل ، عن مقاتل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : للورود في القرآن أربعة مواضع ، يعني به الدخول :

(وإن منكم إلا واردها) [مريم : ٧١] ، يعني داخلها .

) فأوردهم النار) [هود : ٩٨] ، يعني فأدخلهم .

) حصب جهنم أنتم لها واردون) [الأنبياء : ٩٨] ، يعني داخلون : (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها) [الأنبياء : ٩٩] ، يعني ما دخلوها .

حدثنا عبيد الله ، فقال : حدثني أبي ، قال : حدثني الهذيل ، عن مقاتل ، قال : يجعل الله النار على المؤمنين يومئذ بردا وسلاما ، كما جعلها على إبراهيم ، عليه السلام ، فذلك قوله عز وجل : (كان على ربك حتما مقضيا) [آية : ٧١] ، قال : قضاء واجبا قد قضاه في اللوح المحفوظ أنه كائن لا بد ، غير الأنبياء ، عليهم السلام ، فتكون على المؤمنين بردا وسلاما .

مريم : (٧٢) ثم ننجي الذين . . . . .

) ثم ننجي الذين اتقوا (الشرك منها ، يعني أهل التوحيد ، فنخرجهم منها ،) ونذر الظالمين (، يعني المشركين ،) فيها (، يعني في جهنم ،) جثيا) [آية : ٧٢] على الركب .

تفسير سورة مريم من الآية : [٧٣ - ٧٦] .

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، ٣١٨/٢

مريم : (٧٣) وإذا تتلى عليهم . . . . .

) وإذا تتلى عليهم ءاياتنا (، يعني القرآن ،) بينات (، يعني واضحات ،) قال الذين كفروا (، وهم النضر بن الحارث بن علقمة وغيره ،) للذين ءامنوا أي الفريقين خير

مقاما (، وذلك أنهم لبسوا أحسن الثياب ، ودهنوا الرءوس ، ثم قالوا للمؤمنين : أي." (١)

"روى الإمام أحمد ، عن أبي سمية قال : اختلفنا في الورود ، فقال بعضنا : لا يدخلها مؤمن ، وقال بعضهم يدخلونها جميعاً ، ثم ينجي الله الذين اتقوا ، فلقيت جابر بن عبد الله فقلت له : إنا اختلفنا في الورود ، فقال : يردونها جميعاً ، وأهوى بأصبعه إلى أذنيه ، وقال : صُمّتا إن لم أكن سمعت رسول الله A يقول : « لا يبقى بر ولا فاجر إلاّ دخلها ، فتكون على المؤمن برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم ، حتى إن للنار ضجيجاً من بردهم ، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً » وعن قيس بن أبي حازم قال : كان عبد الله بن رواحة واضعاً رأسه في حجر امرأته فبكى ، فبكت امرأته ، قال : ما يبكيك؟ قالت : رأيتك تبكي فبكيت ، قال إني ذكرت قول الله عزَّ وجلَّ ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ فلا أدري أنجو منها أم لا ، وكان مريضاً . وقال ابن جرير عن أبي إسحاق : كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه قال : ما ليت أمي لم تلدني ، ثم يبكي ، فقيل له : ما يبكيك يا أبا ميسرة؟ فقال : أخبرنا أنا واردوها ولم نخبر أنا صادرون عنها . وعن الحسن البصري قال ، قال رجل لأخيه : هل أتاك أنك وارد النار؟ قال : نعم ، قال : فهل أتاك أنك صادر عنها؟ قال : لا ، قال : ففيم الضحك ، قال : فما رئي ضاحكاً حتى لحق بالله . وقال عبد الرزاق خاصم ابن عباس نافع بن الأزرق . فقال ابن عباس : الورود الدخول ، فقال نافع : لا ، فقرأ ابن عباس ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٨] وردوا أم لا؟ وقال : ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القيامة فَأَوْرَدَهُمُ النار وَبِئْسَ الورد المورود ﴾ [هود : ٩٨] أوردهم أم لا؟ أما أنا وأنت فسندخلها فانظر هل تخرج منها أم لا؟ وما أرى مخرجك منها بتكذيبك ، فضحك نافع . وقال : عن مجاهد قال : كنت عند ابن عباس فأتاه رجل يقال له أبو راشد ، وهو نافع بن الأزرق . فقال له : يا ابن عباس ، أرأيت قول الله : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ على رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً ﴾ ، قال : أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها فانظر هل نصدر عنها أم لا؟

وعن عبد الله بن مسعود ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ قال رسول الله A : « يرد الناس كلهم ثم يصدرون عنها بأعمالهم » وقد رواه أسباط عن السدي ، عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال : يراد الناس جميعاً الصراط ، ورودهم قيامهم حول النار ، ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم ، فمنهم من يمر مثل البرق ، ومنهم من يمر مثل الريح ، ومنهم من يمر مثل الطير ، ومنهم من يمر كأجود الخيل ، ومنهم من يمر كأجود الإبل .." (٢)

"ومنهم من يمر كعدو الرجُل حتى إن آخرهم مراً رجل نوره على موضع إبهامي قدميه يمر فيتكفأ به الصراط ، والصرط دحض مزلة . عليه حسك كحسك القتاد ، حافتاه ملائكة معهم كلاليب من نار يختفطون بها الناس ، وقال ابن جرير ،

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، ٢/٣١٩

(٢) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، ص/١٥٧٣

عن عبد الله قوله ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ قال : الصراط على جهنم مثل حد السيف ، فتمر الطبقة الأولى كالبرق ، والثانية كالريح ، والثالثة كأجود الخيل ، والرابعة كأجود البهائم ، ثم يمرون والملائكة يقولون اللهم سلم سلم ، ولهذا شواهد في « الصحيحين » وغيرهما . عن أم مبشر امرأة زيد بن حارثة ، قالت كان رسول الله A في بيت حفصة فقال : « لا يدخل النار أحد شهد بدراً والحديبية » ، قالت حفصة : أليس الله يقول : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ ؟ فقال رسول الله A : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الذين اتقوا ﴾ الآية ، وفي « الصحيحين » عن أبي هريرة Bه قال ، قال رسول الله A : « لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد تمسه النار إلا تحلة القسم » يعني الورود . وقال قتادة قوله : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ هو الممر عليها . وقال عبد الرحمن بن زيد : ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرانيها ، وورود المشركين أن يدخلوها ، والزالون والزالات يومئذٍ كثير ، وقد أحاط بالجسر يومئذٍ سماطان من الملائكة دعاؤهم يا الله سلم سلم « وقال السدي ، عن ابن مسعود في قوله ﴿ كَانَ على رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً ﴾ قال : قسماً واجباً ، وقال مجاهد : حتماً ، قال قضاء ، وقوله ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الذين اتقوا ﴾ أي إذا مر الخلائق كلهم على النار ، وسقط فيها من سقط من الكفار ، والعصاة ، نجى الله تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم ، فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا ، ثم يشفعون في أصحاب الكبائر من المؤمنين ، فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون ، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أكلتهم النار إلاّ دارات وجوههم ، وهي مواضع السجود ، ولا يبقى في النار إلاّ من وجب عليه الخلود ، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله A ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الذين اتقوا وَّنَذَرُ الظالمين فِيهَا جِثِيّاً ﴾ .." (١)

"يقول تعالى مخاطباً للناس : ﴿ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُو العذاب الأليم * وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ، ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ على رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً * ثُمَّ نُنَجِّي الذين اتقوا وَّنَذَرُ الظالمين فِيهَا جِثِيّاً ﴾ [مريم : ٧١-٧٢] ، وقال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلاَّ أَصْحَابَ اليمين ﴾ [المدثر : ٣٨-٣٩] ، ولهذا قال جلّ وعلا هاهنا ﴿ إِلاَّ عِبَادَ الله المخلصين ﴾ أي ليسوا يذوقون العذاب الأليم ، ولا يناقشون في الحساب ، بل يتجاوز عن سيئاتهم إن كان لهم سيئات ، ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة ، وقوله جلّ وعلا ﴿ أولئك لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴾ قال السدي : يعني الجنة ، ثم فسره بقوله تعالى : ﴿ فَوَاكِهُ ﴾ أي متنوعة ﴿ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴾ أي يخدمون ويرفهون وينعّمون ﴿ فِي جَنَّاتِ النعيم * على سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ ، قال مجاهد : لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض ، وقوله تعالى : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ * لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ لاَّ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنزِفُونَ ﴾ [الواقعة : ١٩] نزّه الله سبحانه وتعالى خمر الجنة عن الآفات التي في خمر الدنيا ، من صدع الرأس ، ووجع البطن ، وهو (الغول) وذهابها بالعقل جملة ، فقال تعالى : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ أي بخمر من أنهار جارية ، لا يخافون انقطاعها ولا فراغها ، قال زيد بن أسلم : خمر جارية بيضاء ، أي لونها مشرق حسن بهي ، لا كخمر الدنيا في منظرها البشع الرديء ، من حمرة أو سواد أو اصفرار أو كدورة ، إلى غير ذلك مما ينفر الطبع السليم ، وقوله عزّ وجلّ : ﴿ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴾ أي طعمها طيب كلونها ، وطيب

---

(١) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، ص/١٥٧٤

الطعم دليل على طيب الريح ، بخلاف خمر الدنيا في جميع ذلك ، وقوله تعالى : ﴿ لاَ فِيهَا غَوْلٌ ﴾ يعني وجع البطن ، كما تفعله خمر الدنيا ، وقيل : المراد بالغول ههنا صداع الرأس ، وروي عن ابن عباس ، وقال قتادة : هو صداع الرأس ووجع البطن؛ وقال السدي : لا تغتال عقولهم ، كما قال الشاعر :

فما زالت الكأس تغتالنا ... وتذهب بالأول الأول

وقال سعيد بن جبير : لا مكروه فيها ولا أذى ، والصحيح قول مجاهد : أنه وجع البطن ، وقوله تعالى : ﴿ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ قال مجاهد : لا تذهب عقولهم ، وقال ابن عباس : في الخمر أربع خصال : (السكر ، والصداع ، والقيء ، والبول) ، فذكر الله تعالى خمر الجنة ، فنزّهها عن هذه الخصال ، وقوله تعالى : ﴿ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطرف ﴾ أي عفيفات لا ينظرن إلى غير أزواجهن ، كذا قال ابن عباس ومجاهد ، وقوله تبارك وتعالى : ﴿ عِينٌ ﴾ أي حسان الأعين ، وقيل : ضخام الأعين ، وهي النجلاء العيناء ، فوصف عيونهن بالحسن والعفة ، كقول زليخا في يوسف عليه السلام ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فاستعصم ﴾." (١)

"يذكر : يتذكر . لنحشرنهم : لنجمعنهم . جثيا : جمع جاث ، وهو البارك على ركبتيه . شيعة : جماعة تعاونت على أمر واحد . عتيا : تكبرا ، ويقال عتوا ايضا . صليا : دخولا . صلي النار دخلها وقاسى حرها . واردها : مار عليها . حتما : واجبا . مقضيا : جرى به قضاء الله .

بعد أن ارود الله قصص الأنبياء الكرام وغرابة مولد يحيى ، وعيسى بن مريمن وذكر إبراهيم واعتزاله أباه ، وهجره لقومه ووطنه ، وذكر من خلف بعدهم من المهتدين والضالين ، ثم جاء اعلان الربوبية الواحدة ، التي تستحق العبادة بلا شريك ، وهي الحقيقة الكبيرة التي يبرزها ذلك القصص بأحداثه ومشاهده وتعقيباته – يذكر هنا ما يدور من الجدل حول عقائد الشرك وإنكار البعث ، ويعرض مشاهد القيامة ، ومصير البشر في مواقف حية . ثم ينتقل السياق إلى ما بين الدنيا والآخرة .

﴿ ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا . . . . ﴾ .

ويقول الجاحد الذي لا يصدق بالبعث بعد الموت متعجبا ومستبعدا : كيف أبعث حيا بعد الموت والفناء!! .

كيف يستغرب هذا الانسان قدرة الله على البعث في الآخرة ، ولا يتذكر أنه تعالى خلقه في الدنيا من عدم ، ولم يك شيئا!

قراءات :

قرأ نافع وابن عامر وعاصم « اولا يذكر » باسكان الذال وضم الكاف . وقرأ الباقون : « أولا يذكر » بتشديد الذال المفتوحة وفتح الكاف .

ثم يعقب الله على هذا الانكار بقسم فيه تهديد كبير ، اذ يقسم بنفسه أنهم سيحشرون بعد البعث .

﴿ فوربك لنحشرنهم والشياطين . . . ﴾ .

فوربك الذي خلقك يا محمد لنجمعن الكافرين يوم القيامة مع الشياطين ، الذين زينوا لهم الكفر ، وسنحضرهم حول جهنم جاثين على ركبهم في ذلة وفزع .

---

(١) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، ص/٢١٤٥

ثم لنأخذن من كل جماعة أشدهم كفرا بالله ، وتمردا عليه ، فيدفع بهم قبل غيرهم الى أشد العذاب .

﴿ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا ﴾ .

ونحن أعلم بالذين هم أحق بسبقهم الى دخول جهنم والاصطلاء بنارها . وأنهم جميعا يستحقون العذاب ، لكنا ندخلهم في جهنم بحسب عتيهم وتجبرهم في كفرهم .

ثم خاطب الناس جميعا ليذكروا ويعتبروا :

﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ﴾ .

وما أحد منكم أيها الناس إلا يدنو من جهنم ، يراها المؤمن ويمر بها ، والكافر يدخلها . . هكذا قضى ربك ، وجعله أمرا محتوما .

ثم إننا نشمل المتقين برحمتنا ، فننجيهم من شر جهنم ، ونترك بها الذين ظلموا أنفسهم جاثين على ركبهم ، ، تعذيبا لهم ، وجزاء ما اقترفوا وكذبوا .

قراءات :

قرأ الكسائي ويعقوب : ثم ننجي بضم النون الاولى واسكان الثانية ، والباقون بضم النون الاولى ، وفتح الثانية وتشديد الجيم . وقرأ ابن كثير : مقاما : بضم الميم الأولى والباقون : مقاما بفتح الميم .." (١)

"الدرس الرابع والستون بعد المائة

؟ ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا (٦٦) أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٧) فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠) وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (٧٣) وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا (٧٤) قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا (٧٥) ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا (٧٦) أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا (٧٧) أاطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا (٧٨) كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا (٧٩) ونرثه ما يقول ويأتينا فردا (٨٠) واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا (٨١) كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا (٨٢) ألم تر." (٢)

"قوله عز وجل : ؟ ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا (٦٦) أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٧) فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠) وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١)

---

(١) تيسير التفسير للقطان، ٢/٤٠٠

(٢) توفيق الرحمن / فيصل آل مبارك، ٣/٦٨

ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) ؟ .
في الصحيح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « يقول الله تعالى : كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وآذاني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي فقوله : لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته ، وأما أذاه إياي فقوله : إن بها ولدا وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » .
وعن ابن عباس قوله : ؟ ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ؟ ، يعني : القعود ، وهو مثل قوله : ؟ وترى كل أمة جاثية ؟ . ؟ ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ؟ ، يقول : أيهم أشد للرحمن معصية . وهي : معصيته في الشرك .
وقال أبو الأحوص : نبدأ بالأكبر فالأكبر جرما .
وقوله تعالى : ؟ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا ؟ .
قال البغوي : أي : أحق بدخول النار ، يقال : صلى يصلى صليا إذا دخل النار وقاسى حرها .
وقال ابن كثير : ثم ها هنا لعطف الخبر على الخبر ، والمراد : أنه تعالى أعلم بمن يستحق من العباد أن يصلى بنار جهنم ويخلد فيها ، وبمن يستحق تضعيف العذاب .." (١)
"وعن ابن عباس قوله : ؟وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ؟ ، يعني : البر والفاجر . وعن ابن مسعود : ؟ وإن منكم إلا واردها ؟ ، قال : داخلها . وعنه قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « يردها الناس كلهم ثم يصدرون عنها بأعمالهم » . رواه أحمد وغيره . وفي الصحيحين عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : « لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد تمسه النار إلا تحله القسم » .
وعن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : « يوضع الصراط بين ظهري جهنم عليه حسك كحسك السعدان ، ثم يستجيز الناس فناج مسلم ، ومجروح به ، ثم ناج ومحتبس ومكدس فيها حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد تفقد المؤمنون رجالا كانوا معهم في الدنيا :يصلون صلاتهم، ويزكون زكاتهم ، ويصومون صيامهم ، ويحجون حجهم ، ويغزون غزوهم ، فيقولون : أي ربنا من عبادك كانوا معنا في الدنيا يصلون صلاتنا ، ويزكون زكاتنا ، ويصومون صومنا ، ويحجون حجنا ، ويغزون غزونا ، لا نراهم ! . فيقول : اذهبوا إلى النار فمن وجدتم فيها منهم فأخرجوه . فيجدونهم قد أخذتهم النار على قدر أعمالهم ، فمنهم من أخذته النار إلى قدميه ، ومنهم من أخذته النار إلى نصف ساقيه ، ومنهم من أخذته إلى ركبتيه ، ومنهم من أخذته إلى ثدييه ، ومنهم من أخذته إلى عنقه ، ولم تغش الوجوه . فيستخرجونهم منها ، فيطرحون في ماء الحياة . قيل وما ماء الحياة يا رسول الله ؟ قال : « غسل أهل الجنة فينبتون كما تنبت الزرعة في غثاء السيل . ثم تشفع الأنبياء في كل من كان يشهد أن لا إله إلا الله مخلصا ، فيستخرجونهم منها ، ثم يتحنن الله برحمته على من فيها فما يترك فيها عبدا في قلبه مثقال ذرة من الإيمان إلا أخرجه منها » . رواه ابن جرير .." (٢)

---

(١) توفيق الرحمن / فيصل آل مبارك، ٣/٧٠
(٢) توفيق الرحمن / فيصل آل مبارك، ٣/٧١

"وعن حفصة قالت : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « إني لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد شهد بدرا والحديبية » ، قالت فقلت : أليس الله يقول : ؟ وإن **منكم إلا واردها ؟** . قالت : فسمعته يقول : « ؟ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ؟ » . رواه أحمد وغيره .

قوله عز وجل : ؟ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (٧٣) وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا (٧٤) قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا (٧٥) ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا (٧٦) ؟ .

عن ابن عباس : ؟ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ؟ ، قال : المقام المسكن ، والندي : المجلس ، والنعمة ، والبهجة . قال قتادة : رأوا أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في عيشهم خشونة ، وفيهم قشافة فعرض أهل الشرك بما تسمعون ، ؟ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا ؟ ، قال : أكثر متاعا وأحسن منزلة ومستقرا ، فأهلك أموالهم وأفسد صورهم عليهم تبارك وتعالى . وقال ابن عباس : الرئي : المنظر الحسن .

وعن مجاهد قوله : ؟ في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ؟ ، فليدعه الله في طغيانه .." (١)

"﴿ وما نتنزل ﴾ من السماء ﴿ إلا بأمر ربك ﴾ يا محمد فقال له جبريل ذلك حين حبس الله عنه الوحي فيما سألته قريش عن الروح وذي القرنين وأصحاب الكهف ﴿ له ما بين أيدينا ﴾ من أمر الآخرة ﴿ وما خلفنا ﴾ من أمر الدنيا ﴿ وما بين ذلك ﴾ ما بين النفختين ﴿ وما كان ربك نسيا ﴾ لم ينسك ربك منذ أوحي إليك ﴿ رب ﴾ خالق ﴿ السماوات والأرض وما بينهما ﴾ من الخلق والعجائب هو الله ﴿ فاعبده ﴾ فأطعه ﴿ واصطبر لعبادته ﴾ اصبر على عبادته ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ أحدا يسمى الله ﴿ ويقول الإنسان ﴾ أبي بن خلف الجمحي بانكار البعث ﴿ أءذا ما مت لسوف أخرج حيا ﴾ من القبر بعد الموت هذا ما لا يكون ﴿ أولا يذكر الإنسان ﴾ أو لا يتعظ أبي بن خلف الجمحي ﴿ أنا خلقناه من قبل ﴾ من قبل هذا من نطفة منتنة ﴿ ولم يك شيئا ﴾ فإني قادر على أن أحييه ﴿ فوربك ﴾ أقسم بنفسه ﴿ لنحشرنهم ﴾ يوم القيامة يعني أبيا وأصحابه ﴿ والشياطين ثم لنحضرنهم ﴾ لنجمعنهم ﴿ حول جهنم ﴾ وسط جهنم ﴿ جثيا ﴾ جميعا ﴿ ثم لننزعن ﴾ لنخرجن ﴿ من كل شيعة ﴾ من كل أهل دين ﴿ أيهم أشد على الرحمن عتيا ﴾ جرأة بالقرآن ﴿ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها ﴾ أحق بها ﴿ صليا ﴾ دخولا ﴿ وإن منكم ﴾ وما منكم من أحد **﴿ إلا واردها ﴾** داخلها يعني النار غير النبيين والمرسلين ﴿ كان على ربك حتما مقضيا ﴾ قضاء كائنا واجبا أن يكون ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ﴾ الكفر والشرك والفواحش ﴿ ونذر ﴾ نترك ﴿ الظالمين ﴾ المشركين ﴿ فيها ﴾ في جهنم ﴿ جثيا ﴾ جميعا دائما ﴿ وإذا تتلى عليهم ﴾ تقرأ عليهم على النضر وأصحابه ﴿ آياتنا بينات ﴾ بالأمر والنهي ﴿ قال الذين كفروا ﴾ بمحمد A والقرآن والبعث يعني النضر وأصحابه ﴿ للذين آمنوا ﴾ بمحمد والقرآن يعني أبا بكر وأصحابه ﴿ أي الفريقين

---

(١) توفيق الرحمن / فيصل آل مبارك، ٧٢/٣

﴿ أهل دينين منا ومنكم ﴾ خير مقاما ﴿ منزلا ﴾ وأحسن نديا ﴿ مجلسا ﴾ وكم أهلكنا قبلهم ﴿ قبل قريش ﴾ من قرن ﴿ من أمم خالية ﴾ هم أحسن أثاثا ﴿ أكثر أموالا وأولادا ﴾ ورءيا ﴿ أحسن منظرا ﴾ قل ﴿ لهم يا محمد ﴾ من كان في الضلالة ﴿ في الكفر والشرك ﴾ فليمدد ﴿ فليزدد ﴾ له الرحمن مدا ﴿ زيادة في المال والولد فانظرهم يا محمد ﴾ حتى إذا رأوا ما يوعدون ﴿ من العذاب ﴾ إما العذاب ﴿ يوم بدر بالسيف ﴾ وإما الساعة ﴿ وإما عذاب يوم القيامة بالنار ﴾ فسيعلمون ﴿ وهذا وعيد لهم ﴾ من هو شر مكانا ﴿ منزلا في الآخرة وضيقا في الدنيا ﴾ وأضعف جندا ﴿ أهون ناصرا ".. (١)

"(حتما)

حتم الله الأمر يحتمه حتما: أوجبه.

والحتم أيضا: اللازم الذي لا بد من فعله.

حتما: (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا) "٧١/مريم ".

ح ث ث

كلمة واحدة

(حثيثا)

حثه علي الشئ يحثه حثا: مثل حضه وزنا ومعني وطلبه حثيثا أي مسرعا حريصا.

حثيثا: (يغشي الليل النهار يطلبه) "٥٤/الأعراف " أي يعقبه سريعا كالطالب له الحريص عليه.

ح ج ب (٨)

حجبه يحجبه حجبا: ستره ومنعه.

والحجاب: الستر، حسيا كان أو معنويا.." (٢)

"ورد: (ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون) " ٢٣/القصص" ورد الماء: بلغه ولم ينل منه شيئا.

وردوها: (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون) " ٩٩/ الأنبياء".وردوها: دخلوها.

واردها: (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا) " ٧١/ مريم ".

قيل إن جميع الناس يدخلون النار يوم القيامة مؤمنهم وكافرهم غير أنها تكون علي المؤمنين بردا وسلاما وقيل إن ذلك مرورهم علي الصراط الممدود علي متن جهنم.

٢ - الورد: الماء يورد أو المنهل.

---

(١) تنوير المقباس، ٣٢٣/١

(٢) معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن، حسن عز الدين الجمل ٣٦٧/١

والورد: الإبل ترد الماء ويقال للقوم يردون الماء للارتواء منه: ورد أيضا.
الورد: (وبئس الورد المورود) " ٩٨/هود " الورد: المنهل.
وردا: (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) " ٨٦/مريم " وردا: قاصدين الارتواء، وإنما أمامهم النار يرتون منها.
٣ - ورد الفرس ونحوه يورد وردة: كان لونه كلون الورد، وهو حمرة تضرب إلي صفرة والوصف من ذلك ورد الأنثي وردة.." (١)

"أنا عبد الرحمن، قال: نا إبراهيم، قال: نا آدم، قال: نا إسرائيل، عن جابر، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] قال: «لا يبقى أحد إلا دخلها» ، ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢] وقال: " ﷺرأيت الصالحين يقولون: اللهم نجنا من جهنم سالمين مسلمين "." (٢)

"[سورة مريم (١٩) : الآيات ١ الى ٩٨]

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص (١) ذكر رحمت ربك عبده زكريا (٢) إذ نادى ربه نداء خفيا (٣) قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا (٤)

وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا (٥) يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا (٦) يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا (٧) قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا (٨) قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا (٩)

قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا (١٠) فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا (١١) يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا (١٢) وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا (١٣) وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا (١٤)

وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا (١٥) واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا (١٦) فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا (١٧) قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا (١٨) قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا (١٩)

قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا (٢٠) قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا (٢١) فحملته فانتبذت به مكانا قصيا (٢٢) فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا (٢٣) فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا (٢٤)

وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا (٢٥) فكلي واشربي وقري عينا فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا (٢٦) فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا (٢٧) يا أخت

---

(١) معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن، حسن عز الدين الجمل ٥/٢١٥

(٢) تفسير مجاهد مجاهد بن جبر ص/٤٥٧

هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا (٢٨) فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا (٢٩)
قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا (٣٠) وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا (٣١)
وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا (٣٢) والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا (٣٣) ذلك عيسى ابن مريم
قول الحق الذي فيه يمترون (٣٤)
ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون (٣٥) وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط
مستقيم (٣٦) فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم (٣٧) أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن
الظالمون اليوم في ضلال مبين (٣٨) وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون (٣٩)
إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون (٤٠) واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا (٤١) إذ قال لأبيه يا
أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا (٤٢) يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك
صراطا سويا (٤٣) يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا (٤٤)
يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا (٤٥) قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته
لأرجمنك واهجرني مليا (٤٦) قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا (٤٧) وأعتزلكم وما تدعون من دون
الله وأدعوا ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا (٤٨) فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا
جعلنا نبيا (٤٩)
ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا (٥٠) واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا (٥١)
وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا (٥٢) ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا (٥٣) واذكر في الكتاب إسماعيل
إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا (٥٤)
وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا (٥٥) واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا (٥٦) ورفعناه
مكانا عليا (٥٧) أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن
هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا (٥٨) فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا
الشهوات فسوف يلقون غيا (٥٩)
إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا (٦٠) جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب
إنه كان وعده مأتيا (٦١) لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا (٦٢) تلك الجنة التي نورث من
عبادنا من كان تقيا (٦٣) وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا (٦٤)
رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا (٦٥) ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف
أخرج حيا (٦٦) أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٧) فو ربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم
حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩)
ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠) وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين

اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (٧٣) وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورءيا (٧٤)

قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا (٧٥) ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا (٧٦) أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا (٧٧) أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا (٧٨) كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا (٧٩)

ونرثه ما يقول ويأتينا فردا (٨٠) واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا (٨١) كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا (٨٢) ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا (٨٣) فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا (٨٤)

يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا (٨٥) ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا (٨٦) لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا (٨٧) وقالوا اتخذ الرحمن ولدا (٨٨) لقد جئتم شيئا إدا (٨٩)

تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا (٩٠) أن دعوا للرحمن ولدا (٩١) وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا (٩٢) إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا (٩٣) لقد أحصاهم وعدهم عدا (٩٤)

وكلهم آتيه يوم القيامة فردا (٩٥) إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا (٩٦) فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا (٩٧) وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا (٩٨)." (١)

"يعني من هو أولى بها يعني القادة فى الكفر وإن **منكم إلا واردها يعني** وما منكم أحد إلا داخلها يعني جهنم البر والفاجر.

حدثنا عبيد الله قال: حدثني أبي، قال: حدثنا الهذيل عن مقاتل، عن علقمة بن مرثد، عن نافع بن الأزرق: أنه سأل ابن عباس عن الورود فقال:

يا نافع، أما أنا وأنت فندخلها فانظر هل نخرج منها أم لا «١» .

حدثنا عبيد الله قال: حدثني أبي، قال: حدثنا الهذيل عن مقاتل، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: للورود «٢» . في القرآن أربعة «٣» مواضع يعني به الدخول.

وإن **منكم إلا واردها** «٤» يعني داخلها.

فأوردهم النار «٥» يعني فأدخلهم.

حصب جهنم أنتم لها واردون «٦» يعني داخلون.

لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها «٧» يعني ما دخلوها.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان مقاتل ٢/٦١١

(١) فى حاشية أ: وهذا كما أشار إليه بعضهم فقال: إنى خائف لأنه- تعالى- ذكر الورود ولم يذكر الصدور وهذا وإن لم يذكر فى الآية هذه فهو مأخوذ من آيات أخر، وأحاديث كثيرة، بعدم خلود الموحدين ولو كانوا من أصحاب الكبائر.

وإنما قال هذا من قاله خوفا من سوء العاقبة، ظهر للكاتب. [.....]

(٢) فى أ: للورود، ل: الورود.

(٣) فى أ: أربع، ل: أربعة.

(٤) سورة مريم: ٧١.

(٥) سورة هود: ٩٨.

(٦) سورة الأنبياء: ٩٨.

(٧) سورة الأنبياء: ٩٩.." [1]

"- المعلى بن هلال، عن الأعمش، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري قال: تندلق عنق من النار فتقول: إني أمرت بكل جبار عنيد، فتلتقطهم فتنطوي عليهم، فتلقيهم في النار ثم ترجع فتقول: إني أمرت.

قال يحيى: فذكر خصلتين من الخصال التي في الحديث الأول فيما أحسب.

محمد بن راشد قال: سمعت قتادة يقول: تنزل عنق من النار فتقول: إني أمرت بثلاثة: بالذين كذبوا الله، وبالذين كذبوا على الله، وبالذين آذوا الله.

قال: فأما الذين كذبوا الله فالذين كذبوا رسله وكتبه، وأما الذين كذبوا على الله فالذين زعموا أن له ولدا، وأما الذين آذوا الله فالمصورون.

قوله: ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا﴾ [مريم: ٧٠] يعني الذين يصلونها.

وقال بعضهم: أشد عذابا.

قوله: ﴿وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١] يعني قسما كائنا.

- حدثني يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود في قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] قال: الصراط على جهنم مثل حد السيف، والملائكة معهم كلابيب من حديد، كلما وقع رجل اختطفوه، فيمر الصنف الأول كالبرق، والثاني كالريح، والثالث كأجود الخيل، والرابع كأجود البهائم، والملائكة يقولون: اللهم سلم سلم.

- المعلى، عن الأعمش، عن مجاهد قال: سئل ابن عباس وعنده نافع بن الأزرق عن قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] فقال نافع: أما الكفار فإنهم يردونها.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان مقاتل ٦٣٥/٢

وأما المؤمنون فإنهم لا يردونها.

فقال ابن عباس وعنده إياس بن مضرب، فقال." (١)

"ابن عباس: أما أنا وإياس فإنا سنردها فأنظر هل نخرجن منها أم لا.

عثمان، عن عمرو، عن الحسن قال: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] إلا داخلها فيجعلها الله على المؤمن بردا وسلاما كما جعلها على إبراهيم.

- الحسن بن دينار، عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إني لأرجو إن شاء الله ألا يدخل النار من شهد بدرا والحديبية، فقالت حفصة: بلى، فانتهرها انتهارا شديدا، فقالت: أليس قد قال الله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] فقال النبي: أوليس قد قال الله ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ [مريم: ٧٢] خالد، عن الحسن، عن جابر بن عبد الله، عن النبي نحوه.

المعلى، عن أبان، عن الحسن، عن جابر، عن النبي نحوه.

وأخبرني رجل من أهل الكوفة، عن ليث، عن مجاهد، عن عبيد بن عمير قال: يضرب الصراط على جهنم كحد السيف دحض مزلة، فيمرون عليه كالبرق وكالريح، وكانقضاض الكواكب، وكجواد الخيل، وكجواد الرجال، والملائكة بجنبي الصراط معهم خطاطيف كشوك السعدان، فناج سالم، ومخدوش ناج، ومكردس في النار، والملائكة يقولون: رب سلم سلم.

- وأخبرني صاحب لي، عن سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء، عن ابن مسعود قال: يضرب الصراط على جهنم فيمر الناس على قدر أعمالهم زمرا: أولهم كلمح البرق، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، ثم كأسرع البهائم، ثم كذلك حتى يمر الرجل سعيا، وحتى يمر الرجل مشيا.

وفي حديث الحسن، عن عبد الله بن عمرو: وتزل قدم وتستمسك أخرى.

قال: عبد الله بن مسعود: حتى يكون آخرهم رجل يتلبط على بطنه فيقول: يا رب، لم." (٢)

"١٧٧٩ - عبد الرزاق قال: أرنا ابن عيينة ، عن إسماعيل ، عن قيس ، قال: كان عبد الله بن رواحة واضعا رأسه في حجر امرأته ، فبكى فبكت امرأته ، فقال: «ﷺما يبكيك؟» ، قالت: رأيتك تبكي فبكيت ، فقال: " إني ذكرت قول الله ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] فلا ندري أننجو منها أم لا؟ "." (٣)

"١٨٥٣٢- حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: (يقدم قومه يوم القيامة) يقول: يقود قومه = "فأوردهم النار".

١٨٥٣٣- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال، قال ابن عباس قوله: (يقدم قومه يوم القيامة) ، يقول: أضلهم فأوردهم النار.

---

(١) تفسير يحيى بن سلام يحيى بن سلام ٢٣٧/١

(٢) تفسير يحيى بن سلام يحيى بن سلام ٢٣٨/١

(٣) تفسير عبد الرزاق عبد الرزاق الصنعاني ٣٦٠/٢

١٨٥٣٤- حدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق، قال، أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عمن سمع ابن عباس يقول في قوله: (فأوردهم النار) ، قال: "الورد"، الدخول.

١٨٥٣٥- حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ يقول، حدثنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول في قوله: (فأوردهم النار) ، كان ابن عباس يقول: "الورد " في القرآن أربعة أوراد: في هود قوله: (وبئس الورد المورود) = وفي مريم: (وإن منكم إلا واردها) [سورة مريم: ٧١] ، وورد في "الأنبياء": (حصب جهنم أنتم لها واردون) ، [سورة الأنبياء: ٩٨] ، وورد في "مريم" أيضا: (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) [سورة مريم: ٧٢] كان ابن عباس يقول: كل هذا الدخول، والله ليردن جهنم كل بر وفاجر: (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) ، [سورة مريم: ٨٦] .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود (٩٩) ﴾

قال أبو جعفر: يقول الله تعالى ذكره: وأتبعهم الله في هذه = يعني في هذه الدنيا = مع العذاب الذي عجله لهم فيها من الغرق في البحر، لعنته (١) = (ويوم

---

(١) انظر تفسير " اللعنة " فيما سلف ١٢: ٤٤٧، تعليق: ٢، والمراجع هناك.." (١)

"أشدهم على الله عتوا، فلنبدأن بإصلائه جهنم. والتشايع في غير هذا الموضع: التفرق؛ ومنه قول الله عز ذكره: (وكانوا شيعا) يعني: فرقا؛ ومنه قول ابن مسعود أو سعد؛ إني أكره أن آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقول: شيعت بين أمتي، بمعنى: فرقت.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠) ﴾

يقول تعالى ذكره:

ثم لنحن أعلم من هؤلاء الذين ننزعهم من كل شيعة أولاهم بشدة العذاب، وأحقهم بعظيم العقوبة.

وذكر عن ابن جريج أنه كان يقول في ذلك ما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) قال: أولى بالخلود في جهنم.

قال أبو جعفر: وهذا الذي قاله ابن جريج، قول لا معنى له، لأن الله تعالى ذكره أخبر أن الذين ينزعهم من كل شيعة من الكفرة أشدهم كفرا، ولا شك أنه لا كافر بالله إلا مخلد في النار، فلا وجه، وجميعهم مخلدون في جهنم، لأن يقال: ثم لنحن أعلم بالذين هم أحق بالخلود من هؤلاء المخلدين، ولكن المعنى في ذلك ما ذكرنا. وقد يحتمل أن يكون معناه: ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى ببعض طبقات جهنم صليا. والصلي: مصدر صليت تصلي صليا، والصلي: فعول، ولكن واوها انقلبت ياء فأدغمت في الياء التي بعدها التي هي لام الفعل، فصارت ياء مشددة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ﴾

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٤٦٧/١٥

يقول تعالى ذكره: وإن منكم أيها الناس إلا وارد جهنم، كان على ربك يا محمد إيراهموها قضاء مقضيا، قد قضى ذلك وأوجبه في أم الكتاب.." (١)

"واختلف أهل العلم في معنى الورود الذي ذكره الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: الدخول.

* ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة عن عمرو، قال: أخبرني من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الأزرق، فقال ابن عباس: الورود: الدخول، وقال نافع: لا فقرأ ابن عباس: (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) أورود هو أم لا؟ وقال (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود) أورود هو أم لا؟ أما أنا وأنت فسندخلها، فانظر هل نخرج منها أم لا؟ وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك، قال: فضحك نافع.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح، قال. قال أبو راشد الحروري: ذكروا هذا فقال الحروري: لا يسمعون حسيسها، قال ابن عباس: ويلك أمجنون أنت؟ أين قوله تعالى (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود) (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) ، وقوله (وإن منكم إلا واردها) والله إن كان دعاء من مضى: اللهم أخرجني من النار سالما، وأدخلني الجنة غانما.

قال ابن جريج: يقول: الورود الذي ذكره الله في القرآن: الدخول، ليردنها كل بر وفاجر في القرآن أربعة أوراد (فأوردهم النار) و (حصب جهنم أنتم لها واردون) (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) ، وقوله (وإن منكم إلا واردها) .

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا) يعني البر والفاجر، ألم تسمع إلى قول الله تعالى لفرعون (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود) وقال (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) فسمى الورود في النار دخولا وليس بصادر.

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن بكار بن أبي مروان، عن خالد بن معدان، قال: قال أهل الجنة بعد ما دخلوا الجنة: ألم." (٢)

"يعدنا ربنا الورود على النار؟ قال: قد مررتم عليها وهي خامدة.

قال ابن عرفة، قال مروان بن معاوية، قال بكار بن أبي مروان، أو قال: جامدة.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا مرحوم بن عبد العزيز، قال: ثني أبو عمران الجوني، عن أبي خالد قال: تكون الأرض يوما نارا، فماذا أعددتم لها؟ قال: فذلك قول الله (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن الجريري، عن أبي السليل، عن غنيم بن قيس، قال: ذكروا ورود النار، فقال كعب: تمسك النار للناس كأنها متن إهالة، حتى يستوي عليها أقدام الخلائق برهم وفاجرهم، ثم يناديها مناد: أن

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٢٢٩/١٨

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٢٣٠/١٨

أمسكي أصحابك، ودعي أصحابي، قال: فيخسف بكل ولي لها، ولهي أعلم بهم من الرجل بولده، ويخرج المؤمنون ندية أبدانهم. قال: وقال كعب: ما بين منكبي الخازن من خزنتها مسيره سنة، مع كل واحد منهم عمود له شعبتان، يدفع به الدفعة، فيصرع به في النار سبعمائة ألف.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن مالك بن مغول، عن أبي إسحاق، قال: كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه، قال: يا ليت أمي لم تلدني، ثم يبكي، فقيل: وما يبكيك يا أبا ميسرة؟ قال: أخبرنا أنا واردوها، ولم يخبرنا أنا صادرون عنها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن إسماعيل، عن قيس، قال: بكى عبد الله بن رواحة في مرضه، فبكت امرأته، فقال: ما يبكيك، قالت: رأيتك تبكي فبكيت، قال ابن رواحة: إني قد علمت إنى وارد النار فما أدري أناج منها أنا أم لا؟ .

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو عمرو داود بن الزبرقان، قال: سمعت السدي يذكر عن مرة الهمداني، عن ابن مسعود (وإن منكم إلا واردها) قال: داخلها.." (١)

"حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله (وإن منكم إلا واردها) قال: يدخلها.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن ابن عيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، قال: كان عبد الله بن رواحة واضع رأسه في حجر امرأته، فبكى، فبكت امرأته، قال: ما يبكيك؟ قالت: رأيتك تبكي فبكيت، قال: إني ذكرت قول الله (وإن منكم إلا واروها) فلا أدري أنجو منها، أم لا؟ .

وقال آخرون: بل هو المر عليها.

* ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وإن منكم إلا واردها) يعني جهنم مر الناس عليها.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله (وإن منكم إلا واردها) قال: هو المر عليها.

حدثنا خلاد بن أسلم، قال: أخبرنا النضر، قال: أخبرنا إسرائيل، قال: أخبرنا أبو إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله في قوله (وإن منكم إلا واردها) قال: الصراط على جهنم مثل حد السيف، فتمر الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم، ثم يمرون والملائكة يقولون: اللهم سلم سلم.

وقال آخرون: بل الورود: هو الدخول، ولكنه عنى الكفار دون المؤمنين.

* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا شعبة، قال: أخبرني عبد الله بن السائب، عن رجل سمع ابن عباس يقرؤها (وإن منكم إلا واردها) يعني الكفار، قال: لا يردها مؤمن.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا عمرو بن الوليد الشني، قال: سمعت عكرمة يقول (وإن منكم إلا

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٢٣١/١٨

واردها) يعني الكفار.

وقال آخرون: بل الورود عام لكل مؤمن وكافر، غير أن ورود المؤمن المرور، وورود الكافر الدخول.." (١)

"* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وإن منكم إلا واردها) ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهريها وورود المشركين أن يدخلوها، قال: وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الزالون والزالات يومئذ كثير، وقد أحاط الجسر سماطان من الملائكة، دعواهم يومئذ يا الله سلم ".

وقال آخرون: ورود المؤمن ما يصيبه في الدنيا من حمى ومرض.

* ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد قال: الحمى حظ كل مؤمن من النار، ثم قرأ (وإن منكم إلا واردها) .

حدثني عمران بن بكار الكلاعي، قال: ثنا أبو المغيرة، قال: ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن تميم، قال: ثنا إسماعيل بن عبيد الله، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود رجلا من أصحابه وبه وعك وأنا معه، ثم قال: "إن الله يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن، لتكون حظه من النار في الآخرة".

وقال آخرون: يردها الجميع، ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم.

* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، قال: ثني السدي، عن مرة، عن عبد الله (وإن منكم إلا واردها) قال: يردونها ثم يصدون عنها بأعمالهم.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا شعبه، عن السدي، عن مرة، عن عبد الله، بنحوه.

حدثني محمد بن عبيد المحاربي، قال: ثنا أسباط، عن عبد الملك، عن عبيد الله، عن مجاهد، قال: كنت عند ابن عباس، فأتاه رجل يقال له أبو راشد، وهو نافع بن الأزرق، فقال له: يا ابن عباس أرأيت قول الله (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا) قال: أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها، فانظر هل نصدر عنها أم لا؟ .." (٢)

"* ذكر الأخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك: حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر امرأة زيد بن حارثة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت حفصة: "لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية، قالت: فقالت حفصة: يا رسول الله، أليس الله يقول (وإن منكم إلا واردها) ؟ فقال رسول الله: "فمه (ثم ينجي الله الذين اتقوا) ".

حدثنا الحسن بن مدرك، قال: ثنا يحيى بن حماد، قال: ثنا أبو عوانة، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٢٣٢/١٨

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٢٣٣/١٨

مبشر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بمثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر، عن حفصة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني لأرجو أن لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية، قالت: فقلت يا رسول الله، أليس الله يقول: (وإن منكم إلا واردها) ؟ قال: فلم تسمعيه يقول: (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) ؟ ".

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني عبيد الله بن المغيرة بن معيقب، عن سليمان بن عمرو بن عبد العتواري، أحد بني ليث، وكان في حجر أبي سعيد، قال: سمعت أبا سعيد الخدري يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يوضع الصراط بين ظهري جهنم، عليه حسك كحسك السعدان، ثم يستجيز الناس، فناج مسلم ومجروح به، ثم ناج ومحتبس ومكدس فيها، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد تفقد المؤمنون رجالا كانوا معهم في الدنيا يصلون صلاتهم، ويزكون زكاتهم ويصومون صيامهم، ويحجون حجهم، ويغزون غزوهم، فيقولون: أي ربنا عباد من عبادك كانوا معنا في الدنيا، يصلون صلاتنا، ويزكون زكاتنا، ويصومون صيامنا، ويحجون حجنا، ويغزون غزونا، لا نراهم، فيقول: اذهبوا إلى النار، فمن وجدتم فيها منهم فأخرجوه، فيجدونهم قد أخذتهم النار على قدر أعمالهم، فمنهم من أخذته النار إلى قدميه، ومنهم من أخذته إلى نصف ساقيه، ومنهم من أخذته إلى ركبتيه، ومنهم من أخذته إلى." (١)

"زياد بن فائد، عن سهل بن معاذ، عن أبيه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من حرس وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا، لا يأخذه سلطان بحرس، لم ير النار بعينه إلا تحلة القسم، فإن الله تعالى يقول (وإن منكم إلا واردها) ".

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، أخبرني الزهري، عن ابن المسيب عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من مات له ثلاثة لم تمسه النار إلا تحلة القسم" يعني: الورود.

وأما قوله (كان على ربك حتما مقضيا) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم معناه: كان على ربك قضاء مقضيا.

* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (حتما) قال: قضاء.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج (حتما مقضيا) قال قضاء.

وقال آخرون: بل معناه: كان على ربك قسما واجبا.

* ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو عمرو داود بن الزبرقان، قال: سمعت السدي يذكر عن مرة الهمداني، عن ابن مسعود (كان على ربك حتما مقضيا) قال: قسما واجبا.

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٢٣٥/١٨

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (كان على ربك حتما مقضيا) يقول: قسما واجبا.
قال أبو جعفر: وقد بينت القول في ذلك.
القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) ﴾
يقول تعالى ذكره: (ثم ننجي) من النار بعد ورود جميعهم إياها، (الذين." (١)
"* ذكر من قال ذلك:
حدثنا القاسم، قال: ثني الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، في قوله: (ومن يظلم منكم) قال: يشرك (نذقه عذابا كبيرا) .
حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن، في قوله: (ومن يظلم منكم) قال: هو الشرك:
القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا (٢٠) ﴾
وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره لنبيه على مشركي قومه الذين قالوا: (مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق) وجواب لهم عنه يقول لهم جل ثناؤه: وما أنكر يا محمد هؤلاء القائلون: ما لهذا الرسول يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق، من أكلك الطعام، ومشيك في الأسواق، وأنت لله رسول، فقد علموا أنا ما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، كالذي تأكل أنت وتمشي، فليس لهم عليك بما قالوا من ذلك حجة.
فان قال قائل: فإن (من) ليست في التلاوة، فكيف قلت: معنى الكلام: إلا من إنهم ليأكلون الطعام؟ قيل: قلنا في ذلك: معناه: أن الهاء والميم في قوله: إنهم، كناية أسماء لم تذكر، ولا بد لها من أن تعود على من كني عنه بها، وإنما ترك ذكر "من" وإظهاره في الكلام اكتفاء بدلالة قوله: (من المرسلين) عليه، كما اكتفي في قوله: (وما منا إلا له مقام معلوم) من إظهار "من"، ولا شك أن معنى ذلك: وما منا إلا من له مقام معلوم، كما قيل (وإن منكم إلا واردها) ومعناه: وإن منكم إلا من هو واردها، فقوله: (إنهم ليأكلون الطعام) صلة لمن المتروك، كما يقال في الكلام: ما أرسلت إليك من الناس إلا من إنه ليبلغك الرسالة، فإنه ليبلغك الرسالة، صلة لمن.
وقوله: (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) يقول تعالى ذكره: وامتحنا أيها الناس بعضكم ببعض، جعلنا هذا نبيا وخصصناه بالرسالة، وهذا ملكا وخصصناه بالدنيا، وهذا فقيرا وحرمناه الدنيا لنختبر الفقير بصبره على ما حرم مما أعطيه الغني، والملك بصبره على ما." (٢)

"تمطروا فتتأذوا به (وطمعا) لكم، إذا كنتم في إقامة، أن تمطروا، فتحيوا وتخصبوا (وينزل من السماء ماء) يقول: وينزل من السما مطرا، فيحيي بذلك الماء الأرض الميتة؛ فتنبت ويخرج زرعها بعد موتها، يعني جدوبها ودروسها (إن في ذلك لآيات) يقول: إن في فعله ذلك كذلك لعبرا وأدلة (لقوم يعقلون) عن الله حججه وأدلته.

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٢٣٧/١٨
(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٢٥٢/١٩

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: (يريكم البرق خوفا وطمعا) قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: (ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا) قال: خوفا للمسافر، وطمعا للمقيم. واختلف أهل العربية في وجه سقوط "أن" في قوله: (يريكم البرق خوفا وطمعا) فقال بعض نحويي البصرة: لم يذكر هاهنا "أن"؛ لأن هذا يدل على المعنى، وقال الشاعر:

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى ... وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي (١)

قال: وقال:

لو قلت ما في قومها لم تيثم ... يفضلها في حسب وميسم (٢)

---

(١) البيت لطرفة بن العبد البكري من معلقته (مختار الشعر الجاهلي، بشرح مصطفى السقا، طبعة الحلبي ص ٣١٧) . ورواية البيت عند البصريين أحضر بالرفع، لأنه لما أضمر (أن) قبله ذهب عملها، لأنها لا تعمل عندهم وهي مضمرة إلا في المواضع العشرة المخصوصة. وعند الكوفيين أحضر بالنصب، لأنها وإن أضمرت فكأنها موجودة لقوة الدلالة عليها؛ فكأنه قال: أن أحضر. والوغى: الحرب. وأصله أصوات المحاربين فيها. يقول: أيها الإنسان الذي يلومني على شهودي الحرب، وتحصيل اللذات، هل تخلدني في الدنيا إذا كففت عن الحرب؟ وقوله تعالى: (ومن آياته يريكم البرق ...) إلخ إما أن يتعلق (من آياته) بـ (يريكم) ، فيكون في موضع نصب، ومن لابتداء الغاية أو "يريكم" على إضمار (أن) كما قال طرفة: "ألا أيهذا ... " البيت برفع أحضر، كرواية البصريين، والتقدير: أن أحضر، فلما حذف (أن) ارتفع الفعل، فيكون التقدير: ومن آياته إراءتكم إياكم البرق.

(٢) البيت من الرجز لحكيم بن معية الربعي التميمي، وهو راجز إسلامي كان في زمن العجاج، وقد نسبه إليه سيبويه في الكتاب (خزانة الأدب الكبرى للبغدادي ٢: ٣١١) . وأنشده الفراء في معاني القرآن عند قوله تعالى: (من الذين هادوا يحرفون الكلم) على أحد وجهين وذلك من كلام العرب أن يضمروا (من بفتح الميم) في مبتدأ الكلام (بمن بكسر الميم) ، فيقولون: منا يقول ذاك ومنا لا يقوله؛ وذلك أن (من بالكسر) بعض لما هي منه فلذلك أدت عن المعنى المتروك؛ قال الله تعالى: (وما منا إلا له مقام معلوم) وقال (وإن منكم إلا واردها) . ولا يجوز إضمار (من) بالفتح في شيء من الصفات (حروف الجر) إلا على هذا الذي نبأتك به، وقد قالها الشاعر في (في) ولست أشتهيها. قال: لو قلت ... البيت. وإنما جاز لك لأنك تجد معنى من (بالكسر) من أنه بعض ما أضيفت إليه ألا ترى أنك تقول: فينا الصالحون، وفينا دون ذلك، فكأنك قلت: منا. وقال الفراء في قوله تعالى (ومن آياته يريكم البرق) . فمن أضمر (أن) فهي في موضع اسم مرفوع، كما قال: (ومن آياته منامكم) فإذا حذفت أن، جعلت من (بالكسر) مؤدية عن اسم متروك يكون الفعل (في) صلة له، كقول

الشاعر "وما الدهر إلا تارتان ... " إلخ البيت. كأن أراد: فمنها ساعة أموتها، وساعة أعيشها. وكذلك، ومن آياته آية للبرق، وآية لكذا. وإن شئت: يريكم من آياته البرق، فلا تضمر أن ولا غيره. اهـ.." (١)

"حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك، يقول في قوله: " ﴿ﷺفأوردهم النار﴾ [هود: ٩٨] كان ابن عباس يقول: الورد في القرآن أربعة أوراد: في هود قوله: ﴿وبئس الورد المورود﴾ [هود: ٩٨] وفي مريم: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] وورد في الأنبياء: ﴿حصب جهنم أنتم لها واردون﴾ [الأنبياء: ٩٨] وورد في مريم أيضا: ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا﴾ [مريم: ٨٦] كان ابن عباس يقول: كل هذا الدخول، والله ليردن جهنم كل بر وفاجر. ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢] "." (٢)

"ﷺالقول في تأويل قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١] يقول تعالى ذكره: وإن منكم أيها الناس إلا وارد جهنم، كان على ربك يا محمد إيرادهموها قضاء مقضيا، قد قضى ذلك وأوجبه في أم الكتاب. واختلف أهل العلم في معنى الورود الذي ذكره الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: الدخول." (٣)

"قال ابن جريج: يقول: ﷺالورود الذي ذكره الله في القرآن: الدخول، ليردنها -[٥٩٢]- كل بر وفاجر في القرآن أربعة أوراد ﴿فأوردهم النار﴾ [هود: ٩٨] و ﴿حصب جهنم أنتم لها واردون﴾ [الأنبياء: ٩٨] ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا﴾ [مريم: ٨٦] وقوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١]." (٤)

"حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح، قال. قال أبو راشد الحروري: ذكروا هذا فقال الحروري: ﷺلا يسمعون حسيسها، قال ابن عباس: ويلك أمجنون أنت؟ أين قوله تعالى: ﴿يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود﴾ [هود: ٩٨] ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا﴾ [مريم: ٨٦] وقوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] والله إن كان دعاء من مضى: اللهم أخرجني من النار سالما، وأدخلني الجنة غانما." (٥)

"حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا مرحوم بن عبد العزيز، قال: ثني أبو عمران -[٥٩٣]- الجوني، عن أبي خالد، قال: ﷺتكون الأرض يوما نارا، فماذا أعددتم لها؟ قال: فذلك قول الله: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢]." (٦)

"حدثني محمد بن سعد، قال ثني أبي، قال: ثني عمي، قال ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿ﷺوإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١] يعرف البر والفاجر، ألم تسمع إلى قول الله تعالى لفرعون:

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٨٨/٢٠

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٦٣/١٢

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٩٠/١٥

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٩١/١٥

(٥) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٩١/١٥

(٦) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٩٢/١٥

﴿يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود﴾ [هود: ٩٨] وقال ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا﴾ [مريم: ٨٦] فسمى الورود في النار دخولا، وليس بصادر." (١)

"حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو عمرو داود بن الزبرقان، قال: سمعت السدي، يذكر عن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، ﴿ﷺوإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] قال: داخلها." (٢)

"حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله ﴿ﷺوإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] قال: يدخلها." (٣)

"حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن ابن عيينة، عن إسماعيل -[٥٩٥]- بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، قال: ﷺكان عبد الله بن رواحة واضع رأسه في حجر امرأته، فبكى، فبكت امرأته، قال: ما يبكيك؟ قالت: رأيتك تبكي فبكيت، قال: إني ذكرت قول الله ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] فلا أدري أنجو منها، أم لا؟ وقال آخرون: بل هو المر عليها." (٤)

"ذكر من قال ذلك: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، ﴿ﷺوإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] يعني جهنم مر الناس عليها." (٥)

"حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله ﴿ﷺوإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] قال: هو المر عليها." (٦)

"حدثنا خلاد بن أسلم، قال: أخبرنا النضر، قال: أخبرنا إسرائيل، قال: أخبرنا أبو إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، في قوله: ﴿ﷺوإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] قال: الصراط على جهنم مثل حد السيف، فتمر الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم. ثم يمرون والملائكة يقولون: اللهم سلم سلم -[٥٩٦]- وقال آخرون: بل الورود: هو الدخول، ولكنه عنى الكفار دون المؤمنين." (٧)

"ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا شعبة، قال: أخبرني عبد الله بن السائب، عن رجل، سمع ابن عباس، يقرؤها ﴿ﷺوإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] يعني الكفار، قال: لا يردها مؤمن." (٨)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٩٢/١٥

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٩٤/١٥

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٩٤/١٥

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٩٤/١٥

(٥) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٩٥/١٥

(٦) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٩٥/١٥

(٧) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٩٥/١٥

(٨) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٩٦/١٥

"ذكر من قال ذلك: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله -[٥٩٧]-: ﴿ﷺوإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهريها وورود المشركين أن يدخلوها." (١)

"حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا عمرو بن الوليد الشني، قال: سمعت عكرمة، يقول ﴿ﷺوإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] يعني الكفار وقال آخرون: بل الورود عام لكل مؤمن وكافر، غير أن ورود المؤمن المرور، وورود الكافر الدخول." (٢)

"ذكر من قال ذلك: حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد، قال: ﷺالحمى حظ كل مؤمن من النار، ثم قرأ: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١]." (٣)

"ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، قال: ثني السدي، عن مرة، عن عبد الله، ﴿ﷺوإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] قال: يردونها ثم يصدرون عنها بأعمالهم حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا شعبة، عن السدي، عن مرة، عن عبد الله، بنحوه." (٤)

"حدثني محمد بن عبيد المحاربي، قال: ثنا أسباط، عن عبد الملك، عن عبيد الله، عن مجاهد، قال: ﷺكنت عند ابن عباس، فأتاه رجل يقال له أبو راشد، وهو نافع بن الأزرق، فقال له: يا ابن عباس أرأيت قول الله ﴿وإن منكم - **[٥٩٩]- إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١] قال: أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها، فانظر هل نصدر عنها أم لا." (٥)

"حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر امرأة زيد بن حارثة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت حفصة: «ﷺلا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية» . قالت: فقالت حفصة: يا رسول الله، أليس الله يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فمه ثم ينجي الله الذين اتقوا» حدثنا الحسن بن مدرك، قال: ثنا يحيى بن حماد، قال. ثنا أبو عوانة، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بمثله." (٦)

"حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر، عن حفصة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. «ﷺإني لأرجو أن لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية» ، قالت: فقلت

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٥/٥٩٦

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٥/٥٩٦

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٥/٥٩٧

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٥/٥٩٨

(٥) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٥/٥٩٨

(٦) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٥/٦٠١

يا رسول الله، أليس الله يقول ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] قال: " فلم تسمعيه يقول: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢]." (١)

"حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يحيى بن أيوب، ح، وحدثنا أبو كريب، قال: ثنا محمد بن زيد، عن رشدين، جميعا عن زبان بن فائد، عن -[٦٠٥]- سهل بن معاذ، عن أبيه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ﷺمن حرس وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا، لا يأخذه سلطان بحرس، لم ير النار بعينه إلا تحلة القسم» فإن الله تعالى يقول ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١]." (٢)

" ﷺالقول في تأويل قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا﴾ [الفرقان: ٢٠] وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره لنبيه على مشركي قومه الذين قالوا: ﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾ وجواب لهم عنه، يقول لهم جل ثناؤه: وما أنكر يا محمد هؤلاء القائلون: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، من أكلك الطعام ، ومشيك في الأسواق، وأنت لله رسول؛ فقد علموا أنا ما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق كالذي تأكل أنت وتمشي، فليس لهم عليك بما قالوا من ذلك حجة. فإن قال قائل: فإن «من» ليست في التلاوة، فكيف قلت معنى الكلام: إلا من إنهم ليأكلون الطعام؟ قيل: قلنا في ذلك معناه: أن الهاء والميم في قوله: ﴿إنهم﴾ [البقرة: ١٢] ، كناية أسماء لم تذكر، ولا بد لها من أن تعود على من كني عنه بها، وإنما ترك ذكر «من» وإظهاره في الكلام اكتفاء بدلالة قوله: ﴿من المرسلين﴾ [الأعراف: ٧٧] عليه، كما اكتفى في قوله: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ [الصافات: ١٦٤] ، من إظهار «من» ولا شك أن معنى ذلك: وما منا إلا من له مقام معلوم، كما قيل: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] ، ومعناه: وإن منكم إلا من هو واردها؛ فقوله: ﴿إنهم." (٣)

"قال بعضهم: الهاء للعلم. المعنى وما قتلوا علمهم يقينا، كما تقول:

أنا أقتل الشيء علما، تأويله إني أعلمه علما تاما.

وقال بعضهم: (وما قتلوه) الهاء لعيسى كما قال: وما قتلوه وما صلبوه.

وكلا القولين جائز.

* * *

وقوله: (بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما (١٥٨)

إدغام اللام في الراء هو الكلام وعليه القراءة، لأن اللام قريبة من

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦٠٢/١٥

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦٠٤/١٥

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤٢٣/١٧

مخرج الراء، والراء متمكنة، وفيها كالتكرير، فلذلك اختير الإدغام فيها، وإن لم تدغم لأنه من كلمتين جاز.
* * *

وقوله: (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا (١٥٩)
المعنى: وما مهم من أحد إلا ليؤمنن به، وكذلك قوله: (وإن منكم
إلا واردها).
المعنى ما منكم أحد إلا واردها، وكذلك (وما منا إلا له مقام معلوم)
المعنى وما منا أحد إلا له مقام معلوم.
ومثله قول الشاعر:
لو قلت ما في قومها لم تيثم. . . يفضلها في حسب وميسم
المعنى ما في قومها أحد يفضلها.
فالمعنى (ليؤمنن به قبل موته)، فالهاء في " موته " راجعة على." (١)
"(وكان عند ربه مرضيا).
أصله مرضوا، وهو جائز في اللغة غير جائز في القرآن لأنه مخالف
للمصحف، والخليل وسيبويه وجميع البصريين يقولون: فلان مرضو ومرضي
وأرض مسنوة ومسنية إذا سقيت بالسواني أو بالمطر، والأصل الواو إلا أنها
قلبت عند الخليل لأنها طرف قبلها واو ساكنة ليس بحاجز حصين، وكأنها
مفعل بضم العين، ومفعل من أدوات الواو يقلب إلى مفعل، لأن الواو لا
تكون طرفا وقبلها متحرك في الأسماء، وأما غير سيبويه والبصريين فلهم فيه
قولان:
قال بعضهم: لما كان الفعل منه رضيت فانتقل من الواو إلى الياء.
صار مرضيا. وقيل إن بعض العرب يقول في تثنية رضى رضيان ورضوان.
فمن قال رضيان لم يكن من قوله إلا مرضي، ومن قال رضوان في التثنية جاز
أن يقول فلان مرضو ومرضي.
* * *

وقوله سبحانه: (ورفعناه مكانا عليا (٥٧)

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج الزجاج ١٢٩/٢

جاء في التفسير أيضا أنه رفع إلى السماء الرابعة، وجاء في التفسير

أيضا أنه سأل ملك الموت حتى سأل الله - جل وعز - أن رفعه فأدخل النار ثم أخرج فأدخل الجنة فقيل له في الخروج

فقال: قد قال الله عز وجل: (وإن منكم إلا واردها) وقال في أهل الجنة: (وما هم منها بمخرجين) فأقره

الله عز وجل في الجنة.

وهذا الحجاج إنما هو في القرآن - والله أعلم.." (١)

"وقال سيبويه إن " أيهم " مبنية على الضم لأنها خالفت أخواتها، واستعمل

معها حرف الابتداء، تقول اضرب لأيهم أفضل يريد أيهم هو أفضل، فيحسن الاستعمال، كذلك يحذف هو، ولا يحسن.

" اضرب من أفضل " حتى تقول من هو أفضل، ولا يحسن "كل ما أطيبا حتى تقول: كل ما هو أطيب.

فلما خالفت من وما والذي - لأنك لا تقول أيضا: " خذ الذي أفضل " حتى تقول هو أفضل، قال فلما خالفت هذا

الخلاف بنيت على الضم في الإضافة، والنصب حسن، وإن كنت قد حذفت " هو " لأن " هو " قد يجوز حذفها، وقد

قرئت (تماما على الذي [أحسن] وتفصيلا)

على معنى الذي هو أحسن.

قال أبو إسحاق: والذي أعتقده أن القول في هذا قول الخليل، وهو

موافق للتفسير، لأن الخليل كان مذهبه أو تأويله في قوله تعالى: (ثم لننزعن من كل شيعة) الذي من أجل عتوه يقال: أي

هؤلاء أشد عتيا.

فيستعمل ذلك في الأشد فالأشد، والله أعلم (١).

* * *

وقوله عز وجل: (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠)

وصليا - بالضم والكسر - على ما فسرنا، وصليا منصوب على الحال.

أي: أي ثم لنحن أعلم بالذين هم أشد على الرحمن عتيا فهم أولى

بها صليا.

* * *

(وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١)

هذه آية كثير اختلاف التفسير فيها في التفسير فقال كثير من الناس إن

الخلق جميعا يردون النار فينجو المتقي ويترك الظالم - وكلهم يدخلها، " فقال بعضهم: قد علمنا الورود ولم نعلم الصدور.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج الزجاج ٣/٣٣٤

(١) قال السمين:
قوله: ﴿أيهم أشد﴾: في هذه الآية أقوال كثيرة، أظهرها عند الجمهور من المعربين، وهو مذهب سيبويه: أن «أيهم» موصولة بمعنى الذي، وأن حركتها بناء بنيت عند سيبويه، لخروجها عن النظائر، و «أشد» خبر مبتدأ مضمر، والجملة صلة ل «أيهم»، و «أيهم» وصلتها في محل نصب مفعولا بها بقوله «لننزعن».
ول «اي» أحوال أربعة، أحدها: تبنى فيها وهي – كما في الآية – أن تضاف ويحذف صدر صلتها، ومثله قول الشاعر:
٣٢٤٨ – إذا ما أتيت بني مالك. . . فسلم على أيهم أفضل
بضم «أيهم» وتفاصيلها مقررة في موضوعات النحو.
وزعم الخليل رحمه الله أن «أيهم» هنا مبتدأ، و «أشد» خبره، وهي استفهامية والجملة محكية بقول مقدر والتقدير: لننزعن من كل شيعة المقول فيهم: أيهم أشد. وقوى الخليل تخريجه بقول الشاعر:
٣٢٤٩ – ولقد أبيت من الفتاة بمنزل. . . فأبيت لا حرج ولا محروم
وقال تقديره: فأبيت يقال في: لا حرج ولا محروم.
وذهب يونس إلى أنها استفهامية مبتدأة، ما بعدها خبرها كقول الخليل، إلا أنه زعم أنها معلقة ل «ننزعن» فهي في محل نصب، لأنه يجوز التعليق في سائر الأفعال، ولا يخصه بأفعال القلوب، كما يخصه بها الجمهور.
وقال الزمخشري: «ويجوز أن يكون النزع واقعا على ﴿من كل شيعة﴾ كقوله: ﴿ووهبنا لهم من رحمتنا﴾ [مريم: ٥٠]، أي: لننزعن بعض كل شيعة فكأن قائلا قال: من هم؟ فقيل: أيهم أشد عتيا». فجعل «أيهم» موصولة أيضا، ولكن هي في قوله خبر مبتدأ محذوف، أي: هم الذين هم أشد «.
قال الشيخ: وهذا تكلف ما لا حاجة إليه، وادعاء إضمار غير محتاج إليه، وجعل ما ظاهره أنه جملة واحدة جملتين».
وحكى أبو البقاء عن الأخفش والكسائي أن مفعول لننزعن ﴿كل شيعة﴾ و «من» مزيدة، قال: وهما يجيزان زيادة «من»، و «أي» استفهام «، أي: للننزعن كل شيعة. وهذا يخالف في المعنى تخريج الجمهور؛ فإن تخريجهم يؤدي إلى التبعيض، وهذا يؤدي إلى العموم، إلا أن تجعل» من «لابتداء الغاية لا للتغيض فيتفق التخريجان.
وذهب الكسائي إلى أن معنى» لننزعن «لننادين، فعومل معاملته، فلم يعمل في» أي «. قال المهدوي:» ونادى يعلق إذا كان بعده جملة نصب، فيعمل في المعنى، ولا يعمل في اللفظ «.
وقال المبرد:» أيهم «متعلق ب» شيعة «فلذلك ارتفع، والمعنى: من الذين تشايعوا أيهم أشد، كأنهم يتبارون إلى هذا».
ويلزمه على هذا أن يقدر مفعولا ل «ننزعن» محذوفا. وقدر بعضهم في قول المبرد: من الذين تعاونوا فنظروا أيهم. قال النحاس: «وهذا قول حسن، وقد حكى الكسائي تشايعوا بمعنى تعاونوا». قلت: وفي هذه العبارة المنسوبة للمبرد قلق، ولا بين الناقل عنه وجه الرفع على ماذا يكون، وبينه أبو البقاء، لكن جعل «أيهم» فاعلا لما تضمنته «شيعة» من معنى الفعل، قال: «التقدير: لننزعن من كل فريق يشيع أيهم، وهي على هذا بمعنى الذي».
ونقل عن الكوفيين أن «أيهم» في الآية بمعنى الشرط. والتقدير: إن اشتد عتوهم، أو لم يشتد، كما تقول: ضربت القوم أيهم

غضب، المعنى: إن غضبوا أو لم يغضبوا.

وقرأ طلحة بن مصرف ومعاذ بن مسلم العراء أستاذ الفراء وزائدة عن الأعمش «أيهم» نصبا. قلت: فعلى هذه القراءة والتي قبلها: ينبغي أن يكون مذهب سيبويه جواز إعرابها وبنائها، وهو المشهور عند النقلة عنه، وقد نقل عنه أنه يحتم بناءها. قال النحاس: «ما علمت أحدا من النحويين إلا وقد خطأ سيبويه» قال: «وسمعت أبا إسحاق الزجاج يقول:» ما تبين لي أن سيبويه غلط في كتابه إلا في موضعين، هذا أحدهما «قال» وقد أعرب سيبويه «أيا» وهي مفردة لأنها مضافة، فكيف يبنيها مضافة «؟ وقال الجرمي:» خرجت من البصرة فلم أسمع منذ فارقت الخندق إلى مكة أحدا يقول: «لأضربن أيهم قائم» بالضم بل ينصب «.

و ﴿على الرحمن﴾ متعلق ب» أشد «، و» عتيا «منصوب على / التمييز، وهو محول عن المبتدأ، إذ التقدير: أيهم هو عتوه أشد، ولا بد من محذوف يتم به الكلام، التقدير: فنلقيه في العذاب، أو فنبدأ بعذابه. قال الزمخشري:» فإن قلت: بم تتعلق على والباء؟ فإن تعلقهما بالمصدرين لا سبيل إليه «. قلت: هما للبيان لا للصلة، أو يتعلقان ب» أفعل «، أي: عتوهم أشد على الرحمن، وصليهم أولى بالنار كقولهم:» هو أشد على خصمه، وهو أولى بكذا «.

قلت: يعني ب» على «قوله» على الرحمن «، وبالباء قوله» بالذين هم «. وقوله» بالمصدر «يعني بهما» عتيا «و» صليا «وأما كونه لا سبيل إليه فلأن المصدر في نية الموصول، ولا يتقدم معمول الموصول عليه.

وجوز بعضهم أن يكون» عتيا «و» صليا «في هذه الآية مصدرين كما تقدم، وجوز أن يكونا جمع عات وصال فانتصابهما على هذا الحال. وعلى هذا يجوز أن تتعلق على والباء بهما لزوال المحذور المذكور. اهـ (الدر المصون).." (١)

"وحجة من قال بهذا القول أنه جرى ذكر الكافرين، فقال: (ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد) ثم قال بعد: (وإن منكم إلا واردها)

فكأنه على نظم ذلك الكلام عام.

ودليل من قال بهذا القول أيضا قوله (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين)

ولم يقل وندخل الظالمين، وكان (نذر) و (نترك) للشيء الذي قد

حصل في مكانه.

وقال قوم إن هذا إنما يعنى به المشركون خاصة، واحتجوا في هذا بأن

بعضهم قرأ: " وإن **منهم إلا واردها "**، ويكون على مذهب هؤلاء

(ثم ننجي الذين اتقوا) أي نخرج المتقين من جملة من ندخله النار.

وقال قوم: إن الخلق يردونها فتكون على المؤمن بردا وسلاما، ثم

يخرج منها فيدخل الجنة فيعلم فضل النعمة لما يشاهد فيه أهل العذاب وما

رأى فيه أهل النار.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج الزجاج ٣/٣٤٠

وقال ابن مسعود والحسن وقتادة: إن ورودها ليس دخولها، وحجتهم في
ذلك جيدة جدا من جهات: إحداهن أن العرب تقول: وردت ماء كذا ولم
تدخله، وقال الله عز وجل: (ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون) وتقول إذا بلغت البلد ولم تدخله: قد وردت بلد كذا وكذا.

قال أبو إسحاق: والحجة القاطعة في هذا القول ما قال الله عز وجل:

(إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون (١٠١) لا يسمعون حسيسها). . فهذا - والله أعلم - دليل أن أهل الحسنى لا يدخلون النار (١)

---

(١) قال الإمام فخر الدين الرازي ما نصه:

واعلم أنه تعالى لما قال من قبل: ﴿فوربك لنحشرنهم والشياطين﴾ [مريم: ٦٨] ثم قال: ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم﴾ [مريم: ٦٨] أردفه بقوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ يعني جهنم واختلفوا فقال بعضهم المراد من تقدم ذكره من الكفار فكنى عنهم أولا كناية الغيبة ثم خاطب خطاب المشافهة، قالوا: إنه لا يجوز للمؤمنين أن يردوا النار ويدل عليه أمور: أحدها: قوله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ [الأنبياء: ١٠١] والمبعد عنها لا يوصف بأنه واردها.

والثاني: قوله: ﴿لا يسمعون حسيسها﴾ [الأنبياء: ١٠٢] ولو وردوا جهنم لسمعوا حسيسها.

وثالثها: قوله: ﴿وهم من فزع يومئذ ءامنون﴾ [النحل: ٨٩] وقال الأكثرون: إنه عام في كل مؤمن وكافر لقوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ فلم يخص.

وهذا الخطاب مبتدأ مخالف للخطاب الأول، ويدل عليه قوله: ﴿ثم ننجى الذين اتقوا﴾ أي من الواردين من اتقى ولا يجوز أن يقال: ﴿ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ إلا والكل واردون والأخبار المروية دالة على هذا القول، ثم هؤلاء اختلفوا في تفسير الورود فقال بعضهم: الورود الدنو من جهنم وأن يصيروا حولها وهو موضع المحاسبة، واحتجوا على أن الورود قد يراد به القرب بقوله تعالى: ﴿فأرسلوا واردهم﴾ [يوسف: ١٩] ومعلوم أن ذلك الوارد ما دخل الماء وقال تعالى: ﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون﴾ [القصص: ٢٣] وأراد به القرب.

ويقال: وردت القافلة البلدة وإن لم تدخلها فعلى هذا معنى الآية أن الجن والإنس يحضرون حول جهنم: ﴿كان على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١] أي واجبا مفروغا منه بحكم الوعيد ثم ننجي أي نبعد الذين اتقوا عن جهنم وهو المراد من قوله تعالى: ﴿أولئك عنها مبعدون﴾ [الأنبياء: ١٠١] ومما يؤكد هذا القول ما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: " لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية فقالت حفصة: أليس الله يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ فقال عليه السلام فمه ثم ننجي الذين اتقوا " ولو كان الورود عبارة عن الدخول لكان سؤال حفصة لازما.

القول الثاني: أن الورود هو الدخول ويدل عليه الآية والخبر، أما الآية فقوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾ [الأنبياء: ٩٨] وقال: ﴿فأوردهم النار وبئس الورد المورود﴾ [هود: ٩٨] ويدل عليه قوله تعالى: ﴿أولئك عنها مبعدون﴾ والمبعد هو الذي لولا التبعيد لكان قريبا فهذا إنما يحصل لو كانوا في النار، ثم إنه تعالى يبعدهم

عنها ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ وهذا يدل على أنهم يبقون في ذلك الموضع الذي وردوه وهم إنما يبقون في النار فلا بد وأن يكونوا قد دخلوا النار، وأما الخبر فهو أن عبد الله بن رواحة قال: «أخبر الله عن الورود ولم يخبر بالصدور، فقال عليه السلام:

" يا ابن رواحة اقرأ ما بعدها ثم ننجي الذين اتقوا " وذلك يدل على أن ابن رواحة فهم من الورود الدخول والنبي صلى الله عليه وسلم ما أنكر عليه في ذلك وعن جابر: " أنه سئل عن هذه الآية فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما حتى أن للناس ضجيجا من بردها ".

والقائلون بهذا القول يقولون: المؤمنون يدخلون النار من غير خوف وضرر ألبتة بل مع الغبطة والسرور وذلك لأن الله تعالى أخبر عنهم أنهم: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ [الأنبياء: ١٠٣] ولأن الآخرة دار الجزاء لا دار التكليف، وإيصال الغم والحزن إنما يجوز في دار التكليف، ولأنه صحت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الملائكة تبشر في القبر من كان من أهل الثواب بالجنة حتى يرى مكانه في الجنة ويعلمه " وكذلك القول في حال المعاينة فكيف يجوز أن يردوا القيامة وهم شاكون في أمرهم، وإنما تؤثر هذه الأحوال في أهل النار لأنهم لا يعلمون كونهم من أهل النار والعقاب، ثم اختلفوا في أنه كيف يندفع عنهم ضرر النار، فقال بعضهم: البقعة المسماة بجهنم لا يمتنع أن يكون في خلالها ما لا نار فيه، ويكون من المواضع التي يسلك فيها إلى دركات جهنم، وإذا كان كذلك لم يمتنع أن يدخل الكل في جهنم فالمؤمنون يكونون في تلك المواضع الخالية عن النار، والكفار يكونون في وسط النار.

وثانيها: أن الله تعالى يخمد النار فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يردونها كأنها إهالة» وعن جابر بن عبد الله: " أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس وعدنا ربنا بأن نرد النار فيقال لهم: قد وردتموها وهي خامدة " وثالثها: أن حرارة النار ليست بطبعها فالأجزاء الملاصقة لأبدان الكفار يجعلها الله عليهم محرقة مؤذية والأجزاء الملاصقة لأبدان المؤمنين يجعلها الله بردا وسلاما عليهم، كما في حق إبراهيم عليه السلام.

وكما أن الكوز الواحد من الماء كان يشربه القبطي فكان يصير دما ويشربه الإسرائيلي فكان يصير ماء عذبا.

واعلم أنه لا بد من أحد هذه الوجوه في الملائكة الموكلين بالعذاب حتى يكونوا في النار مع المعاقبين، فإن قيل: إذا لم يكن على المؤمنين عذاب في دخولهم النار فما الفائدة في ذلك الدخول؟ قلنا فيه وجوه: أحدها: أن ذلك مما يزيدهم سرورا إذا علموا الخلاص منه.

وثانيها: أن فيه مزيد غم على أهل النار حيث يرون المؤمنين الذين هم أعداؤهم يتخلصون منها وهم يبقون فيها.

وثالثها: أن فيه مزيد غم على أهل النار من حيث تظهر فضيحتهم عند المؤمنين بل وعند الأولياء وعند من كان يخوفهم من النار فما كانوا يلتفتون إليه.

ورابعها: أن المؤمنين إذا كانوا معهم في النار يبكتونهم فزاد ذلك غما للكفار وسرورا للمؤمنين.

وخامسها: أن المؤمنين كانوا يخوفونهم بالحشر والنشر ويقيمون عليهم صحة الدلائل فما كانوا يقبلون تلك الدلائل، فإذا دخلوا جهنم معهم أظهروا لهم أنهم كانوا صادقين فيما قالوا، وأن المكذبين بالحشر والنشر كانوا كاذبين.

وسادسها: أنهم إذا شاهدوا ذلك العذاب صار ذلك سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة كما قال الشاعر:
وبضدها تتبين الأشياء. . فأما الذين تمسكوا بقوله تعالى: ﴿أولئك عنها مبعدون﴾ [الأنبياء: ١٠١] فقد بينا أنه أحد ما يدل على الدخول في جهنم وأيضا فالمراد عن عذابها وكذا قوله: ﴿لا يسمعون حسيسها﴾ [الأنبياء: ١٠٢] فإن قيل: هل ثبت بالأخبار كيفية دخول النار ثم خروج المتقين منها إلى الجنة؟ قلنا: ثبت بالأخبار أن المحاسبة تكون في الأرض أو حيث كانت الأرض ويدل عليه أيضا قوله تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ [إبراهيم: ٤٨] وجهنم قريبة من الأرض والجنة في السماء ففي موضع المحاسبة يكون الاجتماع فيدخلون من ذلك الموضع إلى جهنم ثم يرفع الله أهل الجنة وينجيهم ويدفع أهل النار فيها.
أما قوله: ﴿كان على ربك حتما مقضيا﴾ فالحتم مصدر حتم الأمر إذا أوجبه فسمى المحتوم بالحتم كقولهم: خلق الله وضرب الأسير، واحتج من أوجب العقاب عقلا فقال: إن قوله: ﴿كان على ربك حتما مقضيا﴾ يدل على وجوب ما جاء من جهة الوعيد والأخبار لأن كلمة على للوجوب والذي ثبت بمجرد الأخبار لا يسمى واجبا.
والجواب أن وعد الله تعالى لما استحال تطرق الخلف إليه جرى مجرى الواجب.
أهـ ﴿مفاتيح الغيب حـ ٢١ صـ ٢٠٧ - ٢٠٩﴾

وقال السمين:
قوله: ﴿وإن منكم إلا﴾: في هذه الواو وجهان، أحدهما: أنها عاطفة هذه الجملة على ما قبلها. وقال ابن عطية «﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قسم والواو تقتضيه، ويفسره قول النبي صلى الله عليه وسلم:» من مات له ثلاث من الولد لم تمسه النار إلا تحلة القسم «قال الشيخ:» وذهل عن قول النحويين إنه لا يستغنى عن القسم بالجواب لدلالة المعنى، إلا إذا كان الجواب باللام أو ب «إن» والجواب هنا على زعمه ب «إن» النافية فلا يجوز حذف القسم على ما نصوا. وقوله: «والواو تقتضيه» يدل على أنها عنده واو القسم، ولا يذهب نحوي إلى أن مثل هذه الواو واو قسم لأنه يلزم من ذلك حذف المجرور وإبقاء الجار، ولا يجوز ذلك إلا إن وقع في شعر أو نادر كلام بشرط أن تقوم صفة المحذوف مقامه، كما أولوا في قولهم: «نعم السير على بئس العير»، أي: على عير بئس العير، وقول الشاعر:
٣٢٥٠ - والله ما ليلى بنام صاحبه. . . أي: برجل نام صاحبه، وهذه الآية ليست من هذا الضرب؛ إذ لم يحذف المقسم به وقامت صفته مقامه «.
و» إن «حرف نفي، و» منكم «صفة لمحذوف تقديره: وإن أحد منكم. ويجوز أن يكون التقدير: وإن منكم إلا من هو واردها. وقد تقدم لذلك نظائر.
والخطاب في قوله» منكم «يحتمل الالتفات وعدمه. قال الزمخشري:» التفات إلى الإنسان، ويعضده قراءة ابن عباس وعكرمة «وإن منهم» أو خطاب للناس من غير التفات إلى المذكور «.
والحتم: القضاء والوجوب. حتم، أي: أوجب [وحتمه] حتما، ثم يطلق الحتم على الأمر المحتوم مقوله تعالى:» هذا خلق الله

«و» هذا درهم ضرب الأمير «. و» على ربك «متعلق ب» حتم «لأنه في معنى اسم المفعول، ولذلك وصفه ب» مقضيا «. اهـ (الدر المصون).." (١)

"كما قال: (وإن منكم إلا واردها).

والقراءة لترون - بضم الواو غير مهموزة - فضمت الواو لسكونها وسكون النون - وقد همزها بعضهم - لترؤن -

والنحويون يكرهون همزة الواو، لأن ضمتها غير لازمة لأنها حركت لالتقاء

الساكنين، ويهمزون الواو التي ضمتها لازمة نحو أدؤر جمع دار، فيجوز أدؤر بالهمز وادور بغير الهمز، وأنت مخير فيهما، فأما " لترؤن " ثم لترونها فلا يختار النحويون إلا ترك الهمزة، وقرئت: " لترؤن " الجحيم، على ما لم يسم فاعله.

* * *

(ثم لتسألن يومئذ عن النعيم (٨)

أي يوم القيامة، عن كل ما يتنعم به في الدنيا، وجاء في الحديث أن

النبي عليه السلام أكل هو وجماعة من أصحابه تمرا - وروي بسرا - وشربوا

عليه ماء فقال: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين.

وجاء أن مما لا يسأل العبد عنه لباسا يواري سوأته وطعاما يقيم به صلبه، ومكانا يكنه من الحر والبرد.." (٢)

"١١١٩٥ - أخبرنا أحمد بن الأزهر أبو الأزهر فيما كتب إلي، ثنا وهب بن جرير، ثنا أبي، عن علي بن الحكم، عن الضحاك أما قوله: ﴿وبئس الورد المورود﴾ [هود: ٩٨] فإن ابن عباس كان يقول: «ﷺالمورود في القرآن أربعة أوراد، وإن منكم إلا واردها»." (٣)

"سلامة قال نافع بن الأزرق لابن عباس يا ابن عباس ما الورود قال: الدخول قال إنما الورود: الوقوف على شفيرها قال: فقال ابن عباس والله لأردنها ولتردنها وإني لأرجوا أن أكون من الذين قال الله: ثم ننجي الذين اتقوا وتكون أنت من الذين قال الله تعالى: ونذر الظالمين فيها جثيا قال: وكذلك كان يقرأها ويحك يا نافع بن الأزرق أما تقرأ كتاب الله وما أمر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار أفتراه ويحك إنما أقامهم على شفيرها والله تعالى يقول: ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب

قوله تعالى: وبئس الورد المورود

١١١٩٥ - أخبرنا أحمد بن الأزهر أبو الأزهر فيما كتب إلي، ثنا وهب بن جرير، ثنا أبي عن علي بن الحكم، عن الضحاك، أما قوله: وبئس الورد المورود فإن ابن عباس كان يقول: المورد في القرآن أربعة أوراد وإن منكم إلا واردها.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج الزجاج ٣٤١/٣

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج الزجاج ٣٥٨/٥

(٣) تفسير ابن أبي حاتم، الأصيل - مخرجا الرازي، ابن أبي حاتم ٢٠٨١/٦

قوله تعالى: وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة

١١١٩٦ - حدثنا حجاج بن حمزة، ثنا شبابة، ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة: زيدوا بلعنة أخرى فتلك لعنتان.

١١١٩٧ - حدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث، ثنا الحسين بن علي، ثنا عامر بن الفرات، ثنا أسباط، عن السدي وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة قال:

لم يبعث نبي بعد فرعون إلا لعن على لسانه ويوم القيامة ترفد لعنة الله أخرى في النار

قوله تعالى: الرفد المرفود

١١١٩٨ - حدثنا أبي، ثنا أبو صالح حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: بئس الرفد المرفود يقول: لعنة الدنيا والآخرة.

١١١٩٩ - حدثنا أبي، ثنا هشام بن خالد، ثنا شعيب بن إسحاق، ثنا ابن أبي عروبة، عن قتادة بئس الرفد المرفود يقول: ترادفت عليه لعنتان من الله لعنة الدنيا والآخرة.." (١)

"هو يا ملك الموت؟ فأخبره بالقصة، ثم نظر الملك إلى إدريس قال: ما تقول يا إدريس؟ قال:

أقول إن الله يقول: كل نفس ذائقة الموت [آل عمران: ١٨٥] فقد ذقته ويقول الله عز وجل:

وإن منكم إلا واردها [مريم: ٧١] وقد وردتها وقال لأهل الجنة: وما هم منها بمخرجين [الحجر: ٤٨] . فو الله لا أخرج منها حتى يكون الله عز وجل هو الذي يخرجني. قال: فسمع هاتفا يقول: بإذني دخل وبإذني فعل فخل سبيله، فذلك قوله عز وجل: ورفعناه مكانا عليا» يعني: الجنة. ويقال: ورفعناه في القدر والمنزلة، ويقال: ورفعناه في النبوة والعلم.

ثم قال عز وجل: أولئك، يعني: إبراهيم، وموسى، وإسماعيل، وإدريس، وسائر الأنبياء عليهم السلام الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح من سائر الأنبياء وهم ولد نوح عليه السلام إلا إدريس عليه السلام، يعني: حملناهم على السفينة وهم في صلب نوح وأولاده، ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وهو يعقوب وممن هدينا يعني: أكرمنا بالنبوة، ويقال: أكرمنا بالإسلام، واجتبينا يعني: واصطفينا بعد هؤلاء. إذا تتلى عليهم آيات الرحمن، يعني: القرآن خروا سجدا وبكيا يعني: يسجدون ويبكون من خوف الله عز وجل. بكي: جمع باكي. وقوله: سجدا وبكيا منصوب على الحال، وقال بعضهم: بكيا مصدر بكى يبكي بكيا، وقال الزجاج: من قال مصدر فهو خطأ، لأن سجدا جمع ساجد وبكيا عطف عليه فهو جمع باك.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم - محقق الرازي، ابن أبي حاتم ٦/٢٠٨١

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٥٩ الى ٦٢]
فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا (٥٩) إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا (٦٠) جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتيا (٦١) لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا (٦٢)

قوله تعالى: فخلف من بعدهم خلف، يعني: بقي بعد الأنبياء الذين ذكرناهم من أول السورة إلى هنا بقيات سوء، وهم اليهود والنصارى. يقال: في الرداءة خلف بإسكان اللام، وفي الصلاح خلف بفتح اللام.

ثم وصفهم فقال: أضاعوا الصلاة، يعني: عن وقتها، ويقال: تركوها، ويقال: تركوا الصلاة فلم يؤدوها وجحدوا بها فكفروا، واتبعوا الشهوات يعني: شرب الخمر، ويقال:

استحلوا الزنى، ويقال: استحلوا نكاح الأخت من الأب. فسوف يلقون غيا، يعني: شرا، ويقال: وادي في جهنم يسمى غيا، ويقال: مجازاة الغي كما قال الله عز وجل يلق أثاما [الفرقان: ٦٨] أي مجازاة الآثام.

ثم استثنى فقال تعالى: إلا من تاب، يعني: رجع عن الكفر وآمن، يعني: صدق بتوحيد الله عز وجل، وعمل صالحا بعد التوبة. فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا، يعني: لا ينقصون شيئا من ثواب أعمالهم.." (١)

"[سورة مريم (١٩) : الآيات ٧١ الى ٧٢]
وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)

ثم قال عز وجل: وإن **منكم إلا واردها قال** بعضهم: يعني: داخلها، المؤمن والكافر يدخلون على الصراط، وهو ممدود على متن جهنم، ويقال: وإن **منكم إلا واردها يعني** الكفار الذين تقدم ذكرهم.

وروى سفيان عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، أن نافع بن الأزرق خاصم ابن عباس وقال: لا يردها مؤمن، فقال ابن عباس: «أما أنا وأنت فسندخلها، فانظر بماذا نخرج منها إن خرجنا» «١» .

وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «يرد الناس جميعا الصراط وورودهم قيامهم حول النار، ثم يمرون على الصراط بأعمالهم، فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل الريح، ومنهم من يمر مثل الطير، ومنهم من يمر كأجود الخيل، ومنهم من يمر كأجود الإبل، ومنهم من يمر كعدو الرجل، حتى أن آخرهم مثل رجل نوره على موضع إبهاب قدميه، ثم يتكفأ به الصراط، والصراط دحض «٢» مزلق «٣» مزلقة كحد السيف، عليه حسك «٤» كحسك العتاد، وحافتاه ملائكة معهم كلاليب من نار يختطفون بها الناس، فبين مار ناج، وبين مخدوش مكدوش «٥» في النار، والملائكة عليهم السلام يقولون: رب سلم سلم» .

وروى سفيان عن ثور بن خالد بن معدان قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة قالوا: ألم يعدنا ربنا أنا نرد النار؟ قيل: إنكم قد مررتم بها وهي خامدة، فذلك قوله عز وجل وإن **منكم إلا واردها يعني**: الخلائق على الصراط، والصراط في جهنم كان على ربك حتما مقضيا يعني قضاء واجبا.

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم أبو الليث السمرقندي ٢/٣٨٠

قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن محمد بن مندوست رحمه الله قال: حدثنا فارس بن مردويه قال: حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا عدي بن عاصم قال: حدثنا يزيد بن هارون قال: حدثنا جرير عن أبي السليل عن غنيم بن قيس عن أبي العوام قال: قال كعب: «هل تدرون ما قوله وإن منكم إلا واردها؟ قالوا: ما كنا نرى ورودها إلا دخولها. قال: لا، ولكن

---

(١) عزاه السيوطي: ٥/ ٥٣٥ إلى عبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي.

(٢) دحض: دحضت رجله أي زلقت، والإدحاض الإزلاق.

(٣) زلق: بالتحريك، دحض. وهو في الأصل مصدر زلقت وأزلقتها، والمزلق والمزلقة. [.....]

(٤) حسك: ما يعمل من الحديد على مثاله وهو من آلات العسكر كما في الصحاح.

(٥) مخدوش هو الكدوح وخدش وجهه من باب ضرب. وكدش: كدح وبابه ضرب.." (١)

"ورودها أن يجاء بجهنم كأنها متن إهالة، حتى إذا استوت عليها أقدام الخلائق برهم وفاجرهم، نادى مناد: خذي أصحابك وذري أصحابي، فتخسف بكل ولي لها، وهي أعلم بهم من الوالد بولده، وينجو المؤمنون ندية ثيابهم» .

قال الفقيه: وحدثني الثقة بإسناده عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: «لما نزلت هذه الآية كبا لها الناس كبوة شديدة، وحزنوا حتى بلغ الحزن منهم كل مبلغ، وقالوا:

وليس أحد إلا وهو يدخلها فأنشؤوا يبكون. قال: ونزل بابن مظعون ضيف فقال لامرأته: هيئي لنا طعاما فاستوصي بضيفك خيرا حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانتهى إليهم وهم يبكون فقال: ما يبكيكم؟ قالوا: نزلت هذه الآية وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا يقول: كائنا لا يبقى أحد إلا دخلها، فأنشأ عثمان بن مظعون يبكي، ثم انصرف إلى منزله باكيا، فلما أتى منزله سمعت امرأته بكاءه، فأنشأت تبكي، فلما سمع الضيف بكاءهما أنشأ يبكي، فلما دخل عليهما عثمان قال لها: ما يبكيك؟ قالت: سمعت بكاءك فبكيت، فقال للضيف: وأنت ما يبكيك؟ قال: عرفت أن الذي أبكاكما سيبكيني، قال عثمان: فابكوا وحق لكم أن تبكوا، أنزل الله عز وجل اليوم على رسوله وإن **منكم إلا واردها فمكثوا** بعد هذه الآية سنتين، ثم أنزل الله هذه الآية، وهو قوله: ثم ننجي الذين اتقوا وروي في بعض الأخبار أنه نزل بعد ثلاثة أيام ثم ننجي الذين اتقوا أي الذين اتقوا الشرك والمعاصي ونذر الظالمين يعني: المشركين فيها جثيا يعني: جميعا، ففرح المسلمون بها. قرأ الكسائي. ننجي بالتخفيف، قرأ والباقون بالنصب والتشديد، أنجى ينجي ونجى ينجي بمعنى واحد.

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٧٣ الى ٧٦]

وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (٧٣) وكم أهلكنا قبلهم

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم أبو الليث السمرقندي ٣٨٣/٢

من قرن هم أحسن أثاثا ورءيا (٧٤) قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا (٧٥) ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا (٧٦)

قوله تعالى: وإذا تتلى عليهم يعني: تعرض عليهم آياتنا بينات يعني: واضحات، قد بين فيها الحلال والحرام قال الذين كفروا للذين آمنوا يعني: النضر بن الحارث قال لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويقال: أهل مكة قالوا لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أي الفريقين يعني أي دينين خير مقاما، يعني: منزلا. قرأ ابن كثير مقاما بضم الميم، وقرأ الباقون بالنصب، فمن قرأ بالضم فهو الإقامة، يقال: أقمت إقامة ومقاما، ومن قرأ بالنصب فهو المكان الذي يقام فيه وأحسن نديا يعني: مجلسا، وذلك أنهم لبسوا الثياب، وادهنوا الرؤوس، ثم قالوا للمؤمنين: أي الفريقين خير منزلة: المسلمون أو المشركون؟ وأرادوا أن يصرفوهم عن دينهم.." (١)

"﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾.

يحيى: عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود في قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قال: " الصراط على جهنم مثل حد السيف، والملائكة معهم كلاليب من حديد كلما وقع رجل اختطفوه؛ فيمر الصف الأول كالبرق، والثاني كالريح، والثالث كأجود." (٢)

"الخيل، والرابع كأجود البهائم، والملائكة يقولون: اللهم سلم سلم ".

وتفسير الحسن: ﴿إلا واردها﴾ إلا داخلها، فيجعلها الله على المؤمنين بردا وسلاما؛ كما جعلها على إبراهيم.

سورة مريم من (آية ٧٣ آية ٧٦).." (٣)

"قتلوه يقينا يعني ما قتلوه ظنهم يقينا وكان الله عزيزا أي قويا بالنقمة من اليهود فسلط عليه طغرى بن اطسيانوس «١» الرومي فقتل منهم مقتلة عظيمة حكيما حكم عليهم [باللعنة والغضب] .

وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته قال الأستاذ الإمام: معناه وما من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به وتلا قوله تعالى وما منا إلا له مقام معلوم أي وما منا أحد إلا له مقام معلوم.

وقوله وإن منكم إلا واردها «٢» المعنى: وما منكم أحد إلا واردها. قال الشاعر:

لو قلت ما في قومها لم تيثم «٣» ... يفضلها في حسب ومبسم «٤»

المعنى: ما في قومها أحد يفضلها، ثم حذف.

عن قتادة والربيع بن انس وابو مالك وابن زيد: هما راجعتان إلى عيسى، المعنى فإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن به حتى تكون الملة واحدة ملة

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم أبو الليث السمرقندي ٢/٣٨٤

(٢) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ابن أبي زَمَنِين ٣/١٠٢

(٣) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ابن أبي زَمَنِين ٣/١٠٣

الإسلام، وهو رواية سعيد بن جبير وعطية عن ابن عباس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة، وروى قتادة عن عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وإني أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، ويوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فإذا رأيتموه وهو رجل مربوع فلق إلى الحمرة والبياض سبط الشعر كان رأسه يقطره وان لم يصبه بلل بين ممصرتين، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال ويقاتل الناس على الإسلام حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها غير الإسلام وتكون السجدة واحدة لله تعالى ويهلك الله في زمانه الرجل الكذاب الدجال يقع الأمنة في الأرض في زمانه حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمور مع البقرة، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان مع بعضهم بعضا ثم يلبث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه واقرأوا إن شئتم (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) عيسى بن مريم» «٥»

[٣٩٤] رددها أبو هريرة ثلاث مرات.

---

(١) في تفسير القرطبي: (٦/ ١٠) بطرس بن أستيسانوس الرومي، وبالهامش عن نسخة: نطوس بن استينانوس.

(٢) سورة مريم: ٧١.

(٣) بكسر التاء، لغة بعض العرب، فلما كسروا التاء قلبت الهمزة ياء.

(٤) البيت في تفسير القرطبي: ٥/ ٢٤٣، ومعاني القرآن للنحاس: ١٠١.

(٥) مسند أحمد: ٢/ ٤٠٦ وصحيح ابن حبان: ١٥/ ٢٣٣ بتفاوت في الكل، وجامع البيان للطبري: ٦/ ٣٠.." (١)

"خلة، فأذن له حتى أتى إدريس وكان يسأله إدريس فكان مما سأله أن قال له: أخبرت أنك أكرم الملائكة وأمكنهم عند ملك الموت فاشفع لي إليه ليؤخر أجلي فازداد شكرا وعبادة، فقال الملك:

لا يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها قال: قد علمت ذلك ولكنه أطيب لنفسي، فقال: نعم أنا مكلمه لك فما كان يستطيع أن يفعل لأحد من بني آدم فهو فاعله لك، ثم حمله ملك الشمس على جناحه فرفعه إلى السماء ووضعه عند مطلع الشمس، ثم أتى ملك الموت فقال: حاجة لي إليك، فقال:

أفعل كل شيء أستطيعه قال: صديق لي من بني آدم تشفع بي إليك لتؤخر أجله قال: ليس ذلك إلي ولكن إن أحببت أعلمته أجله متى يموت فيقدم في نفسه، قال: نعم، فنظر في ديوانه وأخبر باسمه فقال: إنك كلمتني في إنسان ما أراه يموت أبدا، قال: وكيف؟ قال: لا أجده يموت إلا عند مطلع الشمس، قال: إني أتيتك وتركته هناك، قال: انطلق فما أراك تجده إلا وقد مات، فو الله ما بقي من أجل إدريس شيء، فرجع الملك فوجده ميتا وقال وهب: كان يرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الأرض في زمانه، فعجبت منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت فاستأذن ربه في زيارته فأذن له فأتاه في صورة بني آدم، وكان إدريس صائما يصوم الدهر، فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل معه

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٤١١/٣

ففعل ذلك ثلاث ليال فأنكره إدريس فقال له الليلة الثالثة: إني أريد أن أعلم من أنت، قال: أنا ملك الموت استأذنت ربي أن أصحبك فأذن لي، قال: فلي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قال: تقبض روحي، فأوحى الله عز وجل إليه أن اقبض روحه، فقبض روحه وردها الله عليه بعد ساعة.

قال له ملك الموت: ما الفائدة في سؤالك قبض الروح؟ قال: لأذوق كرب الموت وغمته فأكون له أشد استعدادا، ثم قال إدريس له: لي إليك حاجة أخرى، قال: وما هي؟ قال: ترفعني إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة وإلى النار، فأذن الله له في رفعه إلى السماوات، فلما قرب من النار قال: حاجة قال: وما تريد؟ قال: تسأل مالكا حتى يفتح لي بابها فأردها، ففعل ثم قال: فكما أريتني النار فأرني الجنة، فذهب به إلى الجنة فاستفتح ففتحت أبوابها فأدخله الجنة، ثم قال له ملك الموت: اخرج لتعود إلى مقرك فتعلق بشجرة وقال: لا أخرج منها، فبعث الله ملكا حكما بينهما ينظر في قولهما فقال له الملك: ما لك لا تخرج؟ قال: لأن الله تعالى قال:

كل نفس ذائقة الموت «١» وقد ذقته، وقال وإن **منكم إلا واردها** «٢» وقد وردتها، وقال وما هم منها بمخرجين «٣» فلست أخرج، فأوحى الله سبحانه إلى ملك الموت: دخل الجنة وبأمري يخرج، فهو حي هناك فذلك قوله: ورفعناه مكانا عليا.

---

(١) سورة آل عمران: ٨٥.

(٢) سورة مريم: ٧١.

(٣) سورة الحجر: ٤٨.." (١)

"وعاصم ويعقوب يذكر بالتخفيف، والاختيار التشديد لقوله سبحانه إنما يتذكر أولوا الألباب «١» وأخواتها، يدل عليه قراءة أبي يتذكر الإنسان يعني أبي بن خلف الجمحي أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا ثم أقسم بنفسه فقال فو ربك لنحشرنهم لنجمعنهم في المعاد يعني المشركين المنكرين للبعث والشياطين مع الشياطين يعني قرناءهم الذين أضلوهم، يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة ثم لنحضرنهم حول جهنم يعني في جهنم جثيا قال ابن عباس: جماعات جماعات، وقال مقاتل: جميعا وهو على هذا القول جمع جثوة، وقال الحسن والضحاك: جاثية على الركب وهو على هذا التأويل جمع جاث.

قال الكميت:

هم تركوا سراتهم جثيا ... وهم دون السراة مقرنينا «٢»

ثم لننزعن من كل شيعة لنخرجن من كل أمة وأهل دين أيهم أشد على الرحمن عتيا عتوا قال ابن عباس: يعني جرأة، وقال مجاهد: فجورا وكذبا، قال مقاتل: علوا، وقيل: غلوا في الكفر، وقيل: كفرا، وقال الكلبي: قائدهم رأسهم في الشر.

أخبرنا عبد الله بن حامد قال: حدثنا محمد بن يعقوب قال: حدثنا الحسن بن علي قال:

حدثنا أبو أسامة عن سفيان عن علي بن الأرقم عن أبي الأحوص قال: نبدأ بالأكابر فالأكابر ثم لنحن أعلم بالذين هم

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٢٠/٦

أولى بها صليا أي أحق بدخول النار، يقال: صلي يصلى صليا مثل لقي يلقى لقيا وصلى يصلى صليا مثل مضى يمضي مضيا.

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٧١ الى ٨٧]

وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (٧٣) وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورءيا (٧٤) قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا (٧٥)

ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا (٧٦) أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا (٧٧) أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا (٧٨) كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا (٧٩) ونرثه ما يقول ويأتينا فردا (٨٠)

واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا (٨١) كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا (٨٢) ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا (٨٣) فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا (٨٤) يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا (٨٥)

ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا (٨٦) لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا (٨٧)

وإن منكم إلا واردها قيل: في الآية إضمار مجازه: والله إن منكم يعني ما منكم من

---

(١) الرعد: ١٩.

(٢) تفسير القرطبي: ١١/ ١٣٣.." (١)

"أحد إلا واردها يعني النار، واختلف الناس في معنى الورود حسب اختلافهم في الوعيد، فأما الوعيد فإنهم قالوا «١» : إن من دخلها لم يخرج منها، وقالت المرجئة: لا يدخلها مؤمن، واتفقوا على أن الورود هو الحضور والمرور، فأما أهل السنة فإنهم قالوا: يجوز أن يعاقب الله سبحانه العصاة من المؤمنين بالنار ثم يخرجهم منها، وقالوا: معنى الورود الدخول، واحتجوا، بقول الله سبحانه حكاية «٢» عن فرعون يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود «٣» وقال في الأصنام وعبدتها إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون «٤» لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها «٥» فلو لم يكن الورود في هذه الآيات بمعنى الدخول لوجب أن يدخل الأصنام وعبدتها وفرعون وقومه الجنة لأن من مر على النار فلا بد له من الجنة لأنه ليس بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار، والذي يدل على أن الورود هو الدخول قوله في سياق الآية ثم ننجي الذين اتقوا والنجاة لا تكون إلا مما دخلت فيه وأنت ملقى فيه، قال الله سبحانه ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين «٦» واللغة تشهد لهذا، تقول العرب: ورد كتاب فلان، ووردت بلد كذا، لا يريدون جزت عليها وإنما يريدون

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٦/٢٢٤

دخلتها، ودليلنا أيضا من السنة.

وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد الفقيه قال: حدثنا أحمد بن عبد الله المزني قال:

حدثنا محمد بن نصر بن منصور الصائغ الشيخ الصالح قال: حدثنا سليمان بن حرب قال: حدثنا أبو صالح غالب بن سليمان عن كثير بن زياد البرساني عن أبي سمية قال: اختلفنا في الورود هاهنا بالبصرة فقال قوم: لا يدخلها مؤمن، وقال آخرون: يدخلونها جميعا، فلقيت جابر بن عبد الله فسألته فأهوى بإصبعيه إلى أذنيه وقال: صمتا إن لم أكن سمعت النبي «٧» صلى الله عليه وسلم يقول:

«الورود: الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم، حتى أن للنار- أو لجهنم- ضجيجا لمن تردهم ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا» .

وأخبرنا شعيب بن محمد وعبد الله بن حامد قالا: أخبرنا مكي بن عبدان قال: حدثنا أحمد بن الأزهر قال: حدثنا روح بن عبدان قال: حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار أن نافع بن الأزرق ما رأى ابن عباس يقول ابن عباس: الورود الدخول ويقول نافع ليس الورود الدخول فتلا

---

(١) في نسخة أصفهان: الوعيد به فقالوا.

(٢) في نسخة أصفهان: واحتجوا بقوله تعالى إخبارا عن.

(٣) سورة هود: ٩٨.

(٤) سورة الأنبياء: ٩٨.

(٥) سورة الأنبياء: ٩٩.

(٦) سورة الأنبياء: ٨٨.

(٧) مسند أحمد: ٣/ ٣٢٩. [.....]."[١]

"ابن عباس حصب جهنم أنتم لها واردون «١» أدخل هؤلاء أم لا؟ فأوردهم النار وبئس الورد المورود «٢» أدخل هؤلاء أم لا؟ والله أنا وأنت فسنردها، وأنا أرجو أن يخرجني الله وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك.

وبإسناده عن ابن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله عليه السلام: ما من مسلم يموت له ثلاث من الولد إلا لم يلج النار إلا تحلة القسم ثم قرأ وإن منكم إلا واردها.

وبإسناده عن روح قال: حدثنا شعبة قال: أخبرني إسماعيل السدى عن مرة الهمداني عن ابن مسعود في قوله وإن **منكم إلا واردها قال**: يردونها ثم يصدرون عنها بأعمالهم.

وبه عن روح عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال:

الصراط على جهنم مثل حد السيف، تمر الطائفة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٢٥/٦

البهائم، ثم يمرون والملائكة يقولون: اللهم سلم سلم.

أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد الأصبهاني قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الهروي قال: حدثنا الحسين بن إدريس قال: حدثنا سويد بن نصر عن عبد الله بن المبارك عن سفيان بن عيينة عن رجل عن الحسن قال: قال رجل لأخيه: أي أخ هل أتاك أنك وارد النار؟

قال: نعم، قال: فهل أتاك أنك خارج منها؟ قال: لا، قال: ففيم الضحك إذا؟ قال: فما رؤي ضاحكا حتى مات.

وبإسناده عن عبد الله بن المبارك عن مالك بن معول عن أبي إسحاق عن ابن ميسرة أنه أوى إلى فراشه فقال: يا ليت أمي لم تلدني، فقالت امرأته: يا أبا ميسرة، إن الله سبحانه قد أحسن إليك، هداك إلى الإسلام فقال: أجل، ولكن الله قد بين لنا أنا واردو النار ولم يبين لنا أنا صادرون منها، وأنشد في معناه:

لقد أتانا ورود النار ضاحية ... حقا يقينا ولما يأتنا الصدر «٣»

فإن قيل: فخبرونا عن الأنبياء هل يدخلون النار؟ يقال لهم: لا تطلق هذه اللفظة بالتخصيص فيهم بل نقول: إن الخلق جميعا يردونها.

فإن احتجوا بقوله ولما ورد ماء مدين «٤» يقال لهم: إن موسى لم يمر على تلك البئر،

(١) سورة الأنبياء: ٩٨.

(٢) سورة هود: ٩٨.

(٣) كتاب العين: ٣/ ٢٦٥.

(٤) سورة القصص: ٢٣.." (١)

"وإنما استقى لابنتي شعيب وروى الأغنام وأقام، وهو معنى الدخول، والعرب تعبر عن الحي وأماكنهم بذكر الماء، فتقول: ماء بني فلان.

فإن قيل: فكيف يجوز أن يدخلها من قد أخبر الله سبحانه أنه لا يسمع حسيسها ولا يدخلها؟ قيل: إن الله سبحانه أخبر عن وقت كونهم في الجنة أنهم لا يسمعون حسيسها فيجوز أن يكونوا قد سمعوا ذلك قبل دخولهم الجنة لأن الله سبحانه لم يقل: لم يسمعوا حسيسها ويجوز أن لا يسمعوا حسيسها عند دخولهم إياها إذ الله عز وجل قادر على ان يجعلها عليهم بردا وسلاما.

وكذلك تأويل قوله لا يدخلون النار أي لا يخلدون فيها، أو لا يتألمون ويتأذون بها، يدل عليه ما أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان قال: أخبرنا مكي بن عبدان قال: حدثنا أبو الأزهر قال: حدثنا مؤمل بن إسماعيل عن أبي هلال عن قتادة عن أنس في قول الله سبحانه إنك من تدخل النار فقد أخزيته «١» فقال: إنك من تخلد في النار فقد أخزيته.

والدليل على أن الخلق جميعا يدخلون النار ثم ينجي الله المؤمنين بعضهم سالمين غير آلمين وبعضهم معذبين معاقبين ثم

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٢٦/٦

يدخلهم جميعا الجنة برحمته، ما

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان قال: أخبرنا حاجب بن محمد قال: حدثنا محمد بن حامد الأبيوردي قال: حدثنا أبو سعيد عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر عن حفصة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني أرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد شهد بدرا والحديبية قالت: قلت:

يا رسول الله أليس قد قال الله سبحانه وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا؟

قال: أفلم تسمعيه يقول ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا!؟ «٢» .

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن شاذان قال: أخبرنا جبغوية بن محمد قال: أخبرنا صالح بن محمد بن عبد العزيز بن المسيب عن الربيع بن بدر عن أبي مسعود عن العباس عن كعب أنه قال في هذه الآية وإن منكم إلا واردها قال: ترفع جهنم يوم القيامة كأنها متن اهالة وتستوي أقدام الخلائق عليها، فينادي مناد أن خذي أصحابك ودعي أصحابي، فتخسف بهم وهي أعرف بهم من الوالدة بولدها، ويمر أولياء الله عز وجل بندي ثيابهم، وقال خالد بن معدان: يقول أهل الجنة: ألم يعدنا ربنا أن نرد النار؟ فيقال: بلى ولكنكم مررتم بها وهي خامدة.

وروى خالد بن أبي الدريك عن يعلى بن منبه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تقول النار للمؤمن يوم القيامة جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي» «٣» .

---

(١) آل عمران: ١٩٢.

(٢) مسند أبي يعلى الموصلي: ١٢/ ٤٧٣.

(٣) كنز العمال: ١٤/ ٣٨٥.." (١)

"وأخبرنا عبد الله بن حامد قال: حدثنا محمد بن يعقوب قال: حدثنا أحمد بن عبد الحميد الحارثي قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي حماد عن يحيى بن يمان عن عثمان الأسود عن مجاهد في قوله وإن منكم إلا واردها قال: من حم من المسلمين فقد وردها.

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا مكي بن عبدان قال: حدثنا عبد الله بن هاشم قال: حدثنا يحيى بن سعيد القطان قال: حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قليه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة» «١» .

ثم ننجي الذين اتقوا يعني اتقوا الشرك وهم المؤمنون، وفي مصحف عبد الله: ثم ننجي بفتح الثاء يعني هناك ونذر الظالمين أي الكافرين فيها في النار جثيا جميعا، وقيل: على الركب.

أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا محمد بن خالد بن الحسن قال: حدثنا داود بن سليمان قال: حدثنا عبد بن حميد

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٦/٢٢٧

قال: حدثنا سعيد بن عامر عن حشيش أبي محرز قال:

سمعت أبا عمران الجوني يقول: هبك ننجو بعدكم ننجو؟

وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا يعني النضر بن الحرث ودونه من قريش للذين آمنوا يعني فقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة، وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤوسهم ويلبسون خير ثيابهم فقالوا للمؤمنين: أي الفريقين خير مقاما منزلا ومسكنا، وقرأ أهل مكة مقاما بالضم أي إقامة وأحسن نديا يعني مجلسا، ومثله النادي، ومنه دار الندوة لأن المشركين كانوا يجلسون فيها ويتشاورون في أمورهم، قال الله تعالى مجيبا لهم وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا أي متاعا، وقال ابن عباس: هيئة وقال مقاتل: ثيابا. ورءيا أي منظرا، وقرأ أبي: وزيا بالزاي وهو الهيئة.

قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا أي فليدعه في طغيانه ويمهله في كفره حتى إذا رأوا ما يوعدون من العذاب إما العذاب في الدنيا وإما الساعة يعني القيامة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا أهم أم المؤمنون.

ويزيد الله الذين اهتدوا هدى أي إيمانا ويقينا يعني المؤمنين، يقال: ويزيد الله الذين

---

(١) مسند أحمد: ٣/ ١١٦.." (١)

"وقال الفراء: المعنى: " لننزعن " بالنداء، فيكون معنى " لننزعن ": لننادين. وهذا يتعلق، ولا يتعدى، فحسن الرفع بالابتداء، إذ هو في موضع فعل يجوز أن يعلق عن العمل. أعني " لننزعن " وقع موقع " لننادين ". ونادى/ فعل يعلق عن العمل إذا كان بعده جملة. فلا يعمل في اللفظ ويعمل في المعنى كظننت وحسبت.

وقال بعض الكوفيين في " أي " معنى الشرط والمجازاة فلذلك لم يعمل فيها ما قبلها.

وقال المبرد: " أيهم " متعلقة بشيعة لا بننزعن. والمعنى: ثم لننزعن من الذين تشايعوا أيهم. أي: من الذين تعاونوا فنظروا أيهم أشد. فيكون المعنى على هذا ثم لننزعن من هؤلاء الذين فعلوا هذا الذي وصف عنهم.

قوله تعالى ذكره: ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا﴾ إلى قوله ﴿فيها جثيا﴾.

أي: ثم لنحن أعلم بالذين ننزعهم من كل شيعة فيقدمهم إلى العذاب فيصلونه.

" وصليا " مصدر صلى يصلي صليا، على فعول وأصله صلوي: ثم أعل وكسرت اللام.

ثم قال: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾.

المعنى: وإن من هؤلاء القوم، الذين هذا القول المتقدم قولهم في البعث، إلا وارد." (٢)

"وقال ابن زيد: الورود عام، للمسلم والكافر، إلا أن ورود المؤمن المرور.

ودل على هذا أن ابن عباس وعكرمة قرآ: وإن منهم إلا واردها يريدان الكفار برد الهاء والميم على ما تقدم من ذكر

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٢٨/٦

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٤٥٧٣/٧

الكفار.

وقرأ ابن عباس وعلي بن أبي طالب Bهما: ﴿ثم ننجي الذين﴾ بفتح التاء. إلا أن عليا قرأ " تنحى بالحاء " وكذلك قرأ ابن أبي ليلى بفتح التاء.

فورود المؤمن على الجسر بين ظهريها، وورود الكافر الدخول. وعن النبي A أنه قال: " الزالون والزالات يؤمئذ كثيرة وقد أحاط بالجسر سماطان من الملائكة، دعواهم يومئذ يا الله سلم سلم ".

وقال مجاهد: " الحمى حظ كل مسلم من النار.

وقال أبو هريرة: " خرج رسول الله A يعود رجلا من أصحابه وعك، وأنا معه.." (١)

"فقال: إن الله جل ذكره يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من النار في الآخرة ".

وقال السدي: يردونها كلهم، ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم.

وروت حفصة، " أن النبي A: قال إني لأرجو أن لا يدخل أحد شهد بدرا والحديبية. قالت: فقلت: يا رسول الله، أليس الله جل وعز يقول: " وإن منكم إلا واردها؟ قال لها: أولم تسمعيه يقول: " ثم ننجي الذين اتقوا ".

وقيل: المعنى: وإن منكم إلا وارد القيامة. وهذا اختيار الطبري ودل على هذا قوله: ﴿لا يسمعون حسيسها﴾ [الأنبياء: ١٠٢] وقوله: ﴿أولئك عنها مبعدون﴾ [الأنبياء: ١٠١].

ودل على هذا أيضا قوله تعالى/ قبل الآية " ﴿فوربك لنحشرنهم والشياطين﴾." (٢)

"﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ قوله عز وجل: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ فيه قولان: أحدهما: يعني الحمى والمرض ، قاله مجاهد. روى أبو هريرة قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود رجلا من أصحابه فيه وعك وأنا معه ، فقال رسول الله: (أبشر فإن الله عز وجل يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من النار) أي في الآخرة. الثاني: يعني جهنم. ثم فيه قولان: أحدهما: يعني بذلك الكافرين يردونها دون المؤمن؛ قاله عكرمة ويكون قوله: ﴿وإن منكم﴾ أي منهم كقوله تعالى: ﴿وسقاهم ربهم شرابا طهورا﴾ ثم قال: ﴿إن هذا كان لكم جزاء﴾ أي لهم. الثاني: أنه أراد المؤمن والكافر. روى ابن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (الزالون والزالات يومئذ كثير) وفي كيفية ورودها قولان:." (٣)

"من تقدم عليهم فى الإضلال والضلال ضوعف عليه غدا العذاب والأغلال.

ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا ينزل فى كل دركة من دركاتها من هو أهل لها، فمن كان عتوه اليوم أشد غلوا كان فى النار أبعد من الله وأشد عقوبة وإذلالا.

قوله جل ذكره:

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٤٥٧٦/٧

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٤٥٧٧/٧

(٣) تفسير الماوردي = النكت والعيون الماوردي ٣٨٤/٣

[سورة مريم (١٩) : آية ٧١]

وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١)

كل يرد النار ولكن لا ضير منها ولا احتباس بها لأحد إلا بمقدار ما عليه من (...) «١»

والزلل فأشدهم انهماكا أشدهم بالنار اشتعالا واحتراقا. وقوم يردونها- كما فى الخبر:

«إن للنار عند مرورهم عليها إذوابة كإذوابة اللبن، فيدخلونها ولا يحسون بها، فإذا عبروها قالوا: أو ليس وعدنا جهنم على طريق؟ فيقال لهم. عبرتم وما شعرتم «٢» ! قوله جل ذكره:

[سورة مريم (١٩) : آية ٧٢]

ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)

ينجى من كان مؤمنا، بعضهم قبل بعض، وبعضهم بعد بعض، ولكن لا يبقى من

---

(١) مشتبهة وهى في الرسم هكذا (الالتبات) وربما كانت فى الأصل (الالتباس) أي الوقوع فى (اللبس) والالتباس مناسب (للزلل) .

(٢) الإذوابة: الزبد حين يوضع فى البرمة ليذاب (مقاييس اللغة لابن فارس ج ٢ ص ٣٦٢) .

وعن جابر أنه عليه السلام سئل عن ذلك فقال: إذا دخل أهل الجنة قال بعضهم لبعض: أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار؟ فيقال لهم قد ورد تموها وهى خامدة (القاضي البيضاوي ط الجسال بجدة) ص ٤١٠.

وعن جابر أيضا، الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم» [الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١١ ص ١٣٦ سلسلة التراث] .

وعن الحسن «ليس الورود الدخول، إنما تقول وردت البصرة ولم أدخلها فالورود أن يمروا على الصراط «وقد استند كثير إلى رأى الحسن واحتجوا بقوله تعالى «إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون» فلا يدخل النار من ضمن الله أن يبعده عنها. [.....]."(١)

"﴿وإن منكم﴾ وما منكم من أحد ﴿إلا واردها﴾ إلا وهو يرد النار ﴿كان على ربك﴾ كان الورود على ربك ﴿حتما مقضيا﴾ حتم بذلك وقضى." (٢)

"﴿ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا ﴿٦٦﴾ أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا ﴿٦٧﴾ فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ﴿٦٨﴾ ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ٤٣٨/٢

(٢) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٦٨٧

عتيا ﴿٦٩﴾ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا ﴿٧٠﴾ ﴾ [مريم: ٦٦-٧٠] وقوله: ﴿ويقول الإنسان﴾ [مريم: ٦٦] معناه: الكافر الذي لا يؤمن بالبعث، ﴿أئذا ما مت لسوف أخرج حيا﴾ [مريم: ٦٦] يقول ذلك استهزاء وتكذيبا منه بالبعث، قال ابن عباس في رواية عطاء: يعني الوليد بن المغيرة.

وقال في رواية الكلبي: نزلت في أبي بن خلف حين أخذ عظاما بالية يفتها بيده، ويقول: زعم محمد أن الله يبعثنا بعد ما نموت.

فقال الله مجيبا لذلك الكافر: ﴿أولا يذكر الإنسان﴾ [مريم: ٦٧] أولا يتذكر هذا الجاحد أول خلقه، فيستدل بالابتداء على الإعادة، وهو قوله: ﴿أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا﴾ [مريم: ٦٧] .

ثم أقسم أنه يحشرهم، فقال: ﴿فوربك لنحشرنهم﴾ [مريم: ٦٨] أي: لنجمعنهم في المعاد، والشياطين وذلك أن كل كافر يحشر مع شيطانه في سلسلة، ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا﴾ [مريم: ٦٨] يعني: في جهنم، وذلك أن حول الشيء يجوز أن يكون داخله، يقال: جلس القوم حول البيت إذا جلسوا داخله مطيفين به، وقوله: جثيا قال مجاهد: مستوقرين على الركب، جمع جاث، من قولهم: جثا على ركبته يجثوا جثوا.

وقال ابن عباس: جثيا جماعات.

وهو قول مقاتل، وهو جمع جثوة وجثوة، وهي المجموع من التراث والحجارة.

﴿ثم لننزعن﴾ [مريم: ٦٩] لنأخذن ولنخرجن، ﴿من كل شيعة﴾ [مريم: ٦٩] من كل فرقة وجماعة، ﴿أيهم أشد على الرحمن عتيا﴾ [مريم: ٦٩] أي: الأعتى فالأعتى منهم، قال الأحوص: بدئ بالأكابر جرما.

وقال قتادة: لننزعن من كل أهل دين قادتهم ورؤسائهم في الشر.

والعتي ههنا مصدر كالعتو، وهو التمرد في العصيان، وأما رفع أيهم، فقال الزجاج: فيه ثلاثة أقوال: أحدها أنه على الاستئناف ولننزعن يعمل في موضع ﴿من كل شيعة﴾ [مريم: ٦٩] .

هذا قول يونس، وقال الخليل: أنه على معنى الذين يقال لهم: ﴿أيهم أشد على الرحمن عتيا﴾ [مريم: ٦٩] .

وقال سيبويه: أيهم ههنا مبني على الضم، تقول: اضرب أيهم أفضل، تريد أيهم هو أفضل.

﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا﴾ [مريم: ٧٠] يقال: صلى النار يصلاها صليا، أي: دخلها وقاسى حرها، يعني أن الأولى بها صليا الذين هم أشد على الرحمن عتيا على معنى الابتداء بهم دون أتباعهم، لأنهم كانوا رؤساء في الضلالة.

﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ﴿٧١﴾ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم: ٧١-٧٢] قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] وما منكم أحد إلا وارد جهنم، ﴿كان على ربك﴾ [مريم: ٧١] كان ورودكم جهنم، ﴿حتما﴾ [مريم: ٧١] الحتم: إيجاب القضاء والقطع بالأمر، يقال: كان ذلك حتما، أي موجبا، ﴿مقضيا﴾ [مريم: ٧١] قضاه الله عليكم، وأكثر." (١)

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ١٩٠/٣

"الناس على الحكم بظاهر الآية، وهو أن الخلق كلهم يردون النار، ثم ينجي الله المؤمنين.

٥٩٥ – أخبرنا أبو القاسم بن حمدان، نا محمد بن عبد الله بن نعيم الحافظ، أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، نا سعيد بن مسعود، نا عبيد الله بن موسى، أنا إسرائيل، عن السدي، قال: سألت مرة الهمداني، عن قوله، تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ فحدثني أن عبد الله بن مسعود حدثهم، عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: «يرد الناس النار، ثم يصدرون بأعمالهم، فأولهم كلمح البرق، ثم كمر الريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب، ثم كشد الرجل، ثم كمشيه» ، وقال ابن عباس في هذه الآية: الورود الدخول، وأخذ بيد مجاهد، وقال: أما أنا وأنت فسندخلها، وخاصة نافع بن الأزرق، فقال: إن الشيء ربما ورد الشيء، ولكن لا يدخله، فقال ابن عباس: يابن الأزرق، أما أنا وأنت فسندخلها، فانظر هل ينجينا الله منها أم لا؟ وكان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه؛ قال: ليت أمي لم تلدني، ثم يبكي، قال: أخبرنا أنا واردوها، ولم نخبر أنا صادرون عنها، وبكى عبد الله بن رواحة، وقال: آية نزلت ينبئني فيها ربي أني وارد النار ولم ينبئني أني صادر عنها، فذلك الذي أبكاني، وقال الحسن: كيف لا يحزن المؤمن؟ وقد حدث عن الله أنه وارد جهنم، ولم يأته أنه صادر منها، ثم إن الله، تعالى، قادر بلطفه أن يسلم المؤمنين منها إذا وردوها حتى يعبروا بها ويخرجوا منها سالمين

٥٩٦ – فقد أخبرنا الأستاذ أبو منصور البغدادي، أنا عبد الله بن محمد بن نصير، نا محمد بن أيوب، أنا سليمان بن حرب، نا صالح بن غالب بن سليمان، عن كثير بن زياد، عن أبي سمية قال: اختلفنا في الورود؛ فقال قوم: لا يدخلها مؤمن، وقال آخرون: يدخلونها جميعا، ثم ينجي الله الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبد الله فسألته، فأهوى بأصبعيه إلى أذنيه، وقال: صمتا إن لم أكن سمعت النبي، صلى الله عليه وسلم، يقول: الورود: الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار، أو قال: لجهنم، ضجيجا من بردها، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا

أخبرنا أبو بكر الحارثي، أنا عبد الله بن محمد بن جعفر، نا عبد الرحمن بن محمد الرازي، نا سهل بن عثمان، عن ثور، عن خالد بن معدان، قال: إذا." (١)

"دخل أهل الجنة الجنة قالوا: ألم يعدنا ربنا أن نرد النار.

فيقال لهم: بلى، ولكن مررتم بها وهي خامدة.

٥٩٧ – أخبرنا إسماعيل بن النصراباذي، أنا محمد بن إبراهيم المحاملي، نا محمد بن إبراهيم البوشنجي، نا سليم بن منصور بن عمار، حدثني أبي، قال: حدثني بشير بن طلحة، عن خالد بن الدريك، عن يعلى بن منبه، عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: " تقول النار يوم القيامة: جز يا مؤمن، فقد أطفأ نورك لهبي "

وروى عثمان بن الأسود، عن مجاهد، قال: الحمى حظ كل مؤمن من النار.

ثم قرأ: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] وعلى هذا من حم من المسلمين فقد وردها، لأن الحمى من فيح جهنم، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «الحمى كير من جهنم، فما أصاب المؤمن منها كان حظه من النار» .

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ١٩١/٣

ويدل على صحة هذا التأويل ما:

٥٩٨ - أخبرنا أبو منصور بن طاهر، أنا أبو سعيد الخلالي، نا محمد بن الحسين بن قتيبة، نا عبيدة بن عبد الرحيم، نا أبو أسامة حماد بن أسامة، نا عبد الرحمن بن يزيد، عن إسماعيل بن عبد الله، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم: " أنه عاد مريضا من وعك كان به، فقال: أبشر، إن الله، عز وجل، يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا لتكون حظه من النار، وقال ابن زيد: ورود المسلمين النار: العبور على الجسر، وورود الكافرين: أن يدخلوها

قال الله تعالى: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ [مريم: ٧٢] قال ابن عباس: اتقوا الشرك وصدقوا.

﴿ونذر الظالمين﴾ [مريم: ٧٢] قال: المشركين والكفار.

﴿فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢] قالوا: على الركب.

وقالوا: جميعا كما فسرنا فيما قبل.

قوله: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ﴿٧٣﴾ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا ﴿٧٤﴾ ﴾ [مريم: ٧٣-٧٤] ﴿." (١)

"منقطعا من هذه الجملة وكانت جملة مستأنفة، لا يجيء (١) هذا على مذهب سيبويه؛ لأنه لا يرى في من مثل ما رآه الكسائي من زيادته في الإيجاب، فإن قال قائل: لم زعم سيبويه أنه إذا حذف العائد من الصلة وجب البناء على الضم؟ قيل: إن الصلة تبين الموصول وتوضحه، كما أن المضاف يبين المضاف إليه ويخصصه، فكما أنه لما حذف المضاف إليه من الأسماء التي تبينها الإضافة نحو: قبل، وبعد بنيت، كذلك لما حذفت العائد من الصلة إلى الموصول من هنا بنيت). وأطال أبو علي الكلام في هذه المسألة (٢). وليس يليق بهذا الكتاب أكثر مما حكينا (٣).

٧٠ - قوله تعالى: ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا﴾ الصلي: مصدر صلى النار، صلاها، صليا ووزنه فعول، ويجوز فيه صليا بالكسر وقد تقدم القول فيه. ومعنى الصلي: دخول النار ومقاساة حرها وشدتها نعوذ بالله منها.

قال أبو إسحاق: (أي ثم لنحن أعلم بالذين هم أشد عتيا فهم أولى بها صليا) (٤). يعني أن الأولى بها صليا الذين هم أشد عتيا، فهؤلاء هم الأولى بالنار صليا على معنى الابتداء بهم دون أتباعهم؛ لأنهم كانوا رؤساء في الضلالة.

٧١ - قوله تعالى: ﴿وإن منكم﴾ أي: وما منكم أحد ﴿إلا واردها﴾

---

(١) في (س): (لا يجوز).

(٢) "الإغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني" لأبي علي الفارسي ص ٩٩٨.

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ١٩٢/٣

(٣) انظر: "معاني القرآن" للزجاج ٣/ ٣٤٠، "إعراب القرآن" للنحاس ٢/ ٣٢٢، "إملاء ما من به الرحمن" ١/ ١١٦، "الإنصاف" ١/ ٥٧٣، "الدر المصون" ٧/ ٦٢١.

(٤) "معاني القرآن" للزجاج ٣/ ٣٤٠.." (١)

"وارد جهنم ﴿كان على ربك﴾ ورودكم ﴿حتما مقضيا﴾ والحتم إيجاب القضاء، والقطع بالأمر، ويقال: كان ذلك الأمر حتما أي: موجبا، ويقال للأقضية والأمور التي قضى الله بكونها الحتوم، قال أمية:

حناني ربنا وله عنونا ... بكفيه المنايا والحتوم (١)

وقوله تعالى: ﴿مقضيا﴾ أي: قضاه الله عليكم.

قال ابن مسعود في قوله: ﴿حتما مقضيا﴾: (قسما واجبا) (٢). وكان الإجماع أن هذه الآية قسم من الله بورود النار، وموضع القسم قوله تعالى: ﴿فوربك لنحشرنهم﴾ الآية وهذه الآية (٣) ترجع إلى ما قبلها بالعطف، وهي داخلة في الجملة المقسم عليها، وقيل: القسم مضمر بتقدير: وإن منكم **والله إلا واردها كقوله**: ﴿وإن منكم لمن ليبطئن﴾ [النساء: ٧٢] [المعنى: والله لمن ليبطئن] (٤) فأضمر (٥). وأكثر الناس على الحكم بظاهر هذه الآية وهو:

---

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت. انظر: "لسان العرب" (حتم) ٢/ ٧٧١.

(٢) "جامع البيان" ١٦/ ١١٤، "النكت والعيون" ٣/ ٣٨٥، "ابن كثير" ٣/ ١٤٦.

(٣) قوله: (وهذه الآية)، ساقط من نسخة (س).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س).

(٥) "إعراب القرآن" للنحاس ٢/ ٣٢٢، "المحرر الوجيز" ٩/ ٥١٠، "البحر المحيط" ٦/ ٢٠٩، "الدر المصون" ٧/ ٦٢٥. وقال الشنقيطي في "أضواء البيان" ٤/ ٣٥٤: الذي يظهر لي والله أعلم أن الآية ليس يتعين فيها قسم؛ لأنها لم تقترن بأداة من أدوات القسم، ولا قرينة واضحة دالة على القسم، ولم يتعين عطفها على القسم، والحكم بتقدير قسم من كتاب الله دون قرينة ظاهرة فيه زيادة على كلام الله بغير دليل يجب الرجوع إليه، وأقرب أقوال من قالوا: إن في الآية قسما قول من قال إنه معطوف على قوله: ﴿فوربك لنحشرنهم﴾ لدلالة قرينة لام القسم في الجمل المذكورة على ذلك، أما قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ فهو محتمل للعطف أيضا، ومحتمل، للاستئناف والعلم عند الله تعالى.." (٢)

"وسلاما، كما كانت على إبراهيم" (١).

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: (يرد الناس جميعا نار جهنم، وكان قسما من ربنا وحتما مقضيا تخلف فيها أهل الشرك وهم ظالمون، وأقام أهل الصلاة والإيمان فيها بقدر أعمالهم، ونادى المنادي فقال: إن الله يقول ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ فخرجوا واحترق بعضهم). وذكر حديثا طويلا (٢). وهذا الذي ذكرنا مذهب أهل السنة واحتجوا من طريق اللفظ

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٤/٢٩٢

(٢) التفسير البسيط الواحدي ١٤/٢٩٣

بأن قالوا: جرى ذكر الكافرين، ثم قال بعد: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ فنظم الكلام أوجب أن هذا عام، والورود بمعنى الدخول قد أتى

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في "مسنده" ٣/ ٣٢٩، ورجاله ثقات غير أبي سمية قال عنه الحافظ: مقبول، وأورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" كتاب: البعث، باب: ما جاء في الصراط والميزان والورود ١٠/ ٣٦٠ وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات، وابن حجر في "الكافي الشاف" ١٥٧، وأورده ابن كثير في "تفسيره" ٣/ ٤٧ وقال: غريب ولم يخرجوه. وكذلك القرطبي في جامعه ١١/ ١٣٦، والسيوطي في "الدر المنثور" ٤/ ٥٠٥ ونسبة لابن أبي حاتم وابن مردويه، وعبد ابن حميد.
وقال الشنقيطي -رحمه الله- في "أضواء البيان" ٤/ ٣٥١ بعد ذكره لهذا الحديث: أبو سمية قد ذكره ابن حبان في الثقات، وبتوثيق أبي سمية المذكور تتضح صحة الحديث؛ لأن غيره من رجال الإسناد ثقات معروفون، مع أن حديث جابر المذكور يعتضد بظاهر القرى وبالآيات الأخرى التي استدل بها ابن عباس وآثار جاءت عن علماء السلف -رضي الله عنهم- كما ذكره ابن كثير عن خالد بن معدان، وعبد الله بن رواحة، وذكره ابن جرير عن أبي ميسرة، وذكره ابن كثير عن عبد الله بن المبارك عن الحسن البصري، كلهم يقولون: إنه ورود دخول.
(٢) لم أقف عليه وذكرت كتب التفسير نحوه مختصرا. انظر: "جامع البيان" ١٦/ ٨٣، "معالم التنزيل" ٣/ ٢٠٤ "بحر العلوم" ٢/ ٣٣٠، "المحرر الوجيز" ١١/ ٤٨، "الكشف والبيان" ٣/ ١١ أ.." [1]

"وروى عثمان بن الأسود عن مجاهد في هذه الآية قال: (من حم من المسلمين فقد وردها) (١). لأن الحمى من فيح جهنم قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "الحمي كير من جهنم فما أصاب المؤمن منها كان حظه من النار في الآخرة" (٢) (٣).

= ما جاء في الميزان والصراط والورود ١٠/ ٣٦٠، وقال: رواه الطبراني وفيه سليم بن منصور بن عمار وهو ضعيف. وأورده البغوي في "تفسيره" ٣/ ٢٠٥، والسيوطي في "الدر المنثور" ٤/ ٢٨٢، وأورده الألباني في "السلسلة الضعيفة" (٣٤١٣)، والحديث بجميع طرقه ضعيف فيه بشير بن طلحة ضعيف، وخالد بن دريك لم يسمع من يعلي بن منية فهو منقطع، وكذلك سليم بن منصور ضعيف.
(١) "جامع البيان" ١٦/ ١١١، "النكت والعيون" ٣/ ٣٤٨، "المحرر الوجيز" ٩/ ٥١٥، "معالم التنزيل" ٣/ ٢٠٥، "تفسير القرآن العظيم" ٣/ ١٣٧.
(٢) أخرجه الإمام أحمد في "مسنده" ٥/ ٢٥٢، عن أبي أمامة رضي الله عنه، ورواه الهيثمي في "مجمع الزوائد" ٢/ ٣٠٥، وقال: رواه أحمد وفيه أبو حصين الفلسطيني ولم أر له راويا غير محمد بن مطرف. وأخرج نحوه البخاري في "صحيحه" كتاب الطب، باب: الحمى من فيح جهنم ٥/ ٢١٦٢، ومسلم في "صحيحه" كتاب السلام، باب: لكل داء دواء واستحباب

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٤/٢٩٥

التداوي ٤/ ١٧٣٢، وابن ماجه في "سننه" كتاب الطب، باب: الحمى ٢/ ١١٤٩، والدرامي كتاب الرقائق، باب: الحمى من فيح جهنم ٢/ ٢٢٤، والحاكم في "المستدرك" ١/ ٣٤٥، وقال: صحح الإسناد ووافقه الذهبي، والطبري في "جامع البيان" ١٦/ ١١١، والبغوي في "معالم التنزيل" ٥/ ٢٤٩، وابن كثير في "تفسير القرآن العظيم" ٣/ ١٤٧.

(٣) قال الشنقيطي -رحمه الله- في "أضواء البيان" ٤/ ٣٥٢ بعد ذكره لهذا القول: وأجابوا عن الاستدلال بحديث "الحمى من فيح فجهنم" قالوا: الحديث حق صحيح ولكنه لا دليل فيه لمحل النزاع؛ لأن السياق صريح في أن الكلام في النار في الآخرة وليس في حرارة منها في الدنيا؛ لأن أول الكلام قوله تعالى: ﴿فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا﴾ -إلى أن قال- ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ فدل على أن كل ذلك في الآخرة لا في الدنيا كما ترى.." [1]

"وقال قوم: (إن هذا إنما يعني به المشركين خاصة) (١). واحتجوا بقراءة بعضهم: ﴿وإن منهم إلا واردها﴾ (٢). وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء (٣). ويكون على مذهب هؤلاء معنى: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ نخرجهم من جملة من يدخل النار.

وقال ابن زيد: (الورود عام لكل مؤمن وكافر غير أن ورود المسلمين على الجسر، وورود الكافرين أن يدخلوها) (٤). وهذا يروى عن الحسن، وقتادة أنهما قالا: (ورودها ليس دخولها) (٥).

قال أبو إسحاق: (وحجتهم في ذلك قوية من جهات أحدها: أن العرب تقول: وردت ماء كذا ولم تدخله، ووردت بلد كذا إذا أشرف عليه ولم يدخله، قال: والحجة القاطعة عندي قوله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون (١٠١) لا يسمعون حسيسها﴾ [الأنبياء: ١٠١، ١٠٢] (٦). ومن قال بالقول الأول قال في هذه الآية: (وهم عن

---

(١) "الجامع البيان" ١٦/ ١١٠، "تفسير القرآن العظيم" ٣/ ١٣٦، "الجامع لأحكام القرآن" ١١/ ١٣٨.

(٢) قرأ بها ابن عباس، وعكرمة رضي الله عنهما.

انظر: "المحرر الوجيز" ٩/ ٥١١، "الكشاف" ٢/ ٤١٩، "تفسير القرآن العظيم" ٣/ ١٤٧ "الجامع لأحكام القرآن" ١١/ ٣٨، "البحر المحيط" ٦/ ٢١٠.

(٣) "جامع البيان" ١٦/ ١١٤، "زاد المسير" ٥/ ٢٥٥، "الجامع لأحكام القرآن" ١١/ ١٣٨.

(٤) "تفسير القرآن العظيم" ٣/ ١٤٨، "زاد المسير" ٥/ ٢٥٥، "روح المعاني" ١٦/ ١٢٢.

(٥) "الجامع لأحكام القرآن" ١١/ ١٣٦، "البحر المحيط" ٦/ ٢٠٩ "معاني القرآن" للزجاج ٣/ ٣٤١.

(٦) "معاني القرآن" للزجاج ٣/ ٣٤١.." [2]

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٩٨/١٤

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٢٩٩/١٤

"وقال الضحاك: يرمون بهم في النار كما يرمى بالحصباء (١).

وقوله تعالى: ﴿أنتم لها واردون﴾ قال ابن عباس: يريد فيها داخلون (٢).

= وعن مجاهد رواه الطبري ١٧/ ٩٤، وذكره السيوطي في "الدر المنثور" ٥/ ٦٨٠ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

وعن قتادة رواه عبد الرزاق في "تفسيره" ٢/ ٣٠ والطبري ١٧/ ٩٤.

وعن عكرمة رواه سفيان الثوري في "تفسيره" ص ٢٠٥، والطبري في "تفسيره" ١٧/ ٩٤.

وذكره البخاري في "صحيحه" كتاب التفسير، سورة الأنبياء ٨/ ٤٣٥ معلقا، ووصله ابن حجر في "تغليق التعليق" ٣/ ٥٠٨ من رواية ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق سفيان الثوري. وذكره السيوطي في "الدر المنثور" ٥/ ٦٨٠ عن عكرمة، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(١) "الكشف والبيان" للثعلبي ٣/ ١٤٤ أعن الضحاك بنصه.

ورواه الطبري ١٧/ ٩٤ بنحوه، وذكره السيوطي في "الدر المنثور" ٥/ ٦٨٠ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) قال عبد الرزاق في "تفسيره" ٢/ ١١: أنبأنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار قال: أخبرني من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الأزرق، فقال ابن عباس: الورود: الدخول. وقال نافع: لا. قال: فقرأ ابن عباس: (أنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) وليس في هذه الرواية تسمية من سمع ابن عباس. وقد رواه الطبري ١٧/ ١١١، والمروزي في "زوائد الزهد" ص ٤٩٩ من طريق آخر عن مجاهد قال: كنت عند ابن عباس، فجاءه رجل يقال له أبو راشد، وهو نافع بن الأزرق، فقال له: يا ابن عباس أرأيت قول الله ﴿وإن منكم إلا واردها ..﴾ الآية. قال: أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها، فانظر هل تصدر عنها أم لا.

ورواه هناد في "الزهد" ١/ ١٦٤ قال: ثنا الحارثي، عن ليث، عن مجاهد قال: سأل نافع ابن الأزرق ابن عباس عن قوله "وإن منكم إلا واردها" .. فقال ابن عباس: أما أنا وأنت يا ابن الأزرق فسندخلها، فانظر هل يخرجنا الله منها أم لا. وقال السيوطي في "الدر المنثور" ٥/ ٥٣٥. وأخرج عبد الرزاق، وسعيد بن =." (١)

"الفراء: ﴿إلا إنهم ليأكلون﴾ صلة لاسم متروك اكتفى بـ ﴿من المرسلين﴾ منه؛ كقولك في الكلام: ما بعثت إليك من الناس إلا من إنه ليعطيك. ألا ترى أن قولك: ليعطيك (١) صلة لـ: من، وجاز ضميرها (٢) كما قال: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ [الصافات: ١٦٤] وكذلك قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] أي: ما منكم إلا من يردها. قال: ولو لم تكن اللام جوابا لـ ﴿إن﴾ كانت إن، مكسورة أيضا لأنها مبتدأة، إذ كانت صلة. انتهى كلامه (٣).

وقال أبو إسحاق: هذا احتجاج عليهم في قوله: ﴿مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾ فقيل لهم: كذلك كان من خلا من الرسل يأكل الطعام ويمشي في الأسواق. قال: وأما دخول ﴿إنهم﴾ فعلى تأويل: ما أرسلنا [قبلك من المرسلين] (٤) إلا هم يأكلون الطعام، وإلا إنهم

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٥/٢٠٨

= مجتمعهم، لعل الله أن يرجع إلى الحق بهم. وهذا يدل على أنه ينبغي لأهل العلم والفضل دخول الأسواق للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الناس ما يتعلق بأحكام البيع والشراء، ونحو ذلك. وفي كتاب: "ظلال القرآن" ٥/ ٢٥٥٣، كلام جيد في حكمة مشي الأنبياء في السوق. فليراجع. وهذه الآية أصل في تناول الأسباب، وطلب المعاش بالتجارة والصناعة، وغير ذلك، وفي هذا رد على من لا يأخذ بالأسباب يزعم أنه متوكل. وقد قرر هذه المسألة القرطبي، في تفسيره ١٣/ ١٤، تقريرا حسنا.

(١) هكذا: ليعطيك، في الموضعين، في النسخ الثلاث. وفي "معاني القرآن" للفراء ٢/ ٢٦٤: ليطيعك، من الطاعة. ولعله أقرب. والله أعلم.

(٢) أي: حذفها. حاشية "معاني القرآن" للفراء ٢/ ٣٦٤.

(٣) "معاني القرآن" للفراء ٢/ ٢٦٤. وذكر ابن جرير ١٨/ ١٩٤، قريبا منه. ولم ينسبه.

(٤) ما بين المعقوفين في (ج). وهذه الزيادة غير موجودة في "معاني القرآن" للزجاج ٤/ ٦٠.." [(١)]

"وتلخيص هذا المعنى ما ذكره أبو إسحاق: لو علمتم (١) الشيء حق علمه لارتدعتم عما أنتم عليه من التكاثر (٢).

٦ - ثم أوعدهم وعيدا آخر فقال: ﴿لترون الجحيم﴾.

وهذا على إضمار القسم.

(والمعنى: سترون الجحيم في الآخرة كقوله: "وإن منكم إلا واردها" (٣)، وقراءة العامة بفتح "التاء" (٤). وقد قرئ بضمها (٥)، من أريته الشيء. والمعنى: أنهم يحشرون إليها، فيرونها في حشرهم إليها (فيرونها) (٦). وهذه القراءة تروى عن ابن عامر، والكسائي، كأنهما أرادا (٧) لترونها، فترونها، ولذلك قرأ الثانية: ﴿ثم لترونها﴾ بالفتح، وفي هذه الثانية دليل على أنهم إذا أروها [رأوها] (٨)، وفي قراءة العامة الثانية تكرير للتأكيد، والمعنى: لترون الجحيم بأبصاركم على البعد منكم.

(١) في (أ): (علمه).

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" ٥/ ٣٥٧ بتصرف.

(٣) سورة مريم: ٧١.

(٤) راجع ذلك في "السبعة في القراءات" ٦٩٥، و"القراءات وعلل النحويين فيها" ٢/ ٧٩٥، و"المبسوط" ٤١٦، و"الحجة" ٦/ ٤٣٤، و"حجة القراءات" ٧٧١، و"البدور الزاهرة" ص ٣٤٥.

(٥) "السبعة في القراءات" ص ٦٩٥، و"القراءات وعلل النحويين فيها" ٢/ ٧٩٥، و"المبسوط" ٤١٦، و"الحجة" ٦/

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤٤٣/١٦

٤٣٤، و"حجة القراءات" ص ٧٧١، و"البدور الزاهرة" ص ٣٤٥.

(٦) ساقط من (أ).

(٧) في (أ): (أرادوا).

(٨) (أروها) في كلا النسختين، وأثبتت ما جاء في مصدر القول.." [1]

"٧ - ﴿ثم لترونها عين اليقين﴾ أي مشاهدة، وانتصب قوله: "عين اليقين" انتصاب المصدر كما تقول: رأيته حقا يقينا، وتبينته يقينا.

ومعنى هذه الرؤية: الرؤية التي هي مشاهدة) (١). هذا كله كلام أبي علي الفارسي (وتفسيره) (٢).

وقال الفراء: قراءة العامة أشبه بكلام العرب، لأنه تغليظ، فلا ينبغي أن يختلف لفظه (٣).

وقال أبو علي: (والمعنى في "لترون الجحيم" لترون عذاب الجحيم، ألا ترى (٤) أن الجحيم يراها المؤمنون أيضا، بدلالة قوله ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١]، وإذا كان كذلك، فالمعنى: والوعيد في رؤية عذابها لا في رؤيتها نفسها، يدل على هذا قوله: ﴿إذ يرون العذاب﴾ [البقرة: ١٦٥]؛ (ذكر العذاب في هذه يدل على أن المعنى في الآخرة العذاب) (٥) أيضا، وبناء الفعل في قوله: "إذ يرون العذاب"، وفي قوله: ﴿وإذا رأى (٦) الذين ظلموا العذاب﴾ [النحل: ٨٥] للفاعل يدل على أن "لترون الجحيم"، أرجح (من لترون (٧)) (٨). انتهى كلامه.

---

(١) ما بين القوسين نقله كما بينه الإمام الواحدي عن "الحجة" ٦/ ٤٣٤ - ٤٣٥ بتصرف.

(٢) ساقط من (أ).

(٣) "معاني القرآن" ٣/ ٢٨٨ بيسير من التصرف.

(٤) (ترا) كلا النسختين.

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٦) في (أ): (وإذ يرى).

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٨) "الحجة" ٦/ ٤٣٦ - ٤٣٧ بيسير من التصرف.." [2]

"﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] المعنى: وما منكم أحد إلا واردها. وكذلك: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ (١) [الصافات: ١٦٤]، وأنشد:

لو قلت ما في قومها لم تيثم (٢) ... يفضلها في حسب وميسم (٣)

أي: أحد يفضلها (٤).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٨٢/٢٤

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٢٨٣/٢٤

وقد ذكرنا فيما تقدم جواز حذف الموصول أو الموصوف من الكلام والخلاف فيه عند قوله في النساء: ﴿من الذين هادوا﴾ الآية [النساء: ٤٦].

وقال الكسائي: تقول العرب: إن منهم ليقومن -بفتح الميم-، وليقومن -بضم الميم-، وفي قراءة أبي: (إلا ليؤمنن) بضم النون الأولى.

قال: وتقول العرب: إن منهم إلا يصلح، وإن منهم إلا ليصلح، المعنى: إلا من يصلح (٥).

واختلفوا في معنى الآية: فقال ابن عباس في رواية عطاء، وعطية وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والربيع وابن زيد: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن﴾ بعيسى ﴿قبل موته﴾ عيسى. وذلك عند نزوله من السماء في آخر الزمان، فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن به، حتى تكون الملة واحدة (...) (٦) الإسلام (٧).

---

(١) في المخطوطة زيادة كلمة (أحد) بعد (منا)، وهو خطأ.

(٢) أي: تأثم، وكذا هو في بعض روايات البيت.

(٣) البيت لحكيم بن معية كما في "خزانة الأدب" ٢/ ٣١١، وفي "معاني القرآن" للفراء ١/ ٢٧٠ دون نسبة. والميسم يطلق على أثر الجمال. انظر: "اللسان" ٨/ ٤٨٣٨ (وسم).

(٤) "معاني القرآن إعرابه" ٢/ ١٢٩.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) كلمة غير واضحة في المخطوط، ويحتمل أن تكون: هي.

(٧) انظر: الطبري ٦/ ١٨.." (١)

"ما (١). والأيدي: جمع يد، وأصله يدي وتصغيره يدية. والكسب: قريب من الاجتلاب لا يوجد إلا مع الوسع. ﴿وقالوا لن تمسنا النار﴾ نزلت في اليهود أيضا (٢) حيث زعموا أنهم لا يعذبون في النار إلا سبعة أيام عند الله وهي (٣) سبعة آلاف سنة من أيام الدنيا، وهي مدة الناس في الدنيا عن ابن عباس (٤). وعنه أنهم زعموا أن الله - عز وجل - غضب عليهم في أمر فأقسم أن يعذبهم في النار فلا يعذبهم إلا أياما قلائل تحلة للقسم، وقولهم هذا يحتمل وجوها أربعة: إما يعتقدون فناء النار كالدنيا (٥)، أو كانوا يظنون أن أيام الآخرة تداول بين الناس كأيام الدنيا، أو كانوا يرون أنفسهم مؤمنين مجرمين فأثبتوا شفاعة الأنبياء والصالحين لأنفسهم كما نثبتها، أو كانوا وجدوا في كتبهم ﴿وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا﴾ (٦) فعدوا أنفسهم من المتقين فأنزل الله ردا عليهم وتكذيبا لهم. والمس: قريب من الإصابة، قال الله تعالى: ﴿أني مسني الضر﴾ (٧)، ﴿مسنا وأهلنا الضر﴾ (٨) وحقيقة المس: اللمس، وهو يكون بحس ولا يكون بحس. والأيام جمع يوم وأصله أيوام اجتمعت الياء والواو على ما قدمنا. والعدد: اسم كمية المجموع بين الواحد

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٨٦/٧

(١) "ما" موصولة اسمية والعائد محذوف، ويجوز أن تكون نكرة موصوفة وليس كقوة الأول والعائد أيضا محذوف، أي: كتبته، ويجوز أن تكون مصدرية أي: من كتبهم.

[الطبري (٢/ ١٦٩) - الدر المصون (١/ ٤٥٣) - إعراب القرآن لمحمود الصافي (١/ ١٧٣)].

(٢) قاله ابن جرير (٢/ ١٧٠)؛ وابن كثير (١/ ١٤٩)، والسمعاني في تفسيره (١/ ٥٣٤)؛ وابن عطية (١/ ٣٣٣)؛ والواحدي في أسباب النزول ص ١٦.

(٣) في "أ": (وهو).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢/ ٢٧٠)، وابن أبي حاتم (٨١٣)، والواحدي في أسباب النزول ص ٢٤، وسنده جيد والله أعلم.

(٥) في "ن": (في الدنيا).

(٦) سورة مريم: ٧١، ٧٢.

(٧) سورة الأنبياء: ٨٣.

(٨) سورة يوسف: ٨٨.." [1]

"الحق (١)﴾ (٢) وعن قول الضعفاء والمستكبرين في النار وقول الملائكة لهم.

والثاني: نسخ ما لا يجيز العقل نسخه، كنسخ الإحسان والإذعان والإيمان. والثالث: نسخ يؤدي إلى اللوم والغرور، كنسخ ما أوجب الله تعالى من جزاء الإحسان. والرابع: نسخ يؤدي إلى الحنث (٣)، كنسخ قوله: ﴿لأملأن جهنم﴾ (٤) الآية، وقوله: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين (٩٢)﴾ (٥)، ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ (٦) الآية، ولو لم يكن للقسم مزية على الوعد والوعيد لما ذكر القسم. والخامس: نسخ حكم لم يفد شيئا كنسخ ما لم ينزله جبريل - عليه السلام - بعد، إذ هو يؤدي إلى البداء. والسادس: نسخ حكم (٧) لم يبين لأنه محال، إذ ترك تبيين النسخ إبقاء للحكم الأول، فلا يجتمعان.

ما يجوز نسخه ستة أنواع:

الأول: الأثقل بالأخف، كنسخ تحريم الرفث ليالي الصوم بالإباحة.

والثاني: نسخ المثل بالمثل، كنسخ التوجه إلى قبلة بإيجاب التوجه إلى قبلة.

والثالث: نسخ ما هو أقل ثوابا [بما هو أكثر ثوابا] (٨)، كنسخ صوم يوم (٩) عاشوراء بصوم شهر رمضان.

والرابع: نسخ ما أفاد معنى قبل نسخه، كنسخ خمسين صلاة ليلة

(١) (وعد الحق) ليس في "ي".

(٢) سورة إبراهيم: ٢٢.

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الحكمة الجرجاني، عبد القاهر ٢١٥/١

(٣) في "أ": (الخبث).

(٤) سورة الأعراف: ١٨.

(٥) سورة الحجر: ٩٢.

(٦) سورة مريم: ٧١.

(٧) (حكم) ليس في "ن".

(٨) ما بين [...] ليس في "ب".

(٩) (يوم) ليس في "ي" "ب".." (١)

"اللغوي لجواز التيمم مع وجود الماء النجس، ولهذا جوزنا الوضوء بنبيذ التمر لأنه ماء شرعي (١)، وقوله: ﴿فلم تجدوا﴾ معطوف على المعنى المقدر لأن عدم الماء غير شرط في حق المريض. وقوله: ﴿فتيمموا﴾ جواب للشرطين جميعا، والتيمم: القصد، والقصد لا يتم إلا بالفعل، والفعل تيمم من غير حصول الانفعال، فلذلك اكتفينا بضرب اليدين من غير رفع الصعيد. و (الصعيد) وجه الأرض لقوله: ﴿صعيدا جرزا﴾ [الكهف: ٨] و ﴿صعيدا زلقا﴾ [الكهف: ٤٠]، و (الطيب): الطاهر. وإنما وصف نفسه بالعفو والغفران لأنه رفع الإصر ولم يؤاخذنا بما يشق علينا.

﴿ألم تر إلى الذين﴾ اتصالها بما قبلها من حيث ما في ضمنها من النهي عن موالاة اليهود والتحذير عنهم ﴿أن تضلوا السبيل﴾ أي: أن تنسوا السبيل وتضيعوه.

﴿والله أعلم بأعدائكم﴾ منكم فهؤلاء أعداؤكم وإن أظهروا مودة ﴿وكفى بالله﴾ خبر بمعنى الأمر وتقديره: اكتفوا بالله من ولي، و (الكافي): القائم بالحاجة، والباء في ﴿بالله﴾ دليل على ما النفي، وقيل: للتعجب والمبالغة و ﴿وليا﴾ نصب على الحال.

﴿من الذين﴾ يحتمل أن يكون ﴿من﴾ تفسيرا، أو تبيينا و ﴿الذين أوتوا﴾ ويحتمل أن تكون راجعة إلى قوله: ﴿والله أعلم﴾، ويحتمل أن تكون متصلة بقوله: ﴿نصيرا﴾ أي: ينصره منهم، ويحتمل أن تكون منقطعة مبتدأ تقديره (٢): من الذين هادوا من يحرفون الكلم. قال الله تعالى: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم (١٦٤)﴾ [الصافات: ١٦٤] أي: إلا من له مقام معلوم (٣) ﴿وإن منكم إلا واردها (٤)﴾ [مريم: ٧١] أي: يردها ولا يحسن إضمار (من) إلا في المبتدأ بمن ﴿واسمع غير مسمع﴾ غير صاغر ولا مجبر على الاستماع؛ كأن

(١) هذا دليل على أن المؤلف ربما يخرج عن مذهبه الشافعي إلى مذهب الأحناف.

(٢) (مبتدأ تقديره) ليست في "ب".

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الحكمة الجرجاني، عبد القاهر ٢٦١/١

(٣) (معلوم) ليست في "أ" "ب".

(٤) في "أ" "ب" "ي": (إلامن).." [١]

"الأرض واتباع الهوى، ولكنه لم يشأ عصمته فأخلد إلى الأرض، والإخلاد إلى الأرض هو لزوم المكان والتثبط والبقاء ﴿الكلب﴾ سباع و (اللهث) إخراج اللسان إذا أخرج الكلب لسانه من حر وعطش لم يمسكه بزجر ولا تخلية، كذلك المنسلخ من الآيات لم ينزجر عن كفره بإنذار ولا تخلية والحمل على الشيء قصده على وجه الطرد وكأنه أخذ من حمل السلاح عليه.

﴿ساء﴾ بئس و ﴿القوم﴾ مرتفع (١) و ﴿مثلا﴾ نصب على التفسير (٢).

﴿من يهد الله﴾ لهداية التوفيق للاهتداء و (الإضلال) الخذلان واتصالها بما قبلها من حيث ﴿ولو شئنا لرفعناه بها﴾.

﴿ذرأنا﴾ أي شئنا بذارهم ومصيرهم واللام لام الغرض (٣) كقوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] الآية، قوله - عليه السلام-: "ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن" (٤) يدل عليه أن الله تعالى كان عند ذرء الشقي عالما بمصيره لا محالة فلو لم يشأ مصيره لما ذرأه، ألا ترى أن الحكيم لا يغشى النساء إذا لم يرد النسل ولم يتمتع بالشهوات إذا لم يرد السمن

---

(١) قال الأخفش: مرفوع بالابتداء أو على إضمار مبتدأ نقله النحاس عنه في إعرابه (٢/ ٦٥٢).

(٢) أي أنه تمييز مفسر ويكون فاعل "ساء" مضمرا يفسره ما بعده فيكون التقدير: ساء المثل مثلا. وقرأ الحسن والأعمش وعيسى بن عمر والجحدري ﴿ساء مثل القوم﴾.

[شواذ القراءات ص ١٩٩، البحر (٤/ ٤٢٣)].

(٣) أي اللام في قوله "لجهنم" يقول إنها لام الغرض ولا أدري ماذا يعني بلام الغرض فلعله يريد بها لام العلة وهو أحد الوجهين في اللام ذكره السمين الحلبي في تفسيره، والوجه الثاني أنها لام العاقبة والصيرورة كقوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (٥٦)﴾ [الذاريات: ٥٦] ومنه قول الشاعر:

ألا كل مولود فللموت يولد ... ولست أرى حيا لحي يخلد

[البحر (٤/ ٤٢٧)، زاد المسير (٢/ ١٧١)، الدر المصون (٥/ ٥٢١)].

(٤) الحديث أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص ٤٠ - ٤٤، وذكره الزبيدي في كتابه إتحاف السادة المتقين (٦/ ٤٠٤).." [٢]

"تريني النار، قال: ما إلي من ذلك شيء ولكني سأطلب فإن قدرت عليه فعلت، فبسط جناحه فحمله عليه حتى صعد به إلى السماء فانتهى إلى باب من أبواب النار فدقه، فقيل له: من هذا؟ قال: أنا ملك الموت، قال: مرحبا بأمين الله هل أمرت فينا بشيء؟ قال: لو أمرت فيكم بشيء لم أناطركم، هذا إدريس استأذنت الله في خلته فأذن لي فسألني أن أريه

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الحكمة الجرجاني، عبد القاهر ٥٩٧/٢

(٢) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الحكمة الجرجاني، عبد القاهر ٨١٦/٢

النار فأحب أن تروها إياه، قال: ففتح منها شيء، قال: فجاءت بأمر عظيم وخر إدريس مغشيا عليه، قال: فحمله ملك الموت فأجلسه في ناحية حتى أفاق وقد ذبل واصفر، فقال له ملك الموت: ما أحببت أن يصيبك هذا في صحبتي ولكنك سألتني فأحببت أن أسعفك.

قال: فإني أسألك حاجة غيرها، قال: ما هي؟ قال: أحب أن تريني الجنة، قال: ما إلى من ذلك شيء ولكني سأطلب فإن قدرت عليه فعلت، فانطلق به إلى خزنة الجنة فدق بابا من أبوابها فقيل له: من هذا؟ قال: أنا ملك الموت، قالوا: مرحبا بأمين الله هل أمرت فينا بشيء؟ قال: لو أمرت فيكم بشيء لم أناطركم، ولكن هذا إدريس سألني أن أريه الجنة فأحب أن تروها إياه، قال: ففتح له الباب فدخل فيها فنظر إلى شيء لم ينظر إلى مثله فطاف فيها ساعة، ثم قال له ملك الموت: انطلق بنا فلنخرج، قال: فينطلق إلى شجرة فيتعلق بها ثم يقول: والله لا أخرج حتى يكون الله هو يخرجني، قال له ملك الموت: إنه ليس بحينها ولا زمانها وإنما طلبت إليهم لترى، فأبى.

قال: فقيض الله له ملكا من الملائكة، قال له ملك الموت: اجعل هذا الملك بيني وبينك، قال: نعم، قال: ما تقول يا ملك الموت؟ قال: أقول إني استأذنت الله في خلة إدريس فأذن فهبطت فكنت معه حينا ثم سألني أن أذيقه الموت فأذقته فأصابه من شدته، ثم سألني أن أريه النار فأري، صابه من شدتها، ثم سألني أن أريه الجنة فطلبت له فأري فدخلها وإنه أبى أن يخرج فأخبرته أنه ليس بحينها ولا زمانها، قال: ما تقول يا إدريس؟ قال: أقول: إن الله تعالى قال: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ [آل عمران: ١٨٥] وقد ذقته، ويقول الله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] أي: النار وقد وردتها، ويقول الله لأهل الجنة: ﴿وما هم منها بمخرجين﴾ [الحجر: ٤٨] فوالله لا أخرج." (١)

"يرتكب الكبائر كاد يصلى النار، ومن كان أقدم على اقتحام الفواحش كان أولى وقودا، ومن كان أشد إصرارا فهو حري خلودا.

﴿وإن منكم إلا واردها﴾ ابن عباس عن كعب قال: ترفع جهنم يوم القيامة كأنها متن إهالة وتستوي أقدام الخلائق فينادي مناد: أن خذي أصحابك ودعي أصحابي، فتنخسف بهم ولهي أعرف بهم من الوالدة بولدها وتمر أولياء الله تندى ثيابهم (١).

عن ابن مسعود قال: قال رسول الله -عليه السلام- (٢): "يرد (٣) الناس النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم فأولهم كلمح البرق ثم كالريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب في رحلة ثم كسد الرجل ثم كمشيته" (٤).

وعن عبد الله قال: الأرض نار كلها يوم القيامة والجنة من ورائها يرون كواعبها وأكوابها، والذي نفس عبد الله في يده (٥) إن الرجل ليفيض عرقا يوم القيامة حتى يبلغ أنفه ثم يرتفع ثم يسوخ وما مسه الحساب، فقلنا: وبم ذلك يا عبد الرحمن؟ قال: مما يرى الناس يلقون (٦).

وعن عكرمة، عن ابن عباس قال: إن للقيامة أحوالا وأهوالا وزلازل وشدائد وظلماء، إذا انشقت السماء وتناثرت النجوم وذهب ضوء الشمس والقمر وتقلعت الأشجار وتدكدكت الآكام وغارت العيون ونصبت الموازين ونشرت الدواوين، وجيء

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الحكمة الجرجاني، عبد القاهر ١١٨٠/٣

بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام من حديد كل زمام أخذته سبعون ألف ملك كل (٧) ملك أعظم ما بين

---

(١) أحمد (١/ ٤٣٤)، والترمذي (٣١٥٩)، والحاكم (٢/ ٣٧٥)، والبيهقي في البعث (٦٥٧)، والحديث حسن الإسناد.

(٢) في "ي": (-عليه السلام-) ليست موجودة، وفي "ب": (صلى الله عليه وسلم) بدل (-عليه السلام-).

(٣) في الأصل: (يرون).

(٤) الطبراني في الكبير (٨٧٧١).

(٥) في "ب": (بيده).

(٦) مسلم (٢٤٩٥).

(٧) (كل) ليست في الأصل.." [1]

"ما تضمنه الحديث ﴿حتما مقضيا﴾ واجبا لازما (١)، وإيجاب الله على نفسه مجاز (٢)، وحقيقة وجوب وعده وتأكد قضائه وصدق قوله وانبرام (٣) حكمه على وجه لا يليق بربوبيته غيره، قيل: الورود غير الدخول، كقوله: ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ [القصص: ٢٣].

وعن أم مبشر امرأة زيد بن حارثة قالت: كان (٤) النبي -عليه السلام - (٥) في بيت حفصة وقال: "لن يدخل النار إن شاء الله أحدا شهد بدرا والحديبية" فقالت: ألا تسمع إلى قول الله (٦): ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ الآية، فقال: "ألا تسمعين ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ الآية (٧)، وقيل: الورود الدخول وهي في حق الناجين جامدة ﴿وأحسن نديا﴾ ناديا وهو المجلس الذي يشهده العشيرة والجيران، ويشبه جدال هؤلاء المشركين بقول فرعون: ﴿أليس لي ملك مصر﴾ [الزخرف: ٥١] وقول أحد الرجلين في جنته: ﴿ما أظن أن تبيد هذه أبدا﴾ [الكهف: ٣٥] سبحان الله ما أجمعهم على وتيرة واحدة حتى كأنهم تواصوا بها وتواطؤوا عليها مع بعد الديار واختلاف الأعصار (٨).

﴿فليمدد﴾ مجاز فواجب على الله أن يمد له في الدنيا، وحقيقته ليظن له المد من قضاء الله وقدره، وهذه قريبة من قوله: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن﴾ [الزخرف: ٣٣] الآية. وفي هذا المعنى قوله - صلى الله عليه وسلم -: "مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تميلها الرياح (٩) مرة ها هنا

---

(١) (واجبا لازما) ليست في "ب".

(٢) الأصل في اللفظ أن يجري على الحقيقة فيما يخاطبنا الله به حتى في أوصافه جل وعلا، إلا إذا تضمن الظاهر نقصا، لكن إلزام الله -عز وجل- لنفسه لا يتضمن نقصا بوجه من الوجوه فيجري على الحقيقة، والله أعلم.

(٣) في الأصل: (والتزام).

(٤) في "ب": (كانت).

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الحكمة الجرجاني، عبد القاهر ١١٨٥/٣

(٥) (السلام) ليست في "ي".

(٦) في "أ": (قوله) بدل (قول الله).

(٧) لم نجد هذا الحديث فيما بين أيدينا من المصادر.

(٨) في الأصل: (الديار).

(٩) (الرياح) من "ي" فقط.." (١)

"٨٠ - ﴿وقالوا لن تمسنا النار:﴾ نزلت في اليهود أيضا حيث زعموا أنهم لا يعذبون في النار إلا سبعة أيام عند الله، وهي سبعة آلاف سنة من أيام الدنيا، وهي مدة الناس في الدنيا، عن ابن عباس (١). وعنه أنهم زعموا أنهم لا يعذبون إلا سنين بعدد الأيام التي عبدوا فيها العجل (٢). وكذلك يروى عن قتادة وعن أبي العالية أنهم زعموا أن الله عز وجل غضب عليهم في أمر فأقسم أن يعذبهم في النار، فلا يعذبهم إلا أياما قلائل لتحلة القسم (٣).

وقولهم هذا يحتمل وجوها أربعة: إما يعتقدون فناء النار كالدنيا (٤)، أو كانوا يظنون أن أيام الآخرة تداول بين الناس كأيام الدنيا، أو كانوا يرون أنفسهم مؤمنين مجرمين فأثبتوا شفاعة الأنبياء والصالحين لأنفسهم كما نثبتها، أو كانوا وجدوا في كتبهم: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا﴾ [مريم:٧١ - ٧٢] فعدوا أنفسهم من المتقين، فأنزل الله ردا عليهم وتكذيبا لهم.

و (المس): قريب من الإصابة، قال الله تعالى: ﴿أني مسني الضر﴾ [الأنبياء:٨٣]، ﴿مسنا وأهلنا الضر﴾ [يوسف:٨٨] (٥). وحقيقة المس اللمس، وهو يكون بحس ولا يكون بحس (٦).

و (الأيام) (٧): جمع يوم، وأصله: أيوام، اجتمعت الياء والواو على ما قدمنا (٨).

و (العدد): اسم كمية المجموع بين الواحد والعدم (٩)، وإنما أعني بالواحد الجزء الذي لا يضمن العدد في نفسه، وبالعدم ما (١٠) لا يثبت معقولا موجودا. (٢٠ و)

وقد حصل العرف بإطلاق العدد على الجمع القليل، قال الله تعالى: ﴿أياما معدودات﴾ [البقرة:١٨٤]، و ﴿أياما معدودة﴾ [البقرة:٨٠]، و ﴿دراهم معدودة﴾ [يوسف:٢٠]، و ﴿أمة معدودة﴾ (١١) [هود:٨]، و ﴿لأجل معدود﴾ [هود:١٠٤]، وذلك لأن عد الجمع

---

(١) ينظر: تفسير مجاهد ١/ ٨٣، وتفسير الطبري ١/ ٥٤٠، والنكت والعيون ١/ ١٣٣.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ١/ ٥٣٩، والتبيان في تفسير القرآن ١/ ٣٢٣، وتفسير البغوي ١/ ٨٩.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ١/ ٥٣٨ - ٥٣٩، وتفسير البغوي ١/ ٨٩، وزاد المسير ١/ ٩١ - ٩٢.

(٤) في ع: في الدنيا، وبعدها: وكانوا، بدل (أو كانوا). وينظر: تفسير الطبري ١/ ٥٣٩، وتفسير القرآن الكريم ١/ ٤٠٤، والتبيان في تفسير القرآن ١/ ٣٢٣.

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الحكمة الجرجاني، عبد القاهر ١١٨٧/٣

(٥) ينظر: البحر المحيط ١/ ٤٣٧.

(٦) ينظر: مجمع البيان ١/ ٢٧٩، والبحر المحيط ١/ ٤٣٧.

(٧) الآية نفسها: إلا أياما معدودة.

(٨) ينظر: إعراب ثلاثين سورة ٣٥، والتبيان في إعراب القرآن ١/ ٨٢، ولسان العرب ١٢/ ٦٤٩ و ٦٥٠ (يوم).

(٩) ينظر: التعريفات ١٩١، والتوقيف على مهمات التعاريف ٥٠٦.

(١٠) ساقطة من ك.

(١١) ليس في ك.." (١)

"أم لا؟ قلنا: لا يؤدي إلى ذلك لأنا علمنا أن صلاحها إما يرتفع بأمر حادث وإما بتعذر (١) الإتيان (٢٧ ظ) بها، وقد فات حدوث الأمر بانقطاع الوحي، والتعذر معدوم في الحال فلا وجه للشك، ثم إن وحد التعذر وقع اليقين بارتفاع الصلاح حالة التعذر (٢).

فإن قيل: قولكم هذا يؤدي إلى أن الصحابة لم يعتقدوا في الأوامر المطلقة وجوبا على التأبيد، قلنا: الواجب على السامعين اعتقاد الوجوب على شريطة بقاء الحكم دون اعتقاد الوجوب على التأبيد؛ لأنهم لا يدرون لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا (٣).

وإذا ثبت جواز النسخ على طريق الإجمال فلنا (٤) أن نقتصر على ذكر مذهبنا فيه.

اعلم أن ما لا يجوز نسخه ستة أنواع:

أحدها: نسخ ما يستحيل نسخه بغير جحد أو اعتراف بالكذب، كنسخ قصة عاد وثمود وغيرهم، وكالإخبار عن نفسه بقوله: ﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾ [النساء:١٤٠]، وعن قول الشيطان ﴿لما قضي الأمر إن الله وعدكم [وعد الحق]﴾ [إبراهيم:٢٢]، وعن قول الضعفاء والمستكبرين في النار وقول الملائكة لهم (٥).

والثاني: نسخ ما لا يجيز العقل نسخه، كنسخ الإحسان والإذعان والإيمان (٦).

والثالث: نسخ يؤدي إلى اللوم والغرور، كنسخ ما أوجب الله تعالى من جزاء الإحسان.

والرابع: نسخ يؤدي إلى الحنث، كنسخ قوله: ﴿لأملأن جهنم،﴾ الآية [الأعراف:١٨]، وقوله: ﴿فو ربك لنسئلنهم أجمعين﴾ [الحجر:٩٢]، ﴿وإن منكم إلا واردها،﴾ الآية [مريم:٧١]. ولو لم يكن للقسم مزية على الوعد والوعيد لما ذكر القسم.

والخامس: نسخ حكم لم يفد شيئا، كنسخ ما لم ينزله جبريل عليه السلام بعد، إذ هو يؤدي إلى البداء.

والسادس: نسخ (٧) لم يبين؛ لأنه محال إذ ترك تبيين النسخ إبقاء للحكم الأول، فلا يجتمعان.

وما يجوز نسخه ستة أنواع:

---

(١) في ع: بتقدر، وفي ب: بتقدير.

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ١٨٧/١

(٢) ينظر: أصول السرخسي ٢/ ٥٧ - ٥٨.

(٣) ينظر: الإحكام للآمدي ٣/ ١١٨ - ١١٩.

(٤) في الأصل وك: فبنا.

(٥) الآيات ٤٧ - ٥٠ من سورة غافر. وينظر: الإحكام لابن حزم ٤/ ٤٧٥، واللمع في أصول الفقه ٥٦ - ٥٧، وأصول السرخسي ٢/ ٥٩.

(٦) ينظر: الإحكام لابن حزم ٤/ ٤٧٥.

(٧) بعدها في ب: لأنه، وهي مقحمة.." (١)

"متصلة بقوله: ﴿نصيرا،﴾ (٨٠ و) (١) أي: بنصرة منهم (٢). ويحتمل أن تكون منقطعة مبتدأ تقديره (٣): من الذين هادوا من يحرفون الكلم، قال الله تعالى: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ [الصافات:١٦٤]، أي: إلا من له مقام، ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم:٧١]، أي: إلا من (٤) يردها، ولا يحسن إضمار (من) إلا في المبتدأ ب (من) (٥).

﴿واسمع غير مسمع:﴾ غير صاغر ولا مجبر على الاستماع، كان المؤمنون يريدون بهذا اللفظ هذا المعنى (٦). وقيل (٧): «اسمع لا سمعت»، وقيل: اسمع (٨) غير ممكن من الاستماع، وكان المنافقون واليهود يريدون بهذا اللفظ أحد هذين المعنيين.

﴿ليا بألسنتهم:﴾ على أنه مفعول له (٩)، أو على التفسير.

و (الطعن في الدين): هو الطعن عليه وعيبه (١٠).

وقوله: ﴿سمعنا﴾ وما بعده يدل على ما (١١) في قلبه.

﴿وانظرنا:﴾ أي: انتظر وتأن بكلامك (١٢).

﴿لكان:﴾ هذا القول الثاني ﴿خيرا لهم وأقوم:﴾ أعدل وأقسط وأبعد عن اللي (١٣).

﴿ولكن لعنهم:﴾ حرمهم التوفيق لمثل هذه المقالة المحمودة جزاء لكفرهم أوامره (١٤).

﴿إلا قليلا:﴾ منهم (١٥)، ويحتمل: فلا يؤمنون إلا إيمانا قليلا وذلك قولهم (١٦): ﴿نؤمن ببعض ونكفر ببعض﴾ [النساء:١٥٠].

---

(١) نهاية النقص من الأصل، والعودة إلى الترقيم منه.

(٢) ينظر: الكشاف ١/ ٥١٦، والبيان في غريب إعراب القرآن ١/ ٢٥٦، والفريد ١/ ٧٤٢.

(٣) (مبتدأ تقديره) ساقطة من ك.

(٤) (إلا من) ساقطة من ع.

(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٢٧١، وتفسير الطبري ٥/ ١٦٤ - ١٦٥، ومشكل إعراب القرآن ١/ ١٩٩.

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ١/٢٢٠

(٦) ينظر: الكشاف ١/ ٥١٧.
(٧) تفسير غريب القرآن ١٢٨، وتفسير الطبري ٥/ ١٦٦، ومعاني القرآن الكريم ٢/ ١٠٢.
(٨) (لا سمعت وقيل اسمع) ساقطة من ب. وينظر: الكشاف ١/ ٥١٧، ومجمع البيان ٣/ ٩٨.
(٩) ينظر: إعراب القرآن ١/ ٤٦١، ومشكل إعراب القرآن ١/ ١٩٩، والبحر المحيط ٣/ ٢٧٥.
(١٠) ساقطة من ك. وينظر: البحر المحيط ٣/ ٢٧٥.
(١١) في ب: لم.
(١٢) ينظر: معاني القرآن الكريم ٢/ ١٠٤، والتبيان في تفسير القرآن ٣/ ٢١٤.
(١٣) ينظر: تفسير البغوي ١/ ٤٣٨، ومجمع البيان ٣/ ٩٨.
(١٤) ينظر: تفسير القرآن الكريم ٢/ ٣٣٦.
(١٥) معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٥٩، ومعاني القرآن الكريم ٢/ ١٠٥، وتفسير البغوي ١/ ٤٣٨.
(١٦) ساقطة من ك. وينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٥٩، ومعاني القرآن الكريم ٢/ ١٠٤، والدر المصون ٣/ ٦٩٩.."
(١)

"واللام لام الغرض، كقوله: ﴿وإن منكم إلا واردها،﴾ الآية [مريم:٧١]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن) (١)، يدل عليه أن الله تعالى كان عند ذرء الشقي عالما بمصيره لا محالة فلو لم يشأ مصيره لما ذرأه، ألا ترى أن الحكيم لا يغشى النساء إذا لم يرد النسل، ولم يتمتع بالشهوات إذا لم يرد السمن.
وقوله: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (٥٦) [الذاريات:٥٦] ليس بمناقض لهذه الآية؛ لأن العبادة ليست بمضادة ﴿لجهنم،﴾ ولاحتماله أوجها سبعة: أحدها: التسخير لقوله: ﴿ولله يسجد من في السماوات والأرض،﴾ الآية [الرعد:١٥]، والثاني: إظهار الخضوع لا القيام بالأوامر، والثالث: العبودية وهي الكينونة لا العبادة، والرابع: حالة الطفولة قد خلقوا على الفطرة، والخامس: الاقتضاء والاستحقاق كقول الوالدة لولدها: ما ولدتك إلا لتكبر فتحسن إلي، والسادس: العموم بمعنى الخصوص فيصرف إلى أهل السعادة، والسابع:
كون اللام في قوله: ﴿ليعبدون﴾ لام العاقبة والمآل وذلك عند معاينة البأس. فلو كان يحتمل معنى واحدا لا يصح دعوى التناقض، كيف وقد احتمل الأوجه.

١٨٠ - ﴿ولله الأسماء الحسنى:﴾ اتصالها بما قبلها من حيث ذكر الكفار وهم ملحدون (٢).
(الأسماء): التسميات التي يكلم (٣) الله بها. و (الحسنى): (١٢٨ و) تأنيث الأحسن (٤).
﴿الذين (٥)﴾ يلحدون في أسمائه: الذين اشتقوا لأصنامهم أسماء من أسماء الله عز وجل، كاللات من الله، والعزى من العزيز (٦)، والذين أنكروا إطلاق تسميتين على مسمى واحد فقالوا: ﴿وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا﴾ [الفرقان:٦٠].

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٤٩٣/١

ويدخل في جملة هؤلاء الذين قالوا: أسماء الله مخلوقة، والذين أطلقوا على الله اسم الجسم (٧)، والذين فرقوا بين الأسماء المشتقة من صفات (٨) الذات وبين الأسماء المشتقة من صفات الفعل.

١٨١ - ﴿أمة يهدون بالحق:﴾ هم أهل السنة والجماعة. وتفسير السنة أن يسلكوا

---

(١) سنن أبي داود ٤/ ٣١٩، والسنن الكبرى للنسائي ٦/ ٦، والعلل المتناهية ٢/ ٨٣٧.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٤/ ٤٢٦.

(٣) في ب: تكلم. وينظر: تفسير القرطبي ٧/ ٣٢٦.

(٤) ينظر: تفسير البغوي ٢/ ٢١٧، وزاد المسير ٣/ ١٩٨، وتفسير القرطبي ٧/ ٣٢٧.

(٥) ليس في ك.

(٦) ينظر: تفسير الطبري ٩/ ١٧٨، والوجيز ١/ ٤٢٣، والكشاف ٢/ ١٨١.

(٧) في ب: الجنس.

(٨) في ب: صفة.." (١)

"٢ - جمع يعقوب عليه السلام بين أختين، لايان وراحيل ابنتا خاله، ثم حرمت ذلك التوراة.

٣ - حكم الختان لإبراهيم.

كما أنه أثبت النسخ من الناحية العقلية بقوله: «أن قطع العضو محظور، ثم إذا أصابته آفة يرجو صاحبه السلامة بالقطع، كان له أن يقطع».

ويذكر مذهبه في النسخ، فيما يجوز فيه النسخ وما لا يجوز فيه:

أولا-ما لا يجوز النسخ فيه:

أحدها: نسخ ما يستحيل نسخه بغير جحد أو اعتراف بالكذب، كنسخ قصة عاد وثمود وغيرهم، وكالإخبار عن نفسه بقوله: ﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾ [النساء:١٤٠]، وعن قول الشيطان: ﴿لما قضي الأمر إن الله وعدكم [وعد الحق]﴾ [إبراهيم:٢٢]، وعن قول الضعفاء والمستكبرين في النار وقول الملائكة لهم.

والثاني: نسخ ما لا يجيز العقل نسخه، كنسخ الإحسان والإذعان والإيمان.

والثالث: نسخ ما يؤدي إلى اللوم والغرور، كنسخ ما أوجب الله تعالى من جزاء الإحسان.

والرابع: نسخ يؤدي إلى الحنث، كنسخ قوله: ﴿لأملأن جهنم،﴾ الآية [الأعراف:١٨]، وقوله: ﴿فو ربك لنسئلنهم أجمعين﴾ [الحجر:٩٢]، ﴿وإن منكم إلا واردها،﴾ الآية [مريم:٧١]. ولو لم يكن للقسم مزية على الوعد والوعيد لما ذكر القسم.

والخامس: نسخ حكم لم يفد شيئا، كنسخ ما لم ينزله جبريل عليه السلام بعد، إذ هو يؤدي إلى البداء.

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٧١١/١

والسادس: نسخ لم يبين؛ لأنه محال إذ ترك تبيين النسخ إبقاء للحكم الأول، فلا يجتمعان.
أما ما يجوز النسخ فيه:
الأول: الأثقل بالأخف، كنسخ تحريم الرفث ليالي الصوم بالإباحة.
والثاني: نسخ المثل بالمثل، كنسخ التوجه إلى قبلة بإيجاب التوجه إلى قبلة.
والثالث: نسخ ما هو أقل ثوابا بما هو أكثر ثوابا، كنسخ صوم يوم عاشوراء بصوم شهر رمضان.
والرابع: نسخ ما أفاد معنى قبل نسخه، كنسخ خمسين صلاة ليلة المعراج بخمس صلوات.
وفائدة الحكم الأول اعتقاد نبينا صلى الله عليه وسلم وجوبها، وإكرام الله إياه بالتشفيع وإمضاء ثواب خمسين صلاة بخمس صلوات. وهذا النوع يأباه بعض المتكلمين من المعتزلة وغيرهم.
والخامس: نسخ ما يحمد، كنسخ ما أوجب الله تعالى أهل الارتكاب من العذاب بالعفو، وإنما جاز لوقوعه محمودا حسنا، لأنه تعالى شرط لنفسه المشيئة فيه. وهذا النوع يأباه فريق من المعتزلة أيضا، ويجعلونه من حيز الإخبار.." (١)

"شيء لم ينظر إلى مثله، فطاف فيها ساعة، ثم قال له ملك الموت: انطلق بنا فلنخرج (١)، قال:
فينطلق (٢) إلى شجرة، فيتعلق بها، ثم يقول (٣): والله لا أخرج حتى يكون الله هو يخرجني، قال له ملك الموت: إنه ليس بحينها ولا زمانها، وإنما طلبت إليهم لترى، فانطلق بنا، فأبى (٤)، قال:
فقيض الله له ملكا من الملائكة، قال له ملك الموت: اجعل هذا الملك بيني وبينك، قال: نعم، قال: ما تقول يا ملك الموت؟ قال: أقول: إني استأذنت الله في خلة إدريس، فأذن لي، فهبطت، فكنت معه حينا، ثم سألني أن أذيقه الموت، فأذقته، فأصابه من شدته، ثم سألني أن أريه النار، فأري، فأصابه من شدتها، ثم سألني أن أريه الجنة، فطلبت له، فأري، فدخلها، وإنه أبى أن يخرج، فأخبرته أنه ليس بحينها ولا زمانها، قال: ما تقول يا إدريس؟ قال: أقول: إن الله تعالى قال: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ [آل عمران:١٨٥] وقد ذقته، ويقول الله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم:٧١]، أي: النار، وقد وردتها، ويقول الله لأهل الجنة: ﴿وما هم منها (٥)﴾ بمخرجين [الحجر:٤٨]، فو الله لا أخرج منها أبدا حتى يكون الله يخرجني منها، فسمع هاتفا من فوقه: بأمري دخل، وبأمري فعل، فخل سبيله، فذلك قوله: ﴿ورفعناه مكانا عليا.﴾
وعن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: إن إدريس كان يصعد له من العمل كل يوم مثل ما يصعد لجميع (٦) الناس، فطلب ملك الموت إلى ربه، فهبط إليه، قال: فلما كلمه إدريس، قال: اصعد بي إلى السماء، فأصعده (٧) معه، فلما انتهى إلى السماء السادسة مر به ملك، فقال الملك لملك الموت: أين تريد؟ قد بعث إلى رجل من بني آدم أن تقبض روحه في السماء السادسة، فالتفت إلى إدريس، وقبض روحه في السماء السادسة.
ويجوز أن يكون المراد ب (المكان العلي): الرتبة العلية.

٥٨ - ﴿من ذرية آدم:﴾ وجده شيث وإدريس.

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٦٩/٢

﴿وممن حملنا مع نوح:﴾ ابنه الأكبر (٢٠٩ ظ) سام، والأنبياء من ذرية سام: هود وصالح وشعيب ولوط وأيوب، والله أعلم بغيره من المحمولين كيافث وحام وغيرهما.

---

(١) ع: فلنخرج.

(٢) ع: فانطلق.

(٣) ع: قال.

(٤) ساقطة من ع.

(٥) الأصل وك وأ: عنا، وهذا من ع.

(٦) أ: بجميع.

(٧) ع: فأصعد.." [١]

"﴿جثيا:﴾ جلوسا على الركب، قربت من الجثوم.

٦٩ - ﴿ثم لننزعن:﴾ لنميزن. وقيل: لنقولن.

﴿أيهم أشد على الرحمن عتيا:﴾ فليخرج، ويحتمل: أيهم كان أشد، ويحتمل: أشدهم.

فالأول: تخصيص الوصف بما مضى، والثاني: إخلاص الوصف للحال.

٧٠ - ﴿ثم لنحن أعلم:﴾ علم الله تعالى الذي تفرد به علم الأعيان، فأما علم الأوصاف فقد رزقنا حيث أخبر أن الكبائر (١) هي الموجبات للنار، فمن كاد يرتكب الكبائر كاد يصلى النار، ومن كان أقدم على اقتحام الفواحش كان أولى وقودا، ومن كان أشد إصرارا كان (٢) أحرى خلودا.

٧١ - ﴿وإن منكم إلا واردها:﴾ ابن عباس، عن كعب قال: ترفع جهنم يوم القيامة كأنها متن إهالة، وتستوي أقدام الخلائق، فينادي مناد (٣): أن خذي أصحابك ودعي أصحابي، فتخسف بهم، ولهي أعرف بهم من الوالدة بولدها، وتمر أولياء الله تندى ثيابهم. (٤)

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله عليه السلام: (٢١٠ ظ) «يرد (٥) الناس النار، ثم يصدرون عنها بأعمالهم، فأولهم كلمح البرق، ثم كالريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب في رحله، ثم كشد الرحل، ثم كمشيه». (٦) وعن عبد الله قال: الأرض نار كلها يوم القيامة، والجنة من ورائها، يرون كواعبها وأكوابها (٧)، والذي نفس عبد الله في يده، إن الرجل في الأرض يوم القيامة حتى يبلغ أنفه، ثم يرتفع، ثم يسوخ، وما مسه الحساب، فقلنا: وبم ذلك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: مما يرى الناس يلقون.

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٢٧٥/٢

وعن عكرمة، عن ابن عباس قال: إن للقيامة أحوالا وأهوالا وزلازل وشدائد وظلماء، إذا انشقت السماء، وتناثرت النجوم، وذهب ضوء الشمس والقمر، وتقلعت الأشجار، وتدكدك الاكام، وغارت العيون، ونصبت الموازين، ونشرت الدواوين، وجيء بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام من حديد، كل زمام (٨) أخذ به سبعون ألف ملك، كل ملك أعظم ما بين المشرق والمغرب، يجرونها جرا حتى إذا كانت من الموقف مسيرة مئة زفرت زفرة لا يبقى ملك مقرب، ولا نبي

---

(١) أ: البكاير.

(٢) ك: فهو.

(٣) الأصول المخطوطة: منادي.

(٤) ينظر: شعب الإيمان (٣٧٢ و ٣٧٣)، وحلية الأولياء ٥/ ٣٦٧، والتمهيد لابن عبد البر ٦/ ٣٥٦، التخويف من النار ١/ ١٨٢.

(٥) ك: يرون.

(٦) أخرجه الترمذي (٣١٦٠)، والدارمي في السنن ٢/ ٤٢٤، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٠٧، والتخويف من النار ١/ ١٧٩.

(٧) ساقطة من أ.

(٨) ع: يوم.." (١)

"﴿إلا واردها. . .﴾ الآية، فقال: «ألا تسمعين ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ الآية [مريم:٧٢]». (١)

وقيل: الورود: الدخول، وهي في حق الناجين جامدة. (٢)

٧٣ - ﴿وأحسن نديا:﴾ ناديا، وهو المجلس الذي تشهده العشيرة والجيران، ويشبه جدال هؤلاء المشركين بقول فرعون: ﴿أليس لي ملك مصر﴾ [الزخرف:٥١]، وقول أحد الرجلين في جنته: ﴿ما أظن (٣)﴾ أن تبيد هذه أبدا [الكهف:٣٥]، سبحان الله ما أجمعهم على وتيرة واحدة حتى كأنهم تواصوا بها، أو تواطؤوا عليها مع بعد الديار، واختلاف الأعصار.

٧٥ - ﴿فليمدد:﴾ مجاز، فواجب على الله أن يمد له في الدنيا، وحقيقته ليظن له المد من قضاء الله وقدره، وهذه قريبة من قوله: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن. . .﴾ الآية [الزخرف:٣٣]، وفي هذا المعنى قوله عليه السلام: «مثل المؤمن كالخامة من الزرع تمليها الرياح مرة هاهنا، ومرة هاهنا، ومثل المنافق كالأرزة المجدبة لا تحركها العواصف حتى يكون انجعافها مرة». (٤) فالجمع بين هذه وبين قوله: ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا. . .﴾ الآية [المائدة:٦٦]، وقوله: ﴿استغفروا (٥)﴾ ربكم إنه كان غفارا (١٠) يرسل السماء. . . الآية [نوح:١٠

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٢٧٩/٢

- ١١]، وهو قوله عليه السلام لقريش وأمثالهم: «أدعوكم إلى كلمة تملكون بها العرب، ويذل لكم بها العجم». هو أن الضلالة قد تكون سببا لليسر مرة والعسر أخرى، وكذلك الهدى ما دامت محنة الالتباس قائمة، وعزيمة الابتلاء باقية، فلا تناقض بين الأحاديث والآيات.

٧٦ - ﴿ويزيد الله:﴾ قال الكلبي وغيره: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا:﴾ بالمنسوخ، ﴿هدى:﴾ بالناسخ. (٦)

٧٨ - ﴿أطلع الغيب:﴾ قال الفراء: الاطلاع: البلوع، يقال: اطلعت هذه الأرض، أي:
بلغتها.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٣٦٢، ومسلم في الصحيح (٢٤٩٦)، والطبراني في الكبير ٢٥/ (٢٦٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٨٦١).

(٢) ينظر: تفسير الطبري ٨/ ٣٦٤ عن خالد بن معدان.

(٣) الأصل وك وأ: وما أظن.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٣٨٦، والبخاري في الصحيح (٥٦٤٣)، ومسلم في الصحيح (٢٨١٠)، والدارمي في السنن ٢/ ٣١٠ عن عبد الرحمن بن عوف.

(٥) الأصول المخطوطة: واستغفروا.

(٦) ينظر: تفسير الماوردي ٣/ ٣٨٧ عن الكلبي ومقاتل، وزاد المسير ٥/ ١٩٢ من غير نسبة.." (١)

"قوله - تعالى -: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ معناه: وأن من أهل الكتاب أحدا إلا ليؤمن به، وهو مثل قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ أي: وأن منكم أحد.

واختلفوا في قوله: ﴿قبل موته﴾ قال الحسن - وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس -: إنه كناية عن الكتابي، وقال: ما من كتابي من اليهود، إلا وهو يؤمن بعيسى قبل موته في وقت اليأس، حين لا ينفعه، حتى قيل لابن عباس: وإن مات حرقا أو غرقا أو هدما؟ قال: نعم.

وقال قتادة - وهو رواية أخرى عن ابن عباس -: إن " الهاء "كناية عن عيسى، يعني: ما من كتابي إلا يؤمن بعيسى قبل موت عيسى، وذلك حين ينزل من السماء، وقال عكرمة: هذا في محمد ما من كتابي إلا ويؤمن به قبل الموت، وهذا قول ضعيف؛ لأنه لم يجر ذكر محمد في الآية ﴿ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا﴾ يعني: عيسى.." (٢)

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٢٨١/٢

(٢) تفسير السمعاني السمعاني، أبو المظفر ٥٠٠/١

"قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ معناه: وما منكم إلا واردها. واختلفوا فيما ينصرف إليه قوله: ﴿واردها﴾ قال ابن عباس: هي النار، قال: والورود هو الدخول، وقال: يدخلها البر والفاجر، ثم ينجو البر، ويبقى الفاجر. وروى سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار قال: تمارا ابن عباس ونافع بن الأزرق في الورود، فقال ابن عباس: هو الدخول، وتلا قوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾ ثم قال: يا نافع، أنا وأنت داخلها، وأرجو أن ينجيني الله منها، ولا." (١)

"﴿والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠) وإن منكم إلا واردها﴾." (٢)

"ينجيك منها، لأنك كذبت به.

قال الشيخ الإمام الأجل أبو المظفر السمعاني: أخبرنا أبو علي الشافعي بمكة، قال: أخبرنا أبو الحسن بن [فراس] قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد المقرىء قال: حدثنا جدي محمد بن عبد الله بن يزيد، عن سفيان.

وروى قرة عن ابن مسعود أن الناس يردون النار، ويصدر المؤمنون عنها بأعمالهم، فأولهم كلمح البصر، ثم كالريح ثم كحضر الفرس، ثم كشد الرجل، ثم كالماشي.

وعن ابن ميسرة أنه كان يدخل داره فيبكي، فيقال له: ما يبكيك؟ فيقول: الله تعالى أنبأنا أنا نرد النار، ولم ينبئنا أنا صادرون عنها.

وعن الحسن البصري أنه قال: " حق لابن آدم أن يبكي ... وذكر نحوا من هذا ".

والقول الثاني: أن المراد من الآية هم الكفار. هذا قول عكرمة وسعيد بن جبير. وقرىء في الشاذ: " وإن **منهم إلا واردها** ". وعلى هذا كثير من أهل العلم، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم من الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها﴾ .

والقول الثالث: أن المراد من الورود هو الحضور والرؤية دون الدخول. وهذا قول الحسن وقتادة، وقد يذكر الورود بمعنى الحضور، قال الله تعالى: ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ أي: حضر. وقال زهير شعرا:

(ولما وردن الماء زرقا جمامه ... تركن عصي الحاضر المتخيم)." (٣)

"والقول الرابع، وروي عن ابن مسعود قال: وإن منكم إلا واردها: القيامة. وقد استحسنوا هذا القول لتقدم ذكر القيامة.

والقول الخامس: أن الصراط.

وفي الآية قول سادس: روي عن مجاهد أنه قال: ورود النار هو الحمى في الدنيا.

(١) تفسير السمعاني السمعاني، أبو المظفر ٣٠٦/٣

(٢) تفسير السمعاني السمعاني، أبو المظفر ٣٠٦/٣

(٣) تفسير السمعاني السمعاني، أبو المظفر ٣٠٧/٣

وفي بعض المسانيد عن النبي أنه عاد رجلا من وعك - أبي: الحمى - به، فقال: " يقول الله تعالى: هي ناري أسلطها على من شئت من المؤمنين، ليكون حظه من نار جهنم ".

وفي بعض الأخبار: " الحمى (كي) من جهنم، وهي حظ المؤمن من النار ".

وقد ثبت عن النبي أنه قال: " الحمى من فيح جهنم، فأبردوها بالماء ".

وأولى الأقاويل هو القول الأول، وقد صح عن النبي أنه قال: " من قدم من الولد لم يلج النار، إلا تحلة القسم ".

وفي بعض الأخبار: " أنها تستعر على الكفار، وتخمد تحت أقدام المؤمنين ".

روى خالد بن معدان عن النبي أنه قال: " يدخل الله قوما من المؤمنين الجنة،." (١)

"(فصل في بيان الألفاظ التي تجيء متنافية في الظاهر)

كثيرا ما تجئ الألفاظ في الظاهر كالمتنافي عند من لم يتدرب بالبراهين العقلية والعلوم الحقيقة، وربما يغالط الملحد بألفاظ من القرآن في نحو ذلك العجزة فيشككهم مثل أن يقول: قد ثبت من بداية العقول أن النفي والإثبات في الخبر الواحد إذا اجتمعا لابد من صدق أحدهما وكذب الآخر، نحو أن يقال: زيد خارج، زيد ليس بخارج، وقد رأينا في القرآن أخبارا متنافية، فلابد من أن يكون أحدهما صدقا، والآخر كذبا، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾، مع قوله: ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ وقوله إخبارا عن الكفار أنهم يقولون: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ مع قوله تعالى ﴿ولا يكتمون الله حديثا﴾، وقوله تعالى: ﴿هذا يوم لا ينطقون﴾ مع قوله تعالى: ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾، وقوله تعالى ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما﴾ مع قوله تعالى: ﴿ورأى المجرمون النار﴾، وقوله تعالى: ﴿دعوا هنالك ثبورا﴾، وقوله: ﴿سمعوا لها تغيظا وزفيرا﴾ وقوله تعالى: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين (٩٢) عما كانوا يعملون﴾ مع قوله تعالى: ﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ وقوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ مع قوله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾." (٢)

"وإن منكم إلا واردها)

قوله: (وإن منكم إلا واردها) .

المفسرون: على أن الضمير يعود إلى النار.

الغريب: النحاس: الضمير يعود إلى الساعة أو القيامة، ثم اختلفوا

في معنى الورود، فقال بعضهم: هو الدخول، واستدل بقوله: (فأوردهم النار وبئس الورد المورود (٩٨)) ، وبقوله: (أنتم لها واردون (٩٨) لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها) ، وبقوله: (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) ".

والمتقون يجتازون بها كالبرق الخاطف، تحلة القسم، وتكون عليهم بردا وسلاما.

وقال بعضهم: الورود، الوصول دون الدخول لقوله: (ولما ورد ماء مدين) ، قال: ورودهم: إشرافهم عليها وحصولهم حواليها.

---

(١) تفسير السمعاني السمعاني، أبو المظفر ٣٠٨/٣

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني الراغب الأصفهاني ٢٣/١

الغريب: مجاهد: هو المحن والأمراض.

وقوله: (وإن منكم) تقديره، وإن منكم أحد، ف "أحد" رفع بالإبتداء.

"إلا واردها" خبر المبتدأ، وقوله: (منكم) صفة لأحد، أو حال له إن قدمته عليه.

قوله: (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) .

أي مده الله في كفره، ومتعه بطول عمره، ليزداد طغيانا.

الصيغة صيغة الأمر، والمعنى: الخبر.

الغريب: هذا دعاء عليه، أي فزاده الله ضلالا.

العجيب: فليعش ما شاء، فإن مصيره إلى النار.

ومن الغريب: المبرد أي قل فإني أدعو له بالبقاء لعله يؤمن.

قوله: (إما العذاب وإما الساعة) ، بدل من ما يوعدون.." (١)

"واختلفوا في أنه حي في السماء أم ميت؟ فقال قوم: هو ميت وقال قوم: هو حي (١) وقالوا: أربعة من الأنبياء في الأحياء اثنان في الأرض: الخضر وإلياس واثنان في السماء: إدريس وعيسى.

وقال وهب: كان يرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الأرض في زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت، فاستأذن ربه عز وجل في زيارته، فأذن له فأتاه في صورة بني آدم وكان إدريس يصوم الدهر فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل معه، ففعل ذلك ثلاث ليال فأنكره إدريس، فقال له الليلة الثالثة: إني أريد أن أعلم من أنت؟ فقال: أنا ملك الموت استأذنت ربي أن أصحبك، قال: فلي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قال: تقبض روحي، فأوحى الله إليه أن اقبض روحه فقبض روحه وردها الله إليه بعد ساعة، قال له ملك الموت: ما في سؤالك من قبض الروح؟ قال لأذوق كرب الموت وغمه لأكون أشد استعدادا له، ثم قال إدريس له: إن لي إليك حاجة أخرى، قال: وما هي؟ قال: ترفعني إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة والنار، فأذن الله في رفعه، فلما قرب من النار قال لي حاجة أخرى، قال: وما تريد؟ قال: تسأل مالكا حتى يفتح لي أبوابها فأردها ففعل، ثم قال: فما أريتني النار فأرني الجنة. فذهب به إلى الجنة فاستفتح فأوحى الله إليه أن اقبض روحه، فقبض روحه وردها الله إليه بعد ساعة، قال له ملك الموت: ما في ففتحت أبوابها فأدخله الجنة، ثم قال ملك الموت: اخرج لتعود إلى مقرك، فتعلق بشجرة وقال: لا أخرج منها، فبعث الله ملكا حكيما بينهما فقال له الملك: ما لك لا تخرج؟ قال: لأن الله تعالى قال: "كل نفس ذائقة الموت" (آل عمران:١٨٥) وقد ذقته، وقال: "وإن منكم إلا واردها" (مريم:٧١) ، وقد وردتها، وقال: "وما هم منها بمخرجين" (الحجر:٤٨) فلست أخرج، فأوحى الله إلى ملك الموت بإذني دخل الجنة وبأمري لا يخرج فهو حي هناك، ذلك قوله تعالى: ﴿ورفعناه مكانا عليا﴾ (٢) .

﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا

---

(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل الكرماني، برهان الدين ٧٠٥/٢

إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا (٥٨) ﴾
﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم﴾ أي: إدريس ونوحا ﴿وممن حملنا مع نوح﴾ أي: ومن ذرية من حملنا مع نوح في السفينة، يريد إبراهيم؛ لأنه ولد من سام بن نوح ﴿ومن ذرية إبراهيم﴾ يريد إسماعيل وإسحاق ويعقوب.

---

(١) القول الأول هو الذي يتفق مع الروايات، والثاني مروي عن مجاهد قال: إدريس رفع ولم يمت، كما رفع عيسى. فإن أراد: أنه لم يمت إلى الآن ففي هذا نظر، وإن أراد أنه رفع حيا إلى السماء ثم قبض هناك، فلا ينافي ما تقدم عن كعب الأحبار، والله أعلم. انظر: "البداية والنهاية" لابن كثير: ١ / ١٠٠.

(٢) انظر: "الدر المنثور": ٥ / ٥١٩-٥٢٣، "زاد المسير": ٥ / ٢٤١-٢٤٢. وهذا الخبر من الإسرائيليات وقد أشار إلى ذلك ابن كثير رحمه الله.." (١)

"وقيل: على الاستئناف ثم لننزعن [يعمل في موضع "من كل شيعة"] (١) .

﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠) وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ﴾

﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا﴾ أي: أحق بدخول النار يقال: صلي يصلى صليا، مثل: لقي يلقى لقيا وصلى يصلي صليا، مثل: مضى يمضي مضيا إذا دخل النار وقاسى حرها. قوله عز وجل: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ وما منكم إلا واردها وقيل: القسم فيه مضمر، أي: والله ما منكم من أحد إلا واردها، والورود هو موافاة المكان.

واختلفوا في معنى الورود هاهنا، وفيما تنصرف إليه الكناية في قوله: ﴿واردها﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وهو قول الأكثرين؛ معنى الورود هاهنا هو الدخول والكناية راجعة إلى النار وقالوا: النار يدخلها البر والفاجر ثم ينجي الله المتقين (٢) فيخرجهم منها.

والدليل على أن الورود هو الدخول: قول الله عز وجل حكاية عن فرعون: "يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار" (هود:٩٨) .

وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار أن نافع بن الأزرق مارى ابن عباس رضي الله عنهما في الورود فقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الدخول. وقال نافع: ليس الورود الدخول، فتلا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: "إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون" (الأنبياء:٩٨) أدخلها هؤلاء أم لا؟ ثم قال: يا نافع أما والله أنت وأنا سنردها وأنا أرجو أن يخرجني الله منها وما أرى الله عز وجل أن يخرجك منها بتكذيبك (٣) .

وقال قوم: ليس المراد من الورود الدخول، وقالوا النار لا يدخلها مؤمن أبدا لقوله تعالى: "إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها" (الأنبياء:١٠١-١٠٢) وقالوا: كل من دخلها لا يخرج منها. والمراد من قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ الحضور والرؤية،

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٥/٢٣٩

(١) جاءت العبارة في "ب" هكذا: تعمل ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا في موضع من كل شيعة.

(٢) في "ب" الذين اتقوا.

(٣) أخرجه الطبري: ١٦ / ١١١، وهناد في الزهد: ١ / ٢١٣، والمروزي في زوائد الزهد ص (٤٩٩) والبيهقي في البعث وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وسنده حسن. وانظر: الدر المنثور: ٥ / ٥٣٥، ابن كثير: ٣ / ١٣٣.." [1]

"لا الدخول كما قال الله تعالى: "ولما ورد ماء مدين" (القصص:٢٣) أراد به الحضور (١) .

وقال عكرمة: الآية في الكفار فإنهم يدخلونها ولا يخرجون منها (٢) .

وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ يعني: القيامة (٣) والكناية راجعة إليها.

والأول أصح وعليه أهل السنة أنهم جميعا يدخلون النار ثم يخرج الله عز وجل منها أهل الإيمان بدليل قوله تعالى:

﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) ﴾

﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ أي اتقوا الشرك وهم المؤمنون. والنجاة إنما تكون مما دخلت فيه (٤) .

وقرأ الكسائي ويعقوب: " ننجي " بالتخفيف. والآخرون: بالتشديد.

والدليل على هذا: ما أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي أخبرنا عبد الرحيم بن منيب أخبرنا سفيان عن الزهري عن

---

(١) وهو قول عبيد بن عمير. انظر: زاد المسير: ٥ / ٢٥٦.

(٢) انظر: الطبري: ١٦ / ١١١، وهو مروي أيضا عن ابن عباس.

(٣) اختلفت الرواية عن ابن مسعود رضي الله عنه في الآية فنقل عنه هذا ونقل أنه فسرها بدخول النار وفسرها ثالثة بالمرور على الصراط. انظر: الطبري: ١٦ / ١١١، فتح القدير للشوكاني: ٣ / ٣٤٦، تفسير الخازن: ٤ / ٢٠٧.

(٤) اختلف المفسرون في تفسير الورود ورجوع الضمير على ما رأيت وهذا الذي رجحه المصنف رحمه الله وقال: إنه مذهب أهل السنة، رده أبو حيان والطبري وغيرهما. وأصول الأقوال في ذلك: ١- أن الخطاب للكافرين وعلى هذا فهم الذين يدخلون النار. ٢- الخطاب عام في حق المؤمنين والكافرين واختلفوا في تفسير الورود على أقوال خمسة: أحدها: الدخول الثاني: المرور عليها، الثالث: الحضور، الرابع: أن ورود المسلمين عليها هو مرورهم على الصراط وورود المشركين: دخولهم النار، والخامس: أن ورود المؤمنين إليها: ما يصيبهم من الحمى في الدنيا. انظر: زاد المسير: (٥ / ٢٥٤-٢٥٧) . وأرجح هذه الأقوال: ما ذهب إليه الطبري رحمه الله حيث قال: (١٦ / ١١٢) : "يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون فينجيهم الله ويهوي فيها الكفار، وورودهموها هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم فناج مسلم ومكدس فيها".. ثم ساق الأحاديث ... وهو أيضا ما رجحه صاحب شرح العقيدة

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٢٤٦/٥

الطحاوية فقال: ص (٤٧٨) "والأظهر الأقوى: أنه المرور على الصراط". وانظر: تفسير ابن كثير: ٣ / ١٣٢-١٣٤، البحر المحيط: ٦ / ٢٠٩-٢١٠.." [1]

"سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم" (١) .

وأراد بالقسم قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا مسلم بن إبراهيم أخبرنا هشام أخبرنا قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير" (٢) وقال أبان عن قتادة: "من إيمان" مكان "خير".

أخبرنا أبو المظفر محمد بن إسماعيل بن علي الشجاعي أخبرنا أبو نصر النعمان بن محمد بن محمود الجرجاني أخبرنا أبو عثمان عمرو بن عبد الله البصري أخبرنا محمد بن عبد الوهاب أخبرنا محمد بن الفضل أبو النعمان أخبرنا سلام بن مسكين أخبرنا أبو الظلال عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أن رجلا في النار ينادي ألف سنة يا حنان يا منان فيقول الله عز وجل لجبريل: اذهب فائتني بعبدي هذا قال: فذهب جبريل فوجد أهل النار منكبين يبكون قال: فرجع فأخبر ربه عز وجل قال اذهب فإنه في موضع كذا وكذا قال: فجاء به قال: يا عبدي كيف وجدت مكانك ومقيلك؟ قال: يا رب شر مكان وشر مقيل قال، ردوا عبدي قال: ما كنت أرجو أن تعيدني إليها إذ أخرجتني منها قال الله تعالى لملائكته دعوا عبدي" (٣) .

وأما قوله عز وجل: "لا يسمعون حسيسها" (الأنبياء:١٠٢) قيل: إن الله عز وجل أخبر عن وقت كونهم في الجنة أنهم لا يسمعون حسيسها فيجوز أن يكونوا قد سمعوا ذلك قبل دخولهم الجنة لأنه لم يقل: لم يسمعوا حسيسها ويجوز أن لا يسمعوا حسيسها عند دخولهم إياها لأن الله عز وجل يجعلها عليهم بردا وسلاما.

---

(١) أخرجه البخاري في الأيمان والنذور باب قول الله تعالى: "وأقسموا بالله جهد أيمانهم" ١١ / ٥٤١، ومسلم في البر والصلة والآداب باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه برقم (٢٦٣٢) : ٤ / ٢٠٢٨، والمصنف في شرح السنة: ٥ / ٤٥١.

(٢) أخرجه البخاري في الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصه: ١ / ١٠٣، ومسلم في الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها برقم (١٩٣) : ١ / ١٨٢، والمصنف في شرح السنة: ١٥ / ١٩١.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٣ / ٢٣٠، والمصنف في شرح السنة: ١٥ / ١٩٣-١٩٤. وفيه أبو ظلال واسمه:

---

[1] تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٢٤٧/٥

هلال القسملي البصري ضعفه ابن معين وأبو داود والنسائي. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابعه عليه الثقات (التهذيب: ١١ / ٧٥-٧٦) .." [١]

"وقال خالد بن معدان: يقول أهل الجنة ألم يعدنا ربنا أن نرد النار؟ فيقال بلى ولكنكم مررتم بها وهي خامدة (١) .

وفي الحديث: تقول النار للمؤمن: "جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي" (٢) .

وروي عن مجاهد في قوله عز وجل: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قال: من حم من المسلمين فقد وردها (٣) .

وفي الخبر: "الحمى كير من جهنم وهي حظ المؤمن من النار" (٤) .

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا محمد بن المثنى أخبرنا يحيى عن هشام أخبرني أبي عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء" (٥) .

﴿كان على ربك حتما مقضيا﴾ أي: كان ورودكم جهنم حتما لازما ﴿مقضيا﴾ قضاه الله عليكم.

﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ أي اتقوا الشرك وقرأ الكسائي " ننجي " بالتخفيف والباقون بالتشديد ﴿ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ جميعا. وقيل: جاثين على الركب وفيه دليل على أن الكل دخلوها ثم أخرج الله منها المتقين وترك فيها الظالمين وهم المشركون.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد الليثي

---

(١) رواه ابن إسحاق وأبو عبيد في "الغريب" وابن المبارك في الزهد عن خالد بن معدان. انظر: الكافي الشاف ص (١٠٧) .

(٢) رواه أبو نعيم في الحلبة: ٩ / ٣٢٩، والخطيب في تاريخ بغداد: ٥ / ١٩٤، ٩ / ٢٣٣، والطبراني في الكبير وابن عدي في الكامل والحكيم الترمذي في نوادر الأصول. وفي سنده: سليم بن منصور بن عمار وهو ضعيف. انظر: مجمع الزوائد: ١٠ / ٣٦٠، كشف الخفاء: ١ / ٣٧٣-٣٧٤.

(٣) رواه الطبري: ١٦ / ١١١.

(٤) أخرجه الإمام أحمد: ٥ / ٢٥٢، والطحاوي في مشكل الآثار: ٣ / ٦٨، وصححه الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة": ٤ / ٤٣٧-٤٣٨. وانظر: الكافي الشاف ص (١٠٧) .

(٥) أخرجه البخاري في الطب باب الحمى من فيح جهنم: ١٠ / ١٧٤، ومسلم في السلام باب لكل داء دواء برقم (٢٢١٠) : ٤ / ١٧٣٢، والمصنف في شرح السنة: ١٢ / ١٥٣.." [٢]

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٥/٢٤٨

(٢) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٥/٢٤٩

"أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي أخبرنا محمد بن حماد أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر عن حفصة أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد شهد بدرا والحديبية" قال: قلت يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ قال: أفلم تسمعيه يقول: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ (١) .

﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (٧٣) وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا (٧٤) ﴾

قوله عز وجل: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ واضحات ﴿قال الذين كفروا﴾ يعني: النضر بن الحارث وذويه من قريش ﴿للذين آمنوا﴾ يعني فقراء (٢) أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رءوسهم ويلبسون حرير ثيابهم فقالوا للمؤمنين: ﴿أي الفريقين خير مقاما﴾ منزلا ومسكنا [وهو موضع الإقامة.

وقرأ ابن كثير: " مقاما " بضم الميم أي إقامة] (٣) .

﴿وأحسن نديا﴾ أي مجلسا ومثله النادي فأجابهم الله تعالى فقال: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا﴾ أي متاعا وأموالا. وقال مقاتل: لباسا وثيابا ﴿ورئيا﴾ قرأ أكثر القراء بالهمز أي: منظرا من "الرؤية" وقرأ ابن عامر وأبو جعفر ونافع غير ورش: "وريا" مشددا بغير همز وله تفسيران: أحدهما هو الأول بطرح الهمز والثاني: من الري الذي هو ضد العطش ومعناه: الارتواء من النعمة فإن المتنعم يظهر فيه ارتواء النعمة والفقير يظهر عليه ذبول الفقر.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في الزهد باب ذكر البعث: ٢ / ١٤٣١ والإمام أحمد في المسند: ٦ / ٢٨٥ وهناد في الزهد: ١ / ٣٢٨ وابن جرير في التفسير: ١٦ / ١١٢ وابن أبي عاصم في السنة: ٢ / ٤١٤ وأخرجه من طريق أخرى الإمام مسلم في فضائل الصحابة بنحوه برقم (٢٤٩٦) : ٤ / ١٩٤٢ والإمام أحمد في المسند: ٦ / ٤٢٠ وأخرجها المصنف في شرح السنة: ١٤ / ١٩٣.

(٢) في "أ" نفرا من.

(٣) ساقط من "أ".." (١)

"عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» .

وقيل: لمعنى الآية تقديم الأفراط.

«٢٥٠» أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٢٥٢/٥

شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة:
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم» [١] .
وقال الكلبي والسدي: وقدموا لأنفسكم، يعني: الخير والعمل الصالح بدليل سياق الآية واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه: صائرون إليه فيجزيكم بأعمالكم، وبشر المؤمنين.

[سورة البقرة (٢) : آية ٢٢٤]

ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم (٢٢٤)

. قوله تعالى: ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم، نزلت في عبد الله بن رواحة كان بينه وبين ختنه [٢] على أخيه بشير بن النعمان الأنصاري شيء، فحلف عبد الله أن لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصمه، وإذا قيل له فيه، قال: قد حلفت بالله أن لا أفعل فلا يحل لي إلا أن [أبر في يميني] [٣] ، فأنزل الله هذه الآية [٤] ، وقال ابن جريج: نزلت في أبي بكر الصديق حين حلف أن لا ينفق على مسطح حين خاض في حديث الإفك [٥] ، والعرضة أصلها الشدة والقوة، ومنه قيل للدابة التي تتخذ للسفر: عرضة لقوتها عليه، ثم قيل لكل ما يصلح لشيء: هو عرضة له، حتى قالوا للمرأة: هي عرضة النكاح إذا صلحت له، والعرضة كل ما يعرض [٦] فيمنع عن الشيء، ومعنى الآية: لا تجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم عن [٧] البر والتقوى، يدعى أحدكم إلى صلة رحم أو بر، فيقول: حلفت بالله أن لا أفعله فيعتل بيمينه في ترك البر، أن تبروا، معناه: أن لا تبروا كقوله تعالى: يبين الله لكم أن تضلوا [النساء: ١٧٦] ، أي: لئلا تضلوا، وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم،

٢٥٠- إسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم، ابن شهاب هو الزهري اسمه محمد بن مسلم.
- وفي «الموطأ» (١/ ٢٣٥) عن الزهري بهذا الإسناد.
- ومن طريق مالك أخرجه البخاري ٦٦٥٦ ومسلم ٢٦٣٢ والترمذي ١٠٦٠ والنسائي (٤/ ٢٥) وابن حبان ٢٩٤٢ والبيهقي (٤/ ٦٧) و (٧/ ٧٨) و (١٠/ ٦٤) .
- وأخرجه البخاري ١٢٥١ ومسلم ٢٦٣٢ وابن ماجه ١٦٠٣ وأحمد (٢/ ٢٣٩) والبغوي في «شرح السنة» ١٥٣٧ من طرق عن سفيان بن عيينة عن الزهري به.
(١) وهو قوله عز وجل في سورة مريم وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) .
(٢) الختن: الصهر- أو كل من كان من قبل المرأة كالأب والأخ اهـ. قاموس.
(٣) في المطبوع «تبر بيميني» .
(٤) باطل لا أصل له. لم ينسبه المصنف لقائل، لأن قائله متروك متهم.
وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٤٨ عن الكلبي بدون إسناد. والكلبي متهم، أقر بالكذب على ابن عباس.
(٥) أخرجه الطبري ٤٣٧١ عن ابن جريج به، وهذا معضل، ليس بشيء.

(٦) في المطبوع «يعترض» .

(٧) في المطبوع «من» .." (١)

"فعجب منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت، فاستأذن ربه عز وجل في زيارته، فأذن له فأتاه في صورة بني آدم، وكان إدريس يصوم الدهر، فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل معه، ففعل ذلك ثلاث ليال فأنكره إدريس، فقال له [إدريس] [١] في الليلة الثالثة: إني أريد أن أعلم من أنت؟ فقال:

أنا ملك الموت استأذنت ربي أن أصحبك، قال: فلي إليك حاجة، قال: وما وهي؟ قال: تقبض روحي، فأوحى الله إليه أن اقبض روحه، فقبض روحه وردها إليه بعد ساعة [بإذن الله تعالى] [٢] قال له ملك الموت: ما الفائدة في سؤالك قبض الروح؟ قال لأذوق كرب الموت وغيمته فأكون [٣] أشد استعدادا له، ثم قال إدريس له: إن لي إليك حاجة أخرى، قال: وما هي؟ قال: ترفعني إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة والنار، فأذن الله [له] [٤] في رفعه، فلما قرب من النار قال: لي [إليك] [٥] حاجة أخرى، قال: وما تريد؟ قال: تسأل مالكا أن يفتح لي أبوابها فأردها ففعل ثم قال: فكما أريتني النار فأرني الجنة، فذهب به إلى الجنة فاستفتح ففتحت أبوابها، فأدخله الجنة، ثم قال له ملك الموت: اخرج لتعود إلى مقرك، فتعلق بشجرة وقال: لا أخرج منها، فبعث الله ملكا حكما بينهما، فقال له الملك: ما لك لا تخرج؟ قال:

لأن الله تعالى قال: كل نفس ذائقة الموت، وقد ذقته، وقال: وإن **منكم إلا واردها** [مريم: ٧١] ، وقد وردتها، وقال: وما هم منها بمخرجين [الحجر: ٤٨] ، فلست أخرج [حين دخلتها] [٦] فأوحى الله [إلى] [٧] ملك الموت: بإذني دخل الجنة وبأمري لا يخرج، فهو حي هناك، فذلك قوله تعالى: ورفعناه مكانا عليا (٥٧) .

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٥٨ الى ٥٩]

أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا (٥٨) فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا (٥٩)

أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم، أي إدريس ونوحا، وممن حملنا مع نوح، أي ومن ذرية من حملنا مع نوح في السفينة، يريد إبراهيم لأنه [من] [٨] ولد سام بن نوح، ومن ذرية إبراهيم، يريد إسماعيل وإسحاق ويعقوب، قوله: وإسرائيل، أي ومن ذرية إسرائيل وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى، وممن هدينا واجتبينا، هؤلاء كانوا ممن أرشدنا واصطفينا، إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا، سجدا جمع ساجد وبكيا جمع باك، أخبر الله أن الأنبياء كانوا إذا سمعوا بآيات الله سجدوا وبكوا.

قوله تعالى: فخلف من بعدهم خلف، أي من بعد النبيين المذكورين خلف وهم قوم سوء والخلف بالفتح الصالح وبالجزم الطالح، قال السدي: أراد بهم اليهود ومن لحق بهم. وقال مجاهد وقتادة: هم قوم في هذه الأمة، أضاعوا الصلاة أي: تركوا

---

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث البغوي ، أبو محمد ٢٩٤/١

الصلاة المفروضة. وقال ابن مسعود وإبراهيم: أخروها عن وقتها، وقال سعيد بن المسيب: هو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر ولا العصر حتى تغرب الشمس،

---

(١) زيادة عن المخطوط.

(٢) زيادة عن المخطوط.

(٣) في المطبوع «وغمه لأكون» .

(٤) زيادة عن المخطوط.

(٥) زيادة عن المخطوط. [.....]

(٦) زيادة عن المخطوط.

(٧) زيادة عن المخطوط.

(٨) سقط من المطبوع.." (١)

"عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح، فقال أخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله، حتى شق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم نزل بعد أيام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أبطأت علي حتى ساء ظني واشتقت إليك» ، فقال له جبريل: إني كنت أشوق [إليك منك] [١] ، ولكن عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست، فأنزل الله وما نتنزل إلا بأمر ربك وأنزل: والضحى (١) والليل إذا سجى (٢) ما ودعك ربك وما قلى (٣) [الضحى: ١- ٣] .

له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك، أي له علم ما بين أيدينا [وما خلفنا] [٢] واختلفوا فيه فقال سعيد بن جبير وقتادة ومقاتل: ما بين أيدينا من أمر الآخرة والثواب والعقاب، وما خلفنا ما مضى من الدنيا، وما بين ذلك ما يكون من هذا الوقت إلى قيام الساعة، وقيل: ما بين أيدينا من أمر الآخرة وما خلفنا من أمر الدنيا وما بين ذلك أي ما بين النفختين وبينهما أربعون سنة. وقيل: ما بين أيدينا ما بقي من الدنيا وما خلفنا ما مضى منها، وما بين ذلك مدة حياتنا. وقيل: ما بين أيدينا بعد أن نموت وما خلفنا قبل أن نخلق وما بين ذلك الهواء يريد أن ذلك كله لله عز وجل فلا نقدر على شيء إلا بأمره. وما كان ربك نسيا، أي ناسيا، يقول: ما نسيك ربك أي ما تركك، والناسي التارك.

رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته، أي اصبر على نهيه وأمره. هل تعلم له سميا، قال ابن عباس رضي الله عنهما [هل تعلم له مثالا] [٣] . وقال سعيد بن جبير: عدلا. وقال الكلبي: هل تعلم أحدا يسمى الله غيره.

ويقول الإنسان، يعني أبي بن خلف الجمحي كان منكرا للبعث، قال: أإذا ما مت لسوف أخرج حيا، من القبر، قاله استهزاء وتكذيبا للبعث.

قال الله عز وجل: أولا يذكر، أي يتذكر ويتفكر، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب يذكر خفيف، الإنسان، يعني أبي بن خلف أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا، أي لا يتفكر هذا الجاحد في بدء خلقه فيستدل به على الإعادة، ثم أقسم

---

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث البغوي ، أبو محمد ٣/٢٣٩

بنفسه، فقال:

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٦٨ الى ٧١]

فو ربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠) وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١)

فو ربك لنحشرنهم أي لنجمعنهم في المعاد يعني المشركين المنكرين للبعث، والشياطين، مع الشياطين، وذلك أنه يحشر كل كافر مع شيطانه في سلسلة، ثم لنحضرنهم حول جهنم

، قيل في جهنم جثيا، قال ابن عباس رضي الله عنه: جماعات، جمع جثوة، وقال الحسن والضحاك: جمع جاث أي جاثين على الركب. قال السدي: قائمين على الركب لضيق المكان.

ثم لننزعن، لنخرجن، من كل شيعة، أي من كل أمة وأهل دين من الكفار. أيهم أشد على الرحمن عتيا، عتوا، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني جرأة. وقال مجاهد: فجورا يريد الأعتى فالأعتى. وقال الكلبي: قائدهم ورأسهم في الشر يريد أنه يقدم في إدخال النار من هو أكبر جرما وأشد

---

(١) زيادة عن المخطوط.

(٢) زيادة عن المخطوط.

(٣) زيادة عن المخطوط.." (١)

"كفرا. وفي بعض الآثار أنهم يحضرون جميعا حول جهنم مسلمين مغلولين، ثم يقدم الأكفر فالأكفر، ورفع أيهم على معنى الذي، يقال لهم: أيهم أشد على الرحمن عتيا. وقيل: على الاستئناف، ثم لننزعن يعمل في موضع من كل شيعة.

ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠) ، أي أحق بدخول النار، يقال: صلي يصلى صليا مثل لقي يلقى لقيا، وصلى يصلي صليا مثل مضى يمضي مضيا، إذا دخل النار وقاسى حرها.

وإن منكم إلا واردها، أي وما منكم إلا واردها، وقيل: القسم فيه [١] مضمر أي والله ما منكم من أحد إلا واردها، والورود هو موافاة المكان، [واختلفوا في معنى الورود هنا] [٢] وفيما تنصرف إليه الكناية في قوله: واردها قال ابن عباس رضي الله عنه وهو قول الأكثرين معنى الورود هاهنا هو الدخول، والكناية راجعة إلى النار، وقالوا: النار يدخلها البر والفاجر، ثم ينجي الله المتقين، فيخرجهم منها، والدليل على أن الورود هو الدخول قول الله عز وجل حكاية عن فرعون: يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار [هود:

٩٨] ، وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار أن (نافع بن الأزرق ما روى ابن عباس) [٣] رضي الله عنهما في الورود، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الدخول. وقال نافع: ليس الورود الدخول، تلا عبد الله بن عباس رضي الله عنه قوله تعالى:

---

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث البغوي ، أبو محمد ٣/٢٤٢

إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون (٩٨) [الأنبياء: ٩٨] أدخلها هؤلاء أم لا؟ ثم قال: يا نافع أما والله أنا وأنت سنردها، وأنا أرجو أن يخرجني الله منها، وما أرى الله عز وجل يخرجك منها بتكذيبك. وقال قوم: ليس المراد من الورود الدخول، وقالوا: النار لا يدخلها مؤمن أبدا، لقوله تعالى: إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون (١٠١) لا يسمعون حسيسها [الأنبياء: ١٠١- ١٠٢] ، وقالوا: كل من دخلها لا يخرج منها، والمراد من قوله: وإن منكم إلا واردها، الحضور والرؤية، لا الدخول، كما قال تعال: ولما ورد ماء مدين [القصص: ٢٣] أراد به الحضور، وقال عكرمة. الآية [في الكفار] [٤] فإنهم يدخلونها ولا يخرجون منها. وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: وإن منكم إلا واردها يعني القيامة والكناية راجعة منها. والأول أصح، وعليه أهل السنة أنهم جميعا يدخلون النار ثم يخرج الله عز وجل منها أهل الإيمان، بدليل قوله تعالى: ثم ننجي الذين اتقوا [مريم: ٧٢] ، أي اتقوا الشرك، وهم المؤمنون. والنجاة إنما تكون مما دخلت فيه لا ما وردت، وقرأ الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف والآخرون بالتشديد، والدليل على هذا ما:

«١٣٩٩» أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري أنا حاجب بن أحمد

١٣٩٩- حديث صحيح. عبد الرحيم بن منيب مجهول، لكن توبع ومن دونه، ومن فوقه رجال البخاري ومسلم، سفيان بن عيينة، الزهري محمد بن مسلم.

- وهو في «شرح السنة» ١٥٣٧ بهذا الإسناد.

- أخرجه البخاري ١٢٥١ ومسلم ٢٦٣٢ ح ١٥٠ وابن ماجه ١٦٠٣ وأحمد ٢/ ٢٣٩ من طرق عن سفيان بن عيينة به.

- أخرجه البخاري ٦٦٥٦ ومسلم ٢٦٣٢ ج ١٥٠ والترمذي ١٠٦٠ والنسائي ٤/ ٢٥ وابن حبان ٢٩٤٢ والبيهقي ٤/ ٦٧ و٧/ ٧٨ و١٠/ ٦٤ من طرق عن مالك عن الزهري به، وهو في «الموطأ» ١/ ٢٣٥.

(١) في المطبوع «في» .

(٢) زيد في المطبوع وط.

(٣) في «الدر المنثور» (٤/ ٢٨٠) : «خاصم نافع بن الأزرق ابن عباس» .

(٤) زيادة عن المخطوط.." (١)

"الطوسي أنا عبد الرحيم بن منيب أنا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم» ، وأراد بالقسم قوله: وإن منكم إلا واردها.

«١٤٠٠» أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] [١] المليحي أنا أحمد [بن عبد الله] [٢] النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا مسلم بن إبراهيم أنا هشام أنا قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يخرج من النار من قال

---

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث البغوي ، أبو محمد ٣/٢٤٣

لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير. ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير.»

وقال أبان عن قتادة: «من إيمان» مكان «خير» .

«١٤٠١» أخبرنا أبو المظفر محمد بن إسماعيل بن علي الشجاعي أنا أبو نصر النعمان بن محمد بن محمود الجرجاني أنا أبو عثمان عمرو بن عبد الله البصري أنا محمد بن عبد الوهاب أنا محمد بن الفضل أبو النعمان أنا سلام بن مسكين أنا أبو الظلال عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أن رجلا في النار ينادي ألف سنة يا حنان يا منان فيقول الله عز وجل لجبير اذهب فائتني بعبدي هذا، قال: فذهب جبريل فوجد أهل النار منكبين يبكون، قال: فرجع [جبريل] [٣] فأخبر ربه عز وجل، قال: اذهب فإنه في موضع كذا وكذا، قال:

فجاء به، قال [الله] [٤] : يا عبدي كيف وجدت مكانك ومقيلك؟ قال: يا رب شر مكان وشر مقيل، قال: ردوا عبدي، قال: ما كنت أرجو أن تعيدني إليها إذ أخرجتني منها، قال الله تعالى لملائكته: دعوا عبدي» .

- وأخرجه مسلم ٢٦٣٢ ح ١٥٠ والبيهقي ٤/ ٦٧ من طريق معمر عن الزهيري به.

- وأخرجه البيهقي ٤/ ٦٨ من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة.

١٤٠٠- إسناده صحيح الى شرط البخاري ومسلم، هشام هو ابن عبد الله الدستوائي، قتادة هو ابن دعامة.

- وهو في «شرح السنة» ٤٢٥٤ بهذا الإسناد.

- وهو في «صحيح البخاري» ٤٤ عن مسلم بن إبراهيم به.

- وأخرجه مسلم ١٩٣ ح ٣٢٥ والترمذي ٢٥٩٣ والطيالسي ١٩٦٦ وأبو يعلى ٢٩٢٧ و٢٩٧٧ و٣٢٧٣ وابن أبي عاصم ٨٥٠ وأبو عوانة ١/ ١٨٤ وابن حبان ٧٤٨٤ من طرق عن هشام به.

- وأخرجه الترمذي ٢٥٩٣ والطيالسي ١٩٦٦ وأبو يعلى ٣٢٧٣ وابن أبي عاصم ٨٥١ وأحمد ٣/ ١٧٣ و٢٧٦ وأبو عوانة ١/ ١٨٤ من طريق شعبة به.

- أخرجه البخاري تعليقا بإثر الحديث ٤٤ عن أبان بن يزيد العطار عن قتادة به.

- وأخرجه البخاري ٧٥٠٩ والآجري في الشريعة ٣٤٥ من طريق أبي بكر بن عياش عن حميد عن أنس.

- وأخرجه أحمد ٣/ ٢٤٧- ٢٤٨ من طريق ثابت عن أنس.

- وأخرجه الحاكم ١/ ٧٠ من طريق عبيد الله بن أبي بكر عن جدة أنس.

- وأخرجه الطبراني في «الصغير» ٢/ ٤١ من طريق عبد الله بن الحارث عن أنس.

١٤٠١- إسناده ضعيف لضعف أبي ظلال واسمه هلال، قيل: ابن أبي هلال، وقيل: ابن أبي مالك، وقيل غير ذلك، جزم الحافظ في «التقريب» بضعفه، ولم يتهمه أحد بكذب.

- وهو في «شرح السنة» ٤٢٥٧ بهذا الإسناد.

- وأخرجه أحمد ٣/ ٢٣٠ وأبو يعلى ٤٢١٠ وابن خزيمة في «التوحيد» ٢/ ٧٤٩- ٧٥٠ وابن حبان في «المجروحين» ٣/

(١) زيادة عن المخطوط.

(٢) زيادة عن المخطوط. [.....]

(٣) زيادة عن المخطوط.

(٤) زيادة عن المخطوط.." (١)

"وأما قوله عز وجل: لا يسمعون حسيسها [الأنبياء: ١٠٢] فقيل: إن الله عز وجل أخبر عن وقت كونهم في الجنة أنهم لا يسمعون حسيسها فيجوز أن يكونوا قد سمعوا ذلك قبل دخولهم الجنة، لأنه لم يقل لم يسمعوا حسيسها ويجوز أن لا يسمعوا حسيسها عند دخولهم إياها، لأن الله عز وجل يجعلها عليهم بردا وسلاما.

وقال خالد بن معدان: يقول أهل الجنة ألم يعدنا ربنا أن نرد النار [قبل أن ندخل الجنة] [١] ، فيقال: بلى ولكنكم مررتم بها، وهي خامدة.

«١٤٠٢» وفي الحديث «تقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي» .

وروي عن مجاهد [في] [٢] قوله عز وجل: وإن **منكم إلا واردها قال**: من حم من المسلمين فقد وردها.

---

٨٦ والبيهقي في «البعث» ٥٣ وفي «الأسماء والصفات» ١٤٠ وابن الجوزي في «الموضوعات» ٣/ ٢٦٧ من طرق عن سلام بن مسكين به.

- وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٣٨٤ وقال: رواه أحمد وأبو يعلى، ورجالهما رجال الصحيح، غير أبي ظلال، وضعفه الجمهور، ووثقه ابن حبان.

- وقال ابن الجوزي: هذا حديث ليس بصحيح قال يحي بن معين: أبو ظلال اسمه هلال ليس بشيء، وقال ابن حبان: كان مغفلا يروي عن أنس ما ليس من حديثه.

- ويشهد لقوله «يا حنان يا منان» حديث أبي ذر عند الحاكم في «معرفة علوم الحديث» ص ١٠٥ وفي إسناده حكيم بن جبير، وهو ضعيف كما في «التقريب» .

- وفيه كثير بن يحيى، وهو ضعيف عنده مناكير، فالخبر ضعيف لا يتقوى مع شاهده لقعود الجابر، ونكارة المتن، والله أعلم.

١٤٠٢- ضعيف منكر. أخرجه ابن عدي في «الكامل» ٦/ ٣٩٤ والطبراني في «الكبير» ٢٢/ ٢٥٨ والواحدي في «الوسيط» ٣/ ٩٢.

وأبو نعيم في «الحلية» ٩/ ٣٢٩ من طرق عن سليم بن منصور بن عمار عن أبيه عن بشير بن طلحة عن خالد بن الدريك عن يعلى بن منية مرفوعا، وإسناده ضعيف جدا لضعيف سليم وأبيه، وبشير بن طلحة غير قوي، وهو منقطع بين خالد ويعلى.

---

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث البغوي ، أبو محمد ٣/٢٤٤

- وقال الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٣٦٠: رواه الطبراني، وفيه سليم بن منصور بن عمار، وهو ضعيف.

- وأخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» ٥/ ١٩٤ من طريق منصور بن عمار عن خالد بن الدريك عن يعلى بن منية وإسناده ضعيف لانقطاعه.

- وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٩/ ٣٢٩ من طريق محمد بن جعفر- صاحب منصور- عن بشير بن طلحة عن خالد عن يعلى به، وإسناده منقطع.

- وأخرجه البيهقي في «الشعب» ٣٧٥ من طريق سليم بن منصور عن أبيه عن الهقل بن زياد عن خالد عن بشير عن يعلى به.

وقال البيهقي: تفرد به سليم بن منصور، وهو منكر.

وانظر «المقاصد الحسنة» للسخاوي ١٠١٠ فالحديث معلول، والمتن منكر.

(١) زيادة عن المخطوط.

(٢) زيادة عن المخطوط.." (١)

"يخرج منها زحفا فيقال له: انطلق فادخل الجنة، قال: فيذهب ليدخل الجنة فيجد الناس قد أخذوا المنازل، فيرجع فيقول: يا رب قد أخذ الناس المنازل، فيقال له: أتذكر الزمان الذي كنت فيه؟ فيقول: نعم فيقال له: تمن، فيتمنى، فيقال له: إن لك الذي تمنيته وعشرة أضعاف الدنيا، قال فيقول: أتسخر بي وأنت الملك [١] ؟ قال: فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه» .

«١٤٠٩» أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا محمد بن حماد أنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر عن حفصة قالت:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد شهد بدرا والحديبية» قالت: قلت يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى: وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا (٧١) [مريم: ٧١] ؟ قال: أفلم [٢] تسمعيه يقول: ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) .

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٧٣ الى ٧٧]

وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (٧٣) وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورءيا (٧٤) قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا (٧٥) ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا (٧٦) أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا (٧٧)

وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات، واضحات، قال الذين كفروا، يعني النضر بن الحارث وذويه من قريش، للذين آمنوا، يعني

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث البغوي ، أبو محمد ٢٤٥/٣

فقراء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة، وكان المشركون يرجلون شعورهم [٣] ويدهنون رؤوسهم ويلبسون [أعز] [٤] ثيابهم، فقالوا للمؤمنين أي الفريقين خير مقاما، منزلا ومسكنا، وهو موضع الإقامة، وقرأ ابن كثير: «مقاما» بضم الميم أي [موضع الإقامة] [٥] ، وأحسن نديا، أي مجلسا، ومثله النادي، فأجابهم الله تعالى فقال:

١٤٠٩- إسناده صحيح، محمد بن حماد هو الأبيوردي ثقة، وقد توبع ومن دونه ومن فوقه رجال البخاري ومسلم سوى أم مبشر، روى لها مسلم دون البخاري، أبو معاوية محمد بن خازم، الأعمش سليمان بن مهران، أبو سفيان طلحة بن نافع، جابر بن عبد الله، أم مبشر هي حميمة بنت صيفي.

- وهو في «شرح السنة» ٣٨٨٩ بهذا الإسناد.

- وأخرجه أحمد ٦/ ٢٨٥ والطبري ٢٣٨٦٠ وأبو يعلى ٧٠٤٤ من طرق عن أبي معاوية بهذا الإسناد.

- وأخرجه أحمد ٦/ ٣٦٢ والطبري ٢٣٨٥٨ من طريق ابن إدريس عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في بيت حفصة ...

- وأخرجه مسلم ٢٤٩٦ وأحمد ٦/ ٤٢٠ من وجه آخر عن أبي الزبير أنه سمع جابر يقول: أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة ...

(١) زيد في المطبوع «الجبار» .

(٢) في «شرح السنة» «فكم» .

(٣) في المطبوع «شعارهم» .

(٤) زيادة عن المخطوط.

(٥) في المطبوع «إقامة» .." (١)

"ذلك في قولهم (إنا قتلنا المسيح) أو يجعل (يقينا) تأكيدا لقوله: (وما قتلوه) كقولك: ما قتلوه حقا أى حق انتفاء قتله حقا. وقيل: هو من قولهم: قتلت الشيء علما ونحرته علما إذا تبلغ فيه علمك. وفيه تهكم، لأنه إذا نفى عنهم العلم نفيا كليا بحرف الاستغراق. ثم قيل: وما علموه علم يقين وإحاطة لم يكن إلا تهكما بهم ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره: وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به. ونحوه: (وما منا إلا له مقام معلوم) ، (وإن منكم إلا واردها) والمعنى: وما من اليهود والنصارى أحد إلا ليؤمنن قبل موته بعيسى، وبأنه عبد الله ورسوله، يعنى: إذا عاين قبل أن تزهق روحه «١» حين لا ينفعه إيمانه لانقطاع وقت التكليف. وعن شهر بن حوشب: قال لي الحجاج: آية ما قرأتها «٢» إلا تخالج في نفسي شيء منها «٣» يعنى هذه الآية، وقال إنى أوتى بالأسير من اليهود والنصارى فأضرب عنقه فلا أسمع منه ذلك، فقلت: إن اليهودي إذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله، أتاك موسى نبيا فكذبت

---

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث البغوي ، أبو محمد ٢٤٩/٣

به فيقول: آمنت أنه عبد نبى. وتقول للنصراني: أتاك عيسى نبيا فزعمت أنه الله أو ابن الله، فيؤمن أنه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه إيمانه. قال: وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر إلى وقال: ممن؟ قلت: حدثني محمد بن على بن الحنفية، فأخذ ينكت الأرض بقضيبه ثم قال: لقد أخذتها من عين صافية، أو من معدنها. قال الكلبي: فقلت له: ما أردت إلى أن تقول حدثني محمد بن على بن الحنفية. قال: أردت أن أغيظه، يعنى بزيادة اسم على، لأنه مشهور بابن الحنفية.

وعن ابن عباس أنه فسره كذلك، فقال له عكرمة: فإن أتاه رجل فضرب عنقه قال: لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه. قال: وإن خر من فوق بيت أو احترق أو أكله سبع قال: يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن «٤» به. وتدل عليه قراءة أبى: إلا ليؤمنن به قبل موتهم، بضم النون على معنى: وإن منهم أحد إلا سيؤمنون به قبل موتهم، لأن أحدا يصلح للجمع. فإن

---

(١) . قال محمود: «يعنى إذا عاين قبل أن تزهق روحه ... الخ» قال أحمد: كقول فرعون لما عاين الهلاك: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل.

(٢) . عاد كلامه. قال محمود: «وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية ما قرأتها ... الخ» . قال أحمد: ويبعد هذا التأويل قوله: (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) فان ظاهره التهديد، ولكن ما أريد بقوله في حق هذه الأمة (ويكون الرسول عليكم شهيدا) والله أعلم.

(٣) . لم أجده. قلت: هو في تفسير الكلبي، رواه عن شهر. ورأيته قديما في كتاب المبتدإ وقصص الأنبياء لوثيمة بسنده من هذا الوجه.

(٤) . لم أجده هكذا. وأخرجه الطبري من رواية أسباط عن السدى قال: قال ابن عباس رضى الله عنهما «ليس من يهودى يموت حتى يؤمن بعيسى بن مريم. فقال له رجل من أصحابه: كيف والرجل يغرق أو يحترق، أو يسقط عليه الجدار أو يأكله السبع؟ فقال: لا تخرج روحه من جسده حتى يقذف فيه الايمان بعيسى عليه الصلاة والسلام." (١)

"لا يطيقون معها القيام على أرجلهم، فيحبون على ركبهم حبوا. وإن فسر بالعموم، فالمعنى أنهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم، على أن جثيا حال مقدرة كما كانوا في الموقف متجاثين، لأنه من توابع التواقف للحساب قبل التوصل إلى الثواب والعقاب. والمراد بالشيعة- وهي «فعلة» كفرقة وفتية- الطائفة التي شاعت «١» ، أى تبعت غاويا من الغواة. قال الله تعالى إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يريد: نمتاز من كل طائفة من طوائف الغى والفساد أعصاهم فأعصاهم، وأعتاهم فأعتاهم. فإذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب. نقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم.

أو أراد بالذين هم أولى به صليا: المنتزعين كما هم، كأنه قال: ثم لنحن أعلم بتصلية هؤلاء، وهم أولى بالصلى من بين سائر الصالين، ودركاتهم أسفل، وعذابهم أشد. ويجوز أن يريد بأشدهم عتيا: رؤساء الشيع وأئمتهم، لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالا ومضلين. قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون، وليحملن

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ١/٥٨٨

أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم واختلف في إعراب أيهم أشد فعن الخليل أنه مرتفع على الحكاية. تقديره: لتنزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد، وسيبويه على أنه مبنى على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته، حتى لو جيء به لأعرب. وقيل: أيهم هو أشد. ويجوز أن يكون النزع واقعا على من كل شيعة، كقوله سبحانه ووهبنا لهم من رحمتنا أى لننزعن بعض كل شيعة، فكأن قائلا قال: من هم؟ فقيل: أيهم أشد عتيا. وأيهم أشد: بالنصب عن طلحة ابن مصرف وعن معاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء. فإن قلت: بم يتعلق على والباء، فإن تعلقهما بالمصدرين لا سبيل إليه؟ قلت: هما للبيان لا الصلة. أو يتعلقان بأفعل، أى: عتوهم أشد على الرحمن، وصليهم أولى بالنار، كقولهم: هو أشد على خصمه، وهو أولى بكذا.

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٧١ الى ٧٢]

وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)

وإن منكم التفات إلى الإنسان، يعضده قراءة ابن عباس وعكرمة رضى الله عنهما:

وإن منهم. أو خطاب للناس «٢» من غير التفات إلى المذكور، فإن أريد الجنس كله فمعنى الورود دخولهم فيها وهي جامدة، فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم. عن ابن عباس رضى الله

---

(١) . قوله «شاعت» في الصحاح: شاعه شياعا: تبعه. (ع)

(٢) . قال محمود: «يحتمل أن يكون استئنافا خطابا للناس، ويحتمل أن يكون التفاتا» قال أحمد: احتمال الالتفات مفرع على إرادة العموم من الأول، فيكون المخاطبون أولا هم المخاطبين ثانيا، إلا أن الخطاب الأول بلفظ الغيبة، والثاني بلفظ الحضور. وأما إذا بنينا على أن الأول إنما أريد منه خصوص على التقديرين جميعا، فالثاني ليس التفاتا، وإنما هو عدول إلى خطاب العامة عن خطاب خاص لقوم معينين، والله أعلم. [.....]."(١)

"وقوله: يقدم قومه يوم القيامة الآية، أخبر الله تعالى في هذه الآية عن فرعون أنه يأتي يوم القيامة مع قومه المغرقين معه، وهو يقدمهم إلى النار: وأوقع الفعل الماضي في فأوردهم موقع المستقبل، لوضوح الأمر وارتفاع الإشكال عنه، ووجه الفصاحة من العرب في أنها تضع أحيانا الماضي موضع المستقبل أن الماضي أدل على وقوع الفعل وحصوله، و «الورود» في هذه الآية هو ورود الدخول وليس بورود الإشراف على الشيء والإشفاء كقوله تعالى: ولما ورد ماء مدين [القصص: ٢٣] وقال ابن عباس: في القرآن أربعة أوراد: وإن منكم إلا واردها [مريم: ٧١] وقوله: ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا [مريم: ٨٦] وهذه في مريم، وفي الأنبياء: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون [الأنبياء: ٩٨] قال: وهي كلها ورد دخول، ثم ينجي الله الذين اتقوا والمورود صفة لمكان الورد- على أن التقدير: وبئس مكان الورد المورود- وقيل: المورود ابتداء والخبر مقدم، والمعنى:

المورود بئس الورد.

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣٤/٣

وقوله: في هذه يريد دار الدنيا، و «اللعنة» إبعادهم بالغرق والاستئصال وقبيح الذكر غابر الدهر، وقوله: ويوم القيامة أي يلعنون أيضا بدخولهم في جهنم، قال مجاهد: فلهم لعنتان، وذهب قوم إلى أن التقسيم هو أن لهم في الدنيا لعنة ويوم القيامة بئس ما يرفدون به فهي لعنة واحدة أولا، وقبح إرفاد آخرا، وقوله: بئس الرفد المرفود أي بئس العطاء المعطي لهم، والرفد في كلام العرب: العطية وسمي العذاب هنا رفدا لأن هذا هو الذي حل محل الرفد، وهذا كما تقول: يا فلان لم يكن خيرك إلا أن تضربني أي لم يكن الذي حل محل الخير منك، والإرفاد: المعونة. ومنه رفادة قريش: معونتهم لفقراء الحج بالطعام الذي كانوا يطعمونه في الموسم.

وقوله: ذلك من أنباء الغيب الآية، ذلك إشارة إلى ما تقدم من ذكر العقوبات النازلة بالأمم المذكورة، و «الأنباء» الأخبار. والقرى يحتمل أن يراد بها القرى التي ذكرت في الآيات المتقدمة خاصة، ويحتمل أن يريد القرى عامة، أي هذه الأنباء المقصوصة عليك هي عوائد المدن إذا كفرت، فيدخل- على هذا التأويل- فيها المدن المعاصرة، ويجيء قوله: منها قائم وحصيد منها عامر ودائر، وهذا قول ابن عباس: وعلى التأويل الأول- في أنها تلك القرى المخصوصة- يكون قوله: قائم وحصيد بمعنى قائم الجدرات ومتهدم لا أثر له، وهذا قول قتادة وابن جريج، والآية بجملتها متضمنة التخويف وضرب المثل للحاضرين من أهل مكة وغيرهم.

قوله عز وجل:

[سورة هود (١١) : الآيات ١٠١ الى ١٠٥]

وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب (١٠١) وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد (١٠٢) إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود (١٠٣) وما نؤخره إلا لأجل معدود (١٠٤) يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد (١٠٥)." (١)

"أصعب وجوهه، والضمير في قوله لنحشرنهم عائد للكفار القائلين ما تقدم، ثم أخبر أنه يقرن بهم الشياطين المغوين لهم. وقوله جثيا جمع جاث كقاعد وقعود وجالس وجلوس وأصله جثووا وليس في كلام العرب واو متطرفة قبلها ضمة فوجب لذلك أن تعل، ولم يعتد هاهنا بالساكن الذي بينهما لخفته وقلة حوله فقلبت ياء فجاء جثويا فاجتمع الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت ياء ثم أدغمت ثم كسرت التاء للتناسب بين الكسرة والياء. وقرأ الجمهور «جثيا» و «صليا» [مريم: ٧٠] بضم الجيم والصاد، وقرأ ابن وثاب وطلحة والأعمش «جثيا» و «صليا» [ذاته] بكسر الجيم والصاد وأخبر الله تعالى أنه يحضر هؤلاء المنكرين للبعث مع الشياطين فيجثون حول جهنم وهي قعدة الخائف الذليل على ركبتيه كالأسير. ونحوه قال قتادة جثيا معناه على ركبهم وقال ابن زيد: الجثي شر الجلوس، و «الشيعة» الفرقة المرتبطة بمذهب واحد المتعاونة فيه كأن بعضهم يشيع بعضا أي ينبه، ومنه تشييع النار بالحطب وهو وقدها به شيئا بعد شيء، ومنه قيل للشجاع مشيع

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢٠٥/٣

القلب فأخبر الله أنه ينزع من كل شيعة أعتاها وأولاها بالعذاب فتكون تلك مقدمتها إلى النار. قال أبو الأحوص: المعنى نبدأ بالأكابر فالأكابر جرما، ثم أخبر تعالى في الآية بعد، أنه أعلم بمستحقي ذلك وأبصر لأنه لم تخف عليه حالهم من أولها إلى آخرها. وقرأ بعض الكوفيين ومعاذ بن مسلم وهارون القاري «أيهم» بالنصب، وقرأ الجمهور «أيهم» بالرفع، إلا أن طلحة والأعمش سكنا ميم «أيهم» واختلف الناس في وجه رفع «أي» ، فقال الخليل رفعه على الحكاية بتقدير الذي يقال فيه من أجل عتوه «أيهم» أشد وقرنه بقول الشاعر: [الكامل]

ولقد أبيت من الفتاة بمنزل ... فأبيت لا حرج ولا محروم

أي فأبيت يقال في لا حرج ولا محروم. ورجح الزجاج قول الخليل وذكر عنه النحاس أنه غلط سيبويه في قوله في هذه المسألة، قال سيبويه: ويلزم على هذا أن يجوز أضرب السارق الخبيث أي الذي يقال له ع: وليس بلازم من حيث هذه أسماء مفردة والآية جملة وتسلط الفعل على المفرد أعظم منه على الجملة، ومذهب سيبويه أن «أيهم» مبني على الضم إذ هي أخت «الذي ولما» وخالفتهما في جواز الإضافة فيها فأعربت لذلك، فلما حذف من صلتها ما يعود عليها ضعفت فرجعت إلى البناء، وكأن التقدير «أيهم» هو أشد. قال أبو علي: حذف ما الكلام مفتقر إليه فوجب البناء، وقال يونس: علق عنها الفعل وارتفعت بالابتداء، قال أبو علي: معنى ذلك أنه معمل في موضع من كل شيعة إلا أنه ملغى لأنه لا تعلق جملة إلا أفعال الشك كظننت ونحوها مما لم يتحقق وقوعه، وقال الكسائي لننزعن أريد به لننادين فعومل معاملة الفعل المراد فلم يعمل في «أي» ، وقال المبرد «أيهم» متعلق ب شيعة فلذلك ارتفع، والمعنى من الذين تشايعوا «أيهم» أشد كأنهم يتبارون إلى هذا ويلزمه أن يقدر مفعولا ل «ننزع» محذوفا. وقرأ طلحة بن مصرف «أيهم أكبر» . وعتيا مصدر أصله عتووا وعلل بما علل جثيا وروى أبو سعيد الخدري «أنه يندلق عنق من النار فيقول إني أمرت بكل جبار عنيد» فتلتقطهم الحديث. قوله عز وجل:

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٧٠ الى ٧٢]

ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠) وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)." (١)

"أي نحن في ذلك النزع لا نضع شيئا غير موضعه لأنا قد أحطنا علما بكل أحد فالأولى بصلي النار نعرفه، و «الصلي» مصدر صلي يصلى إذا باشره قال ابن جريج: المعنى أولى بالخلود، وقوله وإن منكم إلا واردها قسم، والواو تقتضيه، ويفسره قول النبي عليه السلام «من مات له ثلاث من الولد لم تمسه النار إلا تحلة القسم» . وقرأ ابن عباس وعكرمة وجماعة «وإن منهم» بالهاء على إرادة الكفار فلا شغب في هذه القراءة، وقالت فرقة من الجمهور القارئين منكم المعنى قل لهم يا محمد فإنما المخاطب منكم الكفرة وتأويل هؤلاء أيضا سهل التناول، وقال الأكثر المخاطب العالم كله ولا بد من «ورود» الجميع، واختلفوا في كيفية «ورود» المؤمنين فقال ابن مسعود وابن عباس وخالد بن معدان وابن جريج

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤/٢٦

وغيرهم:
«ورود» دخول لكنها لا تعدو على المؤمنين ثم يخرجهم الله منها بعد معرفتهم بحقيقة ما نجوا منه، ورووي عن ابن عباس أنه قال في هذه المسألة لنافع بن الأزرق الخارجي: أما أنا وأنت فلا بد أن نردها، فأما أنا فينجيني الله منها، وأما أنت فما أظنه ينجيك. وقالوا: في القرآن أربعة أوراد معناها الدخول هذه أحدها، وقوله تعالى: يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار [هود: ٩٨] ، وقوله ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا [مريم: ٨٦] ، وقوله إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون [الأنبياء: ٩٨] ، وقالوا كان من دعاء بعض السلف «اللهم أدخلني النار سالما وأخرجني منها غانما» . وروى جابر بن عبد الله عن النبي عليه السلام أنه قال «الورود في هذه الآية هو الدخول» . وأشفق كثير من العلماء من تحقق الورود والجهل بالصدر، وقالت فرقة بل هو ورود إشراف واطلاع وقرب كما تقول وردت الماء إذا جئته، وليس يلزم أن تدخل فيه، قال وحسب المؤمنين بهذا هؤلاء ومنه قوله تعالى: ولما ورد ماء مدين [القصص: ٢٣] ، وروت فرقة أن الله تعالى يجعل يوم القيامة النار جامدة الأعلى كأنها اهالة. فيأتي الخلق كلهم، برهم وفاجرهم، فيقفون عليها ثم تسوخ بأهلها ويخرج المؤمنون الفائزون لم ينلهم ضر، قالوا فهذا هو «الورود» ، وروت حفصة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا يدخل النار أحد من أهل بدر والحديبية» ، فقالت يا رسول الله وأين قول الله وإن منكم إلا واردها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فمه ثم ننجي الذين اتقوا» ، ورجح الزجاج هذا القول بقوله تعالى: إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون [الأنبياء: ١٠١] ع: وهذا ضعيف وليس هذا موضع نسخ وقال عبد الله بن مسعود: ورودهم هو جوازهم على الصراط وذلك أن الحديث الصحيح تضمن «أن الصراط مضروب على جسر جهنم فيمر الناس كالبرق وكالريح وكالجواد من الخيل على مراتب ثم يسقط الكفار في جهنم وتأخذهم كلاليب» ، قالوا فالجواز على الصراط هو «الورود» الذي تضمنته هذه الآية، وقال مجاهد: ورود المؤمنين هو الحمى التي تصيب في دار الدنيا، وفي الحديث «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء» ، وفي الحديث «الحمى حظ كل مؤمن من النار» ، وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل مريض عاده من الحمى: إن الله تعالى يقول هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من نار الآخرة فهذا هو الورود. و «الحتم» الأمر المنفذ المجزوم، وقرأ أبي بن كعب وابن عباس «ثم ننجي» بفتح الثاء من." (١)

"ولما خرج موسى عليه السلام فارا بنفسه منفردا حافيا لا شيء معه، رأى حاله وعدم معرفته بالطريق وخلوه من الزاد وغيره فأسند أمره إلى الله تعالى وقال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل، وهذه الأقوال منه تقتضي أنه كان عارفا بالله تعالى عالما بالحكمة والعلم الذي آتاه الله تعالى، وتوجه، رد وجهه إليها، وتلقاء معناه ناحية، أي إلى الجهة التي يلقى فيها الشيء المذكور، وسواء السبيل معناه وسطه وقويمه، وفي هذا الوقت بعث الله تعالى الملك المسدد حسبما ذكرناه قبل وقال مجاهد: أراد ب سواء السبيل طريق مدين وقال الحسن: أراد سبيل الهدى.

قال القاضي أبو محمد: وهذا أبدع ونظيره قول الصديق عن النبي صلى الله عليه وسلم «هذا الذي يهديني السبيل» الحديث، فمشى عليه السلام حتى ورد مدين أي بلغها، و «وروده الماء» معناه بلغه لا أنه دخل فيه، ولفظة «الورود» قد تكون بمعنى

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢٧/٤

الدخول في المورود، وقد تكون بمعنى الإطلال عليه والبلوغ إليه وإن لم يدخل فيه فورود موسى هذا الماء كان بالوصول إليه، وهذه الوجوه في اللفظة تتأول في قوله تعالى وإن **منكم إلا واردها** [مريم: ٧١] ، ومدين لا ينصرف إذ هي بلدة معروفة، و «الأمة» الجمع الكثير، ويسقون معناه ماشيتهم، ومن دونهم، معناه ناحية إلى الجهة التي جاء منها فوصل إلى «المرأتين» قبل وصوله إلى الأمة وهكذا هما من دونهم بالإضافة إليه، وتذودان معناه تمنعان وتحبسان، ومنه قوله عليه السلام «فليذادن رجال عن حوضي» الحديث، وشاهد الشعر في ذلك كثير، وفي بعض المصاحف «امرأتين حابستين تذودان» ، واختلف في المذود، فقال عباس وغيره تذودان غنمهما عن الماء خوفا من السقاة الأقوياء، وقال قتادة تذودان الناس عن غنمهما، فلما رأى موسى عليه السلام انتزاح المرأتين قال ما خطبكما أي ما أمركما وشأنكما، وكان استعمال السؤال بالخطب إنما هو في مصاب أو مضطهد أو من يشفق عليه أو يأتي بمنكر من الأمر فكأنه بالجملة في شر فأخبرتاه بخبرهما، وأن أباهما شيخ كبير فالمعنى أنه لا يستطيع لضعفه أن يباشر أمر غنمه وأنهما لضعفهما وقلة طاقتهما لا يقدران على مزاحمة الأقوياء وأن عادتهما التأني حتى يصدر الناس عن الماء ويخلى، وحينئذ تردان، وقالت فرقة كانت الآبار مكشوفة وكان زحم الناس يمنعهما، فلما أراد موسى أن يسقي لهما زحم الناس وغلبهم على الماء حتى سقى، فعن هذا الغلب الذي كان منه، وصفته إحداهما بالقوة، وقالت فرقة: بل كانت آبارهم على أفواهها حجارة كبار وكان ورود المرأتين تتبع ما في صهاريج الشرب من الفضلات التي تبقى للسقاة وأن موسى عليه السلام عمد إلى بئر كانت مغطاة والناس يسقون من غيرها وكان حجرها لا يرفعه إلا سبعة، قاله ابن زيد، وقال ابن جريج: عشرة، وقال ابن عباس: ثلاثون، وقال الزجاج: أربعون، فرفعه موسى وسقى للمرأتين، فعن رفع الصخرة وصفته بالقوة، وقيل إن بئرهم كانت واحدة وإنه رفع عنها الحجر بعد انفصال السقاة إذ كانت عادة المرأتين شرب الفضلات، وقرأ الجمهور «نسقي» بفتح النون، وقرأ طلحة «نسقي» بضمها، وقرأ أبو عمرو وابن عامر «حتى يصدر» بفتح الياء وضم الدال وهي قراءة الحسن وأبي جعفر وقتادة، وقرأ الباقون «يصدر» بضم الياء وكسر الدال على حذف المفعول تقديره مواشيهم وحذف المفعول." (١)

"جمهور الناس، وقال علي بن أبي طالب: «كلا ستعلمون في القبور ثم كلا ستعلمون في البعث» ، وقال الضحاك: الزجر الأول وعيده هو للكفار والثاني للمؤمنين، وقرأ مالك بن دينار: «كلا ستعلمون» فيهما، وقوله تعالى: كلا لو تعلمون علم اليقين جواب لو محذوف مقدر في القول أي لازدجرتم وبادرتم إنقاذ أنفسكم من الهلكة، و «اليقين» أعلى مراتب العلم، ثم أخبر تعالى الناس أنهم يرون الجحيم، وقرأ ابن عامر والكسائي: «لترون» بضم التاء، وقرأ الباقون بفتحها وهي الأرجح، وكذلك في الثانية، وقرأ علي بن أبي طالب بفتح التاء الأولى وضمها في الثانية، وروي ضمها عن ابن كثير وعاصم، و «ترون» أصله ترأيون نقلت حركة الهمزة إلى الراء وقلبت الياء ألفا لحركتها بعد مفتوح، ثم حذفت الألف لسكونها.

وسكون الواو بعدها ثم جلبت النون المشددة فحركت الواو بالضم لسكونها وسكون النون الأولى من المشددة إذ قد حذفت نون الإعراب للبناء، وقال ابن عباس: هذا خطاب للمشركين، فالمعنى على هذا أنها رؤية دخول. وصلي وهو عين اليقين، وقال آخرون: الخطاب للناس كلهم، فهي كقوله تعالى:

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤/٢٨٣

وإن منكم إلا واردها [مريم: ٧١] ، فالمعنى أن الجميع يراها، ويجوز الناجي ويتكردس فيها الكافر، وقوله تعالى: ثم لترونها عين اليقين تأكيدا في الخبر، وعين اليقين حقيقته وغايته، وروي عن الحسن وأبي عمرو أنهما همزا «لترؤن» ولترؤنها» بخلاف عنهما، وروى ابن كثير: «ثم لترونها» بضم التاء، ثم أخبر تعالى أن الناس مسؤولون يومئذ عن نعيمهم في الدنيا كيف نالوه ولم آثروه وتتوجه في هذا أسئلة كثيرة بحسب شخص شخص من منقادة لمن أعطي فهما في كتاب الله تعالى، وقال ابن مسعود والشعبي وسفيان ومجاهد: النعيم هو الأمن والصحة، وقال ابن عباس: هو البدن والحواس يسأل المرء فيما استعملها، وقال ابن جبير: هو كل ما يتلذذ به من طعام وشراب، وأكل رسول الله عليه السلام هو وبعض أصحابه رطبا وشربوا عليها ماء فقال لهم: «هذا من النعيم الذي تسألون عنه» ومضى يوما عليه السلام هو وأبو بكر وعمر وقد جاؤوا إلى منزل أبي الهيثم بن التيهان فذبح لهم شاة وأطعمهم خبزا ورطبا واستعذب لهم ماء وكانوا في ظل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لتسألن عن نعيم هذا اليوم» ، وروي عنه عليه السلام أنه قال: «النعيم المسئول عنه كسرة تقوته والماء يرويه وثوب يواريه» ، وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم «أن النعيم المسئول عنه الماء البارد في الصيف» ، وقال عليه السلام: «من أكل خبز البر وشرب الماء البارد فذلك النعيم الذي يسأل عنه» ، وقال عليه السلام: «بيت يكنك وخرقة تواريك وكسرة تشد قلبك، وما سوى ذلك فهو نعيم» . وقال النبي عليه السلام: «كل نعيم فهو مسؤول عنه إلا نعيم في سبيل الله عز وجل» .

نجز تفسير سورة التكاثر." (١)

"٤٧: قال سلام عليك: سلاما عليك: أبو الرهم: ٤/ ١٩ ٥١: إنه كان مخلصا: مخلصا: ابن كثير- نافع- أبو عمرو: ٤/ ٢٠ ٥٨: «إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا» : إذا يتلى: نافع- شيبة- أبو جعفر: ٤/ ٢٢ وبكيا: ابن مسعود- يحيى- الأعمش: ٤/ ٢٢ ٥٩: «فخلف من بعدهم خلف أضاعوا: الصلوات: الحسن- ابن مسعود: ٤/ ٢٢ الصلاة» ٦١: جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب» : جنات» : الحسن- عيسى بن عمر- أبو حيوة: ٤/ ٢٣ جنة عدن» : علي بن صالح- مصحف ابن مسعود: ٤/ ٢٣ ٦٣: «تلك الجنة التي نورث» : نورث: قتادة- الأعمش- الأعرج: ٤/ ٢٣ نورثها: الأعمش: ٤/ ٢٣ ٦٤: «وما نتنزل إلا بأمر ربك: وما تتنزل: الأعرج: ٤/ ٢٤ ٦٧: أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل: يذكر: حمزة: ٤/ ٢٥ يتذكر: أبي بن كعب: ٤/ ٢٥ ٦٩: «ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا» : أيهم: معاذ بن مسلم- هارون وبعض الكوفيين: ٤/ ٢٦ ٧١: وإن منكم إلا واردها: وإن منهم: ابن عباس: ٤/ ٢٧ ٧٢: «ثم ننجي الذين اتقوا» : ثم تنجي: أبي بن كعب- ابن عباس: ٤/ ٢٨ ثمه تنجي: ابن أبي ليلى: ٤/ ٢٨ ثم تنجي: يحيى- الأعمش: ٤/ ٢٨ ثم تنجى: علي بن أبي طالب: ٤/ ٢٨ ٧٣: وإذا تتلى عليهم آياتنا: يتلى: الأعرج- ابن محيصن- أبو حيوة: ٤/ ٢٨ خير مقاما خيرا مقاما: أبي بن كعب- ابن كثير: ٤/ ٢٨ ٧٤: ورءيا: وريا: ابن عباس- طلحة: ٤/ ٢٩ وريا: نافع- أهل المدينة: ٤/ ٢٩ ٧٧: وولدا: وولدا: حمزة- الكسائي: ٤/ ٣٠ ٧٩: «سنكتب ما يقول» : «سيكتب» : عاصم- الأعمش: ٤/ ٣١ ٨٢: «كلا سيكفرون بعبادتهم» : «كلا» : أبو عمرو

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٥١٩/٥

الداني: ٤/ ٣٢ «كلا» : أبو نهيك: ٤/ ٣٢ ٨٩: لقد جئتم شيئا إدا: أدا: أبو عبد الرحمن: ٤/ ٣٣ ٩٣: «إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا» : آت الرحمن: طلحة بن مصرف: ٤/ ٣٤." (١)

"سيبويه «١» هو مبني بتقدير: الذي هو أشد، فلما حذف «هو» واطرد الحذف صار كبعض الاسم فبني.

٧١ وإن منكم إلا واردها: ورود حضور ومرور «٢» . وقال رجل من الصحابة- لآخر: أيقنت بالورود؟ قال: نعم، قال: وأيقنت بالصدر؟ قال:

لا، قال: ففيم الضحك؟ ففيم التثاقل «٣» ؟!.

٧٣ نديا: مجلسا «٤» ، ندوت القوم أندوهم: جمعتهم فندوا:

اجتمعوا «٥» .

٧٤ ورءيا: مهموزا «٦» على وزن «رعي» اسم المرئي، رأيته رؤية ورأيا، والمصدر رئي كالرعي والرعي، أي: أحسن متاعا ومنظرا «٧» .

---

(١) الكتاب: ٢/ ٣٩٨.

(٢) أخرج الطبري نحو هذا القول في تفسيره: ١٦/ ١١٠ عن قتادة.

ونقله ابن الجوزي في زاد المسير: ٥/ ٢٥٦ عن عبيد بن عمير.

(٣) نقل ابن الجوزي في زاد المسير: ٥/ ٢٥٥ عن الحسن البصري أنه قال: «قال رجل لأخيه:

يا أخي أتاك إنك وارد النار؟ قال: نعم، قال: فهل أتاك أنك خارج منها؟ قال: لا، قال:

ففيم الضحك؟!» .

وأورد نحوه القرطبي في التذكرة: ٤٠٤ عن الحسن رحمه الله تعالى.

قال القرطبي رحمه الله: «وقد أشفق كثير ممن تحقق الورود، والجهل بالصدر. كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه يقول: ليت أمي لم تلدني. فتقول له امرأته: يا أبا ميسرة إن الله قد أحسن إليك وهداك إلى الإسلام، قال: أجل، ولكن الله قد بين لنا أنا واردو النار ولم يبين لنا أنا صادرون» .

(٤) معاني القرآن للفراء: ٢/ ١٧١، ومجاز القرآن لأبي عبيدة: ٢/ ١٠، وغريب القرآن لليزيدي: ٢٤١.

(٥) اللسان: ١٥/ ٣١٧ (ندى) .

(٦) قراءة عاصم، وابن كثير، وأبي عمرو، وحمزة، والكسائي.

ينظر السبعة لابن مجاهد: ٤١١، وحجة القراءات: ٤٤٦، والتبصرة لمكي: ٢٥٦. [.....]

(٧) معاني القرآن للفراء: ٢/ ٧١، وغريب القرآن لليزيدي: ٢٤١، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ٢٧٥.." (٢)

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٧٢/٦

(٢) إيجاز البيان عن معاني القرآن النيسابوري، بيان الحق ٥٤١/٢

"به، ومثله وإن منكم إلا واردها «١» . وفي أهل الكتاب قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله ابن عباس.
والثاني: اليهود والنصارى، قاله الحسن، وعكرمة. وفي هاء «به» قولان: أحدهما: أنها راجعة إلى عيسى، قاله ابن عباس: والجمهور. والثاني: أنها راجعة إلى محمد صلى الله عليه وسلم، قاله عكرمة. وفي هاء «موته» قولان «٢» :
أحدهما: أنها ترجع إلى المؤمن. روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ليس يهودي يموت أبدا حتى يؤمن بعيسى، فقيل لابن عباس: إن خر من فوق بيت؟ قال: يتكلم به في الهوي «٣» . قال:
وهي في قراءة أبي: «قبل موتهم» ، وهذا قول مجاهد، وسعيد بن جبير. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: يؤمن اليهودي قبل أن يموت، ولا تخرج روح النصراني حتى يشهد أن عيسى عبد. وقال عكرمة:
لا تخرج روح اليهودي والنصراني حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم.
والثاني: أنها تعود إلى عيسى، روى عطاء عن ابن عباس قال: إذا نزل إلى الأرض لا يبقى يهودي ولا نصراني، ولا أحد يعبد غير الله إلا اتبعه، وصدقه، وشهد أنه روح الله، وكلمته، وعبده

---

(١) سورة مريم: ٧١.
(٢) قال الإمام الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٣٦٠: وأولى الأقوال بالصواب والصحة، قول من قال: تأويل ذلك: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موته. وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ١/ ٥٩٠: لا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك، ثم إنه رفعه إليه وإنه باق حي وإنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة، فيقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، يعني لا يقبلها من أحد من أهل الأديان بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف، فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم ولهذا قال: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته أي موت عيسى عليه السلام الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصلب ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا أي بأعمالهم التي شاهدها قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله إلى الأرض.
فأما من فسر هذه الآية بأن المعنى أن كل كتابي لا يموت حتى يؤمن بعيسى أو بمحمد عليهما الصلاة والسلام، فهذا هو الواقع، وذلك أن كل واحد عند احتضاره ينجلي له ما كان جاهلا به فيؤمن به ولكن لا يكون ذلك إيمانا نافعا له إذا كان قد شاهد الملك كما قال الله تعالى في أول هذه السورة: وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن الآية وقال تعالى: فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده الآيتين، وهذا يدل على ضعف ما احتج به ابن جرير في رد هذا القول حيث قال: ولو كان المراد بهذه الآية هذا لكان كل من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم أو بالمسيح ممن كفر بهما يكون على دينهما حينئذ لا يرثه أقرباؤه من أهل دينه لأنه قد أخبر الصادق أنه يؤمن به قبل موته، فهذا ليس بجيد إذ لا يلزم من إيمانه في حالة لا ينفعه إيمانه أنه يصير بذلك مسلما ألا ترى قول ابن عباس: ولو تردى من شاهق أو

ضرب سيف أو افترسه سبع فإنه لا بد أن يؤمن بعيسى فالإيمان به في هذه الحال ليس بنافع ولا ينقل صاحبه عن كفره لما قدمناه والله أعلم. ومن تأمل هذا جيدا وأمعن النظر اتضح له أنه هو الواقع لكن لا يلزم منه أن يكون المراد بهذه الآية هذا بل المراد بها ما ذكرناه من تقرير وجود عيسى عليه السلام وبقاء حياته في السماء وأنه سينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة ليكذب هؤلاء وهؤلاء من اليهود والنصارى الذين تباينت أقوالهم فيه وتصادمت وتعاكست وتناقضت وخلت عن الحق.

(٣) في «اللسان» : هوى، يهوي هويا: إذا سقط من فوق إلى أسفل.." (١)

"فاستأذن الله في خلته، فأذن له، فهبط إليه في صورة آدمي، وكان يصحبه، فلما عرفه، قال: إني أسألك حاجة، قال: ما هي؟ قال: تذيقني الموت، فلعلي أعلم ما شدته فأكون له أشد استعدادا فأوحى الله إليه أن اقبض روحه ساعة ثم أرسله، ففعل، ثم قال: كيف رأيت؟ قال: كان أشد مما بلغني عنه، وإني أحب أن تريني النار، قال: فحمله، فأراه إياها قال: إني أحب أن تريني الجنة، فأراه إياها، فلما دخلها وطاف فيها، قال له ملك الموت: اخرج، فقال: والله لا أخرج حتى يكون الله تعالى يخرجني فبعث الله ملكا فحكم بينهما، فقال: ما تقول يا ملك الموت؟ فقص عليه ما جرى فقال: ما تقول يا إدريس؟ قال: إن الله تعالى قال: كل نفس ذائقة الموت «١» وقد ذقته، وقال: وإن **منكم إلا واردها** «٢» ، وقد وردتها، وقال لأهل الجنة: وما هم منها بمخرجين «٣» ، فو الله لا أخرج حتى يكون الله يخرجني فسمع هاتفا من فوقه يقول: باذني دخل وبأمري فعل فخل سبيله هذا معنى ما رواه زيد بن أسلم مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

فإن سأل سائل فقال: من أين لإدريس هذه الآيات، وهي في كتابنا؟! فقد ذكر ابن الأنباري عن بعض العلماء، قال: كان الله تعالى قد أعلم إدريس بما ذكر في القرآن من وجوب الورود، وامتناع الخروج من الجنة، وغير ذلك فقال ما قاله بعلم.

والثاني: أن ملكا من الملائكة استأذن ربه أن يهبط إلى إدريس، فأذن له، فلما عرفه إدريس، قال: هل بينك وبين ملك الموت قرابة؟ قال: ذاك أخي من الملائكة، قال: هل تستطيع أن تنفعني عند ملك الموت؟ قال: سأكلمه فيك، فيرفق بك، اركب بين جناحي، فركب إدريس، فصعد به إلى السماء، فلقي ملك الموت، فقال: إن لي إليك حاجة، قال أعلم ما حاجتك، تكلمني في إدريس وقد محي اسمه من الصحيفة ولم يبق من أجله إلا نصف طرفة عين؟! فمات إدريس بين جناحي ملك، رواه عكرمة عن ابن عباس «٤» وقال أبو صالح عن ابن عباس: فقبض ملك الموت روح إدريس في السماء السادسة.

والثالث: أن إدريس مشى يوما في الشمس، فأصابه وهجها، فقال: اللهم خفف ثقلها عمن يحملها، يعني به الملك الموكل بالشمس، فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف، فسأل الله تعالى عن ذلك، فقال: إن عبدي إدريس سألني أن أخفف عنك حملها وحرها، فأجبته، فقال: يا رب اجمع بيني وبينه، واجعل بيننا خلة، فأذن له، فأتاه، فكان مما قاله إدريس: اشفع لي إلى ملك الموت ليؤخر أجلي، فقال: إن الله لا يؤخر نفسا إذا جاء أجلها، ولكن أكلمه فيك، فما كان مستطيعا أن يفعل بأحد من بني آدم فعل بك ثم حمله الملك على جناحه، فرفعه إلى السماء، فوضعه عند مطلع الشمس، ثم أتى ملك الموت فقال: إن لي إليك حاجة صديق لي من بني آدم تشفع بي إليك لتؤخر أجله، قال: ليس ذاك إلي، ولكن إن أحببت أعلمته متى يموت، فنظر في ديوانه،

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٤٩٦/١

(١) سورة آل عمران: ١٨٥.

(٢) سورة مريم: ٧١.

(٣) سورة الحجر: ٤٨.

(٤) هذه الآثار مصدرها كتب الأقدمين، لا حجة في شيء منها.." (١)

"قوله تعالى: فاعبده أي: وحده، لأن عبادته بالشرك ليست عبادة، واصطبر لعبادته أي: اصبر على توحيده وقيل: على أمره ونهيه. قوله تعالى: هل تعلم له سميا روى هارون عن أبي عمرو أنه كان يدغم «هل تعلم» ، ووجهه أن سيبويه يجيز إدغام اللام في التاء والثاء والدال والزاي والسين والصاد والطاء، لأن آخر مخرج من اللام قريب من مخارجهن، قال أبو عبيدة: إذا كان بعد «هل» تاء، ففيه لغتان وبعضهم يبين لام «هل» ، وبعضهم يدغمها. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: مثلا وشبها، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة. والثاني: هل تعلم أحدا يسمى «الله» غيره، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: هل تعلم أحدا يستحق أن يقال له: خالق وقادر، إلا هو، قاله الزجاج.

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٦٦ الى ٧٢]

ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا (٦٦) أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٧) فو ربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠)

وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)

قوله تعالى: ويقول الإنسان.

(٩٦٥) سبب نزولها أن أبي بن خلف أخذ عظما باليا، فجعل يفته بيده ويذريه في الريح ويقول: زعم لكم محمد أن الله يبعثنا بعد أن نكون مثل هذا العظم البالي، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وروى عطاء عن ابن عباس: أنه الوليد بن المغيرة.

قوله تعالى: لسوف أخرج حيا إن قيل: ظاهره ظاهر سؤال، فأين جوابه؟ فعنه ثلاثة أجوبة ذكرها ابن الأنباري: أحدها: أن ظاهر الكلام استفهام، ومعناه معنى جحد وإنكار، تلخيصه: لست مبعوثا بعد الموت. والثاني: أنه لما استفهم بهذا الكلام عن البعث، أجابه الله عز وجل بقوله: أولا يذكر الإنسان، فهو مشتمل على معنى: نعم، وأنت مبعوث. والثالث: أن جواب سؤال هذا الكافر في يس عند قوله عز وجل: وضرب لنا مثلا «١» ، ولا ينكر بعد الجواب، لأن القرآن كله بمنزلة الرسالة الواحدة، والسورتان مكيتان.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ١٣٦/٣

قوله تعالى: أولا يذكر الإنسان قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: بفتح الذال مشددة الكاف. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر: «يذكر» ساكنة الذال خفيفة. وقرأ أبي بن كعب، وأبو المتوكل الناجي أو لا يتذكر الإنسان: بياء وتاء. وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن: «يذكر» بياء من غير تاء ساكنة الذال مخففة مرفوعة الكاف، والمعنى: أولا يتذكر

باطل. عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وراوية أبي صالح هو الكلبي، وقد رويا عن ابن عباس تفسيرا موضوعا. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦٠٩ عن الكلبي بدون إسناد. والصواب عموم الآية.

---

(١) سورة يس: ٧٨.." (١)

"هذا الجاحد أول خلقه، فيستدل بالابتداء على الإعادة؟! فو ربك لنحشرنهم يعني: المكذبين بالبعث والشياطين أي: مع الشياطين، وذلك أن كل كافر يحشر مع شيطانه في سلسلة، ثم لنحضرنهم حول جهنم قال مقاتل: أي: في جهنم، وذلك أن حول الشيء يجوز أن يكون داخله، تقول: جلس القوم حول البيت: إذا جلسوا داخله مطيفين به. وقيل: يجثون حولها قبل أن يدخلوها. فأما قوله: جثيا فقال الزجاج: هو جمع جاث، مثل قاعد وقعود، وهو منصوب على الحال، والأصل ضم الجيم، وجاء كسرها إتباعا لكسرة الثاء. وللمفسرين في معناه خمسة أقوال: أحدها: قعودا، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: جماعات جماعات، وروي عن ابن عباس أيضا. فعلى هذا هو جمع جثوة وهي المجموع من التراب والحجارة. والثالث: جثيا على الركب، قاله الحسن، ومجاهد والزجاج. والرابع:

قياما، قاله أبو مالك. والخامس: قياما على ركبهم، قاله السدي، وذلك لضيق المكان بهم.

قوله تعالى: لننزعن من كل شيعة أي: لنأخذن من كل فرقة وأمة وأهل دين أيهم أشد على الرحمن عتيا أي: أعظمهم له معصية، والمعنى: أنه يبدأ بتعذيب الأعتى فالأعتى، وبالأكابر جرما، والرؤوس القادة في الشر. قال الزجاج: وفي رفع «أيهم» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه على الاستئناف، ولم تعمل «لننزعن» شيئا، وهذا قول يونس. والثاني: أنه على معنى الذي يقال لهم: أيهم أشد على الرحمن عتيا؟ قاله الخليل، واختاره الزجاج، وقال: التأويل: لننزعن الذي من أجل عتوه يقال: أي هؤلاء أشد عتيا؟ وأنشد:

ولقد أبيت عن الفتاة بمنزل ... فأبيت لا حرج ولا محروم

أي: أبيت بمنزلة الذي يقال له: لا هو حرج ولا محرم.

والثالث: أن «أيهم» مبنية على الضم، لأنها خالفت أخواتها، فالمعنى: أيهم هو أفضل. وبيان خلافها لأخواتها أنك تقول: اضرب أيهم أفضل. ولا يحسن: اضرب من أفضل، حتى تقول: من هو أفضل، ولا يحسن: كل ما أطيب، حتى تقول: ما هو أطيب، ولا خذ ما أفضل، حتى تقول: الذي هو أفضل، فلما خالفت «ما» و «من» و «الذي» بنيت على الضم،

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣/١٤١

قاله سيبويه.

قوله تعالى: هم أولى بها صليا يعني: أن الأولى بها صليا الذين هم أشد عتيا فيبتدأ بهم قبل أتباعهم. و «صليا» : منصوب على التفسير، يقال: صلي النار يصلاها: إذا دخلها وقاسى حرها. قوله تعالى: وإن **منكم إلا واردها في** الكلام إضمار تقديره: وما منكم أحد إلا وهو واردها. وفيمن عني بهذا الخطاب قولان: أحدهما: أنه عام في حق المؤمن والكافر، هذا قول الأكثرين. وروي عن ابن عباس أنه قال: هذه الآية للكفار. وأكثر الروايات عنه كالقول الأول. قال ابن الأنباري: ووجه هذا أنه لما قال: لنحضرنهم وقال: أيهم أشد على الرحمن عتيا كان التقدير وإن منهم، فأبدلت الكاف من الهاء، كما فعل في قوله: إن هذا كان لكم جزاء «١» المعنى: كان لهم، لأنه مردود على قوله:

وسقاهم ربهم «٢» ، وقال الشاعر:

شطت مزار العاشقين وأصبحت ... عسرا علي طلابك ابنة مخرم

---

(١) سورة الإنسان: ٢٢.

(٢) سورة الإنسان: ٢١.." (١)

"حظ كل مؤمن من النار، ثم قرأ: وإن **منكم إلا واردها فعلى** هذا من حم من المسلمين، فقد وردها.

قوله تعالى: كان على ربك يعني: الورد حتما والحتم: ايجاب القضاء، والقطع بالأمر.

والمقضي: الذي قضاه الله تعالى، والمعنى: إنه حتم ذلك وقضاه على الخلق.

قوله تعالى: ثم ننجي الذين اتقوا وقرأ ابن عباس، وأبو مجلز، وابن يعمر، وابن أبي ليلى، وعاصم الجحدري: «ثم» بفتح الثاء. وقرأ الكسائي، ويعقوب: «ننجي» مخففة. وقرأت عائشة، وأبو بحرية، وأبو الجوزاء الربعي: «ثم ينجي» بياء مرفوعة قبل النون خفيفة الجيم مكسورة. وقرأ أبي بن كعب، وأبو مجلز، وابن السميفع، وأبو رجاء: «ننحي» بحاء غير معجمة مشددة. وهذه الآية يحتج بها القائلون بدخول جميع الخلق، لأن النجاة: تخليص الواقع في الشيء، ويؤكده قوله تعالى: ونذر الظالمين فيها ولم يقل: وندخلهم وإنما يقال: نذر ونترك لمن قد حصل في مكانه. ومن قال: إن الورود للكفار خاصة، قال: معنى هذا الكلام: نخرج المتقين من جملة من يدخل النار. والمراد بالمتقين: الذين اتقوا الشرك، وبالظالمين: الكفار، وقد سبق معنى قوله عز وجل: جثيا.

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٧٣ الى ٧٤]

وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (٧٣) وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورءيا (٧٤)

قوله تعالى: وإذا تتلى عليهم يعني: المشركين آياتنا يعني: القرآن قال الذين كفروا يعني:

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ١٤٢/٣

مشركي قريش للذين آمنوا أي: لفقراء المؤمنين أي الفريقين خير مقاما قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر، وحفص عن عاصم مقاما بفتح الميم وقرأ ابن كثير بضم الميم.

قال أبو علي الفارسي: المقام: اسم المثوى، إن فتحت الميم أو ضمت.

قوله تعالى: وأحسن نديا والندي والنادي: مجلس القوم ومجتمعهم. وقال الفراء: الندي والنادي، لغتان. ومعنى الكلام: أنحن خير، أم أنتم؟ فافتخروا عليهم بالمساكن والمجالس، فأجابهم الله تعالى فقال: وكم أهلكنا قبلهم من قرن وقد بينا معنى القرن في الأنعام «١» وشرحنا الأثاث في النحل «٢» .

فأما قوله تعالى: ورءيا فقرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «ورئيا» بهمزة بين الراء والياء في وزن: «رعيا» قال الزجاج: ومعناها: منظرا، من «رأيت» . وقرأ نافع، وابن عامر: «ريا» بياء مشددة من غير همز، قال الزجاج: لها تفسيران. أحدهما: أنها بمعنى الأولى.

والثاني: أنها من الري، فالمعنى: منظرهم مرتو من النعمة، كأن النعيم بين فيهم. وقرأ ابن عباس، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وابن أبي سريج عن الكسائي: «زيا» بالزاي المعجمة مع تشديد الياء من غير همز. قال الزجاج: ومعناها: حسن هيئتهم.

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٧٥ الى ٧٦]

قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا (٧٥) ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا (٧٦)

---

(١) سورة الأنعام: ٦.

(٢) سورة النحل: ٨٠.." (١)

"والمراد من العزة كمال القدرة، ومن الحكمة كمال العلم، فنبه بهذا على أن رفع عيسى من الدنيا إلى السموات وإن كان كالمتعذر على البشر لكنه لا تعذر فيه بالنسبة إلى قدرتي وإلى حكمتي، وهو نظير قوله تعالى: سبحان الذي أسرى بعبده ليلا [الإسراء: ١] فإن الإسراء وإن كان متعذرا بالنسبة إلى قدرة محمد إلا أنه سهل بالنسبة إلى قدرة الحق سبحانه ثم قال تعالى:

[سورة النساء (٤) : آية ١٥٩]

وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا (١٥٩)

واعلم أنه تعالى لما ذكر فضائح اليهود وقبائح أفعالهم وشرح أنهم قصدوا قتل عيسى عليه السلام وبين أنه ما حصل لهم ذلك المقصود، وأنه حصل لعيسى أعظم المناصب وأجل المراتب بين تعالى أن هؤلاء اليهود الذين كانوا مبالغين في عداوته لا

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ١٤٤/٣

يخرج أحد منهم من الدنيا إلا بعد أن يؤمن به فقال: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته.
واعلم أن كلمة (إن) بمعنى (ما) النافية كقوله وإن **منكم إلا واردها** [مريم: ٧١] فصار التقدير:
وما أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به. ثم إنا نرى أكثر اليهود يموتون ولا يؤمنون بعيسى عليه السلام.
والجواب من وجهين: الأول: ما روي عن شهر بن حوشب قال: قال الحجاج إني ما قرأتها إلا وفي نفسي منها شيء، يعني هذه الآية فإني أضرب عنق اليهودي ولا أسمع منه ذلك. فقلت: إن اليهودي إذا حضره الموت ضربت الملائكة وجهه ودبره، وقالوا يا عدو الله أتاك عيسى نبيا فكذبت به، فيقول آمنت أنه عبد الله، وتقول للنصراني: أتاك عيسى نبيا فزعمت أنه هو الله وابن الله، / فيقول: آمنت أنه عبد الله فأهل الكتاب يؤمنون به، ولكن حيث لا ينفعهم ذلك الإيمان، فاستوى الحجاج جالسا وقال: عمن نقلت هذا؟ فقلت: حدثني به محمد بن علي بن الحنفية فأخذ ينكت في الأرض بقضيب ثم قال: لقد أخذتها من عين صافية. وعن ابن عباس أنه فسره كذلك فقال له عكرمة: فإن خر من سقف بيت أو احترق أو أكله سبع قال: يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به، ويدل عليه قراءة أبي إلا ليؤمنن به قبل موته بضم النون على معنى وإن منهم أحد إلا سيؤمنون به قبل موتهم لأن أحدا يصلح للجمع، قال صاحب «الكشاف» : والفائدة في إخبار الله تعالى بإيمانهم بعيسى قبل موتهم أنهم متى علموا أنه لا بد من الإيمان به لا محالة فلأن يؤمنوا به حال ما ينفعهم ذلك الإيمان أولى من أن يؤمنوا به حال ما لا ينفعهم ذلك الإيمان.
والوجه الثاني: في الجواب عن أصل السؤال: أن قوله قبل موته أي قبل موت عيسى، والمراد أن أهل الكتاب الذين يكونون موجودين في زمان نزوله لا بد وأن يؤمنوا به: قال بعض المتكلمين: إنه لا يمنع نزوله من السماء إلى الدنيا إلا أنه إنما ينزل عند ارتفاع التكاليف أو بحيث لا يعرف، إذ لو نزل مع بقاء التكاليف على وجه يعرف أنه عيسى عليه السلام لكان إما أن يكون نبيا ولا نبي بعد محمد عليه الصلاة والسلام، أو غير نبي وذلك غير جائز على الأنبياء، وهذا الإشكال عندي ضعيف لأن انتهاء الأنبياء إلى مبعث محمد صلى الله عليه وسلم، فعند مبعثه انتهت تلك المدة، فلا يبعد أن يصير بعد نزوله تبعا لمحمد عليه الصلاة والسلام.
ثم قال تعالى: ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا قيل: يشهد على اليهود أنهم كذبوه وطعنوا فيه، وعلى النصارى أنهم أشركوا به، وكذلك كل نبي شاهد على أمته ثم قال تعالى:." (١)

"قوله: ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا وهذا الإحضار يكون قبل إدخالهم جهنم ثم إنه تعالى يحضرهم على أذل صورة لقوله تعالى: جثيا لأن البارك على ركبتيه صورته صورة الذليل أو صورته صورة العاجز، فإن قيل هذا المعنى حاصل للكل بدليل قوله تعالى: وترى كل أمة جاثية [الجاثية: ٢٨] والسبب فيه جريان العادة أن الناس في مواقف المطالبات من/ الملوك يتجاثون على ركبهم لما في ذلك من الاستنظار والقلق، أو لما يدهمهم من شدة الأمر الذي لا يطيقون معه القيام على أرجلهم، وإذا كان هذا عاما للكل فكيف يدل على مزيد ذل الكفار؟ قلنا: لعل المراد أنهم يكونون من وقت الحشر إلى وقت الحضور في الموقف على هذه الحالة وذلك يوجب مزيد الذل في حقهم. وثالثها: قوله: ثم لننزعن من كل شيعة أيهم

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٦٣/١١

أشد على الرحمن عتيا والمراد بالشيعة وهي فعلة كفرقة وفئة الطائفة التي شاعت أي تبعت غاويا من الغواة قال تعالى: إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا [الأنعام: ١٥٩] والمراد أنه تعالى يحضرهم أولا حول جهنم جثيا ثم يميز البعض من البعض فمن كان أشدهم تمردا في كفره خص بعذاب أعظم لأن عذاب الضال المضل يجب أن يكون فوق عذاب من يضل تبعا لغيره، وليس عذاب من يتمرد ويتجبر كعذاب المقلد وليس عذاب من يورد الشبه في الباطل كعذاب من يقتدي به مع الغفلة قال تعالى: الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون [النحل: ٨٨] . وقال: وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم [العنكبوت: ١٣] فبين تعالى أنه ينزع من كل فرقة من كان أشد عتوا وأشد تمردا ليعلم أن عذابه أشد، ففائدة هذه التمييز التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص بأصل العذاب، فلذلك قال في جميعهم: ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا ولا يقال أولى إلا مع اشتراك القوم في العذاب، واختلفوا في إعراب أيهم فعن الخليل أنه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد وسيبويه على أنه مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلة حتى لو جيء به لأعرب وقيل أيهم هو أشد.

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٧١ الى ٧٢]

وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)

واعلم أنه تعالى لما قال من قبل: فو ربك لنحشرنهم والشياطين [مريم: ٦٨] ثم قال: ثم لنحضرنهم حول جهنم [مريم: ٦٨] أردفه بقوله: وإن منكم إلا واردها يعني جهنم واختلفوا فقال بعضهم المراد من تقدم ذكره من الكفار فكنى عنهم أولا كناية الغيبة ثم خاطب خطاب المشافهة، قالوا: إنه لا يجوز للمؤمنين أن يردوا النار ويدل عليه أمور: أحدها: قوله تعالى: إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون [الأنبياء: ١٠١] والمبعد عنها لا يوصف بأنه واردها. والثاني: قوله: لا يسمعون حسيسها [الأنبياء: ١٠٢] ولو وردوا جهنم لسمعوا حسيسها. وثالثها: قوله: وهم من فزع يومئذ آمنون [النحل: ٨٩] وقال الأكثرون:

إنه عام في كل مؤمن وكافر لقوله تعالى: وإن منكم إلا واردها فلم يخص. وهذا الخطاب مبتدأ/ مخالف للخطاب الأول، ويدل عليه قوله: ثم ننجي الذين اتقوا أي من الواردين من اتقى ولا يجوز أن يقال: ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا إلا والكل واردون والأخبار المروية دالة على هذا القول، ثم هؤلاء اختلفوا في تفسير الورود فقال بعضهم: الورود الدنو من جهنم وأن يصيروا حولها وهو موضع المحاسبة، واحتجوا على أن الورود قد يراد به القرب بقوله تعالى: فأرسلوا واردهم [يوسف: ١٩] ومعلوم أن ذلك." (١)

"الوارد ما دخل الماء وقال تعالى: ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون [القصص: ٢٣] وأراد به القرب. ويقال: وردت القافلة البلدة وإن لم تدخلها فعلى هذا معنى الآية أن الجن والإنس يحضرون حول جهنم: كان على ربك حتما مقضيا [مريم: ٧١] أي واجبا مفروغا منه بحكم الوعيد ثم ننجي أي نبعد الذين اتقوا عن جهنم وهو المراد من

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢١/٥٥٧

قوله تعالى: أولئك عنها مبعدون [الأنبياء: ١٠١] ومما يؤكد هذا القول ما

روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية فقالت حفصة: أليس الله يقول: وإن **منكم إلا واردها فقال** عليه السلام فمه ثم ننجي الذين اتقوا» ،

ولو كان الورود عبارة عن الدخول لكان سؤال حفصة لازما. القول الثاني: أن الورود هو الدخول ويدل عليه الآية والخبر، أما الآية فقوله تعالى: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون

[الأنبياء: ٩٨] وقال: فأوردهم النار وبئس الورد المورود [هود: ٩٨] ويدل عليه قوله تعالى: أولئك عنها مبعدون والمبعد هو الذي لولا التبعيد لكان قريبا فهذا إنما يحصل لو كانوا في النار، ثم إنه تعالى يبعدهم عنها ويدل عليه قوله تعالى: ونذر الظالمين فيها جثيا وهذا يدل على أنهم يبقون في ذلك الموضع الذي وردوه وهم إنما يبقون في النار فلا بد وأن يكونوا قد دخلوا النار، وأما الخبر فهو

أن عبد الله بن رواحة قال: «أخبر الله عن الورود ولم يخبر بالصدور، فقال عليه السلام: يا ابن رواحة اقرأ ما بعدها ثم ننجي الذين اتقوا» ،

وذلك يدل على أن ابن رواحة فهم من الورود الدخول والنبي صلى الله عليه وسلم ما أنكر عليه في ذلك

وعن جابر: «أنه سئل عن هذه الآية فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما حتى إن للناس ضجيجا من بردها» .

والقائلون بهذا القول يقولون: المؤمنون يدخلون النار من غير خوف وضرر البتة بل مع الغبطة والسرور وذلك لأن الله تعالى أخبر عنهم أنهم: لا يحزنهم الفزع الأكبر [الأنبياء: ١٠٣] ولأن الآخرة دار الجزاء لا دار التكليف، وإيصال الغم والحزن إنما يجوز في دار التكليف، ولأنه صحت الرواية

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أن الملائكة تبشر في القبر من كان من أهل الثواب بالجنة حتى يرى مكانه في الجنة ويعلمه» .

وكذلك القول في حال المعاينة فكيف يجوز أن يردوا القيامة وهم شاكون في أمرهم، وإنما تؤثر هذه الأحوال في أهل النار لأنهم لا يعلمون كونهم من أهل النار والعقاب، ثم اختلفوا في أنه كيف يندفع عنهم ضرر النار، فقال بعضهم: البقعة المسماة بجهنم لا يمتنع أن يكون في خلالها ما لا نار فيه، ويكون من المواضع التي يسلك فيها إلى دركات جهنم، وإذا كان كذلك لم يمتنع أن يدخل الكل في جهنم فالمؤمنون يكونون في تلك المواضع الخالية عن النار، والكفار يكونون في وسط/ النار.

وثانيها: أن الله تعالى يخمد النار فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يردونها كأنها إهالة»

وعن جابر بن عبد الله: «أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس وعدنا ربنا بأن نرد النار فيقال لهم: قد وردتموها وهي خامدة» .

وثالثها: أن حرارة النار ليست بطبعها فالأجزاء الملاصقة لأبدان الكفار يجعلها الله عليهم محرقة مؤذية والأجزاء الملاصقة لأبدان المؤمنين يجعلها الله بردا وسلاما عليهم، كما في حق إبراهيم عليه السلام. وكما أن الكوز الواحد من الماء كان يشربه

القبطي فكان يصير دما ويشربه الإسرائيلي فكان يصير ماء عذبا «١» . واعلم أنه لا بد من أحد هذه

---

(١) هذه إحدى الآيات التسع التي كانت عذابا لفرعون وأهله في مصر، وأكرم الله بها نبيه موسى والتي عد منها في قوله: (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم) [الأعراف: ١٣٣] ، والمراد بالقبط هنا أتباع فرعون وهم سكان مصر قديما.." (١)

"وثانيها: أنهم لا يسمعون ما ينفعهم لأنهم إنما يسمعون أصوات المعذبين أو كلام من يتولى تعذيبهم من الملائكة. وثالثها: قال ابن مسعود إن الكفار يجعلون في توابيت من نار والتوابيت في توابيت أخر فلذلك لا يسمعون شيئا والأول ضعيف لأن أهل النار يسمعون كلام أهل الجنة فلذلك يستغيثون بهم على ما ذكره الله تعالى في سورة الأعراف.

[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ١٠١ الى ١٠٣]

إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون (١٠١) لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون (١٠٢) لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون (١٠٣)

اعلم أن من الناس من زعم أن ابن الزبعرى لما أورد ذلك السؤال على الرسول صلى الله عليه وسلم بقي ساكتا حتى أنزل الله تعالى هذه الآية جوابا عن سؤاله لأن هذه الآية كالاستثناء من تلك الآية. وأما نحن فقد بينا فساد هذا القول وذكرنا أن سؤاله لم يكن واردا، وأنه لا حاجة في دفع سؤاله إلى نزول هذه الآية، وإذا ثبت هذا لم يبق هاهنا إلا أحد أمرين: الأول: أن يقال: إن عادة الله تعالى أنه متى شرح عقاب الكفار أردفه بشرح ثواب الأبرار، فلهذا السبب ذكر هذه الآية عقيب تلك فهي عامة في حق كل المؤمنين. الثاني: أن هذه الآية نزلت في تلك الواقعة لتكون كالتأكيد في دفع سؤال ابن الزبعرى، ثم من قال العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وهو الحق أجراها على عمومها فتكون الملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام داخلين فيها، لا أن الآية مختصة بهم، ومن قال: العبرة بخصوص السبب خصص قوله: إن الذين بهؤلاء فقط.

أما قوله تعالى: سبقت لهم منا الحسنى فقال صاحب «الكشاف» : الحسنى الخصلة المفضلة والحسنى تأنيث الأحسن، وهي إما السعادة وإما البشرى بالثواب، وإما التوفيق للطاعة. والحاصل أن مثبتي العفو حملوا الحسنى على وعد العفو ومنكري العفو حملوه على وعد الثواب، ثم إنه سبحانه وتعالى شرح من أحوال ثوابهم أمورا خمسة: أحدها: قوله: أولئك عنها مبعدون فقال أهل العفو معناه أولئك عنها مخرجون، واحتجوا عليه بوجهين: الأول: قوله: وإن **منكم إلا واردها [**مريم: ٧١] أثبت الورود وهو الدخول، فدل على أن هذا الإبعاد هو الإخراج. الثاني: أن إبعاد الشيء عن الشيء لا يصح إلا إذا كانا متقاربين لأنهما لو كانا متباعدين استحال إبعاد أحدهما عن الآخر، لأن تحصيل الحاصل محال، واحتج القاضي عبد الجبار على فساد هذا القول الأول بأمور: أحدها: أن قوله تعالى: إن الذين سبقت لهم منا الحسنى يقتضي أن الوعد بثوابهم قد تقدم في الدنيا وليس هذا حال من يخرج من النار لو صح ذلك. وثانيها: أنه تعالى قال: أولئك عنها مبعدون وكيف يدخل

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢١/٥٥٨

في ذلك من وقع فيها. وثالثها: قوله تعالى: لا يسمعون حسيسها وقوله: لا يحزنهم الفزع الأكبر يمنع من ذلك. والجواب عن الأول: لا نسلم أن [يقال] المراد من قوله: إن الذين سبقت لهم منا الحسنى هو أن الوعد بثوابهم قد تقدم، ولم لا يجوز أن المراد من الحسنى تقدم الوعد بالعفو، سلمنا أن المراد من الحسنى تقدم الوعد بالثواب، لكن لم قلتم إن الوعد بالثواب لا يليق بحال من يخرج من النار فإن عندنا المحابطة باطلة ويجوز الجمع بين استحقاق الثواب والعقاب. وعن الثاني: أنا بينا أن قوله: أولئك عنها." (١)

"مبعدون

لا يمكن إجراؤه على ظاهره إلا في حق من كان في النار. وعن الثالث: أن قوله: لا يسمعون حسيسها مخصوص بما بعد الخروج.

أما قوله: لا يحزنهم الفزع الأكبر فالفزع الأكبر هو عذاب الكفار، وهذا بطريق المفهوم يقتضي أنهم يحزنهم الفزع الأصغر، فإن لم يدل عليه فلا أقل من أن لا يدل على ثبوته ولا على عدمه. الوجه الثاني:

في تفسير قوله: أولئك عنها مبعدون أن المراد الذين سبقت لهم منا الحسنى لا يدخلون النار ولا يقربونها البتة، وعلى هذا القول بطل قول من يقول: إن جميع الناس يردون النار ثم يخرجون إلى الجنة، لأن هذه الآية مانعة منه وحينئذ يجب التوفيق بينه وبين قوله: وإن منكم إلا واردها [مريم: ٧١] وقد تقدم. الصفة الثانية:

قوله تعالى: لا يسمعون حسيسها والحسيس الصوت الذي يحس، وفيه سؤالان: الأول: أي وجه في أن لا يسمعوا حسيسها من البشارة ولو سمعوه لم يتغير حالهم. قلنا: المراد تأكيد بعدهم عنها لأن من لم يدخلها وقرب منها قد يسمع حسيسها. السؤال الثاني: أليس أن أهل الجنة يرون أهل النار فكيف لا يسمعون حسيس النار؟ الجواب: إذا حملناه على التأكيد زال هذا السؤال. الصفة الثالثة: قوله: وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون والشهوة طلب النفس للذة يعني نعيمها مؤبد، قال العارفون: للنفوس شهوة وللقلوب شهوة وللأرواح شهوة، وقال الجنيد: سبقت العناية في البداية، فظهرت الولاية في النهاية. الصفة الرابعة: قوله: لا يحزنهم الفزع الأكبر وفيه وجوه: أحدها: أنها النفخة الأخيرة لقوله تعالى: ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض [النمل: ٨٧] . وثانيها: أنه الموت قالوا: إذا استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بعث الله تعالى جبريل عليه السلام ومعه الموت في صورة كبش أملح فيقول لأهل الدارين أتعرفون هذا فيقولون: لا فيقول هذا الموت ثم يذبحه ثم ينادي يا أهل الجنة خلود ولا موت أبدا، وكذلك لأهل النار، واحتج هذا القائل بأن قوله: لا يحزنهم الفزع الأكبر إنما ذكر بعد قوله: وهم فيها خالدون [البقرة: ٢٥] فلا بد وأن يكون لأحدهما تعلق بالآخر، والفزع الأكبر الذي هو ينافي الخلود هو الموت. وثالثها: قال سعيد بن جبير هو إطباق النار على أهلها فيفزعون لذلك فزعة عظيمة، قال القاضي عبد الجبار: الأولى في ذلك أنه الفزع من النار عند مشاهدتها لأنه لا فزع أكبر من ذلك، فإذا بين تعالى أن ذلك لا يحزنهم فقد صح أن المؤمن آمن من أهوال يوم القيامة، وهذا ضعيف لأن عذاب النار على مراتب فعذاب الكفار أشد من عذاب الفساق، وإذا كانت مراتب التعذيب بالنار متفاوتة كانت مراتب الفزع منها متفاوتة، فلا يلزم من نفي الفزع

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٨٩/٢٢

الأكبر نفي الفزع من النار.
الصفة الخامسة: قوله: وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون قال الضحاك: هم الحفظة الذين كتبوا أعمالهم وأقوالهم ويقولون لهم مبشرين: هذا يومكم الذي كنتم توعدون.

[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ١٠٤ الى ١٠٧]
يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين (١٠٤) ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون (١٠٥) إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين (١٠٦) وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين (١٠٧)." (١)

"أما قوله تعالى: ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا ففيه مسألتان:
المسألة الأولى: قرئ يذقه بالياء وفيه ضمير الله تعالى أو ضمير (الظلم) «١» .
المسألة الثانية: أن المعتزلة تمسكوا بهذه الآية في القطع بوعيد أهل الكبائر، فقالوا ثبت أن (من) للعموم في معرض الشرط، وثبت أن الكافر ظالم لقوله: إن الشرك لظلم عظيم [لقمان: ١٣] والفاسق ظالم لقوله:
ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون [الحجرات: ١١] فثبت بهذه الآية أن الفاسق لا يعفى عنه، بل يعذب لا محالة والجواب: أنا لا نسلم أن كلمة (من) في معرض الشرط للعموم، والكلام فيه مذكور في أصول الفقه، سلمنا أنه للعموم ولكن قطعا أم ظاهرا؟ ودعوى القطع ممنوعة، فإنا نرى في العرف العام المشهور استعمال صيغ العموم، مع أن المراد هو الأكثر، أو لأن المراد أقوام معينون، والدليل عليه قوله تعالى: إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون [البقرة: ٦] ثم إن كثيرا من الذين كفروا قد آمنوا فلا دافع له إلا أن يقال قوله: الذين كفروا وإن كان يفيد العموم، لكن المراد منه الغالب أو المراد منه أقوام مخصوصون، وعلى التقديرين ثبت أن استعمال ألفاظ العموم في الأغلب عرف ظاهر، وإذا كان كذلك كانت دلالة هذه الصيغ على العموم دلالة ظاهرة لا قاطعة، وذلك لا ينفي تجويز العفو. سلمنا دلالته قطعا، ولكنا أجمعنا على أن قوله: ومن يظلم منكم مشروط بأن لا يوجد ما يزيله، وعند هذا نقول هذا مسلم، لكن لم قلت بأن لم يوجد ما يزيله؟ فإن العفو عندنا أحد الأمور التي تزيله، وذلك هو أحد الثلاثة أول المسألة سلمنا/ دلالته على ما قال، ولكنه معارض بآيات الوعد كقوله: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا [الكهف: ١٠٧] فإن قيل آيات الوعيد أولى لأن السارق يقطع على سبيل التنكيل ومن لم يكن مستحقا للعقاب لا يجوز قطع يده على سبيل التنكيل، فإذا ثبت أنه مستحق للعقاب ثبت أن استحقاق الثواب أحبط لما بينا أن الجمع بين الاستحقاقين محال. قلنا لا نسلم أن السارق يقطع على سبيل التنكيل، ألا ترى أنه لو تاب فإنه يقطع لا على سبيل التنكيل بل على سبيل المحنة، نزلنا عن هذه المقامات، ولكن قوله تعالى: ومن يظلم منكم إنه خطاب مع قوم مخصوصين معينين فهب أنه لا يعفو عنهم فلم قلت إنه لا يعفو عن غيرهم؟

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٩٠/٢٢

أما قوله تعالى: وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ففيه مسائل:
المسألة الأولى: هذا جواب عن قولهم: مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق [الفرقان: ٧] بين الله تعالى أن هذه عادة مستمرة من الله في كل رسله فلا وجه لهذا الطعن.
المسألة الثانية: حق الكلام أن يقال: ألا أنهم بفتح الألف لأنه متوسط والمكسورة لا تليق إلا بالابتداء، فلأجل هذا ذكروا وجوها: أحدها: قال الزجاج: الجملة بعد (إلا) صفة لموصوف محذوف، والمعنى وما أرسلنا قبلك أحدا من المرسلين إلا آكلين وماشين، وإنما حذف لأن في قوله: من المرسلين دليلا عليه، ونظيره قوله تعالى: وما منا إلا له مقام معلوم [الصافات: ١٦٤] على معنى وما منا أحد وثانيها: قال الفراء إنه صلة لاسم متروك اكتفي بقوله: من المرسلين عنه، والمعنى إلا من أنهم كقوله: وما منا إلا له مقام معلوم أي من له مقام معلوم، وكذلك قوله: وإن **منكم إلا واردها** [مريم: ٧١] أي إلا من يردها فعلى قول

(١) في الكشاف (مصدر يظلم) ٣/ ٨٧.." (١)
"السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن
[المعارج: ٨، ٩] .
والحالة الثالثة: أن تصير كالهباء وذلك أن تتقطع وتتبدد بعد أن كانت كالعهن وهو قوله: / إذا رجت الأرض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا [الواقعة: ٤- ٦] .
والحالة المسألة الرابعة: أن تنسف لأنها مع الأحوال المتقدمة قارة في مواضعها والأرض تحتها غير بارزة فتنسف عنها بإرسال الرياح عليها وهو المراد من قوله: فقل ينسفها ربي نسفا [طه: ١٠٥] .
والحالة الخامسة: أن الرياح ترفعها عن وجه الأرض فتطيرها شعاعا في الهواء كأنها غبار فمن نظر إليها من بعد حسبها لتكاثفها أجساما جامدة وهي الحقيقة مارة إلا أن مرورها بسبب مرور الرياح بها [صيرها] مندكة متفتتة، وهي قوله: تمر مر السحاب [النحل: ٨٨] ثم بين أن تلك الحركة حصلت بقهره وتسخيره، فقال:
ويوم نسير الجبال [الطور: ١٠] وترى الأرض بارزة [الكهف: ٤٧] .
الحالة السادسة: أن تصير سرابا، بمعنى لا شيء، فمن نظر إلى مواضعها لم يجد فيها شيئا، كما أن من يرى السراب من بعد إذا جاء الموضع الذي كان يراه فيه لم يجده شيئا والله أعلم.
واعلم أن الأحوال المذكورة إلى هاهنا هي: أحوال عامة، ومن هاهنا يصف أهوال جهنم وأحوالها.
فأولها: قوله تعالى:

[سورة النبإ (٧٨) : آية ٢١]

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٤/٤٤٥

إن جهنم كانت مرصادا (٢١)

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قرأ ابن يعمر: أن جهنم بفتح الهمزة على تعليل قيام الساعة، بأن جهنم كانت مرصادا للطاغين، كأنه قيل كان كذلك لإقامة الجزاء.

المسألة الثانية: كانت مرصادا، أي في علم الله تعالى، وقيل صارت، وهذان القولان نقلهما القفال رحمه الله تعالى، وفيه وجه ثالث ذكره القاضي، فإنا إذا فسرنا المرصاد بالمرتقب، أفاد ذلك أن جهنم كانت كالمنتظرة لمقدومهم من قديم الزمان، وكالمستدعية والطالبة لهم.

المسألة الثالثة: في المرصاد قولان: أحدهما: أن المرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه، كالمضمار اسم للمكان الذي يضمر فيه الخيل، والمنهاج اسم للمكان الذي ينهج فيه، وعلى هذا الوجه فيه احتمالان:

أحدهما: أن خزنة جهنم يرصدون الكفار والثاني: أن مجاز المؤمنين وممرهم كان على جهنم، لقوله: وإن **منكم إلا واردها** [مريم: ٧١] فخزنة الجنة يستقبلون المؤمنين عند جهنم، ويرصدونهم عندها.

القول الثاني: أن المرصاد مفعال من الرصد، وهو الترقب، بمعنى أن ذلك يكثر منه، والمفعال من أبنية المبالغة كالمعطار والمعمار والمطعان، قيل إنها ترصد أعداء الله وتشق عليهم، كما قال تعالى: تكاد تميز من الغيظ [الملك: ٨] قيل ترصد كل كافر ومنافق، والقائلون بالقول الأول. استدلوا على صحة قولهم بقوله تعالى: إن ربك لبالمرصاد [الفجر: ١٤] ولو كان المرصاد نعتا لوجب أن يقال: إن ربك لمرصاد.." (١)

"وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: الطامة عند العرب الداهية التي لا تستطاع وفي اشتقاقها وجوه، قال المبرد: أخذت فيما أحسب من قولهم: طم الفرس طميما، إذا استفرغ جهده في الجري، وطم الماء إذا ملأ النهر كله، وقال الليث:

الطم طم البئر بالتراب، وهو الكبس، ويقال: طم السيل الركية إذا دفنها حتى يسويها، ويقال للشيء الذي يكبر حتى يعلو قد طم، والطامة الحادثة التي تطم على ما سواها ومن ثم قيل: فوق كل طامة طامة، قال القفال:

أصل الطم الدفن والعلو، وكل ما غلب شيئا وقهره وأخفاه فقد طمه، ومنه الماء الطامي وهو الكثير الزائد، والطاغي والعاتي والعادي سواء وهو الخارج عن أمر الله تعالى المتكبر، فالطامة اسم لكل داهية عظيمة ينسى ما قبلها في جنبها.

[سورة النازعات (٧٩) : الآيات ٣٥ الى ٣٦]

يوم يتذكر الإنسان ما سعى (٣٥) وبرزت الجحيم لمن يرى (٣٦)

المسألة الثانية: قد ظهر بما ذكرنا أن معنى الطامة الكبرى الداهية الكبرى، ثم اختلفوا في أنها أي شيء هي، فقال قوم: إنها يوم القيامة لأنه يشاهد فيه من النار، ومن الموقف الهائل، ومن الآيات الباهرة الخارجة عن العادة ما ينسى معه كل هائل،

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٤/٣١

وقال الحسن: إنها هي النفخة الثانية التي عندها تحشر الخلائق إلى موقف القيامة، وقال آخرون: إنه تعالى فسر الطامة الكبرى بقوله تعالى: يوم يتذكر الإنسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى فالطامة تكون اسما لذلك الوقت، فيحتمل أن يكون ذلك الوقت وقت قراءة الكتاب على ما قال تعالى: ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا [الإسراء: ١٣] ويحتمل أن تكون تلك الساعة هي الساعة التي يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، ثم إنه تعالى وصف ذلك اليوم بوصفين:

الأول: قوله تعالى: يوم يتذكر الإنسان ما سعى يعني إذا رأى أعماله مدونة في كتابه تذكرها، وكان قد نسيها، كقوله: أحصاه الله ونسوه [المجادلة: ٦] .

الصفة الثانية: قوله تعالى: وبرزت الجحيم لمن يرى وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: قوله تعالى: لمن يرى أي أنها تظهر إظهارا مكشوفا لكل ناظر ذي بصر ثم فيه وجهان أحدهما: أنه استعارة في كونه منكشفا ظاهرا كقولهم: تبين الصبح لذي عينين «١» .

وعلى هذا التأويل لا يجب أن يراه كل أحد والثاني: أن يكون المراد أنها برزت ليراها كل من له عين وبصر، وهذا يفيد أن كل الناس يرونها من المؤمنين والكفار، إلا أنها مكان الكفار ومأواهم والمؤمنون يمرون عليها، وهذا التأويل متأكد بقوله تعالى: وإن منكم إلا واردها إلى قوله: ثم ننجي الذين اتقوا [مريم: ٧١، ٧٢] فإن قيل: إنه تعالى قال في سورة الشعراء: وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين [الشعراء: ٩٠، ٩١] فخص الغاوين بتبريزها لهم، قلنا: إنها برزت للغاوين، والمؤمنون يرونها أيضا في الممر، ولا منافاة بين الأمرين.

---

(١) هذا شطر بيت حرف لفظه وبقي معناه وصوابه: قد وضح الصبح لذي عينين.." (١)

"لأنه تغليظ، فلا ينبغي أن الجحيم لفظه الثاني: قال أبو علي المعنى في: لترون الجحيم لترون عذاب الجحيم، ألا ترى أن الجحيم يراها المؤمنون أيضا بدلالة قوله: وإن منكم إلا واردها [مريم: ٧١] وإذا كان كذلك كان الوعيد في رؤية عذابها لا في رؤية نفسها يدل على هذا قوله: إذ يرون العذاب [البقرة: ١٦٥] وقوله: وإذا رأى الذين ظلموا العذاب [النحل: ٨٥] وهذا يدل على أن (لترون) أرجح من (لترون) .

[سورة التكاثر (١٠٢) : آية ٨]

ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم (٨)

فيه قولان:

المسألة الأولى: في أن الذي يسأل عن النعيم من هو؟ فيه قولان:

أحدهما: وهو الأظهر أنهم الكفار، قال الحسن: لا يسأل عن النعيم إلا أهل النار ويدل عليه وجهان الأول: ما

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٨/٣١

روي أن أبا بكر لما نزلت هذه الآية قال يا رسول الله: أرأيت/ أكلة أكلتها معك في بيت أبي الهيثم بن التيهان من خبز شعير ولحم وبسر وماء عذب أن تكون من النعيم الذي نسأل عنه؟ فقال عليه الصلاة والسلام: إنما ذلك للكفار، ثم قرأ: وهل نجازي إلا الكفور [سبأ: ١٧]

والثاني: وهو أن ظاهر الآية يدل على ما ذكرناه، وذلك لأن الكفار ألهاكم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله تعالى والاشتغال بشكره، فالله تعالى يسألهم عنها يوم القيامة حتى يظهر لهم أن الذي ظنوه سببا لسعادتهم هو كان من أعظم أسباب الشقاء لهم في الآخرة.

والقول الثاني: أنه عام في حق المؤمن والكافر واحتجوا بأحاديث،

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة عن النعيم فيقال له: ألم نصحح لك جسمك ونروك من المار البارد»

وقال محمود بن لبيد: لما نزلت هذه السورة قالوا: يا رسول الله عن أي نعيم نسأل؟ إنما هما الماء والتمر وسيوفنا على عواتقنا والعدو حاضر، فعن أي نعيم نسأل؟ قال: «إن ذلك سيكون»

وروي عن عمر أنه قال: أي نعيم نسأل عنه يا رسول الله وقد أخرجنا من ديارنا وأموالنا؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «ظلال المساكن والأشجار والأخبية التي تقيكم من الحر والبرد والماء البارد في اليوم الحار»

وقريب منه:

«من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه وعنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»

وروي أن شابا أسلم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمه رسول الله سورة ألهاكم ثم زوجه رسول الله امرأة فلما دخل عليها ورأى الجهاز العظيم والنعيم الكثير خرج وقال: لا أريد ذلك فسأله النبي عليه الصلاة والسلام عنه فقال: ألست علمتني: ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم وأنا لا أطيق الجواب عن ذلك.

وعن أنس لما نزلت الآية قام محتاج فقال: هل علي من النعمة شيء؟ قال: الظل والنعلان والماء البارد.

وأشهر الأخبار في هذا ما

روي أنه عليه الصلاة والسلام خرج ذات ليلة إلى المسجد، فلم يلبث أن جاء أبو بكر فقال: ما أخرجك يا أبا بكر؟ قال: الجوع، قال: والله ما أخرجني إلا الذي أخرجك، ثم دخل عمر فقال مثل ذلك، فقال: قوموا بنا إلى منزل أبي الهيثم، فدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الباب وسلم ثلاث مرات فلم يجب أحد فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت امرأته تصيح كنا نسمع صوتك لكن أردنا أن تزيد من سلامك فقال لها: خيرا، ثم قالت: بأبي أنت وأمي إن أبا الهيثم خرج يستعذب لنا الماء، ثم عمدت إلى صاع من شعير فطحنته وخبزته ورجع أبو الهيثم فذبح عناقا وأتاهم بالرطب فأكلوا وشربوا فقال عليه الصلاة والسلام: «هذا من." (١)

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٧٤/٣٢

"مؤمن، وإنما قلنا إن المؤمن لا يخزى لقوله: يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه [التحريم: ٨] ولقوله: ولا تخزنا يوم القيامة [آل عمران: ١٩٤] .

ثم قال تعالى: فاستجاب لهم ربهم [آل عمران: ١٩٥] وهذه الاستجابة تدل على أنه تعالى لا يخزي المؤمنين، فثبت بما ذكرنا أن صاحب الكبيرة لا يخزى بالنار، وإنما قلنا إن كل من دخل النار فإنه يخزى لقوله تعالى: إنك من تدخل النار فقد أخزيته وحينئذ يتولد من هاتين المقدمتين القطع بأن صاحب الكبيرة لا يدخل النار.

والجواب عنه ما تقدم: أن قوله: يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه [التحريم: ٨] لا يدل على نفي الإخزاء مطلقا، بل يدل على نفي الإخزاء حال كونهم مع النبي، وذلك لا ينافي حصول الإخزاء في وقت آخر.

المسألة الخامسة: قوله: إنك من تدخل النار فقد أخزيته عام دخله الخصوص في مواضع منها: إن قوله تعالى: وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا [مريم: ٧١، ٧٢] يدل على أن كل المؤمنين يدخلون النار، وأهل الثواب يصانون عن الخزي. وثانيها: أن الملائكة الذين هم خزنة جهنم يكونون في النار، وهم أيضا يصانون عن الخزي. قال تعالى: عليها ملائكة غلاظ شداد [التحريم:
٦] .

المسألة السادسة: احتج حكماء الإسلام بهذه الآية على أن العذاب الروحاني أشد وأقوى من العذاب الجسماني، قالوا: لأن الآية دالة على التهديد بعد عذاب النار بالخزي، والخزي عبارة عن التخجيل وهو عذاب روحاني، فلولا أن العذاب الروحاني أقوى من العذاب الجسماني وإلا لما حسن تهديد من عذب بالنار بعذاب الخزي والخجالة.

المسألة السابعة: احتجت المعتزلة بهذه الآية على أن الفساق الذين دخلوا النار لا يخرجون منها بل يبقون هناك مخلدين، وقالوا: الخزي هو الهلاك، فقوله: إنك من تدخل النار فقد أخزيته معناه فقد أهلكته، ولو كانوا يخرجون من النار إلى الجنة لما صح أن كل من دخل النار فقد هلك. والجواب: أنا لا نفسر الخزي بالإهلاك بل نفسره بالإهانة والتخجيل، وعند هذا يزول كلامكم.

أما قوله تعالى: وما للظالمين من أنصار وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: المعتزلة تمسكوا به في نفي الشفاعة للفساق، وذلك لأن الشفاعة نوع نصرة، ونفي الجنس يقتضي نفي النوع.

والجواب من وجوه: الأول: أن القرآن دل على أن الظالم بالإطلاق هو الكافر، قال تعالى:

والكافرون هم الظالمون [البقرة: ٢٥٤] ومما يؤكد هذا أنه تعالى حكى عن الكفار أنهم خصصوا أنفسهم بنفي الشفعاء والأنصار حيث قالوا: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم [الشعرا: ١٠١] وثانيها: أن الشفيع لا يمكنه أن يشفع إلا بإذن الله، قال تعالى: من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه [البقرة: ٢٥٥] وإذا كان كذلك لم يكن الشفيع قادرا على النصرة إلا بعد الإذن، وإذا حصل الإذن لم يكن في شفاعته فائدة في الحقيقة، وعند ذلك يظهر أن العفو إنما حصل من الله تعالى،

وتلك الشفاعة ما كان لها تأثير في نفس الأمر، وليس الحكم إلا لله، فقوله: وما للظالمين من أنصار يفيد أنه لا حكم إلا لله كما قال: ألا له الحكم [الأنعام: ٦٢] وقال:." (١)

"قلت: لو اقتصرنا على ما فسر يلزم أن تكون مريم -يعني أشرف الناس- استعاذت بالله من الرجل المتقي الصالح وإنما يستعاذ من الشر لا من الخير، فلا يجوز أن تستعيذ مريم من المتقي، وإنما يصلح أن تستعيذ من العاصي، كما أمرنا بالاستعاذة من الشيطان، ولا يجوز أن نقول: نعوذ بالله من الأخيار.

فتحقيقه: أن في الآية إضمارا واختصارا تقديره: إني أعوذ بالرحمن منك. ثم قالت: إن كنت تقيا أي فلا تقربني أو نحو ذلك.

١٣٢ - قال في قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾: " الدليل على أن الكل يدخلون ثم ينجو المؤمنون قوله - صلى الله عليه وسلم -: (إني لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد شهد بدرا والحديبية) ".." (٢)

"قلت: هذا ليس بدليل على أن الكل يدخلون بل هو دليل على أن الكل لا يدخلون وإنما يدخل البعض، وقال تمام الحديث: " أليس قد قال: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قال: ألم تسمعيه يقول: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ ". قلت: والنجاة أيضا دليل الدخول. والله أعلم.." (٣)

"الإله غيره، أو ولدا. ﴿ويقول الإنسان أءذا ما مت لسوف أخرج حيا أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يكن شيئا فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾." (٤)

"على كل وبعض للزوم الإضافة وإذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد إلى حقه منصوب المحل بننزعن، ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره إما بالإبتداء على أنه استفهامي وخبره أشد، والجملة محكية وتقدير الكلام: لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم أيهم أشد، أو معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم، أو مستأنفة والفعل واقع على من كل شيعة على زيادة من أو على معنى لننزعن بعض كل شيعة، وإما بشيعة لأنها بمعنى تشيع وعلى للبيان أو متعلق بافعل وكذا الباء في قوله:

ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا أي لنحن أعلم بالذين هم أولى بالصلي، أو صليهم أولى بالنار. وهم المنتزعون ويجوز أن يراد بهم وبأشدهم عتيا رؤساء الشيع فإن عذابهم مضاعف لضلالهم وإضلالهم. وقرأ حمزة والكسائي وحفص صليا بكسر الصاد.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٦٥/٩

(٢) مباحث التفسير لابن المظفر الرازي الرازي، ابن المظفر ص/٢٠٩

(٣) مباحث التفسير لابن المظفر الرازي الرازي، ابن المظفر ص/٢١٠

(٤) تفسير العز بن عبد السلام ابن عبد السلام ٢٨٥/٢

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٧١ الى ٧٢]

وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)

وإن منكم وما منكم التفات إلى الإنسان ويؤيده أنه قرئ «وإن منهم» . إلا واردها إلا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم.

وعن جابر رضي الله عنه أنه عليه السلام سئل عنه فقال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض: أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار، فيقال لهم: قد وردتموها وهي خامدة» .

وأما قوله تعالى: أولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها. وقيل ورودها الجواز على الصراط فإنه ممدود عليها. كان على ربك حتما مقضيا كان ورودهم واجبا أوجبه الله على نفسه وقضى به بأن وعد به وعدا لا يمكن خلفه. وقيل أقسم عليه.

ثم ننجي الذين اتقوا فيساقون إلى الجنة وقرأ الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف، وقرئ ثم بفتح الثاء أي هناك. ونذر الظالمين فيها جثيا منهارا بهم كما كانوا، وهو دليل على أن المراد بالورود الجثو حواليها وإن المؤمنين يفارقون الفجرة إلى الجنة بعد تجاثيهم، وتبقى الفجرة فيها منهارا بهم على هيئاتهم.

[سورة مريم (١٩) : آية ٧٣]

وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (٧٣)

وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات مرتلات الألفاظ مبينات المعاني بنفسها أو ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم أو واضحات الإعجاز. قال الذين كفروا للذين آمنوا لأجلهم أو معهم. أي الفريقين المؤمنين والكافرين. خير مقاما موضع قيام أو مكانا. وقرأ ابن كثير بالضم أي موضع إقامة ومنزل. وأحسن نديا مجلسا ومجتمعا والمعنى أنهم لما سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها، أخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله تعالى، لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحياة الدنيا فرد عليهم ذلك أيضا مع التهديد نقضا بقوله:

[سورة مريم (١٩) : آية ٧٤]

وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورءيا (٧٤)

وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورءيا وكم مفعول أهلكنا ومن قرن بيانه، وإنما سمي أهل كل عصر قرنا أي مقدما من قرن الدابة. وهو مقدمها لأنه يتقدم من بعده، وهم أحسن صفة لكم وأثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت. وقيل هو ما جد منه والخرثي ما رث والرئي المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز، وقرأ نافع وابن عامر «ريا» على قلب الهمزة

وإدغامها أو على أنه من الري الذي هو النعمة، وقرأ أبو بكر «رييا» على القلب، وقرئ «ريا» بحذف الهمزة و «زيا» من الزي وهو الجمع." (١)

"وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١)

﴿وإن منكم﴾ أحد ﴿إلا واردها﴾ داخلها والمراد النار والورود الدخول عند علي وابن عباس رضي الله عنهم وعليه جمهور أهل السنة لقوله تعالى فأوردهم النار ولقوله تعالى لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ولقوله ثم ننجي الذين اتقوا إذ النجاة إنما تكون بعد الدخول ولقوله عليه السلام الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم وتقول النار للمؤمنين جزيا مؤمن فإن نورك أطفأ لهبي وقيل الورود بمعنى الدخول لكنه يختص بالكفار لقراءة ابن عباس وان منهم تحمل القراءة المشهورة على الإلتفات وعن عبد الله الورود الحضور لقوله تعالى ولما ورد ماء مدين وقوله أولئك عنها مبعدون وأجيب عنه بأن المراد عن عذابها وعن الحسن وقتادة الورود المرور على الصراط لأن الصراط ممدود عليها فيسلم أهل الجنة ويتقاذف أهل النار وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه السلام الحمى حظ كل مؤمن من النار وقال رجل من الصحابة لآخر أيقنت بالورود قال نعم قال وأيقنت بالصدر قال لا قال ففيم الضحك وفيم التثاقل ﴿كان على ربك حتما مقضيا﴾ أي كان ورودهم واجبا." (٢)

"وأجمع جمهور العلماء على تحريم إتيان النساء في أدبارهن، وقالوا: لأن الله حرم الفرج في حال الحيض لأجل النجاسة العارضة وهو الدم فأولى أن يحرم الدبر لأجل النجاسة اللازمة ولأن الله تعالى نص على ذكر الحرث والحرث به يكون نبات الولد فلا يحل العدول عنه إلى غيره. وقوله تعالى: وقدموا لأنفسكم يعني الولد وقيل: قدموا التسمية والدعاء عند الجماع (ق) عن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبدا» وقيل: أراد به تقديم الإفراط (ق) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم» قوله إلا تحلة القسم يعني قدر ما يبر الله قسمه فيه وهو قوله تعالى: وإن منكم إلا واردها فإذا وردها جاوزها فقد أبر الله قسمه، وقيل: قدموا لأنفسكم يعني من الخير والعمل الصالح

بدليل سياق الآية واتقوا الله أي احذروا أن تأتوا شيئا مما نهاكم الله عنه واعلموا أنكم ملاقوه أي صائرون إليه في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم وبشر المؤمنين يعني بالكرامة من الله تعالى. قوله عز وجل:

[سورة البقرة (٢): آية ٢٢٤]

ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم (٢٢٤)

ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم نزلت في عبد الله بن رواحة كان بينه وبين ختنه بشير بن النعمان شيء، فحلف عبد الله لا

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٤/١٧

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢/٣٤٧

يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصم له فكان إذا قيل له: فيه يقول: قد حلفت بالله أن لا أفعل فلا يحل لي إلا أن تبر يميني فأنزل الله هذه الآية، وقيل: نزلت في أبي بكر الصديق حين حلف ألا ينفق على مسطح حين خاض في حديث الإفك والعرضة ما يجعل معرضا للشيء، وقيل: العرضة الشدة والقوة وكل ما يعترض فيمنع عن الشيء، فهو عرضة، والمعنى: ولا تجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى يدعى أحدكم إلى بر وصلة رحم فيقول قد حلفت بالله لا أفعله فيعتل بيمينه في ترك البر والإصلاح أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس قبل معناه لا تحلفوا بالله أن لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس. (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأتها وليكفر عن يمينه» وقيل: معناه لا تكثروا الحلف بالله وإن كنتم بارين متقين مصلحين فإن كثرة الحلف بالله ضرب من الجراءة عليه والله سميع أي لحلفكم عليم يعني بنياتكم. قوله عز وجل: لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم اللغو كل ساقط مطرح من الكلام، وما لا يعتد به، وهو الذي يورد لا عن روية وفكر. واللغو في اليمين هو الذي لا عقد معه كقول القائل: لا والله بلى والله على سبق اللسان من غير قصد ونية وبه قال الشافعي: ويعضده ما روي عن عائشة قالت نزل قوله تعالى:

[سورة البقرة (٢): آية ٢٢٥]

لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم (٢٢٥)

لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم في قول الرجل: لا والله وبلى والله أخرجه الترمذي. موقوفا ورفعه أبو داود قال: قالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هو قول الرجل في يمينه كلا والله وبلى والله» ورواه عنها أيضا موقوفا، وقيل: في معنى اللغو هو أن يحلف الرجل على شيء يرى أنه صادق ثم يتبين له خلاف ذلك، وبه قال أبو حنيفة: ولا كفارة فيه ولا إثم عليه عنده، قال مالك في الموطأ: أحسن ما سمعت في ذلك أن اللغو حلف الإنسان على الشيء يتيقن أنه كذا ثم يوجد بخلافه فلا كفارة فيه. قال: والذي يحلف على الشيء وهو يعلم أنه فيه آثم كاذب ليرضى به أحدا ويعتذر المخلوق أو يقطع به مالا، فهذا أعظم من أن تكون فيه كفارة وإنما الكفارة على من حلف أن لا يفعل الشيء المباح له فعله، ثم يفعله أو أن يفعله ثم لا يفعله مثل أن يحلف لا يبيع ثوبه بعشرة دراهم، ثم يبيعه بذلك أو يحلف ليضربن غلامه، ثم لا يضربه، وفائدة الخلاف الذي بين الشافعي وأبي." (١)

"وأنا مكلمه فرفعه إلى السماء ووضعه عند مطلع الشمس، ثم أتى ملك الموت فقال له إليك حاجة صديق لي من بني آدم تشفع بي إليك لتؤخر أجله، فقال ملك الموت ليس لي ذلك ولكن إن أحببت أعلمته أجله فيقدم لنفسه قال نعم فنظر في ديوانه فقال: إنك كلمتني في إنسان ما أراه يموت أبدا.

قال وكيف ذلك فقال لا أجده يموت إلا عند مطلع الشمس. قال إني أتيتك وتركته هناك قال انطلق فلا أراك تجده إلا وقد مات فو الله ما بقي من عمر إدريس شيء فرجع الملك فوجده ميتا وقال وهب: كان يرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٥٦/١

ما يرفع لجميع أهل الأرض في زمانه، فعجب منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت فاستأذن ربه في زيارته فأذن له فأتاه في صورة بني آدم وكان إدريس يصوم الدهر، فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى الطعام فأبى أن يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال، فأنكره إدريس وقال له في الليلة الثالثة: إني أريد أن أعلم من أنت قال: أنا ملك الموت، استأذنت ربي أن أصحبك فقال لي إليك حاجة قال وما هي قال تقبض روحي. فأوحى الله إليه أن اقبض روحه وردها الله إليه بعد ساعة فقال له ملك الموت ما الفائدة في سؤالك قبض الروح؟ قال لأذوق كرب الموت وغمه فأكون أشد استعدادا له. ثم قال له إدريس لي إليك حاجة أخرى. قال وما هي قال ترفعني إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة والنار فأذن الله له فرفعه فلما قرب من النار قال لي إليك حاجة قال وما هي قال أريد أن أسأل مالكا أن يرفع أبوابها فأراها.

ففعل قال فكما أريتني النار فأرني الجنة. فذهب به إلى الجنة فاستفتح ففتحت أبوابها فأدخله الجنة ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود إلى مقرك فتعلق بشجرة، وقال ما أخرج منها فبعث الله إليه ملكا حكما بينهما قال له الملك ما لك لا تخرج؟ قال لأن الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته ثم قال وإن **منكم إلا واردها فأنا** وردتها وقال وما هم منها بمخرجين فلست أخرج فأوحى الله تعالى إلى ملك الموت بإذني دخل الجنة وبأمري لا يخرج فهو حي هناك فذلك قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا واختلفوا في أنه حي في السماء أم ميت. فقال قوم هو ميت واستدل بالأول. وقال قوم هو حي واستدل بهذا. وقالوا أربعة من الأنبياء أحياء اثنان في الأرض وهما الخضر وإلياس. واثنان في السماء وهما إدريس وعيسى. قوله عز وجل:

[سورة مريم (١٩): الآيات ٥٨ الى ٦٢]

أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا (٥٨) فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا (٥٩) إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا (٦٠) جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتيا (٦١) لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا (٦٢)

أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين أولئك إشارة إلى المذكورين في هذه السورة أنعم الله عليهم بالنبوة وغيرها ما تقدم وصفه من ذرية آدم يعني إدريس ونوحا وممن حملنا مع نوح أي ومن ذرية من حملنا مع نوح في السفينة يريد إبراهيم لأنه ولد سام بن نوح ومن ذرية إبراهيم يعني إسحاق وإسماعيل ويعقوب وإسرائيل أي ومن ذرية إسرائيل وهو يعقوب وهم موسى ويحيى وهارون وزكريا وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم فرتب الله تعالى أحوال الأنبياء الذين ذكرهم على هذا الترتيب منها بذلك على أنهم كما شرفوا بالنسب ثم قال تعالى وممن هدينا واجتبينا أي هؤلاء من أرشدنا واصطفينا وقيل من هدينا إلى الإسلام واجتبينا على الأنام إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا جمع ساجد وبكيا جمع باك، أخبر الله تعالى أن." (١)

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣/١٩١

"الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا إذا سمعوا آيات الله سجدوا وبكوا خضوعا وخشوعا وخوفا وحذرا. والمراد من الآيات ما خصهم به من الكتب المنزلة عليهم، وقيل المراد من الآيات ذكر الجنة والنار والوعد والوعيد ففيه استحباب البكاء وخشوع القلب عند سماع القرآن.

(فصل)

وسجدة سورة مريم من عزائم سجود القرآن، فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند تلاوة هذه السجدة، وقيل يستحب لمن قرأ آية سجدة فسجد أن يدعوا بما يناسب تلك السجدة، فإن قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين إليك والخاشعين لك. وإن قرأ سجدة مريم قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك. وإن سجد سجدة ألم السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك.

قوله تعالى فخلف من بعدهم أي من بعد النبيين المذكورين خلف أي قوم سواء أراد بهم اليهود ومن لحق بهم وتابعهم وقيل هم في هذه الأمة أضاعوا الصلاة أي تركوا الصلاة المفروضة. وقيل أخروها عن وقتها وهو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر ولا العصر حتى تأتي المغرب واتبعوا الشهوات أي آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله وقيل اتبعوا المعاصي وشرب الخمور، وقيل هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان ينزو بعضهم على بضع في الأسواق والأزقة فسوف يلقون غيا قال ابن عباس: الغي واد في جهنم، وإن أودية جهنم لتستعيذ من حره أعد للزاني المصر عليه، ولشارب الخمر المدمن له ولآكل الربا الذي لا ينزع عنه ولأهل العقوق، ولشاهد الزور وقيل هو واد في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه يسيل قيحا ودما، وقيل: واد في جهنم أبعدها قعرا وأشدها حرا فيه بئر تسمى الهيم كلما خبت جهنم فتح الله تلك البئر فتستعر بها جهنم وقيل معنى غيا خسرانا وقيل هلاكا وعذابا، وليس معنى يلقون يرون فقط بل معناه الاجتماع والملابسة مع الرؤية.

قوله تعالى إلا من تاب وآمن وعمل صالحا يعني إلا من تاب من التقصير في الصلوات والمعاصي وآمن من الكفر وعمل صالحا بطاعة الله تعالى فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا أي لا ينقصون شيئا ثم وصف الجنة فقال تعالى جنات عدن أي بساتين إقامة وصفها بالدوام بخلاف جنات الدنيا فإنها لا تدوم التي وعد الرحمن عباده بالغيب أي إنهم لا يرونها فهي غائبة عنهم وهم غائبون عنها إنه كان وعده مأتيا أي آتيا وقيل معنى وعده موعود وهو الجنة مأتيا أي يأتيه أولياء الله وأهل طاعته لا يسمعون فيها لغوا أي باطلا وفحشا وهو فضول الكلام إلا سلاما يعني بل يسمعون فيها سلاما والسلام اسم جامع للخير لأنه يتضمن معنى السلامة، وذلك أن أهل الجنة لا يسمعون فيها ما يؤلمهم، إنما يسمعون تسليمهم، وقيل هو تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم، وقيل هو تسليم الله عليهم ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قال أهل التفسير:

يؤتون بأرزاقهم على مقدار طرفي النهار كعادتهم في الدنيا، وقيل إنهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب، ووقت الليل بإرخاء الحجب، وقيل المراد منه رفاهية العيش وسعة الرزق من غير تضييق ولا تقتير، وقيل: كانت العرب لا تعرف أفضل من الرزق الذي يؤتى به البكرة والعشي، فوصف الله تعالى الجنة بذلك. وقوله تعالى:

[سورة مريم (١٩): الآيات ٦٣ الى ٧١]

تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا (٦٣) وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا (٦٤) رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا (٦٥) ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا (٦٦) أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٧)

فو ربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠) وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا (٧١)." [١]

"العذاب فلذلك قال في جميعهم ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا ولا يقال أولى إلا مع اشتراك القوم في العذاب وقيل معنى الآية أنهم أحق بدخول النار.

قوله عز وجل وإن **منكم إلا واردها أي** وما **منكم إلا واردها وقيل** القسم فيه مضمر أي والله ما منكم من **أحد إلا واردها والورود** هو موافاة المكان، واختلفوا في معنى الورود ها هنا وفيما تنصرف إليه الكناية في قوله واردها فقال ابن عباس والأكثرون: معنى الورود هنا الدخول، والكناية راجعة إلى النار، فيدخلها البر والفاجر ثم ينجي الله الذين اتقوا منها، يدل عليه ما روي أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس في الورود فقال ابن عباس: هو الدخول فقال نافع: ليس الورود الدخول فقرأ ابن عباس إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون أدخلها هؤلاء أم لا ثم قال يا نافع والله أنا وأنت سنردها وأنا أرجو أن يخرجني الله منها وما أرى الله أن يخرجك منها بتكذيبك فمن قال بدخول المؤمنين النار يقول من غير خوف ولا ضرر ولا عذاب البتة بل مع الغبطة والسرور لأن الله تعالى أخبر عنهم لا يحزنهم الفزع الأكبر. فإن قلت كيف يدفع عن المؤمنين حر النار وعذابها، قلت يحتمل أن الله تعالى يخمد النار فتعبرها المؤمنون، ويحتمل أن الله تعالى يجعل الأجزاء الملاصقة لأبدان الكفار من النار محرقة والأجزاء الملاصقة لأبدان المؤمنين تكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت في حق إبراهيم عليه السلام، وكما أن الملائكة الموكلين بها لا يجدون ألمها فإن قلت إذا لم يكن على المؤمنين عذاب فما فائدة دخولهم النار.

قلت فيه وجوه، أحدها: أن ذلك مما يزيدهم سرورا إذا علموا الخلاص منه، وثانيها: أن فيه مزيد غم على أهل النار، حيث يرون المؤمنين يتخلصون منها وهم باقون فيها، وثالثها: أنهم إذا شاهدوا ذلك العذاب الذي على الكفار صار ذلك سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة. وقال قوم ليس المراد من الورود الدخول، وقالوا لا يدخل النار مؤمن أبدا لقوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها فعلى هذا يكون المراد من الورود الحضور والرؤية، لا الدخول كما قال تعالى ولما ورد ماء مدين أراد به الحضور، وقال عكرمة الآية في الكفار فإنهم يدخلونها ولا يخرجون منها وروي عن ابن مسعود أنه قال وإن منكم إلا واردها، يعني القيامة والكناية راجعة إليها، والقول الأول أصح وعليه أهل السنة فإنهم جميعا يدخلون النار ثم يخرج الله منها أهل الإيمان بدليل قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا أي الشرك وهم المؤمنون

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٩٢/٣

والنجاة إنما تكون مما دخلت فيه، يدل ما روي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يموت لأحد من المؤمنين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم» وفي رواية «فيلج النار إلا تحلة القسم» أخرجاه في الصحيحين، أراد بالقسم قوله تعالى وإن **منكم إلا واردها** (م) عن أم مبشر الأنصارية أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة «لا يدخل النار إن شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها قالت بلى يا رسول الله فانتهزها فقالت حفصة وإن **منكم إلا واردها فقال** النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا.

وقال خالد بن معدان يقول أهل الجنة ألم يعدنا ربنا أن نرد النار، فيقال بلى ولكنكم مررتم بها وهي خامدة وفي الحديث «تقول النار للمؤمنين جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي». وروي عن مجاهد في قوله تعالى وإن **منكم إلا واردها قال** من حم من المسلمين فقد وردها» وفي الخبر «الحمى كير من جهنم وهي حظ المؤمن من النار» (ق) عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء» قوله فيح جهنم وهجها وحرها.

وقوله تعالى كان على ربك حتما مقضيا أي كان ورود جهنم قضاء لازما قضاه الله تعالى عليكم وأوجبه.

[سورة مريم (١٩): آية ٧٢]

ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)." (١)

"مذهب أو اتباع إنسان، ومعنى الآية أن الله ينزع من كل طائفة أعتاها فيقدمه إلى النار، وقال بعضهم: المعنى نبدأ بالأكبر جرما فالأكبر جرما أيهم اختلف في إعرابه، فقال سيبويه: هو مبني على الضم لأنه حذف العائد عليه من الصلة، وكأن التقدير: أيهم أشد فوجب البناء، وقال الخليل: هو مرفوع على الحكاية تقديره: الذي قال له أشد، وقال يونس: علق عنها الفعل وارتفعت بالابتداء أولى بها صليا الصلي: مصدر صلى النار، ومعنى الآية: أن الله يعلم من هو أولى بأن يصلى العذاب وإن **منكم إلا واردها خطاب** لجميع الناس عند الجمهور، فأما المؤمنون فيدخلونها، ولكنها تخمد فلا تضرهم، فالورود على هذا بمعنى الدخول كقوله:

حصب جهنم أنتم لها واردون [الأنبياء: ٩٨] ، وأوردهم النار، وقيل: الورود بمعنى القدوم عليها كقوله ورد ماء مدين [القصص: ٢٣] ، والمراد بذلك جواز الصراط وقيل: الخطاب للكفار، فلا إشكال حتما أي أمرا لا بد منه ثم ننجي الذين اتقوا إن كان الورود بمعنى الدخول، فنجاة الذين اتقوا بكون النار عليهم بردا وسلاما، ثم بالخروج منها، وإن كان بمعنى المرور على الصراط فنجاتهم بالجواز والسلامة من الوقوع فيها أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا الفريقان هم المؤمنون والكفار، والمقام اسم مكان من قام، وقرئ بالضم «١» من أقام، والندي المجلس، ومعنى الآية: أن الكفار قالوا للمؤمنين: نحن خير منكم مقاما: أي أحسن حالا في الدنيا، وأجمل مجلسا فنحن أكرم على الله منكم.

وكم أهلكنا قبلهم من قرن كم مفعول بأهلكنا، ومعنى الآية: رد على الكفار في قولهم المذكور: أي ليس حسن الحال في

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٩٤/٣

الدنيا دليلا على الكرامة عند الله، لأن الله قد أهلك من كان أحسن حالا منكم في الدنيا هم أحسن قال الزمخشري هذه الجملة في موضع نصب صفة لكم أثاثا أي متاع البيت، وقال ابن عطية هو اسم عام، في المال العين والعروض والحيوان، وهو اسم جمع، وقيل هو جمع، واحده أثاثة ورءيا بهمزة ساكنة قبل الياء: معناه منظر حسن، وهو من الرؤية، والرئي اسم المرئي، وقرئ بتشديد «٢» الياء من غير همز، وهو تخفيف من الهمز، فالمعنى متفق، وقيل هو من ري الشارب أي التنعم بالمشارب والمآكل، وقرأ ابن عباس زيا بالزاي

فليمدد له الرحمن مدا أي يمهله ويملي له، واختلف هل هذا الفعل دعاء أو خبر سيق بلفظ الأمر تأكيدا حتى هنا غاية للمد في الإضلال إما العذاب يعنى عذاب الدنيا

---

(١) . قرأ ابن كثير: مقاما. والباقون: مقاما.

(٢) . قرأ نافع وابن عامر: وريا وقرأ ورش عن نافع: ورئيا بالهمزة وهي قراءة الباقين.." (١)

"عاقبة أمركم ثم فسرها بأنها رؤية الجحيم، والتفسير بعد الإبهام يدل على التهويل والتعظيم. والخطاب لجميع الناس فهو كقوله: [وإن منكم إلا واردها] [مريم: ٧١] وقيل:

للكفار خاصة، فالرؤية على هذا يراد بها الدخول فيها

ثم لترونها عين اليقين هذا تأكيد للرؤية المتقدمة وعطفه بثم للتهويل والتفخيم، والعين هنا من قولك: عين الشيء نفسه وذاته، أي لترونها الرؤية التي هي نفس اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم هذا إخبار بالسؤال في الآخرة عن نعيم الدنيا، فقيل: النعيم الأمن والصحة، وقيل: الطعام والشراب، وهذه أمثلة، والصواب العموم في كل ما يتلذذ به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بيت يكنك [يؤويك] وخرقة تواريك وكسرة تشد قلبك وما سوى ذلك فهو نعيم، وقال صلى الله عليه وسلم كل نعيم فمسؤول عنه إلا نعيم في سبيل الله، وأكل صلى الله عليه وسلم يوما مع أصحابه رطبا وشربوا عليه ماء فقال لهم هذا من النعيم الذي تسئلون عنه «١» .

---

(١) . الحديثان مشهوران وقد رواهما الطبري في تفسيره بألفاظ مقاربة. [.....]."(٢)

"في الزمان.

وقال الضحاك: الزجر الأول ووعيده للكافرين، والثاني للمؤمنين. كلا لو تعلمون: أي ما بين أيديكم مما تقدمون عليه، علم اليقين: أي كعلم ما تستيقنونه من الأمور لما ألهاكم التكاثر أو العلم اليقين، فأضاف الموصوف إلى صفته وحذف الجواب لدلالة ما قبله عليه وهو ألهاكم التكاثر. وقيل: اليقين هنا الموت. وقال قتادة: البعث، لأنه إذا جاء زال الشك. ثم قال: لترون الجحيم: والظاهر أن هذه الرؤية هي رؤية الورود، كما قال تعالى: وإن **منكم إلا واردها** «١» ، ولا تكون رؤية عند

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٤٨٤/١

(٢) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٥١٠/٢

الدخول، فيكون الخطاب للكفار لأنه قال بعد ذلك: ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم.

ثم لترونها عين اليقين: تأكيد للجملة التي قبلها، وزاد التوكيد بقوله: عين اليقين نفيا لتوهم المجاز في الرؤية الأولى. وعن ابن عباس: هو خطاب للمشركين، فالرؤية دخول. وقرأ ابن عامر والكسائي: لترون بضم التاء وباقي السبعة: بالفتح، وعلي وابن كثير في رواية، وعاصم في رواية: بفتحها في لترون، وضمها في لترونها، ومجاهد والأشهب وابن أبي عبلة: بضمهما. وروي عن الحسن وأبي عمرو بخلاف عنهما أنهما همزا الواوين، استثقلوا الضمة على الواو فهمزوا كما همزوا في وقتت، وكان القياس أن لا تهمز، لأنها حركة عارضة لالتقاء الساكنين فلا يعتد بها. لكنها لما تمكنت من الكلمة بحيث لا تزول أشبهت الحركة الأصلية فهمزوا، وقد همزوا من الحركة العارضة ما يزول في الوقف نحو استرؤا الصلاة، فهمز هذه أولى.

ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم: الظاهر العموم في النعيم، وهو كل ما يتلذذ به من مطعم ومشرب ومفرش ومركب، فالمؤمن يسأل سؤال إكرام وتشريف، والكافر سؤال توبيخ وتقريع. وعن ابن مسعود والشعبي وسفيان ومجاهد: هو الأمن والصحة. وعن ابن عباس:

البدن والحواس فيم استعملها. وعن ابن جبير: كل ما يتلذذ به.

وفي الحديث: «بيت يكنك وخرقة تواريك وكسرة تشد قلبك وما سوى ذلك فهو نعيم» .

(١) سورة مريم: ١٩/ ٧١.." (١)

"انتهى. وقال غيره: عزيزا أي قويا بالنقمة من اليهود، فسلط عليهم بطرس الرومي فقتل منهم مقتلة عظيمة. حكيما حكم عليهم باللعنة والغضب. وقيل: عزيزا أي: لا يغالب، لأن اليهود حاولت بعيسى عليه السلام أمرا وأراد الله خلافه. حكيما أي: واضع الأشياء مواضعها. فمن حكمته تخليصه من اليهود، ورفعه إلى السماء لما يريد وتقتضيه حكمته تعالى. وقال وهب بن منبه: أوحى الله تعالى إلى عيسى على رأس ثلاثين سنة، ثم رفعه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فكانت نبوته ثلاث سنين. وقيل: بعث الله جبريل عليه السلام فأدخله خوخة فيها روزنة في سقفها، فرفعه الله تعالى إلى السماء من تلك الروزنة.

وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته إن هنا نافية، والمخبر عنه محذوف قامت صفته مقامه، التقدير: وما أحد من أهل الكتاب. كما حذف في قوله: وإن **منكم إلا واردها** «١» والمعنى: وما من اليهود. وقوله: وما منا إلا له مقام معلوم «٢» أي: وما أحد منا إلا له مقام، وما أحد منكم إلا واردها. قال الزجاج: وحذف أحد لأنه مطلوب في كل نفي يدخله الاستثناء نحو: ما قام إلا زيد، معناه ما قام أحد إلا زيد. وقال الزمخشري:

ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره: وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به ونحوه: وما منا إلا له مقام معلوم، وإن منكم إلا واردها. والمعنى: وما من اليهود أحد إلا ليؤمنن به انتهى.

وهو غلط فاحش إذ زعم أن ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف إلى آخره، وصفة أحد المحذوف إنما هو

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٥٣٧/١٠

الجار والمجرور وهو من أهل الكتاب، والتقدير كما ذكرناه: وإن أحد من أهل الكتاب. وأما قوله: ليؤمنن به، فليست صفة لموصوف، ولا هي جملة قسمية كما زعم، إنما هي جملة جواب القسم، والقسم محذوف، والقسم وجوابه في موضع رفع خبر المبتدأ الذي هو أحد المحذوف، إذ لا ينتظم من أحد. والمجرور إسناد لأنه لا يفيد، وإنما ينتظم الإسناد بالجملة القسمية وجوابها، فذلك هو محط الفائدة.

وكذلك أيضا الخبر هو إلا له مقام، وكذلك إلا واردها، إذ لا ينتظم مما قبل إلا تركيب إسنادي. والظاهر أن الضميرين في: به، وموته، عائدان أن على عيسى وهو سياق الكلام، والمعنى: من أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله.

---

(١) سورة مريم: ١٩/ ٧١.

(٢) سورة الصافات: ٣٧/ ١٦٤.." [(١)]

"وإذ بد من يوم الحسرة. قال السدي وابن جريج: قضي الأمر ذبح الموت. وقال مقاتل: قضي العذاب. وقال ابن الأنباري المعنى إذ قضي الأمر الذي فيه هلاككم. وقال الضحاك: يكون ذلك إذا برزت جهنم ورمت بالشرر. وعن ابن جريج أيضا: إذا فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار. وقيل إذا قال اخسؤا فيها ولا تكلمون «١» . وقيل: إذا يقال امتازوا اليوم أيها المجرمون «٢» وقيل:

إذا قضي سد باب التوبة وذلك حين تطلع الشمس من مغربها.

وهم في غفلة. قال الزمخشري: متعلق بقوله في ضلال مبين عن الحسن وأنذرهم إعراض وهو متعلق بأنذرهم أي وأنذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين. وقال ابن عطية: وهم في غفلة يريد في الدنيا الآن وهم لا يؤمنون كذلك انتهى. وعلى هذا يكون حالا والعامل فيه وأنذرهم والمعنى أنهم مشتغلون بأمور دنياهم معرضون عما يراد منهم، والظاهر أن يكون المراد بقوله وقضي الأمر أمر يوم القيامة.

إنا نحن نرث الأرض ومن عليها تجوز وعبارة عن فناء المخلوقات وبقاء الخالق فكأنها وراثة. وقرأ الجمهور يرجعون بالياء من تحت مبنيا للمفعول، والأعرج بالتاء من فوق. وقرأ السلمي وابن أبي إسحاق وعيسى بالياء من تحت مبنيا للفاعل وحكى عنهم الداني بالتاء.

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٤١ الى ٩٨]

واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا (٤١) إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا (٤٢) يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا (٤٣) يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا (٤٤) يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا (٤٥)

قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا (٤٦) قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٤/١٢٩

بي حفيا (٤٧) وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوا ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا (٤٨) فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا (٤٩) ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا (٥٠)

واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا (٥١) وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا (٥٢) ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا (٥٣) واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا (٥٤) وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا (٥٥)

واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا (٥٦) ورفعناه مكانا عليا (٥٧) أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا (٥٨) فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا (٥٩) إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا (٦٠)

جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتيا (٦١) لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا (٦٢) تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا (٦٣) وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا (٦٤) رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا (٦٥) ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا (٦٦) أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٧) فو ربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠)

وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (٧٣) وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورءيا (٧٤) قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا (٧٥)

ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا (٧٦) أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا (٧٧) أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا (٧٨) كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا (٧٩) ونرثه ما يقول ويأتينا فردا (٨٠)

واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا (٨١) كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا (٨٢) ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا (٨٣) فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا (٨٤) يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا (٨٥)

ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا (٨٦) لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا (٨٧) وقالوا اتخذ الرحمن ولدا (٨٨) لقد جئتم شيئا إدا (٨٩) تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا (٩٠)

أن دعوا للرحمن ولدا (٩١) وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا (٩٢) إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا

(٩٣) لقد أحصاهم وعدهم عدا (٩٤) وكلهم آتيه يوم القيامة فردا (٩٥)
إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا (٩٦) فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا (٩٧) وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا (٩٨)

---

(١) سورة المؤمنون: ٢٣/ ١٠٨.

(٢) سورة يس: ٣٦/ ٥٩.." [1]

"الوصف، أي ليس أحد من الأمم يسمي شيئا بهذا الاسم سوى الله. وقال مجاهد وابن جبير وقتادة سميا مثلا وشبيها، وروي ذلك عن ابن عباس أيضا. قال ابن عطية: وكان السمي بمعنى المسامي والمضاهي فهو من السمو، وهذا قول حسن ولا يحسن في ذكر يحيى انتهى. يعني لم نجعل له من قبل سميا. وقال غيره: يقال فلان سمي فلان إذا شاركه في اللفظ، وسميه إذا كان مماثلا له في صفاته الجميلة ومناقبه. ومنه قول الشاعر:

فأنت سمي للزبير ولست للزبير ... سميا إذ غدا ما له مثل

وقال الزجاج: هل تعلم أحدا يستحق أن يقال له خالق وقادر إلا هو. وقال الضحاك: ولدا ردا على من يقول ولد الله.

ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا فو ربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورءيا.

قيل: سبب النزول أن رجلا من قريش قيل هو أبي بن خلف جاء بعظم رفات فنفخ فيه، وقال للرسول: أيبعث هذا؟ وكذب وسخر

، وإسناد هذه المقالة للجنس بما صدر من بعضهم. كقول الفرزدق:

فسيف بني عبس وقد ضربوا به ... نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد

أسند الضرب إلى بني عبس مع قوله نبا بيدي، ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي، أو للجنس الكافر المنكر للبعث أو المعني أبي بن خلف، أو المعاصي بن وائل، أو أبو جهل، أو الوليد بن المغيرة أقوال.

وقرأ الجمهور أإذا بهمزة الاستفهام. وقرأت فرقة منهم ابن ذكوان بخلاف عنه إذا بدون همزة الاستفهام. وقرأ الجمهور لسوف باللام. وقرأ طلحة بن مصرف سأخرج بغير لام وسين الاستقبال عوض سوف، فعلى قراءته تكون إذا معمولا لقوله سأخرج

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٧/٢٦٤

لأن حرف التنفيس لا يمنع من عمل ما بعده من الفعل فيما قبله، على أن فيه خلافا شاذا وصاحبه محجوج بالسماع. قال الشاعر:." (١)

"وحكى أبو بكر بن شقير أن بعض الكوفيين يقول: في أيهم معنى الشرط، تقول:

ضربت القوم أيهم غضب، والمعنى إن غضبوا أو لم يغضبوا فعلى هذا يكون التقدير إن اشتد عتوهم أو لم يشتد. وقرأ طلحة بن مصرف ومعاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء وزائدة عن الأعمش أيهم بالنصب مفعولا بلننزعن، وهاتان القراءتان تدلان على أن مذهب سيبويه أنه لا يتحتم فيها البناء إذا أضيفت وحذف صدر صلتها، وقد نقل عنه تحتم البناء وينبغي أن يكون فيه على مذهبه البناء والإعراب. قال أبو عمرو الجرمي: خرجت من البصرة فلم أسمع منذ فارقت الخندق إلى مكة أحدا يقول لأضربن أيهم قائم بالضم بل بنصبها انتهى. وقال أبو جعفر النحاس: وما علمت أحدا من النحويين إلا وقد خطأ سيبويه، وسمعت أبا إسحاق يعني الزجاج يقول: ما تبين أن سيبويه غلط في كتابه إلا في موضعين هذا أحدهما. قال: وقد أعرب سيبويه أيا وهي مفردة لأنها تضاف فكيف يبنيها وهي مضافة؟.

وعلى الرحمن متعلق بأشد. وعتيا تمييز محول من المبتدأ تقديره أيهم هو عتوه أشد على الرحمن وفي الكلام حذف تقديره فيلقيه في أشد العذاب، أو فيبدأ بعذابه ثم بمن دونه إلى آخرهم عذابا.

وفي الحديث: «إنه تبدو عنق من النار فتقول: إني أمرت بكل جبار عنيد فتلتقطهم» .

وفي بعض الآثار: «يحضرون جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم الأكفر فالأكفر» .

قال ابن عباس: عتيا جراءة. وقال مجاهد: فجرا. وقيل: افتراء بلغة تميم. وقيل: عتيا جمع عات فانتصابه على الحال.

ثم لنحن أعلم أي نحن في ذلك النزع لا نضع شيئا غير موضعه، لأنا قد أحطنا علما بكل واحد فأولى بصلي النار نعلمه. قال ابن جريج: أولى بالخلود. وقال الكلبي:

صليا دخولا. وقيل: لزوما. وقيل: جمع صال فانتصب على الحال وبها متعلق بأولى.

والواو في قوله وإن منكم للعطف. وقال ابن عطية: وإن منكم إلا واردها قسم والواو تقتضيه، ويفسره

قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من مات له ثلاث من الولد لم تمسه النار إلا تحلة القسم» .

انتهى. وذهل عن قول النحويين أنه لا يستغنى عن القسم بالجواب لدلالة المعنى إلا إذا كان الجواب باللام أو بأن، والجواب هنا جاء على زعمه بأن النافية فلا يجوز حذف القسم على ما نصوا. وقوله والواو تقتضيه يدل على أنها عنده واو القسم، ولا يذهب نحوي إلى أن مثل هذه الواو واو قسم لأنه يلزم من ذلك حذف المجرور وإبقاء الجار، ولا يجوز." (٢)

"يحصل لكل أحد، لم يكن حاصلا له في الدنيا. وليس في قوله: سوف تعلمون ما يقتضي دخول النار، فضلا عن التخليد فيها. وكذلك رؤية الجحيم لا يستلزم دخولها لكل من رآها. فإن أهل الموقف يرونها، ويشاهدونها عيانا، وقد أقسم الرب تبارك وتعالى أن لا بد أن يراها الخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم، وبرهم وفاجرهم ١٩: ٧١ وإن منكم إلا واردها. كان

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٧/٢٨٤

(٢) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٧/٢٨٨

على ربك حتما مقضيا.

فليس في جملة هذه السورة ما ينفي عموم خطابها.

وأما ما ذكروه عن الحسن: لا يسأل عن النعيم إلا أهل النار. فباطل قطعا، إما عليه وإما منه. والأحاديث الصحيحة الصريحة ترده. وبالله التوفيق.

ولا يخفى أن مثل هذه السورة مع عظم شأنها وشدة تخويفها. وما تضمنته من تحذير الإنسان عن التكاثر الملهي، وانطباق معناها على أكثر الخلق يأبى اختصاصها من أولها إلى آخرها بالكفار، ولا يليق ذلك بها.

ويكفي في ذلك تأمل الأحاديث المرفوعة فيها. والله أعلم.

وتأمل ما في هذا العتاب الراجع لمن استمر على إلهاء التكاثر له مدة حياته كلها، إلى أن زار القبور، ولم يستيقظ من نوم الإلهاء، بل أرقد التكاثر قلبه فلم يستفق منه إلا وهو في عسكر الأموات.

وطابق بين هذا وبين حال أكثر الخلق يتعين لك أن العموم مقصود.

وتأمل تعليقه سبحانه الذم والوعيد على مطلق التكاثر من غير تقييد بمتكاثر به، ليدخل فيه التكاثر بجميع أسباب الدنيا، على اختلاف أجناسها وأنواعها.

وأيضا فإن التكاثر تفاعل، وهو طلب كل من المتكاثرين أن يكاثر صاحبه. فيكون أكثر منه فيما يتكاثره به. والحامل له على ذلك: توهمه أن." (١)

"قوله تعالى: ﴿وإن من أهل الكتاب﴾ : «إن» هنا نافية بمعنى «ما» و «من أهل» يجوز فيه وجهان، أحدهما: أنه صفة لمبتدأ محذوف، والخبر الجملة القسمية المحذوفة وجوابها، والتقدير: وما أحد من أهل الكتاب إلا والله ليؤمنن به، فهو كقوله: ﴿وما منآ إلا له مقام [معلوم] ﴾ [الصافات: ١٦٤] . أي: ما أحد منا، وكقوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] أي: ما أحد منكم إلا واردها، هذا هو الظاهر، والثاني: - وبه قال الزمخشري وأبو البقاء - أنه في." (٢)

"محل الخبر، قال الزمخشري: «وجملة» ليؤمنن به «جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره: وإن من أهل / الكتاب أحد إلا ليؤمنن به، ونحوه: ﴿وما منآ إلا له مقام معلوم﴾ [الصافات: ١٦٤] ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] والمعنى: وما من اليهود أحد إلا ليؤمن» قال الشيخ: «وهو غلط فاحش، إذ زعم أن» ليؤمنن به «جملة قسيمة واقعة صفة لموصوف محذوف إلى آخره، وصفة» أحد «المحذوف إنما [هو] الجار والمجرور كما قدرناه، وأما قوله:» ليؤمنن به «فليست صفة لموصوف ولا هي جملة قسيمة، إنما هي جملة جواب القسم، والقسم محذوف، والقسم وجوابه خبر للمبتدأ إذ لا ينتظم من» أحد «والمجرور إسناد لأنه لا يفيد، وإنما ينتظم الإسناد بالجملة القسمية وجوابها، فذلك هو محط الفائدة، وكذلك أيضا الخبر هو» إلا له مقام «، **وكذلك» إلا واردها** «إذ لا ينتظم مما قبل» إلا «تركيب إسنادي» وهذا - كما ترى - قد أساء العبارة في حق الزمخشري بما زعم أنه غلط وهو صحيح مستقيم، وليت شعري كيف لا ينتظم الإسناد من

(١) التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم ابن القيم ص/٥٨٤

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٤٨/٤

«أحد» الموصوف بالجملة التي بعده ومن الجار قبله؟ ونظيره أن تقول: «ما في الدار رجل إلا صالح» فكما أن «في الدار» خبر مقدم، و «رجل» مبتدأ مؤخر، و «إلا صالح» صفته، وهو كلام مفيد مستقيم، فكذلك هذا، غاية ما في الباب أن «إلا» دخلت على الصفة لتفيد الحصر. وأما رده عليه حيث قال: جملة قسمية، وإنما هي جواب القسم فلا يحتاج إلى الاعتذار عنه ويكفيه مثل هذه الاعتراضات.

واللام في «ليؤمنن» جواب قسم محذوف كما تقدم. وقال أبو البقاء: «ليؤمنن جواب قسم محذوف، وقيل: أكد بها في غير القسم كما جاء في النفي والاستفهام» فقوله: «وقيل إلى آخره» إنما يستقيم ذلك إذا أعدنا." (١)

"قوله: ﴿وإن منكم إلا﴾ : في هذه الواو وجهان، أحدهما: أنها عاطفة هذه الجملة على ما قبلها. وقال ابن عطية « ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قسم والواو تقتضيه، ويفسره قول النبي صلى الله عليه وسلم:» من مات له ثلاث من الولد لم تمسه النار إلا تحلة القسم «قال الشيخ:» وذهل عن قول النحويين إنه لا يستغنى عن القسم بالجواب لدلالة المعنى، إلا إذا كان الجواب باللام أو ب «إن» والجواب هنا على زعمه ب «إن» النافية فلا يجوز حذف القسم على ما نصوا. وقوله: «والواو تقتضيه» يدل على أنها عنده واو القسم، ولا يذهب نحوي إلى أن مثل هذه الواو واو قسم لأنه يلزم من ذلك حذف المجرور وإبقاء الجار، ولا يجوز ذلك إلا إن وقع في شعر أو نادر كلام بشرط أن تقوم صفة المحذوف مقامه، كما أولوا في قولهم: «." (٢)

"ويلقي عليه الجحفة يعني الترس، فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس نادى «من يحرسنا في هذه الليلة فأدعو له بدعاء يكون له فيه فضل؟» فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله فقال «ادن» فدنا، فقال «من أنت؟» فتسمى له الأنصاري، ففتح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعاء فأكثر منه. فقال أبو ريحانة: فلما سمعت ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: أنا رجل آخر، فقال «ادن» ، فدنوت فقال «من أنت؟» قال: فقلت: أنا أبو ريحانة، فدعا بدعاء هو دون ما دعا للأنصاري، ثم قال «حرمت النار على عين دمعت- أو بكت- من خشية الله، وحرمت النار على عين سهرت في سبيل الله» وروى النسائي منه «حرمت النار» إلى آخره عن عصمة بن الفضل عن زيد بن الحباب به، وعن الحارث بن مسكين عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن شريح به، وأتم وقال في الروايتين عن أبي علي الجنبي.

حديث آخر: قال الترمذي «١» : حدثنا نصر بن علي الجهضمي، حدثنا بشر بن عمر، حدثنا شعيب بن رزيق أبو شيبة عن عطاء الخراساني، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله» ثم قال: حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث شعيب بن رزيق، قال وفي الباب عن عثمان وأبي ريحانة. (قلت) وقد تقدما، ولله الحمد والمنة.

حديث آخر: - قال الإمام أحمد «٢» : حدثنا يحيى بن غيلان، حدثنا رشدين عن زياد، عن سهل بن معاذ، عن أبيه

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٤٩/٤

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦٢٥/٧

معاذ بن رضي الله عنه أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من حرس من وراء المسلمين متطوعا لا بأجرة سلطان، لم ير النار بعينيه إلا تحلة القسم، فإن الله يقول وإن منكم إلا واردها» [مريم: ٧١] تفرد به أحمد رحمه الله.

حديث آخر: - روى البخاري «٣» في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه، مغبرة قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع» . فهذا آخر ما تيسر إيراده من الأحاديث المتعلقة بهذا المقام، ولله الحمد على جزيل الإنعام، على تعاقب الأعوام والأيام.

وقال ابن جرير «٤» : حدثني المثنى، حدثنا مطرف بن عبد الله المدني، حدثنا مالك عن زيد بن أسلم قال: كتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب يذكر له جموعا من الروم وما يتخوف

---

(١) سنن الترمذي (فضائل الجهاد باب ١٢) .

(٢) مسند أحمد ٣/ ٤٣٧- ٤٣٨.

(٣) صحيح البخاري (جهاد باب ٧٠ ورقاق باب ١٠) .

(٤) تفسير الطبري ٣/ ٥٦٢.." [1]

"عذابا ضعفا من النار- إلى قوله- بما كنتم تكسبون [الأعراف: ٣٨- ٣٩] وقوله: ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا ثم هاهنا لعطف الخبر على الخبر، والمراد أنه تعالى أعلم بمن يستحق من العباد أن يصلى بنار جهنم ويخلد فيها، وبمن يستحق تضعيف العذاب، كما قال في الآية المتقدمة قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون.

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٧١ الى ٧٢]

وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)

قال الإمام أحمد «١» : حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا غالب بن سليمان عن كثير بن زياد البرساني عن أبي سمية قال: اختلفنا في الورود فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضهم:

يدخلونها جميعا، ثم ينجي الله الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبد الله فقلت له: إنا اختلفنا في الورود، فقال: يردونها جميعا، وقال سليمان بن مرة: يدخلونها جميعا، وأهوى بأصبعيه إلى أذنيه، وقال: صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت النار على إبراهيم حتى إن للنار ضجيجا من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا» غريب ولم يخرجوه.

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا مروان بن معاوية عن بكار بن أبي مروان عن خالد بن معدان قال: قال أهل الجنة بعد ما

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ١٧٨/٢

دخلوا الجنة: ألم يعدنا ربنا الورود على النار؟ قال: قد مررتم عليها وهي خامدة «٢» ، وقال عبد الرزاق عن ابن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: كان عبد الله بن رواحة واضعا رأسه في حجر امرأته، فبكى فبكت امرأته، فقال: ما يبكيك؟ قالت رأيتك تبكي فبكيت، قال: إني ذكرت قول الله عز وجل وإن منكم إلا واردها فلا أدري أنجو منها أم لا- وفي رواية، وكان مريضا «٣» .

وقال ابن جرير «٤» : حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن يمان عن مالك بن مغول عن أبي إسحاق كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه قال: يا ليت أمي لم تلدني، ثم يبكي، فقيل له: ما يبكيك يا أبا ميسرة؟ قال: أخبرنا أنا واردوها ولم نخبر أنا صادرون عنها، وقال عبد الله بن المبارك عن الحسن البصري قال: قال رجل لأخيه: هل أتاك أنك وارد النار؟ قال: نعم، قال: فهل أتاك أنك صادر عنها؟ قال: لا، قال: ففيم الضحك؟ قال: فما رئي ضاحكا حتى لحق بالله «٥» .

وقال عبد الرزاق أيضا: أخبرنا ابن عيينة عن عمرو، أخبرني من سمع ابن عباس يخاصم

---

(١) المسند ٣/ ٣٢٨، ٣٢٩.

(٢) انظر تفسير الطبري ٨/ ٣٦٤.

(٣) انظر تفسير الطبري ٨/ ٣٦٥.

(٤) تفسير الطبري ٨/ ٣٦٥.

(٥) انظر تفسير الطبري ٨/ ٣٦٧.." (١)

"نافع بن الأزرق فقال ابن عباس: الورود الدخول، فقال نافع: لا، فقرأ ابن عباس إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون [الأنبياء: ٩٨] وردوا أم لا، وقال:

يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار [هود: ٩٨] أوردها أم لا، أما أنا وأنت فسندخلها.

فانظر هل نخرج منها أم لا؟ وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك، فضحك نافع «١» .

وروى ابن جريج عن عطاء قال: قال أبو راشد الحروري وهو نافع بن الأزرق لا يسمعون حسيسها فقال ابن عباس: ويلك، أمجنون أنت؟ أين قوله: يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا وإن منكم إلا واردها والله إن كان دعاء من مضى: اللهم أخرجني من النار سالما، وأدخلني الجنة غانما «٢» . وقال ابن جرير «٣» : حدثني محمد بن عبيد المحاربي، حدثنا أسباط عن عبد الملك عن عبيد الله عن مجاهد قال: كنت عند ابن عباس فأتاه رجل يقال له أبو راشد وهو نافع بن الأزرق، فقال له: يا ابن عباس أرأيت قول الله: وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا؟ قال: أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها، فانظر هل نصدر عنها أم لا؟

وقال أبو داود الطيالسي: قال شعبة: أخبرني عبد الله بن السائب عمن سمع ابن عباس يقرؤها وإن منهم إلا واردها يعني الكفار «٤» ، وهكذا روى عمر بن الوليد الشني أنه سمع عكرمة يقرؤها كذلك وإن منهم إلا واردها قال وهم الظلمة

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ٢٢٣/٥

كذلك كنا نقرؤها، رواه ابن أبي حاتم وابن جرير، وقال العوفي عن ابن عباس: قوله: وإن **منكم إلا واردها يعني** البر والفاجر، ألا تسمع إلى قول الله لفرعون: يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار [هود: ٩٨] الآية، ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا [مريم: ٨٦] فسمى الورود على النار دخولا وليس بصادر «٥» .

وقال الإمام أحمد «٦» : حدثنا عبد الرحمن عن إسرائيل عن السدي، عن مرة عن عبد الله هو ابن مسعود وإن **منكم إلا واردها قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يرد الناس كلهم ثم يصدرون عنها بأعمالهم» «٧» ورواه الترمذي عن عبد بن حميد عن عبيد الله عن إسرائيل عن السدي به. ورواه من طريق شعبة عن السدي عن مرة عن ابن مسعود موقوفا، هكذا وقع هذا الحديث هاهنا مرفوعا.

---

(١) انظر تفسير الطبري ٨/ ٣٦٤.

(٢) انظر تفسير الطبري ٨/ ٣٦٤.

(٣) تفسير الطبري ٨/ ٣٦٧.

(٤) انظر تفسير الطبري ٨/ ٣٦٦.

(٥) انظر تفسير الطبري ٨/ ٣٦٤.

(٦) المسند ١/ ٤٣٤، ٤٣٥.

(٧) أخرجه الترمذي في تفسير سورة ١٩، باب ٥، ٦، والدارمي في الرقاق باب ٨٩.." (١)

"وقد رواه أسباط عن السدي عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال: يرد الناس جميعا الصراط، وورودهم قيامهم حول النار، ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم، فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل الريح، ومنهم من يمر مثل الطير، ومنهم من يمر كأجود الخيل، ومنهم من يمر كأجود الإبل، ومنهم من يمر كعدو الرجل حتى إن آخرهم مرا رجل نوره على موضع إبهامي قدميه، يمر فيتكفأ به الصراط، والصراط دحض «١» مزلة عليه حسك كحسك القتاد «٢» ، حافتاه ملائكة معهم كلاليب من نار يختطفون بها الناس. وذكر تمام الحديث رواه ابن أبي حاتم.

وقال ابن جرير «٣» : حدثنا خلاد بن أسلم، حدثنا النضر، حدثنا إسرائيل، أخبرنا أبو إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قوله: وإن **منكم إلا واردها قال**: الصراط على جهنم مثل حد السيف، فتمر الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم. ثم يمرون والملائكة يقولون: اللهم سلم سلم، ولهذا شواهد في الصحيحين وغيرهما من رواية أنس وأبي سعيد وأبي هريرة وجابر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم.

وقال ابن جرير «٤» : حدثني يعقوب، حدثنا ابن علية عن الجريري عن أبي السليل عن غنيم بن قيس قال: ذكروا ورود النار، فقال كعب: تمسك النار الناس كأنها متن إهالة حتى يستوي عليها أقدام الخلائق: برهم وفاجرهم، ثم يناديها مناد: أن امسكي أصحابك ودعي أصحابي، قال فتخسف بكل ولي لها، وهي أعلم بهم من الرجل بولده، ويخرج المؤمنون ندية

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ٢٢٤/٥

ثيابهم. قال كعب: ما بين منكبي الخازن من خزنتها مسيرة سنة، مع كل واحد منهم عمود ذو شعبتين، يدفع به الدفع فيصرع به في النار سبعمائة ألف.

وقال الإمام أحمد «٥» : حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر، عن أم مبشر عن حفصة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد شهد بدرا والحديبية» قالت: فقلت أليس الله يقول: وإن منكم إلا واردها قالت: فسمعته يقول ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا.

وقال أحمد «٦» أيضا: حدثنا ابن إدريس، حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر، عن أم مبشر امرأة زيد بن حارثة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة فقال: «لا يدخل النار أحد

---

(١) دحض: زلق. [.....]

(٢) الحسك: الشوك، والقتاد: شجر له شوك.

(٣) تفسير الطبري ٨/ ٣٦٥، ٣٦٦.

(٤) تفسير الطبري ٨/ ٣٦٥.

(٥) المسند ٦/ ٢٨٥.

(٦) المسند ٦/ ٣٦٢.." (١)

"شهد بدرا والحديبية» قالت حفصة: أليس الله يقول وإن منكم إلا واردها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثم ننجي الذين اتقوا الآية، وفي الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد تمسه النار إلا تحلة القسم» «١» .

وقال عبد الرزاق قال معمر أخبرني الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من مات له ثلاثة لم تمسه النار إلا تحلة القسم» يعني الورود «٢» ، وقال أبو داود الطيالسي حدثنا زمعة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم» قال الزهري كأنه يريد هذه الآية وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا.

وقال ابن جرير «٣» : حدثني عمران بن بكار الكلاعي حدثنا أبو المغيرة حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن تميم حدثنا إسماعيل بن عبيد الله عن أبي صالح عن أبي هريرة قال:

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود رجلا من أصحابه وعك وأنا معه ثم قال «إن الله تعالى يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من النار في الآخرة» غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه.

وحدثنا أبو كريب، حدثنا ابن يمان عن عثمان بن الأسود عن مجاهد قال: الحمى حظ كل مؤمن من النار ثم قرأ وإن منكم إلا واردها. وقال الإمام أحمد «٤» : حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا زبان بن فائد عن سهل بن معاذ بن أنس

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ٥/٢٢٥

الجهني عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«من قرأ قل هو الله أحد حتى يختمها عشر مرات، بنى الله له قصرا في الجنة» فقال عمر: إذا نستكثر يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الله أكثر وأطيب» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ ألف آية في سبيل الله كتب يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا إن شاء الله، ومن حرس من وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا لا بأجر سلطان لم ير النار بعينيه إلا تحلة القسم» . قال تعالى: وإن منكم إلا واردها وإن الذكر في سبيل الله يضاعف فوق النفقة بسبعمائة ضعف. وفي رواية بسبعمائة ألف ضعف «٥» .

وروى أبو داود عن أبي الطاهر عن ابن وهب عن يحيى بن أيوب، كلاهما عن زبان عن سهل عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الصلاة والصيام والذكر يضاعف على النفقة في سبيل الله

---

(١) أخرجه البخاري في الجنائز باب ٦، والأيمان باب ٩، ومسلم في البر حديث ١٥٠.

(٢) انظر تفسير الطبري ٨/ ٣٦٦.

(٣) تفسير الطبري ٨/ ٣٦٦.

(٤) المسند ٣/ ٤٣٧.

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٤٣٧، ٤٣٨.." (١)

"بسبعمائة ضعف» «١» وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قوله: وإن منكم إلا واردها قال: هو المر عليها. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: وإن منكم إلا واردها قال: ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرانيها وورود المشركين أن يدخلوها، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الزالون والزالات يومئذ كثير وقد أحاط بالجسر يومئذ سماطان من الملائكة دعاؤهم يا ألله سلم سلم» وقال السدي عن مرة عن ابن مسعود في قوله كان على ربك حتما مقضيا قال: قسما واجبا. وقال مجاهد: حتما، قال قضاء، وكذا قال ابن جريج.

وقوله: ثم ننجي الذين اتقوا أي إذا مر الخلائق كلهم على النار وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة ذوي المعاصي بحسبهم، نجى الله تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم، فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا، ثم يشفعون في أصحاب الكبائر من المؤمنين، فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون فيخرجون خلقا كثيرا قد أكلتهم النار إلا دارات وجوههم وهي مواضع السجود، وإخراجهم إياهم من النار بحسب ما في قلوبهم من الإيمان، فيخرجون أولا من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، حتى يخرجون من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان، ثم يخرج الله من النار من قال يوما من الدهر: لا إله إلا الله وإن لم يعمل خيرا قط، ولا يبقى في النار إلا من وجب عليه الخلود كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال تعالى: ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا.

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ٥/٢٢٦

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٧٣ الى ٧٤]

وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (٧٣) وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورءيا (٧٤)

يخبر تعالى عن الكفار حين تتلى عليهم آيات الله ظاهرة الدلالة بينة الحجة واضحة البرهان أنهم يصدون ويعرضون عن ذلك ويقولون عن الذين آمنوا مفتخرين عليهم ومحتجين على صحة ما هم عليه من الدين الباطل بأنهم خير مقاما وأحسن نديا أي أحسن منازل وأرفع دورا وأحسن نديا وهو مجتمع الرجال للحديث أي ناديهم أعمر وأكثر واردا وطارقا يعنون فكيف نكون ونحن بهذه المثابة على باطل وأولئك الذين هم مختفون مستترون في دار الأرقم بن أبي الأرقم ونحوها من الدور على الحق كما قال تعالى مخبرا عنهم: وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه [الأحقاف: ١١] وقال قوم نوح: أنؤمن لك واتبعك الأرذلون [الشعراء: ١١١] وقال تعالى: وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين [الأنعام: ٥٣] ولهذا قال تعالى رادا على شبهتهم وكم أهلكنا قبلهم من قرن أي وكم من أمة وقرن من المكذبين قد أهلكناهم

---

(١) أخرجه أبو داود في الجهاد باب ١٣.." [(١)]

"والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات [العصر: ١- ٣] وقال عز وجل: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات [التين: ٤- ٦] وقال تعالى: وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا [مريم: ٧١- ٧٢] وقال تعالى: كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين [المدثر: ٣٨] ولهذا قال جل وعلا هاهنا إلا عباد الله المخلصين أي ليسوا يذوقون العذاب الأليم ولا يناقشون في الحساب بل يتجاوز عن سيئاتهم إن كان لهم سيئات ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة إلى ما يشاء الله تعالى من التضعيف.

وقوله جل وعلا: أولئك لهم رزق معلوم قال قتادة والسدي يعني الجنة ثم فسره بقوله تعالى: فواكه أي متنوعة وهم مكرمون أي يخدمون ويرفهون وينعمون في جنات النعيم على سرر متقابلين قال مجاهد لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض. وقال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن عبدك القزويني حدثنا حسان بن حسان حدثنا إبراهيم بن بشر حدثنا يحيى بن معين حدثنا إبراهيم القرشي عن سعيد بن شرحبيل عن زيد بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية على سرر متقابلين ينظر بعضهم إلى بعض حديث غريب.

وقوله تعالى: يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون كما قال عز وجل في الآية الأخرى طوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ٥/٢٢٧

[الواقعة: ٣٨- ٣٩] نزه الله سبحانه وتعالى خمر الجنة عن الآفات التي في خمر الدنيا من صداع الرأس ووجع البطن وهو الغول وذهابها بالعقل جملة فقال تعالى هاهنا: يطاف عليهم بكأس من معين أي بخمر من أنهار جارية لا يخافون انقطاعها ولا فراغها. قال مالك عن زيد بن أسلم: خمر جارية بيضاء أي لونها مشرق حسن بهي لا كخمر الدنيا في منظرها البشع الرديء من حمرة أو سواد أو اصفرار أو كدورة «١» إلى غير ذلك مما ينفر الطبع السليم.

وقوله عز وجل: لذة للشاربين أي طعمها طيب كلونها وطيب الطعم دليل على طيب الريح بخلاف خمر الدنيا في جميع ذلك وقوله تعالى: لا فيها غول يعني لا تؤثر فيها غولا وهو وجع البطن قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة وابن زيد كما تفعله خمر الدنيا من القولنج «٢» ونحوه لكثرة مائيتها، وقيل المراد بالغول هاهنا صداع الرأس وروي هكذا عن ابن

---

(١) الكدورة: ضد الضعفاء.

(٢) القولنج: كلمة عجمية، مرض مشهور معوي، يعثر معه خروجه الثفل والريح.." (١)

"أحب إلي من أن أبايع وقال عبد الله بن أحمد: حدثنا عبيد الله بن معاذ، حدثنا أبي، حدثنا قرة عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من يصعد الثنية ثنية المرار «١» فإنه يحط عنه ما حط عن بني إسرائيل» فكان أول من صعد خيل بني الخزرج ثم تبادر الناس بعد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر» فقلنا: تعال يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: والله لأن أجد ضالتي أحب إلي من أن يستغفر لي صاحبكم، فإذا هو رجل ينشد ضالة، رواه مسلم «٢» عن عبيد الله به.

وقال ابن جريج: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرا رضي الله عنه يقول: أخبرتني أم مبشر أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة رضي الله عنها: «لا يدخل النار إن شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها أحد» قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها فقالت لحفصة رضي الله عنها وإن **منكم إلا واردها** [مريم: ٧١] فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قد قال الله تعالى: ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا [مريم: ٧٢] رواه مسلم «٣» ، وفيه أيضا عن قتيبة عن الليث عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال: أن عبدا لحاطب بن أبي بلتعة جاء يشكو حاطبا فقال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كذبت لا يدخلها فإنه قد شهد بدرا والحديبية» «٤» ولهذا قال تعالى في الثناء عليهم: إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما كما قال عز وجل في الآية الأخرى: لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا [الفتح: ١٨] .

[سورة الفتح (٤٨) : الآيات ١١ الى ١٤]

سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ١٠/٧

من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا (١١) بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا (١٢) ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا (١٣) ولله ملك السماوات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما (١٤)

يقول تعالى مخبرا رسوله صلوات الله وسلامه عليه بما يعتذر به المخلفون من الأعراب الذين اختاروا المقام في أهليهم وشغلهم وتركوا المسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذروا بشغلهم لذلك وسألوا أن يستغفر لهم الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك قول منهم لا على سبيل الاعتقاد بل على وجه

---

(١) ثنية المرار: موضع بين مكة والمدينة.

(٢) كتاب المنافقين حديث ١٢.

(٣) كتاب فضائل الصحابة حديث ١٦٣.

(٤) كتاب فضائل الصحابة حديث ١٦١، ١٦٢.." [1]

"ثم قال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شعيب بن رزيق (١) قال: وفي الباب عن عثمان وأبي ريحانة (٢)

قلت: وقد تقدما، ولله الحمد.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن غيلان، حدثنا رشدين، عن زبان (٣) عن سهل بن معاذ عن أبيه معاذ بن أنس، رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من حرس من وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا لا بأجرة سلطان، لم ير النار بعينيه إلا تحلة القسم، فإن الله يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم:٧١] .

تفرد به أحمد (٤) رحمه الله [تعالى] (٥) .

حديث آخر: روى البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش (٦) طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع" (٧) .

فهذا ما تيسر إيراده من الأحاديث المتعلقة بهذا المقام، ولله الحمد على جزيل الإنعام، على تعاقب الأعوام والأيام.

وقال ابن جرير: حدثني المثنى، حدثنا مطرف بن عبد الله المدني (٨) حدثنا مالك، عن زيد بن أسلم قال: كتب أبو عبيدة، رضي الله عنه، إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يذكر له جموعا من الروم وما يتخوف منهم، فكتب إليه عمر: أما بعد فإنه مهما ينزل بعبد مؤمن من منزلة شدة يجعل الله بعدها فرجا، وإنه لن يغلب عسر يسرين، وإن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ (٩) .

وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن المبارك (١٠) من طريق محمد بن إبراهيم بن أبي سكينة قال: أملى علي

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ٣١٢/٧

عبد الله بن المبارك هذه الأبيات بطرسوس، وودعته للخروج، وأنشدها

---

(١) في أ: "زريق".

(٢) سنن الترمذي برقم (١٦٣٩) .

(٣) في ر: "رثان".

(٤) المسند (٣/٤٣٧) .

(٥) زيادة من ر.

(٦) في ر: "انتفش".

(٧) صحيح البخاري برقم (٢٨٨٦) .

(٨) في ر: "المديني".

(٩) تفسير الطبري (٧/٥٠٣) ورواه الحاكم في المستدرك (٢/٣٠٠) من طريق زيد بن أسلم به وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(١٠) انظر: مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (١٤/٢٢) .." [(١)]

"العذاب، كما قال في الآية المتقدمة: ﴿قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون﴾

﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) ﴾ .

قال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا خالد بن سليمان، عن كثير بن زياد البرساني، عن أبي سمية قال: اختلفنا في الورود، فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن. وقال بعضهم: يدخلونها جميعا، ثم ينجي الله الذين اتقوا. فلقيت جابر بن عبد الله فقلت له: إنا اختلفنا في الورود، فقال: يردونها جميعا -وقال سليمان مرة (١) يدخلونها جميعا-وأهوى بأصبعيه إلى أذنيه، وقال: صمتا، إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن (٢) بردا وسلاما، كما كانت على إبراهيم، حتى إن للنار ضجيجا من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا، ويذر الظالمين فيها جثيا" (٣) غريب ولم يخرجوه.

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا مروان بن معاوية، عن بكار بن (٤) أبي مروان، عن خالد بن معدان قال: قال أهل الجنة بعدما دخلوا الجنة: ألم يعدنا ربنا الورود على النار؟ قال: قد مررتم عليها وهي خامدة.

وقال عبد الرزاق، عن ابن عيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم قال: كان عبد الله بن رواحة واضعا رأسه في حجر امرأته، فبكى، فبكت امرأته فقال (٥) ما يبكيك؟ فقالت: (٦) رأيتك تبكي فبكيت. قال: إني ذكرت قول الله عز وجل: ﴿وإن منكم (٧) إلا واردها﴾ ، فلا أدري أنجو منها أم لا؟ (٨) وفي رواية: وكان مريضا.

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن يمان، عن مالك بن مغول، عن أبي إسحاق: كان أبو ميسرة إذا أوى إلى

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢٠٢/٢

فراشه قال: يا ليت أمي لم تلدني ثم يبكي، فقيل: ما يبكيك يا أبا ميسرة؟ فقال: أخبرنا أنا واردوها، ولم نخبر أنا صادرون عنها (٩) .

وقال عبد الله بن المبارك، عن الحسن البصري قال: قال رجل لأخيه: هل أتاك أنك وارد النار؟ قال: نعم. قال: فهل أتاك أنك صادر عنها؟ قال: لا. قال: ففيم الضحك؟ [قال فما رئي ضاحكا حتى لحق بالله] (١٠) .

---

(١) في أ: "سليمان بن مرة".

(٢) في ف: "المؤمنين".

(٣) المسند (٣/٣٢٨) وقال المنذري في الترغيب (٢/٣٠٦) : "رجاله ثقات".

(٤) في ف: "عن".

(٥) في ف: "قال".

(٦) في أ: قالت".

(٧) في ت: "وما منكم".

(٨) تفسير عبد الرزاق (٢/١١) .

(٩) تفسير الطبري (١٦/٨٢) .

(١٠) زيادة من ف، أ، والطبري.." [1]

"وقال عبد الرزاق أيضا: أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو، أخبرني من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الأزرق، فقال ابن عباس: الورود (١) الدخول؟ فقال نافع: لا فقرأ ابن عباس: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾ [الأنبياء: ٩٨] وردوا أم لا؟ وقال: ﴿يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار﴾ [هود: ٩٨] أورد هو (٢) أم لا؟ أما أنا وأنت فسندخلها، فانظر هل نخرج منها أم لا؟ وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك فضحك نافع (٣) .

وروى ابن جريج، عن عطاء قال: قال أبو راشد الحروري -وهو نافع بن الأزرق-: ﴿لا يسمعون حسيسها﴾ [الأنبياء: ١٠٢] فقال ابن عباس: ويلك: أمجنون أنت؟ أين قوله: ﴿يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار﴾ [هود: ٩٨] ، ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا﴾ [مريم: ٨٦] ، ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ ؟ والله إن كان دعاء من مضى: اللهم أخرجني من النار سالما، وأدخلني الجنة غانما (٤) .

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن عبيد المحاربي، حدثنا أسباط، عن عبد الملك، عن عبيد الله، عن مجاهد قال: كنت عند ابن عباس، فأتاه رجل يقال له: أبو راشد، وهو نافع بن الأزرق، فقال له: يا ابن عباس، أرأيت قول الله: ﴿وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا﴾ ؟ قال: أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها، فانظر: هل نصدر عنها أم لا (٥) .

وقال أبو داود الطيالسي: قال شعبة، أخبرني عبد الله بن السائب، عمن سمع ابن عباس يقرؤها [كذلك] (٦) : "وإن منهم

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٥/٢٥٢

إلا واردها" يعني: الكفار (٧)

وهكذا روى عمرو بن الوليد الشني (٨) ، أنه سمع عكرمة يقرؤها كذلك: "وإن منهم إلا واردها"، قال: وهم الظلمة. كذلك كنا نقرؤها. رواه ابن أبي حاتم وابن جرير.

وقال العوفي، عن ابن عباس قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ يعني: البر والفاجر، ألا تسمع إلى قول الله لفرعون: ﴿يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود﴾ ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا﴾ ، فسمى الورود في النار دخولا وليس بصادر.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، عن إسرائيل، عن السدي، عن مرة، عن عبد الله -هو ابن مسعود- ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يرد الناس [النار] (٩) كلهم، ثم يصدرون عنها بأعمالهم".

---

(١) في ت: "المورود".

(٢) في ت: "أوردهم"، وفي أ: "أوردوها".

(٣) تفسير عبد الرزاق (١١/٢) .

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٨٢/١٦) .

(٥) تفسير الطبري (٨٤/١٦) .

(٦) زيادة من ت، ف، أ

(٧) رواه الطبري في تفسيره (٨٣/١٦) .

(٨) في أ: "السني".

(٩) زيادة من ت، ف، أ، والمسند.." [1]

"ورواه الترمذي عن عبد بن حميد، عن عبيد الله، عن إسرائيل، عن السدي به (١) . ورواه من طريق شعبة، عن السدي، عن مرة، عن ابن مسعود موقوفا (٢) (٣) .

هكذا وقع هذا الحديث هاهنا مرفوعا. وقد رواه أسباط، عن السدي، عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال: يرد الناس جميعا الصراط، وورودهم قيامهم حول النار، ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم، فمنهم من يمر مثل البرق (٤) ، ومنهم من يمر مثل الريح، ومنهم من يمر مثل الطير، ومنهم من يمر كأجود الخيل، ومنهم من يمر كأجود الإبل، ومنهم من يمر كعدو الرجل، حتى إن آخرهم مرا رجل نوره على موضعي (٥) إبهامي قدميه، يمر يتكفأ (٦) به الصراط، والصراط دحض مزلة، عليه حسك كحسك القتاد، حافتاه ملائكة، معهم كلاليب من نار، يختطفون بها الناس. وذكر تمام الحديث. رواه (٧) ابن أبي حاتم.

وقال ابن جرير: حدثنا خلاد بن أسلم، حدثنا النضر، حدثنا إسرائيل، أخبرنا أبو إسحاق، عن أبي الأحوص (٨) عن عبد

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢٥٣/٥

الله: قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قال: الصراط على جهنم مثل حد السيف، فتمر الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم، ثم يمرون والملائكة يقولون: اللهم سلم سلم.

ولهذا شواهد في الصحيحين وغيرهما، من رواية أنس، وأبي سعيد، وأبي هريرة، وجابر، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم (٩) .

وقال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا ابن علية عن الجريري، عن [أبي السليل] (١٠) عن غنيم بن قيس قال: ذكروا ورود النار، فقال كعب: تمسك النار للناس (١١) كأنها متن (١٢) إهالة حتى يستوي عليها أقدام الخلائق، برهم وفاجرهم، ثم يناديها مناد: أن امسكي أصحابك، ودعي أصحابي، قال: فتخسف بكل ولي لها، ولهي أعلم بهم (١٣) من الرجل بولده، ويخرج المؤمنون ندية ثيابهم. قال كعب: ما بين منكبي الخازن من خزنتها مسيرة سنة، مع كل واحد منهم عمود ذو شعبتين (١٤) ، يدفع به الدفع فيصرع به في النار سبعمائة ألف (١٥) .

---

(١) المسند (١/٤٣٤) وسنن الترمذي برقم (٣١٥٩) وقال: "حديث حسن، ورواه شعبة عن السدي فلم يرفعه".

(٢) في ت، ف: "مرفوعا".

(٣) سنن الترمذي برقم (٣١٦٠) .

(٤) في ف، أ: "البرق الخاطف".

(٥) في أ: "موضع".

(٦) في أ: "فيمر فيكفأ".

(٧) في ت، ف: "ورواه".

(٨) في ت: "مولى الأحوص".

(٩) أما حديث أنس فرواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٣٦٧) وضعف إسناده.

وأما حديث أبي هريرة فهو في صحيح البخاري برقم (٦٥٧٣) وصحيح مسلم برقم (١٨٢) .

وأما حديث أبي سعيد فهو في صحيح البخاري برقم (٦٥٧٤) وصحيح مسلم برقم (١٨٣) .

(١٠) في هـ: "ابن أبي ليلى" والمثبت من ت، ف، أ، والطبري.

(١١) في ف، أ: "الناس".

(١٢) في أ "بين".

(١٣) في أ: "فتخسف بكل وليها وهي أعلم بهم".

(١٤) في ت، ف، أ: "عمود وشعبتين".

(١٥) تفسير الطبري (١٦/٨٢) .." (١)

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٥/٢٠٤

"وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن أبي سفيان (١) ، عن جابر، عن أم مبشر، عن حفصة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني لأرجو ألا يدخل النار -إن شاء الله-أحد شهد بدرا والحديبية" قالت (٢) فقلت: أليس الله يقول ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ ؟ قالت (٣) : فسمعته يقول: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ (٤) .

وقال [الإمام] (٥) أحمد أيضا: حدثنا ابن إدريس، حدثنا الأعمش، عن أبي سفيان (٦) ، عن جابر، عن أم مبشر -امرأة زيد بن حارثة-قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة، فقال: "لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية" قالت حفصة: أليس الله يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ (٧) .

وفي الصحيحين، من حديث الزهري، عن سعيد، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد تمسه النار، إلا تحلة القسم". (٨)

وقال عبد الرزاق: قال معمر: أخبرني الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من مات له ثلاثة لم تمسه النار إلا تحلة القسم" يعني الورود (٩) .

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا زمعة، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد، تمسه النار إلا تحلة القسم". قال الزهري: كأنه يريد هذه الآية: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ (١٠) .

وقال ابن جرير: حدثني عمران بن بكار الكلاعي (١١) ، حدثنا أبو المغيرة (١٢) ، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن تميم، حدثنا إسماعيل بن عبيد الله، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود رجلا من أصحابه وعكا، وأنا معه، ثم قال: "إن الله تعالى يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن؛ لتكون حظه من النار في الآخرة" غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه (١٣) .

وحدثنا أبو كريب، حدثنا ابن يمان، عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد قال: الحمى حظ كل مؤمن من النار، ثم قرأ: "وإن منكم إلا واردها".

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا زبان بن فائد، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني، عن أبيه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾ حتى يختمها عشر

---

(١) في ت: "شقيق".

(٢) في ت: "قال".

(٣) في أ: "قال".

(٤) المسند (٦/٢٨٥) .

(٥) زيادة من ت.

(٦) في ت: "شقيق".

(٧) المسند (٣٦٢/٦) .

(٨) صحيح البخاري برقم (٦٦٥٦) وصحيح مسلم برقم (٢٦٣٢) .

(٩) تفسير عبد الرزاق (١١/٢) .

(١٠) مسند الطيالسي برقم (٢٣٠٤) .

(١١) في ت: "الخلاعي".

(١٢) في ت: "أبو شعبة".

(١٣) تفسير الطبري (٨٣١/٦) ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٣٨٢/٣) من طريق محمد بن يحيى عن أبي المغيرة به.." (١)

"مرات، بنى الله له قصرا في الجنة". فقال عمر: إذا نستكثر يا رسول الله، فقال رسول الله [صلى الله عليه وسلم: "الله] (١) أكثر وأطيب" (٢) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ ألف آية في سبيل الله، كتب يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا، إن شاء الله. ومن حرس من وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا لا بأجرة (٣) سلطان، لم ير النار بعينيه إلا تحلة القسم، قال الله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ وإن الذكر في سبيل [الله] (٤) يضعف فوق النفقة بسبعمائة ضعف". وفي رواية: "بسبعمائة ألف ضعف" (٥)

وروى أبو داود، عن أبي الطاهر، عن ابن وهب، عن يحيى بن أيوب [وسعيد بن أبي أيوب] (٦) كلاهما عن زبان (٧) ، عن سهل، عن أبيه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الصلاة والصيام والذكر تضاعف على النفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف" (٨) .

وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قال: هو الممر عليها (٩)

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ ، قال: ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهريها، وورود المشركين: أن يدخلوها، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الزالون والزالات يومئذ كثير، وقد أحاط بالجسر يومئذ سماطان من الملائكة، دعاؤهم: يا ألله سلم سلم" (١٠) .

وقال السدي، عن مرة، عن ابن مسعود في قوله: ﴿كان على ربك حتما مقضيا﴾ قال: قسما واجبا. وقال مجاهد: [حتما] (١١) ، قال: قضاء. وكذا قال ابن جريج (١٢)

وقوله: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ أي: إذا مر الخلائق كلهم على النار، وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة ذوي المعاصي، بحسبهم، نجى الله تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم. فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢٥٥/٥

كانت في الدنيا، ثم يشفعون في أصحاب الكبائر من المؤمنين، فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون (١٣) ، فيخرجون خلقا كثيرا قد أكلتهم النار، إلا دارات وجوههم -وهي مواضع السجود-وإخراجهم إياهم من النار بحسب ما في قلوبهم من الإيمان، فيخرجون أولا من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، [ثم الذي يليه] (١٤) حتى يخرجوا من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان ثم يخرج الله من النار

---

(١) زيادة من ف، أ، والمسند.

(٢) المسند (٤٣٧/٣) .

(٣) في ت، ف،: "بأجر".

(٤) زيادة من ف، أ.

(٥) رواه أحمد في مسنده (٤٣٧/٣) من حديث معاذ بن أنس رضي الله عنه.

(٦) زيادة من ف، أ.

(٧) في أ: "ريان".

(٨) سنن أبي داود برقم (٢٤٩٨) .

(٩) تفسير عبد الرزاق (١١/٢) .

(١٠) تفسير الطبري (٨٣/١٦)

(١١) زيادة من ف، أ.

(١٢) في ت: "ابن جرير".

(١٣) في ت: "فيشفع الله الملائكة والنبيين والمؤمنين

(١٤) زيادة من ف، أ.." (١)

"﴿ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون﴾ أي: أنحن (١) نترك عبادة آلهتنا وآلهة آبائنا عن قول [هذا] (٢) الشاعر المجنون، يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! قال الله تعالى تكذيبا لهم، وردا عليهم: ﴿بل جاء بالحق﴾ يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق في جميع شرعة (٣) الله له من الإخبار والطلب، ﴿وصدق المرسلين﴾ أي: صدقهم فيما أخبروه (٤) عنه من الصفات الحميدة، والمناهج السديدة، وأخبر عن الله في شرعه [وقدره] وأمره كما أخبروا، ﴿ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك﴾ الآية [فصلت:٤٣] .

﴿إنكم لذائقو العذاب الأليم (٣٨) وما تجزون إلا ما كنتم تعملون (٣٩) إلا عباد الله المخلصين (٤٠) أولئك لهم رزق معلوم (٤١) فواكه وهم مكرمون (٤٢) في جنات النعيم (٤٣) على سرر متقابلين (٤٤) يطاف عليهم بكأس من معين (٤٥) بيضاء لذة للشاربين (٤٦) لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون (٤٧) وعندهم قاصرات الطرف عين (٤٨) كأنهن

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢٠٦/٥

بيض مكنون (٤٩) ﴾

يقول تعالى مخاطبا للناس: ﴿إنكم لذائقو العذاب الأليم. وما تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ ، ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين، كما قال تعالى ﴿والعصر. إن الإنسان لفي خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ [العصر:١-٣] .

وقال: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم. ثم رددناه أسفل سافلين. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ [التين:٤-٦] ، وقال: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا. ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم:٧١، ٧٢] ، وقال: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة. إلا أصحاب اليمين﴾ [المدثر:٣٨، ٣٩] ولهذا قال هاهنا: ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ أي: ليسوا يذوقون العذاب الأليم، ولا يناقشون في الحساب، بل يتجاوز عن سيئاتهم، إن كان لهم سيئات، ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، إلى ما يشاء الله تعالى من التضعيف.

وقوله: ﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾ قال قتادة، والسدي: يعني الجنة. ثم فسره بقوله تعالى ﴿فواكه﴾ أي: متنوعة ﴿وهم مكرمون﴾ أي: يخدمون [ويرزقون] (٥) ويرفهون وينعمون، ﴿في جنات النعيم. على سرر متقابلين﴾ قال مجاهد: لا ينظر بعضهم في قفا بعض.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا يحيى بن عبدك (٦) القزويني، حدثنا حسان بن (٧) حسان، حدثنا إبراهيم بن بشر، (٨) حدثنا يحيى بن معين، حدثنا إبراهيم القرشي، عن سعيد بن شرحبيل، عن زيد بن أبي أوفى قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية ﴿على سرر متقابلين﴾ ينظر بعضهم إلى بعض.

---

(١) في ت::نحن".

(٢) زيادة من ت، س.

(٣) في أ: "ما شرعه".

(٤) في ت، س: "أخبروا"

(٥) زيادة من أ.

(٦) في أ: "عبد الله".

(٧) في أ: "حبان".

(٨) في أ: "بشير".." (١)

"وقال عبد الله بن أحمد: حدثنا عبيد الله بن معاذ، حدثنا أبي حدثنا قرة، عن أبي الزبير (١) ، عن جابر، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من يصعد الثنية، ثنية المرار، فإنه يحط عنه ما حط عن بني إسرائيل". فكان أول من صعد خيل بني (٢) الخزرج، ثم تبادر الناس بعد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر". فقلنا: تعال يستغفر لك رسول الله [صلى الله عليه وسلم] (٣) . فقال: والله لأن أجد ضالتي أحب إلي من أن

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ١٢/٧

يستغفر لي صاحبكم. فإذا هو رجل ينشد ضالة (٤) . رواه مسلم عن عبيد الله، به (٥) .

وقال ابن جريج: أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابرا يقول: أخبرتني أم مبشر أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة: "لا يدخل النار -إن شاء الله- من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها أحد". قالت: بلى يا رسول الله. فانتهرها، فقالت لحفصة: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "قد قال الله: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢] ، رواه مسلم (٦) .

وفيه أيضا عن قتيبة، عن الليث، عن أبي الزبير، عن جابر؛ أن عبدا لحاطب بن أبي بلتعة جاء يشكو حاطبا، فقال: يا رسول الله، ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كذبت، لا يدخلها؛ فإنه قد شهد بدرا والحديبية" (٧) .

ولهذا قال تعالى في الثناء عليهم: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما﴾ [الفتح: ١٠] ، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا﴾ [الفتح: ١٨] .

﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا (١١) بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا (١٢) ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا (١٣) ولله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما (١٤) ﴾

---

(١) في ت: "وقال عبد الله بن أحمد بسنده".

(٢) في أ: "من".

(٣) زيادة من ت.

(٤) في أ: "ضالته".

(٥) صحيح مسلم برقم (٢٧٨٠) .

(٦) صحيح مسلم برقم (٢٤٩٦) .

(٧) صحيح مسلم برقم (٢٤٩٤) .." [1]

"قوله: «على الرحمن» متعلق ب «أشد» ، و «عتيا» منصوب على التمييز وهو محول عن المبتدأ، «إذ التقدير» : أيهم هو عتوه أشد. ولا بد من محذوف يتم به الكلام، التقدير: فيلقيه في العذاب، أو فنبدأ بعذابه. قال الزمخشري: فإن قلت: بم يتعلق «على» ، و «الباء» ، فإن تعلقهما بالمصدرين لا سبيل إليه.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣٣٦/٧

قلت: هما للبيان لا للصلة، أو يتعلقان بأفعل، أي: عتوهم أشد على الرحمن، وصليهم أولى بالنار، كقولهم: هو أشد على خصمه، وهو أولى بكذا.

يعني ب «على» قوله:: على الرحمن «، وب» الباء «قوله:» بالذين هم «وقوله: بالمصدرين. يعني بهما» عتيا «و» صليا «.

» وأما كونه لا سبيل إليه «، فلأن المصدر في نية الموصول، ولا يتقدم معمول الموصول عليه» وجوز بعضهم «أن يكون» عتيا «، و» صليا «في هذه الآية مصدرين كما تقدم وجوز أن يكون جمع عات وصال فانتصابهما على هذا الحال. وعلى هذا يجوز أن يتعلق» على «و» الباء «بهما لزوال المحذوف المذكور.

قال المفسرون: معنى قوله: ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا﴾ أي أحق بدخول النار. يقال: صلي يصلى صليا مثل لقي يلقى لقيا، وصلى يصلي صليا مثل مضى يمضي مضيا، إذا دخل النار، وقاسى حرها.

قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ الآية. الواو في» وإن «فيها وجهان:

أحدهما: أنها عاطفة لهذه الجملة على ما قبلها. وقال ابن عطية: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قسم، والواو تقتضيه، ويفسره قول النبي صلى الله عليه وسلم » من مات له ثلاث من." (١)

"الولد لم تمسه النار إلا تحله القسم «وأراد بالقسم قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ . قال أبو حيان:» وذهل عن «قول النحويين: إنه لا يستغنى عن القسم بالجواب لدلالة المعنى إلا إذا كان الجواب باللام أو ب» إن «، والجواب هنا على زعمه ب» إن «النافية، فلا يجوز حذف القسم على ما نصوا.

وقوله: والواو تقتضيه. يدل على أنها عنده واو القسم، ولا يذهب نحوي إلى أن مثل هذه الواو واو القسم، لأنه يلزم عن ذلك حذف المجرور وإبقاء الجاء، ولا يجوز بذلك إلا أن وقع في شعر أو نادر كلام بشرط أن تقوم صفة المحذوف مقامه، كما أولوا في قولهم: نعم السير على بئس العير. أي: على عير بئس العير، وقول الشاعر:

٣٦١٨ - والله ما ليلي بنام صاحبه ... أي: بليل نام صاحبه، وهذه الآية ليست من هذا الضرب، إذ لم يحذف المقسم «به» وقامت صفته مقامه. و «إن» حرف نفي، «و» منكم «صفة لمحذوف تقديره: وإن أحد منكم» ويجوز أن يكون التقدير: وإن منكم إلا من هو واردها وقد تقدم لذلك نظائر. والخطاب في قوله:: منكم «يحتمل الالتفات وعدمه.." (٢)

"قال الزمخشري: التفات إلى الإنسان، ويعضده قراءة ابن مسعود وعكرمة،» وإن منهم «أو خطاب للناس من غير التفات إلى المذكور.

والحتم: القضاء، والوجوب حتم، أي: أوجبه حتماص، ثم يطلق الحتم على الأمر المحتوم كقوله تعالى: ﴿هذا خلق الله﴾ [لقمان: ١١] ، وهذا درهم ضرب الأمير. و» على ربك «متعلق ب» حتم «، لأنه في معنى اسم المفعول ولذلك وصفه ب» مقضيا «.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١١٥/١٣

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١١٦/١٣

فصل

المعنى: وما منكم إلا واردها، والورود هو موافاة المكان. وقيل القسم فيه مضمر، أي: والله ما منكم من أحد إلا واردها. واختلفوا في معنى الورود هنا فقال ابن عباس والأكثرون: الورود ههنا هو الدخول، والكناية راجعة إلى النار، وقالوا: يدخلها البر والفاجر، ثم ينجي الله المتقين فيخرجهم منها، ويدل على أن الورود هو الدخول قوله تعالى: ﴿يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار﴾ [هود: ٩٨] .

روى ابن عيينة عن عمرو بن دينار أن نافع بن الأزرق مارى ابن عباس في الورود فقال ابن عباس: هو الدخول. وقال نافع: ليس الورود الدخول، فتلى ابن عباس ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾ أدخلها هؤلاء أم لا؟ ثم قال: يا نافع أما والله أنا وأنت سنردها، وأنا أرجو أن يخرجني الله، وما أرى أن يخرجك منها بتكذيبك.

ويدل عليه أيضا قوله تعالى» ثم ننجي الذين اتقوا «، أي: ننجي من الواردين من اتقى، ولا يجوز أن يقول» ثم ننجي الذين اتقول ونذر الظالمين فيها جثيا «إلا." (١)

"والكل واردون. والأخبار المروية دل على هذا القول، وهو ما

«روي عن عبد الله بن رواحة قال: أخبر الله تعالى عن الورود ولم يخبر بالصد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم » يا ابن رواحة «اقرأ ما بعدها» ثم ننجي الذين اتقوا «فدل على أن ابن رواحة فهم من الورود الدخول، ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وعن جابر أنه سئل عن هذه الآية، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:» الورود الدخول، ولا يبقى برد ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمنين بردا وسلاما، حتى إن للنار ضجيجا من بردها «.

وقيل: المراد من تقدم ذكره من الكفار، فكنى عنهم أولا كناية الغيبة ثم خاطب خطاب المشافهة. قالوا: ولا يجوز أن يدخل الناء مؤمن أبدا لقوله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها﴾ والمبعد عنها لا يوصف بأنه واردها، ولو وردوا جهنم لسمعوا حسيسها.

وقوله: ﴿وهم من فزع يومئذ آمنون﴾ [النمل: ٨٩] . والمراد في قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ الحضور والرؤية لا الدخول، كقوله: ﴿ولما ورد مآء مدين﴾ [القصص: ٢٣] أراد به الحضور. وقال عكرمة: الآية في الكفار يدخلونها ولا يخرجون منها. وقال ابن مسعود: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ يعني القيامة والكناية راجعة إليها.." (٢)

"عباس: يردونها كأنها إهالة. وقيل: إن الله – تعالى – يجعل النار الملاصقة لأبدان المؤمنين بردا وسلاما كما جاء في الحديث المتقدم، وكما في حق إبراهيم – عليه السلام –، وكما في حق الكوز الواحد من الماء يشربه القبطي فيكون دما، ويشربه الإسرائيلي فيكون ماء عذبا، وفي الحديث: «تقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي» وعن مجاهد في قوله تعالى « ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قال: من حم من المسلمين فقد وردها. وفي الخبر» الحمى كنز من جهنم، وهي حظ المؤمن من النار «واعلم أنه لا بد من أحد هذه الوجوه في الملائكة الموكلين بالعذاب حتى يكونوا في النار مع المعاقبين. فإن

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١١٧/١٣

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١١٨/١٣

قيل: إذا لم يكن على المؤمنين عذاب في دخولهم فما الفائدة في ذلك الدخول؟ فالجواب: أن ذلك مما يزيدهم سرورا إذا علموا الخلاص منه. وأيضا: فيه مزيد غم على أهل النار حيث تظهر فضيحتهم عند من كان يخوفهم من النار فما كانوا يلتفتون إيله وأيضا: إن المؤمنين إذا كانوا معهم في النار يبكتونهم فيزداد غم الكفار وسرور المؤمنين. وأيضا: فإن المؤمنين كانوا يخوفونهم بالحشر والنشر، ويستدلون على ذلك، فما كانوا يقبلون تلك الدلائل، فإذا دخلوا جهنم معهم أظهروا لهم أنهم كانوا صادقين فيما قالوه، وأن المكذبين بالحشر والنشر كانوا كاذبين. وأيضا: إنهم إذا شاهدوا ذلك العذاب صار سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة على ما قيل: وبضدها تتبين الأشياء.." (١)

"الأول: أن يقال: إن عادة الله تعالى أنه متى شرح عقاب الكفار أردفه بشرح ثواب الأبرار، فلهذا ذكر هذه الآية عقيب تلك الآية فهي عامة في حق كل المؤمنين.

الثاني: أن هذه الآية نزلت في تلك الواقعة لتكون كالتأكيد في دفع سؤال ابن الزبعرى ثم قال: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهذا هو الحق، أجراها على عمومها، فتكون الملائكة والمسيح وعزير – عليهم السلام – داخلين فيها، لا أن الآية مختصة بهم. ومن قال العبرة بخصوص السبب خصص قوله: «إن الذين» بهؤلاء فقط.

قوله: «منا» يجوز أن يتعلق ب «سبقت» ، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من «الحسنى» قال الزمخشري: «الحسنى» الخصلة المفضلة في الحسن تأنيث الأحسن وهي إما السعادة، وإما البشرى بالثواب، وإما التوفيق للطاعة ثم شرح أحوال ثوابهم فقال: ﴿أولئك عنها مبعدون﴾ . قال أهل العفو معناه: أولئك عنها مخرجون، واحتجوا بوجهين:

الأول: قوله ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] أثبت الورود، والورود الدخول، فدل على أن هذا الإبعاد هو الإخراج.

والثاني: أن إبعاد الشيء لا يصح إلا إذا كانا متقاربين لأنهما لو كانا متباعدين استحال إبعاد أحدهما عن الآخر، لأن تحصيل الحاصل محال.

وقال المعتزلة: ﴿أولئك عنها مبعدون﴾ لا يدخلون النار ولا يقربونها ألبتة. واحتج القاضي عبد الجبار على فساد الأول بأمور:

أحدها: أن قوله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ يقتضي أن الوعد بثوابهم قد تقدم في الدنيا، وليس هذا حال من يخرج من النار.

وثانيها: أنه تعالى قال: ﴿أولئك عنها مبعدون﴾ فكيف يدخل في لك من وقع فيها.

وثالثها: قوله: ﴿لا يسمعون حسيسها﴾ وقوله: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ يمنع من ذلك. والجواب عن الأول لا نسلم أن المراد من قوله ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ هو أن الوعد بثوابهم قد تقدم، ولم لم يجوز أن يكون المراد من «الحسنى» تقدم الوعد بالثواب، (لكن لم قلتم إن الوعد بالثواب لا) يليق بحال من يخرج من النار فإن عنده المحابطة باطلة، ويجوز الجميع بين استحقاق الثواب والعقاب. وعن الثاني: أنا." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٢١/١٣

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٦١٠/١٣

"بينا أن قوله: ﴿أولئك عنها مبعدون﴾ لا يمكن إجراؤه على ظاهره إلا في حق من كان في النار. وعن الثالث: أن قوله: ﴿لا يسمعون حسيسها﴾ مخصوص بما بعد الخروج.

وعلى قول المعتزلة بأن المراد بقوله: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ أنهم لا يدخلون النار ولا يقربونها، يبطل القول بأن جميع الناس يردون النار، ثم يخرجون إلى الجنة، فيجب التوفيق بينه وبين قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] وقد تقدم.

قوله: ﴿وهم في ما اشتهت﴾ إلى قوله: ويتلقاهك «كل جملة من هذه الجمل يحتمل أن تكون حالا مما قبلها، وأن تكون مستأنفة، وكذلك الجملة المضمرة من القول العامل في جملة قوله:» هذا يومكم «إذ التقدير: وتتلقاهم الملائكة يقولون هذا يومكم.

فصل

معنى ﴿لا يسمعون حسيسها﴾ أي: صوتها وحركة تلهبها إذا نزلوا منازل لهم في الجنة. والحس والحسيس: الصوت الخفي. ﴿وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون﴾ مقيمون كقوله: ﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس﴾ [الزخرف: ٧١] ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ النفخة الأخيرة لقوله تعالى: ﴿ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض﴾ [النمل: ٨٧] . وقال الحسن: حين يؤمر بالعبد إلى النار. وقال ابن جريج: حين يذبح الموت وينادي يا أهل الجنة خلود فلا موت. وقال سعيد بن جبير والضحاك: هو أن تطبق جهنم، وذلك بعد أن يخرج الله منها من يريد أن يخرجه.

﴿وتتلقاهم الملائكة﴾ . أي: تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة يقولون ﴿هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾ . فإن قيل: أي: بشارة في أنهم لا يسمعون حسيسها؟

فالجواب: المراد منه تأكيد بعدهم عنها، لأن من قرب منها قد يسمع حسيسها فإن قيل: أليس أهل الجنة يرون أهل النار، فكيف لا يسمعون حسيس النار؟ فالجواب: إذا حملناه على التأكيد زال هذا السؤال.." (١)

"محذوف هو المفعول (ل «أرسلنا») ، تقديره: إلا من أنهم. فالضمير في «إنهم» وما بعده عائد على معنى «من» المقدرة، واكتفي بقوله: «من المرسلين» عنه كقوله: ﴿وإن **منكم إلا واردها** (كان على ربك حتما) ﴾ [مريم: ٧١] ، أي: إلا من يردها.

فعلى قول الزجاج الموصوف محذوف، وعلى قول الفراء الموصول هو المحذوف، ولا يجوز حذف الموصول وتبقية الصلة عند البصريين إلا في مواضع، تقدم التنبيه عليها في البقرة.

الثالث: أن الجملة محلها النصب على الحال، وإليه ذهاب ابن الأنباري قال: التقدير: إلا وإنهم، يعني أنها حالية، فقدر معها الواو بيانا للحالية، فكسر بعد استئناف. ورد بكون ما بعد «إلا» صفة لما قبلها، وقدره أبو البقاء أيضا. والعامة على كسر «إن» ، لوجود اللام في خبرها، ولكون الجملة حالا على الراجح. قال أبو البقاء: وقيل: لو لم تكن اللام لكسرت أيضا لأن الجملة حالية، إذ المعنى: إلا وهم. وقيل: المعنى: إلا قيل أنهم.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٦١١/١٣

وقرئ «أنهم» بالفتح على زيادة اللام وأن مصدرية، والتقدير: إلا لأنهم أي: ما جعلنا رسلا إلى الناس إلا لكونهم مثلهم.
وقرأ العامة «يمشون» خفيفة، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وعبد الله «يمشون» مشددا مبنيا للمفعول، أي: تمشيهم حوائجهم أو الناس.
وقرأ عبد الرحمن: «يمشون» بالتشديد مبنيا للفاعل، وهي بمعنى «يمشون» قال الشاعر:
٣٨٦٩ - ومشى بأعطان المياه وابتغى ... قلائص منها صعبة وركوب." (١)
"قوله تعالى: ﴿إن جهنم كانت مرصادا﴾ «مفعالا» من الرصد، والرصد: كل شيء كان أمامك.
قرأ ابن يعمر وابن عمر والمنقري: «أن جهنم» بفتح «أن» .
قال الزمخشري: على تعليل قيام الساعة، بأن جهنم كانت مرصادا للطاغين، كأنه قيل: كان ذلك لإقامة الجزاء، يعني: أنه علة لقوله تعالى: ﴿يوم ينفخ في الصور﴾ إلى آخره.
قال القفال: في المرصاد قولان:
أحدهما: أن المرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه، كالمضمار اسم للمكان الذي يضمر فيه الخيل، والمنهاج: اسم للمكان الذي ينهج فيه، أي: جهنم معدة لهم فالمرصاد بمعنى المحل، وعلى هذا فيه احتمالان:
الأول: أن خزنة جهنم يرصدون الكفار.
والثاني: أن مجاز المؤمنين، وممرهم على جهنم، لقوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] ، فخزنة الجنة يستقبلون المؤمنين عند جهنم، ويرصدونهم عندها.
القول الثاني: أن «المرصاد» «مفعال» من الرصد، وهو «الترقب» بمعنى أن ذلك يكثر منه، و «المفعال» من أبنية المبالغة ك «المعطاء، والمعمار، والمطعان» .
قيل: إنها ترصد أعداء الله، وتشتد عليهم لقوله تعالى: تكاد تميز من الغيظ.." (٢)
"قوله: ﴿يوم يتذكر﴾ بدل من «إذا» ، أو: منصوبا بإضمار فعل، أي: أعني: يوم أو يوم يتذكر كيت وكيت.
قوله: ﴿ما سعى﴾ أي: ما عمل من خير أو شر يراه مكتوبا في كتابه فيتذكره، وكان قد نسيه، لقوله تعالى: ﴿أحصاه الله ونسوه﴾ [المجادلة: ٦] .
قوله تعالى: ﴿وبرزت الجحيم﴾ العامة على بنائه للمفعول مشددا، و ﴿لمن يرى﴾ بياء الغيبة.
وزيد بن علي وعائشة وعكرمة: مبنيا للفاعل مخففا، و «ترى» بتاء من فوق، فجوزوا في تاء «ترى» أن تكون للتأنيث، وفي «ترى» ضمير الجحيم، كقوله تعالى: ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد﴾ [الفرقان: ١٢] ، وأن تكون للخطاب، أي: ترى أنت يا محمد، والمراد: ترى الناس. وقرأ عبد الله: «لمن رأى» فعلا ماضيا.
قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: «برزت» كشفت عنها تتلظى، فيراه كل ذي بصر، فالمؤمنون يمرون عليها، ﴿وإن

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٠٣/١٤
(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٠٣/٢٠

منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] ، وأما الكفار فهي مأواهم.
وقيل: الرؤية هنا: استعارة، كقولهم: قد تبين الصبح لذي عينين.
وقيل: المراد: الكافر؛ لأنه الذي يرى النار بما فيها من أصناف العذاب.
وقيل: يراها المؤمن ليعرف قدر النعمة.
قوله: ﴿فأما من طغى﴾ أي: تجاوز الحد في العصيان.
قيل: نزلت في النضر وأبيه الحارث، وهي عامة في كل كافر آثر الحياة الدنيا على الآخرة.
قوله: ﴿فإن الجحيم هي المأوى﴾ إما هي المأوى له، أو هي مأواه، وقامت «أل» مقام الضمير، وهو رأي الكوفيين وقد تقدم تحقيق هذا والرد على قائله، خلافا للبصريين؛ قال الشاعر: [الطويل]
٥١٠٦ - رحيب قطاب الجيب منها رقيقة ... بجس الندامى بضة المتجرد
إذ لو كانت «أل» عوضا من الضمير لما جمع بينهما في هذا البيت، ولا بد من أحد هذين التأويلين في الآية الكريمة لأجل العائد من الجملة الواقعة خبرا للمبتدأ، والذي." (١)
"وقيل: لو تعلمون لماذا خلقتم لاشتغلتم وحذف الجواب أفخر، لأنه يذهب الوهم معه كل مذهب، قال تعالى: ﴿لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون﴾ [الأنبياء: ٣٩] ، وقال تعالى: ﴿ولو ترى إذ وقفوا على ربهم﴾ [الأنعام: ٣٠] وأعاد «كلا» وهو زجر وتنبيه؛ لأنه عقب كل واحد بشيء آخر، كأنه قال: لا تفعلوا، فإنكم تندمون، لا تفعلوا، فإنكم تستوجبون العقاب.
و ﴿علم اليقين﴾ مصدر.
قيل: وأصله العلم اليقين، فأضيف الموصوف إلى صفته.
وقيل: لا حاجة إلى ذلك؛ لأن العلم يكون يقينا وغير يقين، فأضيف إليه إضافة العام للخاص، وهذا يدل على أن اليقين أخص.
فصل في المراد باليقين
قال المفسرون: أضاف العلم إلى اليقين، كقوله تعالى: ﴿لهو حق اليقين﴾ [الواقعة: ٩٥] ، قال قتادة: اليقين هنا: الموت.
وعنه أيضا: البعث، لأنه إذا جاء زال الشك، أي: لو تعلمون علم البعث أو الموت، فعبر عن الموت باليقين، كقولك: علم الطب، وعلم الحساب، والعلم من أشد البواعث على الفعل، فإذا كان بحيث يمكن العمل، كان تذكرة، وموعظة، وإن كان بعد فوات العمل كان حسرة، وندامة، وفيها تهديد عظيم للعلماء، الذين لا يعملون بعلمهم.
قوله: ﴿لترون الجحيم﴾ . جواب قسم مقدر، أي: لترون الجحيم في الآخرة.
والخطاب للكفار الذين وجبت لهم النار.
وقيل: عام [كقوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] فهي للكفار دار، وللمؤمنين ممر] .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٤٧/٢٠

وقرأ ابن عامر، والكسائي: «لترون» مبنيا للمفعول، وهي مفعولة من «رأى» الثلاثي أي: أريته الشيء، فاكتسب مفعولا آخر، فقام الأول مقام الفاعل، وبقي الثاني منصوبا.." (١)

"عموم هذه الآية مخصوص في مواضع، منها قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] ثم قال: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ [مريم: ٧٢] وأهل الثواب مصونون عن الحزي.

ومنها: أن الملائكة - الذين هم خزنة جهنم يكونون في النار، وهم - أيضا - مصونون عن الخزي، قال تعالى: ﴿عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله مآ أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ [التحريم: ٦] .

قوله: ﴿وما للظالمين من أنصار﴾ «من» زائدة، لوجود الشرطين، وفي مجرورها وجهان:

أحدهما: أنه مبتدأ، وخبره في الجار قبله، وتقديمه - هنا - جائز لا واجب؛ لأن النفي مسوغ وحسن تقديمه كون مبتدئه فاصلة.

الثاني: أنه فاعل بالجار قبله، لاعتماده على النفي، وهذا جائز عند الجميع.

فصل

تمسك المعتزلة بهذه الآية في نفي الشفاعة للفساق؛ وذلك لأن الشفاعة، نوع نصرة، ونفي الجنس يقتضي نفي النوع، والجواب من وجوه:

أحدها: أن القرآن دل على أن الظالمين - بالإطلاق - هم الكفار، قال تعالى: ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ [البقرة: ٢٥٤] ويؤكده ما حكى عن الكفار من نفيهم الشفعاء والأنصار في قولهم: ﴿فما لنا من شافعين ولا صديق حميم﴾ [الشعراء: ١٠٠ - ١٠١] .

ثانيها: أن الشفيع لا يمكنه أن يشفع إلا بإذن الله تعالى، قال تعالى: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ [البقرة: ٢٥٥] وإذا كان كذلك لم يكن الشفيع قادرا على النصرة إلا بعد الإذن، وإذا حصل الإذن ففي الحقيقة إنما ظهر العفو من الله تعالى، فقوله: ﴿وما للظالمين من أنصار﴾ يفيد أنه لا حكم إلا لله، كما قال: ﴿ألا له الحكم﴾ [الأنعام: ٦٢] وقال: ﴿والأمر يومئذ لله﴾ [الانفطار: ١٩] .

فإن قيل: فعلى هذا التقدير لا يبقى لتخصيص الظالمين - بهذا الحكم - فائدة.

فالجواب: بل فيه فائدة، لأنه وعد المؤمنين المتقين في الدنيا بالفوز بالثواب، والنجاة من العقاب، فلهم يوم القيامة هذه المنزلة، وأما الفساق فليس لهم ذلك، فصح تخصيصهم بنفي الأنصار على الإطلاق.

ثالثها: أن هذه الآية عامة، والأحاديث الواردة بثبوت الشفاعة خاصة، والخاص مقدم على العام.." (٢)

"لما ذكر فضائح اليهود وقبح أفعالهم، وأنهم قصدوا قتل عيسى عليه الصلاة والسلام ، وأنه لم يحصل لهم ذلك المقصود، وأن عيسى - عليه السلام - حصل له أعظم المناصب، بين أن هؤلاء اليهود الذين بالغوا في عداوته، لا يخرج

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٨٠/٢٠

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١١٨/٦

أحد منهم من الدنيا إلا بعد أن يؤمن به، فقال: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ ، «إن» هنا نافية بمعنى «ما» ، و «من أهل» يجوز فيه وجهان:

أحدهما: أنه صفة لمبتدأ محذوف، والخبر الجملة القسمية المحذوفة وجوابها، والتقدير: وما أحد من أهل الكتاب إلا والله ليؤمنن به، فهو كقوله: ﴿وما منآ إلا له مقام معلوم﴾ [الصافات: ١٦٤] ، أي: ما أحد منا، وكقوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] أي: ما أحد منكم إلا واردها، هذا هو الظاهر.

والثاني – وبه قال الزمخشري وأبو البقاء –: أنه في محل الخبر، قال الزمخشري: «وجملة» ليؤمنن به «جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف، تقديره: وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به، ونحوه: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ ، والمعنى:» وما من اليهود أحد إلا ليؤمنن «، قال أبو حيان:» وهو غلط فاحش؛ إذ زعم أن «ليؤمنن به» جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف إلى آخره، وصفة «أحد» المحذوف إنما الجار والمجرور؛ كما قدرناه، وأما قوله: «ليؤمنن به» ، فليست صفة لموصوف، ولا هي جملة قسمية، إنما هي جملة جواب القسم، والقسم محذوف، والقسم وجوابه خبر للمبتدأ، إذ لا ينتظم من «أحد» ، والمجرور إسناد؛ لأنه لا يفيد، وإنما ينتظم الإسناد بالجملة القسمية وجوابها، فذلك هو محط الفائدة، وكذلك أيضا الخبر هو ﴿إلا له مقام﴾ ، وكذلك «إلا واردها» ؛ إذ لا ينتظم مما قبل «إلا» تركيب." (١)

"سورة مريم

قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ ١ اختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور ما هو؟ والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط٢، قال تعالى: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ ٣. وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفسي بيده، لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة" قالت حفصة: فقلت: يا رسول الله، أليس الله يقول: ﴿وإن منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ فقال:"ألم تسمعيه" قال: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ ٤. أشار صلى الله عليه وسلم إلى أن ورود

---

١ سورة مريم، الآية: ٧١.

٢ انظر الأقوال الأخر في معاني القرآن الكريم (٣٤٧/٤-٣٥٠) ، وتفسير القرآن للسمعاني (٣٠٦/٣-٣٠٨) ، وزاد المسير (٢٥٥/٥-٢٥٧) وقد اختار ما رجحه المؤلف جماعة من العلماء منهم ابن جرير في جامع البيان (٢٣٤/١٨) ، والسمعاني في تفسير القرآن (٣٠٨/٣) ، وشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٧٩/٤) ، والشوكاني في فتح القدير (٣٤٧/٣) ومما يؤيد هذا القول ما أخرجه الترمذي في جامعه برقم (٣١٥٩) ، والدارمي برقم (٢٨١٠) والحاكم (٤٠٧/٢) عن السدي قال: سألت مرة الهمداني عن قول الله عز وجل: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ فحدثني أن عبد الله بن مسعود حدثهم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يرد الناس النار ثم يصدرون منها بأعمالهم، فأولهم كلمح البرق، ثم كالريح.) الحديث. قال الحاكم: هذا حديث صحيح عل شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١١٧/٧

٣ سورة مريم، الآية: ٧٢.

٤ أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٤٩٦) من حديث جابر. وقد تابع المؤلف شيخ الإسلام في الاحتجاج بهذا الحديث على أن الورود هو المرور على الصراط. انظر مجموع الفتاوى (٤/٢٧٩) .." (١)

"قوله تعالى: (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)

قال الله تعالى: (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) .

روى إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: بكى عبد الله بن رواحة فبكت امرأته، فقال لها: ما يبكيك؟

قالت: رأيتك تبكي فبكيت.

قال: إني ذكرت هذه الآية: (وإن منكم إلا واردها) وقد علمت أني داخلها، فلا أدري أناج منها أنا أم لا؟

وروى ابن المبارك عن عباد المقبري، عن بكر المزني، قال: لما نزلت هذه الآية (وإن منكم إلا واردها) ذهب ابن رواحة إلى بيته فبكى.

وجاءت المرأة فبكت، وجاءت الخادم فبكت، ثم جاء أهل البيت فجعلوا يبكون كلهم، فلما انقطعت عبرته قال: يا أهلاه ما يبكيكم؟

قالوا: لا ندري، ولكنا رأيناك تبكي فبكينا.

قال: آية نزلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

ينبئني فيها ربي أني وارد النار ولم ينبئني أني صادر عنها.

وقال موسى بن عقبة في "مغازيه ": زعموا أن ابن رواحة بكى حين أراد الخروج إلى موته، فبكى أهله حين رأوه يبكي، فقال: والله ما بكيت جزعا من الموت ولا صبابة لكم، ولكني بكيت جزعا من قول الله عز وجل: (وإن منكم إلا واردها) فأيقنت أني واردها، فلا أدري أنجو منها أم لا؟

وقال حفص بن حميد عن شمر بن عطية: كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إذا قرأ هذه الآية يبكي، ويقول: رب أنا ممن تنجي أم من تذر فيها جثيا.." (٢)

---

(١) تفسير ابن أبي العز جمعا ودراسة ابن أبي العز ١٥/١٢١

(٢) تفسير ابن رجب الحنبلي ابن رجب الحنبلي ٦٦٦/١

"وروى أبو إسحاق عن أبي ميسرة: أنه كان إذا أوى إلى فراشه، قال: يا
ليت أمي لم تلدني، فقالت له امرأته: يا أبا ميسرة إن الله قد أحسن إليك
هداك للإسلام، قال: أجل، إن الله يبين لنا أنا واردو النار ولم يبين أنا
صادرون منها.

وروينا من طريق سفيان بن حسين عن الحسن، قال: كان أصحاب
رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا التقوا يقول الرجل منهم لصاحبه: هل أتاك أنك وارد النار؟
فيقول: نعم، فيقول: هل أتاك أنك خارج منها؟
فيقول: لا، فيقول: ففيم الضحك إذا؟!

وقال ابن عيينة عن رجل عن الحسن، قال رجل لأخيه: يا أخي هل أتاك
أنك وارد النار؟
قال: نعم، قال: هل أتاك أنك خارج منها؟
قال: لا، قال: ففيم الضحك إذا؟
قال: فما رئي ضاحكا حتى مات.

وقال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا المبارك بن فضالة، عن
الحسن في قوله عز وجل: (وإن منكم إلا واردها)
قال: قال رجل لأخيه: فقد جاءك عن الله أنك وارد جهنم؟
قال: نعم، قال: فأيقنت بالورود؟
قال: نعم، قال: فأيقنت وصدقت بذلك؟
قال: نعم، وكيف لا أصدق وقد قال الله عز وجل: (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا)
قال: فأيقنت أنك صادر عنها؟
قال: والله ما أدري أأصدر عنها أم لا؟
قال: ففيم التثاقل؛، وفيم الضحك؟ ، وفيم اللعب؟

قال أحمد: وحدثنا خلف بن الوليد، حدثنا المبارك، قال: سمعت الحسن
يقول: لا – والله – إن أصبح فيها مؤمن إلا حزينا، وكيف لا يحزن المؤمن،." (١)

"وقد جاءه عن الله أنه وارد جهنم ولم يأته أنه صادر عنها.

قال أحمد: وأنبأنا حسين بن محمد، حدثنا ابن عياش، عن عبد الله بن
دينار أن لقمان، قال لابنه: يا بني كيف يأمن النار من هو واردها؟

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي ابن رجب الحنبلي ١/٦٦٧

وقد اختلف الصحابة ومن بعدهم في تفسير الورود، فقالت طائفة:
الورود هو المرور على الصراط، وهذا قول ابن مسعود، وجابر، والحسن.
وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، والكلبي، وغيرهم.
وروى إسرائيل عن السدي: قال: سألت مرة الهمداني عن قزل الله عز
وجل: (وإن منكم إلا واردها) ، فحدثني عن ابن مسعود أنه حدثهم.
قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:
"يرد الناس النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم، فأولهم
كلمح البرق، ثم كالريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب في رحله ثم كسير الرجل ثم كمشيه "
خرجه الترمذي، وقال: حديث حسن، وخرج الإمام أحمد أوله.
وخرجه الحاكم وقال: صحيح، ورواه شعبة عن السدي عن مرة عن عبد الله موقوفا ولم يرفعه شعبة، مع أنه قرأ بأن السدي حدثه به مرفوعا، قال
الدارقطني: يحتمل أن يكون مرفوعا.
قلت: ورواه أسباط عن السدي عن مرة الهمداني عن عبد الله موقوفا
أيضا، فقال: "يرد الناس الصراط جميعا، وورودهم: قيامهم حول النار، ثم
يصدرون عن الصراط بأعمالهم، فمنهم من يمر كالبرق " فذكر الحديث بطوله.
وفي آخر: "حتى إن آخرهم مرا: رجل نوره على إبهامي قدميه، يتكفأ به الصراط دحض مزلة، عليه حسك كحسك القتاد، حافتاه ملائكة معهم كلاليب من نار يختطفون بها الناس " وذكر بقية الحديث.
خرجه ابن أبي حاتم.." (١)
"ورواه الحكم بن ظهير عن السدي عن مرة عن عبد الله فرفع آخر
الحديث، ولفظ حديثه: قال عبد الله: الورود ليس بالدخول فيها ولكنه
حضورها والوقوف عليها، مثل الدابة ترد الماء ولا تدخله، ثم قال عبد الله: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:
"يضع الله الصراط على جهنم فيجوز العباد عليه "
وذكر الحديث بطوله، وفي آخره: "ولو قيل لأهل النار: إنكم ماكثون في النار عدد كل حصاة في الدنيا سنة لرجوا، وقالوا: إنا لابد مخرجون، ولو قيل لأهل الجنة: إنكم ماكثون في الجنة عدد كل حصاة في الدنيا سنة حزنوا، وقالوا: إنا لابد مخرجون، ولكن الله جعل لهما الأبد ولم يجعل لهما الأمد"، و "الحكم بن ظهير" ضعيف.
ولعل هذا الكلام في آخر الحديث موقوف على ابن مسعود، فإنه روي عنه
موقوفا من وجه آخر بإسناد جيد، قال أبو الحسن بن البراء العبدي في كتاب

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي ابن رجب الحنبلي ٦٦٨/١

"الروضة" له: حدثنا أحمد بن خالد - هو: الخلال -، حدثنا عثمان بن عمر، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله قال: لو أن أهل جهنم وعدوا يوما من أبد أو عدد أيام الدنيا لفرحوا بذلك اليوم، لأن كل ما هو آت قريب.

وقد روي أول الحديث من طريق أبي إسحاق موقوفا أيضا، لكن بمخالفة
في الإسناد، فروى عمرو بن طلحة القناد عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن
أبي الأحوص عن عبد الله (وإن منكم إلا واردها) قال: الصراط على
جهنم مثل حد السيف، فتمر الطائفة الأولى كالبرق، والثانية كالريح.
والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود الإبل والبهائم، ثم يمرون والملائكة
يقولون: رب سلم سلم.

خرجه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين.

وكذا خرجه آدم بن أبي إياس في "تفسيره" عن إسرائيل.." (١)

"ومما يستدل به على أن الورود ليس هو الدخول:

ما خرجه مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر، قال: أخبرتني أم بشر أنها سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول عند حفصة:

"لا يدخل النار - إن شاء الله - من أصحاب الشجرة أحد من
الذين بايعوا تحتها"

قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة:

(وإن منكم إلا واردها) ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -:

"قد قال الله عز وجلة (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) .

ورواه الأعمش عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم بشر بنحوه، وفي
بعض روايات الأعمش فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "يردونها، ثم يصدرون عنها بالأعمال ".

وقالت طائفة: الورود هو الدخول، وهذا هو المعروف عن ابن عباس.

وروي عنه من غير وجه، وكان يستدل لذلك بقول الله تعالى في فرعون:

(يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار) .

وبقوله: (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) .

وكذلك قوله تعالى: (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها) .

وقد سبق عن عبد الله بن رواحة نحو هذا إلا أن الرواية عنه منقطعة.

---

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي ابن رجب الحنبلي ٦٦٩/١

وروى مسلم الأعور عن مجاهد: (وإن منكم إلا واردها)

قال: داخلها.

وسئل كعب عن الورود المذكور في الآية، فقال: تمسك النار عن الناس." (١)

"(ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) ".

حرجه الإمام أحمد.

و"أبو سمية" لا ندري من هو.

وفي "الصحيحين عن أبي هريرة ضى، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد

فتمسه النار إلا تحلة القسم ".

وقد فسر عبد الرزاق وغيره تحلة القسم بالورود لقوله: (وإن منكم إلا واردها)

وظاهر هذا يقتضي أن الورود هو مس النار.

وفي رواية: "فيلج النار إلا تحلة القسم "

فجعله مستثنى من ولوجها.

وروى عبد الملك بن عمير، عن عبد الرحمن بن بشير الأنصاري، قال:

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

"من مات له ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث لم يرد النار إلا عابر سبيل ".

وخرج الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة، ورشدين بن سعد، كلاهما

عن زاذان بن نائل، عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال:

"من حرس من وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا لا يأخذه سلطان لم يرد إلا

تحلة القسم، فإن الله تعالى يقول: (وإن فمنكم إلا واردها) ".

إسناده ضعيف.

وخرج الطبراني من حديث الواقدي، حدثنا شعيب بن طلحة بن

عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، حدثنا أبي، عن أبيه، عن جده، عن

أبي بكر الصديق، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

"إنما حر جهنم على أمتي كحر الحمام".

الواقدي متروك.." (٢)

---

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي ابن رجب الحنبلي ٦٧٢/١

(٢) تفسير ابن رجب الحنبلي ابن رجب الحنبلي ٦٧٤/١

"وروى منصور بن عمار، عن بشير بن طلحة، عن خالد بن دريك، عن
يعلى بن منية، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -:
"تقول جهنم للمؤمن: جز يا مؤمن؛ فقد أطفأ نورك لهبي "
غريب وفيه نكارة.
وقد فسر بعضهم الورود بالحمى في الدنيا، روى مجاهد وعثمان بن
الأسود وفيه حديث مرفوع:
"الحمى حظ المؤمن من النار" وإسناده ضعيف.
وقالت طائفة: الورود: ليس عاما وإنما هو خاص بالمحضرين حول جهنم
المذكورين في قوله تعالى: (فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) إلى قوله: (وإن منكم إلا واردها) .
كأنه يقال لهؤلاء الموصوفين: (وإن منكم إلا واردها) .
روي هذا التأويل عن زيد بن أسلم، وهو بعيد جدا.
وقد أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم -: أن العبد إذا وقف بين يدي ربه للحساب فإنه تستقبله النار تلقاء وجهه.
وأخبر أن الصدقة تقي صاحبها من النار.
ففي "الصحيحين عن عدي بن حازم، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال: "ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة".
وفي "صحيح مسلم " عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:
"من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل ".." (١)

"العادة لا على سبيل الحقيقة. والإنصاف في هذا المقام أن وجود الوسائط لا ينافي استناد الكل إلى مسبب الأسباب، وأن كون أفعال الله تعالى مستتبعة لمصالح العباد لا ينافي جريان الأمور كلها بقضائه وقدره. ثم إنهم لما سألوا ربهم أن يقيهم عذاب النار أتبعوا ذلك ما يدل على عظم ذلك العقاب وهو الإخزاء ليدل على شدة إخلاصهم وجدهم في الهرب من ذلك فيكون أقرب إلى الاستجابة، كما أنهم قدموا الثناء على الله بقولهم: سبحانك على الطلب ليكون أقرب إلى الأدب وأحرى بالإجابة، وكل ذلك تعليم من الله تعالى عباده في حسن الطلب. قال الواحدي: الإخزاء جاء لمعان متقاربة. عن الزجاج: أخزى الله العدو أي أبعده. وقيل: أهانه. وقيل: فضحه. وقيل: أهلكه. وقال ابن الأنباري: الخزي في اللغة الهلاك بتلف أو انقطاع حجة أو بوقوع في بلاء. قالت المعتزلة: في الآية دلالة على أن صاحب الكبيرة من أهل الصلاة ليس بمؤمن لأنه إذا دخل النار فقد أخزاه الله والمؤمن لا يخزى لقوله: يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه [التحريم: ٨] وأجيب بأنه لا يلزم من أن لا يكون من أمن وهو مع النبي صلى الله عليه وسلم مخزي أن لا يكون غيره وهو مؤمن مخزي.

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي ابن رجب الحنبلي ٦٧٥/١

وأيضا الآية ليست على عمومها لقوله: وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا [مريم: ٧١] فثبت أن كل من دخل النار فإنه ليس بمخزي. وعن سعيد بن المسيب والثوري أن هذا في حق الكفار الذين أدخلوا النار للخلود. وأيضا إنه مخزي حال دخوله وإن كانت عاقبته الخروج. وقوله: يوم لا يخزي [التحريم: ٨] نفى الخزي على الإطلاق والمطلق يكفي في صدقه صورة واحدة وهي نفي الخزي المخلد.

ويحتمل أن يقال: الإخزاء مشترك بين التخجيل وبين الإهلاك، وإذا كان المثبت هو الأول والمنفي هو الثاني لم يلزم التنافي. واحتجت المرجئة بالآية على أن صاحب الكبيرة لا يدخل النار لأنه مؤمن لقوله: يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص [البقرة: ١٧٨] ولقوله: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا [الحجرات: ٩] والمؤمن لا يخزى لقوله:

يوم لا يخزي الله النبي [التحريم: ٨] والمدخل في النار مخزي بهذه الآية، والمقدمات بأسرها يدخلها المنع. أما الأولى فباحتمال أن لا يسمى بعد القتل مؤمنا وإن كان قبله مؤمنا، وأما الأخريان فبخصوص المحمول وجزئية الموضوع كما تقرر آنفا. وقد يتمسك حكماء الإسلام بهذا في أن العذاب الروحاني أشد لأنه بين سبب الاستعاذة بالإخزاء الذي هو التخجيل وهو أمر نفساني. وقد يتمسك المعتزلة بقوله: وما للظالمين أي الداخلين في النار من أنصار أي في نفي الشفاعة للفساق لأنها نوع نصرة، ونفي الجنس يقتضي نفي النوع. والجواب أن الظالم على الإطلاق هو الكافر لقوله: والكافرون هم الظالمون في." (١)

"هو على أيسر وكان يأمر أهله أي الجسم والنفس والقلب والروح بالصلاة له توجه كل منهم توجها يليق بحاله، وبالزكاة أي تزكية كل واحد منهم من الأخلاق الذميمة ورفعناه مكانا عليا في مقعد صدق عند مليك مقتدر خروا بقلوبهم على عتبة العبودية سجدا بالتسليم للأحكام الأزلية وبكيا بكاء السمع يذوبان الوجود على نار الشوق والمحبة عباده بالغيب أي بغيبتهم عن الوجود قبل التكوين كقوله: إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة [التوبة: ١١١] ولهم رزقهم رؤية الله على ما

جاء في الحديث: «وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوا وعشيا»

وما نتنزل إلا بأمر ربك المقدور في علم الله، وتنادى أهل العزة من سرادقات العزة أن يا أهل الطبيعة أفيقوا من المتمنيات فإنا ما ننزل من عالم الغيب. إلا بأمر ربك وما كان ربك نسيا ليحتاج إلى تذكير متمن، بل هو رب سموات الأرواح وأرض الأجساد وما بينهما من النفوس والقلوب والأسرار له فاعبده بأركان الشريعة بجسدك وبآداب الطريقة بنفسك وبالإعراض عن الدنيا والإقبال على المولى بقلبك وبالفناء في الله والبقاء به بروحك وبسرك. هل تعلم له نظيرا في المحبوبية لك. والله أعلم بالصواب.

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٦٦ الى ٩٨]

ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا (٦٦) أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٧) فو ربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٣٣١/٢

لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠)

وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (٧٣) وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورءيا (٧٤) قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا (٧٥)

ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا (٧٦) أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا (٧٧) أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا (٧٨) كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا (٧٩) ونرثه ما يقول ويأتينا فردا (٨٠)

واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا (٨١) كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا (٨٢) ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا (٨٣) فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا (٨٤) يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا (٨٥)

ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا (٨٦) لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا (٨٧) وقالوا اتخذ الرحمن ولدا (٨٨) لقد جئتم شيئا إدا (٨٩) تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا (٩٠)

أن دعوا للرحمن ولدا (٩١) وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا (٩٢) إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا (٩٣) لقد أحصاهم وعدهم عدا (٩٤) وكلهم آتيه يوم القيامة فردا (٩٥)

إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا (٩٦) فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا (٩٧) وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا (٩٨)." (١)

"وغيرهم ولهذا جاء والسماء وما بناها [الشمس: ٥] سبحان ما سخركن لنا. ومنها أنه تعالى يصور لهم في النار ملكا على صورة من عبدوه، وضعف بأن القوم لم يعبدوا تلك الصورة، وبأن الملك لا يتعذب بالنار كخزنة جهنم. واعلم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فقوله إن الذين لا يبعد أن يكون عاما لكل المؤمنين ويؤيده ما روي أن عليا قرأ هذه الآية ثم قال: أنا منهم وأبوبكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف.

وزعم مثبتوا لعفو أن الحسنى في الآية هي الوعد بالعفو لأنه قال أولئك عنها مبعدون بأزاء قوله أنتم لها واردون والورود الدخول فالإبعاد الإخراج من النار بعد أن كانوا فيها. وأيضا إبعاد البعيد محال. وقوله لا يسمعون حسيسها إذ الصوت الذي يحس به مخصوص بما بعد الإخراج. وأيضا قوله لا يحزنهم الفزع الأكبر يفهم منه أنه يحزنهم الفزع الأصغر، فالأكبر عذاب الكفار والأصغر عذاب صاحب الكبيرة، والأكثرون على أن المراد من قوله مبعدون أنهم لا يدخلون النار ولا يقربونها البتة لأن ما جعل بعيدا عن شيء ابتداء يحسن أن يقال: إنه أبعد عنه، وهؤلاء لم يفسروا الورود في قوله وإن منكم إلا واردها [مريم: ٧١] بالدخول كما مر في سورة مريم. وفي قوله لا يسمعون حسيسها تأكيد للإبعاد فقد لا يدخل النار ويسمع حسيسها. ثم بين أنهم مع البعد عن المنافي منتفعون بالقرب من الملائم ملتذون به على سبيل التأبيد فقال وهم فيما

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٤/٤٩٩

اشتهته أنفسهم أي فيما تطلبه للالتذاذ به خالدون هذا نصيب أهل الجنة، وأما أهل الله فهم فيما اشتهت قلوبهم وأرواحهم وأسرارهم خالدون. والفزع الأكبر قيل: النفخة الأخيرة لقوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض [النمل: ٨٧] وعن الحسن هو الانصراف إلى النار فإنه لافزع أكبر مما إذا شاهدوا النار، وهذا أمر يشترك فيه أهل النار جميعا، ثم مراتب التعذيب بعد ذلك متفاوتة. وعن الضحاك وسعيد بن جبير هو حين تطبق النار على أهلها فيفزعون لذلك فزعة عظيمة، وقيل: حين يذبح الموت على صورة كبش أملح فعند ذلك يستقر أهل النار في النار وأهل الجنة في الجنة وتستقبلهم الملائكة مهنئين قائلين هذا يومكم أي وقت ثوابكم الذي كنتم توعدون ذلك قال الضحاك: هم الحفظة الذين كتبوا أعمالهم. والعامل في يوم نطوي السماء: لا يحزنهم أو تتلقاهم. والسجل اسم للطومار الذي يكتب فيه.

وعن ابن عباس أنه ملك يطوي كتب بني آدم إذا رفعت إليه وهو مروي أيضا عن علي رضي الله عنه.

وروى أيضا أبو الجوزاء عن ابن عباس أنه كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بمعروف. قال الزجاج: هو الرجل بلغة الحبش. فعلى هذه الوجوه فالطي وهو المصدر مضاف إلى الفاعل وعلى الوجه." (١)

"وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وهي في كل هذه الأحوال باقية في مواضعها ثم تنسف بإرسال الرياح عليها وإذا الجبال نسفت [الانفطار: ٤] ثم تطير هاهنا أحوال إذا برزت من تحتها ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة [الكهف: ٤٧] والثاني للجبال فتطيره في الهواء كالهباء فمن نظر إليها حسبها لتكاثفها أجساما جامدة وهي بالحقيقة مارة بتحريك الهواء كما قال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب [النمل: ٨٨] والثالث لها باعتبار أماكنها الأصلية فمن نظر إلى المواضع من بعيد ظن أن الجبال هناك حتى إذا دنا منها لم يجد فيها شيئا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا [النور: ٣٩] وقد أشار إلى هذه الحالة بقوله وسيرت الجبال فكانت سرابا.

ثم أخبر عن أحوال السعداء والأشقياء يومئذ. وقدم ذكر هذا المقام غير محرر فلينظر الأشقياء لأن الكلام في السورة بني على التهديد فقال إن جهنم كانت أي في علم الله أو هي مسلوبة الدلالة على المضي. والمرصاد إما اسم للمكان الذي يرصد فيه كالضمار للذي تضمر فيه الخيل، والمنهاج اسم للمكان الذي ينهج فيه. والمعنى أن خزنة جهنم يرصدون الكفار هناك، أو أن خزنتها يستقبلون المؤمنين عندها لأن جوازهم عليها بدليل قوله وإن **منكم إلا واردها** [مريم: ٧١] ولهذا قال الحسن وقتادة: يعني طريقا إلى الجنة. وإما صفة نحو «مقدام» بمعنى أنها ترصد أعداء الله. وقوله للطاغين متعلق بما بعده أو بما قبله، وعلى التقديرين لا بد من إضمار وهو لفظة لهم أو لأهل الجنة. ثم ذكر كيفية استقرارهم هناك فقال لابثين ومن قرأ بغير ألف فهو أدل على الثبات. قال جار الله: اللابث من وجد منه اللبث فقط، واللبث من لا يكاد يبرح المكان أما الأحقاب فزعم الفراء أن أصله الترادف والتتابع أي دهورا مترادفة لا تكاد تتناهى كلما مضى حقب تبعه آخر. وقال الحسن: الأحقاب لا يدري أحد ما هي ولكن الحقب الواحد سبعون ألف سنة اليوم منها كألف سنة مما تعدون. وسأل هلال الهجري عليا فقال: الحقب مائة سنة السنة اثنا عشر شهرا والشهر ثلاثون يوما واليوم ألف سنة. وقال عطاء والكلبي ومقاتل عن ابن عباس:

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٥/٥٦

الحقب الواحد بضع وثمانون سنة والسنة ثلاثمائة وستون يوما واليوم ألف سنة من أيام الدنيا.

ونحو هذا يروى عن ابن عباس وقطرب مرفوعا. فإن قيل: عذاب أهل النار ولا سيما الطاغين غير متناه والأحقاب بالتفاسير المذكورة وإن كثر مبلغها متناهية، فما وجه الجمع بينهما؟ قلنا: الحقب متناه ولكن الأحقاب لا نسلم أنها متناهية فإن الجمع لا يلزم تناهي آحاده فيجوز أن يكون المعنى كلما مضى حقب تبعه آخر. قال الفراء: سلمنا أن الأحقاب تفيد التناهي لكن بالمفهوم والنصوص الدالة على التأبيد كقوله يريدون أن يخرجوا من النار." (١)

"﴿وإن﴾ أي ما ﴿منكم﴾ أحد ﴿إلا واردها﴾ أي داخل جهنم ﴿كان على ربك حتما مقضيا﴾ حتمه وقضى به لا يتركه

٧ -." (٢)

"محذوف قامت صفته مقامه، أي: وما أحد من أهل الكتاب كما حذف في قوله تعالى:

وإن منكم إلا واردها [مريم: ٧١] ، وقوله تعالى: وما منا إلا له مقام معلوم [الصافات: ١٦٤] أي: وما أحد منا، وما أحد منكم، قال الشيخ أبو حيان «١» : ليؤمنن به:

جواب قسم محذوف، والقسم وجوابه هو الخبر، وكذلك أيضا إلا له مقام وإلا واردها، هما الخبر، قال الزجاج: وحذف «أحد» مطلوب في كل نفي يدخله الإستثناء نحو: ما قام إلا زيد، أي: ما قام أحد إلا زيد. انتهى.

[سورة النساء (٤) : الآيات ١٦٠ الى ١٦٢]

فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا (١٦٠) وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما (١٦١) لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما (١٦٢)

وقوله تعالى: فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ... الآية:

فبظلم: معطوف على قوله سبحانه: فبما نقضهم [النساء: ١٥٥] ، والطيبات هنا: هي الشحوم، وبعض الذبائح، والطير والحوت، وغير ذلك، وقرأ ابن عباس «٢» : «طيبات كانت أحلت لهم» .

وبصدهم عن سبيل الله كثيرا: يحتمل أن يريد صدهم في ذاتهم، ويحتمل أن يريد صدهم غيرهم، وأخذهم الربوا، هو الدرهم بالدرهمين إلى أجل، ونحو ذلك مما هو مفسدة، وقد نهوا عنه، ثم استثنى سبحانه الراسخين في العلم منهم كعبد الله بن سلام، ومخيريق، ومن جرى مجراهم.

واختلف الناس في قوله سبحانه: والمقيمين، وكيف خالف إعرابها إعراب ما تقدم وما تأخر.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٤٣٢/٦

(٢) تفسير الجلالين المحلي، جلال الدين ص/٤٠٣

فقال بعض نحاة البصرة والكوفة: إنما هذا من قطع النعوت، إذا كثرت على النصب ب «أعني» والرفع بعد ذلك ب «هم»

وقال قوم: والمقيمين: عطف على «ما» في قوله:

وما أنزل من قبلك، والمعنى: ويؤمنون بالمقيمين الصلاة، وهم الملائكة، أو من تقدم من الأنبياء، وقال قوم: والمقيمين: عطف على الضمير في منهم، وقال آخرون: بل على الكاف في قوله: من قبلك.

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» (٣/ ٤٠٦) .

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٢/ ١٣٥) ، و «البحر المحيط» (٣/ ٤١١) ، و «الدر المصون» (٢/ ٤٦١) . [.....]."[1]

"قال ع «١» : وهذه من أبي علي نزعة اعتزالية [فتأملها] «٢» ، والضمير في لنحشرنهم عائد على الكفار القائلين ما تقدم، ثم أخبر تعالى: أنه يقرن بهم الشياطين المغوين لهم، وجثيا جمع جاث، فأخبر سبحانه: أنه يحضر هؤلاء المنكرين البعث مع ٥ ب الشياطين [المغوين] «٣» ، فيجثون/ حول جهنم وهو «٤» قعود الخائف الذليل على ركبتيه كالأسير، ونحوه.

قال ابن زيد «٥» : الجثي: شر الجلوس، و «الشيعة» : الفرقة المرتبطة بمذهب واحد، المتعاونة فيه، فأخبر سبحانه أنه ينزع من كل شيعة أعتاها وأولاها بالعذاب، فتكون مقدمتها إلى النار.

قال أبو الأحوص: المعنى: نبدأ بالأكابر «٦» جرما «٧» ، وأي: هنا بنيت لما حذف الضمير العائد عليها من صدر صلتها، وكان التقدير: أيهم هو أشد، وصليا: مصدر صلي يصلى إذا باشره.

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٧١ الى ٧٤]

وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (٧٣) وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورءيا (٧٤)

وقوله عز وجل: وإن **منكم إلا واردها قسم**، والواو تقتضيه، ويفسره قوله صلى الله عليه وسلم: «من مات له ثلاثة أولاد، لم تمسه النار إلا تحلة القسم» «٨» . وقرأ ابن

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٣٠) .

(٢) سقط في ج.

(٣) سقط في ب، ج.

(٤) في ج: ويعني.

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٢/٣٢٨

(٥) أخرجه الطبري (٨/ ٣٧٠) رقم (٢٣٨٧٢) ، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٦) .

(٦) في ح: بالأكابر فالأكابر.

(٧) أخرجه الطبري (٧/ ٣٦٣) برقم (٢٣٨٢٧) ، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٦) ، وابن كثير (٣/ ١٣١) ، والسيوطي (٤/ ٥٠٤) وعزاه لهناد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن أبي الأحوص.

(٨) أخرجه البخاري (٣/ ١٤٢) كتاب الجنائز: باب فضل من مات له ولد فاحتسبه، حديث (١٢٥١) ، ومسلم (٤/ ٢٠٢٨) كتاب البر والصلة: باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، حديث (١٥٠/ ٢٦٣٢) ، والترمذي (٣/ ٣٦٥) كتاب الجنائز: باب ما جاء في ثواب من قدم ولدا، حديث (١٠٦٠) ، والنسائي (٤/ ٢٥) كتاب الجنائز: باب من يتوفى له ثلاثة، حديث (١٨٧٥) ، وابن ماجه (١/ ٥١٢) كتاب الجنائز:

باب ما جاء في ثواب من أصيب بولده، حديث (١٦٠٣) ، وأحمد (٢/ ٢٣٩- ٢٤٠) ، والحميدي (٢/-[.....]." (١)

"وحسب المؤمن بهذا هؤلاء ومنه قوله تعالى: ولما ورد ماء مدين [القصص: الآية ٢٣] .

وروت فرقة أثرا: أن الله تعالى يجعل النار يوم القيامة جامدة الأعلى كأنها إهالة فيأتي الخلق كلهم برهم وفاجرهم، فيقفون عليها، ثم تسوخ بأهلها، ويخرج المؤمنون الفائزون، لم ينلهم ضر، قالوا: فهذا هو الورود.

قال المهدوي «١» : وعن قتادة قال: يرد الناس جهنم وهي سوداء مظلمة، فأما المؤمنون فأضاءت لهم حسناتهم، فنجوا منها، وأما الكفار فأوبقتهم سيئاتهم، واحتبسوا بذنوبهم. [انتهى] » .

وروت حفصة- رضي الله عنها- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يدخل النار أحد من أهل بدر والحديبية» قالت: فقلت: يا رسول الله، وأين قول الله تعالى: وإن **منكم إلا واردها فقال** صلى الله عليه وسلم: «فمه «٣» ، ثم ننجي الذين اتقوا» «٤» ورجح الزجاج «٥» هذا القول بقوله تعالى: إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون [الأنبياء: ١٠١] .

ت: وحديث حفصة هذا أخرجه مسلم، وفيه: «أفلم تسمعيه يقول: ثم ننجي الذين اتقوا «٦» .

وروى ابن المبارك في «رقائقه» : أنه لما نزلت هذه الآية: وإن **منكم إلا واردها ذهب** ابن رواحة إلى بيته فبكى [فجاءت امرأته، فبكت] ، «٧» وجاءت الخادم فبكت، وجاء

---

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٣٦٥) .

(٢) سقط في ج.

(٣) في ج: مه.

(٤) أخرجه أحمد (٦/ ٢٨٥) ، وابن ماجه (٢/ ١٤٣١) كتاب «الزهد» : باب ذكر البعث، حديث (٤٢٨١) ، وهناد

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٣٠/٤

في «الزهد» (١/ ١٦٥) رقم (٢٣٠) كلهم من طريق الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر عن حفصة به.
قال البوصيري في «الزوائد» (٣/ ٣١٥) : هذا إسناد صحيح إن كان أبو سفيان سمع من جابر بن عبد الله اهـ.
وأخرجه أيضا من طريق الأعمش- أبو يعلى (١٢/ ٤٧٣) رقم (٧٠٤٤) .
والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٢٨٢) ، وزاد نسبته إلى ابن سعد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري، والطبراني، وابن مردويه.
(٥) ينظر: «معاني القرآن» (٣/ ٣٤٠، ٣٤١) .
(٦) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٤٢) كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان، حديث (١٦٣/ ٢٤٩٦) ، وأحمد (٦/ ٤٢٠) كلاهما من طريق حجاج بن محمد: أخبرنا ابن جريج، أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة ... فذكر الحديث.
(٧) سقط في ج. [.....]."[1]

"أهل البيت فجعلوا يبكون، فلما انقضت عبرته، قال: يا أهلاه، ما يبكيكم، قالوا: لا ندري، ولكن رأيناك بكيت فبكينا، فقال: آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبئني فيها ربي أني وارد النار، ولم ينبئني أني صادر عنها، فذلك الذي أبكاني «١» . انتهى.
وقال ابن مسعود: ورودهم/: هو جوازهم على الصراط «٢» ، وذلك أن الحديث ٦ أالصحيح تضمن أن الصراط مضروب على متن جهنم.
والحتم: الأمر المنفد المجزوم، والذين اتقوا: معناه اتقوا الكفر ونذر دالة على أنهم كانوا فيها.
قال أبو عمر بن عبد البر في «التمهيد» بعد أن ذكر رواية جابر، وابن مسعود في الورود: وروي عن كعب أنه تلا: وإن **منكم إلا واردها فقال**: أتدرون ما ورودها؟ إنه يجاء بجهنم فتمسك للناس كأنها متن إهالة: يعني: الودك الذي يجمد على القدر من المرقة، حتى إذا استقرت عليها أقدام الخلائق: برهم وفاجرهم، نادى مناد: أن خذي أصحابك، وذري أصحابي، فيخسف بكل ولي لها، فلهي أعلم بهم من الوالدة بولدها، وينجو المؤمنون ندية ثيابهم «٣» .
وروي هذا المعنى عن أبي نضرة، وزاد: وهو معنى قوله تعالى: فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون [يس: ٦٦] . انتهى.
وقوله تعالى: وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما ... الآية، هذا افتخار من كفار قريش وأنه إنما أنعم الله عليهم لأجل أنهم على الحق بزعمهم. والندي، والنادي: المجلس، ثم رد الله تعالى حجتهم وحقر أمرهم فقال تعالى: وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورءيا أي: فلم يغن ذلك عنهم شيئا «٤» ، والأثاث: المال العين، والعرض «٥» والحيوان.
وقرأ نافع «٦» وغيره: «ورءيا» بهمزة بعدها ياء من رؤية العين.

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤/٣٢

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٢٨٢) ، وعزاه إلى أحمد، وابن المبارك، كلاهما في «الزهد» ، وابن عساكر.

(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ٢٧) ، وابن كثير (٣/ ١٣٢) .

(٣) أخرجه الطبري (٨/ ٣٦٥) رقم (٢٣٨٣٨) ، وذكره ابن كثير (٣/ ١٣٣) .

(٤) سقط في ج، وفي ب شيئا.

(٥) في ج: العروض.

(٦) ينظر: «السبعة» (٤١١، ٤١٢) ، و «الحجة» (٥/ ٢٠٩) ، و «إعراب القراءات» (٢/ ٢٣) ، و «معاني القراءات» (٢/ ١٣٨) ، و «العنوان» (١٢٧) ، و «حجة القراءات» (٤٤٦) ، و «شرح شعلة» (٤٨٧) ، و «إتحاف» (٢/ ٢٣٩) .." (١)

"بهمزتين، ومعنى الاستفهام التوبيخ والتقرير، انتهى، قال الفخر: اعلم أن أهم الأمور وأولاها بالرعاية ترقيق القلب، وإزالة حب الدنيا منه، ومشاهدة القبور تورث ذلك كما ورد/ به الخبر، انتهى.

وقوله تعالى: كلا سوف تعلمون زجر ووعيد، ثم كرر تأكيدا، ويأخذ كل إنسان من هذا الزجر والوعيد المكرر على قدر حظه من التوغل فيما يكره هذا تأويل الجمهور، وقال علي: كلا سوف تعلمون في القبر، ثم كلا سوف تعلمون في البعث «١» ، قال الفخر «٢» : وفي الآية تهديد عظيم للعلماء فإنها دالة على أنه لو حصل اليقين لتركوا التكاثر والتفاخر فهذا يقتضي أن من لا يترك التكاثر والتفاخر أن لا يكون اليقين حاصلا له فالويل للعالم الذي لا يكون عاقلا ثم الويل له، انتهى.

[سورة التكاثر (١٠٢) : الآيات ٥ الى ٨]

كلا لو تعلمون علم اليقين (٥) لترون الجحيم (٦) ثم لترونها عين اليقين (٧) ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم (٨)

وقوله تعالى: كلا لو تعلمون علم اليقين جواب «لو» محذوف تقديره لازدجرتم، [وبادرتم] إنقاذ أنفسكم من الهلكة، واليقين أعلى مراتب العلم، ثم أخبر تعالى الناس أنهم يرون الجحيم، وقال ابن عباس: هذا خطاب للمشركين والمعنى على هذا التأويل: أنها رؤية دخول وصلي وهو عين اليقين لهم «٣» ، وقال آخرون: الخطاب للناس كلهم، فهي كقوله تعالى: وإن **منكم إلا واردها** [مريم: ٧١] فالمعنى أن الجميع يراها ويجوز الناجي ويتكردس فيها الكافر، - ص-: لترون ابن عامر والكسائي- بضم التاء-، والباقون بفتحها «٤» ، انتهى.

وقوله تعالى: ثم لترونها عين اليقين تأكيد في الخبر، وعين اليقين: حقيقته وغايته، ثم أخبر تعالى أن الناس مسؤولون يومئذ عن نعيمهم في الدنيا كيف نالوه ولم آثروه، وتتوجه في هذا أسئلة كثيرة بحسب شخص شخص، وهي منقادة لمن أعطي فهما في كتاب الله- عز وجل، - وقد قال صلى الله عليه وسلم/ لأصحابه: «والذي نفسي بيده، لتسألن عن

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤/٣٣

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٧٩) ، (٣٧٨٧٣) عن علي رضي الله عنه، وذكره ابن عطية (٥/ ٥١٩) .

(٢) ينظر: «مفاتيح الغيب» (٣٢/ ٧٦) .

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٨٠) ، (٣٧٨٧٨) ، وابن عطية (٥/ ٥١٩) .

(٤) ينظر: «السبعة» (٦٩٥) ، و «الحجة» (٦/ ٤٣٤) ، و «إعراب القراءات» (٢/ ٥٢٤) ، و «معاني القراءات» (٣/ ١٦٠) ، و «شرح الطيبة» (٦/ ١٣٣) ، و «العنوان» (٢١٣) ، و «حجة القراءات» (٧٧١) ، و «شرح شعلة» (٦٢٦) ، و «إتحاف» (٢/ ٢٦٦) .." [١]

"وعطف هذه الجمل بأداة البعد مقرونة بنون العظمة لبعد مراتبها وتصاعدها في ذرى العليا وترقيها، تهويلا للمقام وتعظيما للأمر لاستبعادهم له، على أنه يمكن أن تكون الحروف الثلاثة للترتيب الزماني، وهو في الأولين واضح، وأما في الثالث فلأن العلم كناية عن الإصلاء، لأن من علم ذنب عدوه - وهو قادر - عذبه، فكأنه قيل: لنصلين كلا منهم النار على حسب استحقاقه لأنا أعلم بأولويته لذلك.

ولما كانوا بهذا الإعلام، المؤكد بالإقسام، من ذي الجلال والإكرام، جديرين بإصغاء الأفهام، إلى ما يوجه إليها من الكلام، التفت إلى مقام الخطاب، إفهاما للعموم فقال: ﴿وإن﴾ أي وما ﴿منكم﴾ أيها الناس أحد ﴿إلا واردها﴾ أي داخل جهنم؛ ثم استأنف قوله: ﴿كان﴾ هذا الورود؛ ولما كان المعنى أنه لا بد من من إيقاعه، أكده غاية التأكيد فأتى بأداة الوجوب فقال: ﴿على ربك﴾ الموجد لك المحسن إليك بإنجاء أمتك لأجلك ﴿حتما﴾ أي واجبا مقطوعا به ﴿مقضيا *﴾ لا بد من إيقاعه؛ قال الرازي في اللوامع: ما من مؤمن - إلا الأنبياء - إلا وقد تلطخ بخلق سوء ولا ينال السعادة الحقيقية إلا بعد تنقيته، وتخليصه من ذلك إنما يكون بالنار.." [٢]

"بينهما)، بدل من ربك أو خبر مبتدأ محذوف (فاعبده واصطبر لعبادته)، عدي باللام لتضمنه معنى الثبات أي: اثبت لها ولا يضق صدرك عن احتباس الوحي وشماتة المشركين (هل تعلم له سميا): مثلا وشبها فلا محيص عن عبادته والصبر على مشاقها وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - ليس أحد يسمى الرحمن غيره، وعن بعضهم هل تعلم أحدا يسمى الله غيره؟

* * *

(ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا (٦٦) أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٧) فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠) وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٦٢٣/٥

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٢٣٦/١٢

ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (٧٣) وكم أهلكنا قبلهم." (١)

"مفعول معه أو للعطف والضمير المفعول لجنس الإنسان فإنه إذا حشر الجميع حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد صدق أن الكل محشورون معهم (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا): قعودا على الركب على المعتاد في مواقف التقاول كما قال تعالى (وترى كل أمة جاثية) [الجاثية: ٢٨]، (ثم لننزعن من كل شيعة): أمة شاعت دينا (أيهم أشد على الرحمن عتيا): غيا وفسادا أي: قادتهم ورؤساؤهم في الشر أو يبدأ بالأفسق فالأفسق، فيطرح في جهنم وأيهم مرفوع بالابتداء استفهامي وخبره أشد، والجملة محكية أي لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد أو مبني على الضم لحذف صدر صلته و " على الرحمن " للبيان لا متعلق بـ عتيا، لأن معمول المصدر لا يتقدم عليه أو معلق بأشد أي: عتوهم أشد عليه كما يقال: هو أشد على خصمه (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) أي: احتراقا " وبها " للبيان أو ظرف لأولى أي: صليهم أولى بالنار يعني ننزع الرؤساء، ونعلم أنهم أحق بتضعيف العذاب أو نبدأ بالأعصى فالأعصى ونقدم الأولى فالأولى بالعذاب وجاء بـ ثم لتأخره في الإخبار، ولأن حاصله طرحهم في النار على الترتيب وهو متأخر عن النزع (وإن منكم) أي: منكم أحد (إلا واردها): داخلها يدخل النار بر وفاجر وتكون على المؤمنين بردا وسلاما وكثير من السلف على أن الورود هو الجواز على الصراط فإنه ممدود عليها، وعن بعضهم الورود." (٢)

"وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وأبو الشيخ عن قتادة رضي الله عنه في قوله ﴿يقدم قومه يوم القيامة﴾ قال: فرعون يمضي بين يدي قومه حتى يهجم بهم على النار

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله ﴿فأوردهم النار﴾ قال الورود الدخول

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال الورود في القرآن أربعة

في هود ﴿وبئس الورد المورود﴾ وفي مريم (وإن منكم إلا واردها) (مريم الآية ٧١) وفيها أيضا (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) (مريم الآية ٨٦) وفي الأنبياء (حصب جهنم أنتم لها واردون) (الأنبياء الآية ٩٨) قال: كل هذا الدخول

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد ﴿وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة﴾ أردفوا وزيدوا بلعنة أخرى فتلك لعنتان ﴿بئس الرفد المرفود﴾ اللعنة في أثر اللعنة

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿بئس الرفد المرفود﴾ قال: لعنة الدنيا والآخرة

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي رضي الله عنه في الآية قال: لم يبعث نبي بعد فرعون إلا لعن على لسانه ويوم القيامة يزيد لعنة أخرى في النار

وأخرج ابن الأنباري في الوقف والابتداء والطستي عن ابن عباس

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٤٨٩/٢

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٤٩١/٢

إن نافع بن الأزرق قال له: أخبرني عن قوله عز وجل ﴿بئس الرفد المرفود﴾ قال: بئس اللعنة بعد اللعنة

قال: وهل تعرف العرب ذلك قال: نعم أما سمعت نابغة بني ذبيان وهو يقول: لا تقدمن بركن لا كفاء له وإنما تفك الأعداء بالرفد

الآية ١٠٠." (١)

"قال له ملك الموت: يا نبي الله كيف رأيت قال: يا ملك الموت كنت أحدث وأسمع فإذا هو أعظم مما كنت أحدث وأسمع فقال له: يا ملك الموت قد بقيت لي حاجة أخرى لم يبق غيرها

قال: وما هي قال: تريني لمحة من الجنة

قال له ملك الموت – عليه السلام: يا نبي الله أبشر فإنك إن شاء الله من خيار أهلها وأنها إن شاء الله مقيلك ومصيرك

فقال: يا ملك الموت إني أحب أن أنظر إليها ولعل ذلك أن يكون أشد لشوقي وحرصي وطلبي فذهب به إلى باب من أبواب الجنة فنادى بعض خزنتها فأجابوه فقالوا: من هذا قال: ملك الموت

فارتعدت فرائصهم وقالوا: أمرت فينا بشيء فقال: لو أمرت فيكم بشيء ما ناظرتكم ولكن نبي الله إدريس – عليه السلام – سأل أن ينظر إلى لمحة من الجنة فافتحوا

فلما فتح أصابه من بردها وطيبها وريحانها ما أخذ بقلبه فقال: يا ملك الموت إني أحب أن أدخل الجنة فآكل أكلة من ثمارها وأشرب شربة من مائها فلعل ذلك أن يكون أشد لطلبتي ورغبتي وحرصي

فقال: ادخل

فدخل فأكل من ثمارها وشرب من مائها

فقال له ملك الموت: اخرج يا نبي الله قد أصبت حاجتك حتى يردك الله مع الأنبياء يوم القيامة

فاحتضن بساق شجرة من شجر الجنة وقال: ما أنا بخارج منها وإن شئت أن أخاصمك خاصمتك

فأوحى الله إلى ملك الموت: قاضه الخصومة

فقال له ملك الموت: ما الذي تخاصمني به يا نبي الله فقال إدريس: قال الله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) (آل عمران الآية ١٨٥) فقد ذقت الموت الذي كتبه الله على خلقه مرة واحدة

وقال الله: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ (مريم آية ٧٦) وقد وردتها أفأردها مرة بعد مرة وإنما كتب الله ورودها على خلقه مرة واحدة وقال لأهل الجنة: (وما هم منها بمخرجين) (الحجر آية ٤٨) أفأخرج من شيء ساقه الله إلي فأوحى الله إلى ملك الموت: خصمك عبدي إدريس وعزتي وجلالي: إن في سابق علمي قبل أن أخلقه أنه لا موت عليه إلا الموتة التي ماتها وأنه لا يرى جهنم غلا [خلا] الورد الذي وردها وأنه يدخل الجنة في الساعة التي دخلها وأنه ليس بخارج منها فدعه يا ملك الموت." (٢)

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٤٧٢/٤

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٥٢١/٥

"علي الخلائق له عينان تبصران ولسان فصيح فيقول: إني وكلت منكم بثلاثة: بكل جبار عنيد فتلتقطهم من الصفوف لقط الطير حب السمسم فتحبس بهم في جهنم ثم تخرج ثانية فتقول: إني وكلت منكم بمن آذى الله تعالى ورسوله فتلتقطهم من الصفوف لقط الطير حب السمسم فتحبس بهم في جهنم ثم تخرج ثالثة فتقول: إني وكلت بأصحاب التصاوير فتلقطهم من الصفوف لقط الطير حب السمسم فتحبس بهم في جهنم فإذا أخذ من هؤلاء ثلاثة ومن هؤلاء ثلاثة: نشرت الصحف ووضعت الموازين ودعي الخلائق للحساب

وأخرج أحمد وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث عن أبي سمية قال: اختلفنا في الورود فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن وقال بعضهم: يدخلونها جميعا ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ فلقيت جابر بن عبد الله فذكرت له فقال: وأهوى بأصبعيه إلى أذنيه صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم حتى أن للنار ضجيجا من بردهم ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾

وأخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عن مجاهد قال: خاصم نافع بن الأزرق ابن عباس فقال ابن عباس: الورود الدخول: وقال نافع: لا

فقرأ ابن عباس (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) (الأنبياء آية ٩٨) وقال: وردوا أم لا وقرأ (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار) (هود آية ٩٨) أوردوا أم لا أما أنا وأنت فسندخلها فانظر هل نخرج منها أم لا

وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قال: يردها البر والفاجر

ألم تسمع قوله: (فأوردهم النار وبئس الورد المورود) (هود آية ٩٨) وقوله: ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا﴾ مريم آية ٨٦." (١)

"هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا: نعم

هو هذا

وأخرج أحمد بسند حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليختصمن يوم القيامة كل شيء حتى الشاتين فيما انتطحتا

وأخرج الطبراني وابن مردويه بسند لا بأس به عن أبي أيوب رضي الله عنه

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أول من يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته

والله ما يتكلم لسانها ولكن يداها ورجلاها يشهدان عليها بما كانت لزوجها وتشهد يداه ورجلاه بما كان يوليها

ثم يدعى الرجل وخادمه بمثل ذلك ثم يدعى أهل الأسواق وما يوجد ثم دوانق ولا قراريط ولكن حسنات هذا تدفع إلى هذا الذي ظلم وسيئآت هذا الذي ظلمه توضع عليه ثم يؤتى بالجبارين في مقامع من حديد فيقال: أوردوهم إلى النار

فو الله ما أدري يدخلونها أو كما قال الله (وإن منكم إلا واردها) (مريم الآية ٧١)

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٥/٥٣٥

وأخرج أحمد والطبراني بسند حسن عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أول خصمين يوم القيامة جاران

وأخرج البزار عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يجاء بالأمير الجائر فتخاصمه الرعية

وأخرج ابن مندة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يختصم الناس يوم القيامة حتى يختصم الروح مع الجسد فتقول الروح للجسد أنت فعلت ويقول الجسد للروح أنت أمرت وأنت سولت

فيبعث الله تعالى ملكا فيقضي بينهما فيقول لهما: إن مثلكما كمثل رجل مقعد بصير وآخر ضرير دخلا بستانا فقال المقعد للضرير: إني أرى ههنا ثمارا ولكن لا أصل إليها

فقال له الضرير: اركبني فتناولها فركبه فتناولها فأيهما المعتدي فيقولان: كلاهما فيقول لهما الملك: فإنكما قد حكمتما على أنفسكما

يعني أن الجسد للروح كالمطية وهو راكبه

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ يقول: يخاصم الصادق الكاذب والمظلوم الظالم والمهتدي الضال والضعيف المستكبر." (١)

"أخرج عبد بن حميد عن عاصم أنه قرأ ﴿وفتحت﴾ خفيفة

وأخرج ابن المنذر عن أبي الجوزاء في قوله: ﴿إن جهنم كانت مرصادا﴾ قال: صارت

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن الحسن في قوله: ﴿إن جهنم كانت مرصادا﴾ قال: لا يدخل الجنة أحد حتى يجتاز النار

وأخرج ابن جرير عن سفيان ﴿إن جهنم كانت مرصادا﴾ قال: عليهم ثلاث قناطر لا يدخل الجنة أحد حتى يجتاز النار

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة ﴿إن جهنم كانت مرصادا﴾ قال: تعلموا أنه لا سبيل إلى الجنة حتى تقطع النار وقال في آية أخرى: (وإن منكم إلا واردها) (سورة مريم الآية ٧١) ﴿للطاغين مآبا﴾ قال: مأوى ومنزلا ﴿لابثين فيها أحقابا﴾ قال: الأحقاب ما لا انقطاع له كلما مضى حقب جاء بعده حقب آخر قال وذكر لنا أن الحقب ثمانون سنة من سني يوم القيامة

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس ﴿لابثين فيها أحقابا﴾ قال: سنين

وأخرج عبد بن حميد عن الحسن ﴿لابثين فيها أحقابا﴾ قال: ليس لها أجل كلما مضى حقب دخلنا في الأخرى

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن الحسن قال: الحقب الواحد سبعون سنة كل يوم منها ألف سنة." (٢)

"ولا تضطرب من استهزاء الكفرة وسخريتهم وكيف لا تصطبر ولا تصبر هل تعلم وتسمع له سميا باسم الإله مسمى به مثلا له مستحقا للعبودية والتوجه لإنجاح المطلوب سواه سبحانه حتى ترجع أنت نحوه عند توجه الخطوب وإلمام الملمات

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٢٢٧/٧

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٣٩٤/٨

عليك وبالجملة ما عليك الا العبادة والاصطبار وترك الاضطراب والاستعجال وتفويض عموم الأمور الى الكبير المتعال
ومن غاية الجهل ونهاية الغفلة عن ربوبيته سبحانه يقول الإنسان المجبول على الكفران والنسيان بنعم الله وبإنكار قدرته على اعادة المعدوم وحشر الأموات أإذا ما مت وقد صرت عظاما ورفاتا لسوف أخرج من الأرض حيا سويا معادا كلا وحاشا ما هذا الا محال باطل وضلال ظاهر

أينكر المنكر على قدرتنا ويصر على الإنكار ولا يذكر الإنسان المكابر المعاند أنا قد خلقناه واوجدناه إيجادا إبداعيا من قبل والحال انه لم يك شيئا مما يطلق عليه اسم الشيء إذ هو معدوم صرف وعدم محض والمعدوم ليس بشيء ولا مسبوق بشيء فقدرنا على إيجاده وإظهاره من العدم الصرف ولم لم نقدر على إعادته سيما بعد سبق اجزائه وان كان الإعادة والإبداء عندنا وفي جنب قدرتنا على السواء الا ان الإعادة بالنسبة الى فهمهم أسهل وأيسر من الإبداء والإبداع عن لا شيء

فو ربك يا أكمل الرسل الذي هو أعظم أسمائه وأشملها وبعزته وجلاله لنحشرنهم أولئك الضالين والشياطين المضلين لهم معهم منخرطين في سلسلتهم ثم لنحضرنهم مقيدين مغلولين حول جهنم جثيا باركين على الركب قائمين على أطراف الأصابع بلا تمكن لهم واطمئنان مثل الجاني الخائف عند الحاكم القاهر القادر على انواع الانتقام

ثم بعد حشرهم وإحضارهم حول النار كذلك لننزعن ننتخبن ونخرجن من كل شيعة فئة وفرقة قد شاعت منهم موجبات العذاب والنكال ونميزن منهم ايضا أيهم أشد على الرحمن المفيض لهم انواع الخيرات والبركات عتيا جرأة على العصيان له وعلى ترك أوامره وارتكاب نواهيه حتى يطرح أولا على قعر النار ثم الا مثل فالأمثل الى ان يطرح الكل فيها على تفاوت طبقاتهم ودرجاتهم في افتراق موجباتها قوة وضعفا

ثم بعد ما انتزعنا وانتخبنا لنحن أعلم بالذين هم أولى وأحق بها اى بدخول النار صليا اى دخولا وطرحا أوليا سابقا على الكل ألا وهم الرؤساء الضالون المضلون إذ يضاعف عذابهم بضلالهم واضلالهم. ثم قال سبحانه مخاطبا لبنى آدم بأجمعهم لا تغتروا بدنياكم وبلذاتها وشهواتها فإنها توقعكم في النار

وإن منكم ايها المتلذذون بزخرفة الدنيا المائلون الى أمتعتها وما احد من المتمتعين بها إلا واردها اى وارد النار وواقعها قد ذاق كل منكم مقدار ما تلذذ بحطام الدنيا اما المؤمنون المطيعون المتقون الذين يقنعون من الدنيا ومن أمتعتها بسد جوعة ولبس خرقة وكن ضرورة فيمرون عنها ويردون عليها وهي حينئذ خامدة منطفية وانما يردون ويوردون عليها عبرة لهم منها واعتبارا وشكرا لنعمة النجاة عنها واما المؤمنون العاصون التائبون فيذوقون من عذابها مقدار تلذذهم بالمعاصي ثم يخرجون بمقتضى عدله سبحانه واما اصحاب الكبائر من المؤمنين المصرين عليها الخارجين من الدنيا وهم عليها بلا توبة وكذا. عموم الكفرة والمشركين فهم هم الواردون المقصورون على الورود فيها الا ان المؤمنين تلحقهم الشفاعة واما الكفرة فهم الخالدون المخلدون لا نجاة لهم منها أصلا وبالجملة لا تترددوا ايها السامعون ولا تشكوا فيما ذكر من الورود المذكور إذ قد كان هذا من جملة الاحكام المحكمة المبرمة الإلهية التي قد وجبت على ربك يا أكمل الرسل بإيجابه على نفسه وجوبا حتما مقضيا محققا بلا." (١)

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية النخجواني ١/٥٠٤

"ذقته، وقال: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ (مريم، ٧١)
وقد وردتها وقال: ﴿وما هم منها بمخرجين﴾ (الحجر، ٤٨)
فلست أخرج فأوحى الله تعالى إلى ملك الموت بإذني دخل الجنة وبإذني لا يخرج فهو حي هناك، وقال آخرون: بل رفع إلى السماء وقبض روحه.
وقال كعب الأحبار: إن إدريس سار ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس فقال يا رب إني مشيت يوما فكيف بمشي من يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرفه فقال: يا رب خففت عني حر الشمس فما الذي قضيت فيه؟ فقال تعالى: إن عبدي إدريس سألني أن أخفف عنك حملها وحرها فأجبته قال يا رب اجعل بيني وبينه خلة، فأذن له حتى أتى إدريس فكان إدريس يسأله فكان مما سأله أن قال له: إني أخبرت أنك أكرم الملائكة وأمكنهم عند ملك الموت فاشفع لي ليؤخر أجلي فازداد شكرا وعبادة، فقال الملك: لا يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها وأنا مكلمه فرفعه إلى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم أتى ملك الموت فقال لي حاجة إليك لي صديق من بني آدم تشفع بي إليك لتؤخر أجله فقال ليس ذلك إلي ولكن إن أحببت أعلمته أجله فيقدم لنفسه قال نعم فنظر في ديوانه فقال: إنك كلمتني في إنسان ما أراه يموت أبدا، قال: وكيف ذلك؟ قال: لا أجده يموت إلا عند مطلع الشمس، قال: إني أتيتك وتركته هناك، قال: فانطلق فلا أراك تجده إلا وقد مات فو الله ما بقي من أجل إدريس شيء فرجع الملك فوجده ميتا. ولما انقضى كشف هذه الأخبار العلية المقدار الجليلة الأسرار شرع سبحانه وتعالى ينسب أهلها بأشرف نسبهم ويذكر المنن بينهم، فقال عز من قائل:
﴿أولئك﴾ أي: العالو الرتبة الشرفاء النسب المذكورون في هذه السورة من لدن زكريا إلى إدريس وهو مبتدأ وقوله ﴿الذين أنعم الله عليهم﴾ بما خصهم به من مزيد القرب إليه وعظيم المنزلة لديه صفة له وقوله تعالى ﴿من النبيين﴾ أي: المصطفين بالنبوة الذين أنبأهم الله تعالى بدقائق الحكم ورفع محالهم بين الأمم بيان لهم وهو في معنى الصفة وما بعده إلى جملة الشرط صفة للنبيين فقوله: ﴿من ذرية آدم﴾ أي: إدريس لقربه منه لأنه جد أبي نوح ﴿وممن حملنا مع نوح﴾ في السفينة أي: إبراهيم ابن ابنه سام ﴿ومن ذرية إبراهيم﴾ أي: إسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴿و﴾ من ذرية ﴿إسرائيل﴾ وهو يعقوب أي: موسى وهارون وزكريا ويحيى وكذا عيسى لأن مريم من ذريته ﴿وممن هدينا﴾ إلى أقوم الطرق ﴿واجتبينا﴾ للنبوة والكرامة أي: من جملتهم. وخبر أولئك ﴿إذا تتلى عليهم﴾ من أي: تال كان ﴿آيات الرحمن خروا سجدا﴾ للمنعم عليهم تقربا إليه لما لهم من البصائر النيرة في ذكر نعمه عليهم وإحسانه إليهم ﴿وبكيا﴾ خوفا منه وشوقا إليه فكونوا مثلهم
تنبيه: سجدا حال مقدرة قال الزجاج لأنهم وقت الخرور ليسوا سجدا وهو جمع ساجد وبكيا جمع باك وليس بقياس بل قياس جمعه على فعلة كقاض وقضاة ولم يسمع فيه هذا الأصل وأصل بكيا بكويا قلبت الواو ياء والضمة كسرة، واختلف في هذا السجود فقال بعضهم: إنه الصلاة وقال بعضهم: سجود التلاوة على حسب ما تعبدوا به. قال الرازي: ثم يحتمل أن يكون المراد سجود القرآن ويحتمل أنهم عند الخوف كانوا قد تعبدوا بسجود فيفعلون ذلك لأجل ذكر السجود في الآية

انتهى.

وروى ابن." (١)

"من النار وفي رواية الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء وقوله من فيح جهنم أي: وهجها وحرها وقال ابن مسعود وإن منكم إلا واردها يعني القيامة والكناية راجعة إليها قال البغوي والأول أصح وعليه أهل السنة وروي أنه يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير وفي رواية من إيمان وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول وجدتها ملأى فيقول الله: له اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشر أمثالها فيقول له أتسخر بي وأنت الملك فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه» فكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة قوله حتى بدت نواجذه أي: أنيابه وأضراسه وقيل: هي أعلى الأسنان.

وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا حمما ثم تدركهم الرحمة قال فيخرجون فيطرحون على باب الجنة قال فيرش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون كما ينبت الغثاء في حمالة السيل الحمم الفحم والغثاء كل ما جاء به السيل» وقرأ الكسائي ننجي بسكون النون الثانية وتخفيف الجيم والباقون بفتح النون الثانية وتشديد الجيم ولما أقام تعالى الحجة على مشركي قريش المنكرين للبعث قال تعالى عطفا على قوله ويقول الإنسان: ﴿وإذا تتلى عليهم﴾ أي: الناس من المؤمنين والكفار من أي تال كان ﴿آياتنا﴾ أي: القرآن حال كونها ﴿بينات﴾ أي: واضحات وقيل مرتبات الألفاظ ملخصات المعاني وقيل: ظاهرات الإعجاز ﴿قال الذين كفروا﴾ بآيات ربهم البينة جهلا منهم ونظرا إلى ظاهر الحياة الدنيا الذي هو مبلغهم من العلم ﴿للذين آمنوا﴾ أي: لأجلهم أو مواجهة لهم إعراضا عن الاستدلال بالآيات بالإقبال على هذه الشبهة الواهية وهي المفاخرة بالمكاثرة في الدنيا من قولهم ﴿أي الفريقين﴾ نحن بما لنا من الاتساع أم أنتم بما لكم من خشونة العيش ورثاثة الحال ولو كنتم أنتم على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم في الدنيا أحسن من حالنا لأن الحكيم لا يليق به أن يوقع أولياءه المخلصين في الذل وأعداءه المعرضين عن خدمته في العز والراحة وإنما كان الأمر بالعكس فإن الكفار كانوا في النعمة والراحة والاستعلاء والمؤمنين كانوا في ذلك الوقت في الخوف والقلة هذا حاصل شبهتهم والقائل ذلك هو النضر بن الحارث وذووه من قريش للذين آمنوا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويلبسون خير ثيابهم فقالوا للمؤمنين أي الفريقين ﴿خير مقاما﴾ أي: موضع قيام أو إقامة على قراءة ابن كثير بضم الميم والباقون بفتحها ففي كلتا القراءتين يحتمل أن يكون اسم مصدر أو اسم مكان إما من قام ثلاثيا أو من أقام

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٤٣٤/٢

تنبيه: قالوا زيد خير من عمرو وشر من بكر ولم يقولوا أخير منه ولا أشر منه لأن هاتين اللفظتين كثر استعمالهما فحذفت همزتاهما ولم يثبتا إلا في فعل التعجب فقالوا." (١)

"﴿وإن منكم﴾ التفات لإظهار مزيد الاعتناء بمضمون الكلام وقيل هو خطاب للناس من غير التفات إلى المذكور ويؤيد الأول أنه قرئ وإن منهم أي ما منكم أيها الإنسان ﴿إلا واردها﴾ أي واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتهار بغيرهم وعن جابر أنه صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة وأما قوله تعالى ﴿أولئك عنها مبعدون﴾ فالمراد به الإبعاد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط الممدود عليها ﴿كان﴾ أي ورودهم إياها ﴿على ربك حتما مقضيا﴾ أي أمرا محتوما أوجبه الله عز وجل على ذاته وقضى أنه لا بد من وقوعه البتة وقيل أقسم عليه." (٢)

"خلاف الظاهر، والتنكير كما يحتمل التعظيم والتحقير يحتمل التكثير، ورجح التعظيم بأنه أدخل في التوبيخ لأنهم مع ما معهم من الحظ الوافر يفعلون خلافه، وفيه نظر لا! المعنى يحتمل إن ما معهم شيء قليل بالنسبة إلى غيره وهم يتركون الخير الكثير، ولما كان المتبادر من كتاب الله القرآن أيد الوجه الأخر بما رواه ابن إسحق وغيره من سبب النزول، والمدراس صاحب الدراسة ومعلمها، ويطلق على الموضحع الذي يقرأ اليهود فيه التوراة وهو المراد هنا، وقصة الرجم والتسخيم ستأتي.
قوله: (وقرئ ليحكم على البناء للمفعول الخ) في الكشاف والوجه أن يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من أسلم من أحبارهم، وبين من لم يسلم يعني لا بينهم وبين الرسول في إبراهيم صلى الله عليه وسلم بدليل، قوله: ليحكم بينهم فالداعي ليس هو

الرسول صلى الله عليه وسلم بل بعضهم لبعض فمن قال: إنه رد على الزمخشري رحمه الله لم يصب وكذا من قال: فيه بحث فإنه يجوز أن يكون ضمير بينهم لليهود والرسول صلى الله عليه وسلم كما في القراءة المشهورة بلا فرق وقيل إن قوله: والوجه ليس مخصوصا بهذه القراءة بل هو الراجح مطلقا، والمصنف رحمه الله فهم منه خلاف مراده وفيه نظر. قوله: (وفيه دليل الخ) لأنهم لما اذعوا أن دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام اليهودية وأراد إثباته بما في التوراة، وهو دليل سمعي دل على ذلك، وفيه بحث لأنه ليس بمتعين لذلك لاحتمال أن يكون الحكم مما هو في الفروع كالرجم وهو المتبادر من الحكم وأما احتمال أنه أراد إثبات معجزة له صلى الله عليه وسلم باطلاعه على ما في التوراة مع أنه أمي لا إثبات دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام فبعيد مع إن المستدل عليه حال إبراهيم صلى الله عليه وسلم أنه يهودي أم مسلم، وليس من الأصول إلا أن يراد به غير العملي فتأمل. قوله: (استبعاد الخ) يعني أن التراخي رتبي لا حقيقي، وقوله: وهم قوم عادتهم الإعراض كذا فسره الزمخشرقي فقيل إنه إشارة إلى أن الجملة معترضة على رأيه أو تذييل على رأي الأكثر وأياما كان فهي مؤكدة لما سبق لا حال كما ذكره المصنف رحمه الله شعم إنما تكون حالا إذا لم تفسر بأنهم قوم عادتهم الإعراض انتهى، والمصنف رحمه الله جنح إلى أن التفسير بما ذكر لا يمنع الحالية وكذا الوصفية بأن يعطف على منهم بناء على قلة الفائدة بعد وصفهم بالتولي

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٤٤١/٢
(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢٧٦/٥

لأنه إنما فسر بذلك لتحصل الفائدة إذ الأول يقتضي الحدوث الذي يكون في معرض! الزوال فأردفه بما يدل على أنه ثابت لهم كالطبيعي فيهم، والحال لا يلزم أن تكون منتقلة فلا يرد عليه ما توهموه واردا. وقوله: (بسبب تسهيلهم الخ (لا جهلهم بحقيقته، والطمع الفارغ استعارة لما لا يجدي كما مر وقوله: (ألا تحلة القسيم) أي إلا قليلاً وسيأتي تحقيقه في قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [سورة مريم، الآية: ٧١] . قوله: (فكيف إذا جمعناهم الخ) أي كيف يكون حالهم في ذلك الوقت فالفعل محذوف، وهو كثير في كلامهم لأن كيف سؤال عن الحال وهذا الاستفهام للاستعظام والتهويل، وأن حالهم كذا وما حدثوه به أنفسهم كذا. قوله: (جزإء ما كسبت الخ)

يعني أن في الكلام مضافا مقدرا وحبوط العبادة سقوطها بالمعاصي، والمسألة مفصلة في شرح المقاصد، وقوله: (وأن المؤمن لا يخلد الخ) رذ على المعتزلة، وهم يؤولون التوفية بتخفيف العذاب ولا وجه له ، قوله: (الضمير لكل نفس الخ) يعني أن النفس مفردة مؤنثة وقد أرجع إليها ضمير الجمع المذكر لأنها في معنى كل إنسان وكل يجوز مراعاة معناه فيجمع ضميره فلا يقال الصواب كل الناس كما في الكشاف: ولا حاجة إلى الاعتذار بأن المراد توجيه التذكير وتوجيه الجمع يعلم منه. قوله: (الميم عوض عن يا الخ) وشذد لأنه عوض عن حرفين وأما جمعها مع يا في قوله:

أقول يا اللهم يا اللهما

فشاذ.

والقول بأن أصله يا الله آمنا قول الكوفيين ولا يخفى ما فيه، ويقتضي أن لا يليه أمر دعائي آخر إلا بتكلف. قوله: (يتصرف فيما يمكن التصرف فيه) في الكشف إنه تعزيف للملك لأن الملك من له الملك كما أن المالك من له المال، ولو قيل مللث المللث لم يصح إلا على ضرب من التجوز، وكون اللهم لا يوصف مذهب سيبويه رحمه الله لأنه لاتصال الميم به أشبه أسماء الأصوات وهي لا توصف وخالف غيره ونقض دليله بسيبويه وعمرويه فإنه مع كونه فيه اسم صوت يوصف، وأجيب بأن اسم الصوت مركب معه، وصار كبعض حروف الكلمة بخلاف ما نحن." (١)

"المراد به إلى آخرها، ويحتمل أن يكون المراد من قرأ أواخرها لأنه ورد في حديث آخر من قرأ في ليلته من كان ب! جو لقاء ربه الآية كان له نور من عدن أبين إلى مكة، والحديث المذكور قال العراقي رحمه الله: له سند إلا أنه ضعيف ومثله لا يضر في فضائل الأعمال) تمت السورة) اللهم ببركة كلامك العظيم نور بصائرنا وأبصارنا بنور الهداية والتوفيق لما يرضيك، وصل وسلم على أشرف مخلوقاتك سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما دائمين إلى يوم القيامة يا أرحم الراحمين.

سورة مريم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: (إلا آية السجدة) والا آية وان منكم إلا واردها كما في الإتقان، وقوله: أمال أبو عمرو الهاء أي لفظ ها ولفظ يا، وقوله: لأن ألفات أسماء التهجمي يا آت الخ، أي منقلبة عن الياء والألف تمال لأسباب منها كونها منقلبة عن ياء فتمال تقريبا لها من أصلها، وقدم وجه الإمالة المذكورة لتعينه في لفظ ها بخلاف يا فإن إمالته تحتمل أن تكون لأجل مناسبة الياء

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ١٤/٣

المجاورة لها، كما يمال سيال وإن لم تكن ألفه منقلبة وكأنه إيماء إلى أنه أصلها للتصريح بها في كثير منها كميم وجيم وعين وغين وهذا أمر تقديرفي لأنها لا اشتقاق لها لكن هذا مخالف لما ذهب إليه ابن جني في المحتسب وقال: إنه مذهب الخليل والجمهور وهو: أن الإمالة وضدها ويسمى تفخيما وضما أيضا وهو من اصطلاحا تهم هنا وقد عبر به الزمخشري هنا تبعا لهم على عادته هما ضربان من التصرف، وهذه كالجوامد لا يعرف لها اشتقاق على الصحيح لكنها لما جعلت أسماء متمكنة قويت على التصرف فحملت الإمالة والتفخيم فمن فخمها على الأصل ومن أمالها قصد بيان أنها تمكنت وقصدت بالتصرف، وإلا فألفها وإن كانت مجهولة لعدم اشتقاقها لكنها تقدر منقلبة عن واو لأنه الأكثر، قال: وهذا قول جامع فأعرفه وأغن به، ثم إن قراءة أبي عمرو وجهت بعد صحتها نقلا عن النبي صلى الله عليه وسلم بأنه خص ها لئلا تلتبس بها التي للتنبيه في مثل هؤلاء، ولم يمل يا لأن الكسرة مستثقلة على الياء فكذا ما يعرب منها، واعترض! بأنه مع كونه لا يصلح وجها للتخصيص منتقض بإمالتهم نحو السيال، وليس بشيء لأن التخصيص إضافي ورب شيء يخف وحده ويثقلى إذا ضم إليه مثله، وهو ظاهر مع أن اطراد مثله ليس بلازم. قوله: (وابن عامر وحمزة الياء (تنبيها على ما مر أو لمجاورة الألف للياء أو للفرق بينها وبين ما في النداء ولم يلتفت إليه أبو عمرو للفرار من جمع إمالتين، ولأن حرف النداء لا احتمال له هنا لدخوله على ما يبعد نداؤه، فتأمل. قوله: (خبر ما قبله (من قوله: كهيعص إن جعل اسما للسورة أو القرآن كما مر، وقوله: فإنه أي ما قبله أو كل واحد مما ذكر من السورة أو القرآن، وقوله: مشتمل عليه أي على الذكر فيسند إليه تجوزا أو بتقدير مضاف

أي ذو ذكر رحمة أو بتأويل مذكور فيه رحمة ربك لا بتأويل ذاكر كما قيل، فإنه مجاز أيضا وكذا إذا كان مبتدأ. قوله: (وقرئ ذكر وحمة على الماضي (هذه تحتمل قراءة الحسن ذكر فعلا ماضيا مشددا ورحمة بالنصب على أنها مفعول ثان مقدم على الأول، وهو عبده والفاعل إفا ضمير القرآن، أو ضمير الله لعلمه من السياق ويجوز أن يكون رحمة ربك مفعولا أول على المجاز أي جعل الرحمة ذاكرة له وقيل: أصله برحمة فانتصب على نزع الخافض هذا ما في الكشف، وقرأ الكلبي: ذكر ماضيا مخففا ونصب رحمة ورفع عبده على الفاعلية وكلام المصنف يحتمله. قوله: (وذكر على الأمر) والتشديد وهما مفعولان كما مر ولا يلزم ارتباطه بما قبله لجواز كونه حروفا على نمط التعديد كما مر فلا محل لها من الإعراب، ولا يلزم في وجوه القرا آت اتحاد معناها وإنما اللازم عدم تخالفها فإن كان اسما للسورة أو القرآن يقدر له مبتدأ أو خبر وتكون هذه جملة مستأنفة وفاعل ذكر هو النبي صلى الله عليه وسلم ورحمة الظاهر أنه منصوب على نزع الخافض وعبده مفعوله أي ذكر الناس برحمة ربك لعبده زكريا." (١)

"فإن صيغة النذر قد يراد بها اليمين كما صرحوا به، أو المراد بهذه الجملة القسم كقولهم: عزمت عليك إلا فعلت كذا، وورد في الحديث لا يموت لأحدكم ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم فقال أبو عبيد وتبعه جماعة من المفسرين: إن المراد بالقسم في الحديث قوله: (وإن منكم إلا واردها، الآية واعترضه الأزهري في التهذيب بأنه لا قسم فيها فكيف يكون له تحلة، وقيل: إن أصل معناه ولكن لما كان ما يتحلل به يكون أمرا قليلا إن أريد به إيقاع شيء من المحلوف

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ١٤١/٦

عليه كتر قسمه أو ذكر ما يمنعه من الحنث وهو قوله: إن شاء
الله فعبر به عن القلة، كقول كعب:
وقعهق الأرض تحليل
قال ابن هشام في شرح بانت سعاد اللهم إلا أن يقال إن قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [سورة مريم، الآية: ١٧١] معطوف على ما أجيب به القسم في قوله: فوربك لنحشرنهم الخ وهذا مراد من قال: إن الواو للقسم وفيه بعد وقال السبكيئ: هذا عجيب فإن القسم مقدر في قوله: دمان منكم، ويدل عليه شيآن أحدهما قوله: كان على ربك حتما مقضيا قال الحسن وقتادة قسما واجبا، وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه، والثاني أن النبي صلى الله عليه وسلم فهم منه القسم كما مر في الحديث، ولك أن تقول إنه لا تقدير فيه والمعنى ما قررناه كما مر، أو يقال: الجملة معطوفة على جواب القسم أو حال، وحديث البعد غير مسموع لعدم تخلل الفاصل. قوله: (وهو دليل على أن المراد بالورود الجثو الخ (وجه الدلالة أنه لما ذكر أن الجميع واردون لها ثم قسمهم إلى ناج هالى متروك على حالة في الجثي علم أن مقابله جاث لكنه غير متروك على جثيه فجاء ما ذكر، وهو ظاهر والدليل هو قوله: ونذر الظالمين الخ، وقد بين أيضا بأن المؤمنين يفارقون الكفرة إلى الجنة بعد نجاتهم وتبقى الكفرة في مكانهم جاثين، والتركيب يدل على إنجاء المتقين من الورطة التي يبقى الظالمون فيها للتقابل بينهما فدل على أن تلك الورطة هي الجثؤ حولها وأنهما يشتركان فيها وقد كانا اشتركا في الورود فدل هذا على أن المراد بالورود هو الجثيئ وهذا إنما يتأتى بتقدير مضاف في قوله: فيها أي في حواليها بقرينة الجثؤ كما أشار إليه المصنف رحمه الله فمن قال: إنه لا يجري في كلام المصنف رحمه الله لم يصب لكنه قيل عليه إن الجثو إنما يصلح قرينة إن ثبت أنه لا جثؤ في النار وهو غير مسلم وأيد بأن الظالمين لا يتركون حولها بل يدخلون النار، ورد بأق الجثو حول جهنم علم من الآية السابقة فرد هذا إليها والتفصيل بالمعلوم أولى، وليس المراد بالدلالة الدلالة القطعية حتى يخل بها الاحتمال، وقوله: لا يتركون الخ لا دليل فيه، ولا يخفى أن ما اذعاه من الأولوية الظاهر خلافه لأن جثيا نكرة أعيدت فالظاهر أنها غير الأولى لا سيما وقد وقعت فاصلة، وهي كالقافية لا يحسن تكرارها مع ما فيها من التقدير المخالف للظاهر فتأمل. قوله: (أو ببيان الرسول الخ (أو هنا لمنع الجمع لأن ما هو بين اللفظ والمعنى بنفسه لا يكون مبنيا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم، كالمجمل ونحوه لا سيما ومبينة على الأول بمعنى متبينة بصيغة اسم الفاعل وهذا بمعنى مبينة بصيغة اسم المفعولى فلا حاجة إلى القول بأنها لمنع الخلو حتى يقال: إن فيه تغليبا إذا أريد بالآيات جميعها ليخرج المتشابهات، وقوله: واضحات الإعجاز فهو من بأن بمعنى ظهر،
كالأول فلو قدمه كان أظهر وعلى هذا فالإسناد لها مجاز أو بتقدير مضات، وقوله: لأجلهم فاللام للتعليل وقوله أو معهم فاللام صلة القول كقلت له كذا إذا خاطبته به وما وقع في بعض النسخ منهم تحريف. قوله: (موضع قيام أو مكانا) كان الظاهر أي مكانا لأن أصل معناه الأول ثم استعمل لمطلق المكان كما في الكشاف وما قيل إن أو للتخيير في التعبير والتفسير لا يجدي لأنهما ليسا مترادفين فالظاهر أنه أراد أن المقام محل القيام فإن كان القيام بمعنى المعاش كما ذكره الراغب في قوله: قياما للناس فهو على ظاهره، وإن كان مقابل القعود فهو خاص أريد به عام ففيه زيادة على ما في الكشاف وهو على الأول بمعنى المنزل فتتوافق القراءتان ولا يتكرز مع قوله نديا، ولذا قدمه والندي كالنادي مجتمع لندوة القوم ومحادثتهم،

ومنزل إن كان بضم الميم بمعنى النزول فهو عطف على إقامة وإن كان بفتحها فهو عطف على موضع وكان الظاهر نصبه حينئذ. قوله: (والمعنى الخ (ناظر إلى ما مر." (١)

"مقدما والعامل فرعي غفلة. وقوله: والدلالة عطفه

بالواو والظاهر أو لأن التعليل لا ينافي الاختصاص وليس الاختصاص من التقديم وان صح كما توهم.

قوله: (لآن المؤاخذة المعذب) المعذب تفسير للمؤاخذ من قولهم آخذه مؤاخذة وأخذ.

الله إذا أهلكه وأخذه بذنبه عاقبه عليه وجعل الورود بمعنى دخول النار لأنه يطلق عليه كما ذكره أهل اللغة. وقوله: حصب جهنم يعينه فلا يرد عليه ما قيل إن ورود النار لا يلزمه العذاب كما يدل عليه قوله ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ وقد مر ما في هذه الآية. وقوله لإخلاص الخ فسره به لأن الأصنام لا توصف بالخلود المعروف ولذا قيل إنه يجوز أن يخلق الله للأصنام إحساسا بالعذاب وزفيرا. وقوله: المؤاخذ المعذب يلائمه إلا أن يراد بالعذاب صورته فيكون المراد أن دخولهم جهنم ينافي الألوهية وان لم يكن ثمة تعذيب فلا يرد عليه شيء. قوله: (أنين وتنفس شديد) أصل معنى الزفر كما قاله الراغب ترديد النفس حتى تنتفخ منه الضلوع، والبعض هم العابدون والكل هم وما عبدوه وقوله: للتغليب إن أريد بما تعبدون الأصنام وكذا إن أريد الأعم لكنه خصه لأن التغليب فائدته شمول ما لا يعقل وهم خارجون من العموم أو المراد الحامل لهم على عبادة العقلاء فلا لبس فيه وما قيل عليه من أنه لا تغليب فيه بل هو التفات والضمير يرجع إلى المخاطبين في أنكم خاصة رد بأنه يوجب تنافر النظم ألا ترى قوله أنتم لها واردون، كيف جمع بينهم تغليبا للمخاطبين، فلو خص لهم فيها زفير لزم التفكيك، وقيل إن فيه تجوزا من جهة نسبة فعل البعض إلى الكل وتغليبا من جهة إطلاق هم على العقلاء وغيرهم ولا تأثير للتغليب، في الأول ورد بأنهم قرروا أن في قوله أو لتعودن في ملتنا تغليبين تغليب الأكثر على الأقل إذ نسب إلى الجميع ما هو منسوب للأكثر وتغليب الخطاب على الغيبة وهذا كذلك إذ غلب الأكثر وهم ألاتباع على الأقل وهم الأصنام في نسبة الزور إلى الجميع وغلب العقلاء على غيرهم والتجوز لا ينافي التغليب بل التغليب كله مجاز وفيه بحث لأنه يعني أن نسبة فعل البعض إلى الكل. كقولهم: بنو فلان قتلوا قتيلا ليس من التغليب في شيء وكون التغليب يكون بالتجوز في الطرف والنسبة لا يجدي فتدبر. قوله: (من الهول وشدة العذاب (أو لصراخهم قيل وهو أنسب بما قبله وأما حمله على الصحمم حقيقة فبعيد وان جوزه بعضهم. وقوله: الخصلة الحسنى أي أو المنزلة وهو توجيه لتأنيثه. وقوله: بالطاعة أي بسبب الطاعة وكان الظاهر للطاعة وقوله: أو البشرى بالجنة فيكون المراد بالذين الخ العشرة المبشرة بالجنة كما سيأتي عن علي

رضي الله عنه. قوله: (لآنهم يرفعون إلى أعلى عليين) فسره في سورة مريم بأن المراد به مبعدون عن عذابها وهو لا ينافي ما ذكره هنا لأن المراد بعليين الجنة على أحد التفاسير فيه وهو المراد ولإخفاء في أن البعد عن النار بحيث لا يسمع حسيسها يدل على دخول الجنة فما قيل إنه أشار في الموضعين إلى وجهين تعسف لا حاجة إليه. وكذا ما قيل إن الرفع إلى أعلى عليين مما لا دليل عليه. قوله: (روي ان عليا رضي الله عنه وكرم الله وجهه الخ) قال ابن حجر رحمه الله رواه ابن أبي حاتم وابن عدي وابن مردويه عن ليث بن أبي سليم عن النعمان بن بشير وكان من سمار علي وقوله: كرم الله وجهه جملة دعائية

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ١٧٥/٦

تختص بعلي على الألسنة وقد قيل في وجه التخصيص إنه لإسلامه صغيرا بحيث لم يسجد لغير الله أو لم يخل عن السجود لله. قوله: (بدل من مبعدون) قيل الظاهر أنها جملة مؤكدة. وقوله: سيق للمبالغة لأنه يدل علي شدة البعد وقد قيل إن الأبعاد يكون بعد القرب فيفهم منه أنهم وردوها أولا ولما كان مظنة التأذي بها دفع بقوله لا يسمعون الخ. وقوله: في غاية التنعم يفهم من قوله فيما اشتهت أنفسهم كما لا يخفى ولا منافاة بين هذا وبين قوله في تفسير قوله: مبعدون لأنهم يرفعون إلى أعلى عليين كما توهم والظرف فيما اشتهت الخ وتقديمه للاختصاص لا ينافي الاهتمام ورعاية الفاصلة. قوله: (النفخة الأخيرة) كذا في الكشاف وفي الكشف إنه لم يرد به النفخة الثانية وإنما أراد الأولى لأن الآية المستشهد بها مصرحة بذلك والوصف بالأخيرة لأنها آخر ما يقع في هذه الدار ولا يخفى بعده. وقد أورد عليه أن تمام الآية وهو قوله وتتلقاهم الملائكة الخ يدل على أن الفزع." (١)

"أنها تدل على التمني حقيقة أو مجازا وحينئذ لا يكون لها جواب ملفوظ، ولا مقدر وقد خالف في ذلك ابن مالك وأبو حيان وقالا لا بد لها من الجواب استدلالا بقول مهلهل في حرب البسوس:

فلو نبش المقابر عن كليب فيخبر بالذنائب أقي زير

بيوم الشعثمين لقر عينا وكيف لقاءم ن تحت القبور

فإن لو فيه للتمني بدليل نصب فيخبر وله جواب وهو قوله لقر ورد بأنها شرطية ونصبه

عطفا له كلى المصدر المتصيد من نبش، وتقديره لو حصل نبش فإخبار وهو تكلف، ولو قيل إنها لتقدير التمني معها كثيرا أعطيت حكمه فاستغنى عن تقدير الجواب فيها إذا لم يذكر كما في الوصلية، ونصمب جوابها كان أسهل مما ذكر. قوله: (والمضي فيها) أي في لو لأنها حرف امتناع لامتناع فيما مضى وفي إذ وضعا لأن إخباره تعالى عما تحقق في علمه الأزلي لتحققه بمنزلة الماضي فيستعمل فيه ما يدل عليه مجازا كلو واذ قيل ولا يبعد حمل ترى أيضا على المضي الفرضي أي لو رأيت إذ وقفوا على النار في الدنيا، وهو كلام حسن سقط به اعتراض! ابن هشام رحمه الله بانه لا معنى له إذا لو أول ترى برأيت وهو مستقبل لزم كون رأيت بمعنى ترى وفي بعض شروج الكشاف فان قلت هذا في قوله ناكسو صحيح لأنه نزل فيه النكس المستقبل منزلة الواقع فيما مضى فأدخل فيه إذ أما في ترى فلا لأنه في حيز لو الامتناعية المقتضية عدم وقوع الرؤية فكيف ينزل منزلة الواقع قلت المراد من المترقب النكس لا الرؤية لكن لما جعل النكس، واقعا فيما مضى صارت الرؤية المتعلقة به بمنزلة الماضي بتبعيته مع امتناعها ورده معلوم مما قررناه أيضا فتأمل. قوله: (ولا يقدر الخ التنزيله منزلة اللازم، وما دل عليه صلة إذ أي ما أضيفت إليه لأنه بمنزلة الصلة المتممة لها للزومها الإضافة وهو المجرمون

أو وقوفهم على النار، وقوله أو لكل أحد أي ممن يصح منه الرؤية لأن الضمير قد يراد به غير معين كما تقرر في المعاني. قوله تعالى: (﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾) قيل إنه جواب لقولهم فاوجعنا بأنهم لو أرجعوا لعادوا لما نهوا عنه لأنا لم نقدر هدايتهم، وقوله ما يهتدي به الخ لو فسر بنفس الإيمان والعمل الصالح صح لكن هذا أتم وأولى وأنسب بمعنى الهداية، وقوله بالتوفيق متعلق بقوله آتينا. قوله: (ثبت) تفسير لحق لأنه بمعنى ثبت وتحقق، وقوله قضائي تفسير للقول لأنه

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٢٧٥/٦

إذا أضيف إلى الله يراد به حكمه وقضاؤه كما ذكره الراغب في قوله: ﴿لقد حق القول على أكثرهم﴾ [سورة يس، الآية: ٧] ومثله: ﴿وتمت كلمة ربك﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١١٥] وقوله: ﴿سبق وعيدي﴾ تفسير آخر له فالقول على ظاهره، وقوله لأملأن الخ هو المقول على هذا ولذا قال وهو الخ. قوله تعالى: (﴿من الجنة والناس﴾) قدم الجنة لأن المقام تحقير ولأن الجهنميين منهم أكثر فيما قيل ولا يلزم من قوله أجمعين دخول جميع الإنس، والجن فيها وأما قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [سورة مريم، الآية: ٧١، فالورود غير الدخول كما مر تحقيقه في هود لأنها تفيد عموم الأنواع لا الإفراد فالمعنى لأملأنها من ذينك النوعين جميعا كملأت الكيس من الدراهم والدنانير جميعا، كما ذكره بعض المحققين ورد بأنه لو قصد ما ذكر كان المناسب التثنية دون الجمع بأن يقال كأيهما فالظاهر أنها لعموم الإفراد والتعريف فيها للعهد، والمراد عصاتهما ويؤيده قوله تعالى في آية أخرى خطابا لإبليس لعنه الله: ﴿لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾ [سورة ص، الآية: ٨٥] فتدبر. قوله: (وذلك تصريح الخ) ذلك إشارة إلى النص، وقوله لأملأن الخ وقد وقع في نسخة هذا النص صريح وهو رد على الزمخشري حيث أيد مذهبه من أنه تعالى لا يشاء القبيح كالضلال بل الهداية، وحمل المشيئة المذكورة على القسرية وقال إن تعقيب فذوقوا الخ بنسبة النسيان إليهم وجعله سببا للإذاقة دال على أن المشيئة المطلقة مقيدة هنا بقيد الإلجاء والقسر، وأن العلم الأزلي مانع لاختيارهم قال الطيبي رحمه الله وهو عدول عن جادة الصواب حيث أوقع حق القول المعبر به عن العلم الأزلي المستتبع للكائنات سببا عن استحبابهم العمي وجعل استحبابه مسببا عن اختيارهم المعدوم، والحق قول الإمام إن لو شئنا لآتينا الخ جواب لقولهم فارجعنا أي هذا الذي جرى علينا بسبب ترك العمل أما الإيمان فنحن موقنون به فأرجعنا لتتلافى العمل فأجيبوا بأنا لو أردنا الإيمان فنحن موقنون به فأرجعنا لتتلافى العمل فأجيبوا بأنا لو أردنا الإيمان هديناكم فلما لم نهدكم تبين أنا لم نرد إيمانكم فلا نردكم فذوقوا العذاب." (١)

"الحقيقة ومراعاة الحقوق على الوجه اللائق ولا يتيسر ذلك الا بالتوسل الى جناب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فان غيب الحقائق والأحوال لا ينكشف بلا واسطة الرسول واليه الاشارة بقوله تعالى وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن إلخ وكيف يترقى الى حقيقة التقوى وعالم الإطلاق من تقيد برأيه واختياره قال الله تعالى وابتغوا إليه الوسيلة فلا بد من متابعة النبي عليه السلام

حقا كه بي متابعت سيد رسل ... هركز كسى بمنزل مقصود ره نيافت

از هيچ او بهيچ درى ره نمى دهند ... انرا كه ز آستانه او روى دل بتافت

فالايمان بالله وبرسوله هو التصديق القلبي والارادة والتمسك بالشريعة والنجاة فيه لا فى غيره- روى- ان المؤمن إذا ورد النار بمقتضى قوله تعالى وإن **منكم إلا واردها يصير** الله ثواب التوحيد سفينة والقرآن حبلها والصلاة شراعها ويكون المصطفى عليه السلام ملاحها والمؤمنون يجلسون عليها ويكبرون الله وتجرى السفينة على بحر نار جهنم بريح طيبة فيعبرون عنها سالمين. فيا أخي لا تضيع أيامك فان أيامك رأس مالك وانك ما دمت قابضا على رأس مالك فانك قادر على طلب الربح فاجتهد فى تحصيله بالتوغل فى الطاعات والعبادات واحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة عليه قبل

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٧/١٥٠

الموت والفوت فان الموتى يتمنون ان يؤذن لهم بان يصلوا ركعتين او يقولوا مرة لا اله الا الله او يسبحوا مرة فلا يؤذن لهم ويتعجبون من الاحياء كيف يضيعون ايامهم فى الغفلة

گر مرده مسكين زبان داشتى ... بفرياد وزارى فغان داشتى

كه اى زنده هست إمكان كفت ... لب از ذكر چون مرده بر هم مخفت

چوما را بغفلت بشد روزكار ... تو بارى دمى چند فرصت شمار

قال عليه السلام (الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا) فتميز المنافق من المخلص كما يكون فى الدنيا بالأقوال والافعال وغيرهما كذلك يكون فى الآخرة ببياض وجه هذا وسواد وجه ذلك كما قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فعلى العاقل ان يتحمل مشاق الطاعات والتكاليف والامتحانات الالهية لعله يفوز بالمرام ويظفر بالبغية يوم يخيب المعرضون والمنافقون ويخسرون

خوش بودگر محك تجربه آيد بميان ... با سيه روى شود هر كه دروغش باشد

قال بعض الكبار وعند الامتحان يكرم الرجل او يهان عصمنا الله وإياكم من المخالفة ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الموصول فاعل لا يحسبن والمفعول الاول محذوف لدلالة يبخلون عليه اى ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو ضمير فصل لا محل له من الاعراب خيرا لهم من انفاقهم مفعول ثان للفعل المذكور بل هو اى البخل شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة بيان لقوله هو شر لهم اى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق إذ لا طوق ثمة فيكون من قبيل الاستعار التمثيلية شبه لزوم وبال البخل وإثمه بهم بلزوم طوق نحو الحمامة بها فى عدم زوال كل واحد منهما عن صاحبه فعبر عن لزوم الوبال بهم بالتطويق واشتق منه يطوقون كما يقال منة فلا طوق." (١)

"كما لا يخفى- حكى- ان بعض الصالحين كان يتكلم على الناس ويعظهم فمر عليه فى بعض الأيام يهودى وهو يخوفهم ويقرأ قوله تعالى وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا فقال اليهودي ان كان هذا الكلام حقا فنحن وأنتم سواء فقال له الشيخ لا ما نحن سواء بل نحن نرد ونصدر وأنتم تردون ولا تصدرون ننجو نحن منها بالتقوى وتبقون أنتم فيها جثيا بالظلم ثم قرأ الآية الثانية ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فقال اليهودي نحن المتقون فقال له الشيخ كلا بل نحن وتلا قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة الى قوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الأمي فقال اليهودي هات برهانا على صدق هذا فقال له الشيخ البرهان حاضر يراه كل ناظر وهو ان تطرح ثيابى وثيابك فى النار فمن سلمت ثيابه فهو الناجي منها ومن أحرقت ثيابه فهو الباقي فيها فنزعا ثيابهما فاخذ الشيخ ثياب اليهودي ولفها ولف عليها ثيابه ورمى الجميع فى النار ثم دخل النار فاخذ الثياب ثم خرج من الجانب الآخر ثم فتحت الثياب فاذا ثياب الشيخ المسلم سالمة بيضاء قد نطفتها النار وأزالت عنها الوسخ وثياب اليهودي قد صارت حراقة مع انها مستورة وثياب الشيخ المسلم ظاهرة للنار فلما رأى ذلك اسلم والحمد لله فهذه الحكاية مناسبة لما ذكر من الآيات إذ كفار قريش كانوا من اهل الظلم والهوى فلم ينفعهم دعواهم فصاروا الى العذاب والمؤمنون كانوا من اهل العدل

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ١٣٢/٢

والبينة والهدى فانتج تقواهم ووصلوا الى جنات مفتحة لهم الأبواب ومن سلم لباسه من النار سلم وجوده بالطريق الاولى بل الثوب فى الحقيقة هو الوجود الظاهري الذي استتر به الروح الباطني فلا بد من تطهيره المؤدى الى تطهير الباطن يسره الله وعنده اى الله تعالى خاصة مفاتح الغيب اى خزائن غيوبه. جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن والكنز والاضافة من قبيل لجين الماء وهو المناسب للمقام كما فى حواشى سعدى چلبى المفتى ويجوز ان يكون جمع مفتح بكسر الميم وهو المفتاح اى آلة الفتح فالمعنى ما يتوصل به الى الغيب شبه الغيب بالخزائن المستوثق بها بالاقفال واثبت لها مفاتح على سبيل التخييل ولما كان عنده تلك المفاتح كان المتوصل الى ما فى الخزائن من المغيبات هو لا غير كما فى حواشى ابن الشيخ لا يعلمها إلا هو تأكيد لمضمون ما قبله قال فى تفسير الجلالين وهى الخمسة التي فى قوله تعالى إن الله عنده علم الساعة الآية رواه البخاري قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (مفأتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله لا يعلم ما فى الأرحام الا الله ولا يعلم ما فى غد الا الله ولا يعلم متى يأتى المطر الا الله ولا يدرى بأى ارض تموت النفس الا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة الا الله) ويعلم ما في البر والبحر من الموجودات مفصلة على اختلاف أجناسها وأنواعها وتكثير افرادها وهو بيان لتعلق علمه تعالى بالمشاهدات اثر بيان تعلقه بالمغيبات تكملة له وتنبيها عن ان الكل بالنسبة الى علمه المحيط سواء فى الجلاء وما تسقط من زائدة ورقة إلا يعلمها يريد ساقطة وثابتة يعنى يعلم عدد ما يسقط من ورق الشجر وما يبقى عليه وهى مبالغة فى احاطة علمه بالجزئيات ولا حبة عطف على ورقة وهى بالفارسية [دانه] في ظلمات الأرض اى كائنة فى بطونها لا يعلمها قال الكاشفى [مراد تخميست كه." (١)

"على انكار أولا يذكر الإنسان الهمزة للانكار التوبيخي والواو لعطف الجملة المنفية على مقدر يدل عليه يقول. والذكر فى الأصل هو العلم بما قد علم من قبل ثم تخلله سهو وهم ما كانوا عالمين فالمراد به هنا التذكر والتفكر والمعنى أيقول ذلك ولا يتفكر أنا خلقناه من قبل اى من قبل الحالة التي هو فيها وهى حالة بقائه ولم يك أصله لم يكن حذفت النون تخفيفا لكثرة الاستعمال او تشبيها بحروف العلة فى امتداد الصوت وقال الرضى النون مشابه للواو فى الغنة شيئا بل كان عدما صرفا فيعلم ان من قدر على الابتداء من غير مادة قدر على الاعادة بجمع المواد بعد تفريقها وفى هذا دليل على صحة القياس حيث أنكر عليه وجهله فى ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى فيستدل به على البعث والاعادة قيل لو اجتمع الخلق على إيراد حجة فى البعث على هذا الاختصار ما قدروا فو ربك الواو للقسم. والمعنى بالفارسية [پس بحق پروردگار تو كه بوقت قيامت] لنحشرنهم لنجمعن القائلين بالسوق الى المحشر بعد ما اخرجناهم من الأرض احياء والشياطين معهم وهم الذين أغووهم إذ كل كافر سيحشر مع شيطانه فى سلسلة ثم لنحضرنهم حول جهنم حال كونهم جثيا جمع جاث من جثا يجثو ويجثى جثوا وجثيا فيهما جلس على ركبتيه كما فى القاموس اى جالسين على الركب لما يعرضهم من شدة الأمر التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما جثيا جماعات جمع جثوة وهى الجماعة واختاره فى تفسير الجلالين ثم لننزعن لنخرجن قاله البغوي والنزع الجذب من كل شيعة امة وفرقة شاعت اى نبعث غاويا من الغواة أيهم موصول حذف صدر صلته منصوب بننزعن الذين هم او استفهام مبتدأ خبره أشد فرفعه على الحكاية اى

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٤٢/٣

لننزعن الذين يقال لهم أيهم أشد [سختتر وبسيارتر] على الرحمن [بر خداى تعالى] عتيا [از جهت سركشي وجرأت يعنى أول از هر أمتي آنراكه نافرمان تر بوده جدا كنيم] يقال عتا على فلان إذا تجاوز الحد فى الظلم والمقصود انه يميز من كل طائفة منهم الاعصى فالاعصى فاذا اجتمعوا يطرح فى النار على الترتيب قال فى الكبير يحضرهم اولا ثم يخص أشدهم تمردا بعذاب أعظم إذ عذاب الضال المضل يجب ان يكون فوق عذاب من يضل تبعا وليس عذاب من يورد الشبهة كعذاب من يقتدى به غافلا قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون انتهى يقول الفقير فى الآية تهديد عظيم لابى المذكور وانه أول منزوع من مشركى العرب لكونه أشد على الرحمن عتيا من جهة مقالته المذكورة واعلم ان أول الأمر البعث ثم الحشر ثم الإحضار ثم النزع ثم الإدخال فى النار وهو قوله تعالى ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى [سزاوارترند] بها [بآتش دوزخ] صليا دخولا يعنى [ميدانيم كه كيست سزاى انكه او را نخست در آتش افكنند] وهم المنتزعون يقال صلى يصلى كلقى يلقى ومضى يمضى إذا دخل النار وإن منكم اى وما منكم ايها **الناس إلا واردها** **اى** واصل جهنم وداخلها كان اى ورودهم إياها على ربك حتما مصدر حتم الأمر إذا أوجبه فسمى به الموجب كقولهم خلق الله وضرب الأمير اى امرا محتوما أوجبه الله على ذاته." (١)

"الصراط فالمرور فى حكم الورود وفى الحديث (لا يموت لمسلم ثلاث من الولد فيلج النار الا تحلة القسم) وهى قوله تعالى وإن **منكم إلا واردها والنحلة** مصدر حللت اليمين اى ابررتها وتحلة القسم ما يفعله الحالف مما اقسم عليه مقدار ما يكون بارا فى قسمه فهو مثل فى القليل المفرط القلة وقال مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده فى الدنيا لقوله عليه السلام (الحمى من فيح جهنم فابردوها) بالماء وفى الحديث (الحمى حظ كل مؤمن من النار) وقد جاء (ان حمى ليلة كفارة سنة ومن حم يوما كان له براءة من النار وخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه) وعن جابر رضى الله عنه استأذنت الحمى على رسول الله عليه السلام فقال (من هذه) قالت أم ملدم فامر بها عليه السلام الى اهل قبا فلقوا منها مالا يعلمه الا الله فشكوا اليه عليه السلام فقال (ان شئتم دعوت الله ليكشفها عنكم وان شئتم تكون لكم طهورا) قالوا أو يفعل ذلك قال (نعم) قالوا فدعها قالت عائشة رضى الله عنها قدمنا المدينة وهى اوبى ارض الله ولما حصلت لها الحمى قال لها عليه السلام (مالى أراك هكذا) قالت بابى أنت وأمي يا رسول الله هذه الحمى وسببتها فقال (لا تسبيها فانها مأمورة ولكن ان شئت علمتك كلمات إذا قلتهن اذهب الله عنك) قالت فعلمنى قال (قولى اللهم ارحم جلدى الرقيق وعظمى الدقيق من شدة الحريق يا أم ملدم ان كنت آمنت بالله العظيم فلا تصدعى الرأس ولا تنتنى الفم ولا تأكلى اللحم ولا تشربى الدم وتحولي عنى الى من اتخذ مع الله الها آخر) فقالتها فذهبت عنها كذا فى انسان العيون وإذا تتلى [و چون خوانده شود] عليهم اى على المشركين آياتنا القرآنية بينات واضحات الاعجاز والمعاني وهى حال مؤكدة فان آيات الله لا ينفك عنها الوضوح قال [گويند] الذين كفروا كنضر بن الحارث وأصحابه للذين آمنوا اى لفقراء المؤمنين واللام للتبليغ كما فى مثل قوله تعالى وقال لهم نبيهم أو لام الاجل اى لاجلهم فى حقهم أي الفريقين اى المؤمنين والكافرين كأنهم قالوا أينا خير نحن او أنتم مقاما مكانا ومسكنا يعنى [ما را منازل نزه است وهمه اسباب معيشت] وأحسن نديا اى مجلسا ومجتمعا قال بعض المفسرين

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٣٤٩/٥

الندى المجلس الجامع لوجوه قومهم وأعوانهم وأنصارهم يعنى [در مجمع ما همه صنا ديد قريش واشراف عرب اند ودر مجلس او همه موالى وضعفا]- يروى- انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة فاذا سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها قالوا مفتخرين بالحظوظ الدنيوية على فقراء المؤمنين لو كنتم على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم فى الدنيا احسن لان الحكيم لا يليق به ان يوقع أولياءه فى العذاب والذل وأعداءه فى العز والراحة لكن الأمر بالعكس وقصدهم بهذا الكلام صرفهم عن دينهم فرد الله عليهم بقوله وكم أهلكنا قبلهم من قرن كم مفعول أهلكنا ومن قرن بيان لابهامها واهل كل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم مأخوذ من قرن الدابة وهو مقدمها وقال الكاشفى [من قرن: كروهى را مجتمع بودند در زمان واحد] انتهى كأنه اخذه من الاقتران هم أحسن فى محل النصب على انه صفة لكم أثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت يعنى [نيكوتر از جهت امتعه بيت كه آرايش منازل بدان باشد] ورءيا هو المنظر والهيئة." (١)

"[سورة مريم (١٩) : الآيات ٦٦ الى ٧٢]

ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا (٦٦) أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٧) فو ربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠)

وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)

قلت: (أإذا) : ظرف، والعامل فيه محذوف، أي: أأخرج إذا مت، لا المتأخر عن اللام لأنه لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، إلا أن يرخص في الظروف. واللام في «لسوف» ليست للتأكيد، فإنه منكر، وكيف يحقق ما ينكر، وإنما كلامه حكاية لكلام النبي صلى الله عليه وسلم، كأنه الذي قال: والله إن الإنسان إذا مات لسوف يخرج حيا، فأنكر الكافر ذلك وحكى قوله، فنزلت الآية على ذلك، قاله الجرجاني: و (الشياطين) : عطف على ضمير المنصوب، أو مفعول معه.

و (جثيا) : حال من ضمير (لنحضرنهم) البارز، أي: لنحضرنهم جاثين، جمع جاث، من جثى إذا قعد على ركبتيه، وأصله: «جثوو» بواوين، فاستثقل اجتماعهما بعد ضمتين، فكسرت الثاء تخفيفا، وانقلبت الواو الأولى ياء لانكسار ما قبلها، فاجتمعت واو وياء، وسبقت إحداهما بسكون، فقلبت الواو ياء، وأدغمت الأولى في الثانية، ومن قرأ بكسر الجيم: فعلى الإتباع.

و «أيهم» : مبني على الضم عند سيبويه، لأنه موصول، فحقه البناء كسائر الموصولات، لكنه أعرب في بعض التراكيب للزوم الإضافة، فإذا حذف صدر صلته زاد نقصه فقوي شبه الحرف فيه، وهو منصوب المحل بلننزعن، وقرئ منصوبا على الإعراب، ومرفوعا عند الخليل وغيره بالابتداء، وخبره: «أشد» ، والجملة محكية، والتقدير:

لننزعن من كل شيعة الذين يقال لهم أيهم أشد ... الخ. وقال يونس: علق عنها الفعل وارتفعت بالابتداء، و (عتيا) و (صليا) أصلهما: عتوى وصلوى، من عتى وصلى، بالكسر والفتح، فاعلا بما تقدم.

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٥/٣٥١

يقول الحق جل جلاله: ويقول الإنسان أي: جنس الإنسان، والمراد الكفرة، وإسناد القول إلى الكل لوجود القول فيما بينهم، وإن لم يقله الجميع، كما يقال: بنو فلان قتلوا فلانا، وإنما القاتل واحد، وقيل: القائل: أبي بن خلف، فإنه أخذ عظاما بالية، ففتتها، وقال: يزعم محمد أنا نبعث بعد ما نموت ونصير إلى هذا الحال، فنزلت.

أي: يقول بطريق الإنكار والاستبعاد: أإذا ما مت لسوف أخرج حيا أي: أأبعث من الأرض بعد ما مت وأخرج حيا؟ قال تعالى: أولا يذكر الإنسان، من الذكر الذي يراد به التفكر، ولذلك قرىء بالتشديد من." (١)

"وإن منكم إلا واردها، فيه التفات لإظهار مزيد الاعتناء، وقرىء: «وإن منهم» . ويحتمل أن يكون الخطاب لجميع الخلق، أي: وإن منكم أيها **الناس إلا واردها أي**: واصلها وحاضرها، يمر بها المؤمنون وهي خامدة، وتنهار بغيرهم. وعن جابر أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض:

أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار؟ فيقال لهم: قد وردتموها وهي خامدة» . وأما قوله تعالى: أولئك عنها مبعدون فالمراد به الإبعاد عن عذابها، وقيل: ورودها: الجواز على الصراط بالمرور عليها.

وعن ابن مسعود: الضمير في (واردها) للقيامة، وحينئذ فلا يعارض: لا يسمعون حسيسها «١» ، ولا ما جاء فيمن يدخل الجنة بغير حساب، ولا مرور على الصراط، فضلا عن الدخول فيها، على أنه اختلف في الورود، فقيل: الدخول وتكون بردا وسلاما على المؤمن. وقيل: المرور كما تقدم، وقيل: الإشراف عليها والاطلاع.

قال القشيري: كل يرد النار، ولكن لا ضير منها ولا إحساس لأحد إلا بمقدار ما عليه من السيئات، والزلل، فأشدهم فيها انهماكا: أشدهم فيها بالنار اشتعالا واحتراقا، وأما بريء الساحة، نقي الجانب بعيد الذنوب، فكما في الخبر:

«إن النار عند مرورهم ربوة كربوة اللبن- أي: جامدة كجمود اللبن حين يسخن- فيدخلونها ولا يحسون بها، فإذا عبروها قالوا: أليس قد وعدنا جهنم على الطريق؟ فيقال لهم: عبرتم وما شعرتم» . هـ.

كان على ربك حتما مقضيا أي: كان ورودهم إياها أمرا محتوما أوجبه الله تعالى على ذاته، وقضى أنه لا بد من وقوعه. وقيل: أقسم عليه، ويشهد له: «إلا تحلة القسم» «٢» .

ثم ننجي الذين اتقوا الكفر والمعاصي، بأن تكون النار عليهم بردا وسلاما، على تفسير الورود بالدخول، وعن جابر أنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «الورود الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمنين بردا وسلاما، كما كانت على إبراهيم، حتى إن للنار ضجيجا من بردهم» «٣» . وإن فسرنا الورود بالمرور، فنجاتهم بالمرور عليها والسلامة من الوقوع فيها، ونذر الظالمين فيها جثيا: باركين على ركبهم، قال ابن زيد: الجثي شر الجلوس، لا يجلس الرجل جاثيا إلا عند كرب ينزل به. هـ.

---

(١) من الآية ١٠١ من سورة الأنبياء.

(٢) يقصد حديث: «لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار، إلا تحلة القسم» أخرجه البخاري فى (الأيمان والنذر، باب

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٥١/٣

قول الله تعالى: «وأقسموا بالله جهد أيمانهم») ومسلم فى (البر والصلة، باب: فضل من يموت له ولد فيحتسبه) .
(٣) أخرجه أحمد فى المسند (٣/ ٣٢٩) والحاكم فى المستدرك (الأهوال ٤/ ٥٨٧) ، والبيهقي فى الشعب (١/ ٣٣٦) ، من حديث جابر ابن عبد الله. والحديث: صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي فى المجمع (٧/ ٥٥) : رواه أحمد، ورجاله ثقات.." (١)

"الإشارة: من أراد كرامة الآخرة فليرب يقينه فيها، حتى تكون نصب عينيه، فإنه يرد على الله كريما. ومن أراد السلامة من أهوالها فليخفف من أوساخها وأشغالها، ويلازم طاعة الله واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم. ومن أراد سرعة المرور على الصراط فليلزم اليوم اتباع الصراط المستقيم، فبقدر ما يستقيم عليها تستقيم أقدامه على الصراط، وبقدر ما يزل عنها يزل عن الصراط.

قال في الإحياء، لما تكلم على العدل في الكيل والوزن، قال بعد كلامه: وكل مكلف فهو صاحب موازين في أفعاله وأقواله وخطراته، فالويل له إن عدل عن العدل، ومال عن الاستقامة، ولولا تعذر هذا واستحالته لما ورد قوله تعالى: (وإن منكم إلا واردها..) الآية، فلا ينفك عبد ليس معصوما عن الميل عن الاستقامة، إلا أن درجات الميل تتفاوت تفاوتا عظيما، فبذلك تتفاوت مدة إقامتهم في النار إلى أوان الخلاص، حتى لا يبقى بعضهم إلا بقدر تحلة القسم، ويبقى بعضهم ألفا وألوف سنين، نسأل الله تعالى أن يقربنا من الاستقامة والعدل، فإن الاستداد على متن الصراط المستقيم من غير ميل عنه غير مطموع فيه فإنه أدق من الشعرة، وأحد من السيف، ولولاه لكان المستقيم عليه لا يقدر على جواز الصراط الممدود على متن النار، الذي من صفته أنه أدق من الشعر، وأحد من السيف، وبقدر الاستقامة على الصراط المستقيم يخف مرور العبد يوم القيامة على الصراط. هـ.

وقال الترمذي الحكيم: يجوز الأولياء والصديقون وهم لا يشعرون بالنار، قال الله تعالى: إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون «١» ، وإنما بعدوا عنها لأن النور احتملهم واحتوشهم، فهم يمضون في النار، حتى إذا خرجوا منها قال بعضهم لبعض: أليس قد وعدنا النار، فذكر ما تقدم. ثم قال: فأما ضجة النار فمن بردهم، وذلك أن الرحمة باردة تطفئ غضب الرب، فبالرحمة نالوا النور، حتى أشرق في قلوبهم وصدورهم، فكان نوره في قلوبهم، والرحمة مظلة عليهم، فخمدت النار من بردهم عند ما لقوها، فضجت من أجل أنها خلقت منتقمة، فخافت أن تضعف عن الانتقام. ولذلك روي أنها تقول: «جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي» . «٢» هـ.

وقال الورتجبي: إذا كان جمال الحق مصحوبهم، فلا بأس بالوقوف في النيران، فإن هناك أهل الجنان.

إذا نزلت سلمى بواد فماؤها ... زلال وسلسال، وسيحانها ورد. هـ.

وقال جعفر الصادق: لولا مقاربة النفوس ما دخل أحد النار، فلما فارقتهم نفوسهم أوردهم النار بأجمعهم، فمن كان أشد إعراضا عن خبث النفس كان أسرع نجاة من النار، ألا ترى الله يقول: (ثم ننجي الذين اتقوا) . هـ. قلت.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٥٣/٣

(١) من الآية ١٠١ من سورة الأنبياء.

(٢) رواه أبو نعيم فى الحلية (٩/ ٣٢٩) ، والخطيب فى تاريخ بغداد (٥/ ١٩٤) ، والطبراني فى الكبير، وابن عدى فى الكامل، والحكيم الترمذي فى نوادر الأصول، وفى سنده: سليم بن منصور بن عمار، وهو ضعيف، انظر: مجمع الزوائد (١٠/ ٣٦٠) ، وكشف الخفاء (١/ ٣٧٣- ٣٧٤) .." (١)

"فلا إشكال إذا التعذيب متاخر من الإحضار قيل اعلم هاهنا بمعنى العليم لاختصاص هذا العلم به تعالى وجاز ان يقال ان الكرام الكاتبين وغيرهم من الملائكة ايضا يعلمون الفاجر من التقى والسعيد من الشقي والله تعالى اعلم بذلك- قرأ حمزة والكسائي وحفص جتيا وعتيا وصليا بكسر اوائلها كما ذكرنا في قوله تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا- والجمهور بضمها وهى على وزن فعول كما ذكرنا وقوله من كل شيعة ان كان يعمم الكفار والعصاة من المؤمنين ففى ذكر أشد تنبيه على انه تعالى يعفو كثيرا من اهل العصيان- ولو خص ذلك بالكفار على ما يقتضيه السياق كما اختاره البغوي واكثر المفسرين فالمراد انه يميز طوائفهم أعتاهم فاعتاهم ويطرحهم في النار على الترتيب- او يدخل كلا طبقتها التي أعدت لهم اخرج ابن ابى حاتم والبيهقي عن ابن مسعود رضى الله عنه في الاية قال يحشر الاول على الاخر حتى إذا تكاملت العدة اثارهم ثم يبدا بالاكابر فالاكابر جرما ثم قرأ فو ربك لنحشرنهم الى قوله عتيا- واخرج هناد عن ابى الأحوص في الاية قال يبدء الأكابر فالاكابر جرما-.

وإن منكم ان نافية ومنكم صفة لمحذوف اى ان أحد **منكم إلا واردها اى** جهنم قيل القسم مضمر اى والله ما **منكم الا واردها بدليل** ما ورد في الأحاديث الا تحلة القسم وسنذكرها كان على ربك حتما الحتم مصدر حتم الأمر إذا وجب يعنى واجبا أوجبه الله على نفسه مقضيا (٧١) قضاه الله عليكم بان وعده وعدا لا يمكن خلفه...........

ثم ننجي عطف على مضمون ما سبق تقديره نوردكم جميعا في جهنم ثم ننجى- قرأ الكسائي بالتخفيف من الافعال والباقون بالتشديد من التفعيل الذين اتقوا الشرك فيساقون الى الجنة بلا تعذيب او بعد التعذيب ونذر الظالمين اى الكافرين فيها اى في النار جثيا (٧٢) جميعا وقيل جاثين على الركب والمراد بالورود الدخول وإن كان بطريق المرور على الصراط الذي هو على متن جهنم- وقال قوم من اهل الأهواء ليس المراد بالورود الدخول فانه من يدخلها لا ليخرج منها ابدا وقالوا النار لا يدخلها مؤمن ابدا لقوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها- بل المراد به الحضور والروية فانهم يحضرون جميعا موضع الحساب وهو بقرب جهنم- ثم ينجى الله المتقين يأمرهم الى الجنة ويذر الظالمين فيها جثيا يأمرهم الى النار- نظيره قوله تعالى ولما ورد ماء مدين وقد كان موسى اشرف عليه ولم يدخله ويؤيده." (٢)

"لها واردون قال وردوا أم لا وقرأ يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار أوردها أم لا- اما انا وأنت فسندخلها فانظر هل تخرج منها أم لا واخرج من طريق العوفى عن ابن عباس في قوله تعالى ان **منكم الا واردها يعنى** البر والفاجر الم تسمع قوله تعالى فاوردهم النار وبئس الورد المورود وقوله تعالى ونسوق المجرمين الى جهنم وردا- واخرج الحاكم عن ابن مسعود انه

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣/٣٥٤

(٢) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ١١١/٦

سئل عن قوله تعالى وان **منكم الا واردها قال** وان منكم الا داخلها واخرج البيهقي عن عكرمة عن ابن عباس في الاية قال لا يبقى أحد الا دخلها فهذه الآيات مفسرة للورود بالدخول- واخرج احمد والترمذي والحاكم وصححه والبيهقي عن ابن مسعود في قوله تعالى وإن **منكم إلا واردها قال** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد الناس كلهم النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم فاولهم كلمح البرق ثم كالريح ثم كحفر؟؟؟ الفرس ثم كالراكب في رحله ثم كشد الرجل ثم كمشيه واخرج ابن ابى حاتم عن ابن مسعود قال يرد الناس جميعا ورودهم قيامهم حول النار ثم يصدون عن الصراط بأعمالهم فمنهم مثل البرق ومنهم من يمر مثل الريح ومنهم من يمر مثل الطير ومنهم من يمر كاجز والخيل ومنهم من يمر كاجود الا؟؟؟ ل ومن يمر كعدو الرجل حتى ان آخرهم سيرا نوره على موضع إبهام قدميه يمر يتكفاء به الصراط وأخرجها الشيخان عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار الا تحلة القسم- ثم قرأ سفيان وان منكم الا واردها- واخرج الطبراني عن عبد بن بشير الأنصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث لم يرد الا عابر سبيل يعنى الجواز على الصراط- واخرج ابن جرير عن غنيم بن قيس قال ذكروا ورود النار فقال كعب تمسك النار الناس كانها بين اهالة حتى يستوى عليها أقدام الخلائق برهم وفاجرهم- ثم ينادى مناد ان أمسكي أصحابك ودعي أصحابي- قال فيخسف بكل ولى لها هى اعلم بهم من الرجل بولده يخرج المؤمنون ندية ثيابهم قال السيوطي فسر بعض علماء اهل السنة الورود بالدخول وهو أحد القولين في الاية ورجهه القرطبي واستشهد بحديث جابر ونحوه ومنه بعضهم بالمرور على الصراط ورحجه النووي واستشهد بما روى عن ابن مسعود وفيه ذكر المرور على الصراط وحديث ابى هريرة ونحوهما قلت إذا كان الصراط على متن جهنم فالمرور يستلزم الدخول ولا يقضى الدخول الوقوع في النار البتة ولذلك قلت فالمراد بالورود الدخول وان كان على طريق المرور على الصراط جميعا بين الأحاديث فان قيل قول الحسن الورود الممر عليها من غير ان يدخلها (كذا اخرج البيهقي عنه) على ان المروي غير الدخول- قلت المراد بالدخول في قول الحسن الوقوع والاستقرار في النار لا مطلق الدخول هكذا." (١)

"ابن أبي حاتم وابن مردويه، والحاكم وصححه، عن عائشة أنها كانت ترسل بالصدقة لأهل الصدقة وتقول:
لا تعطوا منها بربريا ولا بربرية، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «هم الخلف الذين قال الله فخلف من بعدهم خلف» . وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: فسوف يلقون غيا قال:
خسرا. وأخرج الفريابي وسعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني، والحاكم وصححه، والبيهقي في البعث، من طرق عن ابن مسعود في قوله: فسوف يلقون غيا قال: الغي نهر، أو واد في جهنم من قيح بعيد القعر، خبيث الطعم، يقذف فيه الذين يتبعون الشهوات. وقد قال بأنه واد في جهنم البراء بن عازب. وروى ذلك عنه ابن المنذر والطبراني. وأخرج ابن جرير والطبراني وابن مردويه والبيهقي عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو أن صخرة زنة عشر أواق قذف بها من شفير جهنم ما بلغت قعرها سبعين خريفا، ثم تنتهي إلى غي وأثام، قلت: وما غي وأثام؟

(١) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ٦/١١٣

قال: نهران في أسفل جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار، وهما اللذان ذكر الله في كتابه فسوف يلقون غيا ومن يفعل ذلك يلق أثاما «١» » . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الغي واد في جهنم» . وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عنه أيضا في قوله: بكرة وعشيا قال: يؤتون به في الآخرة على مقدار ما كانوا يؤتون به في الدنيا. وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، من طريق أبان عن الحسن وأبي قلابة قالا: قال رجل: يا رسول الله هل في الجنة من ليل؟ قال: وما هيجك على هذا؟ قال: سمعت الله يذكر في الكتاب ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فقلت: الليل من البكرة والعشي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس هناك ليل، وإنما هو ضوء ونور، يرد الغدو على الرواح والرواح على الغدو، تأتيهم طرف الهدايا من الله لمواقيت الصلاة التي كانوا يصلون فيها في الدنيا، وتسلم عليهم الملائكة» . وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من غداة من غدوات الجنة، وكل الجنة غدوات، إلا أنه يزف إلى ولي الله فيها زوجة من الحور العين وأدناهن التي خلقت من الزعفران» قال بعد إخراجه: قال أبو محمد: هذا حديث منكر.

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٦٤ الى ٧٢]

وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا (٦٤) رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا (٦٥) ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا (٦٦) أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٧) فو ربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨)

ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠) وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)

---

(١) . الفرقان: ٦٨.." (١)

"اتفق القراء على قراءة «أيهم» بالضم إلا هارون القارئ فإنه قرأها بالفتح. قال الزجاج: في رفع «أيهم» ثلاثة أقوال: الأول قول الخليل بن أحمد إنه مرفوع على الحكاية. والمعنى: ثم لننزعن من كل شيعة الذين يقال لهم أيهم أشد، وأنشد الخليل في ذلك قول الشاعر:

وقد أبيت من الفتاة بمنزل ... فأبيت لا حرج ولا محروم

أي: فأبيت بمنزلة الذي يقال له هو لا حرج ولا محروم. قال النحاس: ورأيت أبا إسحاق، يعني الزجاج، يختار هذا القول ويستحسنه. القول الثاني قول يونس: وهو أن لننزعن بمنزلة الأفعال التي تلغى وتعلق، فهذا الفعل عنده معلق عن العمل في أي، وخصص الخليل وسيبويه وغيرهما التعليق بأفعال الشك ونحوها مما لم يتحقق وقوعه. القول الثالث قول سيبويه: إن أيهم هاهنا مبني على الضم لأنه خالف أخواته في الحذف، وقد غلط سيبويه في قوله هذا جمهور النحويين حتى قال الزجاج: ما

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٤٠٣/٣

تبين لي أن سيبويه غلط في كتابه إلا في موضعين هذا أحدهما. وللنحويين في إعراب أيهم هذه في هذا الموضع كلام طويل.
ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا يقال: صلى يصلى صليا «١» ، مثل مضى الشيء يمضي مضيا، قال الجوهري: يقال:
صليت الرجل نارا إذا أدخلته النار وجعلته يصلاها، فإن ألقيته إلقاء كأنك تريد الإحراق قلت: أصليته بالألف وصليته تصلية، ومنه ويصلى سعيرا «٢» ومن خفف فهو من قولهم: صلي فلان النار بالكسر يصلى صليا احترق، قال الله تعالى: بالذين هم أولى بها صليا. قال العجاج «٣» :
والله لولا النار أن نصلاها ومعنى الآية: أن هؤلاء الذين هم أشد على الرحمن عتيا هم أولى بصليها، أو صليهم أولى بالنار وإن **منكم إلا واردها الخطاب** للناس من غير التفات، أو للإنسان المذكور، فيكون التفاتا، أي: ما منكم من أحد إلا واردها، أي: واصلها.
وقد اختلف الناس في هذا الورود، فقيل: الورود الدخول، ويكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم. وقالت فرقة: الورود هو المرور على الصراط وقيل: ليس الورود الدخول، إنما هو كما تقول:
وردت البصرة ولم أدخلها. وقد توقف كثير من العلماء عن تحقيق هذا الورود، وحمله على ظاهره لقوله تعالى:
إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون «٤» قالوا: فلا يدخل النار من ضمن الله أن يبعده عنها، ومما يدل على أن الورود لا يستلزم الدخول قوله تعالى: ولما ورد ماء مدين «٥» فإن المراد أشرف عليه لا أنه دخل فيه، ومنه قول زهير:
فلما وردن الماء زرقا جمامه ... وضعن عصي الحاضر المتخيم
ولا يخفى أن القول بأن الورود هو المرور على الصراط، أو الورود على جهنم وهي خامدة فيه جمع بين

---

(١) . صليا: بضم الصاد، قراءة نافع وعليها التفسير.
(٢) . الانشقاق: ١٢.
(٣) . نسبه في اللسان مادة (فيه) إلى الزفيان، وأورده في أبيات.
(٤) . الأنبياء: ١٠١. [.....]
(٥) . القصص: ٢٣.." (١)

"وصححه، والبيهقي في الشعب، عنه هل تعلم له سميا؟ قال: ليس أحد يسمى الرحمن غيره. وأخرج ابن مردويه عنه أيضا في الآية قال: يا محمد هل تعلم لإلهك من ولد؟. وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله: ويقول الإنسان قال: العاص بن وائل. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: جثيا قال: قعودا، وفي قوله: عتيا قال: معصية. وأخرج ابن جرير عنه في قوله: عتيا قال: عصيا.

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٤٠٦/٣

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله: ثم لننزعن قال: لننزعن من أهل كل دين قادتهم ورؤوسهم في الشر. وأخرج ابن أبي حاتم، والبيهقي في البعث، عن ابن مسعود قال: نحشر الأول على الآخر حتى إذا تكاملت العدة أثارهم جميعا، ثم بدأ بالأكابر جرما، ثم قرأ: فو ربك لنحشرنهم إلى قوله:

عتيا. وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله: ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا قال:

يقول إنهم أولى بالخلود في جهنم. وأخرج أحمد وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه والبيهقي عن أبي سمية قال: اختلفنا في الورود، فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا يدخلونها جميعا ثم ننجي الذين اتقوا فلقيت جابر بن عبد الله فذكرت له، فقال وأهوى بأصبعه إلى أذنيه صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم، حتى إن للنار ضجيجا من بردها ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا» .

وأخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي عن مجاهد قال: خاصم نافع بن الأزرق ابن عباس، فقال ابن عباس: الورود الدخول، وقال نافع: لا، فقرأ ابن عباس: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون «١» ، وقال: وردوا أم لا؟ وقرأ: يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار «٢» أوردوا أم لا؟ أما أنا وأنت فسندخلها فانظر هل نخرج منها أم لا؟. وأخرج الحاكم عن ابن مسعود في قوله: وإن منكم إلا واردها قال: وإن منكم إلا داخلها. وأخرج هناد والطبراني عنه في الآية قال: ورودها الصراط. وأخرج أحمد وعبد بن حميد والترمذي وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي وابن الأنباري وابن مردويه عن ابن مسعود في قوله: وإن منكم إلا واردها قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليرد الناس كلهم النار، ثم يصدرون عنها بأعمالهم، فأولهم كلمح البرق، ثم كالريح، ثم كحضر الفرس «٣» ، ثم كالراكب في رحله، ثم كشد الرحل، ثم كمشيه» وقد روي نحو هذا من حديث ابن مسعود من طرق. وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وإن منكم إلا واردها» يقول: مجتاز فيها. وأخرج مسلم وغيره عن أم مبشر قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية، قالت حفصة: أليس الله يقول: وإن منكم إلا واردها قالت: ألم تسمعيه يقول: ثم ننجي الذين اتقوا» . وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما

---

(١) . الأنبياء: ٩٨.

(٢) . هود: ٩٨.

(٣) . الحضر بالضم: العدو.." (١)

"قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم» ثم قرأ سفيان: وإن منكم إلا واردها.

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٤٠٨/٣

وأخرج أحمد، والبخاري في تاريخه، وأبو يعلى والطبراني وابن مردويه عن معاذ بن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من حرس من وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا، لا يأخذه سلطان، لم ير النار بعينيه إلا تحلة القسم، فإن الله يقول: وإن منكم إلا واردها» والأحاديث في تفسير هذه الآية كثيرة جدا.

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله: حتما مقضيا قال: قضاء من الله. وأخرج الخطيب في تالي التلخيص عن عكرمة حتما مقضيا قال: قسما واجبا. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ونذر الظالمين فيها جثيا قال: باقين فيها.

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٧٣ الى ٨٠]

وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (٧٣) وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورءيا (٧٤) قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا (٧٥) ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا (٧٦) أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا (٧٧)

أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا (٧٨) كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا (٧٩) ونرثه ما يقول ويأتينا فردا (٨٠)

الضمير في عليهم راجع إلى الكفار الذين سبق ذكرهم في قوله: أإذا ما مت لسوف أخرج حيا أي: هؤلاء إذا قرئ عليهم القرآن تعذروا بالدنيا، وقالوا: لو كنتم على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم في الدنيا أطيب من حالنا، ولم يكن بالعكس لأن الحكيم لا يليق به أن يهين أولياءه ويعز أعداءه، ومعنى «البينات» : الواضحات التي لا تلتبس معانيها وقيل: ظاهرات الإعجاز، وقيل: إنها حجج وبراهين، والأول أولى. وهي حال مؤكدة لأن آيات الله لا تكون إلا واضحة، ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله: قال الذين كفروا للإشعار بأن كفرهم هو السبب لصدور هذا القول عنهم، وقيل:

المراد بالذين كفروا هنا هم المتمردون المصرون منهم، ومعنى قالوا: للذين آمنوا قالوا: لأجلهم، وقيل: هذه اللام هي لام التبليغ، كما في قوله: وقال لهم نبيهم أي: خاطبوهم بذلك وبلغوا القول إليهم أي الفريقين خير مقاما المراد بالفريقين المؤمنون والكافرون، كأنهم قالوا أفريقنا خير أم فريقكم، قرأ ابن كثير وابن محيصن وحميد وشبل بن عباد «مقاما» بضم الميم وهو موضع الإقامة، ويجوز أن يكون مصدرا بمعنى الإقامة، وقرأ الباقون بالفتح، أي: منزلا ومسكنا، وقيل: المقام الموضع الذي يقام فيه بالأمور الجليلة، والمعنى: أي الفريقين أكبر جاها وأكثر أنصارا وأعوانا، والندي والنادي: مجلس القوم ومجتمعهم، ومنه قوله تعالى: تأتون في ناديكم المنكر «١» وناداه: جالسه في النادي، ومنه دار الندوة لأن

---

(١) . العنكبوت: ٢٩.." (١)

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٤٠٩/٣

"في قضائك الأزلي قوما بورا، أي: هلكى، مأخوذ من البوار وهو الهلاك يقال: رجل بائر وقوم بور، يستوي فيه الواحد والجماعة لأنه مصدر يطلق على القليل والكثير ويجوز أن يكون جمع بائر. وقيل: البوار:

الفساد. يقال: بارت بضاعته، أي: فسدت، وأمر بائر، أي: فاسد وهي لغة الأزد. وقيل: المعنى:

لا خير فيهم، مأخوذ من بور الأرض وهو تعطيلها من الزرع فلا يكون فيها خير، وقيل: إن البوار الكساد، ومنه بارت السلعة إذا كسدت فقد كذبوكم بما تقولون في الكلام حذف، والتقدير: فقال الله عند تبري المعبودين مخاطبا للمشركين العابدين لغير الله فقد كذبوكم، أي: فقد كذبكم المعبودون بما تقولون، أي: في قولكم إنهم آلهة فما تستطيعون أي: الآلهة صرفا أي: دفعا للعذاب عنكم بوجه من الوجوه، وقيل: حيلة ولا نصرا أي: ولا يستطيعون نصركم، وقيل: المعنى فما يستطيع هؤلاء الكفار لما كذبهم المعبودون صرفا للعذاب الذي عذبهم الله به ولا نصرا من الله، وهذا الوجه مستقيم على قراءة من قرأ «تستطيعون» بالفوقية وهي قراءة حفص، وقرأ الباقون بالتحتية. وقال ابن زيد: المعنى: فقد كذبوكم أيها المؤمنون هؤلاء الكفار بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى هذا فمعنى بما تقولون: ما تقولونه من الحق. وقال أبو عبيد: المعنى فما يستطيعون لكم صرفا عن الحق الذي هداكم إليه، ولا نصرا لأنفسهم بما ينزل بهم من العذاب بتكذيبهم إياكم. وقرأ الجمهور «بما تقولون» بالتاء الفوقية على الخطاب. وحكى الفراء أنه يجوز أن يقرأ «فقد كذبوكم» مخففا بما يقولون، أي: كذبوكم في قولهم وكذا قرأ بالياء التحتية مجاهد والبزي ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا هذا وعيد لكل ظالم ويدخل تحته الذي فيهم السياق دخولا أوليا، والعذاب الكبير عذاب النار، وقرئ «يذقه» بالتحتية، وهذه الآية وأمثالها مقيدة بعدم التوبة. ثم رجع سبحانه إلى خطاب رسوله موضحا لبطلان ما تقدم من قوله: يأكل الطعام ويمشي في الأسواق فقال: وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق قال الزجاج: الجملة الواقعة بعد إلا صفة لموصوف محذوف، والمعنى: وما أرسلنا قبلك أحدا من المرسلين إلا آكلين وماشين، وإنما حذف الموصوف لأن في قوله من المرسلين دليلا عليه، نظيره- وما منا إلا له مقام معلوم- أي: وما منا أحد.

وقال الفراء: لا محل لها من الإعراب، وإنما هي صلة لموصول محذوف هو المفعول، والتقدير: إلا من أنهم فالضمير في أنهم وما بعده راجع إلى من المقدرة، ومثله قوله تعالى: وإن منكم إلا واردها «١» أي: إلا من يردها، وبه قرأ الكسائي. قال الزجاج: هذا خطأ لأن من الموصولة لا يجوز حذفها. وقال ابن الأنباري:

إنها في محل نصب على الحال، والتقدير: إلا وأنهم، فالمحذوف عنده الواو. قرأ الجمهور «إلا إنهم» بكسر إن لوجود اللام في خبرها كما تقرر في علم النحو، وهو مجمع عليه عندهم. قال النحاس: إلا أن علي بن سليمان الأخفش حكى لنا عن محمد بن يزيد المبرد أنه قال: يجوز في إن هذه الفتح وإن كن بعدها اللام وأحسبه وهما. وقرأ الجمهور. «يمشون» بفتح الياء وسكون الميم، وتخفيف الشين. وقرأ علي وابن عوف وابن مسعود بضم الياء وفتح الميم وضم الشين المشددة، وهي بمعنى القراءة الأولى، قال الشاعر:

(١) . مريم: ٧١.." (١)

"في محل رفع صفة لرجل، ويجوز أن يكون في محل نصب على الحال، لأن لفظ رجل وإن كان نكرة فقد تخصص بقوله: من أقصى المدينة قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك أي: يتشاورون في قتلك ويتآمرون بسببك. قال الزجاج: يأمر بعضهم بعضا بقتلك. وقال أبو عبيد: يتشاورون فيك ليقتلوك: يعني أشراف قوم فرعون. قال الأزهري: ائتمر القوم وتآمروا: أي أمر بعضهم بعضا، نظيره قوله: وأتمروا بينكم بمعروف «١» قال النمر بن تولب:

أرى الناس قد أحدثوا شيمة ... وفي كل حادثة يؤتمر

فاخرج إني لك من الناصحين في الأمر بالخروج، واللام للبيان لأن معمول المجرور لا يتقدم عليه فخرج منها خائفا يترقب فخرج موسى من المدينة حال كونه خائفا من الظالمين مترقبا لحوقهم به، وإدراكهم له، ثم دعا ربه بأن ينجيه مما خافه قائلا: رب نجني من القوم الظالمين أي: خلصني من القوم الكافرين، وادفعهم عني، وحل بين وبينهم ولما توجه تلقاء مدين أي: نحو مدين قاصدا لها.

قال الزجاج: أي سلك في الطريق الذي تلقاء مدين فيها، انتهى. يقال: دار تلقاء دار فلان، وأصله من اللقاء، ولم تكن هذه القرية داخلة تحت سلطان فرعون، ولهذا خرج إليها قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل أي: يرشدني نحو الطريق المستوية إلى مدين ولما ورد ماء مدين أي: وصل إليه، وهو الماء الذي يستقون منه وجد عليه أمة من الناس يسقون أي: وجد على الماء جماعة كثيرة من الناس يسقون مواشيهم، ولفظ الورود قد يطلق على الدخول في المورد، وقد يطلق على البلوغ إليه، وإن لم يدخل فيه، وهو المراد هنا، ومنه قول زهير:

فلما وردنا الماء زرقا حمامه «٢»

وقد تقدم تحقيق معنى الورود في قوله: وإن منكم إلا واردها «٣» وقيل: مدين اسم للقبيلة لا للقرية، وهي غير منصرفة على كلا التقديرين ووجد من دونهم أي: من دون الناس الذين يسقون ما بينهم وبين الجهة التي جاء منها، وقيل: معناه: في موضع أسفل منهم امرأتين تذودان أي: تحبسان أغنامهما من الماء حتى يفرغ الناس ويخلو بينهما وبين الماء، ومعنى الذود: الدفع والحبس، ومنه قول الشاعر:

أبيت على باب القوافي كأنما ... أذود سربا من الوحش نزعا

أي: أحبس وأمنع، وورد الذود: بمعنى الطرد، ومنه قول الشاعر:

لقد سلبت عصاك بنو تميم ... فما تدري بأي عصى تذود

(١) . الطلاق: ٦. [.....]

(٢) . هو من المعلقة، وعجزه:

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٤/٧٩

وضعن عصي الحاضر المتخيم

(٣) . مريم: ٧١.." (١)

"وقال الحسن: معنى ألهاكم: أنساكم حتى زرتم المقابر أي: حتى أدرككم الموت وأنتم على تلك الحال. وقال قتادة: إن التكاثر: التفاخر بالقبائل والعشائر. وقال الضحاك: ألهاكم التشاغل بالمعاش. وقال مقاتل وقتادة أيضا وغيرهما: نزلت في اليهود حين قالوا: نحن أكثر من بني فلان، وبنو فلان أكثر من بني فلان، ألهاهم ذلك حتى ماتوا. وقال الكلبي: نزلت في حيين من قريش: بني عبد مناف، وبني سهم، تعادوا وتكاثروا بالسيادة والأشراف في الإسلام، فقال كل حي منهم: نحن أكثر سيدا، وأعز عزيزا، وأعظم نفرا، وأكثر قائدا، فكثر بنو عبد مناف بني سهم، ثم تكاثروا بالأموات فكثرتهم سهم، فنزلت: ألهاكم التكاثر فلم ترضوا حتى زرتم المقابر مفتخرين بالأموات. وقيل: نزلت في حيين من الأنصار.

والمقابر: جمع مقبرة بفتح الباء وضمها. وفي الآية دليل على أن الاشتغال بالدنيا والمكاثرة بها والمفاخرة من الخصال المذمومة. وقال سبحانه ألهاكم التكاثر ولم يقل عن كذا، بل أطلقه لأن الإطلاق أبلغ في الذم، لأنه يذهب الوهم فيه كل مذهب، فيدخل فيه جميع ما يحتمله المقام، ولأن حذف المتعلق مشعر بالتعميم، كما تقرر في علم البيان والمعنى أنه شغلكم التكاثر عن كل شيء يجب عليكم الاشتغال به من طاعة الله والعمل للآخرة، وعبر عن موتهم بزيارة المقابر لأن الميت قد صار إلى قبره كما يصير الزائر إلى الموضع الذي يزوره هذا على قول من قال: إن معنى زرتم المقابر متم، وأما على قول من قال: إن معنى زرتم المقابر ذكرتم الموتى وعددتموهم للمفاخرة والمكاثرة، فيكون ذلك على طريق التهكم بهم، وقيل: إنهم كانوا يزورون المقابر، فيقولون هذا قبر فلان، وهذا قبر فلان يفتخرون بذلك كلا سوف تعلمون ردع وزجر لهم عن التكاثر وتنبيه على أنهم سيعلمون عاقبة ذلك يوم القيامة وفيه وعيد شديد. قال الفراء: أي ليس الأمر على ما أنتم عليه من التكاثر والتفاخر، ثم كرر الردع والزجر والوعيد فقال: ثم كلا سوف تعلمون وثم للدلالة على أن الثاني أبلغ من الأول، وقيل: الأول عند الموت أو في القبر، والثاني يوم القيامة. قال الفراء:

هذا التكرار على وجه التغليظ والتأكيد. قال مجاهد: هو وعيد بعد وعيد. وكذا قال الحسن ومجاهد كلا لو تعلمون علم اليقين أي: لو تعلمون الأمر الذي أنتم صائرون إليه علما يقينا كعلمكم ما هو متيقن عندكم في الدنيا، وجواب لو محذوف، أي: لشغلكم ذلك عن التكاثر والتفاخر، أو لفعلتم ما ينفعكم من الخير وتركتم ما لا ينفعكم مما أنتم فيه، وكلا في هذا الموضع الثالث للزجر والردع كالموضعين الأولين. وقال الفراء:

هي بمعنى حقا، وقيل: هي في المواضع الثلاثة بمعنى ألا. قال قتادة: اليقين هنا الموت، وروي عنه أيضا أنه قال: هو البعث. قال الأخفش: التقدير لو تعلمون علم اليقين ما ألهاكم، وقوله: لترون الجحيم جواب قسم محذوف، وفيه زيادة وعيد وتهديد، أي: والله لترون الجحيم في الآخرة. قال الرازي: وليس هذا جواب لو لأن جواب لو يكون منفيا، وهذا مثبت ولأنه عطف عليه ثم لتسئلن وهو مستقبل لا بد من وقوعه، قال: وحذف جواب «لو» كثير، والخطاب للكفار، وقيل: عام كقوله: وإن **منكم إلا واردها** «١» قرأ الجمهور: لترون بفتح التاء مبنيا للفاعل، وقرأ الكسائي وابن عامر بضمها مبنيا

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ١٩١/٤

(١) . مريم: ٧١.." (١)

"حرف الواو

واتبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه: أبو هريرة: ١/ ٣٦٦ وآدم بين الروح والجسد: ابن عباس: ٤/ ٣٠٨ والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه: ابن عمر: ٣/ ٢٢٥ وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم: ابن عمر: ٢/ ٣٠٠ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي: عقبة بن عامر: ٢/ ٣٦٦ وألزمهم كلمة التقوى لا إله إلا الله: أبي بن كعب: ٥/ ٦٨ وأنا على ذلك من الشاهدين: أبو أيوب: ١/ ٣٧٥ وأنا فرطكم على الحوض:: ٢/ ١٢٧ وإن أخذ مالك وضرب ظهرك:: ٢/ ٦٠١ وإن منكم إلا واردها مجتاز فيها: أبو هريرة: ٣/ ٤٠٩ وإن هذا الطاعون رجز وبقية عذاب: أسامة بن زيد: ١/ ١٠٧ وإن هذا الطاعون رجز وبقية عذاب: سعد بن مالك: ١/ ١٠٧ وإن هذا الطاعون رجز وبقية عذاب: خزيمة بن ثابت: ١/ ١٠٧ وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم:: ١/ ٦٠٨ وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم: عياض بن حمار: ٤/ ٢٦١ وأهلها ينصف بعضهم بعضا: جرير: ٢/ ٦٠٧ وأوفوا بعقد الجاهلية ولا تحدثوا عقدا:: ٢/ ١٠ وجبت، وجبت، وجبت: أنس: ١/ ١٧٧ وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض: علي: ٢/ ٢١١ وسألته أن لا يسلط عليهم عدوا: ثوبان: ٢/ ١٤٤ وسبعة إذا رجعتم إلى أمصاركم: ابن عباس: ١/ ٢٢٧ وصلاة الرجل في جوف الليل: معاذ بن جبل: ٤/ ٢٩٤ وصلاة المرء في جوف الليل: أبو هريرة: ٤/ ٢٩٤ وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة الفطر: أبو هريرة: ١/ ٣١٤ وعلموا أقاربكم سورة يوسف: أبي بن كعب: ٣/ ٥ وقع في نفس موسى: أبو هريرة: ٤/ ٤٠٩، ٤١٠ وكانوا- يعني الأنبياء- يفزعون إذا فزعوا إلى الصلاة: صهيب: ١/ ٩٦." (٢)

"بعذاب أعظم، لأن عذاب الضال المضل، يجب أن يكون فوق من يضل تبعا لغيره، وليس عذاب من يتجبر كعذاب المقلد، وليس عذاب من يورد الشبه في الباطل، كعذاب من يقتدي به مع الغفلة. ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها أي أحق بجهنم صليا (٧٠) أي دخولا فنبدأ بهم.

وإن منكم إلا واردها أي ما منكم أيها الإنسان أحد إلا حاضر قرب جهنم، ويمر بها المؤمنون، وهي خامدة، وتنهار بغيرهم.

وعن جابر أنه صلى الله عليه وسلم سئل فقال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال بعضهم لبعض: أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار؟ فيقال لهم: قد وردتموها وهي خامدة»

«١» .

وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية» «٢» ، فقالت حفصة أليس الله يقول: وإن منكم إلا واردها؟

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٥/٥٩٧

(٢) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٦/٧٧

فقال صلى الله عليه وسلم: «ثم ننجي الذين اتقوا»
أي نبعدهم عن عذاب جهنم.
وقيل: ورود جهنم هو الجواز على الصراط الممدود عليها، وقيل: الورود: الدخول، فالمؤمنون يدخلون النار من غير خوف وضرر ألبتة، بل مع الغبطة والسرور. كان على ربك حتما مقضيا (٧١) أي كان ورودهم إياها أمرا محتوما أوجبه الله تعالى على ذاته. ثم ننجي الذين اتقوا من الكفر والمعاصي، أي نخرجهم منها، فلا يخلدون بعد أن أدخلوا فيها، وإنما دخلوا لهم فيها ليشاهدوا العذاب، ليصير ذلك سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة. ونذر الظالمين، بالكفر والمعاصي فيها أي جهنم جثيا (٧٢) أي
منهارا بهم. وإذا تتلى عليهم أي المشركين، آياتنا الناطقة بحسن حال المؤمنين، وسوء حال الكفرة، بينات أي مرتلات الألفاظ، مبينات المعاني، قال الذين كفروا أي مردوا منهم على الكفر، ومرنوا على العناد، وهم: النضر بن الحرث، وأتباعه الفجرة. للذين آمنوا أي لفقراء المؤمنين الذين هم في خشونة عيش، ورثاثة ثياب وضيق منزل، واللام للتبليغ لأنهم شافهوا المؤمنين وخاطبوهم بقولهم: أي الفريقين أي المؤمنين والكافرين خير مقاما أي منزلا. وقرأ ابن كثير بضم الميم وأحسن نديا (٧٣) أي مجلسا أي أنحن أو أنتم.
روي أنهم كانوا يرجلون شعورهم، ويدهنونها، ويتطيبون، ويتزينون بالزينة الفاخرة، ثم يدعون فقراء المؤمنين، ويقولون مفتخرين عليهم: انظروا إلى منازلنا فتروها أحسن من منازلكم، وانظروا إلى مجالسنا عند التحدث ومجلسكم، فترونا نجلس في صدر المجلس، وأنتم في طرفه الحقير. فإذا كنا بهذه المثابة، وأنتم بتلك، فنحن عند الله خير منكم، ولو كنتم على خير لأكرمكم بهذه الأمور، كما أكرمنا بها.

---

(١) رواه ابن عبد البر في التمهيد (٧: ١٥٦) ، بما معناه.
(٢) رواه أحمد (م ٦/ ص ٣٦٢) .." (١)
"معرفة صحة التأويل. انتهى.
وقال القراب في الشافعي: التمسك بقراءة سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سنة، وإنما هو من جمع بعض المتأخرين فانتشر، وأوهم أنه لا تجوز الزيادة على ذلك، وذلك لم يقل به أحد. انتهى.
ومن القراآت ما يشبه من أنواع الحديث المدرج. وهو ما زيد في القراآت على وجه التفسير. كقراءة سعد بن أبي وقاص «وله أخ أو أخت من أم» أخرجها سعيد بن منصور، وقراءة ابن عباس «ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج» «١» أخرجها البخاري، وقراءة ابن الزبير «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما أصابهم» قال عمرو:
فما أدري أكانت قراءته أم فسر- أخرجه سعيد بن منصور وأخرجه الأنباري، وجزم بأنه تفسير.

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد نووي الجاوي ١٦/٢

وأخرج عن الحسن أنه كان يقرأ: «وإن منكم إلا واردها الورود الدخول» قال الأنباري: قوله: «الورود الدخول» تفسير من الحسن لمعنى الورود، وغلط فيه بعض الرواة فأدخله في القرآن.

قال ابن الجزري في آخر كلامه: وربما كانوا يدخلون التفسير في القراآت إيضاحا وبيانا. لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم قرآنا. فهم آمنون من الالتباس. وربما كان بعضهم يكتبه معه، وأما من يقول: إن بعض الصحابة كان يجيز القراءة بالمعنى فقد كذب وساء- كذا في الإتقان.

٧- قاعدة في قصص الأنبياء والاستشهاد بالإسرائيليات

قال الإمام أبو العباس أحمد بن زروق في قواعد التصوف: التأثير بالأخبار عن الوقائع أتم لسماعها من التأثير بغيرها. فمن ثم قيل: الحكايات جند من جنود الله يثبت الله بها قلوب العارفين. قيل: فهل تجد لذلك شاهدا من كتاب الله؟ قال: وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك [هود: ١٢٠] ، ووجه ذلك:

أن شاهد الحقيقة بالفعل أظهر وأقوى في الانفعال من شاهدها اللغوي، إذ مادة

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير- سورة البقرة- باب ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا في الجاهلية.. فتأثموا أن يتجروا في المواسم. فنزلت: ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج.." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

سورة مريم

سميت بها لاشتمالها على نبئها الخارق. وقال المهايمي: لأن قصتها تشير إلى أن من اعتزل من أهله لعبادة الله، وطلب بها إشراق نوره، يرجى أن يكشف له عن صفات الحق وعن عالم الملكوت، وتظهر له الكرامات العجيبة. وهذا من أعظم مقاصد القرآن. وهي مكية النزول. واستثنى بعضهم منها آية السجدة [مريم: ٥٨] ، وآية وإن منكم إلا واردها [مريم: ٧١] .

وقد روى محمد بن إسحاق، في السيرة، من حديث أم سلمة، وأحمد بن حنبل عن ابن مسعود في قصة الهجرة إلى أرض الحبشة من مكة، أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قرأ صدر هذه السورة على النجاشي وأصحابه. وآياتها ثمان وتسعون.." (٢)

"إذ ضلوا وأضلوا، لأجل لذات الدنيا وشهواتها. فصاروا أولى بالصلي بها. فيخصون بعذاب مضاعف.

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٣٠/١

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٨٣/٧

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة مريم (١٩) : آية ٧١]

وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا (٧١)

وإن **منكم إلا واردها أي** ليس أحد منكم، من بر وفاجر، إلا وهو يردها.

كان على ربك حتما مقضيا أي حكما جزما مقطوعا به.

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة مريم (١٩) : آية ٧٢]

ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)

ثم أي بعد الورود والإحضار للتعريف ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا أي لا يمكنهم التجاوز عنها.

قال الزمخشري: فيه دليل على أن المراد بالورود، الجثو حواليها. وأن المؤمنين يفارقون الكفرة إلى الجنة، بعد تجاثيهم. وتبقى الكفرة في مكانهم جاثين.

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة مريم (١٩) : آية ٧٣]

وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (٧٣)

وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما أي موضعا ومكانا وأحسن نديا أي مجتمعا للقوم، والمعنى أن هؤلاء الكفرة إذا تليت عليهم آياته تعالى بينة الحجة واضحة البرهان على مقاصدها، أعرضوا وأخذوا يحتجون على فضل ما هم عليه بكونهم أوفر حظا من الدنيا، لكونهم أحسن منازل وأرفع دورا وأعمر ناديا وأكثر طارقا وواردا، أي فكيف نكون ونحن بهذه المثابة على باطل، وأولئك الذين هم مختفون في دار الأرقم بن أبي الأرقم على الحق؟ كما قال تعالى مخبرا عنهم: وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه [الأحقاف: ١١] ، وقال قوم نوح أنؤمن لك واتبعك الأرذلون [الشعراء: ١١١] ، وقال تعالى: وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا، أليس الله بأعلم بالشاكرين. [الأنعام: ٥٣] .." (١)

"الورود في أصل اللغة بلوغ الماء وموافاته في مورده من نهر وغيره، والورد بالكسر اسم المصدر، ويطلق على الماء، يقال: ورد البعير أو غيره الماء يرده وردا فهو وارد والماء مورود، أورده إياه إيرادا جعله يرده، ومنه ورود جهنم بمعنى دخولها. قال ابن عباس - رضي الله عنه - في الآية: الورود الدخول. وقال: الورود في القرآن أربعة أوراد، في هود قوله: - وبئس الورد المورود - ٩٨ وفي مريم: - وإن **منكم إلا واردها -** ١٩: ٧١ وورد في الأنبياء: - حصب جهنم أنتم لها واردون - ٢١: ٩٨ وورد في مريم أيضا: - ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا - ١٩: ٨٦ وكان يقول: والله ليردن جهنم كل بر وفاجر - ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا -

١٩: ٧٢.

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ١٠٩/٧

- وأتبعوا في هذه لعنة - أي: وألحقت بهم في الدنيا لعنة أتبعهم الله إياها بقوله: - وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين - ٢٨: ٤٢ وقال هنا: - ويوم القيامة - أي وأتبعوا يوم القيامة لعنة أخرى، فهم يلعنون في الدنيا والآخرة. وقد سمى هذه رفدا ؛ تهكما بهم فقال: - بئس الرفد المرفود - الرفد (بالكسر) في أصل اللغة العطاء والعون: يقال: رفده (من باب ضرب) أعانه وأعطاه، وأرفده مثله، أو جعل له رفدا يتناوله شيئا فشيئا، فرفده وأرفده كسقاه وأسقاه، - وبئس الرفد المرفود - أي العطاء المعطى هذه اللعنة التي أتبعوها، وحكى الماوردي عن الأصمعي أن الرفد بالفتح، القدح وبالكسر ما فيه من الشراب، هو تفسير للعام بالخاص مناسب للورد المورود قبله. أي بئس ما يسقونه في النار عندما يردونها ذلك الشراب الذي يسقونه فيها، وهو ما وصفه الله - تعالى - بقوله: - وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم - ٤٧: ١٥.

والعبرة في الآيات: أنه لا يزال يوجد في البشر فراعنة يغوون الناس ويستخفونهم ويستعبدونهم فيطيعونهم ويذلون لهم ذل العبد لسيده، والحمار لراكبه، والحيوان لمالكه، ولم يستفيدوا شيئا من هداية القرآن ورشده، وتجهيله لقوم فرعون في اتباع أمره، مع وصفه بقوله: - وما أمر فرعون برشيد - ٩٧ وبيان أنه كان سببا لإتباعهم لعنة في الدنيا ولعنة يوم القيامة، وأنه سيقودهم في الآخرة إلى النار، كما قادهم في الدنيا إلى الغي والفساد، ومنهم من يدعون الإسلام ولم يفقهوا قول الله - تعالى - لرسوله في آية مبايعة النساء - ولا يعصينك في معروف - ٦٠: ١٢ وقوله - صلى الله عليه وسلم -: " لا طاعة لأحد في معصية الله " إنما الطاعة في المعروف (متفق عليه من حديث علي) .." (١)

"ثم ذكر جزاءه مع قومه فى الآخرة فقال:

(يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار) أي يتقدم قومه يوم القيامة ويكونون تبعا له كما كانوا تابعين فى الدنيا إلا من آمن، فيوردهم جهنم معه: أي يدخلهم إياها.

وقد ورد أن آله يعرضون على النار منذ ماتوا صباحا ومساء من كل يوم كما قال تعالى: «وحاق بآل فرعون سوء العذاب. النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب» .

(وبئس الورد المورود) أي وبئس الورد الذي يردونه النار، لأن وارد الماء إنما يرده لتبريد كبده وإطفاء غلته من حر الظمأ، ووارد النار يحترق فيها احتراقا.

قال ابن عباس رضى الله عنه فى الآية: الورود الدخول وقد ذكر فى أربعة مواضع:

فى هود «وبئس الورد المورود» وفى مريم «وإن منكم إلا واردها» وفى الأنبياء «حصب جهنم أنتم لها واردون» وفى مريم أيضا «ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا» وكان يقول: والله ليردن جهنم كل بر وفاجر «ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا» .

(وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة) أي وألحقت بهم لعنة عظيمة ممن بعدهم من الأمم، ويوم القيامة أيضا يلعنهم أهل الموقف جميعا فهى تابعة لهم حيثما ساروا، ودائرة أينما داروا.

والآية بمعنى قوله: «وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين» وقد سمى الله هذه اللعنات رفدا تهكما بهم

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ١٢٦/١٢

فقال:

(بئس الرفد المرفود) أي بئس العطاء المعطى هذه اللعنة التي أتبعوها فى الدنيا والآخرة.." (١)

"(رب السماوات والأرض وما بينهما) فلا يجوز عليه النسيان، فإن من بيده ملكوت كل شيء، كيف يتصور أن تحوم حوله الغفلة والنسيان.

ثم بين ما ينبغي لرسوله أن يفعله بعد أن عرف هذا فقال:

(فاعبده واصطبر لعبادته) أي وإذ قد علمت أنه الرب المسيطر على ما فى السموات والأرض وما بينهما، القابض على أعنتهما، فاعبده ودم على مشاق العبادة وشدائدها، وإياك أن يصدك عنها ما يحدث من إبطاء الوحى وتقول المشركين الخراصين عن سببه:

ثم أكد الأمر بالعبادة بقوله:

(هل تعلم له سميا؟) أي هل تعلم له شبيها ومثلا يقتضى العبادة لكونه منعما متفضلا بجليل النعم وحقيرها، ومن ثم يجب تعظيمه غاية التعظيم بالاعتراف بربوبيته، والخضوع لسلطانه؟.

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٦٦ الى ٧٢]

ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا (٦٦) أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٧) فو ربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠)

وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)

تفسير المفردات

يذكر: أي يتذكر ويتفكر، لنحشرنهم: أي لنجمعنهم، جثيا: واحدهم جاث وهو البارك على ركبتيه، شيعة: أي جماعة تعاونت على الباطل وتشايعت عليه." (٢)

"كل جماعة منهم من هو أشد على الرحمن الذي غمر هم بإحسانه- تكبرا ومجاوزة للحدود التي سها لخلقه وقصارى ذلك- إن الله تعالى يحضرهم أولا حول جهنم، ثم يميز بعضهم عن بعض، فمن كان أشدهم تمردا فى كفره، خص بعذاب أعظم، فعذاب الضال المضل فوق عذاب من يضل بالتبع لغيره.

(ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) أي ثم لنحن العالمون بظواهر أعمالهم وبواطنها، وبما اجترحوا من السيئات، وبما دسوا به أنفسهم من الموبقات، من هم أولى بجهنم دخولا واحتراقا، فنبدأ بهم أولا ثم بمن يليهم.

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٢/٨٠

(٢) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٦/٧٢

وخلاصة هذا- إنهم جميعا يستحقون العذاب، لكنا ندخلهم فى جهنم بحسب عتيهم وتجبرهم فى كفرهم.

ثم خاطب سبحانه الناس جميعا فقال:

(وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا) أي وما أحد منكم أيها الناس إلا يدنو من جهنم ويصير حولها، قد قضى ربك بذلك وجعله أمرا محتوما مفروغا منه.

روى السدى عن ابن مسعود قال: «يرد الناس جميعا الصراط، ويقومون حول النار، ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم، فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل الريح، ومنهم من يمر مثل الطير، ومنهم من يمر كأجود الخيل، ومنهم من يمر كأجود الإبل، ومنهم من يمر كعدو الرجل ... »

فى حديث طويل، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يرد الناس كلهم النار ثم يصدرون بأعمالهم»

. (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) أي إذا مر الخلائق كلهم على النار وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة على قدر ما اجترحوا من الآثام والذنوب- نجى الله المتقين منها بحسب أعمالهم، وترك الكافرين جاثين على الركب كما جاءوا.." (١)

"﴿٧١ - ٧٢﴾ ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ .

وهذا خطاب لسائر الخلائق، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، أنه ما منهم من أحد، إلا سيرد النار، حكما حتمه الله على نفسه، وأوعد به عباده، فلا بد من نفوذه، ولا محيد عن وقوعه.

واختلف في معنى الورود، فقيل: ورودها، حضورها للخلائق كلهم، حتى يحصل الانزعاج من كل أحد، ثم بعد، ينجي الله المتقين. وقيل: ورودها، دخولها، فتكون على المؤمنين -[٤٩٩]- بردا وسلاما. وقيل: الورود، هو المرور على الصراط، الذي هو على متن جهنم، فيمر الناس على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كلمح البصر، وكالريح، وكأجاويد الخيل، وكأجاويد الركاب، ومنهم من يسعى، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يزحف زحفا، ومنهم من يخطف فيلقى في النار، كل بحسب تقواه، ولهذا قال: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ الله تعالى بفعل المأمور، واجتناب المحظور ﴿ونذر الظالمين﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي ﴿فيها جثيا﴾ وهذا بسبب ظلمهم وكفرهم، وجب لهم (١) الخلود، وحق عليهم العذاب، وتقطعت بهم الأسباب.

---

(١) كذا في ب، وفي أ: له.." (٢)

"٢- الثاني: كونه مبتدأ وخبرا واستفهاما.

٣- أي استفهامية ومن زائدة.

٤- أن «أيهم» مرفوع بشيعة.

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ٧٥/١٦

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن عبد الرحمن السعدي ص/٤٩٨

٥- أن «ننزع» علقت عن العمل، لأن معنى الكلام معنى الشرط، والشرط لا يعمل فيما قبله. والتقدير: تشيعوا أم لم يتشيعوا. وهذا أبعد الخمسة عن الصواب..!

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٧١ الى ٧٢]

وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)

الإعراب:

(الواو) استئنافية- أو عاطفة- (إن) حرف نفي (منكم) متعلق بخبر مقدم «١» ، (إلا) أداة حصر «٢» ، (واردها) مبتدأ مؤخر مرفوع، واسم (كان) ضمير مستتر تقديره هو أي الورود المفهوم من سياق الكلام (على ربك) متعلق ب (مقتضيا) وهو نعت لخبر كان (حتما) ، منصوب.

جملة: «إن منكم إلا واردها» لا محل لها استئنافية «٣» .

وجملة: «كان.. حتما ... » لا محل لها استئناف بياني- أو تعليلية.

٧٢- (فيها) متعلق ب (جثيا) وهو مفعول به ثان «٤» .

---

(١) أو هو نعت لمبتدأ محذوف أي إن أحد منكم، والخبر هو (واردها) .

(٢) يجوز أن تكون للاستثناء إن قدر الكلام قبلها تاما أي منكم أحد- خبر مقدم ومبتدأ مؤخر- ف (واردها) حينئذ بدل من أحد.

(٣) أو معطوفة على جملة نحن أعلم.. فهي في حيز جواب القسم لقوله: فو ربك لنحشرنهم.

(٤) يجوز أن يكون حالا إذا كان (نذر) بمعنى نخليهم.. ويجوز أن يكون الجار متعلقا بحال من الظالمين أو ب (نذر) .." (١)

"وجملة: «ننجي ... » لا محل لها معطوفة على جملة إن منكم..

وجملة: «اتقوا ... » لا محل لها صلة الموصول (الذين) .

وجملة: «نذر ... » لا محل لها معطوفة على جملة ننجي.

الصرف:

(حتما) ، مصدر سماعي لفعل حتم الثلاثي، وزنه فعل بفتح فسكون.

البلاغة

- الالتفات:

في قوله تعالى «وإن منكم إلا واردها» .

يحتمل أن يكون استئنافا لخطاب الناس، ويحتمل أن يكون التفاتا.

---

(١) الجدول في إعراب القرآن محمود صافي ٣٢٧/١٦

احتمال الالتفات مفرع على إرادة العموم من الأول، فيكون المخاطبون أولا هم المخاطبين ثانيا، إلا أن الخطاب الأول بلفظ الغيبة، والثاني بلفظ الحضور، وأما إذا بنينا على أن الأول إنما أريد منه خصوص على التقديرين جميعا، فالثاني ليس التفاتا، وإنما عدول إلى خطاب خاص لقوم معينين.

الفوائد

أي: تأتي هنا اسم استفهام يطلب بها تعيين الشيء مثل قوله تعالى: «أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا» -

[سورة مريم (١٩) : آية ٧٣]

وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (٧٣)." (١)

"وجملة: «إن الكافرون إلا في غرور» لا محل لها استئنافية.

الفوائد

- إن النافية:

وهي تدخل على الجملة الاسمية كقوله تعالى: (إن الكافرون إلا في غرور) (وإن منكم إلا واردها) ، وتدخل على الجملة الفعلية كقوله تعالى: «إن أردنا إلا الحسنى» «إن يدعون من دونه إلا إناثا» وقال بعضهم: لا تأتي (إن) النافية إلا وبعدها (إلا) . فهذا القول مردود، بدليل قوله تعالى: (إن عندكم من سلطان بهذا) (قل إن أدري أقريب ما توعدون) . وإذا دخلت على الجملة الاسمية لم تعمل عند سيبويه والفراء، وأجاز الكسائي والمبرد إعمالها عمل ليس، وقرأ سعيد بن جبير (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) وسمع من أهل العالية: «إن أحد خيرا من أحد إلا بالعافية» ولكن أكثر النحاة يعتبرونها نافية مهملة لا عمل لها» .

-٢١

[سورة الملك (٦٧) : آية ٢١]

أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور (٢١)

الإعراب:

(أم من هذا الذي) مر إعرابها «١» ، (أمسك) ماض في محل جزم فعل الشرط، والفاعل ضمير يعود على الله (بل) للإضراب الانتقالي (في عتو) متعلق بحال من فاعل لجوا ...

وجملة: «من هذا الذي ... » لا محل لها استئنافية.

وجملة: «يرزقكم ... » لا محل لها صلة الموصول (الذي) .

وجملة: «أمسك رزقه ... » لا محل لها اعتراضية ... وجواب الشرط

---

(١) الجدول في إعراب القرآن محمود صافي ٣٢٨/١٦

(١) في الآية السابقة (٢٠) .." [١]

"«إلا أن تتقوا» ٢٨- آل عمران- ١٥١/ ٢ «وما الله يريد ظلما» ١٠٨- آل عمران- ٢٧٣/ ٢ «واستغفر لهم الرسول» ٦٤- النساء- ٨٠/ ٣ «وكفى بالله شهيدا» ٧٩- النساء- ١٠٦/ ٣ «ها أنتم هؤلاء» ١٠٩- النساء- ١٦٣/ ٣ «وقد نزل عليكم» ١٤٠- النساء- ٢١٠/ ٣ «فريقا كذبوا وفريقا يقتلون» ٧٠- المائدة- ٤١٤/ ٣ «ما لم نمكن لكم» ٦- الأنعام- ٨٦/ ٤ «إن ربك حكيم» ٨٣- الأنعام- ٢٠٩/ ٤ «فأخرجنا به نبات» ٩٩- الأنعام- ٢٣٥/ ٤ «وأن للكافرين» ١٤- الأنفال- ١٨٦/ ٥ «أو لم يروا أنا نأتي الأرض» ٤١- الرعد- ١٤٨/ ٧ «وبالنجم هم يهتدون» ١٦- النحل- ٢٩٤/ ٧ «وإياي فارهبون» ٥١- النحل- ٣٣٤/ ٧ «فتمتعوا» ٥٥- النحل- ٣٣٦/ ٧ «يخرج من بطونها» ٦٩- النحل- ٣٥١/ ٧ «الذي باركنا حوله» ١- الإسراء- ٧/ ٨ «وما يعدهم الشيطان» ٦٤- الإسراء- ٨٣/ ٨ «ونحشرهم يوم القيامة» ٩٧- الإسراء- ١٢١/ ٨ «وإن منكم إلا واردها» ٧١- مريم- ٣٢٨/ ٨ «لقد جئتم شيئا إدا» ٧٩- مريم- ٣٤٠/ ٨ «وتقطعوا أمرهم بينهم» ٩٣- الأنبياء- ٦٦/ ٩ «ولولا فضل الله عليكم» ١٠- النور- ٢٣١/ ٩ «ظن المؤمنون» ١٢- النور- ٢٣٥/ ٩ «فأنبتنا به حدائق» ٦٠- النمل- ١٩٧/ ١٠ «فليعلمن الله الذين صدقوا» ٣- العنكبوت- ٣٠٨/ ١٠ «أم أنزلنا عليهم» ٣٥- الروم- ٤٦/ ١١ «فأولئك هم المضعفون» ٣٩- الروم- ٥٠/ ١١ «إن أراد» ٥٠- الأحزاب- ١٧٧/ ١١ «وما أموالكم» ٣٧- سبأ- ٢٣٣/ ١١ «فتثير سحابا» ٩- فاطر- ٢٥٥/ ١١ «فأخرجنا به» ٢٧- فاطر- ٢٧٠/ ١١ «إنكم لذائقو العذاب» ٣٨- الصافات- ٥٥/ ١٢ «من رحمة الله» ٥٣- الزمر- ١٩٨/ ١٢." [٢]

"الدرس الرابع والستون بعد المائة

﴿ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا (٦٦) أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٧) فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠) وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (٧٣) وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا (٧٤) قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا (٧٥) ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا (٧٦) أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا (٧٧) أاطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا (٧٨) كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا (٧٩) ونرثه ما يقول ويأتينا فردا

(١) الجدول في إعراب القرآن محمود صافي ٢٥/٢٩

(٢) الجدول في إعراب القرآن محمود صافي ٣٨/٣١

(٨٠) واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا (٨١) كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا (٨٢) ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا (٨٣) فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا (٨٤) يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا (٨٥) ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا (٨٦) لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا (٨٧) وقالوا اتخذ." (١)

"قوله عز وجل: ﴿ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا (٦٦) أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٧) فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠) وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) ﴾ .

في الصحيح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «يقول الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وآذاني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما أذاه إياي فقوله: إن بها ولدا وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد» .

وعن ابن عباس قوله: ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا﴾ ، يعني: القعود، وهو مثل قوله: ﴿وترى كل أمة جاثية﴾ . ﴿ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا﴾ ، يقول: أيهم أشد للرحمن معصية. وهي: معصيته في الشرك. وقال أبو الأحوص: نبدأ بالأكبر فالأكبر جرما.

وقوله تعالى: ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا﴾ .

قال البغوي: أي: أحق بدخول النار، يقال: صلى يصلى صليا إذا دخل النار وقاسى حرها.." (٢)

"وقال ابن كثير: ثم ها هنا لعطف الخبر على الخبر، والمراد: أنه تعالى أعلم بمن يستحق من العباد أن يصلى بنار جهنم ويخلد فيها، وبمن يستحق تضعيف العذاب.

وعن ابن عباس قوله: ﴿وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا﴾ ، يعني: البر والفاجر. وعن ابن مسعود: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ ، قال: داخلها. وعنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: «يردها الناس كلهم ثم يصدرون عنها بأعمالهم» . رواه أحمد وغيره. وفي الصحيحين عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد تمسه النار إلا تحله القسم» .

وعن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «يوضع الصراط بين ظهري جهنم عليه حسك كحسك السعدان، ثم يستجيز الناس فناج مسلم، ومجروح به، ثم ناج ومحتبس ومكدس فيها حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد تفقد المؤمنون رجالا كانوا معهم في الدنيا: يصلون صلاتهم، ويزكون زكاتهم، ويصومون صيامهم، ويحجون

---

(١) توفيق الرحمن في دروس القرآن فيصل المبارك ٦١/٣

(٢) توفيق الرحمن في دروس القرآن فيصل المبارك ٦٣/٣

حجهم، ويغزون غزوهم، فيقولون: أي ربنا من عبادك كانوا معنا في الدنيا يصلون صلاتنا، ويزكون زكاتنا، ويصومون صومنا، ويحجون حجنا، ويغزون غزونا، لا نراهم! . فيقول: اذهبوا إلى النار فمن وجدتم فيها منهم فأخرجوه. فيجدونهم قد أخذتهم النار على قدر أعمالهم، فمنهم من أخذته النار إلى قدميه، ومنهم من أخذته النار إلى نصف ساقيه، ومنهم من أخذته إلى ركبتيه، ومنهم من

أخذته إلى ثدييه، ومنهم من أخذته إلى عنقه، ولم تغش الوجوه. فيستخرجونهم منها، فيطرحون في ماء الحياة. قيل وما ماء الحياة يا." (١)

"رسول الله؟ قال: «غسل أهل الجنة فينبتون كما تنبت الزرعة في غثاء السيل. ثم تشفع الأنبياء في كل من كان يشهد أن لا إله إلا الله مخلصا، فيستخرجونهم منها، ثم يتحنن الله برحمته على من فيها فما يترك فيها عبدا في قلبه مثقال ذرة من الإيمان إلا أخرجه منها» . رواه ابن جرير.

وعن حفصة قالت: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «إني لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد شهد بدرا والحديبية» ، قالت فقلت: أليس الله يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ . قالت: فسمعته يقول: « ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ » . رواه أحمد وغيره.

قوله عز وجل: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (٧٣) وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا (٧٤) قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا (٧٥) ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا (٧٦) ﴾ .

عن ابن عباس: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا﴾ ، قال: المقام المسكن،

والندي: المجلس، والنعمة، والبهجة. قال قتادة: رأوا أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في عيشهم خشونة، وفيهم قشافة فعرض أهل الشرك بما تسمعون، ﴿وكم أهلكنا قبلهم من." (٢)

"وإلى أين يطير الفراش الحشرى إذا رأى نارا، أو أحس ضوءا؟

إنه لا وجهة له حينئذ إلا هذه النار وهذا الضوء!! وكذلك الناس، أو الفراش البشرى، لا مورد لهم إلا هذه النار التي سعرت وتأججت.. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: «وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا» (٧١: مريم) .

وما مصير هذا الفراش الحشرى المتدافع إلى النار؟ إنه يتقحمها، ويلقى بنفسه فيها، وكأن يدا قوية تدفعه إليها دفعا ليكون

(١) توفيق الرحمن في دروس القرآن فيصل المبارك ٦٤/٣

(٢) توفيق الرحمن في دروس القرآن فيصل المبارك ٦٥/٣

وقودا لها.. وقليل قليل هو الذي ينجو بنفسه، ويعدل بوجهه عن لهيبها..

كذلك شأن الفراش البشرى الوارد على نار جهنم، إنه وقود هذه النار إلا قليلا قليلا ممن أنجاهم الله منها، وكتب لهم الفوز بجنات النعيم، كما يقول سبحانه: «ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا» (٧٢: مريم) ..

فهذا القليل هو الذي يقف فى منطقة النور دون أن يتقحم النار..

وأما الكثير الغالب، فإنه يغشى فى هذا الضوء فيهوى فى جهنم.. إنه أعمى لا يرى إلى أين مساقه، لأنه حشر على ما كان فى الدنيا من عمى: «قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى» .. فالهلكى فى الآخرة كثيرون، والناجون قليل بل وأقل من القليل!! وأكاد أقول إن الناس سيكونون يوم القيامة على صورة الفراش حقيقة لا تشبيها، وذلك لهذا التوافق العجيب الدقيق بين الصورتين، - صورة الفراش الحشرى، وصورة الفراش البشرى- فى الملامح، والألوان، والظلال..." (١)

"مقترن دائما بجلب المصالح والمنافع.. على خلاف ما يكون من جلب المنافع، فإنه قد تجلب المنفعة، ولا يكون معها دفع مضرة.. مثل جلب المال إلى المال بعد سد حاجة الإنسان. فإن جلب المال لدفع الحاجة، هو دفع لضرر وجلب لمصلحة معا، وجلب المال لغير سد حاجة، هو جلب لمنفعة، لا يصحبه دفع ضرر.. وشتان بين الأمرين.. وفى هذا يقول الله تعالى:

«فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز» (١٨٥: آل عمران) ..

فالزحزحة عن النار دفع لضرر، جلب معه مصلحة، وهو دخول الجنة..

أما من دخل الجنة ابتداء من غير أن يتحقق أنه زحزح عن النار، فإن شبح النار لا يزال مطلا عليه، لأنه لم يعلم حقيقة أمره مع النار..

ولعل هذا هو السر فى قوله تعالى: «وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا، ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا» (٧١- ٧٢: مريم) .

وقوله تعالى: «إن عذاب ربهم غير مأمون» ..

أي أن المؤمن- مع إيمانه بالله، وإقامته الصلاة. وإيتائه الزكاة، وتصديقه باليوم الآخر- كل ذلك لا يخلى نفسه من الشعور بالخوف من الله، والوقوع تحت طائلة عذابه.. فما أحد يدرى ما الله صانع به، وما أحد يدرى أهو من أهل الجنة أم من أهل النار، وإن كان- مع هذا- طريق قائم على الجنة، وأعمال تبلغ بالعاملين على هذا الطريق، إلى الجنة.. وطريق قائم على النار، وأعمال تسوق العاملين على هذا الطريق، إلى النار..

ثم الحكم بعد هذا كله إلى الله وحده، «يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما» .. (٣١: الإنسان)." (٢)

---

(١) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ١٤/٥٥٢

(٢) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ١٥/١١٨٠

"والجزاء، ولو كان علما عن يقين، لتغير حالكم، ولما كان هذا موقفكم فى الحياة..

فلو كنتم تعلمون علم اليقين «لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين» ، وأنتم فى هذه الدنيا، ولعلتم أن العذاب هو جزاء أهل الضلال، وأن العاقل ليرى جهنم فى الدنيا وكأنها ماثلة بين عينيه، فيتوقاها بالإيمان بالله، والعمل الصالح، ويخاف مقام ربه، ويخشى لقاءه بما يجنى من منكرات.. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: «إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب» (١٨: فاطر) .

وقوله تعالى: «ثم لترونها عين اليقين» أي لرأيتم الجحيم فى الدنيا رؤية علمية يدلكم عليها العقل، فكأنها ماثلة بين أعينكم.. ثم إنكم بعد ذلك: «لترونها عين اليقين» أي رؤية بصرية، واقعية، حيث يشهدها كل من فى المحشر، ويراها رأى العين، كما يقول سبحانه: «وإن منكم إلا واردها» (٧١: مريم) وكما يقول جل شأنه: «وبرزت الجحيم لمن يرى» (٣٦: النازعات)

وتوكيد جواب «لو» هنا لتحقق وقوعه مستقبلا..

وذلك لأن «لو» حرف يمتنع جوابها لامتناع شرطها.. وذلك محقق فى الماضي، لأن الشرط لم يقع، فامتنع لذلك وقوع الجواب..

فإذا جاء الشرط والجواب مضارعين، كان الحكم معلقا، فقد يقع الشرط فيقع تبعا لذلك الجواب، وقد لا يقع الشرط فلا يقع الجواب.. تقول لو جاء الضيف لأكرمته.. وهذا يعنى أن الضيف لم يجيء وبالتالى لم يقع إكرامه..

وتقول لو يجيء الضيف لأكرمنه.. فالضيف لم يجيء بعد، وقد يجيء، فإذا جاء لم يكن بد من إكرامه.. والتوكيد للفعل هنا واجب، لأنه حل محل." (١)

"لأرحم الراحمين، الذي لو شاء لمسخهم قردة وخنازير، ولو شاء لرماهم بكل داء، ولأخذ سمعهم، وأبصارهم، وسلط عليهم من الأوبئة ما يجعل أنفاسهم تتقطع أنينا وصراخا.. إلى غير ذلك مما فى قدرة الله، ومما رأوا منه مارأوا فى بعض الناس منهم..

فهؤلاء المجرمون- وتلك رحمة الله بهم- يخرجون عن طاعة الرحمن، بل ويحاربونه، بل ويستعلون على الولاء له، والانقياد لأمره..

والصورة تمثل معركة بين هؤلاء العتاة المجرمين، وبين رحمة الله.. حيث تدعوهم الرحمة إلى رحابها، وتفسح لهم الطريق إليها، وهم يتأبون عليها، ويتفلتون منها.. فهم فى هذا أشبه بالمغالبين لرحمة الله، وهذا أسوأ ما يمكن أن تكون عليه حال إنسان.. من شقاء غليظ، لا تنفذ إليه فيه بارقة من رجاء فى عافية، أو خروج من بلاء..!

الآيات: (٧١- ٧٢) [سورة مريم (١٩) : الآيات ٧١ الى ٧٢]

وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)

التفسير:

---

(١) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ١٦/١٦٦٦

قوله تعالى: «وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا» .

[جهنم.. هل يردها الناس جميعا؟]

الضمير فى واردها يعود إلى جهنم، المذكورة فى قوله تعالى: «ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا» ..." (١)

"أما الضمير فى «منكم» فقد اختلف فيه ويكاد إجماع المفسرين ينعقد على أن المراد به الناس جميعا، مؤمنهم وكافرهم.. بمعنى أن كل إنسان، حتى الأنبياء، والرسل، سيردون النار ويمرون بها، ويشهدون أهوالها، دون أن يصيبهم منها أذى، بل ستكون بردا، وسلاما عليهم.. ويأتون على هذا الرأى بأحاديث، وأقوال تشهد له!! ثم يقوى من هذا الرأى عندهم قوله تعالى: «ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا» ! ثم هم- من جهة أخرى- يدفعون ما قد يثور فى النفس من تخوف على المؤمنين من هذه التجربة التي يمرون بها، والتي إن سلمت منها أجسامهم، فلن تسلم منها مشاعرهم- هم يدفعون هذا، بأن المؤمنين حين يمرون بجهنم، ثم يخلصون منها إلى الجنة، يشهدون عظمة النعمة وجلالها، التي أنعم الله بها عليهم، إذ عافاهم من هذا البلاء العظيم، الذي رأوه رأى العين!! ونحن نرد هذا القول، ونأخذ بما هو أولى وأكرم بكرم الله، وفضله، وقدرته على إبلا غ نعمته إلى عباده المخلصين، خالصة من كل شائبة أو كدر! فنقول: إن الضمير فى «منكم» يعود إلى هؤلاء المجرمين الذين سيقوا إلى جهنم، واجتمعوا حولها جاثين على ركبهم، لم يدخلوها بعد.. ثم ينتزع من بينهم أئمتهم، وقادة الضلال والكفر فيهم، فيلقى بهم فى جهنم.. كما جاء فى قوله تعالى: «ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا» .

وإلى هنا لم يكن قد انكشف أمر الأتباع، المتعلقين بهؤلاء الأئمة..

فجاء قوله تعالى: «وإن منكم إلا واردها» ليكشف لهؤلاء الأتباع عن مصيرهم." (٢)

"وأنهم مأخوذون بما أخذ به هؤلاء القادة الذين سبقوهم إلى جهنم! «وإن منكم إلا واردها.. كان على ربك حتما مقضيا» أي أمرا قضى به الله سبحانه وتعالى على الظالمين، من الكافرين، والمشركين، وأصحاب الضلالات أن يردوا جهنم، وأن يقفوا على هذا المورد الوبيل، كما يقول سبحانه وتعالى: «إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا» (١٤٠: النساء) وكما يقول جل شأنه: «وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين» (١١٩: هود) وكما يقول سبحانه: «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون» (٩٨: الأنبياء) .. فجهنم هى الحكم الذي قضى به الحق جل وعلا على أهل الشقوة من الناس..

ثم إنه ليس يصح أن يكون من تكريم المؤمنين فى هذا اليوم، وعلى رأسهم الأنبياء، والرسل والصديقون، والأولياء، والأبرار، والشهداء- ليس يصح أن يكون من مظاهر تكريمهم أن يدخلوا فى هذه التجربة القاسية، وأن يردوا هذا المورد الجهنمى، وهم إنما سعوا إلى الله، وأحبوا لقاءه، ليخلصوا من أكدار الدنيا.. فهل مما يقع فى التصور أن يكون أول ما يلقونه فى الآخرة،

---

(١) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ٧٥٦/٨

(٢) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ٧٥٧/٨

هو هذا الوجه الكريه المشئوم منها، وهو جهنم؟

وكيف يرد المؤمنون وعلى رأسهم الأنبياء والرسل، هذا المورد الذي لا يرده إلا الخاطئون، والذي يصفه الحق تبارك وتعالى بقوله عن فرعون:

«يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود» (٩٨: هود) ؟

ثم كيف، والله سبحانه وتعالى يقول: «إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون." (١)

"لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون»

(١٠١- ١٠٣: الأنبياء) فهذا صريح قول الله تعالى، فيما يلقى المؤمنون الذين سبقت لهم من الله الحسنى، من كرامة، وتكريم، فى هذا اليوم، إنهم مبعدون عن جهنم، لا يسمعون حسيسها.. فكيف يردونها؟ ثم كيف يدخلونها؟ إنه على أي حال دخول فى محيط هذا البلاء العظيم، وإن خرجوا منه من غير أن يصيبهم من لظاها أذى! والمثل يقول: «حسبك من شر سماعه» فكيف بلقائه، والانغماس فيه؟

- أما قوله تعالى: «ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا» .. فهو معطوف على قوله تعالى: «فو ربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا» ..

فهذه الآيات تصور موقف الضالين والكافرين يوم القيامة، وما يلقون من بلاء وهوان، وأنهم جميعا واردون جهنم على دفعات.. الرؤساء أولا.. ثم المرءوسون ثانيا..

- وفى قوله تعالى: «ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا» بيان لما يكون للمتقين، ولعباد الله المكرمين فى هذا اليوم من تكريم، حيث يفوزون بالنجاة من هول هذا اليوم، ومن عذابه الأليم.. كما يقول سبحانه «فوقاهم الله شر ذلك اليوم، ولقاهم نضرة وسرورا» (١١: الإنسان) ..

أما أهل الشقوة فيتركون على ما هم فيه من بلاء وضنك، ونكال، حيث يشهدون بأعينهم هذا الركب الميمون، تزفه ملائكة الرحمن، إلى جنات النعيم، وإلى ما يرزقون فيها من كل طيب وكريم..

وتقديم الفصل هنا فى أمر أصحاب النار، على الفصل فى أصحاب الجنة، هو." (٢)

"مجذوذ»

(١٠٥- ١٠٨: هود) .

هذا ويمكن أن تؤول الآية الكريمة على وجه آخر، وهو أن قوله تعالى:

---

(١) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ٧٥٨/٨

(٢) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ٧٥٩/٨

«وإن منكم إلا واردها» يراد به أهل النار جميعا، على اختلاف حظوظهم السيئة منها.. سواء فى هذا من يخلدون فى النار من الكافرين والمشركين والمنافقين، أو من كان من المؤمنين، أصحاب الكبائر والصغائر..

ثم يجىء قوله تعالى بعد ذلك: «ثم ننجي الذين اتقوا» محتملا أن يراد به بعض أهل النار، وهم أولئك المؤمنون من أصحاب المنكرات.. فهؤلاء- لا شك- غير مخلدين فى النار، وإنما هم فيها أشبه بالمسجونين سجنا مؤقتا، سيخرجون منه حتما بعد استيفاء المدة المحكوم على كل واحد منهم بها.. ثم بعد هذا قوله تعالى: «ونذر الظالمين فيها جثيا» مبينا المصير الذي يعيش فيه الظالمون من الكافرين، والمشركين، والمنافقين، بعد أن انكشف المصير الذي صار إليه من كانوا معهم فى النار من عصاة المؤمنين..

الآيات: (٧٣- ٧٦) [سورة مريم (١٩) : الآيات ٧٣ الى ٧٦]

وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (٧٣) وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورءيا (٧٤) قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا (٧٥) ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا (٧٦)." (١)

"الأصول التي أسسوها. ولهم في التفسير تكلفات ثقيلة منها قولهم أن قوله تعالى: وعلى الأعراف رجال [الأعراف: ٤٦] أن جبلا يقال له الأعراف هو مقر أهل المعارف الذين يعرفون كلا بسيماهم. وأن قوله تعالى: وإن منكم إلا واردها [مريم: ٧١] أي لا يصل أحد إلى الله إلا بعد جوازه على الآراء الفاسدة إما في أيام صباه، أو بعد ذلك، ثم ينجي الله من يشاء. وإن قوله تعالى: اذهبا إلى فرعون إنه طغى [طه: ٤٣] أراد بفرعون القلب.

وقد تصدى للرد عليهم الغزالي في كتابه الملقب ب «المستظهري» . وقال إذا قلنا بالباطن فالباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر فيمكن تنزيل الآية على وجوه شتى اهـ. يعني والذي يتخذونه حجة لهم يمكن أن نقلبه عليهم وندعي أنه باطن القرآن لأن المعنى الظاهر هو الذي لا يمكن اختلاف الناس فيه لاستناده للغة الموضوعة من قبل.

وأما الباطن فلا يقوم فهم أحد فيه حجة على غيره اللهم إلا إذا زعموا أنه لا يتلقى إلا من الإمام المعصوم ولا إخالهم إلا قائلين ذلك. ويؤيد هذا ما وقع في بعض قراطيسهم قالوا:

«إنما ينتقل إلى البدل مع عدم الأصل، والنظر بدل من الخبر فإن كلام الله هو الأصل فهو خلق الإنسان وعلمه البيان والإمام هو خليفته ومع وجود الخليفة الذي يبين قوله فلا ينتقل إلى النظر اهـ وبين ابن العربي في كتاب «العواصم» شيئا من فضائح مذهبهم بما لا حاجة إلى التطويل به هنا.

فإن قلت فما

روي: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن للقرآن ظهرا وبطنا ومطلعا»

---

(١) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ٨/٧٦١

. وعن ابن عباس أنه قال: إن للقرآن ظهرا وبطنا. قلت لم يصح ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، بل المروي عن ابن عباس فمن هو المتصدي لروايته عنه؟ على أنهم ذكروا من بقية كلام ابن عباس أنه قال: «فظهره التلاوة وبطنه التأويل» فقد أوضح مراده إن صح عنه بأن الظهر هو اللفظ والبطن هو المعنى. ومن تفسير الباطنية «تفسير القاشاني» وكثير من أقوالهم مبثوث في «رسائل إخوان الصفاء» .

أما ما يتكلم به أهل الإشارات من الصوفية في بعض آيات القرآن من معان لا تجري على ألفاظ القرآن ظاهرا ولكن بتأويل ونحوه فينبغي أن تعلموا أنهم ما كانوا يدعون أن كلامهم في ذلك تفسير للقرآن، بل يعنون أن الآية تصلح للتمثل بها في الغرض المتكلم فيه، وحسبكم في ذلك أنهم سموها إشارات ولم يسموها معاني، فبذلك فارق قولهم قول الباطنية. ولعلماء الحق فيها رأيان: فالغزالي يراها مقبولة، قال

في كتاب من «الإحياء» (١) : إذا قلنا في

قوله صلى

---

(١) ج ١/ ٤٩- دار المعرفة- «كتاب العلم» . الباب الخامس: في آداب المتعلم والمعلم. انظر أيضا: «إتحاف الزبيدي» ١/ ٣٠٦.." (١)

"وذكر السيوطي في «الإتقان» قولا بأن قوله تعالى: وإن **منكم إلا واردها** [مريم: ٧١] الآية مدني، ولم يعزه لقائل.

وهي السورة الرابعة والأربعون في ترتيب النزول نزلت بعد سورة فاطر وقبل سورة طه. وكان نزول سورة طه قبل إسلام عمر بن الخطاب كما يؤخذ من قصة إسلامه فيكون نزول هذه السورة أثناء سنة أربع من البعثة مع أن السورة مكية، وليس أبو مريم هذا معدودا في المسلمين الأولين فلا أحسب الحديث المروي عنه مقبولا.

ووجه التسمية أنها بسطت فيها قصة مريم وابنها وأهلها قبل أن تفصل في غيرها.

ولا يشبهها في ذلك إلا سورة آل عمران التي نزلت في المدينة.

وعدت آياتها في عدد أهل المدينة ومكة تسعا وتسعين. وفي عدد أهل الشام والكوفة ثمانا وتسعين.

أغراض السورة

ويظهر أن هذه السورة نزلت للرد على اليهود فيما اقترفوه من القول الشنيع في مريم وابنها، فكان فيها بيان نزاهة آل عمران وقداستهم في الخير.

وهل يثبت الخطي إلا وشيجه ثم التنويه بجمع من الأنبياء والمرسلين من أسلاف هؤلاء وقرابتهم.

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٣٤/١

والإنحاء على بعض خلفهم من ذرياتهم الذين لم يكونوا على سننهم في الخير من أهل الكتاب والمشركين وأتوا بفاحش من القول إذ نسبوا لله ولدا، وأنكر المشركون منهم البعث وأثبت النصارى ولدا لله تعالى.." (١)

"وحرفا الجر يتعلقان بأفعل التفضيل.

[٧١- ٧٢]

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٧١ إلى ٧٢]

وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)

لما ذكر انتزاع الذين هم أولى بالنار من بقية طوائف الكفر عطف عليه أن جميع طوائف الشرك يدخلون النار، دفعا لتوهم أن انتزاع من هو أشد على الرحمان عتيا هو قصارى ما ينال تلك الطوائف من العذاب بأن يحسبوا أن كبراءهم يكونون فداء لهم من النار أو نحو ذلك، أي وذلك الانتزاع لا يصرف بقية الشيع عن النار فإن الله أوجب على جميعهم النار.

وهذه الجملة معترضة بين جملة فو ربك لنحشرنهم [مريم: ٦٨] إلخ وجملة وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا [مريم: ٧٣] إلخ ...

فالخطاب في وإن منكم إلتفات عن الغيبة في قوله لنحشرنهم ولنحضرنهم [مريم: ٦٨] عدل عن الغيبة إلى الخطاب ارتقاء في المواجهة بالتهديد حتى لا يبقى مجال للالتباس المراد من ضمير الغيبة فإن ضمير الخطاب أعرف من ضمير الغيبة.

ومقتضى الظاهر أن يقال: وإن منهم إلا واردها. وعن ابن عباس أنه كان يقرأ وإن منهم.

وكذلك قرأ عكرمة وجماعة.

فالمعنى: وما منكم أحد ممن نزع من كل شيعة وغيره إلا وارد جهنم حتما قضاه الله فلا مبدل لكلماته، أي فلا تحسبوا أن تنفعكم شفاعتهم أو تمنعكم عزة شيعكم، أو تلقون التبعة على سادتكم وعظماء أهل ضلالكم، أو يكونون فداء عنكم من النار.." (٢)

"وهذا نظير قوله تعالى: إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين وإن جهنم لموعدهم أجمعين [الحجر: ٤٢، ٤٣] ، أي الغاوين وغيرهم.

وحرف (إن) للنفي.

والورود: حقيقته الوصول إلى الماء للاستقاء. ويطلق على الوصول مطلقا مجازا شائعا، وأما إطلاق الورود على الدخول فلا يعرف إلا أن يكون مجازا غير مشهور فلا بد له من قرينة.

وجملة ثم ننجي الذين اتقوا زيادة في الارتقاء بالوعيد بأنهم خالدون في العذاب، فليس ورودهم النار بموقت بأجل.

وثم للترتيب الرتبي تنويها بإنجاء الذين اتقوا وتشويها بحال الذين يبقون في جهنم جثيا. فالمعنى: وعلاوة على ذلك ننجي

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٥٨/١٦

(٢) التحرير والتنوير ابن عاشور ١٤٩/١٦

الذين اتقوا من ورود جهنم. وليس المعنى: ثم ينجي المتقين من بينهم بل المعنى أنهم نجوا من الورود إلى النار. وذكر إنجاء المتقين: أي المؤمنين، إدماج ببشارة المؤمنين في أثناء وعيد المشركين.

وجملة ونذر الظالمين فيها جثيا عطف على جملة وإن منكم إلا واردها.

والظالمون: المشركون.

والتعبير بالذين ظلموا إظهار في مقام الإضمار. والأصل: ونذركم أيها الظالمون.

ونذر: نترك، وهو مضارع ليس له ماض من لفظه، أمات العرب ماضي (نذر) استغناء عنه بماضي (ترك)، كما تقدم عند قوله تعالى: ثم ذرهم في خوضهم يلعبون في سورة الأنعام [٩١].

فليس الخطاب في قوله وإن منكم إلا واردها لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم على معنى ابتداء كلام بحيث يقتضي أن المؤمنين." (١)

"ومنهم من تأول ورود جهنم بمرور الصراط، وهو جسر على جهنم، فساقوا الأخبار المروية في مرور الناس على الصراط متفاوتين في سرعة الاجتياز. وهذا أقل بعدا من الذي قبله.

وروى الطبري وابن كثير في هذين المحملين أحاديث لا تخرج عن مرتبة الضعف مما رواه أحمد في «مسنده» والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول». وأصح ما في الباب ما

رواه أبو عيسى الترمذي قال: «يرد الناس النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم»

الحديث في مرور الصراط.

ومن الناس من لفق تعضيدا لذلك

بالحديث الصحيح: أنه «لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم»

فتأول تحلة القسم بأنها ما في هذه الآية من قوله

تعالى: وإن منكم إلا واردها وهذا محمل باطل، إذ ليس في هذه الآية قسم يتحلل، وإنما معنى الحديث: أن من استحق عذابا من المؤمنين لأجل معاص فإذا كان قد مات له ثلاثة من الولد كانوا كفارة له فلا يلج النار إلا ولوجا قليلا يشبه ما يفعل لأجل تحلة القسم، أي التحلل منه. وذلك أن المقسم على شيء إذا صعب عليه بر قسمه أخذ بأقل ما يتحقق فيه ما حلف عليه،

فقوله «تحلة القسم»

تمثيل.

ويروى عن بعض السلف روايات أنهم تخوفوا من ظاهر هذه الآية، من ذلك ما نقل عن عبد الله بن رواحة، وعن الحسن البصري، وهو من الوقوف في موقف الخوف من شيء محتمل.

وذكر فعل نذر هنا دون غيره للإشعار بالتحقير، أي نتركهم في النار لا نعبأ بهم، لأن في فعل الترك معنى الإهمال.

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ١٥٠/١٦

والحتم: أصله مصدر حتمه إذ جعله لازما، وهو هنا بمعنى المفعول، أي محتوما على الكافرين، والمقضي: المحكوم به. وجثي تقدم.." (١)

"وذكر الرحمن هنا حكاية لقولهم بالمعنى، وهم لا يذكرون اسم الرحمان ولا يقرون به، وقد أنكروه كما حكى الله عنهم: وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن [الفرقان: ٦٠] ، فهم إنما يقولون: اتخذ الله ولدا كما حكي عنهم في آيات كثيرة منها آية سورة الكهف [٤] . فذكر الرحمن هنا وضع للمرادف في موضع مرادفه، فذكر اسم الرحمن لقصد إغاظتهم بذكر اسم أنكروه.

وفيه أيضا إيماء إلى اختلال قولهم لمنافاة وصف الرحمان اتخاذ الولد كما سيأتي في قوله: وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا.

والخطاب في لقد جئتم للذين قالوا اتخذ الرحمان ولدا، فهو التفات لقصد إبلاغهم التوبيخ على وجه شديد الصراحة لا يلتبس فيه المراد، كما تقدم في قوله آنفا:

وإن **منكم إلا واردها** [مريم: ٧١] فلا يحسن تقدير: قل لقد جئتم.

وجملة لقد جئتم شيئا إدا مستأنفة لبيان ما اقتضته جملة وقالوا اتخذ الرحمن ولدا من التشنيع والتفظيع.

وقرأ نافع والكسائي بياء تحتية على عدم الاعتداد بالتأنيث، وذلك جائز في الاستعمال إذا لم يكن الفعل رافعا لضمير مؤنث متصل، وقرأ البقية: تكاد بالتاء المثناة الفوقية، وهو الوجه الآخر.

والتفطر: الانشقاق، والجمع بينه وبين وتنشق الأرض تفنن في استعمال المترادف لدفع ثقل تكرير اللفظ. والخرور: السقوط.

ومن في قوله: منه للتعليل، والضمير المجرور بمن عائد إلى شيئا إدا، أو إلى القول المستفاد من قالوا اتخذ الرحمن ولدا.." (٢)

"ومدين: قوم من ذرية مدين بن إبراهيم. وقد مضى الكلام عليهم عند قوله تعالى وإلى مدين أخاهم شعيبا في سورة الأعراف [٨٥] .

وأرض مدين واقعة على الشاطئ الغربي من البحر الأحمر وكان موسى قد سلك إليها عند خروجه من بلد (رعمسيس) أو (منفيس) طريقا غربية جنوبية فسلك برية تمر به على أرض العمالقة وأرض الأدوميين ثم بلاد النبط إلى أرض مدين. تلك مسافة ثمانمائة وخمسين ميلا تقريبا. وإذ قد كان موسى في سيره ذلك راجلا فتلك المسافة تستدعي من المدة نحوا من خمسة وأربعين يوما. وكان يبيت في البرية لا محالة. وكان رجلا جلدا وقد ألهمه الله سواء السبيل فلم يضل في سيره.

والسواء: المستقيم النهج الذي لا التواء فيه. وقد ألهمه الله هذه الدعوة التي في طيها توفيقه إلى الدين الحق.

[٢٣، ٢٤]

[سورة القصص (٢٨) : الآيات ٢٣ إلى ٢٤]

ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ١٥٢/١٦

(٢) التحرير والتنوير ابن عاشور ١٧٠/١٦

يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير (٢٣) فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير (٢٤)

يدل قوله لما ورد ماء مدين أنه بلغ أرض مدين، وذلك حين ورد ماءهم.

والورود هنا معناه الوصول والبلوغ كقوله تعالى وإن **منكم إلا واردها** [مريم: ٧١] .

والمراد بالماء موضع الماء. وماء القوم هو الذي تعرف به ديارهم لأن القبائل كانت تقطن عند المياه وكانوا يكنون عن أرض القبيلة بماء بني فلان، فالمعنى: ولما ورد، أي عند ما بلغ بلاد مدين. ويناسب الغريب إذا جاء ديار قوم أن يقصد الماء لأنه مجتمع الناس فهنالك يتعرف لمن يصاحبه ويضيفه.

ولما حرف توقيت وجود شيء بوجود غيره، أي عند ما حل بأرض مدين وجد أمة.." (١)

"أي كما وأعربت ما لم تضف ... وصدر وصلها ضمير انحذف

وبعضهم أعرب مطلقا. . . . . .إلخ.

ويدل على صحة قول سيبويه رحمه الله قول غسان بن وعلة:

إذا ما لقيت بني مالك ... فسلم على أيهم أفضل

والرواية بضم «أيهم» ، وخالف الخليل ويونس وغيرهما سيبويه في «أي» المذكورة، فقال الخليل: إنها في الآية استفهامية محكية بقول مقدر والتقدير: ثم لننزعن من كل شيعة الذي يقال فيه أيهم أشد ؛ وأنشد الخليل لهذا المعنى الذي ذهب إليه قول الشاعر:

ولقد أبيت من الفتاة بمنزل ... فأبيت لا حرج ولا محروم

أي: فأبيت بمنزلة الذي يقال له: لا هو حرج ولا محروم.

وأما يونس فذهب إلى أنها استفهامية أيضا ؛ لكنه حكم بتعليق الفعل قبلها بالاستفهام لأن التعليق عنده لا يختص بأفعال القلوب، واحتج لسيبويه على الخليل ويونس ومن تبعهما ببيت غسان بن وعلة المذكور آنفا ؛ لأن الرواية فيه بضم «أيهم» ، مع أن حروف الجر، لا يضمر بينها وبين معمولها قول ولا تعلق على الأصوب، وإن خالف فيه بعضهم ببعض التأويلات، ومما ذكرنا تعلم أن ما ذكره بعضهم من أن جميع النحويين غلطوا سيبويه في قوله هذا في «أي» في هذه الآية الكريمة خلاف التحقيق، والعلم عند الله تعالى.

وقرأه حمزة والكسائي وحفص عتيا بكسر العين، وصليا بكسر الصاد للإتباع، وقرأ الباقون بالضم فيهما على الأصل.

قوله تعالى: وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا.

اختلف العلماء في المراد بورود النار في هذه الآية الكريمة على أقوال:

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٩٨/٢٠

الأول: أن المراد بالورود الدخول، ولكن الله يصرف أذاها عن عباده المتقين عند ذلك الدخول.

الثاني: أن المراد بورود النار المذكور: الجواز على الصراط ؛ لأنه جسر منصوب على متن جهنم.." (١)

"الدنيا بحديث «الحمى من فيح جهنم، فأبردوها بالماء» ، وهو حديث متفق عليه من حديث عائشة وأسماء ابنتي أبي بكر، وابن عمر ورافع بن خديج رضي الله عنهم، ورواه البخاري أيضا مرفوعا عن ابن عباس.

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: قد دلت على أن الورود في الآية معناه الدخول أدلة، الأول: هو ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما من أن جميع ما في القرآن من ورود النار معناه دخولها غير محل النزاع، فدل ذلك على أن محل النزاع كذلك، وخير ما يفسر به القرآن القرآن.

الدليل الثاني: هو أن في نفس الآية قرينة دالة على ذلك، وهي أنه تعالى لما خاطب جميع الناس بأنهم سيردون النار برهم وفاجرهم بقوله: وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا [١٩ \ ٧٠ - ٧١] ، بين مصيرهم ومآلهم بعد ذلك الورود المذكور بقوله: ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها [١٩ \ ٧٢] ، أي: نترك الظالمين فيها، دليل على أن ورودهم لها دخولهم فيها، إذ لو لم يدخلوها لم يقل: ونذر الظالمين فيها بل يقول: وندخل الظالمين، وهذا واضح كما ترى، وكذلك قوله: ثم ننجي الذين اتقوا، دليل على أنهم وقعوا فيما من شأنه أنه هلكة، ولذا عطف على قوله: وإن **منكم إلا واردها** **قوله**: ثم ننجي الذين اتقوا.

الدليل الثالث: ما روي من ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال صاحب الدر المنثور في الكلام على هذه الآية الكريمة: أخرج أحمد وعبد بن حميد، والحكيم الترمذي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في البعث، عن أبي سمية قال: اختلفنا في الورود فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضهم: يدخلونها جميعا ثم ينجي الله الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فذكرت له ذلك فقال وأهوى بأصبعيه إلى أذنيه: صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم، حتى إن للنار ضجيجا من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا» اهـ. وقال ابن حجر في) الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (في هذا الحديث: رواه أحمد وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد قالوا: حدثنا سليمان بن حرب، وأخرجه أبو يعلى والنسائي في الكنى، والبيهقي في الشعب في باب النار، والحكيم في النوادر، كلهم من طريق سليمان، قال: حدثنا أبو صالح غالب بن سليمان، عن كثير بن زياد عن أبي سمية قال: اختلفنا في الورود فسألنا جابرا فذكر الحديث أتم من اللفظ." (٢)

"الذي ذكره الزمخشري، وخالفهم كلهم الحاكم فرواه من طريق سليمان بهذا الإسناد فقال: عن سمية الأزدية عن عبد الرحمن بن شيبة. بدل أبي سمية عن جابر. اهـ. وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: قال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا غالب بن سليمان، عن كثير بن زياد البرساني، عن أبي سمية، قال: اختلفنا في الورود فقال بعضنا: لا

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٣/٤٧٧

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٣/٤٧٩

يدخلها مؤمن، وقال بعضهم: يدخلونها جميعا ثم ينجي الله الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبد الله فقلت: إنا اختلفنا في الورود فقال: يدخلونها جميعا، ثم ذكر الحديث المتقدم، ثم قال ابن كثير رحمه الله: غريب ولم يخرجوه.

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: الظاهر أن الإسناد المذكور لا يقل عن درجة الحسن لأن طبقته الأولى: سليمان بن حرب، وهو ثقة إمام حافظ مشهور، وطبقته الثانية: أبو صالح أو أبو سلمة غالب بن سليمان العتكي الجهضمي الخراساني أصله من البصرة، وهو ثقة، وطبقته الثالثة: كثير بن زياد أبو سهل البرساني بصري نزل بلخ، وهو ثقة، وطبقته الرابعة: أبو سمية وقد ذكره ابن حبان في الثقات، قاله ابن حجر في تهذيب التهذيب. وبتوثيق أبي سمية المذكور تتضح صحة الحديث ؛ لأن غيره من رجال هذا الإسناد ثقات معروفون، مع أن حديث جابر المذكور يعتضد بظاهر القرآن وبالآيات الأخرى التي استدل بها ابن عباس وآثار جاءت عن علماء السلف رضي الله عنهم كما ذكره ابن كثير عن خالد بن معدان، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه، وذكره هو وابن جرير عن أبي ميسرة، وذكره ابن كثير عن عبد الله بن المبارك عن الحسن البصري، كلهم يقولون: إنه ورود دخول، وأجاب من قال بأن الورود في الآية الدخول عن قوله تعالى: أولئك عنها مبعدون [٢١ \ ١٠١] ، بأنهم مبعدون عن عذابها وألمها، فلا ينافي ذلك ورودهم إياها من غير شعورهم بألم ولا حر منها، كما أوضحناه في كتابنا «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» في الكلام على هذه الآية الكريمة.

وأجابوا عن الاستدلال بحديث «الحمى من فيح جهنم» ، بالقول بموجبه، قالوا: الحديث حق صحيح ولكنه لا دليل فيه لمحل النزاع ؛ لأن السياق صريح في أن الكلام في النار في الآخرة وليس في حرارة منها في الدنيا ؛ لأن أول الكلام قوله تعالى: فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا إلى أن قال وإن منكم إلا واردها [١٩ \ ٦٨ - ٧٠] ، فدل على أن كل ذلك في الآخرة لا في الدنيا كما ترى.

والقراءة في قوله: جثيا، كما قدمنا في قوله:." (١)

"ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا.

وقوله: ثم ننجي، قراءة الكسائي بإسكان النون الثانية وتخفيف الجيم، وقرأه الباقون بفتح النون الثانية وتشديد الجيم، وقد ذكرنا في كتابنا) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (أن جماعة رووا عن ابن مسعود: أن ورود النار المذكور في الآية هو المرور عليها ؛ لأن الناس تمر على الصراط وهو جسر منصوب على متن جهنم، وأن الحسن وقتادة روي عنهما نحو ذلك أيضا، وروي عن ابن مسعود أيضا مرفوعا: «أنهم يردونها جميعا ويصدرون عنها بحسب أعمالهم» ، وعنه أيضا تفسير الورود بالوقوف عليها، والعلم عند الله تعالى.

وقوله تعالى في الآية الكريمة: كان على ربك حتما مقضيا، يعني أن ورودهم النار المذكور كان حتما على ربك مقضيا، أي: أمرا واجبا مفعولا لا محالة، والحتم: الواجب الذي لا محيد عنه، ومنه قول أمية بن أبي الصلت الثقفي:

عبادك يخطئون وأنت رب ... بكفيك المنايا والحتوم

فقوله: «والحتوم» : جمع حتم، يعني الأمور الواجبة التي لا بد من وقوعها، وما ذكره جماعة من أهل العلم من أن المراد

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٣/٤٨٠

بقوله: حتما مقضيا قسما واجبا، كما روي عن عكرمة وابن مسعود ومجاهد وقتادة وغيرهم – لا يظهر كل الظهور.

واستدل من قال: إن في الآية قسما، بحديث أبي هريرة الثابت في الصحيحين، قال البخاري في صحيحه: حدثنا علي، حدثنا سفيان قال: سمعت الزهري عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم» قال أبو عبد الله: وإن **منكم إلا واردها اهـ**. وقال مسلم في صحيحه: حدثنا يحيى بن يحيى قال: قرأت على مالك، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم» ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وعمرو الناقد، وزهير بن حرب قالوا، حدثنا سفيان بن عيينة) ح (وحدثنا عبد بن حميد، وابن رافع، عن عبد الرزاق، أخبرنا معمر كلاهما عن الزهري بإسناد مالك، وبمعنى حديثه إلا أن في حديث سفيان «فيلج النار إلا تحلة القسم» اهـ.

قالوا: المراد بالقسم المذكور في هذا الحديث الصحيح هو قوله تعالى: وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا، وهو معنى ما ذكرنا عن البخاري في قوله: قال أبو عبد الله وإن منكم إلا واردها." (١)

"والذين استدلوا بالحديث المذكور على أن الآية الكريمة قسم اختلفوا في موضع القسم من الآية، فقال بعضهم: هو مقدر دل عليه الحديث المذكور، أي: والله إن منكم إلا واردها، وقال بعضهم: هو معطوف على القسم قبله، والمعطوف على القسم قسم، والمعنى: فوربك لنحشرنهم والشياطين وربك إن منكم إلا واردها، وقال بعضهم: القسم المذكور مستفاد من قوله: كان على ربك حتما مقضيا أي: قسما واجبا كما قدمناه عن ابن مسعود ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، وقال بعضهم: يحتمل أن يكون المراد بالقسم ما دل على القطع والبت من السياق، فإن قوله تعالى: كان على ربك حتما مقضيا، تذييل وتقرير لقوله: وإن منكم إلا واردها، وهذا بمنزلة القسم في تأكيد الإخبار، بل هذا أبلغ للحصر في الآية بالنفي والإثبات.

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: الذي يظهر لي والله تعالى أعلم أن الآية ليس يتعين فيها قسم ؛ لأنها لم تقترن بأداة من أدوات القسم، ولا قرينة واضحة دالة على القسم، ولم يتعين عطفها على القسم، والحكم بتقدير قسم في كتاب الله دون قرينة ظاهرة فيه، زيادة على معنى كلام الله بغير دليل يجب الرجوع إليه، وحديث أبي هريرة المذكور المتفق عليه لا يتعين منه أن في الآية قسما ؛ لأن من أساليب اللغة العربية التعبير بتحلة القسم عن القلة الشديدة وإن لم يكن هناك قسم أصلا، يقولون: ما فعلت كذا إلا تحلة القسم، يعنون إلا فعلا قليلا جدا قدر ما يحلل به الحالف قسمه، وهذا أسلوب معروف في كلام العرب، ومنه قول كعب بن زهير في وصف ناقته:

تخدي على يسرات وهي لاصقة ... ذوابل مسهن الأرض تحليل

يعني: أن قوائم ناقته لا تمس الأرض لشدة خفتها إلا قدر تحليل القسم، ومعلوم أنه لا يمين من ناقته أنها تمس الأرض حتى يكون ذلك المس تحليلا لها كما ترى، وعلى هذا المعنى المعروف، فمعنى قوله صلى الله عليه وسلم «إلا تحلة» ، أي: لا يلج

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٤٨١/٣

النار إلا ولوجا قليلا جدا لا ألم فيه ولا حر، كما قدمنا في حديث جابر المرفوع، وأقرب أقوال من قالوا: إن في الآية قسما، قول من قال: إنه معطوف على قوله: فوربك لنحشرنهم ؛ لأن الجمل المذكورة بعده معطوفة عليه، كقوله: ثم لنحضرنهم، وقوله: ثم لننزعن وقوله: ثم لنحن أعلم لدلالة قرينة لام القسم في الجمل المذكورة على ذلك، أما قوله: وإن منكم إلا واردها، فهو محتمل للعطف أيضا، ومحتمل للاستئناف، والعلم عند الله تعالى.." (١)

"[٩ \ ٧١ - ٧٢] .

وهذه أيضا أخص صفات أهل الجنة، من الرحمة والرضوان، والخلود، والإقامة الدائمة في جنات عدن، إذ العدن الإقامة الدائمة، ومنها المعدن لدوام إقامته في مكانه، ورضوان من الله أكبر.

ثم يأتي الختام في المقامين متحدا، وهو الحكم بالفوز لأصحاب الجنة، ففي آية «التوبة» : ذلك هو الفوز العظيم وفي آية «الحشر» : أصحاب الجنة هم الفائزون [٥٩ \ ٢٠] ، وبهذا علم من هم أصحاب النار، ومن هم أصحاب الجنة.

وتبين ارتباط هذه المقابلة بين هذين الفريقين، وبين ما قبلهم ممن نسوا فأنساهم أنفسهم، ومن اتقوا الله وقدموا لغدهم، وبهذا يعلم أن عصاة المسلمين غير داخلين هنا في أصحاب النار، لما قدمنا من أن أصحاب النار هم المختصون بها ممن كفروا بالله وكذبوا بآياته، وكما يشهد لهذا قوله تعالى: وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا [١٩ \ ٧١ - ٧٢] ، والظالمون هنا هم المشركون في ظلمهم أنفسهم.

وبهذا يرد على المعتزلة أخذهم من هذه الآية عدم دخول أصحاب الكبيرة الجنة على أنهم في زعمهم لو دخلوها لاستووا مع أصحاب الجنة.

وهذا باطل كما قدمنا، ومن ناحية أخرى يرد بها عليهم، وهي أن يقال: إذا خلد العصاة في النار على زعمكم مع ما كان منهم من إيمان بالله وعمل صالح فماذا يكون الفرق بينهم وبين الكفار والمشركين، وتقدم قوله تعالى: أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض [٣٨ \ ٢٨] .

وقد بحث الشيخ - رحمة الله تعالى عليه - مسألة بقاء العصاة وخروجهم من النار وخلود الكفار فيها بحثا واسعا في دفع إيهام الاضطراب في سورة «الأنعام» فليرجع إليه.

وقد استدل الشافعي - رحمه الله - بهذه الآية أن المسلم لا يقتل بالذمي ولا بكافر." (٢)

"وهو كما هو هنا: فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى [٩٢ \ ١٤ - ١٦] ، وهو المعنى في قوله قبله: وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى [٩٢ \ ٨ - ٩] ، مما يدل أن للنار عدة حالات أو مناطق أو منازل، كل منزلة تختص بصنف من الناس، فاختصت لظى بهذا الصنف، واختصت سقر بمن لم يكن من المصلين، وكانوا يخوضون مع الخائضين، ونحو ذلك. ويشهد له قوله: إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار [٤ \ ١٤٥] ، كما أن الجنة منازل ودرجات، حسب أعمال المؤمنين. والله تعالى أعلم.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٤٨٢/٣

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٦١/٨

قوله تعالى: لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى

هذه الآية من مواضع الإيهام، ولم يتعرض لها في دفع إيهام الاضطراب، وهو أنها تنص وعلى سبيل الحصر، أنه لا يصلى النار إلا الأشقى مع مجيء قوله تعالى: وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا [١٩ \ ٧١] ؛ مما يدل على ورود الجميع.

والجواب من وجهين: الأول كما قال الزمخشري: إن الآية بين حالي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين، فأريد أن يبالغ في صفتيهما المتناقضتين.

فقيل: الأشقى وجعل مختصا بالصلى، كأن النار لم تخلق إلا له، وقال الأتقى، وجعل مختصا بالجنة، وكأن الجنة لم تخلق إلا له، وقيل عنهما: هما أبو جهل، أو أمية بن خلف المشركين، وأبو بكر الصديق – رضي الله عنه – حكاه أبو حيان عن الزمخشري.

والوجه الثاني: هو أن الصلى الدخول والشيء، وأن يكون وقود النار على سبيل الخلود، والورود والدخول المؤقت بزمن غير الصلى ؛ لقوله في آية الورود، التي هي قوله تعالى: وإن منكم إلا واردها [١٩ \ ٧١] ، ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا [١٩ \ ٧٢] ، ويبقى الإشكال، بين الذين اتقوا وبين الأتقى، ويجاب عنه: بأن التقي يرد، والأتقى لا يشعر بورودها، كمن يمر عليها كالبرق الخاطف. والله تعالى أعلم.

ولولا التأكيد في آية الورود بالمجيء بحرف " من " و " إلا "، وقوله: كان على ربك حتما مقضيا، لولا هذه المذكورات لكان يمكن أن يقال: إنها مخصوصة بهذه." (١)

"وأصرح دليل لإثبات عذاب القبر من القرآن، هو قوله تعالى: النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ؛ لأن الأول في الدنيا، والثاني في الآخرة.

قوله تعالى: كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين.

لو: هنا شرطية، جوابها محذوف باتفاق قدره ابن كثير أي لو علمتم حق العلم، لما ألهاكم التكاثر عن طلب الآخرة، حتى صرتم إلى المقابر، وعلم اليقين: أجاز أبو حيان إضافة الشيء لنفسه، أي: لمغايرة الوصف، إذ العلم هو اليقين، ولكنه آكد منه.

وعن حسان قوله:

سرنا وساروا إلى بدر لحتفهم ... لو يعلمون يقين العلم ما ساروا

و «لترون الجحيم» : جواب لقسم محذوف.

وقال: المراد برؤيتها عند أول البعث، أو عند الورود، أو عند ما يتكشف الحال في القبر.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٥٥١/٨

«ثم لترونها عين اليقين» : قيل: هذا للكافر عند دخولها، هذا حاصل كلام المفسرين.

ومعلوم أن هذا ليس لمجرد الإخبار برؤيتها، ولكن وعيد شديد وتخويف بها ؛ لأن مجرد الرؤية معلوم: «وإن منكم إلا واردها» [١٩ \ ٧١] ، ولكن هذه الرؤية أخص، كما في قوله: ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها [١٨ \ ٥٣] ، أي: أيقنوا بدليل قوله: ولم يجدوا عنها مصرفا [١٨ \ ٥٣] .

وقد يبدو وجه في هذا المقام، وهو أن الرؤية هنا للنار نوعان:

الرؤية الأولى: رؤية علم وتيقن، في قوله: لو تعلمون علم اليقين، علما تستيقنون به حقيقة يوم القيامة لأصبحتم بمثابة من يشاهد أهواله ويشهد بأحواله، كما في حديث الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه» .." (١)

"﴿وإن منكم إلا واردها﴾ المراد بالورود: الدخول؛ فتكون على المؤمنين بردا وسلاما؛ كما كانت على إبراهيم." (٢)

"يكون معطوفا على أمر مقدر يدل على المعنى أي فافعل كذا وكحل كما قيل في لأرجمنك واهجرني ان التقدير فاحذرني واهجرني مليا لدلالة لأرجمنك.

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٦٦ الى ٧٢]

ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا (٦٦) أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٧) فو ربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠)

وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)

اللغة:

(جثيا) : بضم الجيم وكسرها وبهما قرئ جمع جاث من جثا يجثو أجثى ويجثي لغتان: أي جلس على ركبتيه أو قام على أطراف أصابعه فهو جاث.

(صليا) : بكسر الصاد وضمها وبهما قرئ مصدر صلي بكسر اللام وفتحها النار أي دخلها.." (٣)

"واللام واقعة في جواب القسم ونحشرنهم فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن والهاء مفعول به والشياطين عطف على الهاء أو الواو بمعنى مع والشياطين مفعول معه. (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) ثم حرف عطف للتراخي ولنحضرنهم عطف على لنحشرنهم وحول ظرف مكان متعلق بنحضرنهم وجهنم مضاف اليه وجثيا حال. (ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا) ثم لننزعن عطف على لنحضرنهم ومن كل شيعة متعلقان بننزعن وأيهم اسم موصول بمعنى الذي وحركتها عند سيبويه حركة بناء لخروجها عن النظائر أي لأنها أضيفت

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٩/٨٢

(٢) أوضح التفاسير محمد عبد اللطيف الخطيب ص/٣٧٢

(٣) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين درويش ٦/١٣٠

وحذف صدر صلتها وهي في محل نصب مفعول به لننزعن وأشد خبر لمبتدأ محذوف والجملة صلة أي وعتيا تمييز وعلى الرحمن متعلقان بأشد أو بمحذوف حال وسيأتي مزيد بحث في هذه الآية في باب الفوائد. (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) ثم حرف عطف للترتيب والتراخي واللام للابتداء ونحن مبتدأ وأعلم خبر وبالذين متعلقان بأعلم وهم مبتدأ وأولى خبر والجملة صلة وبها متعلقان بأولى وصليا تمييز وقيل صليا جمع صال فانتصب على الحال وفي التمييز فائدة وهي التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص بأصل العذاب لاشتراكهم فيه. (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا) الواو عاطفة وإن نافية ومنكم صفة لمبتدأ محذوف تقديره أحد أي ما منكم أحد وإلا أداة حصر وواردها خبر وكان فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر تقديره هو أي الورود وحتما خبرها ومقضيا صفة لحتما. (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) ثم ننجي عطف على ما تقدم وفاعل ننجي مستتر تقديره نحن والذين موصول مفعول واتقوا صلة ونذر عطف على ننجي والفاعل مستتر تقديره نحن والظالمين مفعول به وفيها متعلقان بنذر أو." (١)

"وفي معاوية الباقي لنا خلف ... إذا نعيت ولا نسمع بمنعاكا

ففتح للناس باب القول: فقالوا وكان له فضل السبق.

وقال أبو نواس للعباس بن الفضل يعزيه بالرشيد ويهنئه بخلافة الأمين:

تعز أبا العباس عن خير هالك ... بأكرم حي كان أو هو كائن

حوادث أيام تدور صروفها ... لهن مساو مرة ومحاسن

وفي الحي بالميت الذي غيب الثرى ... فلا أنت مغبون ولا الموت غابن

٣- فن الالتفات:

في قوله تعالى: «وإن منكم إلا واردها .. الخ» التفات على أحد القولين وهو مفرع على إرادة العموم من الأول فيكون المخاطبون أولا هم المخاطبين ثانيا إلا أن الخطاب الاول بلفظ الغيبة والثاني بلفظ الحضور واما إذا بنينا على أن الأول إنما أريد منه خصوص على التقديرين جميعا فالثاني ليس التفاتا وإنما هو عدول عن خطاب خاص لقوم معينين الى خطاب العامة والقول في الورود على جهنم طويل يرجع فيه الى المطولات.." (٢)

"تعليق على شخصية إدريس عليه السلام ١٦٣ تعليق على الآية فخلف من بعدهم خلف والآيات الثلاث ١٦٦ تعليق على آية وما نتنزل إلا بأمر ربك ١٦٨ تعليق على جملة وإن منكم إلا واردها ١٧٣ تعليق على جملة والباقيات الصالحات ١٧٧ تعليق على الآية ألم تر أنا أرسلنا الشياطين ... ١٨١

تفسير سورة طه ١٨٦ تعليق على الآيات الأولى من سورة طه ١٨٧ تعليق على مدى السلسلة القصصية عن رسالة موسى عليه السلام إلى فرعون ١٩٠ تعليق على جملة وأقم الصلاة لذكري ١٩٣ تعليق على الحلقة الثانية من سلسلة قصص موسى

---

(١) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين درويش ١٣٢/٦

(٢) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين درويش ١٣٨/٦

عليه السلام ١٩٤ تعليق على أمر الله تعالى لموسى بملاينة الكلام مع فرعون ١٩٥ تعليق على الحلقة الثالثة من سلسلة قصص موسى وفرعون وبني إسرائيل ١٩٩ تعليق على الآيات المتضمنة حكاية بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر ٢٠٢ تعليق على جملة وهو مؤمن ٢٠٨ تعليق على جملة وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا ٢٠٩ تعليق على الآية فتعالى الله الملك الحق ... ٢٠٩

تعليق على الجديد في قصة آدم وإبليس في هذه السورة ٢١٤ تعليق على مدى الآية التي تأمر بذكر الله وتسبيحه ٢١٦ تلقينات آية ولا تمدن عينيك إلى ... ٢١٩

تعليق على تحدي الكفار للنبي بالإتيان بآية ٢٢٠ تفسير سورة الواقعة ٢٢٥ تعليق على والسابقون السابقون ... ٢٢٨ تعليق على ما جاء في الآيات في وصف مجلس الشراب ٢٢٩ تعليق على منازل أصحاب اليمين ٢٣١ تعليق على التنديد بالترف والمترفين ٢٣٢ تعليق على تنوع أوصاف النعيم والعذاب في الآخرة ٢٣٣ قرينة على صحة نزول هذه السورة بعد سورة طه ٢٣٣." (١)

"[سورة مريم (١٩) : الآيات ٦٦ الى ٧٢]

ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا (٦٦) أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٧) فو ربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠)

وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)

(١) جثيا: جاثين على ركبهم كناية عن الخضوع والذل.

(٢) عتيا: تمردا وتكبرا وعصيانا.

(٣) صليا: إصلاء بالنار وإلزاما لها.

في الآية الأولى حكاية لتساؤل الإنسان تساؤل المستغرب أو المنكر عما إذا كان حقا سيبعث حيا بعد موته؟ وفي الثانية رد على الجواب بصيغة التساؤل الإنكاري أيضا عما إذا كان هذا المنكر لا يذكر ولا يعترف بأن الله تعالى خلقه من العدم حتى يشك في قدرة الله على إحيائه بعد موته. أما الآيات التالية للآيتين فقد جاءت للاستطراد والتعقيب واحتوت إنذارا ووعيدا للكافرين المكذبين عامة ولأشدهم تمردا وعصيانا بصورة خاصة. فقد أقسم الله بعزته أنه سيحشرهم ومعهم شياطينهم وسيجمعهم حول جهنم أذلاء صاغرين وأنه سيختص بالعذاب الأشد أشدهم عصيانا لله وتمردهم عليه. ولقد روى الطبرسي بدون ذكر راو أن الإنسان الذي حكت الآية الأولى قوله وردت الآية الثانية عليه هو أبي بن خلف أحد زعماء المشركين الأشداء في مناوأة النبي صلى الله عليه وسلم وإنكار البعث. والروايات محتملة، لأنه ليس كل إنسان يقول هذا القول، حتى تؤخذ العبارة على مداها المطلق.

(١) التفسير الحديث محمد عزة دروزة ٣٢٣/١٠

والإنذار في الآيات قوي رهيب، ولا سيما للفئات الأشد مناوأة للنبي صلى الله عليه وسلم وتمردا على الله تعالى، ومتناسب مع مواقفهم في معارضة الدعوة إلى الله تعالى وتعطيل رسالة رسوله فضلا عن كفرهم.." (١)

"واختصاص الذين اتقوا بالنجاة ذو مغزى كبير سواء في تطمين هذه الفئة وبث الاغتباط فيها أم في الحث على التقوى التي هي أبرز مظاهر الإيمان. لأنها تجعل المؤمن مراقبا لله في جميع أعماله وتعصمه من الوقوع في الأمم على ما شرحناه في سياق سورة العلق.

تعليق على جملة وإن منكم إلا واردها

لقد تعددت الأحاديث والروايات والتأويلات في كتب التفسير في صدد هذه الجملة.

ففي معنى كلمة (الورود) إنها بمعنى الدخول وإن الضمير في كلمة (واردها) يرجع إلى جهنم. أو إنها بمعنى المرور عليها دون الدخول فيها.

وفي مدى جملة وإن منكم إنها خطاب لجميع الناس أبرارهم وفجارهم.

ومؤمنيهم وكافريهم، وقد استدل القائلون بدخول جميع الناس جهنم بالآية [٧٢] آخر الآيات التي نحن في صددها، وبأحاديث نبوية عديدة منها حديث رواه الطبري عن حفصة قالت «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية. قالت فقلت يا رسول الله أليس الله يقول وإن منكم إلا واردها. فقال رسول الله أفلم تسمعيه يقول ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا» وهذا الحديث لم يرد في كتب الصحاح. وهناك أحاديث أخرى يوردها المفسرون من بابه لم ترد كذلك في هذه الكتب. وهناك قولان متناقضان معزوان إلى ابن عباس: واحد مؤيد للقول السابق، وواحد يفيد أن الخطاب في (منكم) للكفار ومنكري البعث. وأن المؤمنين لا يردون النار. وأورد بعض المفسرين اعتراضا على القول الأول بآية سورة الأنبياء هذه إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون (١٠١) لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون (١٠٢) وأجابوا على الاعتراض بأن القصد يمكن أن يكون ذلك وهم في الجنة أو يمكن أن يكون القصد من ذلك أن." (٢)

---

(١) التفسير الحديث محمد عزة دروزة ١٧١/٣

(٢) التفسير الحديث محمد عزة دروزة ١٧٣/٣

الصالحات ١٧٧ تعليق على الآية ألم تر أنا أرسلنا الشياطين ... ١٨١
تفسير سورة طه ١٨٦ تعليق على الآيات الأولى من سورة طه ١٨٧ تعليق على مدى السلسلة القصصية عن رسالة موسى عليه السلام إلى فرعون ١٩٠ تعليق على جملة وأقم الصلاة لذكري ١٩٣ تعليق على الحلقة الثانية من سلسلة قصص موسى عليه السلام ١٩٤ تعليق على أمر الله تعالى لموسى بملاينة الكلام مع فرعون ١٩٥ تعليق على الحلقة الثالثة من سلسلة قصص موسى وفرعون وبني إسرائيل ١٩٩ تعليق على الآيات المتضمنة حكاية بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر ٢٠٢ تعليق على جملة وهو مؤمن ٢٠٨ تعليق على جملة وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا ٢٠٩." (١)

"شيئا (٦٧) فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠) وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (٧٣) وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا (٧٤) قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا (٧٥) ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا (٧٦) أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا (٧٧) أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا (٧٨) كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا (٧٩) ونرثه ما يقول ويأتينا فردا (٨٠) واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا (٨١)." (٢)

"الرحمن عتيا﴾ أن معناه أن الله تعالى يسلط عذابه يوم القيامة على رؤساء الضلال قبل أتباعهم، ويبدأ بأكابر المجرمين قبل أصاغرهم، لعظم مسؤوليتهم في إشاعة الفاحشة ونشر الإجرام، وصد الخلق عن طريق الحق، على غرار قوله تعالى في آية أخرى: ﴿حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار﴾ [الأعراف: ٣٨]، وقوله تعالى في آية أخرى: ﴿وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا * ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا﴾ [الأحزاب: ٦٧، ٦٨].

وقوله تعالى: ﴿وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ إما أن يكون الخطاب فيه موجها إلى أصناف الكافرين، والعصاة المتمردين، وعلى هذا المعنى يكون " الورود " على النار قاصرا عليهم دون غيرهم، مصداقا لقوله تعالى في آية أخرى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ [الأنبياء: ١٠١]، وتكون هذه الآية مرتبطة بما قبلها تمام الارتباط، وإن كان الضمير فيما سبقها ضمير غيبة، والضمير الوارد فيها ضمير خطاب، قال ابن الأنباري: " جائز في اللغة أن يرجع من خطاب الغيبة إلى لفظ المواجهة بالخطاب " واستدل بقوله تعالى: ﴿وسقاهم ربهم شرابا طهورا * إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا﴾ [الإنسان: ٢١، ٢٢].

(١) التفسير الحديث محمد عزة دروزة ٥٦١/٣
(٢) التيسير في أحاديث التفسير محمد المكي الناصري ٤١/٤

وإما أن يكون الخطاب فيه موجها إلى الناس أجمعين،." (١)

"فقالوا: ما يبكيك يابن رواحة؟ فقال: أما والله ما بى حب الدنيا ولا صبابة بكم، ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله عز وجل، يذكر فيها النار وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا، فلست أدرى كيف لى بالصدور بعد الورود؟ فقال المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم، وردكم إلينا صالحين. ثم خرج القوم، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعهم، ثم مضوا حتى نزلوا معان، من أرض الشام، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب، من أرض البلقاء، فى مائة ألف من الروم، وانضم إليهم من لخم وجذام والقين وبهراء وبلى، مائة ألف منهم، فلما بلغ ذلك المسلمون أقاموا على معان ليلتين، يفكرون فى أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره، فنمضى له. فشجع الناس عبد الله بن رواحة، وقال: يا قوم، والله إن التى تكرهون، للتى خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما تقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين: إما ظهور، وإما شهادة. فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة.

فمضى الناس، حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء، لقيتهم جموع هرقل، من الروم والعرب، بقرية من قرى البلقاء، يقال لها: مشارف، ثم دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها: مؤتة، فالتقى الناس عندها، فتعبأ لهم المسلمون، فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بنى عذرة، يقال له: قطبة بن قتادة، وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار، يقال له: عباية بن مالك، ثم التقى الناس واقتتلوا، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط «١» فى رماح القوم.

---

(١) شاط: سال دمه فهلك.." (٢)

"ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا أي وأحضروا حيث تجاثوا حول جهنم، وأوردوا معهم النار، وجثيا، أي راكعين على ركبهم.

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٦٩ الى ٧٣]

ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠) وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (٧٣)

٦٩- ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا:

ثم لننزعن أي لنستخرجن.

---

(١) التيسير في أحاديث التفسير محمد المكي الناصري ٥٠/٤

(٢) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٢٣٣/١

من كل شيعة من كل أمة وأهل دين.

أيهم بالرفع على الحكاية، أي لننزعن من كل شيعة الذي يقال من أجل عتوه: أيهم أشد على الرحمن عتيا.

وقيل الرفع على الابتداء، والجملة مستأنفة.

أشد على الرحمن عتيا أي الأعتى فالأعتى، كأنه يبتدأ بالتعذيب بأشدهم عتيا ثم الذي يليه.

٧٠- ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا:

أولى بها صليا أي أحق بدخول النار يصطلون نارها.

٧١- وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا:

وإن منكم قسم، والواو يتضمنه.

واردها مار بها.

حتما موجبا.

مقضيا سبق به قضاء الله.

٧٢- ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا:

جثيا جاثين على ركبهم.

٧٣- وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا:

بينات أي: بينات المقاصد.

مقاما المقام، بالفتح: موضع القيام. وقرىء بالضم، ومعناه: الإقامة.." (١)

"(هود) استثنى منها ثلاث آيات: فلعلك تارك، فمن كان على بينة من ربه، وأقم الصلاة طرفي النهار.

(يوسف) استثنى منها ثلاث آيات من أولها.

(الرعد) مدنية إلا آية قوله: ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة، وعلى القول بأنها مكية يستثنى قول: الله يعلم إلى قوله: شديد المحال، والآية آخرها.

(إبراهيم) مكية غير آيتين مدنيتين: ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا إلى: فبئس القرار.

(الحجر) استثنى بعضهم منها: ولقد آتيناك سبعا الآية.

(النحل) عن ابن عباس أنه استثنى آخرها.

(الإسراء) استثنى منها: ويسئلونك عن الروح الآية فإنها نزلت بالمدينة في جواب سؤال اليهود عن الروح. واستثنى منها أيضا: وإن كادوا ليفتنونك إلى قوله: إن الباطل كان زهوقا وقوله: قل لئن اجتمعت الإنس والجن الآية، وقوله: وما جعلنا الرؤيا الآية، وقوله: إن الذين أوتوا العلم من قبله.

(الكهف) استثنى من أولها إلى: جرزا وقوله: واصبر نفسك الآية وأن الذين آمنوا إلى آخر السورة.

---

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٢٨١/١٠

(مريم) استثنى منها آية السجدة، وقوله: وإن منكم إلا واردها.

(طه) استثنى منها: فاصبر على ما يقولون الآية.

(الأنبياء) استثنى منها: أفلا يرون أنا نأتي الأرض الآية.

(الحج) تقدم ما يستثنى منها.

(المؤمنون) استثنى منها: حتى إذا أخذنا مترفيهم إلى قوله مبلسون.." (١)

"أحدها: أنه على حذف مضاف: أى ورب التين، ورب الشمس، وكذا الباقى.

الثانى: أن العرب كانت تعظيم هذه الأشياء وتقسم بها، فنزل القرآن على ما يعرفونه.

الثالث: أن الأقسام إنما تكون بما يعظمه المقسم أو يجله وهو فوقه، والله تعالى ليس شىء فوقه، فأقسم تارة بنفسه، وتارة بمصنوعاته، لأنها تدل على بارىء وصانع.

ثم إن القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع، لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل، إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل.

وقيل: إن الله يقسم بما شاء من خلقه، وليس لأحد أن يقسم إلا بالله.

وقيل: أقسم الله تعالى بالنبى صلى الله عليه وسلم فى قوله لعمرك لتعرف الناس عظمته عند الله ومكانته لديه.

والقسم بالشىء لا يخرج عن وجهين: إما لفضيلة، أو لمنفعة.

فالفضيلة كقوله: وطور سينين. وهذا البلد الأمين.

والمنفعة نحو: والتين والزيتون.

ولقد أقسم الله تعالى بثلاثة أشياء:

بذاته، كالآيات السابقة.

وبفعله نحو: والسماء وما بناها. والأرض وما طحاها. ونفس وما سواها.

وبمفعوله نحو: والنجم إذا هوى، والطور. وكتاب مسطور.

والقسم، إما ظاهر كالآيات السابقة.

وإما مضمر، وهو قسمان:

قسم دلت عليه اللام نحو: لتبلون في أموالكم.

وقسم دل عليه المعنى نحو: وإن منكم إلا واردها وتقديره: والله.." (٢)

"رقم مسلسل/ الآية/ رقم الآية/ مكان النزول/ السورة/ رقم السورة ٤٢٨٧/ وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن/ ٢٣٧/ مدنية/ البقرة/ ٢ ٤٢٨٨/ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به/ ١٢٦/ مدنية/ النحل/ ١٦ ٤٢٨٩/ وإن عزموا

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٢/١٢

(٢) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٢/٢٩٩

الطلاق فإن الله سميع عليم/ ٢٢٧/ مدنية/ البقرة/ ٢ ٤٢٩٠/ وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم/ ١١/ مدنية/ الممتحنة/ ٦٠ ٤٢٩١/ وإن كادوا ليستفزونك من الأرض/ ٧٦/ مدنية/ الإسراء/ ١٧ ٤٢٩٢/ وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك/ ٧٣/ مدنية/ الإسراء/ ١٧ ٤٢٩٣/ وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين/ ٧٨/ مكية/ الحجر/ ١٥ ٤٢٩٤/ وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة/ ٢٨٠/ مدنية/ البقرة/ ٢ ٤٢٩٥/ وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به/ ٨٧/ مكية/ الأعراف/ ٧ ٤٢٩٦/ وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين/ ٢٧/ مكية/ يوسف/ ١٢ ٤٢٩٧/ وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض/ ٣٥/ مكية/ الأنعام/ ٦ ٤٢٩٨/ وإن كانوا ليقولون/ ١٦٧/ مكية/ الصافات/ ٣٧ ٤٢٩٩/ وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين/ ٤٩/ مكية/ الروم/ ٣٠ ٤٣٠٠/ وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم/ ٤١/ مكية/ يونس/ ١٠ ٤٣٠١/ وإن كل لما جميع لدينا محضرون/ ٣٢/ مكية/ يس/ ٣٦ ٤٣٠٢/ وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة/ ٢٨٣/ مدنية/ البقرة/ ٢ ٤٣٠٣/ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة/ ٢٣/ مدنية/ البقرة/ ٢ ٤٣٠٤/ وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة/ ٢٩/ مدنية/ الأحزاب/ ٣٣ ٤٣٠٥/ وأن لا تعلوا على الله إني آتيكم بسلطان مبين/ ١٩/ مكية/ الدخان/ ٤٤ ٤٣٠٦/ وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون/ ٢١/ مكية/ الدخان/ ٤٤ ٤٣٠٧/ وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا/ ١٦/ مكية/ الجن/ ٧٢ ٤٣٠٨/ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى / ٣٩/ مكية/ النجم/ ٥٣ ٤٣٠٩/ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته/ ١٥٩/ مدنية/ النساء/ ٤ ٤٣١٠/ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه/ ٢١/ مكية/ الحجر/ ١٥ ٤٣١١/ وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة/ ٥٨/ مكية/ الإسراء/ ١٧ ٤٣١٢/ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا/ ٧١/ مدنية

/ مريم/ ١٩ ٤٣١٣/ وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون/ ٤٣/ مكية/ يس/ ٣٦ ٤٣١٤/ وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم/ ١٢/ مدنية/ التوبة/ ٩ (- ٢٣- الموسوعة القرآنية- ج ٣)." [1]

"واردها واردهم واردون مر ٧١ وإن منكم إلا واردها سف ١٩ فأرسلوا واردهم ان ٩٨ أنتم لها واردون وردة الوريد حما ٣٧ فكانت وردة كالدهان ق ١٦ من حبل الوريد ورق ورق ورقكم ورقة عف ٢١ يخصفان عليهما من ورق الجنة (طه ١٢١) كه ١٩ فابعثوا أحدكم بورقكم نعم ٥٩ وما تسقط من ورقة ورى ورى يوارى أوارى عف ١٩ ليبدى لها ما ورى عنهما ما ٣٤ كيف يوارى سوأة أخيه- فأواري سوأة أخى عف ٣٥ لباسا يوارى سوءاتكم تورون تورات توارى قع ٧١ النار التى تورون ص ٣٢ حتى توارت بالحجاب نح ٥٩ يتوارى من القوم الموريات عا ٢ فالموريات قدحا وزر تزر وازرة وزر نعم ١٦٤ ولا تزر وازرة وزر أخرى (سر ١٥ فط ١٨ زم ٧) نجم ٣٨ ألا تزر وازرة وزر أخرى يزرون وزرا وزرك نعم ٣١ إلا ساء ما يزرون (نح ٢٥) طه ١٠٠ يحمل يوم القيامة وزرا شرح ٢ ووضعنا عنك وزرك أوزار أوزارا نح ٢٥ ومن أوزار الذين طه ٨٧ ولكنا حملنا أوزارا أوزارها أوزارهم محمد ٤ حتى تضع الحرب أوزارها نعم ٣١ وهم يحملون أوزارهم نح ٢٥ ليحملوا أوزارهم كاملة وزر وزيرا قيا ١١ كلا لا وزر طه ٢٩ واجعل لى وزيرا فر ٣٥ أخاه هرون وزيرا وزع يوزعون أوزعنى نم ١٧

---

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٣/٣٥٣

والطير فهم يوزعون- ٨٣ بآياتنا فهم يوزعون حس ١٩ إلى النار فهم يوزعون نم ١٩ رب أوزعنى أن أشكر نعمتك (حق ١٥) .

وزن وزنوهم زنوا طف ٣ وإذا كالوهم أو وزنوهم سر ٣٥ وزنوا بالقسطاس المستقيم (شع ١٨٢) وزنا) الوزن كه ١٠٦ يوم القيامة وزنا عف ٧ والوزن يومئذ الحق حما ٩ وأقيموا الوزن بالقسط موزون الميزان جر ١٩ من كل شىء موزون حما ٨ ألا تطغوا فى الميزان نعم ١٥٢ وأوفوا الكيل والميزان (عف ٨٤ هد ٨٤) هد ٨٣ المكيال والميزان شو ١٧ الكتاب بالحق والميزان حما ٧ ووضع الميزان حد ٢٥ معهم الكتاب والميزان الموازين موازينه ان ٤٧ ونضع الموازين القسط عف ٧ فمن ثقلت موازينه (مو ١٠٣ قا ٦) - ٨ ومن خفت موازينه (مو ١٠٤ قا ٨) وسط وسطن وسطا عا ٥ فوسطن به جمعا." [(١)]

"يقال رشد يرشد، ورشد يرشد قال: لعلهم يرشدون وقال قد تبين الرشد من الغي وقال تعالى: فإن آنستم منهم رشدا- ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وبين الرشدين أعنى الرشد المؤنس من اليتم والرشد الذي أوتى إبراهيم عليه السلام بون بعيد. وقال: هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا وقال: لأقرب من هذا رشدا وقال بعضهم: الرشد أخص من الرشد، فإن الرشد يقال فى الأمور الدنيوية والأخروية، والرشد يقال فى الأمور الأخروية لا غير. والراشد، والرشيد يقال فيهما جميعا، قال تعالى: أولئك هم الراشدون- وما أمر فرعون برشيد.

(رص) : قال تعالى: كأنهم بنيان مرصوص أي محكم كأنما بنى بالرصاص، ويقال رصصته ورصصته وتراصوا فى الصلاة أي تضايقوا فيها.

وترصيص المرأة. أن تشدد التنقيب، وذلك أبلغ من الترصص.

(رصد) : الرصد الاستعداد للترقب، يقال رصد له وترصد وأرصدته له. قال عز وجل: وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وقوله عز وجل: إن ربك لبالمرصاد تنبيها أنه لا ملجأ ولا مهرب. والرصد يقال للراصد الواحد وللجماعة الراصدين وللمرصود واحدا كان أو جمعا. وقوله تعالى: يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا يحتمل كل ذلك. والمرصد موضع الرصد، قال تعالى: واقعدوا لهم كل مرصد والمرصاد نحوه لكن يقال للمكان الذي اختص بالترصد، قال تعالى: إن جهنم كانت مرصادا تنبيها أن عليها مجاز الناس وعلى هذا قوله تعالى: وإن منكم إلا واردها.

(رضع) : يقال رضع المولود يرضع، ورضع يرضع رضاعا ورضاعة، وعنه استعير لئيم راضع لمن تناهى لؤمه وإن كان فى الأصل لمن يرضع غنمه ليلا لئلا يسمع صوت شخبه فلما تعورف فى ذلك قيل رضع فلان نحو: لؤم، وسمى الثنيتان من الأسنان الراضعتين لاستعانة الصبى بهما فى الرضع، قال تعالى:

والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن، ويقال فلان أخو فلان من الرضاعة

---

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٤٧٨/٧

وقال صلى الله عليه وسلم: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»

، وقال تعالى: وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم أي تسومونهن إرضاع أولادكم.." (١)

"تعب قد ورث كذا، ويقال لمن خول شيئا مهنئا أورث، قال تعالى: وتلك الجنة التي أورثتموها- أولئك هم الوارثون الذين يرثون وقوله: ويرث من آل يعقوب فإنه يعني وراثة النبوة والعلم والفضيلة دون المال، فالمال لا قدر له عند الأنبياء حتى يتنافسوا فيه، بل قلما يقتنون المال ويملكونه، ألا ترى أنه

قال عليه الصلاة والسلام «إنا معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة»

نصب على الاختصاص فقد قيل ما تركناه هو العلم وهو صدقة تشترك فيها الأمة، وما

روى عنه عليه الصلاة والسلام من قوله: «العلماء ورثة الأنبياء»

فإشارة إلى ما ورثوه من العلم. واستعمل لفظ الورثة لكون ذلك بغير ثمن ولا منة،

وقال لعلي رضى الله عنه: «أنت أخي ووارثي، قال: وما أرثك؟ قال. ما ورثت الأنبياء قبلي، كتاب الله وسنتي»

ووصف الله تعالى نفسه بأنه الوارث من حيث إن الأشياء كلها صائرة إلى الله تعالى، قال الله تعالى: ولله ميراث السماوات والأرض وقال: ونحن الوارثون وكونه تعالى وارثا لما

روى: «أنه ينادى لمن الملك اليوم؟ فيقال لله الواحد القهار»

ويقال ورثت علما من فلان أي استفدت منه، قال تعالى: ورثوا الكتاب- أورثوا الكتاب من بعدهم- ثم أورثنا الكتاب- يرثها عبادي الصالحون فإن الوراثة الحقيقية هي أن يحصل للإنسان شيء لا يكون عليه فيه تبعة ولا عليه محاسبة، وعباد الله الصالحون لا يتناولون شيئا من الدنيا إلا بقدر ما يجب وفي وقت ما يجب وعلى الوجه الذي يجب ومن تناول الدنيا على هذا الوجه لا يحاسب عليها ولا يعاقب بل يكون ذلك له عفوا صفوا كما

روى أنه: «من حاسب نفسه في الدنيا لم يحاسبه الله في الآخرة» .

(ورد) : الورود أصله قصد الماء ثم يستعمل في غيره يقال وردت الماء أرد ورودا، فأنا وارد والماء مورود، وقد أوردت الإبل الماء، قال: ولما ورد ماء مدين والورد الماء المرشح للورود، والورد خلاف الصدر، والورد يوم الحمى إذا وردت واستعمل في النار على سبيل الفظاعة، قال: فأوردهم النار وبئس الورد المورود- إلى جهنم وردا- أنتم لها واردون- ما وردوها والوارد الذي يتقدم القوم فيسقى لهم، قال: فأرسلوا واردهم أي ساقيهم من الماء المورود، ويقال لكل من يرد الماء وارد، وقوله: وإن **منكم إلا واردها فقد** قيل منه وردت ماء كذا إذا حضرته وإن لم تشرع فيه، وقيل بل يقتضى ذلك الشروع ولكن من كان من أولياء الله الصالحين لا يؤثر فيهم بل يكون حاله فيها كحال إبراهيم عليه السلام حيث قال: قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم والكلام في هذا الفصل إنما هو لغير هذا النحو الذي نحن بصدده الآن ويعبر عن المحموم بالمورود، وعن إتيان الحمى بالورد، وشعر وارد." (٢)

---

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٢٢٠/٨

(٢) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٥٨٨/٨

"ولكن لماذا يمر المؤمنون فوق الصراط. والله سبحانه وتعالى قال: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧١ - ٧٢]

لأن مجرد رؤية المؤمنين لجهنم نعمة كبرى، فحين يرون العذاب الرهيب الذي أنجاهم الإيمان منه يحس كل منهم بنعمة الله عليه. أنه أنجاه من هذا العذاب. وأهل النار وأهل الجنة يرى بعضهم بعضا. فأهل الجنة حينما يرون أهل النار يحسون بعظيم نعمة الله عليهم. إذ أنجاهم منها، وأهل النار حين يرون أهل الجنة يحسون بعظيم غضب الله عليهم أن حرمهم من نعيمه، فكأن هذه الرؤية نعيم لأهل الجنة وزيادة في العذاب لأهل النار. . والله سبحانه وتعالى يقول:

«وبشر» والبشارة هي الأخبار بشيء سار قادم لم يأت وقته بعد. فأنت إذا بشرت إنسانا بشيء أعلنته بشيء سار قادم. والبشارة هنا جاءت بعد الوعيد للكافرين.

والإنذار هو اخبار بأمر مخيف. لم يأت وقته بعد.

ولكن البشارة تأتي أحيانا في القرآن الكريم ويقصد بها الكفار. واقرأ قوله تعالى: ﴿ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم﴾ [الجاثية: ٧ - ٨]

البشارة هنا تهكمية من الله سبحانه وتعالى. فالحق تبارك وتعالى يريد أن يزيد عذاب الكفار، فعندما يسمعون كلمة «فبشرهم» يعتقدون أنهم سيسمعون خبرا سارا، فيأتي بعدها العذاب الأليم ليزيدهم غما على غم.

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ .." (١)

"النار نعيم، فإذا ما أدخل الجنة بعد الزحزحة عن النار فكأنه أنعم على الإنسان بنعمتين؛ لأنه سبحانه قال: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١]

ومعناها أن كل إنسان سيرى النار إما وهو في طريقه للجنة، فيقول: الحمد لله، الإيمان أنجاني من هذه النار وعذابها. فهو عندما يرى النار وبشاعة منظرها يحمد الله على نعمة الإسلام. التي أنجته من النار. فإذا ما دخل الجنة ورأى نعيمها يحمد الله مرة ثانية. وكذلك يرى النار من هو من أهل الأعراف أي لا في النار ولا في الجنة، يقول الحق: ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾ [آل عمران: ١٨٥]

ويقول الحق من بعد ذلك: ﴿أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب﴾." (٢)

"والبداية تكون علم اليقين، ثم نرى الجحيم ونحن نسير على الصراط فتصير عين اليقين، ومن لطف الله أنه جعلنا - نحن المسلمين - لا نراها حق اليقين. وهو القائل: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١]

هو يعطينا صورة الجحيم. لكن حينما أراد الحق أن يعطينا صورة حق اليقين، فقد جاء بها في قوله الحق: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ [الواقعة: ٧٥ - ٨٢]

---

(١) تفسير الشعراوي الشعراوي ٢٠٥/١

(٢) تفسير الشعراوي الشعراوي ٨٦١/٢

كل ذلك مقدمة ليقول الحق: ﴿إن هذا لهو حق اليقين﴾ [الواقعة: ٩٥]

وما يذكره الحق هنا عن منزلة المصدق المؤمن إن هذه المنزلة هي الجنة ويرى ذلك عين اليقين. أما منزلة المكذب الكافر، فله مكانه في النار؛ لذلك سيرى كل الناس النار كعين اليقين. أما من يدخله الحق النار – والعياذ بالله – فسيعاني منها حق اليقين، وسينعم المؤمنون بالجنة حق اليقين.

ومن بعد ذلك يقول الحق: ﴿يأيها الذين ... ﴾." (١)

"وفرحة بالنعم وبالمنعم، ويقول المؤمن: الحمد لله الذي أنقذني من النار.

وهذه نعمة كبيرة وفوز عظيم، ولذلك يقول الحق: ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ... ﴾ [آل عمران: ١٨٥]

.

فالنجاة من النار وحدها فضل كبير، ودخول الجنة فضل أكبر، والحق هو القائل: ﴿وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١] .

ويرد الشيء أي يصل إليه دون أن يدخل فيه، ويقال: ورد الماء أي وصل إلى مكانه دون أن يشرب منه. إذن فكل منا سوف يرى جهنم، ويعرف المؤمن نعمة الله عليه؛ لأنه أنجاه منها، ويندم الكافر؛ لأنه يعذب فيها.

وقد ضربت من قبل مثلا – ولله المثل الأعلى – بالقراءة عن مدينة نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية، ويعرف القارىء أنه مبنية على عدة جزر، وفيها ناطحات سحاب وأنها مزدحمة بالسكان، وهذه القراءة هي علم يقين، فإذا ركب الإنسان الطائرة ورآها من الجو." (٢)

"وكلمة «يقدم» هي من مادة «القاف» و «الدال» و «الميم» . وعند استخدام هذه المادة في التعبير قولا أو كتابة، فهي تدل على الإقبال بالمواجهة؛ فيقال: «قدم فلان» دليل إقباله عليك مواجهة. وإذا قيل: «أقبل فلان» فهذا يعني الإقبال بشيء من العزم. و «قدم القوم يقدمهم» أي: أنهم يتقدمون في اتجاه واحد، ومن يقودهم يتقدمهم.

ويفهم من هذا أن فرعون اتبعه الملأ، والقوم اتبعوا الملأ وفرعون، وما داموا قد اتبعوه في الأولى؛ فلا بد أن يتبعوه في الآخرة.

ويأتي القرآن بآيات ويبينها، مثل قول الحق سبحانه:

﴿فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا﴾ [مريم: ٦٨٧٠] .

فالحق سبحانه ينزع من كل جماعة الأشد فتوة وسطوة، ويلقيه في النار، لأنه أعلم بمن يجب أن يصلى السعير.

ويقول الحق سبحانه:

---

(١) تفسير الشعراوي الشعراوي ٣١٩٤/٥

(٢) تفسير الشعراوي الشعراوي ٥٠٩٦/٨

﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧١٧٢] .." (١)

"ولم يقل الحق سبحانه: «وإن منهم إلا واردها» .

وإنما قال: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] .

وبذلك عمم الخطاب للكل، أو أنه يستحضر الكفار ويترك المؤمنين بمعزل.

وهنا يقول الحق سبحانه عن قوم فرعون:

﴿فأوردهم النار وبئس الورد المورود﴾ [هود: ٩٨] .

وحين تكلم كتاب الله الكريم عن «الورود» ، وهو الكتاب الذي نزل بلسان عربي مبين، نجد أن الورود يأتي بمعنى الذهاب إلى الماء دون شرب من الماء، قلت: «ورد يرد ورودا» ، وإن أردت التعبير عن شرب الماء مع الورود، فقل: «ورد يرد وردا» بدليل أن الحق سبحانه يقول هنا:

﴿وبئس الورد المورود﴾ [هود: ٩٨] .

أي: إنهم يشعرون بالبؤس لحظة أن يروا ماء جهنم ويشربون منه.

إذن: فكلمة «الورد» تطلق على عملية الشرب من الماء، وقد تطلق على ذات الورادين مثل قوله:

﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا﴾ [مريم: ٨٦] .." (٢)

"إلى تناول الحلوى، بينما يكون من دعاك قد أوصى الطباخ أن يخلط الحلوى بنبات «الشطة» فيلتهب جوفك؛ أليس في هذا تهكم شديد؟!

والحق سبحانه يبين لهم أن الورد إنما جاء لترطيب الكبد، لكن أكبادهم ستشتعل بما تشربونه من هذا الماء، وكذلك الطعام الذي يأكله أهل النار.

والحق سبحانه يقول:

﴿ولا طعام إلا من غسلين﴾ [الحاقة: ٣٦] .

وهكذا تصير النكبة نكبتين.

وبعض الناس قد فهم قول الحق سبحانه:

﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] .

بمعنأنهم جميعا سوف يردون جهنم.

ولكن الحق سبحانه يقول أيضا:

﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا﴾ [مريم: ٧٠] .

---

(١) تفسير الشعراوي الشعراوي ٦٦٦٠/١١

(٢) تفسير الشعراوي الشعراوي ٦٦٦١/١١

إذن: فالحق سبحانه يعطي لكل الناس صورة للنار، فإذا رأى المؤمنون النار وتسعرها، ولم يدخلوها، عرفوا كيف نجتهم كلمة الإيمان منها فيحمدون الله سبحانه وتعالى على النجاة.

ويقول الحق سبحانه بعد ذلك:." (١)

"وعلمنا أن «عقبى» تعني الأمر الذي يجيء في العقب، وحين يعرض سبحانه القضية الإيمانية وصفات المؤمنين المعايشين للقيم الإيمانية؛ فذلك بهدف أن تستشرف النفس أن تكون منهم، ولابد أن تنفر النفس من الجانب المقابل لهم.

والمثل هو قول الحق سبحانه: ﴿إن الأبرار لفي نعيم﴾ [الانفطار: ١٣]

ويأتي بمقابلها بعدها: ﴿وإن الفجار لفي جحيم﴾ [الانفطار: ١٤]

وساعة تقارن بأنهم لو لم يكونوا أبرارا؛ لكانوا في جحيم؛ هنا نعرف قدر نعمة توجيه الحق لهم، ليكونوا من أهل الإيمان.

وهكذا نجد أنفسنا أمام أمرين: سلب مضرة؛ وجلب منفعة، ولذلك يقول الحق سبحانه أيضا عن النار: ﴿وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١]

أي: كلنا سنرى النار.

ويقول سبحانه: ﴿ثم لترونها عين اليقين﴾ [التكاثر: ٧]

وذلك لكي يعرف كل مسلم ماذا صنعت به نعمة الإيمان؛ قبل أن." (٢)

"أي: تعرض عليهم ليروها ويشاهدوها، وهذا العرض أيضا للمؤمنين، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] والبعض يظن أن (واردها) يعني: داخلها، لا بل واردها." (٣)

"صليا: اصطلاء واحتراقا في النار من صلي يصلى: أي دخل النار وذاق حرها. أما: اصطلى أي: طلب هو النار، كما في قوله تعالى: ﴿لعلكم تصطلون﴾ [النمل: ٧] .

والمعنى: أننا نعرف من هو أولى بدخول النار أولا، وكأن لهم في ذلك أولويات معروفة؛ لأنهم سيتجادلون في الآخرة ويتناقشون ويتلاومون وسيدور بينهم مشهد فظيع رهيب يفضح ما اقترفوه.

فالتابع والمتبوع، والعابد والمعبود، كل يلقي باللائمة على الآخر، اسمعهم وهم يقولون: ﴿ربنآ إنآ أطعنا سادتنا وكبرآءنا فأضلونا السبيلا ربنآ آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا﴾ [الأحزاب: ٦٧٦٨] .

وفي آية أخرى: ﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب﴾ [البقرة: ١٦٦] .

وصدق الله العظيم حين قال: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ [الزخرف: ٦٧] .

ثم يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾." (٤)

---

(١) تفسير الشعراوي الشعراوي ٦٦٦٤/١١

(٢) تفسير الشعراوي الشعراوي ٧٣٠٣/١٢

(٣) تفسير الشعراوي الشعراوي ٨٩٩٥/١٥

(٤) تفسير الشعراوي الشعراوي ٩١٥٤/١٥

"وجد عليه أمة من الناس يسقون﴾ [القصص: ٢٣] أي: وصل إلى الماء.

إذن: معنى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] أي: أنكم جميعا متقون ومجرمون، ستردون النار وترونها؛ لأن الصراط الذي يمر عليه الجميع مضروب على متن جهنم.

وقد ورد في ذلك حديث أبي سعيد الخدري قال قال صلى الله عليه وسلم : «يوضع الصراط بين ظهراني جهنم، عليه حسك كحسك السعدان، ثم يستجيز الناس، فناج مسلم، ومخدوش به، ثم ناج ومحتبس به، ومنكوس ومكدوس فيها» .

فإذا ما رأى المؤمن النار التي نجاه الله منها يحمد الله ويعلم نعمته ورحمته به.

ومن العلماء من يرى أن ورد أي: أتى وشرب منه ويستدلون بقوله تعالى: ﴿يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار﴾ [هود: ٩٨] أي: أدخلهم. لكن هذا يخالف النسق العربي الذي نزل القرآن به، حيث يقول الشاعر:

ولما وردن الماء زرقا جمامه ... وضعنا عصي الحاضر المتخيم." (١)

"عابدوهم، ويعلموا أنهم لا ينفعونهم.

ومعنى ﴿حصب جهنم. .﴾ [الأنبياء: ٩٨] الحصب مثل: الحطب، وهو كل ما توقد به النار أيا كان خشبا أو قشا أو بترولا أو كهرباء، وفي آية أخرى: ﴿وقودها الناس والحجارة. .﴾ [التحريم: ٦] لذلك فإن النار نفسها تشتاق للكفار، وتنتظرهم، وتتلهف عليهم كما يقول تعالى: ﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد﴾ [ق: ٣٠] وقوله تعالى: ﴿إذآ ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ. .﴾ [الملك: ٧ - ٨] وقوله تعالى: ﴿أنتم لها واردون﴾ [الأنبياء: ٩٨] الورود هنا بمعنى: الدخول والمباشرة، لا كالورود في الآية الأخرى: ﴿وإن منكم إلا واردها. .﴾ [مريم: ٧١] .." (٢)

"وهذه لمن أتى الله بقلب غير سليم، قلب خالطه شرك أو نفاق أو رياء، وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] .." (٣)

"عرض القرآن الكريم هذه القصة في إيجاز بليغ، ومع إيجازها فقد أوضحت مهمة المرأة في مجتمعها، ودور الرجل بالنسبة للمرأة، والضرورة التي تلجىء المرأة للخروج للعمل.

معنى ﴿ورد مآء مدين﴾ [القصص: ٢٣] يعني: جاء عند الماء، ولا يقتضي الورود أن يكون شرب منه. والورود بهذا المعنى حل لنا الإشكال في قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] فليس المعنى دخول النار، ومباشرة حرها، إنما ذاهبون إليها، ونراها جميعنا إذن: وردنا العين. يعني: جئنا عندها ورأيناها، لكن الشرب منها، شيء آخر.

﴿وجد عليه﴾ [القصص: ٢٣] أي: على الماء ﴿أمة﴾ [القصص: ٢٣] جماعة ﴿يسقون﴾ [القصص: ٢٣] أي: مواشيهم

(١) تفسير الشعراوي الشعراوي ٩١٥٥/١٥

(٢) تفسير الشعراوي الشعراوي ٩٦٥٧/١٦

(٣) تفسير الشعراوي الشعراوي ١٠٦٠٧/١٧

﴿ووجد من دونهم﴾ [القصص: ٢٣] يعني: بعيدا عن الماء ﴿امرأتين تذودان﴾ [القصص: ٢٣] أي: تكفان الغنم وتمنعانها من الشرب لكثرة." (١)

"ثم ساقت السورة الكريمة بعد ذلك موقف المشركين من عقيدة البعث. فحكت أقوالهم الباطلة، وردت عليهم بما يكبتهم وبينت أن يوم القيامة آت لا ريب فيه، وأن النجاة في هذا اليوم للمتقين، والعذاب والخسران للكافرين قال- تعالى- :

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٦٦ الى ٧٢]

ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا (٦٦) أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٧) فو ربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠)

وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)

ذكر كثير من المفسرين أن قوله- تعالى-: ويقول الإنسان ... نزل في أشخاص معينين.

فمنهم من يرى أن هذه الآية نزلت في «أبى بن خلف» فإنه أخذ عظما باليا، فجعل يفتته بيده، ويذريه في الريح ويقول: زعم محمد صلى الله عليه وسلم أننا نبعث بعد أن نموت ونصير مثل هذا العظم البالي ومنهم من يرى أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، أو في العاصي بن وائل، أو في أبى جهل.

وعلى كل واحد من هذه الأقوال تكون أل في الإنسان للعهد، والمراد بها أحد هؤلاء الأشخاص، ويكون لفظ الإنسان من قبيل العام الذي أريد به الخصوص.

ومن الأساليب العربية المعروفة، إسناد الفعل إلى المجموع، مع أن فاعله بعضهم لا جميعهم كما يقال: بنو فلان قتلوا فلانا مع أن القاتل واحد منهم، ومن هذا القبيل قول الفرزدق:." (٢)

"ثم بين- سبحانه- أن الجميع سيرد جهنم، فقال: وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا.

وللعلماء أقوال متعددة في المراد بقوله- تعالى- وإن منكم إلا واردها.

فمنهم من يرى أن المراد بورودها: دخولها فجميع الناس مؤمنهم وكافرهم يدخلونها، إلا أن النار تكون بردا وسلاما على المؤمنين عند دخولهم إياها، وتكون لهيبا وسعيرا على غيرهم.

ومنهم من يرى أن المراد بورودها: رؤيتها والقرب منها والإشراف عليها دون دخولها. كما في قوله- تعالى- ولما ورد ماء مدين أى: أشرف عليه وقاربه.

ومنهم من يرى أن المراد بورودها، خصوص الكافرين، أى: أنهم وحدهم هم الذين يردون عليها ويدخلونها. أما المؤمنون فلا

---

(١) تفسير الشعراوي الشعراوي ١٧/١٠٩٠٣

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٥٦/٩

يردون عليها ولا يدخلوها.

ويبدو لنا أن المراد بالورود هنا: الدخول، أى: دخول النار بالنسبة للناس جميعا إلا أنها تكون بردا وسلاما على المؤمنين، وهناك أدلة على ذلك منها.

أن هناك آيات قرآنية جاء فيها الورود، بمعنى الدخول، ومن هذه الآيات قوله- تعالى-: ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين. إلى فرعون وملائه فاتبعوا أمر فرعون. وما أمر فرعون برشيد. يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود «١».

ومعنى فأوردهم: فأدخلهم.

يضاف إلى ذلك أن قوله- تعالى- بعد هذه الآية: ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا قرينة قوية على أن المراد بقوله وإن منكم إلا واردها.. أى: داخلها سواء أكان مؤمنا أم كافرا، إلا أنه- سبحانه- بفضله وكرمه ينجى الذين اتقوا من حرها، ويترك الظالمين يصطلون بسعيرها.

كذلك مما يشهد بأن الورود بمعنى الدخول، ما أخرجه الإمام أحمد وعبد بن حميد والترمذي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم ... عن أبي سمية قال: اختلفنا في الورود فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن، وقال آخرون يدخلونها جميعا، ثم ينجى الله الذين اتقوا.

قال: فلقيت جابر بن عبد الله- رضى الله عنهما- فذكرت له ذلك فقال- وأهوى بإصبعه على أذنيه- صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يبقى بر

---

(١) سورة هود الآيات ص ٩٦، ٩٨. [.....]."[١]

"قوله تعالى (فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا)

انظر الآية (٧٢) من السورة نفسها لبيان جثيا: على ركبهم.

قوله تعالى (ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا)

أخرج الطبري الصحيح عن مجاهد قوله (من كل شيعة) قال: أمة. وقوله (عتيا) ، قال: كفرا.

أخرج الطبري بسنده الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (أيهم أشد على الرحمن عتيا) ، يقول: عصيا.

قوله تعالى (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا)

قال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث بن سعد، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه –. فذكر حديث رؤية الرب في الآخرة، وفيه قوله – صلى الله عليه وسلم –: " ... ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم، قلنا يا رسول الله: وما الجسر؟ قال: "مدحضة مزلة عليع خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيقاء تكون بنجد يقال لها السعدان، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٩/٦٠

وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحبا فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمن يومئذ للجبار، وإذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم يقولون ربنا إخواننا الذين كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا، فيقول الله تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه، ويحرم الله صورهم على النار فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه." (١)

"مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه فيخرجون من عرفوا، قال أبو سعيد: فإن لم تصدقوني فاقرءوا: (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها) فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجبار: بقيت شفاعتي فيقبض قبضة من النار فيخرج أقواما قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبة في حميل السيل قد رأيتموها إلى جانب الصخرة وإلى جانب الشجرة ... ".

(الصحيح ٤٣١/١٣ ح ٧٤٣٩- ك التوحيد، ب قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة)) .

قال مسلم: حدثني هارون بن عبد الله، حدثنا حجاج بن محمد قال: قال ابن جريج: أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: أخبرتني أم مبشر، أنها سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول عند حفصة: "لا يدخل النار، إن شاء الله، من أصحاب الشجرة، أحد. الذين بايعوا تحتها. قالت: بلى يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -! فانتهرها. فقالت حفصة: (وإن منكم إلا واردها) فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: لقد قال الله عز وجل: (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) .

(صحيح مسلم ١٩٤٢/٤ ح ٢٤٩٦- ك فضائل الصحابة، ب من فضائل أصحاب الشجرة) .

قال الترمذي: حدثنا عبد بن حميد، أخبرنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن السدي. قال: سألت مرة الهمداني عن قول الله عز وجل (وإن منكم إلا واردها) فحدثني أن عبد الله بن مسعود حدثهم، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "يرد الناس النار ثم يصدرون منها بأعمالهم فأولهم كلمح البرق، ثم كالريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب في رحله، ثم كشد الرحل، ثم كمشيه".

قال: هذا حديث حسن ورواه شعبة عن السدي، فلم يرفعه. (السنن ٣١٧/٥- ك التفسير، في سورة مريم ح ٣١٥٩ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣٧٥/٢ ك التفسير مطولا وصححه الذهبي، وجعله البغوي في المصابيح من قسم الحسن (انظر المشكاة ١٥٦٠/٣ ح ٥٦٠٦) .

قال الحاكم: حدثني علي بن حمشاذ العدل، ثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي والحسين بن الفضل البجلي قالا: ثنا سليمان بن حرب، ثنا أبو صالح غالب بن سليمان بن حرب، عن كثير بن زياد أبي سهل، عن منية الأزدية، عن عبد الرحمن." (٢)

---

(١) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور حكمت بشير ياسين ٣٤٦/٣

(٢) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور حكمت بشير ياسين ٣٤٧/٣

"ابن شيبة قال: اختلفنا هاهنا في الورود فقال قوم: لا يدخلها مؤمن، وقال آخرون: يدخلونها جميعا ثم ينجي الله الذين اتقوا فقلت له: إنا اختلفنا فيها بالبصرة، فقال قوم: لا يدخلها مؤمن، وقال آخرون: يدخلونها جميعا ثم ينجي الله الذين اتقوا؟ فأهوى بأصبعيه إلى أذنيه فقال صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "الورود: الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار –أو قال لجهنم– ضجيجا من نزفها" ثم قال: (ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا) .

(المستدرك ٥٨٧/٤ ك الأهوال وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي) . وأخرجه أحمد (المسند ٣٢٨/٣-٣٢٩) والبيهقي (شعب الإيمان ٢٥٩/٢ ح ٣٦٤) عن سليمان بن حرب به) وقال البيهقي: هذا إسناد حسن. وقال المنذري: رجاله ثقات (الترغيب ٣٠٦/٢) وقال الهيثمي رواه أحمد ورجاله ثقات (مجمع الزوائد ٥٥/٧) .

أخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة (وإن منكم إلا واردها) ، يعني: جهنم مر الناس عليها.

أخرج الطبري بسنده الصحيح عن مجاهد قوله (حتما) ، قال: قضاء.

أخرج عبد الرزاق بسنده الصحيح عن قتادة (ونذر الظالمين فيها جثيا) على ركبهم.

قوله تعالى (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (٧٣) وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا)

أخرج الطبري بسنده الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (وأحسن نديا) ، يقول: مجلسا.

أخرج الطبري بسنده الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (أحسن أثاثا ورئيا) ، يقول: منظرا.

وانظر سورة الإسراء آية (١٧) .." (١)

"٢– استحالة النسيان على الله عز وجل.

٣– تقرير ربوبية الله تعالى للعالمين، وبذلك وجبت له الألوهية على سائر العالمين.

٤– وجوب عبادة الله تعالى ووجوب الصبر عليها حتى الموت.

٥– نفي التشبيه والمثل والنظير لله إذ هو الله أحد لم يكن له كفوا أحد.

ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا (٦٦) أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٧) فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠) وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)

شرح الكلمات:

ويقول الإنسان: أي الكافر بلقاء الله تعالى.

ولم يك شيئا: أي قبل خلقه فلا ذات له ولا اسم ولا صفة.

---

(١) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور حكمت بشير ياسين ٣٤٨/٣

جثيا: أي جاثمين على ركبهم في ذل وخوف وحزن.

من كل شيعة: أي طائفة تعاونت على الباطل وتشيع بعضها لبعض فيه.

عتيا: أي تكبرا عن عبادته وظلما لعباده.

أولى بها صليا: أي أحق بها اصطلاء واحتراقا وتعذيبا في النار.

إلا واردها: أي مارا بها إن وقع بها هلك، وإن مر ولم يقع نجا.

حتما مقضيا: أي أمرا قضى به الله تعالى وحكم به وحتمه فهو كائن لابد.

فيها جثيا: أي في النار جاثمين على ركبهم بضهم إلى بعض.." (١)

"أولى بها صليا﴾ يخبر تعالى بعلمه بالذين هم أجدر وأحق بالاصطلاء بعذاب النار، وسوف يدخلهم النار قبل غيرهم ثم يدخل باقيهم بعد ذلك وهو معنى قوله عز وجل: ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا﴾ ١.

وقوله: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ ، فإنه يخبر عز وجل عن حكم حكم به وقضاء قضى به وهو أنه ما من واحد منا معشر بني آدم إلا وارد جهنم وبيان ذلك كما جاء في الحديث أن الصراط جسر يمد على ظهر جهنم والناس يمرون فوقه فالمؤمنون يمرون ولا يسقطون في النار والكافرون يمرون فيسقطون في جهنم. وهو معنى قوله في الآية (٧٢) ﴿ثم ننجي الذين اتقوا٢﴾ أي ربهم فلم يشركوا به ولم يعصوه بترك واجب ولا بارتكاب محرم ﴿ونذر الظالمين﴾ بالتكبر والكفر وغشيان الكبائر من الذنوب ﴿فيها جثيا﴾ أي ونترك الظالمين فيها أي جهنم جاثمين على ركبهم يعانون أشد أنواع العذاب.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بالحشر والإحضار حول جهنم والمرور على الصراط.

٢ - تقرير معتقد الصراط في العبور عليه إلى الجنة.

٣- تقديم رؤساء الضلال وأئمة الكفر إلى جهنم قبل الأتباع الضالين.

٤- تقرير حتمية المرور على الصراط.

٥ - بيان نجاة الأتقياء، وهلاك الفاجرين الظالمين بالشرك والمعاصي.

---

١ يقال: صلى يصلى صليا كمضى يمضي مضيا وهوى يهوي هويا، وصليا بكسر الصاد: قراءة حفص، وبضمها: قراءة نافع، وهو مصدر صلي النار كرضي وهو مصدر سماعي بوزن فعول، قلبت فيه الواو ياء وأدغمت في الياء فصار صليا كما تقدم في جثيا.

٢ حاول صاحب التحرير أن يرد مذهب الجمهور في ورود المؤمنين على الصراط كسائر الخلق ثم ينجي الله الذين اتقوا

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري أبو بكر الجزائري ٣/٣٢٣

حيث يجتازونه بسلام ويقع فيه الكافرون فلا يخرجون وما هناك حاجة إلى رد مذهب الجمهور من أئمة الإسلام إذ حديث الصراط والمرور به ثابت قطعيا ففي صحيح مسلم: "ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة فيقولون: اللهم سلم سلم قيل: يا رسول الله: وما الجسر؟ قال: دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون فيها شويكة يقال لها: السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم، وبهذا الصراط.. فسر السلف الورود على جهنم، ولم يقولوا بلازم الورود وهو الدخول، إذ قد يرد المرء على الحوض ويقف على طرفه ولا يدخل فيه وورد وصح قول الرسول صلى الله عليه وسلم فيمن مات له ثلاثة ولد لم يبلغوا الحنث لا تمسه النار إلا تحلة القسم" وهو الورود على متن جهنم نظرا إلى الآية ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ .." (١)

"شبهة المشركين في إنكار البعث

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٦٦ الى ٧٢]

ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا (٦٦) أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٧) فو ربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠)

وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)

الإعراب:

جثيا حال إن كان جمع (جاث) ، ومنصوب على المصدر إن كان مصدرا، لا جمعا، أي (جثوا) وأصله (جثوو) فأبدلوا منعا للاستثقال من الضمة كسرة، وقلبوا الواو الأخيرة ياء.

أيهم أشد بالرفع، على رأي أكثر البصريين: في موضع نصب ب لننزعن والضمة ضمة بناء. وعلى رأي الكوفيين: مبتدأ مرفوع، وأشد خبره، والضمة ضمة إعراب، ولننزعن ملغى لم يعمل. ومن قرأ بالنصب أيهم نصبها ب لننزعن وجعلها معربة، وهي لغة بعض العرب.

وإن منكم إلا واردها: إن: بمعنى (ما) أي ما أحد منكم، وأحد: مبتدأ، ومنكم صفته، وواردها خبره. ولا يجوز إعمال إن هنا لدخول حرف الاستثناء الذي يبطل عمل (ما) .

البلاغة:

ويقول الإنسان أي الكافر لأنه المنكر للبعث، فهو عام أريد به الخاص.

مت وحيا بينهما طباق.." (٢)

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري أبو بكر الجزائري ٣٢٥/٣

(٢) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ١٤١/١٦

"٣- ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا أي لننتزعن ونأخذن من كل فرقة دينية أو طائفة من طوائف الغي والفساد أعصاهم وأعتاهم وأكثرهم تكبرا وتجاوزا لحدود الله، وهم قادتهم ورؤساؤهم في الشر.

فهذه وجوه التهديد: أولها- الحشر مع الشياطين، وثانيها- الإحضار قعودا حول جهنم في صورة الذليل العاجز، وثالثها- تمييز البعض من البعض، فمن كان أشدهم تمردا في كفره، خص بعذاب أعظم، كما قال تعالى: الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون [النحل ١٦/ ٨٨] وقال: وأثقالا مع أثقالهم [العنكبوت ٢٩/ ١٣] .

ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا أي أنه تعالى أعلم بمن يستحق من العباد أن يصلى نار جهنم، ويخلد فيها، وبمن يستحق تضعيف العذاب، كما قال سبحانه: لكل ضعف، ولكن لا تعلمون [الأعراف ٧/ ٣٨] .

ثم أخبر الله تعالى عن ورود الناس جميعا نار جهنم، فقال:

وإن منكم إلا واردها، كان على ربك حتما مقضيا أي ما منكم من أحد من الناس إلا سوف يرد إلى النار، والورود: هو المرور على الصراط، كان ذلك المرور أمرا محتوما، قد قضى سبحانه أنه لا بد من وقوعه لا محالة. وقيل:

الورود: الدنو من جهنم وأن يصيروا حولها، وهو موضع المحاسبة، وقيل:

الورود: الدخول،

لحديث: «الورود الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر، إلا دخلها، فتكون على المؤمنين بردا وسلاما، كما كانت على إبراهيم» .

والأصح أن الورود: المرور، للحديث التالي:

روى ابن أبي حاتم عن ابن مسعود قال: يرد الناس جميعا الصراط، وورودهم قيامهم حول النار، ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم، فمنهم من يمر مثل." (١)

"الإنسان من العدم، قادر على إعادته مرة أخرى، والإعادة أهون من ابتداء الخلق في ميزان عقل الإنسان، أما بالنسبة لله فهما سواء عليه.

٢- الحشر وجمع الخلائق للحساب أمر ثابت أيضا بعد البعث من القبور، ويحشر كل كافر مقرونا مع شيطان في سلسلة.

٣- يحضر الله الكفار جاثين على ركبهم حول جهنم، فهم لشدة ما هم فيه من الأهوال لا يقدرون على القيام.

٤- يستخرج الله من كل أمة وأهل دين باطل أعتى الناس وأعصاهم، وهم القادة والرؤساء، لمضاعفة العذاب عليهم.

٥- الله تعالى أعلم بمن هو أحق بدخول النار، من الإنس والجن، وبمن يخلد فيها، وبمن يستحق تضعيف العذاب.

٦- إن ورود جميع الخلائق على النار، أي المرور على الصراط، لا الدخول في النار، أمر واقع لا محالة. وقد فسر ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار والسدي والحسن البصري الورود بالمرور على الصراط. قال الحسن: ليس الورود الدخول، إنما تقول: وردت البصرة ولم أدخلها، فالورود: أن يمروا على الصراط لقوله تعالى: إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ١٤٥/١٦

مبعدون [الأنبياء ٢١/ ١٠١] قالوا: فلا يدخل النار من ضمن الله أن يبعده منها.

وقوله سبحانه بعد هذه الآية: لا يسمعون حسيسها ولو وردوا جهنم لسمعوا حسيسها، وقوله عز وجل: وهم من فزع يومئذ آمنون [النمل ٢٧/ ٨٩] .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه الشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد، تمسه النار إلا تحلة القسم»

أي لكن تحلة القسم لا بد منها في قوله تعالى: وإن منكم إلا واردها وهو الجواز على الصراط أو الرؤية أو الدخول دخول سلامة، فلا يكون في ذلك شيء من مسيس النار.." (١)

"والخلاصة: زيارة القبور للرجال متفق عليه عند العلماء، مختلف فيه للنساء، أما الشواب فحرام عليهن الخروج، وأما القواعد الكبيرات فمباح لهن ذلك. وجائز لجميعهن إذا انفردن بالخروج عن الرجال. وإذا حدثت فتنة من اجتماع الرجال والنساء، فلا يحل ولا يجوز.

٣- قال العلماء: ينبغي لعلاج القلب ثلاثة أمور: طاعة الله، والإكثار من ذكر الموت (هاذم اللذات) وزيارة قبور أموات المسلمين.

٤- كرر الله تعالى في هذه السورة الوعيد بعد الوعيد، للتأكيد والتغليظ على ثبوت عذاب القبر وعذاب الآخرة، وأن ما وعدنا به من البعث وتوابعه حق وصدق. ثم أعاد تعالى الزجر والتنبيه على أنه إن لم يفعل الناس العمل الصالح، وترك التفاخر بالأموال والأولاد والرجال، يندمون، ويستوجبون العقاب.

٥- أتى الله تعالى بوعيد آخر بقسم محذوف: والله لترون الجحيم في الآخرة، وهذا خطاب للكفار الذين وجبت لهم النار، وقيل: الخطاب عام، كما قال تعالى: وإن منكم إلا واردها [مريم ١٩/ ٧١] فهي للكفار دار، وللمؤمنين ممر. ثم أخبر تعالى عن رؤية الجحيم رؤية مشاهدة بالأعين، وبعيون القلوب والأفئدة.

٦- يسأل الناس يوم القيامة عن ألوان النعيم في الدنيا، من ظلال المساكن والأشجار، وطيب الحياة والرفاهية، والصحة والفراغ، والأمن والستر ونحو ذلك. والكل يسألون، ولكن سؤال الكفار توبيخ لأنه قد ترك الشكر، وسؤال المؤمن سؤال تشريف لأنه شكر، وهذا النعيم في كل نعمة. ويكون السؤال في موقف الحساب، وقيل: بعد الدخول في النار توبيخا لهم، والأول هو الظاهر.." (٢)

"بالتوبة، وقد تاب آدم عليه السلام وأنهى المشكلة وتقبل الله توبته: فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم [البقرة ٢/ ٣٧] ولا يقبل عاقل قضية الفداء وإباحة ارتكاب المعاصي لأتباع المسيح لأن المسيح صلب تكفيرا لخطاياهم.

ثم حسم تعالى القول في شأن المسيح، فأبان أن كل أحد من أهل الكتاب عند ما يدركه الموت ينكشف له الحق في أمر

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ١٤٧/١٦

(٢) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٣٨٩/٣٠

عيسى، فيؤمن به إيمانا صحيحا حقا لا انحراف فيه، فيعلم اليهودي أنه رسول صادق غير كذاب، ويعلم النصراني أنه بشر ليس بإله ولا ابنا للإله.

وقوله تعالى: ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره: وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به، ونحوه: وما منا إلا له مقام معلوم [الصافات ٣٧/ ١٦٤] وإن منكم إلا واردها. [مريم ١٩/ ٧١] والمعنى: وما من اليهود والنصارى أحد إلا ليؤمنن قبل موته بعيسى وبأنه عبد الله ورسوله، يعني إذا عاين الموت قبل أن تزهق روحه، حين لا ينفعه إيمانه لانقطاع وقت التكليف «١» ، ولأن كل أحد ينجلي له ما كان جاهلا به، فيؤمن به، ولكن لا يكون ذلك إيمانا نافعا له إذا كان قد شاهد الملك «٢» .

ويوم القيامة يشهد عيسى على اليهود بأنهم كذبوه، وعلى النصارى بأنهم دعوه «ابن الله» فتظهر حقيقة حاله، كما قال تعالى عنه: ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم [المائدة ٥/ ١١٧] أي يشهد للمؤمنين منهم بالإيمان وعلى الكافر بالكفر لأن كل نبي شهيد على أمته كما قال تعالى: فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد، وجئنا بك على هؤلاء شهيدا [النساء ٤/ ٤١]

---

(١) الكشاف: ١/ ٤٣٧

(٢) تفسير ابن كثير: ١/ ٥٧٧." [1]

"المنزه عن كل قبيح فاعبده، وأقبل على العمل الصالح يثبك كما أثاب غيرك من المتقين الأبرار، واصطبر للعبادة ففيها الشدائد، ولكن لها ثوابها هل تعلم له سميا سمى باسم الله أو اسم الرحمن، هل تعلم له من يشاركه في مسماه ويشبهه في شيء. تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، ولما انتفى المشارك لله استحق أن يكون هو المعبود بحق دون سواه، وأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، والاستفهام في الآية للإنكار، والمراد بنفي العلم هنا نفى الشريك على أبلغ وجه.

المنكرون للبعث وجزاؤهم [سورة مريم (١٩) : الآيات ٦٦ الى ٧٢]

ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا (٦٦) أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٧) فو ربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠)

وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)

المفردات:

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٢٢/٦

جثيا جمع جاث والمراد أنهم بركوا على ركبهم يقال: جثا يجثو إذا جلس على ركبته شيعة فرقة تشيعت لشخص أو لمبدأ عتيا عصيانا يقال عتا يعتو عتوا أى: صار عاتيا عاصيا صليا دخولا يقول صلى النار يصلى دخلها.." (١)

"المعنى:

ويقول بعض أفراد الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا: وأبعث للحساب؟!! إن هذا لعجيب!! نعم يقول الكفار منكرين مستبعدين الحياة للبعث والثواب: أحقا أنا سنخرج أحياء بعد أن متنا، وتمكن فينا الموت والهلاك؟! والمراد الخروج من القبر أو حال الفناء، وانظر يا أخى إلى تصوير القرآن لإنكارهم الشديد وأنه منصب على ما بعد الموت، وهو كون الحياة منكرة، ولذا قال: أإذا ما مت لسوف أخرج حيا؟

فهو كقولك أحين تمت عليك نعمة فلان تسيء إليه؟؟ ويقول الله- سبحانه وتعالى- في الرد على هؤلاء:

أيقول الكافر ذلك ولا يتذكر أنا خلقناه من قبل، ولم يك شيئا؟!! أيقول الكافر ذلك ولا يتذكر نشأته الأولى، حتى لا ينكر إعادته للبعث فإن الأولى أعجب وأغرب، وأدل على قدرة الله حيث خلقه، ولم يك شيئا أبدا فقد خلقه من غير مثال يحتذيه ولا نظام سابق يعيده ويحييه، وأما الحياة الثانية فقد تقدمت نظيرتها، وكل ما فيها إعادة تأليف أجزاء تبعثرت، وتركيبها كما كانت فالإعادة أهون بالنسبة للأولى، وإن كان البدء والإعادة سواء عند الله- سبحانه وتعالى-.

فوربك يا محمد لنحشرنهم والشياطين، إنه قسم من الله برب محمد فهو تشريف له وأى تشريف؟

والله أقسم ليحشرنهم جميعا بعد بعثهم من قبورهم، ومعهم الشياطين التي هي سبب إغوائهم وضلالهم ليأخذ الكل جزاءه غير منقوص وليروا بأنفسهم أن الشيطان أضلهم وأعمى أبصارهم وسيتنصل منهم وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم [سورة إبراهيم آية ٢٢] .

ثم بعد هذا لنحضرنهم جميعا حول جهنم جاثمين على ركبهم غير قادرين على الوقوف على أرجلهم من شدة الهول وترى كل أمة جاثية [سورة الجاثية آية ٢٨] .

وهل الضمير هنا في قوله لنحضرنهم للعموم أو للكفار فقط؟ وهذا سيظهر عند الكلام على قوله: وإن منكم إلا واردها.." (٢)

"ثم بعد هذا لننزعن من كل شيعة الذي هو أشد على الرحمن عصيانا وفسوقا، والمعنى نختار من كل طائفة من طوائف الغي والفساد أعصاهم فأعصاهم فإذا اجتمعوا في غل واحد طرحناهم في الجحيم على الترتيب نقدم أولاهم بالعذاب فالذي بعده وهكذا.

ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بجهنم صليا ودخولا، ومن هذه الآية وأشباهها نعلم أن الله- سبحانه وتعالى- جعل لأئمة الكفر وقادة الضلال عذابا أشد، ودركا أسفل في النار الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما

---

(١) التفسير الواضح محمد محمود حجازي ٢/٤٦٤

(٢) التفسير الواضح محمد محمود حجازي ٢/٤٦٥

كانوا يفسدون [النحل ٨٨] وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم [العنكبوت ١٣] .

وإن منكم من أحد إلا واردها، كان على ربك حتما مقضيا، وفي هذه الآية الحكم بورود جميع الخلق على النار، ومن هنا اختلف المفسرون في معنى الورود. فهل هو الدخول بالفعل؟ أو هو المرور عليها من غير دخول؟ قيل الناس جميعا يدخلونها فأما المؤمنون فتكون عليهم بردا وسلاما،

وروى في تلك أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال. إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي جامدة

، وأما قوله- تعالى-: إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون «١» فالمراد أنهم مبعدون عن عذابها، ولعل الحكمة في الورود بهذا المعنى ليروا ما أعد للكافرين والعصاة، وما أعد لهم فيزدادوا فرحا وسرورا، وليمتلئ قلب الكافر حسرة وندما على ما فرط منه.

ويجوز أن يراد بالورود الجثو حولها فقط من غير دخول فيها، أو الورود بمعنى المرور على الصراط أما المؤمنون فينجون وأما الكافرون فيسقطون، ويرشح هذا أن قول العرب «وردت القافلة البلد» لا يلزم منه دخولها ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون «٢» ولعل الرأى الأول أرجح وهو تفسير الورود بالدخول لقوله تعالى.

ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا حيث لم يقل وندخل الظالمين، ولتظاهر السنة الشريفة على هذا المعنى.

وهذا كله إذا أريد العموم في قوله وإن **منكم إلا واردها أى**: من الناس جميعا فإن أريد الكافرون فقط فلا خلاف في معنى الورود.

---

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠١.

(٢) سورة القصص الآية ٢٣.." (١)

"قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ الآية: ٧١

[١٦١٤] ففي حديث حفصة أنها لما سمعت "لا يدخل النار أحد ممن شهد بدرا والحديبية" قالت: أليس الله يقول ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ فأجيبت بقوله ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ الآية ١.

قوله تعالى: ﴿أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا﴾ الآية: ٧٣

[١٦١٥] قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله ﴿وأحسن نديا﴾ قال: مجلسا ٢.

قوله تعالى: ﴿هم أحسن أثاثا ورئيا﴾ الآية: ٧٤

[١٦١٦] ولابن أبي حاتم من طريق أبي ظبيان ٣ عن ابن عباس قال: الأثاث المتاع، والرئي المنظر ٤.

---

١ فتح الباري ١/ ١٩٧.

---

(١) التفسير الواضح محمد محمود حجازي ٢/٤٦٦

أخرجه أحمد ٢٨٥/٦ ثنا أبو معاوية، قال: ثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر – امرأة زيد بن حارثة – عن حفصة، نحوه. وأخرجه ٣٦٢/٦ من وجه آخر عن الأعمش، بهذا الإسناد عن أم مبشر، به من حديثها، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة – فذكر الحديث مثله. وذكره ابن كثير في تفسيره ٢٥٠/٥ عن أحمد بهذين الإسنادين.

٢ فتح الباري ٤٢٨/٨.

أخرجه عبد الرزاق ١١/٢ به.

٣ اسمه حصين بن جندب بن الحارث الجنبي – نسبة إلى جنب قبيلة من اليمن – أبو ظبيان الكوفي، روى عن عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس وغيرهم، وعنه ابنه قابوس وأبو إسحاق السبيعي وسلمة بن كهيل والأعمش وغيرهم. ثقة، مات سنة تسعين، وقيل غير ذلك. أخرج له الجماعة. انظر ترجمته في: التهذيب ٣٢٧/٢، والتقريب ١٨٢/١.

٤ فتح الباري ٤٢٧/٨.

أخرجه ابن أبي حاتم كما في تغليق التعليق ٢٤٨/٤ حدثنا أحمد بن سنان، ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، به. وأخرجه ابن جرير ١١٧/١٦ من طريق سفيان، عن الأعمش، به.." (١)

"١٦ – (الذي كذب وتولى):

أي: الذي كذب بالحق وكفر بوحدانية الله فاعتقد له الشريك، أو جحده وأنكره كما كذب برسله – عليهم الصلاة والسلام – وأعرض وأدبر عن طاعة الله وتجنبها.

هذا، وقد يبدو أن غير الأشقى كالعصاة والفساق لا يعذبون في النار، والأمر ليس كذلك إذ الصلى في اللغة: أن يحفروا حفيرة فيجمعوا فيها جمرا كثيرا ثم يعمدوا إلى شاة فيدسوها وسطه بين أطباقه، فالمعنى –إذن–: لا يعذب بين أطباق النار ولا يقاسي حرها على وجه الأشدية إلا الأشقى، أما العاصي والفاسق فلا يعذب بين أطباقها ولا يقاسي حرها على هذه الصورة، ولا يلزم منه أنه لا يدخلها ولا يعذب بها أصلا، بل يجوز أن يدخلها ويعذب بها على وجهها في الطبقة الأولى عذابا دون ذلك العذاب، حتى إن بعض العصاة من تبلغ النار إلى كعبة، وأشد العصاة من تبلغ وتصل إلى موضع سجوده فيحسه، ولا يعذب أحد من المؤمنين بين أطباقها البتة بوعد الله تعالى.

١٧ – (وسيجنبها الأتقى):

أي: وسيكون الأكثر تقى المبالغ في اتقاء الكفر والمعاصي –سيكون– في جانب، وتكون النار في جانب آخر، فلا يحوم حولها بل يمر بها ويطلع عليها دون أن يؤلم بمسها، ويصار به إلى الجنة، وإنما أطلعه الله عليها إظهارا لإكرامه له بإنجائه من عذابها وجعله في دار كرامته، قال تعالى: "وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا" (١).

---

(١) الروايات التفسيرية في فتح الباري عبد المجيد الشيخ عبد الباري ٧٥٠/٢

١٨ - (الذي يؤتي ماله يتزكى):

هذا بيان للصفات التي يتحلى بها الأتقى، والتي اقتضت أن يجنب النار، أي: هو الذي يعطي ماله ويصرفه ابتغاء تزكية نفسه وتطهيرها من الذنوب أو هو الذي يرغب ويطلب من ربه أن يكون زاكيا ناميا في الخير، مسارعا ومسابقا فيه، لا يزيد بعمله هذا رياء ولا سمعة، إنه سيكون بعيدا عن هذه النار.

---

(١) سورة مريم الآيتان: ٧١، ٧٢.." (١)

"ثم ذكر تعالى قصة إبراهيم عليه السلام وهو يدعو أباه إلى الصراط السوى، بأرق ما تكون الدعوة من الرفق والحنان، فيقول: ﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا (٤٣) يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا (٤٤) يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا﴾. فيقابل أبوه هذا الرفق والحنان، بأشق ما يكون من العنف والقسوة والجحود والعصيان، فيقول: ﴿قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا﴾. وهنالك لم يجد إبراهيم عليه السلام بدا من أن يعتزل أباه وقومه وما يعبدون من دون الله. قال تعالى: ﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا (٤٩) ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا﴾.

ثم ذكر تعالى كليمه موسى عليه السلام ومناجاته إياه في الطور، وهبة الله له أخاه هارون نبيا. ثم أثنى سبحانه على إسماعيل عليه السلام بصدق الوعد، وأمره أهله بالصلاة والزكاة ﴿وكان عند ربه مرضيا﴾. وعلى إدريس عليه السلام بأنه: "رفعه مكانا عليا". ثم أثنى تبارك وتعالى على المصطفين الأخيار من عباده فقال: ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا﴾.

وذم الذين خلفوهم من بعدهم، فلم يهتدوا بهديهم، بل أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون جزاءهم ﴿إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا﴾. ومما ذكره الله تعالى في هذه السورة الكريمة، أنه يحشر الكافرين يوم القيامة مع قرنائهم من الشياطيين .. وأن جميع الخلق يردون جهنم: ﴿وإن **منكم إلا واردها كان** على ربك حتما مقضيا﴾ وبعد ذلك يستنكر سبحانه أشد الاستنكار، ما زعمه الزاعمون من اتخاذه ولدا، إذ يقول: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا (٨٨) لقد جئتم شيئا إدا (٨٩) تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا﴾ ثم يعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأنه سيجعل بينهم محبة وودا ثم يختم سبحانه السورة الكريمة ببيان." (٢)

---

(١) التفسير الوسيط - مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ١٩٤٠/١٠

(٢) التفسير الوسيط - مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ٩٤٠/٦

"طرحناهم في النار على الترتيب، فنقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم، قال ابن مسعود في تفسير الآية: يحبس الأول على الآخر، حتى إذا تكاملت العدة أتاهم جميعا ثم بدأ بالأكابر فالأكابر جرما: اهـ

وذلك قوله تعالى:

٧٠ - ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا﴾:

ثم لنحن نعلم أكمل العلم، ونعرف أوسع المعرفة من هو أشد استحقاقا للاحتراق بنار جهنم منهم، ولقد سجلنا عليهم جميع أعمالهم في كتاب: ﴿لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ (١) لتكون حجة عليهم.

﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (٧٣)﴾

المفردات:

﴿واردها﴾: داخلها أو مار عليها.

﴿حتما مقضيا﴾: قضاء نافذا مبرما.

﴿جثيا﴾: جمع جاث وهو الجالس على ركبتيه.

﴿مقاما﴾: المراد بالمقام الإقامة أو موضعها.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٩." (١)

"﴿وأحسن نديا﴾: الندى موضع اجتماع القوم ومكان حديثهم، فإن تفرقوا فليس بندى قاله الجوهرى: وهم يريدون بكونهم أحسن نديا، أنهم في الآخرة في أحسن مكان حيث يجتمعون في الآخرة في نديهم على فرض البعث والنشور.

التفسير

٧١ - ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾.

روى الحاكم وأحمد وابن ماجه بسنده عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: (الورود الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم بردا وسلاما حتى أن للنار ضجيجا من بردهم) ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾. وفي هذا المعنى يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم -؛ فيما رواه الشيخان: (لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم) والمراد تقليل زمان المس، والمقصود من القسم ما يفيده قوله سبحانه: ﴿وإن منكم إلا واردها .. ﴾ الآية. فهو في حكم القسم في التأكيد، وقد أفادت الآية أن كل إنسان يرد على النار فينجو المؤمن منها، ويبقى الكفار فيعرف المؤمن منة الله عليه بنجاته من هذا المصير الرهيب.

٧٢ - ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾:

ثم نكتب النجاة للمتقين وندع الظالمين جاثمين في نار جهنم.

---

(١) التفسير الوسيط - مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ٦/٩٨٨

ويذهب بعض المفسرين إلى أن الجميع يمرون على الصراط فيجوزه المؤمنون ويتساقط الظالمون في جهنم، معتمدين على ما رواه مسلم في صحيحه: ثم يضرب الجسر على جهنم وهو دحض (١) مزلة (٢)، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك ... فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم (٣).

---

(١) الدحض: الزلق.

(٢) والمزلة: موضع الزل وهو السقوط.

(٣) أي ملقى في جهنم مجتمع فيها مع من سبقه.." (١)

"المفردات:

﴿الحسنى﴾: الجنة، أو التوفيق للطاعة. ﴿حسيسها﴾: أي الصوت الذي يحس من توهجها ﴿الفزع الأكبر﴾: الخوف الأعظم بسبب صرف أهل النار إلى النار.

﴿كطي السجل للكتب﴾: كطى الديوان لصحائفه المكتوبة.

﴿الزبور﴾: المراد به هنا كل كتاب أنزله الله، مأخوذ من الزبر وهو الكتابة، وقد غلب لفظ الزبور على كتاب داود - عليه السلام -.

﴿الذكر﴾: المراد به هنا اللوح المحفوظ.

﴿لبلاغا﴾: لكفاية تبلغ الإنسان إلى بغيته.

التفسير

١٠١ - ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾:

بعد أن ذكر الله سوء مصير من يتخذون آلهة من دون الله، وأنهم وما يعبدون وقود جهنم وأنهم فيها مخلدون، جاءت هذه الآية وما بعدها لبيان حسن جزاء المؤمنين. والحسنى: تأنيث الأحسن والمراد بها هنا: الجنة، أو التوفيق للطاعة، فهو الخصلة الحسنى، ومعنى سبق الحسنى لهم: تقديرها في الأزل من الله تعالى، لما علمه فيهم من إيثارهم طاعته على هوى أنفسهم.

﴿أولئك عنها مبعدون﴾: أي أولئك الذين سبقت لهم منا الحسنى مبعدون عن جهنم أي لا يدخلونها.

وأما قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ (١):

فقيل: الخطاب للكفار خاصة، وقيل: إن الورود قد يطلق على القرب، ولا مانع من أن يحضر المؤمنون من الإنس والجن حول جهنم حيث لا يحسون بصوتها ولا يشعرون بحرارتها. ويؤيد هذا قوله تعالى:

---

(١) التفسير الوسيط - مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ٦/٩٨٩

(١) سورة مريم، الآية: ٧١." (١)

"[٦٧] قال الله عز وجل: ﴿أولا يذكر﴾ [مريم: ٦٧] أي يتذكر ويتفكر، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب يذكر خفيف، ﴿الإنسان﴾ [مريم: ٦٧] يعني أبي بن خلف ﴿أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا﴾ [مريم: ٦٧] أي لا يتفكر هذا الجاحد في بدء خلقه فيستدل به على الإعادة، ثم أقسم بنفسه، فقال:

[٦٨] ﴿فوربك لنحشرنهم﴾ [مريم: ٦٨] أي لنجمعنهم في المعاد يعني المشركين المنكرين للبعث، ﴿والشياطين﴾ [مريم: ٦٨] مع الشياطين، وذلك أنه يحشر كل كافر مع شيطانه في سلسلة، ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم﴾ [مريم: ٦٨] قيل: في جهنم، ﴿جثيا﴾ [مريم: ٦٨] قال ابن عباس رضي الله عنه: جماعات، جمع جثوة، وقال الحسن والضحاك: جمع جاث أي جاثين على الركب. قال السدي: قائمين على الركب لضيق المكان.

[٦٩] ﴿ثم لننزعن﴾ [مريم: ٦٩] لنخرجن، ﴿من كل شيعة﴾ [مريم: ٦٩] أي من كل أمة وأهل دين من الكفار. ﴿أيهم أشد على الرحمن عتيا﴾ [مريم: ٦٩] عتوا قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني جرأة. وقال مجاهد: فجورا يريد الأعتى فالأعتى. وقال الكلبي: قائدهم ورأسهم في الشر يريد أنه يقدم في إدخال النار من هو أكبر جرما وأشد كفرا. وفي بعض الآثار أنهم يحضرون جميعا حول جهنم مسلمين مغلولين، ثم يقدم الأكفر فالأكفر ورفع أيهم على معنى الذي، يقال لهم: أيهم أشد على الرحمن عتيا. وقيل على الاستئناف، ثم لننزعن يعمل في موضع من كل شيعة.

[٧٠] ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا﴾ [مريم: ٧٠] أي أحق بدخول النار، يقال: صلي يصلى صليا مثل لقي يلقى لقيا، صلى يصلي صليا مثل مضى يمضي مضيا إذا دخل النار وقاسى حرها.

[٧١] ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] أي وما منكم إلا واردها، وقيل: القسم في مضمر أي والله ما منكم من أحد إلا واردها، والورود هو موافاة المكان، واختلفوا في الورود هاهنا وفيما تنصرف إليه الكناية في قوله: ﴿واردها﴾ [مريم: ٧١] قال ابن عباس رضي الله عنه وهو قول الأكثرين معنى الورود هاهنا هو الدخول، والكناية راجعة إلى النار، وقالوا: النار يدخلها البر والفاجر، ثم ينجي الله المتقين، فيخرجهم منها، والدليل على أن الورود هو الدخول قول الله عز وجل حكاية عن فرعون: ﴿يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار﴾ [هود: ٩٨] وقال قوم: ليس المراد من الورود الدخول، وقالوا: النار لا يدخلها مؤمن أبدا، لقوله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون - لا يسمعون حسيسها﴾ [الأنبياء: ١٠١ - ١٠٢] وقالوا: كل من دخلها لا يخرج منها، والمراد من قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] الحضور والرؤية، لا الدخول، كما قال تعالى: ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ [القصص: ٢٣]." (٢)

"أراد به الحضور. وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: وإن **منكم إلا واردها يعني** القيامة والكناية راجعة إليها، والأول أصح، وعليه أهل السنة أنهم جميعا يدخلون النار ثم يخرج الله عز وجل منها أهل الإيمان، بدليل قوله تعالى:

(١) التفسير الوسيط - مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ٦/١١٦١

(٢) مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل عبد الله الزيد ٤/٥٧٣

﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ [مريم: ٧٢] أي اتقوا الشرك، وهم المؤمنون. والنجاة إنما تكون مما دخلت فيه لا ما وردت والدليل على هذا ما ورد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم» (١) وأراد بالقسم قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير. ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير» (٢) وقال أبان عن قتادة " من إيمان " مكان " خير " وأما قوله عز وجل: ﴿لا يسمعون حسيسها﴾ [الأنبياء: ١٠٢] قيل: إن الله عز وجل أخبر عن وقت كونهم في الجنة أنهم لا يسمعون حسيسها فيجوز أن يكون قد سمعوا ذلك قبل دخولهم الجنة، لأنه لم يقل لم يسمعوا حسيسها ويجوز ألا يسمعوا حسيسها عند دخولهم إياها، لأن الله عز وجل يجعلها عليهم بردا وسلاما. ﴿كان على ربك حتما مقضيا﴾ [مريم: ٧١] أي كان ورودكم جهنم حتما لازما مقضيا قضاه الله عليكم.

[٧٢] ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ [مريم: ٧٢] أي اتقوا الشرك، وقرأ الكسائي (ننجي) بالتخفيف، والباقون بالتشديد ﴿ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢] جميعا. وقيل: جاثين على الركب، وفيه دليل على أن الكل دخلوها ثم أخرج الله منها المتقين، وترك فيها الظالمين، وهم المشركون.

[٧٣] ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ [مريم: ٧٣] واضحات، ﴿قال الذين كفروا﴾ [مريم: ٧٣] يعني النضر بن الحارث وذويه من قريش، ﴿للذين آمنوا﴾ [مريم: ٧٣] يعني فقراء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة، وكان المشركون يرجلون أشعارهم ويدهنون رءوسهم ويلبسون ثيابهم، فقالوا للمؤمنين: ﴿أي الفريقين خير مقاما﴾ [مريم: ٧٣] منزلا ومسكنا، وهو موضع الإقامة، وقرأ ابن كثير: (مقاما) بضم الميم أي إقامة، ﴿وأحسن نديا﴾ [مريم: ٧٣] أي مجلسا، ومثله النادي، فأجابهم الله تعالى فقال:

[٧٤] ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا﴾ [مريم: ٧٤] أي متاعا وأموالا. وقال مقاتل: لباسا وثيابا، ﴿ورئيا﴾ [مريم: ٧٤] قرأ أكثر القراء بالهمز أي منظرا من الرؤية، وقرأ ابن عامر وأبو جعفر ونافع غير ورش ريا مشددا بغير همز، وله تفسيران، أحدهما: هو الأول بطرح الهمز والثاني من الري الذي هو ضد العطش، ومعناه الارتواء من النعمة، فإن المتنعم يظهر فيه ارتواء النعمة، والفقير يظهر عليه ذيول الفقر.

[٧٥] ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا﴾ [مريم: ٧٥] هذا أمر بمعنى الخبر، معناه يدعه في طغيانه ويمهله في كفره، ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب﴾ [مريم: ٧٥] وهو الأسر والقتل في الدنيا، ﴿وإما الساعة﴾ [مريم: ٧٥] يعني القيامة فيدخلون النار، ﴿فسيعلمون﴾ [مريم: ٧٥] عند ذلك ﴿من هو شر مكانا﴾ [مريم: ٧٥] منزلا، ﴿وأضعف جندا﴾ [مريم: ٧٥] أقل ناصرا أهم أم المؤمنون؟ لأنهم في النار والمؤمنون في الجنة. وهذا رد عليهم في قوله: ﴿أي الفريقين خير مقاما﴾ [مريم: ٧٣]

[٧٦] ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾ [مريم: ٧٦] أي إيمانا وإيقانا على يقينهم، ﴿والباقيات الصالحات﴾ [الكهف: ٤٦]

---

(١) أخرجه البخاري في الأيمان والنذور ١١ / ٥٤١ ومسلم في البر والصلة برقم (٢٦٣٢) ٤ / ٢٠٢٨.

(٢) أخرجه البخاري في الإيمان ١ / ١٠٣ ومسلم في الإيمان رقم (١٩٢) ١ / ١٨٢.." (١)

"شبهة المشركين في إنكار البعث وجزاؤهم

يقدر الإنسان الأشياء ويفهمها بمجرد عقله المحدود وبقدر طاقته وإمكانه، فيقع في الضلال والخطأ، ولا ينظر بمنظار أقوى أو أوسع من علمه وقدرته، وهذا في الواقع سبب إنكار المشركين البعث، لأنهم نظروا للأشياء نظرة مجردة، وضعيفة، وعاجزة، فرأوا أن تفتت الأجساد وصيرورتها مثل التراب، هل يتصور إعادتها ذاتها خلقا جديدا، ونسوا أن أصل خلق الإنسان من تراب، وأن الله على كل شيء قدير. وهذا ما تحكيه الآيات الآتية من شبهة المشركين في إنكار البعث مرة أخرى:

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٦٦ الى ٧٢]

ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا (٦٦) أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (٦٧) فو ربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠)

وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢)

«١» «٢» «٣» «٤» [مريم: ١٩/ ٦٦- ٧٢] .

روي أن سبب نزول هذه الآية: هو أن رجالا من قريش كانوا يقولون هذا ونحوه. وروي أن القائل: هو أبي بن خلف، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل: إن القائل: هو العاص بن وائل.

والمعنى: ويقول الإنسان (اسم للجنس يراد به الكافرون) أي يقول الكافر المشرك منكر البعث متعجبا، مستبعدا حصوله بعد الموت: هل إذا مت وأصبحت ترابا، سوف أخرج حيا من القبر، وأبعث للحساب؟! وأسند الكلام لكل مشرك كافر، وإن لم يقله إلا بعضهم، لرضاهم بمقالته.

---

(١) باركين على ركبهم. [.....]

(٢) عصيانا.

(٣) دخولا.

(٤) مار على الصراط الممدود عليها.." (٢)

"عظيما قال الجوهري: الإد: الداهية والأمر الفظيع ﴿ركزا﴾ الركز: الصوت الخفي.

سبب النزول: عن خباب بن الأرت قال: كنت رجلا قينا - أي حدادا - وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه فقال: لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث - أي تموت الآن وتبعث

---

(١) مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل عبد الله الزيد ٥٧٤/٤

(٢) التفسير الوسيط للزحيلي وهبة الزحيلي ١٤٩٤/٢

أمامي وهذا من باب المستحيل – قال: فإني إذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثم مال فأعطيتك فأنزل الله ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا﴾ .

التفسير: ﴿ويقول الإنسان أءذا ما مت لسوف أخرج حيا﴾ أي يقول الكافر الذي لا يصدق بالبعث بعد الموت على وجه الإنكار والاستبعاد: أئذا مت وأصبحت ترابا ورفاتا فسوف أخرج من القبر حيا؟ قال ابن كثير: يتعجب ويستبعد إعادته بعد موته، واللام «لسوف» للمبالغة في الإنكار، وهو إنكار منشؤه غفلة الإنسان عن نشأته الأولى، أين كان؟ وكيف كان؟ ولو تذكر لعلم أن الأمر أيسر مما يتصور ﴿أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا﴾ أي أولا يتذكر هذا المكذب الجاحد أول خلقه فيستدل بالبداءة على الإعادة؟ ويعلم أن الله الذي خلقه من العدم قادر على أن يعيده بعد الفناء وتشتت الأجزاء؟ قال بعض العلماء: لو اجتمع كل الخلائق على إيراد حجة في البعث على هذا الاختصار لما قدروا عليها، إذ لا شك أن الإعادة ثانيا أهون من الإيجاد أولا، ونظيره قوله ﴿قل يحييها الذي أنشأهآ أول مرة﴾ [يس: ٧٩] ﴿فوربك لنحشرنهم والشياطين﴾ أي فوربك يا محمد لنحشرن هؤلاء المكذبين بالبعث مع الشياطين الذين أغووهم قال المفسرون: يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا﴾ أي محضر هؤلاء المجرمين حول جهنم قعودا على الركب من شدة الهول والفزع، لا يطيقون القيام على أرجلهم لما يدهمهم من شدة الأمر ﴿ثم لننزعن من كل شيعة﴾ أي لنأخذن ولننتزعن من كل فرقة وجماعة ارتبطت بمذهب ﴿أيهم أشد على الرحمن عتيا﴾ أي من منهم أعصى لله وأشد تمردا، والمراد أنه يؤخذ من هؤلاء المجرمين ليقذف في جهنم الأعتى فالأعتى قال ابن مسعود: يبدأ بالأكابر جرما ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا﴾ أي نحن أعلم بمن هم أحق بدخول النار والاصطلاء بحرها وبمن يستحق تضعيف العذاب فنبدأ بهم ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ أي ما منكم أحد من بر أو فاجر ألا وسيرد على النار، المؤمن للعبور والكافر للقرار ﴿كان على ربك حتما مقضيا﴾ أي كان ذلك الورود قضاء لازما لا يمكن خلفه ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ أي ننجي من جهنم المتقين بعد مرور الجميع عليها ﴿ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ أي ونترك الظالمين في جهنم قعودا على الركب قال البيضاوي: والآية دليل على أن المراد بالورود." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس السابع

(الإيمان بالبعث (٢))

معنى الورود في القرآن

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فالجزئية الأولى التي سنتناولها في هذا الدرس معنى الورود في قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ (مريم: ٧١):

اختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ ما المراد بالورود في الآية؟

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٢٠٥/٢

الأظهر والأقوى أن المراد بالورود في الآية هو المرور على الصراط، قال تعالى: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ (مريم: ٧٢).

وفي الصحيح أنه –صلى الله عليه وسلم– قال: ((والذين نفسي بيده، لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة –لا يلج يعني: لا يدخل– قالت حفصة: فقلت: يا رسول الله، أليس الله يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ فقال –صلى الله عليه وسلم–: ألم تسمعيه قال: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾)) أخرجه مسلم من طريق ابن جريج.

هذا الحديث أشار إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا يستلزم حصوله، بل يستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه عدوه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه يقال: نجاه الله منهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ولما جاء أمرنا نجينا هودا﴾ (هود: ٥٨) وقوله تعالى: ﴿فلما جاء أمرنا نجينا صالحا﴾ (هود: ٦٦) وقوله تعالى: ﴿ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا﴾ (هود: ٩٤) ولم يكن العذاب أصابهم، يعني: أن العذاب لم يصب هؤلاء الأنبياء الذين ذكرهم الله –سبحانه وتعالى– ولكن أصاب غيرهم، ولولا ما خصهم الله به من أسباب النجاة لأصابهم ما أصاب أولئك.

وكذلك حال الواردين النار، يمرون فوقها على الصراط، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا، فقد بين –صلى الله عليه وسلم– في حديث جابر المذكور أن الورود هو المرور على الصراط.." [1]

(١) التفسير الموضوعي ١ – جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٩٣